

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم

قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

الإسلامية — قسنطينة —

الرقم التسلسلي.....

## الموضوع:

### تطور الديانة المسيحية حتى القرن السابع الميلادي

### "العقيدة أنموذجاً"

أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في مقارنة الأديان

تحت إشراف:

إعداد الطالب:

الدكتور: محمد بودبان

عبد الحفيظ لعمش

أعضاء اللجنة :

الاسم واللقب	اللجنة	الدرجة العلمية-الجامعة
1- مسعود حايقي	رئيساً	أستاذ محاضر - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
2- محمد بودبان	مقرراً	أستاذ محاضر - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
3- موسى معيرش	عضوا	أستاذ محاضر - جامعة عباس لغرور - خنشلة
4- نعيمة دريس	عضوا	أستاذة محاضرة - المدرسة العليا للأساتذة - قسنطينة
5- زبيدة بن ميسي	عضوا	أستاذة محاضرة - المدرسة العليا للأساتذة - قسنطينة
6- آسيا شكيرب	عضوا	أستاذة محاضرة - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السنة الجامعية: 1436هـ - 1437هـ / 2015م - 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم  
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين  
قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم  
الإسلامية — قسنطينة —  
الرقم التسلسلي.....

الموضوع:

تطور الديانة المسيحية حتى القرن السابع الميلادي

"العقيدة نموذجا"

أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في مقارنة الأديان

تحت إشراف:

الدكتور: محمد بودبان

إعداد الطالب:

عبد الحفيظ لعمش

السنة الجامعية

1436هـ - 1437هـ

2015 م - 2016 م

الإهداء

إلى أعلام الفكر المنصفين في حقل  
المعرفة والبحث عن الحقيقة ، أهدي لهم  
هذا الجهد الفكري المتواضع ، رجيا من  
المولى سبحانه وتعالى أن يجعله في ميزان  
حسنات والدي وكل من أعانني على انجازه  
من بعيد أو من قريب. آمين.

## شكر وتقدير

نسجل جميل الشكر لكل من ساعدني في انجاز هذا البحث من قريب أو بعيد ، بادئا بالأستاذ الفاضل الذي قبل الأشراف على رسالتي ، متوجها إليه بخالص التحية والإمتنان والتقدير، وشاكرا أيضا هيئة المجلس العلمي للجامعة والكلية في مصادقتهما على مشروع البحث الذي قدمته لهما حول تطور الديانة المسيحية حتى القرن السابع الميلادي (العقيدة أنموذجا). دون أن أنسى شكري لمن كان لهما الفضل عليا وهما الوالدين الكريمين ، وشكري لمن كانت خير عونٍ لي حارسة وساهرة على دوام هذا الإنجاز؛ الزوجة أم العيال الأربعة الذكرين والأنثيين، الأم المباركة المسماة مباركة ليكون الإسم على المسمى.

إلى كل أصحاب الفضيلة أعضاء اللّجنة الكرام، أضع بين أيديهم ثمرة جهدي ، سائلا الله تعالى أن يجعل الثواب للجميع. ومن الله التوفيق، نعم المولى ونعم النصير، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## هـ

- أ - أهمية الموضوع وإشكاليته.
- ب - أهداف الموضوع .
- ت - أسباب اختيار الموضوع.
- ث - صعوبات البحث .
- ج - المنهج المتبع في البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ- أهمية الموضوع وإشكاليته:

كان اهتمام الباحثين المسلمين بالديانة المسيحية في وقت مبكر منذ الفتوحات الإسلامية في مناطق العالم، وخصوصاً بالأندلس، أين راح أتباع كل ديانة يطّلع على معتقدات الطرف الآخر، خصوصاً لما تحدّث القرآن الكريم عمّا وقع من انحرافات وتحريفات في النصوص المقدّسة السّابقة له، التي حوت عقائد بما كثير من التضليل وبعيدة كل البعد عن الصدق واليقين. فساهم في إماطة اللثام على جوانب كثيرة من معتقدات الملل والتّحل القديمة على وجه العموم، والمعتقد المسيحي بوجه أخص.

ومن خلال هذا البحث المتعلق بتطور العقائد المسيحية منذ نشأتها حتى القرن السابع الميلادي الموافق للقرن الأوّل الهجري؛ ساعدني آيات القرآن الكريم في إيراد مقولات أهل الكتاب ومناقشتها والبرهنة على بطلانها وبيان فسادها بالحجج والبراهين، ومبيّنة خللها وزللها وهشاشتها بنائها، فعرضت العقائد كما هي مكتوبة ومسطّرة في كتبها، أو مرويةً على ألسنة معتنقيها. وكانت لهذه الآيات القرآنية المتعلّقة بأهل الكتاب انطلاقةً قويّةً في نقد الكتاب المقدّس من قبل العلماء المسلمين القدماء، نذكر منهم على سبيل المثال كل من:

الكِنْدِي، والجاحظ وابن حزم، والشّهري، والجويني، وأبو حامد الغزالي، والقاضي عبد الجبار، ابن تيمية، والسّمّوأل بن يحيى المغربي، وابن القيم الجوزية، والقرطبي، وأبو عبيدة الخرجي، وصالح بن الحسين الجعفري والفخر الرّازي، وأبو العباس أحمد بن إدريس القرافي، وعبد الله التّرجمان. وفي العصر الحديث والمعاصر أذكر كل من: رحمة الله الهندي ومحمد أبوزهرة، ومحمد عبده، ومالك بن نبي ...

وتكمن أهمية الموضوع حول تطور العقيدة داخل الديانة المسيحية منذ نشأتها حتى ظهور الإسلام، فعالجت الشق الأول من الدراسة مفهوم تطور الدين ومنه تطور الديانة المسيحية، وفي الشق الثاني عالجت مفهوم التطور المتعلق بالعقيدة كأنموذج، فسعيت إلى إبراز صور التطور التي عرفته الديانة المسيحية في العقيدة ذات الأصول الأربعة، وهي: عقيدة الفداء، والتجسد، والصلب، والقيامة. فقمت بطرح الإشكاليات التالية:

هل أساس العقيدة التوحيد أم التعدد؟

هل للدين تعريف جامع مانع؟

هل المسيحية هي إستمرار لليهودية ومكمّلة لها أم تختلف عنها عقيدة وشريعة؟

هل المسيحية الحالية هي مسيحية المسيح ، أم هي مسيحية غير أصلية؟

من غير ملامح مسيحية المسيح إذا كانت هذه المسيحية لا تنتسب إلى صاحبها؟

من ساهم في تغيير العقيدة المسيحية؟ وما هو دور الرجل الثاني في المسيحية؟

إن التركيز في الإجابات عن هذه الأسئلة الموضوعية كأهداف للبحث ، سوف تجرنا إلى معرفة العقيدة

المسيحية الصحيحة التي تحدثت عنها آيات القرآن الكريم من خلال الوحي المحمدي.

## ب - أهداف الموضوع:

ونظرا لأهمية موضوع البحث قمت بتسطير أهداف بغية إمطة اللثام عن الشبهات

والغموض الذي حال دون الوصول إلى حقيقة نشأة العقائد في الديانة المسيحية، وحول ما راج عنها

من أنّها أشتاتا مبعثرة من شعائر ومراسم لديانات مارستها شعوب قديمة، تمّ جمعها واخراجها في

صورة مذهب مستقلّ عن اليهودية.

ويبقى الهدف الرئيسي الجوهري ممثلا في اثبات من له المصلحة في جعل العقيدة المسيحية تخضع

لمقياس التطور سواء من التوحيد إلى التعدد أو العكس .وبالفعل تأتي الرويات الإنجيلية لتجسد روح

التطابق حول تطور العقيدة من بداية الدّعوة إلى نهايتها، ومن صور هذا التطور المعقول بدء الدّعوة

قومية عنصرية لتنتهي انسانية عالمية، وأن تبدئ في تحفظ ومحافضة ثم تنتهي إلى الشك والمخالفة،

وأن تبدئ بقليل من الثقة في شخصية الدّاعي ثم تنتهي بالثقة التي لا حدّ لها في نفوس الأتباع

والأشياء، وهكذا كانت الدّعوة المسيحية كما روتها الأناجيل تطابق أحوال التطور .

واختياري لهذا الموضوع كان دافعه الرّغبة في المساهمة الفكرية حول معرفة الديانة المسيحية

ذات البعد الرّوحي الإلهي المبنية على الوحي الصّادق، المعروفة بمسيحية المسيح، والوارد ذكرها في

القرآن الكريم. غير أنني وقفت أمام ديانة أخرى لها نفس التسمية ونفس الانتساب إلى السيد المسيح

ولكن مشربها لا علاقة له بالوحي بل نالت قسطا وافرا من روافد الدّيانا التي عرفتها البيئة

الفلسطينية قبل ظهوره المسيح ، وإبان ظهوره بأرض الجليل بفلسطين ؛ التي كانت ملتقى لكثير من

حضارات الأمم والشعوب المختلفة.

إنّ الهدف من عرض مسيحية القرآن الكريم لا شك أنّها تنير الطريق للوصول إلى معرفة منبع المسيحية الحالية التي تغذت من مزيج ثقافات شعوب مختلفة ساهم في صياغتها رجل لم يلتق يوما بالمسيح، رغم معاصرتة له، وهو بولس الرسول الذي يدعى (شاؤول)؛ هذا الرجل الذي تذكر المصادر المسيحية أنّه ذو أصول يهودية، ومتمتع بالجنسية الرومانية وصاحب اللسان الفصيح باليونانية، وكان له الدور الكبير في جعل المسيحية ديانة رومانية بجدارة واستحقاق، محولا إياها من التوحيد إلى التعدد. ممّا مكّني البحث من رسم عدة أهداف مرتبطة بعدة إشكاليات تفرعت عنها مشكلات حاولت فيها الإجابة الممكنة من خلال الرجوع إلى الجذور التاريخية لظهور العقائد أو الدين في المجتمعات البشرية لأقف عند أساس العقيدة والدين، وبالتالي يصير الأمر سهلا عندما أتناول الديانة المسيحية بالدراسة.

ويعود هدفي من دراسة تطوّر العقيدة المسيحية بدءًا من تاريخ الميلاد وعلى امتداد سبعة قرون هو البحث عن الصّورة الصحيحة للمسيحية ذات الأصول الإلهية المبنية على الوحي والنبوة، والتي لا شكّ تختلف عن المسيحية المنتحلة التي ابتدعتها أصحاب التيات السيئة الذين ألحقوا الضرر والفساد بالنبوة والأنبياء، حقدًا وحسدًا من عند أنفسهم، وتواطؤًا من السّلطان الحاكم الروماني الذي كان يعتبر كل دعوة جديدة تعلقّ بإصلاح المجتمع هي عملية تمرد ودجل على الناس. فقامت بفحص الفكر العقدي المسيحي طيلة القرون السّنة حتّى بداية القرن السابع للميلاد ملامسا أثر أنامل الفكر الإسلامي في إزاحة الشّوائب والنقائص التي اعترت المنظومة اللاهوتية المسيحية.

## ت - أسباب إختيار الموضوع:

وسبب اختياري لهذا البحث يعود بالدرجة الأولى إلى الأهمية التي يكتسيها الموضوع في ظل الصراع الحضاري بين الشعوب في المجال العقائدي نظرا لتنوع الثقافات الدينية في المعمورة بنسب مختلفة، وبحسب التوزيع الجغرافي للمجتمعات عبر قارات العالم، والذي تترجع على عرشه ديانات كبرى مليّة أو منتحلة، ويقصد بالديانات المليّة أي السماوية ذات الوحي والرسول الحامل للرسالة: كاليهودية والمسيحية والإسلام وبعض الصابئة، والديانات النحلية التي لا وحي فيها ولا رسول: كالبرهمية والبوذية والكنفوشيوسية والطاوية والجنينية وغيرها..

فمن خلال تطور العقيدة المسيحية إرتأيت أن أسلّط الضوء على حيثيات البحث للوصول إلى حقائق

مفادها أن العقيدة السليمة لا يحدث فيها تطور ، وإنما التطور يحصل في الملل والنحل التي يصنعها البشر أو يغيرون ملامحها من تلقاء أنفسهم . لذلك يمكن تلخيص أسباب إختياري لهذا الموضوع لسببين ذاتي وموضوعي :

## 1-سبب ذاتي:

أ- وأساسه رغبتني في معرفة الآخر؛ بمعرفة مصادره ومراجعته الدينية التي يستخدمها في الإستدلال على عقائده ومن ثمة التبشير بها في وسط ضمائر الناس دون أن يولي إهتماما لمدى صدقها أو خطئها، مقتديا في ذلك بالسلف الصالح الذي لم يهدأ له جفن في الرد ومحاربة كل وجه زيغ .

ب-والسبب الآخر يعود إلى الرسالة التي دججتها بأسئلة حول تأليه المسيح وتناقض نصوص الكتاب المقدس أرسلتها لقس إدعى العلم في اثبات ألوهية المسيح ،وصحة العهدين القديم والجديد ، وكان ذلك أيام دراستي بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم: مقارنة الأديان، وكانت إجابة القس واهية وعارية عن الصحة ، بل كلها أغاليط وتلفيقات بحة ؛والتي سوف نرفقها بهذا البحث .

ت-وأما السبب الآخر فيعود إلى رغبتني في تكملة البناء الذي وضعته من خلال رسالة الماجستير والتي كان عنوانها: (أوجه الإتفاق والإختلاف بين الأناجيل الأربعة وإنجيل برنابا).

## 2-سبب موضوعي:

أ-إثراء المكتبة بمثل هذه المواضيع والبحوث التي تتطرق إلى دراسة الجوانب العقادية القائم عليها اللاوت الديني المسيحي ، ومحاولة فهمه وتبينه للناس ليعرفوا الحق من الباطل .

ب-الوصول إلى تحديد وإعطاء الصورة الصحيحة والحقيقية لمسيحية المسيح ، ومدى تطابقها مع المسيحية التي تحدث عنا القرآن الكريم ،وتحدثت عنها السنّة النبوية الشريفة .

ت- محاولة إدراك مدى تأثير بولس على مسيحية المسيح، والذي غير كل معالمها التوحيدية إلى الوثنية الرومانية وبث فيها الفلسفة الهيلينية وأغرقها في تراهاث بقايا المعتقدات اليهودية الفاسدة في النبوة والأنبياء .

ث-أغلب الدراسات الإسلامية التي تطرقت لمثل هذا الموضوع كانت تخص الجوانب التاريخية للمسيحية، وهي في الغالب ردود وردت في قوالب جدلية فيها الغث ، وفيها السمين .

ج- عدم وعي المجتمعات الإسلامية ذات التدين الضعيف بخطورة الإستلاب الفكري والثقافي

المسيحي المتغلغل بشكل رهيب في البلدان الفقيرة، وفي البلدان ذات الطوائف المختلفة والمتنوعة.

### ث - صعوبات البحث:

لا أكون موضوعيا حين أودّ اجتناب الحديث عن الخوض في الصعوبات والمشاق التي واجهتني طيلة فترة جمع المادة من المكتبات العامة والخاصة، ولكن ذلك من عزم الأمور ، فألفت الإنتباه إلى الصعوبات التي لقيتها أثناء عملية التحرير والمتمثلة في ندرة المادة باللغة العربية، والمتعلقة بتطور العقيدة الدينية عموما وبتطورها في الديانة المسيحية خصوصا. فكان ما عثرت عليه عبارة عن شذرات من المعلومات استقيتها من كتب الردود للعلماء المسلمين قديما ومن كتب التاريخ وكتب الفلسفة ، فضلا على صعوبة التعامل مع المادة المتاحة لي من حيث صعوبة تطويعها للإمساك بخيوط الموضوع وترامي أطرافه. إضافة إلى الفراغ الرهيب في ثنايا المصادر والمراجع حول عقيدة الديانة المسيحية وعلاقتها بمختلف الفرق المنضوية تحتها ، سواء الفرق الموحدة أو الفرق المثلثة ، وعلاقتها أيضا بمختلف الكنائس شرقيها وغربيها؛ الكاثوليكية منها والأرثوذكسية.

إنّ هذه المغامرة الصعبة تعود إلى ندرة المادة التاريخية حول تطور العقيدة المسيحية من التوحيد إلى التعدد، أو من التعدد إلى التوحيد؟ وتفاقت الصعوبات عندما تعلق الأمر بتطور العقيدة في أحضان المجامع الكنسية التي كانت تحت قيادة الآباء ذوو الفكر الفلسفي اليوناني ، والمتواطئون مع الحاكم الروماني آنذاك.

ولم ينقذني من هذا المأزق سوى نطف المعلومات التي جادت بها بعض المصادر المتمثلة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، و الوحي القرآني الذي لم يلحقه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لتعهد الله بحفظه .

إنّ تناولي لهذا الموضوع ، أكون قد أضفت بعض الجديد إلى حقل المقابلة بين الأديان ، وأبرزت مجاهل وتناقضات كانت تضم في طياتها نصوصا نفضت عنها الغبار، وأوضحت أنّ الديانة المسيحية الحالية لم تكن مسيحية القرآن الكريم ولا مسيحية السيد المسيح، لا تعترف بعقيدة الفداء من أجل الطهارة من الخطيئة الأزلية، ولا بعقيدة التجسد التي نعرفها اليوم في صورتها الآهوتية الأثنومية، ولا بعقيدة الصلب التي تنفيها حتى النصوص الإنجيلية؛ ناهيك عن النصوص القرآنية، ولا بعقيدة القيامة التي تشوّه الصورة الجميلة لشريعة المسيح الأخلاقية الرفيعة.

فالعناية الإلهية تستحق بأن يتم تقريب القرابين ، ولكن ليس كما تعتقده المسيحية الحالية وأنّ الله أرسل ابنه ليفدي البشرية من الخطيئة التي توارثتها الأجيال منذ عهد آدم -عليه السلام حتى مجيء ابن مريم ليكون كبش فداء للذنب القديم ، فهذا ولا شك هو ضرب من الخبل العقلي والجنون .

فأنطلقت في دراسة الديانة المسيحية التي تبدأ من خلال دراسة حياة السيّد المسيح - عليه السلام ومن خلال الوثائق التي تملكها الكنيسة المسيحية التي خلّفتها الأوساط المؤمنة بالمسيح ، والتي شكّلت فيما يعرف بالعهد الجديد في مقابل العهد القديم اليهودي ؛ وهذه المؤلفات لم يتوان الباحثون في إخضاعها لميزان التوثيق لمعرفة العناصر الأصلية من تلك الإضافات المتأخرة، وكذا بيان أوجه التناقض والإختلاف مع أوجه الاتفاق والتطابق ، وهذا الموضوع كان من اهتمام الكثير من الدارسين في حقل المقابلة بين الأديان، والذين استنتجوا أنّ المسيحية التي قامت على الإيمان بشخص المسيح كديانة سماوية قامت قبلها اليهودية كديانة سماوية خاصة بالشعب اليهودي لوحده، وأعقب هاتين الديانتين اليهودية و المسيحية الإسلام الذي يعدّ الدين الشامل والجامع لكل الأديان السابقة له ، لكونه قام على أساس علاقة الإنسان بالله ، والتي جعلته يختلف عن الديانتين السماويتين السابقتين اللّتين أصابتهما أيادي التحريف والتبديل بعد غياب رسلهما مباشرة ، بل وفي وجودهما تعرّضتا للزيغ بالزيادة والنقصان. إذ يذكر تاريخ الرسالات السماوية أنّ المسيح أنشأ عقيدة من خلال الوحي ، ولكن أتباعه انقسموا عليه إلى قسمين؛ مناصرا لدعوته متّبعا لسنته مخلصا لرسالته، وفريق راح ينشئ عقائد مزيجية من تيارات فكرية سادت المجتمع اليهودي عند ظهور المسيح بأرض الجليل والتي كان لها الأثر البالغ والبلغ في الإنتشار والإعتناق عبر الأجيال المتعاقبة للجيل الأوّل المسيحي .

فنشأت عقائد تطوّرت في مضامينها بفضلهم وبفضل من جاء بعدهم طيلة ستّة قرون حتىّ ظهور الإسلام برسالته الخالدة المؤيّدّة بأبي القرآن الكريم ، الذي لم تغادر آياته لا كبيرة ولا صغيرة إلا وأشارت إليها وأحصتها . ويبيّن القرآن من خلال سوره الضلال و الشّرك من الهدى و التوحيد .

### ج - المنهج المتّبع في البحث:

اتبعت في هذه الدراسة منهجا تاريخيا ركزت فيه على استقاء المادة من المصادر والمراجع مراعيًا الحرص على التوثيق كأمانة علمية، وأقحمت النصوص الأصلية من التوراة والإنجيل والقرآن في إثبات مختلف الظواهر التي درستها ، كما حرصت على دراسة مسيحية المسيح من خلال القرآن

الكريم والمسيحية الحالية التي قمت بدراستها من الداخل أي: من حيث أفكارها المتعلقة بمسائل الطبيعة الأقفومية ومسائل الفداء والقيامة والدينونة، ورعيت في ذلك متطلبات المنهج التاريخي من تحليل والإستنباط والنقد والمقارنة.

وقد استهللت الموضوع بمقدمة استعرضت فيها أهمية الموضوع وإشكاليته، مبرزاً أهداف البحث، والأسباب التي دفعتني إلى اختياره، مشيراً إلى الأسباب الذاتية والأسباب الموضوعية، مع الإشارة إلى الصعوبات التي واجهتني خلال مسار البحث، مشيراً إلى المنهجية التي اعتمدها، ثم رتبت هذه الرسالة على مقدمة وفصل تمهيدي ضمن الباب الأول حول نشأة الدين وتطوره، ثم أدرجت بابين وخاتمة، يتضمن كل باب فصلين، وكل فصل يشتمل على مباحث قسمتها إلى مطالب.

فجاء في الفصل التمهيدي التعريفات اللغوية والمرادفات الدالة على معنى الدين، وبيّنت أهمية دراسة الدين باعتباره ظاهرة وضرورة بشرية. ونظراً لتلك الضرورة استعرضت مناهج البحث في نشأة الدين وتطوره في المدارس الفكرية، ونظرة تلك المدارس إلى أصل العقيدة الدينية.

وفي الفصل الثاني من الباب الأول الذي تناول تطور العقائد الدينية في ظل النبوة اليهودية حيث قصدت من وراء ذلك معالجة إشكالية مفهوم النبوة اليهودية تعريفاً وطبيعة، وطبقاتها وصفاتها مع إبراز كثرة ظهور الأنبياء في اليهودية، كما حددت فيه أيضاً مفهوم الألوهية وتطوره في الكتاب المقدس، ومفهوم كلمة الإبن أيضاً، مشيراً إلى دلالات التوحيد والتعدد في نفس الكتاب، ليتجلى تأثير الوثنية في العقائد المسيحية.

وتطرت في الباب الثاني تطور الأصول اليهودية إلى العقائد المسيحية، متناولاً في فصله الأول بيان أوضاع البيئة اليهودية - مهد المسيحية حيث صنفت هذه الأوضاع البيئية إلى أربعة:

- البيئة الدينية وما حوته من روافد ديانات حضارات قديمة، وما حملته من مشروع فكرة انتظار مسيح مخلص البذي كان سائداً وراء كل رواج لمحنة من المحن الإجتماعية، وبيّنت أصناف الروافد الوافدة من نصوص دينية مقدسة ومن نصوص فلسفية.

- البيئة السياسية ودورها في تطور العقائد من خلال دور الفرق المحلية والفرق المستوطنة بالمهجر.

- البيئة الفكرية الفلسفية ودورها في تطور العقائد المسيحية اليهودية أيضاً.

- البيئة الإجتماعية وما عرفته من اضطرابات ونزعات استعمارية مهدت لمظاهر الإضطهاد.

أما في الباب الثالث: فتناولت مراحل تشكيل وتطور اللاهوت المسيحي، وخصصت الفصل الأول إلى ظهور المسيح في البيئة اليهودية فتناولت شخصية المسيح في ضوء المصادر المسيحية: من ميلاد وصفات، وتعاليم، وشريعة، وأمثولات ضربها المسيح للموعظة والإقتداء. وبيّنت أسباب نجاح دعوة المسيح من خلال قدرته وإخلاصه، وتطبيقه لتعاليم إنجيله الموحى له من رب العالمين؛ أما أناجيل العهد الجديد فليست من كتابه لإختلافها وتناقضها وانقطاع سندها ومخالفتها للعقل والواقع. وجعلت في فصله الأول: مراحل تشكيل اللاهوت المسيحي الذي مرّ بثلاث مراحل وهي:

مرحلة التأسيس للعقائد والتي تبدأ من حوالي 30 م إلى غاية 70 م، وفيها تطرقت إلى تطورها من خلال بداية إنفصال المسيحية عن اليهودية مع بيان عواملها وأسبابها، ودور بولس في ذلك. وفي مرحلة التدوين للعقائد التي تبدأ من سنة 70 م إلى غاية 125 م بينت ما ظهر في هذه الفترة من أصناف وأنواع الإضطهادات التي نشأت في ظلها قراطيس تنسب اليوم إلى العهد الجديد. وبينت المرحلة التي تمّ فيها تثبيت العقائد والتي تبدأ من سنة 125 م لتمتد حتى غاية 325 م حيث تمّ فيها ترسيم العقائد المسيحية بواسطة (الآباء) وبواسطة المجامع الكنسية التي عقدت لنفس الغاية، ثم قامت الفرق والمذاهب المسيحية بحمل شعلة التبشير والتنوير بتلك العقائد التي شملها (قانون الإيمان) المصادق عليه في مجمع نيقية تحت رئاسة الإمبراطور الوثني الروماني قسطنطين.

وفي الفصل الثاني: تحدثت عن مظاهر تطور الديانة المسيحية، ومنها ماجاء منه حول مظاهر التطور في عقائدها، وفي ظهور المجامع والفرق، وتعدد الأناجيل وانتشار الرهبنة، وتغلغل العادات الوثنية الشعبيه في الكنيسة، وترتب عن مظاهر هذا التطور نتائج تمثلت في القول بعقيدة الفداء، والصلب، والقيامة. كما ضمّ هذا الفصل أركان العقيدة المسيحية وتطورها في ظل فرقها العقديّة التي أدّى بها القول بالتثليث في الأقانيم، والقول بتجسد المسيح. ومن هذه الفرق: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية، التي جاءت بمبررات حول عقيدة التجسد، وأعطت تفسيرات لمعاني الأقانيم، والقول بتأليه المسيح وتأليه روح القدس.

ونشأ عن هذه المسائل العقديّة والأطروحات اللاهوتية ردودا على بطلانها نقلا وعقلا، وتوصّلت هذه الردود إلى وجود عوائق في فهم العقائد المسيحية، ومنها صعوبة تأويل النصوص الدالة على تأليه المسيح، واضطراب مسألة الصلب والفداء والخلاص بموت الإله.

# الباب الأول

الجدور التاريخية للتطور الدينى.

الفصل التمهيدي: التطور التاريخى للدين

المبحث الأول : مفهوم الدين وتعريفه.

مطلب 1: تطور مفهوم الدين.

مطلب 2: تطور مدلول كلمة دين من حيث اللغة والإصطلاح.

مطلب 3: أهمية دراسة الدين وضرورته للبشرية.

المبحث الثانى: مناهج البحث فى نشأة الدين وتطوره:

مطلب 1: مناهج البحث فى نشأة الدين.

مطلب 2: تطور مفهوم الدين عند المفكرين.

المبحث الثالث: نظرة المدارس الفكرية إلى أصل العقيدة الدينية وتطورها.

مطلب 1: أصل العقيدة الدينية وتطورها.

مطلب 2: مدارس نشأة العقيدة الدينية وتطورها.

## الفصل التمهيدي : التطور التاريخي للدين .

لقد ارتبط الدين بصلب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمعات البشرية، هذه المجتمعات التي عرفت المعتقد الديني منذ نشأتها الأولى نظرا لحاجة الإنسان للإعتقاد المتأصل في طبعه، ودلت على فطرة التدين لديه أصول الأديان في العصور القديمة، بالرغم من الأساطير والخرافات والضلالات التي آمن بها منذ عصور حلت، والتي لا يزال لها بقايا في وسط الشعوب البدائية أو العريقة المتحضرة، حيث يقول العقاد: (( وقد ترقى الإنسان في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات ))<sup>(1)</sup>، كما أشار "محمد عبده" إلى هذه الحقيقة فذكر أنّ الأديان الأولى خاطبت الحسّ يوم كانت الإنسانية في طور الطفولة، لا يعرف الإنسان فيها إلا ما يقع تحت حسّه، ولا يتناول بذهنه من المعاني ما لا يقرب من لمسه، فلمّا سار ركب الإنسانية وجرّبت وكسبت، وتخالفت واتفقت، وتقلّبت في السعادة والشقاء أيّاما وأياما، ونما بها الوجدان وبدت العواطف، جاء دين يتحدث عن الزهادة وعن الصفاء وملكوت الله، ولكن الإنسانية في صراعها لم تسطع أن تعيش على الإيثار، ولم يطل مقامها في الصفاء، فراحت تتعارك، وحلّت القطيعة محلّ التراحم، والتخاصم مكان المسالمة، فجاء دين ينظّم شؤون كلّها، ويرعى الحسّ والعاطفة، ويدرس العقل والقلب، وينظّم للناس شؤون دنياهم وآخرتهم<sup>(2)</sup>. فحفلت ثقافة المجتمعات الإنسانية بمزيج من الأفكار الدينية التي تحصّلت عليها من خلال ملاحظاتها وتجاربها التي اكتسبتها عن طريق التوارث والخبرات، وقامت كتابات المؤرخين بالإعتماد على الكتب المقدسة من بيان جوانب التطور الديني لدى الإنسان مبرزين محاولاته في بناء فكره الديني انطلاقا من سعيه إلى التأمّل في مظاهر الطبيعة التي أثّرت بقواها في تصورات معتقدا أنّها تعينه وتحميه في حياته اليومية، فسعى الإنسان إلى تجسيم قوى الطبيعة في شكل رموز حيوانية ونباتية أو هما معا، أو في شكل رمز إنساني للتقريب بين عالم اللاهوت بالعالم الناسوت كالإشارة إلى الآلهة نصف البشرية<sup>(3)</sup> مع سعي الإنسان منذ القديم إلى الاعتقاد في العالم الآخر ليوفر لنفسه حياة الإطمئنان لمستقبله بالرغم من معتقده الوثني فلم يتخلف عن الإيمان بحياة الخلود<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - الله . جل جلاله، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ص 7.

<sup>2</sup> - أحمد شلبي : الإسلام، الكتاب الثالث، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1967م، ص 28. نقلا عن محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 154.

<sup>3</sup> - محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان ( الديانات القديمة)، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص 14.

<sup>4</sup> - سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري، دار المعارف، مصر، ط1966، 1م، ص 15. ويتحدث عن ظاهرة الموت عند المصريين القدماء، ومعنى الموت عند المصريين المسلمين والمسيحيين، كما تحدث عن فكرة الخلود. ينظر: ص 49 وما قبلها.

وحول تطور الديني وعمر الجنس البشري يقول أحمد شلبي: (( يدرك الباحث في مقارنة الأديان حقيقة كبيرة الأهمية، هي أن الجنس البشري بدأ كما يبدأ الطفل أقرب إلى البدائية والبساطة، ثم نما الجنس البشري ونمت أفكاره فوصل إلى ما يمكن أن نسميه مرحلة صبا البشرية، ثم نما مرة أخرى فوصل إلى مرحلة يمكن أن تُعدَّ مرحلة شباب البشرية. وكانت الرسائل تناسب كل طور من هذه الأطوار، ولا نزاع أن مصدر الرسائل هو الله العلي العظيم ذو الجاه والسلطان، ولكنه جلت قدرته كان يعطي الدواء بقدر طاقة المرض، فكان يعطي البشرية من الهدى والتوجيه ما تحتمله البشرية، وما يناسب عودها الذي بدأ ضعيفا ثم اشتد رويدا رويدا حتى اكتمل نموه))<sup>(1)</sup>.

ويقسم "أحمد شلبي" مراحل الرسائل السماوية إلى ثلاثة أقسام وفي كل مرحلة ملامحها حيث:

- يمثل القسم الأول طفولة الجنس البشري وتمتد من آدم عليه السلام إلى نوح حتى إبراهيم وكانت الدعوة بسيطة إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان ودعوة محدودة لا تتعدى قوم الرسول.

- ويمثل القسم الثاني الذي هو صبا الجنس البشري ملامحه أكثر شمولا من الأول حيث يشمل بعض التشريعات وتندرج تحت هيكل أنبياء بني إسرائيل وبخاصة موسى وعيسى عليهما السلام وفي هذا القسم أصبح للدعوة كتاب هو التوراة أو الإنجيل ولكن معانيهما فقط هي الموحى بها، وصاغها البشر في عبارات، وقد مسهما التحريف والضياع، ووجد في هذه المرحلة تواريخ غير أنها غير دقيقة.

- أما القسم الثالث فيمثل شباب الجنس البشري حيث رسالة محمد وفيها اتضحت معالم الوحدانية الإلهية، وتم نبذ الشر بكل صورته وعوارضه، وأصبحت الدعوة عامة لكل البشرية وتم ختام الرسائل بدعوة محمد الذي أيده الله بكتاب محفوظ حوى شريعة شاملة لأمر الدين والدنيا معا.<sup>(2)</sup>

كلما أوغل المرء في الماضي التاريخي للإنسان، في الأحقاب الزاهرة لحضارته، أو في المرحلة البدائية لتطوره الاجتماعي، فإنه يجد سطورا من الفكرة الدينية<sup>(3)</sup> ومنها عرف الوجود الإنساني تطورا في معتقده الديني بحسب البيئة التي عاشت فيها المجتمعات البشرية، إذ هناك بيئات تضمنت ظهور

<sup>1</sup> - الإسلام، ص 27.

<sup>2</sup> - أحمد شلبي: المرجع نفسه، ص 29.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، لبنان، 1969، ص 75.

ديانات سماوية جأت لتصحيح العقيدة من الوثنية إلى التوحيد موجّهة للفرد للوجهة السليمة عن طريق شرائع الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله لأداء وظيفتهم المدعومة بالوحي الإلهي.<sup>(1)</sup> ولقد تجلّت أهمية التطور الديني في تلك الدراسات المتعلقة بمنطقة الشرق الأدنى القديم وبالخصوص منطقة فلسطين\_ مهد الحضارات الإنسانية\_ إذ احتوى هذا التطور على ما تضمّنه من نظرة شاملة على الأحداث التي ذكرتها الكتب المقدسة وكتب المؤرخين، إذ يشير الباحثون إلى أنّ التطور الديني متعدد الأشكال بحسب البيئة وبحسب تجارب الإنسان مع مظاهر الطبيعة وقواها المحيطة به، فهناك خلاف بين البيئة الصحراوية والبيئة الجبلية أو البيئة السهلية، فقد يتشكل المعتقد الديني للإنسان من خلال سعيه إلى طلب الإطمئنان، ويختلف مصدره من مكان إلى آخر، فعبادة الشمس عند المصريين القدماء أكثر أثرا في معتقدات شعوب أخرى دانت بنفس العبادة إذ أنّ القوى الكامنة في الظواهر الطبيعية هي بدرجات متفاوتة قد تكون الأولى في منطقة هي في الدرجة الثانية في منطقة أخرى<sup>(2)</sup>. وأشارت الآثار القديمة المتعلقة بموضوع الدين إلى أن الإنسان قديما لم يكن يتوفر على الأسلحة والوسائل تحميه وتحقق له الأمان، فكان في صراع دائم مع الطبيعة يكتسب منها قواعد الصراع ليظليها إلى تجاربه التي ورثها ليستخدمها، فساهمت المادة الأثرية في تفسير ظواهر حياته بغية إدراك كنهها وهدفها ليربط حاضره بمستقبله.

ومن خلال التطور التاريخي للفكر الديني، يذكر "رشيد الناضوري" أن هذا التطور استغرق عبر التاريخ زمتا معتبرا وصل فيه الإنسان إلى مرحلة قبول معتقدات ورفض معتقدات أخرى، لم تعد تغنيه في شئ، حيث أصبحت عاجزة عن تمثيل دورها في إحداث الاستقرار وطمأنينة، و لمعرفت الخطوات التي مر بها التطور الديني في مسار تاريخ البشرية لا بد من تحديد الآثار الدالة على جوانب الحياة الإنسانية؛ التي إرتكزت بصفة خاصة على النقوش والرسومات والتماثيل ذات الطابع الديني، التي قد يكون لهذه الرسومات والنقوش مجرد تعبير فني، أو يمكن أن يعتقد أنها تحوي على قوة سحرية تحقق الرخاء المادي، أو أنّه يرسمها الإنسان تقديرا منه لها نتيجة طول فترة صراعه معها،

<sup>1</sup> - ينظر مالك بن نبي: المرجع نفسه، ص 217. حول تعريف الوحي وبيان خصائص الظاهرة المتعلقة به.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان، (الديانات القديمة)، ص 12. يقول المؤلف في هذه الصفحة عن معتقدات المصريين القدامى أنّهم كانوا يرون: (( أنّ العنصر الأول الذي تكوّنت منه الأشياء هو الماء، وأوّل ما ظهر من الماء هو رع (الشمس) ومنه ظهر الهواء(سرا) والفراغ (تيفينه)، ومن اجتماعهما كانت الأرض (جيب) والسّماء( توت) ومن اجتماع الأخيرين نشأ التّيل( أوزيريس) والأرض الخصبة (إيزيس) والصحراء( سيت) والأرض القاحلة (نيفيس).

فاعتقد أنّ قوى خفية تسكنها، فيجب ابعاد هذه القوى الشريرة بواسطة التمايم التي أكسبته الأمن، ثم تطور المعتقد الديني من الإيمان بالقوة الخفية إلى الإعتقاد بأنها القوة الخالقة سواء كان إنسانا أو حيوانا أو نباتا ، فحسده في رمز يلمسه ويحس به، وعبر عن هذا الخالق بفكرة إلهة الأمومة الإنسانية<sup>(1)</sup> التي تجسدت في شكل عدد من الإلهات مثل: الإلهة (إيزيس) المصرية ، والإلهة (عشتار) الآشورية<sup>(2)</sup>، وتمثل في الآثار بامرأة عارية<sup>(3)</sup>.

ومّا يوحى بتطور المعتقد الديني في فلسطين قديما من خلال تعدد التماثيل النسائية المعبرة عن آلهة الخصوبة التي تم رسمها ونقشها إما جالسة أو نائمة أو مصطحبة طفلا. يقول رشيد الناضوري : ((قد كانت الإلهة "ثانيت" القرطاجية البربرية الأصل، هي إلهة أمومة، ويرمز إليها برموز عديدة منها: سيدة ترضع طفلها، أو مثلث يمثل الجسم واليدين ودائرة تمثل الرأس. ولعل هذه التماثيل النسائية قد تم نقلها كما هي إلى الديانة المسيحية من خلال تلك الصور والتماثيل لمريم وإبنها داخل الكنائس الكاثوليكية بالخصوص))<sup>(4)</sup>.

ومن مظاهر التطور في الفكر الديني تطور الأفكار الدينية التي ارتبطت بعقيدة الخلود، حيث تمسك الإنسان قديما في منطقة الشرق الأدنى القديم بهذه العقيدة والإيمان بالحياة الأخرى لما لمسه في دورة الحياة بصورة واضحة ، إذ لاحظ ظاهرة الولادة وظاهرة تكرر الظواهر الأبدية لدى مختلف الكائنات، مؤكدة حقيقة الخلود والأبدية والانهائية. فشعر بضرورة اليقين بظاهرة الخلود والاستمرار بعد الموت الديوي، ومما يدل على بقاء إتصال المقابر بعقيدة الخلود تواجد الأدوات الخاصة مع المتوفي حتى تكون في متناول خدمته في العالم الآخر واستمرار الحياة فيه أي في العالم الآخر<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، (الكتاب الثالث): المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ

الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص 33.

<sup>2</sup> - الإنسان والدين - سلسلة معارف الإنسان - منشورات المكتب العالمي، بيروت، إعداد المكتب العالمي للبحوث 1403 هـ - 1983م. ويتحدث عن الديانات القديمة ، ومنها : الدين عند المصريين القدامى ، ص 99.

<sup>3</sup> - مبارك بن محمد الميلي: رسالة الشرك ومظاهره ، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط3، 1982، ص 70 ، في إحالته إلى تفسير المنار لرشيد رضا ، ج7، ص 263.

<sup>4</sup> - رشيد الناضوري: المرجع السابق ، ص 145.

<sup>5</sup> - رشيد الناضوري: المرجع نفسه ، ص ص 35 - 36 .

وتعاونت عدة عوامل على خلق العقيدة الدينية، فمنها الخوف من الموت الذي عزاه الإنسان إلى فعل الكائنات الخارقة للطبيعة، ومما زاده يقينا بهذه العقائد ما حملته الشرائع السماوية من نصوص مقدسة توراتية وإنجيلية تثبت ذلك التصور<sup>(1)</sup>. فأمكن القول أنّ كافة المعتقدات الدينية التي مارسها الإنسان في منطقة الشرق الأدنى القديم وفلسطين بالخصوص؛ كانت الأساس المباشر لعقائده في العهد الإسرائيلي اليهودي المسيحي، رغم أنّ هناك محاولات عديدة للوصول إلى عقيدة التوحيد عبر العصور التاريخية لتدينه. فالإنحرافات في عقيدة الإنسان ظلّت سائدة إلى أن جاء الإرشاد الرّباني الذي بشرت به الكتب المقدسة السماوية من تورا وإنجيل. فيرى "أرنولد توينبي" في موسوعته: (تاريخ البشرية): أنّ المعبودات الدينية في تاريخ البشرية أعدت بين ما هو سماوي وما هو أرضي، وما هو حيواني وما هو بشري وما هو إلهي يظهر جليا من خلال التبع لتاريخ التطور الديني في منطقة الشرق الأدنى القديم وبفلسطين تحديدا، حيث يلمس تطور المعتقد الديني عند السومريين والمصريين القدامى، والمعتقد الديني الهندي والفارسي<sup>(2)</sup>. ويرى "أرنولد توينبي" أيضا أنّه كان للجماهير في المجتمع السومري إيمان بزعمائها، ومثل هذا الإيمان بالزعماء كان قائما على إيمان بألهة تتمتع بالقدرة والحكمة<sup>(3)</sup>.

ولا يمكن أن نقصر البحث في تطور المعتقد الديني على كتابات المؤرخين والمفكرين وعلى الآثار فقط، بل يمكن الإعتماد على المصادر السماوية كالتّورا التي كتبت أسفارها في أزمنة متفاوتة، مما يتطلّب الحيلة العلمية إبتجهاها في الإستدلال على الحوادث التاريخية، رغم ما نسجّله من وجهة اختلاف لدى المدارس الدينية حول الإستدلال بأسفار العهد القديم، حيث يزيد المذهب الكاثوليكي سبعة أسفار على المذهب البروتستانتي، كما يوجد إختلاف بين العلماء المختصّين في ترتيب أسفار العهد القديم، وهذا خلاف القرآن الكريم الذي يعد من الناحية التاريخية مصدرا تاريخيا أصيلا، بالرغم من وجود بعض الشّبه بين مضمون بعض نصوص العهد القديم وآيات القرآن الكريم، ومن أمثلة وجه الشّبه ما يتصل بموضوعات خلق العالم والإنسان، وقصة الطوفان. وفي هذا المضمون يقول رشيد الناضوري: ((كما نسجل بعض نقاط يتوفر فيها وجه الشّبه بين الأدب البابلي والأدب الكنعاني وأسفار العهد القديم، ويلفتنا القرآن الكريم إلى ما يلاحظ في تاريخ سيدنا إبراهيم عليه

<sup>1</sup> - ينظر: الإنسان والدين : سلسلة معارف الإنسان ، ص 48 .

<sup>2</sup> - أرنولد توينبي : تاريخ البشرية، ترجمة : نقولا زياده ، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ، ج 1، ط 2، 1983، ص 76 .

<sup>3</sup> - ص 79 .

السلام، وما يتصل بمناقشاته مع أيه وقومه، إذ تعتبر تلك المناقشات نموذجاً للصراع بين المعتقد الديني السماوي والمعتقد الديني المنتحل<sup>(1)</sup>. كما كانت قصة إبراهيم \_ عليه السلام رمز حقيقي لما لدى الإنسان من تجربة دينية، وهو يسعى إلى إكتشاف الله في تأمل الكون حيث ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى: { فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي. فلما أفل قال لئن لم يهدين ربي لأكوننّ من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر. فلما أفلت قال يا قوم إنني بريء مما تشركون، إنني وبهت وبهي للذي فطر السموات والأرض }<sup>(2)</sup>.

ففي هذه القصة يبرز دور العقل الإنساني وذكائه من وعي وجهد يبذله الإنسان لتخليص الإعتقاد الديني من جميع الوسائط المادية التي تزيف الحقيقة، فيقول "أحمد عروة" في كتابه: (الإسلام في مفترق الطرق)، عن بيان ما يعانيه إنسان باحث عن الحقيقة في هذه القصة: ((إنّها تعبر عن مراحل المغامرة الروحية الكبرى التي تمر بها الإنسانية، وقد تلكأت آلاف السنين في مرحلة عبادة الشمس ولقد كان لديها من المبررات ما يدعوها إلى التوقف عندها ولكن لا إلى الثبات عليها. فهذا الكوكب، مصدر الإشعاع، كان بادياً للعيان أنّه واهب الضوء والحرارة والحياة، بحيث لم يكن يسع الذهن الإنساني إلا أن يؤلّه في أماكن كثيرة وفي أزمان طويلة. ولم يكن للإنسانية في ذلك العصر بدّ من القيام لوثبة جديدة في تطور الإيمان في اتجاه تصوّر الله إلهاً واحداً للعالمين))<sup>(3)</sup>، ممّا يعني أنّ الطريق كان شاقاً وبطيئاً في الوصول إلى فكرة الله التي تجلّت في الإسلام كآخر دين ظهر على الأرض وعلى اعتباره أنّه كان ضرورة بشرية كانت بأمرّ الحاجة إليه .

### المبحث الأول: مفهوم الدين وتعريفه.

بالرغم من الصعوبة في تحديده وتعريفه فإنه يستوجب تحديد المفاهيم الشاملة للدين، باعتباره الأسلوب الذي يطبع تصرفات الإنسان ، وتفكيره وعواطفه ،علماً أنّه لا يوجد حد أدنى من الاتفاق بين الباحثين حول تعريفه بالرغم من المؤتمرات والندوات والمداخلات العلمية لتحديد معناه،

<sup>1</sup> - رشيد الناضوري: المدخل في تطور التاريخي للفكر الديني، المرجع السابق ، ص 172 ، نقلاً عن كتاب:

kapelrud ;a,s.(ugarit)in interpreter' Dictionary of the bible ;IV ;Newyork ;1962.

<sup>2</sup> - سورة الأنعام، الآية 76.

<sup>3</sup> - الإسلام في مفترق الطرق ، ترجمة: عثمان أمين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجوائز ، ط1، 1981، ص 33.

ولعل الخلاف بين الباحثين يعود إلى تحليل المادة الدينية المجمعة من الدراسات الواقعية للمجتمعات، وما يمكن اعتباره ظواهر دينية تخرج عن إطارها ظواهر أخرى.

## مطلب 1 : تطور مفهوم الدين :

يقول عبد الله دراز: (( فمن أحب أن يتعرف كنه دين الإسلام، أو دين المسيحية أو اليهودية، أو المجوسية، أو البوذية، أو الوثنية، أو غيرها من الأديان التي ظهرت في الوجود يجمل به أن يوقر همته قبل كل شيء على تعرف المعنى الكلي الذي يجمعها، والقدر المشترك الذي تنطوي عليه في جملتها، إذ أنه من الواضح أنه وإن تفاوتت الأديان في نفسها، أو في مصدرها، أو في أهدافها، أو في قيمها فإنها كلها يجمعها اسم " الدين " فلا بد أن تكون هناك وحدة معنوية تنتظمها، ويعبر عنها بهذا الإسم المشترك ))<sup>(1)</sup>.

وقد وجد المتبعون للظاهرة الدينية أنها أكثر تعقيدا وتشعبا، لتشابك المفاهيم فيها واختلافها من دين إلى آخر، فأصبح من الصعب حصر الدين في قالب واحد دون الإحاطة بكل الأديان، ومعرفة ماهيتها وخصائصها، وخاصة أن التدين أمر فطري في النفس البشرية، فلا توجد أمة أو جماعة إنسانية ظهرت بالأرض وعاشت ثم إنتهت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تحليل ظواهر الكون وأحداثه، ودون أن يكون لها فيها رأي سواء أكان يقينياً أم ظنياً<sup>(2)</sup>.

وحول نشأة الدين وتطوره تدور الخلافات، أول ما تدور حول نشأة فكرة التدين، ومتى نشأت هذه الفكرة؟ وهل عرف الإنسان التوحيد من يومه الأول أم أنه توصل إليه في مرحلة متأخرة؟ وهل إنطلق التدين بالاعتقاد في الخرافات والأساطير، ثم بدأ يتطور حتى إهتدى الإنسان إلى الصواب، فعرف الله الذي لا شريك له؟

وعلى أساس قضية نشأة الدين تنوعت المذاهب والنظريات وتعددت الإتجاهات، فمن القائل بأن أصل العقيدة الدينية التوحيد، وقائل بأن أصل العقيدة عرف تطورا إنطلاقا من الخرافة والقول بتعدد الآلهة، ثم أخذ يرتقي الإنسان في تدينه عبر العصور حتى وصل إلى عقيدة التوحيد، حيث جاء في تقديم لكتاب العقاد: (الله . جلّ جلاله) أن: (( موضوع هذا الكتاب: نشأة العقيدة الإلهية منذ اتخاذ الإنسان ربّا إلى أن عرف الله الأحد، واهتدى إلى نزاهة التوحيد ))<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، دار القلم، الكويت، ط1 : 1970 م، ص 28.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 111.

<sup>3</sup> - ص 5.

## مطلب 2: تطور مدلول كلمة دين من حيث : اللغة والإصطلاح.

وكما تنوعت النظريات في نشأة الدين ومفهومه تنوعت وتعددت مدلولات كلمة دين ، وبالتالي تنوعت التعريفات له من الناحية اللغوية والإصطلاحية.

### أ \_ تعريف الدين في اللغة:

وردت عدة معانٍ في اللغة للدين تصل أحيانا إلى حد التناقض، فبالنظر إلى اختلاف الاشتقاقات لكلمة دين تختلف الصور المعنوية التي تعطيها الصيغة المشتقة، (1) فمثلا:

دان(أ): يدين ديناً وديانة:

1- دان له: هو فعل متعد باللام بمعنى: أطاعه وخضع له وذلّ، فإذا قلنا : دان له كان المقصود الطاعة والخضوع فالدين هو الخضوع والطاعة والورع والعبادة(2).

ودان فلان له: أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع، فالقول: الدين لله، أي أن الحكم لله وأن الخضوع لا يكون إلا له سبحانه وتعالى.

2- دان بالشّيء : أي اعترف به وبفضله، ومعناه (اتّخذة عقيدة وشريعة ) لأنّ العقيدة أو الشريعة لهما من السلطان على معتنقها ما يجعله ينقاد ويلتزم بهما، كقولنا: دان بالإسلام أي اتّخذة ديناً ومذهباً وعقيدة(3).

3- دانه ديناً: جازاه وكافأه وملكه وساسه ودبّره وحكمه وقهره وحاسبه ، فالدين هنا بمعنى: الملك والتّصرف، وقد جاء في قول الله تعالى: {مالك يوم الدين}(4)، أي: يوم المحاسبة والجزاء.

وذهب محمد عبد الله دراز إلى القول: ((إنّ كلمة الدّين عند العرب تشير إلى العلاقة بين طرفين يعظّم أحدهما الآخر ويخضع له ، فإذا وصف بها الطرف الأوّل كانت خضوعاً وانقياداً ، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً وحكماً وإلزاماً، وإذا قصد بها الرّباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظّم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها)) (5).

دان(ب): يدين ديناً دائئاً مدين:

<sup>1</sup> - عبد الله دراز: المرجع نفسه ، ص 26.

<sup>2</sup> - أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط1399، 2 هـ-1979م كتاب الدال، (دين) ، ص320.

<sup>3</sup> - عبد الله دراز : المرجع السابق، ص 26.

<sup>4</sup> - سورة الفاتحة الآية 4.

<sup>5</sup> المرجع نفسه ، ص 30.

ب1)-دان له بحياته: صار مدينا له لإنقاذه حياته.

ب2)-دان الشخص:أقرضه، فالمقرض دائن، والمقترض مدين ومديون.

ب3)-دانه بما صنع: جازاه، كما جاء في المثل: ( كما تدين تدان ).

ب4)-دان نفسه: ساسها وحاسبها .

دين: مصدر دان، جمعه أديان: اسم لما يُعبد به الله كقولنا "دين الإسلام".

-بمعنى: شريعة وقانون، قال تعالى: { ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله }<sup>(1)</sup>.

-بمعنى: عادة وشأن، كقول: ( ليس هذا من ديني وديدي ).

-بمعنى: ورع، كقول التقي التقي: ( ديني يمنعني من فعل السيئات ).

-بمعنى: جزاء، ومنه سمي يوم القيامة: ( يوم الدين ).

-بمعنى: الإسلام، قال الله تعالى: { إنَّ الدِّينَ عند الله الإسلام }<sup>(2)</sup>.

ديان: من أسماء الله تعالى لمجازاته بالخير والشر، أو شدة قهره وغلبته<sup>(3)</sup>. إنَّ مادة الدين تشير إلى

وجوب الانقياد والالتزام به، والالتزام بالمبدأ الذي يتم الانقياد له. وفرق أهل اللغة بين الدين

والدين: فأشار المعنى الأوّل إلى الإلزام المالي، أما الثاني فيشير إلى الإلزام الأدبي<sup>(4)</sup>.

-كما يعني الدين: الملك و القهر، والذل، والإكراه، والإحسان والعبادة و السلطان و الخضوع، أي

يعني: الإسلام والتوحيد، وهو إسم لكل ما يعبد أو لكل ما يتعبّد به<sup>(5)</sup>.

فهذا التعدد في التعريفات للدين يعود أساسا لمنطلق إيماني روحاني أو منطلق إحدادي، أو منطلق

عقلاني يحاول دراسة الدين كظاهرة اجتماعية أو نفسية أو فلسفية.

-ويعرّف الدين: بأنّه الاعتقاد المرتبط بما فوق الطّبيعة وعلاقة البشر بالكون، فوردت كلمة

RELIGION بمعنى نشاطات إنسانية يهتم بها ويمارسها جميع البشر وفي كل البقاع.

وتناول فريق من العلماء تحليل الدلالة اللغوية لكلمة دين في اللغة الإنكليزية والفرنسية religion وهي

الكلمة المشتقة من اللاتينية من الفعل: (religare) بمعنى جمع أو ربط، وكل ديانة تجمع بين معتنقيها

<sup>1</sup> - سورة يوسف الآية 6-7.

<sup>2</sup> - سورة آل عمران الآية 19.

<sup>3</sup> - المعجم العربي الأساسي (لاروس)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ألكسو، ط: 1989، ص ص474-475.

<sup>4</sup> - نبيل محمد توفيق السماطوي: الدين والبناء الاجتماعي، دار الشروق، جدة، ج 2، ط1، 1981 م، ص 19.

<sup>5</sup> - ابن منظور: لسان العرب، المرجع السابق. ص 1044.

الأحياء والأموات وآلهتهم في مجتمع واحد بعلاقات حب أو إكراه تسمى ديناً ، ويتجلى ذلك بشكل واضح في أساطير اليونان والرومان وكما تصوره الإلياذة والأوديسا عن الآلهة الأبطال<sup>1</sup>. وتبعاً للتباين في تحديد معنى كلمة (الدين) تباينت الجذور اللغوية لها ، وأنه قد يكون أصلها عبري أو فارسي ، ودان اسم عبري معناه " قاض "<sup>(2)</sup> أو هو اسم علم لأحد أبناء يعقوب ، الذي ولدته له " بلهة " جارياً (راحيل) زوجته بحسب سفر التكوين: (( فدخل عليها يعقوب ، فحبلت بلهة وولدت ليعقوب ابناً ، فقالت راحيل قد قضى لي الله وسمع أيضاً لصوتي وأعطاني ابناً . لذلك دعت اسمه داناً ))<sup>(3)</sup>. وورد في الإنجيل لفظ "دان" الذي يدين ، ودين ودينونة التي تطلق على حكم الله على الناس بحسب أعمالهم ، ولما اعتقدت الكنيسة بإختصاص يسوع بصفة الدينونة ، فهو الديان الذي يحاسب البشر عن أعمالهم خيراً كانت أم شراً ؛ وهذه الدينونة عامة وشاملة ، لا تقبل النقض . وطبقاً لهذا الحكم يدخل الأبرار في مجد ملكوت المسيح ومسرّاتها ، ويحشر الأشرار إلى الظلمة الخارجية واليأس الأبدي<sup>(4)</sup>.

وقد اختلف العلماء عند إرجاع هذه الكلمة إلى جذورها اللاتينية (RELIGO) ، التي تعني المراقبة والملاحظة وخاصة مراقبة الأجرام السماوية أو الإلهامات السماوية الدينية ، أو تعني الرابطة أو العلاقة المشتركة بين الإنسان والإله أو تعني التقيد أو وجوب الطاعة<sup>(5)</sup>. والكلمة اليونانية التي تعني الدين فإن ترجمتها الحرفية هي : الإستلهاً والتكهن عن طريق ممارسة الشعائر والمثابرة على الطقوس ، ويختلف اشتقاق اللفظ عما جاءت به المسيحية فهي لا تعبر بصدق عن ما تحدث به المسيح بأنّ ملكوت السماوات لا يأتي عن طريق التكهن ، ولا عن طريق الطقوس التقليدية؛ إنّ ملكوت السماوات يتحقق بتحرر الإنسان من الداخل من القلب من الشعور وليس بالمظاهر الخارجية<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - نبيل محمد توفيق السمالوطي: المرجع نفسه ، ص ص 23 - 24.

<sup>2</sup> - قاموس الكتاب المقدس : تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الإختصاص ومن اللاهوتيين ، هيئة التحرير : بطرس عبد الملك و جون الكسندر طمسن ، وإبراهيم مطر ، منشورات مكتبة المشعل في بيروت ، إشراف : رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط ، ط 6 ، 1981م ، الفعل (دان) ، ص 356.

<sup>3</sup> - سفر التكوين 30: 5 .

<sup>4</sup> - قاموس الكتاب المقدس : كلمة: دين ، دان ، يدين ، دين ، دينونة ، ص 382.

<sup>5</sup> - آ . بترى : مدخل إلى تاريخ الرومان وآدابهم وآثارهم ، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز ، دار الكتاب للطباعة والنشر ، بغداد ، ط: 1977 ، ص 94.

<sup>6</sup> - عبد القادر بخوش : مفهوم الدين بين الفكر الإسلامي والمسيحي ، نقلاً عن: مقارنة الأديان (أ.س. بوكيت أميريكين) ، ترجمة: رنا سامي الخش ، دار الرضوان ، حلب ، ص ص 7-8.

ولإشتقاقات للكلمة في اللغة العربية لها مدلولات أخرى في المعنى الاصطلاحي، فليس كل خضوع وانقياد يسمى في العرف تدينا، كما أنه ليس كل اتجاه أو مذهب يسمى دينا، فيعرف الدين بأنه جملة من المعتقدات التي تمد الإنسان بتفسير لمغزى الحياة ولحقيقة الوجود المقدس، وعلاقة الإنسان بالإله وانعكاس هذه العلاقة على علاقته ببقية أعضاء مجتمعه، والأثر الذي يمارسه الدين على السلوك الاجتماعي والاقتصادي والأسري والتربوي، والسلوك العقابي للإنسان<sup>(1)</sup>. وحقيقة الإنسان وواقعه، ومركزه من هذا الكون، وغاية الوجود والكون والإنسان ومصيره وسبب التفاوت الواضح بين الناس وهدفه، ومغزى الطقوس أو الشعائر التي يمارسها الناس للتقرب من الله.

فالدين الإلهي أساسه الوحي، ويكون المعبود فيه إله واحد خالق مهيمن، وكل دين ينتحله البشر يستند إلى العقل ويستند إلى الخرافة والأسطورة هو دين وثني<sup>(2)</sup>، لأن الوثنية هي عبادة الأوثان، والوثن هو التمثال المصنوع من الحجارة أو هو كل ماله جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب أو الحجارة كصورة آدمي<sup>(3)</sup>، ولا ينطبق عليه تعريف الدين مع أن القرآن سماه كذلك، فيقول القرآن {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه}<sup>(4)</sup>، ويقول أيضاً: {لكم دينكم ولي دين}<sup>(5)</sup>. فلكل أمة منهج حياة ينبثق عن دينها فإن كان المنهج منبثق من صنع الله صادر عن عقيدة ربانية فالجماعة في دين الله، أما إذا كان المنهج من صنع الملك أو القبيلة أو الشعب، فإنه صادر عن مذهب أو تصور أو فلسفة بشرية فهذه الجماعة في دين الملك أو دين القبيلة أو دين الشعب وليست في دين الله لأنها لا تتبع منهج الله دون سواه<sup>(6)</sup>.

**ب: تعريف الدين في الإصطلاح:** من التعريفات للدين: أنه وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقاد، وإلى الخير في السلوك والمعاملات، وأنه: ((وضع إلهي سائغ لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المال))<sup>(7)</sup>. ويطلق الدين على ملّة كل نبي، كما خصّ

<sup>1</sup> - نبيل محمد توفيق السّمالوطي: المرجع السابق، ص 20.

<sup>2</sup> - ينظر: حسين الحاج حسن: حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1984، ص 163.

<sup>3</sup> - ينظر ابن منظور: لسان العرب، المرجع السابق، حرف (الواو) مادة (وثن).

<sup>4</sup> - سورة آل عمران الآية 85.

<sup>5</sup> - سورة الكافرون الآية 6.

<sup>6</sup> - أحمد محمد جمال: محاضرات في الثقافة الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، ط 3، 1975م، ص 34.

<sup>7</sup> - محمد بوالروايح: مختصر تاريخ الأديان، نوميديا للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر ط: 2010، ص 9.

به الإسلام في قوله تعالى: { **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** }<sup>(1)</sup>، ويضاف إلى الله عزّ وجلّ لصدوره عنه، وإلى النبيّ لظهوره منه، وإلى الأمة لتديّنهم به وانقيادهم له، فنقول دين الله، ودين النبيّ محمد، ودين الأمة الإسلامية. و الفرق بين الدين والملة: فإن الشريعة من حيث أنّها تطاع تسمّى ديناً ومن حيث أنّها تجمع تسمى ملةً ، ومن حيث أنّها يرجع إليها تسمى مذهباً. وقيل الفرق بين الملة والدين والمذهب، أن الدين منسوب إلى الله تعالى والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد<sup>(2)</sup>. وقد تعددت معاني لفظ كلمة " الدين " في القرآن الكريم فمنها:

أ- حسن الطاعة والعبودية: ودان لله أطاعه وخافه، قال تعالى: { **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** }<sup>(3)</sup>.

ب- ويعني يوم الحساب والجزاء: كما جاء في سورة الفاتحة: { **هَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ** }<sup>(4)</sup>.

ت- ويعني قانون الملك ونظامه وشريعته: قال تعالى عن يوسف عليه السلام: { **مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** }<sup>(5)</sup>.

ث- ويعني حكم الله وقانونه السماوي: لقوله تعالى: { **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** }<sup>(6)</sup>.

ج- ويعني المنهج والطريقة: لقوله تعالى: { **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِي** }<sup>(7)</sup>. بمعنى لكم منهجكم وطريقتكم في عبادة غير الله، ولي منهجي وطريقتي في عبادة الله وحده.

ح- يأتي الدين بمعنى العقيدة والملة: يقول تعالى: { **شَرَحْنَا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْنَا بِهِ نُوْحًا وَآلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَقَالَ إِنَّا عَمَّرْنَا نُوْحًا وَقَدْ أَقْبَمَ بِهَا عَمَلُهُ وَضَعْنَا لَكَ آيَاتٍ فَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ وَتَذَكَّرْ عَذَابَ الْوَالِيينَ** }<sup>(8)</sup>.

خ- يأتي الدين بمعنى نظام الحياة عقيدة وشريعة، يقول تعالى: { **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** }<sup>(9)</sup>.

<sup>1</sup> - سورة آل عمران الآية 19.

<sup>2</sup> - الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 2002، ص 90.

<sup>3</sup> - سورة النساء الآية 125.

<sup>4</sup> - سورة الفاتحة الآية 4.

<sup>5</sup> - سورة يوسف الآية 76.

<sup>6</sup> - سورة النور الآية 2.

<sup>7</sup> - سورة الكافرون الآية 6.

<sup>8</sup> - سورة الشورى الآية 13.

<sup>9</sup> - سورة آل عمران الآية 19.

وقد لخص أبو الأعلى المودودي المعاني اللغوية للدين في أربعة<sup>(1)</sup> وهي:

- 1- القهر والسلطة والحكم والإكراه على الطاعة.
- 2- الطاعة والعبودية والخدمة وقبول الخضوع.
- 3- الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والعادة والتقليد.
- 4- الجزاء والمكافأة والقضاء والحساب.

فكلمة الدين ومفهومه يعني النظام الشامل لجميع مناحي الحياة كلها، فهو من الظواهر التي يصعب وضع مدلول له، لاعتبارات صعوبة شمول تعريفه، كما أن عدم الاتفاق من جانب العلماء على ماهية الدين البدائي ومدى التفرقة بينه وبين غيره من الأديان شكل صعوبة بالغة لوضع تعريف محدد للدين. تقول سامية الخشاب: ((فإنّ هناك شبه إجماع من جانب العلماء على تقسيم تعريفات الدين إلى ثلاث فئات متعلقة بجوهر الدين ووظيفته ورمزيته. فقد حاول الكثير من الاجتماعيين تعريف مفهوم الدين عن طريق تحديد جوهره، وهو أمر صعب إذا امتدّ عبر الثقافات))<sup>(2)</sup>. كما تشير تشير "سامية الخشاب" إلى استخدام كل من تايلر و دوركايم لمفهوم الدين حيث جاء عند "تايلر": بأنّه الاعتقاد في الكائنات الروحية التي كان يخشاها الأفراد من أسلافهم الموتى، وعند دوركايم: بأنّه مجموعة من المعتقدات والممارسات المرتبطة بأشياء مقدّسة تتمثّل في مجموعة من الأوامر والنواهي<sup>(3)</sup>.

أمّا محمد بالروايح في تناوله لمفهوم الدين فإنّه أحالنا على كتاب: الدين ، لمحمد عبد الله دراز، الذي أورد تعريف "هربرت سبنسر" للدين في "كتاب المبادئ الأولية" وتعريف "ماكس ميلر" ، وتعريف "إميل دوركايم"<sup>(4)</sup>. ومن خلال هذه التعريفات نلمس محاولات بعض علماء الأديان في البحث عن المصدر الأوّل لظاهرة التدين، بالرجوع إلى الواقع الذي يذكر أنّ آدم -عليه السلام كان موحدًا، لأنّه يمثّل نشأة الجنس البشري الذي انحرف بعده ، فجاء الرسل والأنبياء يعيدونه إلى طريق الوحدانية. وهناك علماء من الأديان لهم آراء ونتائج تتعارض مع الحقائق اليقينية، ومع ما ورد ذكرها

<sup>1</sup> - المصطلحات الأربعة في القرآن: الإله - الرب - العبادة - الدين، تعريب: محمد كاظم سباق ، المطبعة

الهاشمية ، دمشق ، 1374هـ - 1955م ، ص ص 116 - 118.

<sup>2</sup> - دراسات في الاجتماع الديني ، دار المعارف ، مصر ، ط1 ، 1988م ، ص 22.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ص 23.

<sup>4</sup> - ينظر: مختصر تاريخ الأديان ، ص ص 34 - 35. وقد نقل المؤلف التعريفات من النص الفرنسي.

في القرآن الكريم إذ يرون أنّ ما كان عليه الإنسان الأول تمثل طفولة الجنس البشري من الشعوب البدائية، فيرون تطوراً حصل في العقيدة الدينية، والتي بدأت في شكل الإيمان بالخرافات، وبالمظاهر الوثنية ثم أخذ الإنسان يترقى في عقائده الدينية على مدى الأجيال، مع اتساع معارفه ونمو ثقافته حتى وصل إلى قمة الديانات، وهي ديانة " التوحيد" التي نمت وتطوّرت كما حدث للعلوم والفنون في وصولها إلى القمة النسبية. ويقول السّمالوطي: ((هناك من حاول قياس المشاعر الدينية والروحية على القوى البدنية والعقلية والعلمية التجريبية، وهذا خطأ بالغ لما يزعمون أنّه إذا كان الإنسان يتطور بدنياً من الضعف إلى القوّة ويتطوّر عقلياً من الجهل إلى العلم ومن التفسير الخرافي إلى التفسير العلمي الوضعي فإنّه يرجّح أن يكون قد انتقل دينياً من الوثنية إلى التّوحيد. وهذا الافتراض له ما يناقضه))<sup>(1)</sup> من أنّ عقيدة التوحيد اقترنت بظهور الجنس البشري ولعلّ هذا ما تؤكّده نصوص القرآن الكريم، حيث يقول المولى عزّ وجل: { فطر الله النّاس عليهما }<sup>(2)</sup>، وقوله في شأن آدم: { فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتناجى عليه إنّّه هو التّوابع الرّحيم، قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمّا ياتينكم منّي هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليكم ولا هم يحزنون }<sup>(3)</sup>، وجاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه))<sup>(4)</sup>. إذ أودع الله سبحانه في عباده ميلاً فطرياً طبيعياً للتوحيد مصداقاً لقوله تعالى: { وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّنا كنّا عن هذا غافلين }<sup>(5)</sup>، وقد تمّ تدعيم هذا الميل الفطري بإرسال الرسل مدكّرين ومبشّرين ومنذرين، وكان آدم عليه السلام، أول الموحدّين في تاريخ البشرية.

### مطلب 3: أهمية دراسة الدين وضرورته للبشرية:

ترجع أهمية الدين إلى عالمية الظاهرة التي لازمت الإنسانية منذ نشأتها الأولى، بحيث لا يوجد مجتمع بلا أساس ديني، فلا شك أن الخوف - عند بعض الباحثين - كان أهم الأسباب لاتجاه الإنسان نحو

<sup>1</sup> - نبيل محمد توفيق السّمالوطي: المرجع السابق، ص 63.

<sup>2</sup> - سورة الروم الآية 30.

<sup>3</sup> - سورة البقرة الآيات 37-38.

<sup>4</sup> - أبو داود: صحيح سنن المصطفى، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 2، بدون تاريخ، ص 275.

<sup>5</sup> - سورة الأعراف الآية 172.

الدين خوفاً من الظواهر الطبيعية المحيطة به، لهذا فسّر علماء الاجتماع الغربيين موضوع أهمية الدين ، وأنّ الإنسان البدائي عجز عن تأويل الظواهر الطبيعية وتفسيرها، وكان الخيال عنده أيسر وسيلة يلجأ إليها، فأوجد تفسيرات عديدة نسب جزء منها لقوى لم يرها، فكوّن فكرة " الإله " ونسبها إلى عالم ما فوق الطّبيعة لدرء هذا الخوف، من الكوارث الطبيعية ومن ظاهرة الموت<sup>(1)</sup>.

### الدين ضرورة بشرية:

وسواء كانت الظاهرة الدينية منبعها الخوف أو الرغبة فإن الجماعات البشرية ظلت في حاجة إلى الدين لأنه مصلحة وطنية وحاجة نوعية ، فجاء في كتاب " للعقاد " قوله : (( الدين قد وجد قبل وجود الأوطان ، ولأن الحاجة النوعية " البيولوجية " تتحقق أغراضها في كل زمن وتتوافر أسبابها في كل حالة، وغرائز الإنسان النوعية واحدة في كل فرد من أفراد النوع وكل سلالة من سلالاته، وقد يتحول الإنسان من عقيدة إلى عقيدة فلا يقال إذن أنه تحول من غريزة نوعية إلى غريزة نوعية لأنّ هذه الغريزة لا تقبل التحوّل ولا التحويل))<sup>(2)</sup>، فلما كان الدين بهذه المنزلة الرفيعة، اتّجهت إليه همّة الباحثين قديما وحديثا، الذين حاولوا استبيان خصائصه<sup>(3)</sup>. فقد يكون العلم مشتركا بين البشر ولكن لا يعتقدون عقيدة واحدة ، بل ينكر أحدهم عقيدة الآخر أشد الإنكار، فمقياس العقيدة الصالحة ليس مقياس الدروس العلمية والحيل الصناعية ، والعقيدة لا تحول بين معتقديها وبين التقدم في الحضارة.

فالحاجة إلى الدين شعور أصيل في الإنسان ، على حد قول الفيلسوف الألماني " أرنست شلاير ماخر": (( أنّ قوام حقيقة الدين هو ذلك الشعور بالحاجة والتبعية المطلقة لقوة قاهرة ، فلا ريب أنّ هذا الشعور ركن أصيل لا بد منه في تحقيق ماهية الدين من حيث هو ))<sup>(4)</sup>.

والعقيدة التي يدين بها الملايين يشترك فيها الخاصة والعامة والأعالي والأدنياء ولا تصاغ منها نسخة مستقلة لكل طبقة أو لكل فرق... إن العقيدة الدينية هي فلسفة الحياة بالنسبة إلى الأمم

<sup>1</sup> - سامية مصطفى الخشاب: دراسات في الاجتماع الديني ، ص 14.

<sup>2</sup> - الفلسفة القرآنية ، ص 11-12.

<sup>3</sup> - محمد بو الروايح: المرجع السابق ، ص 19.

<sup>4</sup> - محمد بو الروايح: المرجع نفسه ، ص 20 ، نقلا عن محمد عبد الله دراز: الدين ، ص 40.

التي تدين بها، وأنها لا تعارض الفلسفة في جوهرها، وأن الفلسفة تصلح للاعتقاد كما تصلح العقيدة للفلسفة<sup>(1)</sup>.

فليس في وسع فيلسوف أن ينسى أن الأديان قد وجدت بين جميع البشر، وأنها من ثمة حقيقة كونية لا يستخف بها عقل يفقه معنى ما يراه من ظواهر هذه الحياة، سوى الشيوعية التي أبطلت الدين باسم الفلسفة المادية، وجرده من قوته التي ييئسها في أعماق النفس ويقف "العقاد" في وجه هذه الفلسفة بقوله: (( فالمؤمنون بهذه الفلسفة المادية يطلبون من شيعتهم أن يكفروا بكل شيء غير المادة، وأن يعتقدوا أن الأكوان تنشأ من هذه المادة في دورات متسلسلة تدخل كل دورة منها في نهايتها لتعود إلى التركيب في دورة جديدة، وهكذا دواليك ثم دواليك إلى غير انتهاء... إن أسرار العقيدة أعمق وأصدق مما يدور في أوهام منكريها، وأنها ذخيرة من القوة، وحوافز الحياة تمدد الجماعات البشرية بزاد صالح لا تستمدتها من غيرها، وأن هذه الذخيرة "الضرورية" خلقت لتعمل عملها، ولم تخلق ليعبث بها العابثون، كما طاف بأحدهم طائف من الوهم، أو طارت برأسه نزعة عارضة لا تثبت على امتحان))<sup>(2)</sup>.

وفي مثال رائع ضربه "محمد الغزالي" حول بحث البشرية عن عقيدة تهديها إلى الصواب، فمثلها بالطفل الذي يُودع في أحد الملاجئ قد يفكر في أبيه عندما يكبر، وقد يبحث عنه، ولكن لا يجري في خاطره أبداً أنه جاء الدنيا من عدم، أو ظهر على الأرض من غير أب، والبشرية في أغلب العصور بحثت عن ربّها وفكرت فيه وربما أخطأت الطريق إليه، فقد تعبد اسماً لا حقيقة له، وقد تعبد حجراً موهوم الضّر والنفع، وقد تعبد عجلاً أو تقدّس بقرة أو تؤلّه نهرًا، وقد يجيئ من يرفض هذه الآلهة المزعومة كلّها وينكر أن يكون للوجود سيّداً.

فقول "محمد الغزالي": (( إن قضية الألوهية في التاريخ الإنساني يكتنفها قدر من الغموض، وجمهرة الأمم رنت إلى إله كبير، ثم رمزت إليه أو تعرفت عليه عن طريق التماثيل، أو الكائن التي ينتمي إليه على نحو ما، ويخيل إليّ أن رفض عقيدة الألوهية من الأساس لم ينجم إلا بعد شيوع التدين الخرافي، ورفض العقل السجود لحجر أو حيوان أو إنسان))<sup>(3)</sup>، ففكرة الألوهية عرفت

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: المرجع نفسه، ص 13.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: المرجع نفسه، ص 15. وينظر: نفس المعنى له في موقفه من الشيوعية في ص 17.

<sup>3</sup> - محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، دار الهناء للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ، ص 149. إجابة عن السؤال رقم: 34.

شيوعا واسعا في كل الأديان السماوية وغير السماوية : إذ يؤكد "سليمان مظهر" من أن البوذية ما دخلت في مسمى الأديان إلا بعد أن آمن أتباعها بفكرة الألوهية ولو لم تكن لذات علوية<sup>(1)</sup>.

**المبحث الثاني: مناهج البحث في نشأة الدين وتطوره.**

**مطلب 1: مناهج البحث في نشأة الدين:**

في حديث عن الدين والأخلاق يقدم "توماس بيرتون بوتومور" تصوّرات بعض الفلاسفة الغربيين عن أصل نشأة الدين وتطوره، فيقول: (( تميزت الدراسات السوسولوجية المبكرة في ميدان الدين بثلاث نزعات منهجية متميزة هي: التطورية والوضعية والسيكولوجية. وتبدو هذه النزعات أوضح ما تكون في أعمال كل من كونت وتاييلور وسبنسر ))<sup>(2)</sup>. حيث أقام "كونت" تصوّراته حول مهمة علم الاجتماع وأن الفكر البشري مرّ بثلاثة مراحل في تطوره التاريخي بدءا بمرحلة المجتمعات البدائية والقديمة التي تعرف بالثيولوجية، والمرحلة الثانية التي تليها والتي تمثل مجتمعات العصور الوسطى والمسماة بالمرحلة الميتافيزيقية، أما المرحلة الثالثة فتمثلها المجتمعات الحديثة التي بدأت منذ القرن التاسع عشر وهي المعروفة بالمرحلة الوضعية. أما "تاييلور" و"سبنسر" فاهتما بتفسير نشأة الدين، واستندا إلى القول أن الناس قد توصلوا إلى فكرتهم عن الروح من خلال سوء تفسير كل من الأحلام والموت<sup>(3)</sup>.

-أما عند "ماركس" فإنّ الدين لا يعدو أن يكون وهما مصيره الحتمي هو الإخْتفاء، ويغفل ماركس عن الدور الذي يلعبه الدين في عملية الضبط الاجتماعي. وقام " فريزر" بوضع التفرقة بين السحر والدين ، فالسحر يؤكد سيطرة الإنسان على عمليات الطبيعة أما الدين فيؤكد الإيمان بقوى أعلى من الإنسان ومحاولة التقرب منها وإرضائها. أما "دوركايم" فذهب إلى أنّ كل المجتمعات تعرف التفرقة بين الأشياء المقدّسة والأشياء الدنسة. فالدين نظام موحد للمعتقدات والممارسات المتعلقة بالأشياء المقدّسة: أي الأشياء التي يتعيّن تحبّبها وتحريمها، ووظيفة المعتقدات والممارسات السائدة في مجتمع معين هي التوحيد بين أولئك الذين يؤمنون بها<sup>(4)</sup>. ليخلص إلى أنّ الدين يمارس وظيفة هامة في المجتمعات البدائية كتدعيم التماسك الاجتماعي وضبط سلوك الأفراد بالرغم ما وجّه لمدرسة دوركايم

<sup>1</sup> -محمد بوارويح: مختصر تاريخ الأديان، ص 21، في إحصائه على: سليمان مظهر: قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2: 2002، ص 138.

<sup>2</sup> -تمهيد في علم الاجتماع، الكتاب الرابع، سلسلة: علم الاجتماع المعاصر، ترجمة: محمد الجوهري، وعلياء شكري، ومحمد علي محمد، والسيد محمد الحسن، دار المعارف، مصر، ط3: 1978م، ص 279.

<sup>3</sup> -المرجع نفسه.

<sup>4</sup> -توماس بيرتون بوتومور: المرجع السابق، ص 281.

من نقد وأثما لا تقدم فهم للدين في المجتمعات المتحضرة أو الكبيرة، لأنّ الدين فيها ليس قوة موحّدة فقط لكنّه أيضا قوّة مفرّقة، وقد يكون قوّة جامعة كما هو الحال في المجتمعات الأوربية خلال العصور الوسطى<sup>(1)</sup>، نظرا للإعتبارات الأخلاقية التي تحول دون الإختبار والضبط التجريبي لكثير من أنواع السلوك الديني<sup>(2)</sup>، فإنّ الباحث يواجه العديد من المشاكل المنهجية في دراسة موضوع الدين لذلك تعدّدت المناهج في دراسات الدين، وهي<sup>(3)</sup>:

### أ\_ المنهج التاريخي:

واستخدم فيه الباحثون المادة التاريخية لمعرفة عناصر التفاعل بين الدين والمجتمع، مختلفين عن استخدامات التاريخيين للمادة نفسها، لأنّ التاريخيين يسعون لتقديم وصف تفصيلي عن المواقف التاريخية، وأحيانا يسعون لتوضيح ظروف معينة قد نتجت من مجموعة مواقف محدّدة. ويعرّفه علي سامي النشار بقوله: ((فمنهج البحث التاريخي في نقد النصوص الداخلي والخارجي يعتمد على طرق التحليل والتركيب التاريخية، وفحص الوثائق، ومنهج المقارنة والتقسيم والتصنيف))<sup>(4)</sup>. أما الباحثون الاجتماعيون فإنهم يهتمون بجعل موقف اجتماعي محدّدا، وغالبا ما يكون مصحوبا بمواقف أو ظروف أخرى مشابهة. واستخدم المنهج التاريخي في كثير من دراسات الدين كل من "بارسونز" و"بيلا" في تفسير تطور الدين، كما استخدمه "روزير" و"نلسن" في دراسة العنصرية والدين<sup>(5)</sup>. وقد وضع "بيلا" خمس مراحل تطورية للدين وهي:

أ- مرحلة الدين البدائي: وهي أبسط أشكال الدين البدائية، فالدين غير منفصل عن الثقافة.

ب- مرحلة الدين القديم: هناك علاقة قوية بين الدين والسياسة تدفع إلى تقديس الحاكم.

ت- مرحلة الدين التاريخي: الدين مصدر للتغيير الاجتماعي والثقافي.

ث- مرحلة الدين المعاصر المبكر: بدءا بالإصلاح البروتستانتي و الاستقلال للمؤسّسات لدينية.

ج- مرحلة الدين المعاصر: رؤية العالم في هذه المرحلة أقل ازدواجية، وأقل تصورا لوجود عالم آخر.

<sup>1</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص 282.

<sup>2</sup> - Ernest Renan : *Judaisme et Christianisme ; Textes présentés par Jean Gaulmier, la méthode expérimentale en religion*, Vol.2 , 1977 , Copernic, p31

<sup>3</sup> - سامية مصطفى الخشاب: دراسات في الاجتماع الديني، ص 31.

<sup>4</sup> - مناهج البحث عند مفكري الإسلام، واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط3.

1966م، ص 375.

<sup>5</sup> - سامية مصطفى الخشاب: المرجع السابق، ص 32-33.

فالإنسان الفرد تاريخي في جوهره لأنه يعيش في الزمان، ويتحدّد بأحوال وظروف معينة، ووجوده عملية زمنية تتحدّد بالميلاد والموت، وتتألف من سلسلة متصلة الحلقات تتألف من ماض وحاضر ومستقبل، وتجري هذه العملية في إطار علاقاته مع الآخرين، وعلاقاته مع الطبيعة. ولما كان الفرد كذلك، فإن العلاقات بين الأفراد هي أيضا علاقات تاريخية. وحياة الإنسان حياة تاريخية، وعالم الإنسان إذن هو عالم التاريخ<sup>(1)</sup>. قد يتداخل علم لإجتماع مع التاريخ في جوانب لكنهما يختلفان في جوانب أخرى، لأن هناك تنوع في التاريخ وتباين صور علم الإجتماع ومن ثمة فالعلاقة بينهما بالغة التعقيد وشديدة التنوع مشكلة معا ما يسمى بالتاريخ الإجتماعي الذي يقصد به: ((تاريخ الطوائف والطبقات والتجمعات الإجتماعية، بغض النظر عن مسمياتها، عندما ننظر إليها بوصفها وحدات مستقلة، تتساند فيما بينها أيضا))<sup>(2)</sup>.

## ب\_ منهج المقارنة الثقافية والحضارية:

هو منهج يفسر فيه الباحثون الارتباط بين الأنماط الاجتماعية المختلفة، وقد استخدمه "ماكس فيبر" في محاولته اختيار نظريته عن العلاقة بين الأخلاق البروتستانتية وظهور الرأسمالية عن طريق دراسة الدين والاقتصاد، وقد قال "فيبر" منتقدا الماركسيين في عصره: (( من المؤكد أنه لا بدّ من رفض المفهوم المعروف بالمفهوم المادي للتاريخ كفلسفة للحياة أو كصفة للتفسير العلمي للواقع التاريخي. أما تطور التفسير الإقتصادي للتاريخ فهو واحد من أهم أهداف مجلتنا))<sup>(3)</sup>. كما استخدمه "تالمون" في دراسته لعديد من الثقافات ليكشف أنماطا عالمية عن الحركات الألفية، وأعضاء هذه الجماعات يؤمنون بقدوم العصر الألفي السعيد، وهو العصر الذي سيملك فيه المسيح على الأرض وسيكون عصر سعادة وعدالة مطلقة، وتحريرا من نقائص الوجود البشري، كما تؤمن هذه الحركات بأن الانتقال من العالم المعاش إلى العالم الآخر، سيكون انتقالا مفاجئا وليس تدريجيا، وقد استخلص "كوهن" خمس سمات تحدد رؤية الشخص الألفي<sup>(4)</sup>، وهي:

(أ) - التجمع: collective وهو يبدو في الإحساس بالسعادة في الإخلاص للجماعة.

<sup>1</sup> - عبد الرحمان بدوي : مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1975، ص ص 287\_288.

<sup>2</sup> - توماس بيرتون: تمهيد في علم الإجتماع، ص 96 نقلا عن:

**International Review of Social History, Assen, 1956, Vol. part. I, p.4.**

<sup>3</sup> - توماس بيرتون بوتومور: المرجع نفسه، ص 73. من مقدمة المحرر التي كتبها لمجلة: أرشيف العلوم الاجتماعية والسياسية والإجتماعية.

<sup>4</sup> - سامية مصطفى الخشاب: المرجع السابق، ص ص 35-36. حيث ترجع تسمية الحركات بالألفية إلى كلمة millennium والتي

تعني ألف عام.

(ب) - الجانب الدنيوي terrestrial أن الشيء لا يتحقق إلا في الأرض وليس في السماء.  
(ت) - قرب الحدوث imminent وهو الإحساس بأن الآخرة ستأتي قريبا وبشكل مفاجئ.  
(ث) - الإجمالي total وهو تحول على الأرض ، والنظام الديني الجديد ليس تحسينا في الوضع الحاضر ولكنه الكمال في ذاته.

ج) - الإنجاز accomplished سيكون بواسطة وكلاء ووسطاء في شكل فوق الطبيعة.  
إنّ وجهة نظر هذه الجماعات التي تركز حول انتظار قدوم عصر جديد ومستقل مشرق قادم يسود المملكة الإلهية حيث تتحقق فيه العدالة والمساواة .

وقد استخدم بعض الباحثين منهج المقارنة الثقافية أو الحضارية في مقارنة الارتباط بين المعتقدات الدينية والتغير في أدوار النوع في المجتمع الكبير. وبرغم استخدام هذا المنهج في كثير من الدراسات ، فإن هناك صعوبات تكمن في هذا المنهج لكون مفاهيم التدين تتباين بشكل كبير من ثقافة إلى أخرى فتصعب المقارنة بينها.  
ت\_ المنهج التجريبي<sup>(1)</sup>:

ويستخدم أقوى الأدوات في العلوم الاجتماعية في ضوء مفاهيم القدرة على التحكم في المتغيرات، ولا يستطيع عقل الإنسان أن يتصور معلولا بدون علة ، حتى أن رؤية ظاهرة توظف دائما في عقل الإنسان فكرة العلية، ولكن استخدام المنهج التجريبي في دراسات الدين تواجه صعوبات كثيرة، فالباحث لا يستطيع أن يستخدم جماعات ضابطة وجماعات تجريبية لاختيار المتغيرات المختلفة في عملية اعتناق دين جديد وأن أي شكل من أشكال التجريب يعتبر انتهاكا لتدين الأفراد فالدين شيء شخصي<sup>(2)</sup>. ونسجل هنا ردود على ما قام به "عبد الباسط محمد حسن" من محاولاته لتفسير مراحل البحث في الظاهرة الدينية وأسباب تأخر دراستها دراسة علمية، حيث استعرض المراحل الثلاث الرئيسة لها، ومنها: أولاً المرحلة الوصفية، ثم المرحلة التحليلية والتركيبية، وأخيراً المرحلة العلمية، ليصل إلى أن مسلك "عبد الباسط" في عرضه للدراسات حول الظاهرة الدينية لم تكن صحيحة فما كان يعيق تفسير الظاهرة من قداسة كانت تحيط به زالت وذلّت لتجاوز الباحثين لها ، إلى جانب

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، ص 97. ويشير إلى أنّ الفضل في اكتشاف المنهج التجريبي، إنّما يرجع إلى جاليليو (1564م-1642م) في سنة 1602م حين كان يدرس سقوط الأجسام بمساعدة مستوى مائل، وباستعماله لوسائل القياس في ملاحظة الظواهر، وتخليص النتائج المتحصّلة في صيغة رياضية.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 161 وما يليها، إذ يتناول صعوبات استخدام المنهج التجريبي، ويتحدث عن مصادر مبادئ العقل .

عدم خضوع الظاهرة للمنهج الإستقرائي الذي لا يصلح لدراستها حيث يصلح للظواهر الحسية ولا يصلح لدراسة الظاهرة الدينية<sup>(1)</sup>.

وحدث الصدام بين الدين والعلم، وخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث بدأ كثير من الناس في العالم الأوربي يظنون أنهم لم يعودوا في حاجة إلى الإيمان بالله، وزعموا أنه لا ضرورة لفرضية الإله لتفسير الكون لأنهم يستطيعون تفسير الكون بكل مراحلها في ضوء الاكتشافات الحديثة دون اللجوء إلى الإله، لأن الكون خاضع لقوانين معينة.

ويبين "وحيد الدين خان" خطر تبعات هذا المنهج وابتعاده عن جادة الصواب ناقلاً أقوال الفلاسفة: ((كقول الفيلسوف الألماني كانط: إيتوني بالمادة وسوف أعلمكم كيف يُخلق الكون منها. وأعلن " هيغل" قوله: إنني أستطيع خلق الإنسان لو توفر لي الماء والمواد الكيماوية والوقت. وصرخ " نيتشه": لقد مات الإله، الآن. وهكذا زعموا أن خالق الكون مادّي من أوّله إلى آخره.. وأن كل حركات الكون، وكل مظاهره ليست إلاّ عملاً مادّيّاً أعمى. فالكون الذي اكتشفه العلم لم يوجد في أي جزء من أجزائه أي أثر للخالق الذي تستند إليه كل الأديان في فلسفتها للحياة. وإذا كان الحال كذلك، فما الذي يجعل العلم يؤمن بالإله؟))<sup>(2)</sup>. إنّ الدراسات التي قامت حول الإنسان والعلوم التجريبية أثبتت أنّ المناهج التجريبية المطبّقة على المادة تعجز عن الحصول على نتائج صحيحة بالنسبة لمشاعر الإنسان وأخلاقه وتصرفاته، فمحاولة إخضاع الإنسان للمناهج التجريبية فيه تعسفٌ كبير<sup>(3)</sup>.

### ث\_ منهج المسح الاجتماعي:

كان رواد علم الاجتماع الأوّلين متبصرين إلى أنّ رسالة هذا العلم يجب أن تتخطّى حدود النظرية المجرّدة، كما تعكس مناقشاتهم لدور علم الاجتماع اهتمامهم البالغ بأن يقدّم كل المعاونات الممكنة لمواجهة مشاكل المجتمع، وقد حدّد "أوجست كونت" رسالة هذا العلم حينما ذهب إلى أنّ: ((علم الاجتماع يهتم في المحل الأوّل بالسيطرة على تجربة المستقبل، وتقديم كافة المعلومات التي تفيد البشر في حياتهم داخل المجتمع))<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - محمد بو الروايح، مختصر تاريخ الأديان، ص 18، يردّ على عبد الباسط محمد حسن: مدخل علم الاجتماع، الكتاب الأوّل، مكتبة غريب، القاهرة، ص 420، وص 421، وص 423.

<sup>2</sup> - وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة: عبد الحلّيم عويس، دار النفائس، بيروت، ط1: 1981، ص 64.

<sup>3</sup> - أنور الجندي: مفاهيم النفس والخلاق والاجتماع في ضوء الإسلام، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1985، ص 17.

<sup>4</sup> - محمد عاطف غيث: علم الاجتماع (دراسات تطبيقية)، دار النهضة العربية، بيروت، ط: 1974، ص 3.

فكان المسح الإجماعي هو من أكثر المناهج استخداماً في الدراسات الاجتماعية ، وخاصة مسح العينة - بحسب وجهة نظر سامية مصطفى الخشاب - كما شاركت المناهج الإحصائية في استخدام هذا المنهج في دراسات علم الاجتماع الديني ، مثل دراسة الإنتماء الديني والمداومة على حضور أماكن العبادة، والمداومة على الصلاة، ومعرفة مبادئ واتجاهات الطائفة الدينية، والاعتقاد في مفاهيم دينية محددة كالإعتقاد في الحياة بعد الموت ووجود عقاب في الآخرة . بالرغم من استخدام منهج المسح الاجتماعي في دراسات الدين فإن هناك بعض الصعوبات التي تواجه استخدام هذا المنهج ومنها: أن المعلومات المسحية لا تتضمن دراسة مباشرة للتجربة الدينية نفسها فالمبحوثين يدلون ببيانات قد تختلف عما يفعلونه. في حين يرى البعض أن الأفكار والممارسات الدينية تشير وترمز إلى الجماعة الاجتماعية ، والمجتمع هو المنبع الأصلي للدين فهو نسق موحد من المعتقدات والممارسات التي تتصل بشيء مقدس ، وهذه المعتقدات والممارسات في مجتمع أخلاقي واحد ويضم كل الذين يرتبطون به<sup>(1)</sup>. وفي هذا الشأن وبحسب رأي "دوركاييم" فإن الطوطمية هي الصورة البسيطة للدين ، وفي هذه الديانة يعتبر الطوطم هو الرمز الذي تتخذه العشائر البدائية لنفسها ، سواء أكانت مستمدة من المملكة الحيوانية أو النباتية أو القوى الطبيعية أو الجماد<sup>(2)</sup>. ويتجاهل التجربة الدينية الفردية ولم يستطع أن يعالج ظاهرة ظهور زعماء دينيين، فهو قد ذهب إلى أن الطقوس والأشياء المقدسة ترمز للعلاقات الاجتماعية ولكنه فشل في أن يقدم براهين على دعواه.

### ج- المنهج الإحصائي:

استخدم المنهج الإحصائي بشكل موسّع في الدراسات المتعلقة بالدين، فقد ظهرت معظم نتائج الدراسات المسحية في شكل مقارنات إحصائية. فيقول "أوجيست كونت" في هذا الصدد: ((يتمثل الجانب الاستاتيكي لعلم الاجتماع في دراسة قوانين الفعل ورد الفعل التي تخضع لها

<sup>1</sup> - سامية مصطفى الخشاب: دراسات في الاجتماع الديني، ص 51.

<sup>2</sup> - سامية مصطفى الخشاب: المرجع السابق، ص 52-53. وترى أن أهم العناصر في الطوطمية أن أفراد العشيرة يعتقدون أنهم منحدرين من هذا الطوطم فهو الأصل في وجودهم، ويترب على ذلك أن الأفراد الذين ينتمون إلى نفس الطوطم يعتبرون أنفسهم أقارب فيما بينهم ، ومعنى ذلك أن القرابة لا تقوم على أساس وحدة الدم وإنما تربط أفراد العشيرة وحدة قرابة معنوية تقوم على أساس اشتراكهم في نفس العادات والتقاليد والطقوس الدينية التي يلتزمون بأدائها نحو الطوطم، وتقوم الديانة الطوطمية على أساس تقديس طوطم العشيرة تقديساً يحرم لمسه إذا كان جماداً إلا في مناسبات دينية كما يحرم قتله أو صيده إن كان من المملكة الحيوانية ويحرم أكله إذا كان من المملكة النباتية .

مختلف أجزاء النسق الاجتماعي<sup>(1)</sup>. ويعتبر "كونت" أنّ الدراسة المقارنة للمجتمعات بوصفها كيانات كلية تمثل موضوعاً رئيسياً من موضوعات التحليل السوسولوجي<sup>(2)</sup>. وكان "سبنسر" يرى أن على علم الاجتماع أن يقارن المجتمعات على اختلاف أنواعها والمجتمعات على اختلاف مراحل تطورها<sup>(3)</sup>، في حين يرى "دوركهايم" الذي كان يصف علم الاجتماع بأنه علم دراسات المجتمعات فهو يقول: ((إننا لا نستطيع أن نفسر أي ظاهرة اجتماعية أيّا كانت درجة تعقيدها إلا من خلال تتبع عملية التطور الكاملة التي مرّت بها خلال التكوينات الاجتماعية المختلفة. فعلم الاجتماع المقارن ليس إذن مجرد فرع من فروع علم الاجتماع وإنما هو علم الاجتماع نفسه))<sup>(4)</sup>. إن علماء الاجتماع يعتمدون على الإحصاءات والإستبيانات لذلك فإن تحليلاً لهم غالباً ما تكون رسمية وكيفية<sup>(5)</sup>.

## مطلب 2: تطور مفهوم الدين عند المفكرين:

تعددت الآراء حول تطور العقيدة الدينية، كما تعددت الردود حول هذه المسألة<sup>(6)</sup>:

- فجاء عن المشرع الروماني "شيشيرون" قوله: "أن الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله"
- وجاء عن "عمانويل كانت" في كتابه (الدين في حدود العقل): أن الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية.
- وجاء عن "هربرت سبنسر" في كتاب "المبادئ الأولى" قوله: أن العنصر الأساسي في الدين هو الإيمان بالقدرة اللانهائية، أي التي لا يمكن تصور نهايتها الزمانية أو المكانية.
- وجاء عن "تايلور" عالم الأنثروبولوجيا الثقافية وزعيم النزعة الإحيائية animism في كتابه "الثقافة البدائية" قوله: أن الدين هو الاعتقاد بوجود أرواح.

<sup>1</sup> - أليكس إنكلر: مقدمة في علم الاجتماع، الكتاب الخامس عشر، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، ط3، ترجمة: محمد الجوهري، وعلي شكري، والسيد محمد الحسني، ومحمد علي محمد، دار المعارف، مصر، 1978، ص 37. نقلاً عن:

Auguste Comte (H. Martineau, trans) the positive philosophy of Auguste Comte (New York: Blanchard, 1855), p.457.

- والأستاتيكا هي دراسة كيفية تداخل أجزاء المجتمع وتفاعلها مع بعضها البعض، وكيف تطورت المجتمعات وكيف تغيرت عبر الزمن . أليكس إنكلر: نفس المرجع والصفحة.

<sup>2</sup> - أليكس إنكلر: المرجع السابق، ص 38.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 40.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 42.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 72.

<sup>6</sup> - نبيل محمد توفيق السمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي، ص 24-25.

- ويقول ( ماكس مولر ) : " أن الدين هو في جوهره محاولة للتعبير عما لا يمكن تصوره والتطلع إلى الله باعتباره الكمال المطلق اللانهائي ، أو هو حب الله ."

- وفي دراسة لعلم الديانات لـ "إميل برنوف " أنّ الدين هو العبادة والعبادة عمل مزدوج فهي عمل عقلي حيث يعترف الإنسان بقوة سامية وعمل قلبي حيث يتوجه الإنسان إلى طلب الرحمة من هذه القوة ."

- وجاء في كتاب " مقدمة تاريخ الأديان " لـ (ريفيل revil) قوله: " أن الدين هو توجيه الإنسان سلوكه وفقا لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم ويطيب له أن يشعر بالاتصال بها ."

- وجاء في كتاب " لا دينية المستقبل " لـ (جويوه guiyau) قوله: " أن الديانة هي تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الإنسانية والشعور الديني هو الشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى يركزها الإنسان البدائي في الكون ."

- وجاء في كتاب " تعاليم خلقية ودينية " لـ (ميشيل ماير ) قوله: " أن الدين هو جملة العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله ومع الناس وفي حق أنفسنا ."

- وجاء في كتاب " العلم والديانات " لـ ( سلفان بيريسيه perisses) : "الدين هو الجانب المثالي في الحياة الإنسانية ."

- وجاء في كتاب " التاريخ العام للديانات " (سالمون ريناك S.reinach) : "أن الدين هو مجموعة التورعات التي تقف حاجزا أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا ."

- ويذهب جيمس فريزر : أن نشأة الدين تبدأ بظهور فكرة تقوم على أساس عبادة الأرواح الطبيعية أو أرواح الأفراد، أي أنّها تقوم على أساس الاعتقاد بوجود قوى غيبية غير مشخصة<sup>(1)</sup>.

المبحث الثالث: نظرة المدارس الفكرية إلى أصل العقيدة الدينية وتطورها.

**مطلب 1: أصل العقيدة الدينية وتطورها:**

استمر العقل البشري منذ أمد طويل وهو يسأل: عن العالم وعن الإنسان؟ ومن صنع العالم والإنسان؟ ومن يدبرهما؟ ومن أين جاء العالم والإنسان؟ وما هدفهما؟ كيف بدأ الكون؟ وكيف ينتهي الإنسان والكون؟ وما الحياة؟ وما الموت؟ وأي مستقبل ينتظر الإنسان بعد هذه الحياة؟

- الموقع الإلكتروني: Tasamouh.Om/ Index.phe/NUMS/ Vieu : 34/ 762  
( العبادات في الأديان من الطوطمية إلى التوحيد )

هل يوجد حياة بعد الممات؟ ما علاقته بالخلود؟ فلم يخلو مجتمع من وضع لهذه الأسئلة إجابات معينة جيدة أو رديئة، مقبولة أو سخيصة. فجاء على حد تعبير عباس محمود العقاد: ((أن مدركات الدين تشمل أصول الوجود وأسرار الخليقة وتتطلع إلى بواطن الغيب كما تتطلع إلى ما وراء حدود هذا العالم المحدود، كلما ارتفعت بها أشواقها إلى سماء الكمال المطلق: كمال الخالق المبدع لجميع هذه المخلوقات))<sup>(1)</sup>.

فتشير حركات التاريخ إلى أن العقيدة الدينية لا يمكن أن يستغني عنها الفرد في علاقته مع الجماعة البشرية أو فيما بينه وبين سريره، وكان للدين الأثر القوي في الحركات الإنسانية التي لا يشابهها قوة أخرى كالعصبية والوطنية والعرف والأخلاق ولا قوة الشرائع والقوانين، لأن قوة الدين ترجع إلى العلاقة بين المرء وبين الوجود بأسره، وظل العقل البشري يفشل في التوصل إلى معرفة كل ما يريد معرفته طالما أن هناك حدوداً لقدراته وإمكاناته حددها الخالق سبحانه وتعالى، ولعل تطلعه المستمر إلى الخلود ومعرفة كل شيء والسيطرة على كل شيء هي الأمور التي لازمت الإنسان منذ آدم \_ عليه السلام \_ وهي الإغراءات التي تفتح المجال إلى الشيطان للنفوذ منه إلى نفس الإنسان، كما حدث بالنسبة لآدم في الجنة: {فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى}<sup>(2)</sup>. إلى جانب جهل الإنسان بالقوانين التي تحكم الظواهر الطبيعية كالجبال والزلازل والبراكين، مما أدى إلى الانحراف عن الفطرة السليمة، وإنكار التوحيد أو عدم ظهوره عند العديد من المجتمعات، والذي لا يعني وجود عيب في العقيدة بل يوجد قصور في التفكير وفساد الاستنتاج والمروق عن الفطرة<sup>(3)</sup>. فهناك فريق ينكر فطرة النزعة الدينية ويدعي أن البشرية مرت بمرحلة لا تعرف الدين من مثل "كارل ماركس" القائل بأن الدين أفيون الشعوب، وفي القرن الثامن عشر نجد الكاتب الفرنسي "فولتير" من الذين زعموا أن الديانات إخضاع، والقوانين ليست إلا نظماً حديثة نسبياً في تاريخ البشرية، وأعراضاً طارئة عليها، بل ويذهب "فولتير" إلى القول بأن فكرة التأليه إنما اخترعها دهاء ماكرون من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء. وينظر فولتير في فلسفته للتاريخ إلى أن الدين مظهر فطري للمجتمع الإنساني وعن طريقه يتحقق السلام والوفاق بين مختلف الأفراد والجماعات، وإذا ما حاد عن وظيفته صار معول هدم وأساساً من أسس الصراع

<sup>1</sup> - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ص 14.

<sup>2</sup> - سورة طه، الآية 120.

<sup>3</sup> - نبيل محمد السمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي، ص 35.

والظلم. ونادى "ميكيافيلي" إلى ضرورة إخضاع السلطة الروحية للسلطة الزمنية ، ذلك أن السلطة الروحية لم تلتزم حدود وظيفتها الدينية وكثيرا ما كانت تلجأ إلى المؤامرات والدسائس ضد العناصر الوطنية، واعتبر "ميكيافيلي" الهيئات الدينية منظمات هدم وتفكك وفتنة أكثر منها هيئات وفاق وسلام ووحدة<sup>(1)</sup>.

ويظل الاعتقاد السائد عند المسلمين أنّ المفهوم الصادق للدين هو المفهوم القرآني الذي ينطبق على جميع الأديان التي نزلت من السماء ، ويسمّي الإسلام المذاهب المخالفة له بأثما دين ويعترف بوجود أديان أخرى وإن كانت قد انحرفت عن الفطرة السليمة مثل ديانة الصابئة<sup>(2)</sup>.

وأدى انقسام العلماء حول تحديد مفهوم الدين إلى مذاهب فكرية عديدة فمنها ما يرى أن الدين لا يطلق إلا على الدين السماوي الصحيح ، وهو دين التوحيد القائم على الاعتقاد بوجود الخالق المهيمن ، والذي ترجع إليه الأمور كلها، وبالتالي يعني هذا استبعاد كل الديانات الزائفة التي أساسها الابتكار العقلي، وأيضا استبعاد الديانات التي تتخذ آلهتها من السلالات الحيوانية أو النباتية ، أو من مظاهر الطبيعة ، أو من القوى الخارقة للطبيعة كعالم الجن والملائكة ، فكلها ديانات وثنية وإن أطلق عليها الإسلام أديان أو دين بالرغم من زيفها وزيفها عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ويذكر أبو زهرة أن بعض الباحثين في تبريرهم للظاهرة الدينية أنّه بالإمكان تسمية بعض أديان الشرق القديم أنّها دين مثل: البوذية<sup>(3)</sup>، والجينية<sup>(4)</sup>، والكنفوشوسية<sup>(5)</sup> لأنّها تقوم على أساس أخلاقي بحت وخالية من عنصر التأليه والعبادة. فبوذا ألهم أتباعه ولم يكن إله ، والصلاة عند البوذيين

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، ص 38.

<sup>2</sup> - ينظر الليدي دراوور: الصابئة المندائيون، (الكتاب الأول)، ترجمة: نعيم بدوي، وغضبان رومي، مطبعة الديواني، بغداد، ط 1987، ص 2.

حيث شمل على: كتب الصابئة ص 65، طقوسهم وشرائعهم، من ص 77 إلى ص 315، ثم تناول الكتاب: الألفاء الصابئة، ص 331.

<sup>3</sup> - ينظر محمد بوالروايح: مختصر تاريخ الأديان، المرجع السابق، ص 152 وما بعدها ، نقلا عن: حامد عبد القادر : بوذا الأكبر (حياته وفلسفته، (سلسلة قادة الفكر والشرق)، رقم 81 ، نهضة مصر، 1957، ص 34 ، حيث تناول حياة بوذا .

البوذية: ديانة تنسب إلى بوذا: (جوتاما بوذا)، الذي ولد في القرن السادس قبل الميلاد وعاش حياة الزهد والتقشف ، وبوذا ليس اسم علم يدل على شخص، وإنما هو لقب شرف ديني عظيم لدى الهنود \_ معناه الحكيم أو المستنير ، الذي يبذل جهدا روحيا للوصول إلى الحق. وفي ص 154 إلى ص 159 حديثه عن المذهب الأخلاقي في البوذية، وأهم الفضائل فيها وطرق اكتسابها مع بيانه للمآخذ على المذهب الأخلاقي في البوذية بعد تقييمه ونقده - وينظر فؤاد محمد شبل: حكمة الصين، (دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور)، دار المعارف ، مصر ، ج 1، بدون تاريخ ، ص 323 وما يليها.

<sup>4</sup> - ينظر محمد بوالروايح: المرجع نفسه، ص 151. عن الجينية: التي تنسب إلى الزعيم: (مها ويرا) أي البطل العظيم القاهر.

<sup>5</sup> - ينظر نفس المرجع ، ص 178. عن الكونفوشوسية: وهي إحدى ديانات الصين، تنسب إلى صاحبها الذي عاش في مقاطعة: شانتوغ" في آخر القرن 6 ق م ، وجاءت عقيدته نافية تماما للميتافيزيقا . وينظر أيضا: فؤاد محمد شبل: المرجع السابق، ص 63 وما يليها .

ليست للتقرب أو النجاة، وإنما لتهديب النفس وترويضها على الأخلاق، فهي على حدّ قول محمد أبوزهرة: مذهب بوذا إصلاحى اجتماعى خلقى أكثر منه دينى<sup>(1)</sup>، ((فكانت الفكرة الرئيسية لمذهب بوذا فكرة الألم، لأن الحياة عنده كلها إما ألم واقعى وإما سرور سريع حائل ينتهي حتماً إلى ألم محقق))، وانتهى به تفكيره إلى أربع حقائق أجملها محمد بالروايح ملخصة<sup>(2)</sup> فيما يلي:

أولاً: أنّ الوجود كله حزن وهمّ من الولادة حتّى النهاية.

ثانياً: الشهوة هي سبب الهمّ والغمّ والحزن لصعوبة تحقيق الإنسان لما يريد في الحياة.

ثالثاً: يتحرر الإنسان من الألم لما يتغلب على الشهوة فيقطع صلته بالمادة.

رابعاً: يقضي الإنسان على الألم بعمل الخير والفضائل والسلم وعدم الأذى.

والجينية هي أيضاً ديانة هندية تقول بوجود مادتين: جسد وروح؛ الأولى فانية والثانية خالدة ولكل روح غلاف مادي، ولكل روح مرتبة أدناها أرواح النباتات ثم الحيوان ثم الإنسان، وتقول هذه الديانة بقدوم العالم ولا تعترف بفكرة الخلق أو الإلهية. وتتفق الجينية مع البوذية في حياة التقشف والزهد وانكار الإله على خلاف الديانة البرهمنية ذات التعدد في آلهتها، ولكن بعد مجيء الأتباع للديانتين الملحدين حدث تأليه للزعيمين: مهاويرا وبوذا<sup>(3)</sup>.

إنّ هذه الآراء فيها محاولة لتجريد الدين من عنصر الألوهية الذي هو من أخص صفاته، وأن الشعائر العملية من عبادات في كل مذهب ديني هي بمثابة ترجمة حقيقية للعقيدة، ويؤكد الدين الإسلامي أصالة الدين في الإنسان من خلال حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه))<sup>(4)</sup>. وفي الأبحاث الاجتماعية لم يظهر مجتمع بلا دين أو بلا نظام ديني يتعلق بالمقدس وبالطقوس التي تقرب الإنسان إليه، عكس الذين أنكروا الدين والذين حاولوا إثبات أن الإنسان عاش فترة بلا دين مما يوحي بعدم فطرية النزعة الدينية، هو ما يفنده الواقع الذي يؤكد فطرية العقيدة والتدين. وقد خلق الله عباده حنفاء لقوله تعالى: { وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ

<sup>1</sup> - محمد أبوزهرة: مقارنات الأديان (الديانات القديمة)، دار الفكر العربي، ط: 1965، ص 70.

<sup>2</sup> - محمد بالروايح: المرجع السابق، ص 147.

<sup>3</sup> - ينظر أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية) مكتبة النهضة، القاهرة، ط: 1966، ص 194\_195.

<sup>4</sup> - رواه أبو داود: صحيح سنن المصطفى، ج 2، ص 275.

شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إننا كنا من هذا خافلين<sup>(1)</sup>. فإذا كانت البشرية قد بدأت بآدم — عليه السلام فقد كان آدم نبيا يعبد الله ومن آدم حتى اليوم لم يختف الشعور الديني عند الإنسان، ومنذ القدم ظل هذا الإنسان يتطلع بفطرته إلى ما وراء الطبيعة. ((الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية))<sup>(2)</sup>. وجاء في القرآن الكريم قول الله تعالى:

{ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنّه هو التّواب الرحيم، قلنا اهبطوا منها جميعا فإنا يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليكم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }<sup>(3)</sup>.

ولكن أسباب إنكار الدين تعددت عند بعض علماء الغرب ومدارسه المعارضة للأديان والمنكرة لها ، بسبب ما ورثته من تراث إغريقي متعلق بالآلهة وصراعها مع الإنسان، الأمر الذي سبب له الدمار والسقوط في معركة غير متكافئة معها، وهو ما يظهر في العديد من الأساطير الإغريقية التي ما تزال تؤثر في وجدان الفكر الغربي ، ناهيك عن التجربة القاسية لأوروبا في القرون الوسطى التي عاشتها في ظل حكم الكنيسة وآبائها الذين مارسوا أبشع أنواع الاستغلال الاقتصادي والظلم الاجتماعي والتحكم الإقطاعي باسم الدين ، من محاكم التفتيش وبيع الكنيسة لصكوك الغفران، وتحكم الآباء في جزء كبير من الأملاك الإقطاعية، وممارستهم للإستبداد السياسي في ظل نظريات زائفة تبرر لهم التسلط مثل: نظرية التفويض الإلهي المباشر وغير المباشر. والأمر الذي ساهم في الإنكار أيضا تصور الأوروبيين للدين والقانون كأدوات قهر وظلم واستغلال من موقع تجارهم التاريخية والمعاصرة في أوروبا ، ومن فساد القوانين الوضعية ، وسوء توزيع الثروات في أوروبا في العصور الوسطى والحديثة ، فهذا التراث الأوروبي بواقعه المرير هو الذي أدى إلى ظهور مجموعة من المفكرين يهاجمون الدين ورجاله وطوائفه ، أو يقللون من شأنه من مثل: فولتير وكارل ماركس، وميكيافيلي - الباحث السياسي الإيطالي- الذي قام بدراسة ظاهرة الدين من منظور سياسي محددة بأي أسلوب

<sup>1</sup> - سورة الأعراف الآية 172.

<sup>2</sup> - نبيل محمد توفيق السّمالوطي : المرجع السابق، ص 41.

<sup>3</sup> - سورة البقرة الآيتين 37-38.

دون تقيد بالقواعد الأخلاقية<sup>(1)</sup>. ومن الأسباب أيضا المساهمة في انكار الدين ، تلك التعريفات المتباينة التي جاء بها المفكرون الغربيون تتخذ من الدين المسيحي المرجع والنموذج ويستعرض -عبد القادر بخوش في مقالة له ( مفهوم الدين بين الفكر الإسلامي والمسيحي)- تعريفات لمفكري وفلاسفة الغرب حول مفهوم الدين<sup>(2)</sup> الذي هو على رأي " ماكسيم رودنسون" الذي يقول: " أن الغربيين ميالون بطبعهم إلى الحكم على جميع الأديان بحسب النموذج الذي اعتادوا على استعماله، وهو النموذج المسيحي ، وهي تعريفات أقرب للديانة المسيحية من غيرها ومنها:

- تعريف سبنسر للديانة: بأنها نوع من الإحساس يجعلنا نشعر بأننا نسبح في بحر من الأسرار.

- تعريف "فيورباخ" : أنّ الدين هو غريزة تدفعنا نحو السعادة.

-تعريف " برغسون" : يرى أن الديانة نوع من رد الفعل أو الهجوم المعاكس، تقوم به الطبيعة ضد ما قد يأتي عن استعمال العقل من انحطاط في الفرد وتفكك في المجتمع.

-تعريف " باستيد" : فيرى أنّ الدين نشاط رمزي ليس مراده فقط أداء شعائر وتزكية عقائد بل أن يفهم بشكل عام، وكأنّه نشاط ثقافي تام يتكلم عدة لغات.

- تعريف "ماكس ميلر": رى أن الدين هو محاولة تصور مالا يمكن تصوره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه هو حب الله.

هذا المنهج الذي ألفوه واستأنسوه كثيرا في تفكيرهم فأصدروا أحكاما على جميع الأديان بحسب ما اعتقدوه ومالوا إليه في المسيحية ، وبالتالي لم يستطيعوا أن يضعوا تعريفا شاملا للدين ولا لمفهوم الظاهرة الدينية أو أصل العقيدة، نتيجة ميل بعضهم إلى اعتبار فكرة الدين فكرة مقيدة للعقل والفكر أو ميلا إلى التعصب الديني المسيحي<sup>(3)</sup>. واتجهت أبحاث رجال الفكر الغربيين نحو دراسة الآثار التي يتركها الدين على الفرد والمجتمع ، ودرسوا الدين بناء على الأهداف التي يحققها من منفعة ، فعابت الحقيقة حول طبيعة الدين وجوهره وماهيته<sup>(4)</sup>. وحول الأهداف التي عني بها فلاسفة الغرب يحددها

<sup>1</sup> - ينظر عن مذهب حرية الإرادة: الموسوعة الفلسفية المختصرة: ترجمة : فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، مراجعة: زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، ص 411.

<sup>2</sup> - عبد القادر بخوش: مفهوم الدين بين الفكر الإسلامي والمسيحي ، مقالة يورد فيها بعض التعريفات لمفكري وفلاسفة الغرب حول مفهوم الدين نقلا: عن " يوسف شاخات ، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، لبنان ، دار الفارابي ، ط3: 2001 ص 49.

<sup>3</sup> - ينظر: نبيل محمد توفيق السمالوطي: المرجع السابق، ص 64.

<sup>4</sup> - عبد القادر بخوش: المرجع نفسه في مقالة له : نقلا عن "إبن سينا": الإشارات، المطبعة الخيرية ج 2، ط1: 1325 هـ ، ص 104.

"عبد القادر بخوش" بثلاثة: الهدف الإجتماعي ، والهدف النفسي والعاطفي، والهدف الفكري العرفاني<sup>(1)</sup>:

أ) فالدين يعد مستودعا للقيم الأخلاقية بحسب رأي "كانط" يسعى إلى إسداء خدمة نفعية مشتركة بين بني البشر، وهو بهذا التصور يقلص دائرة وظيفة الدين ومجال خدمته بحصره على الجانب الأخلاقي فالإنسان يشعر بحاجته إلى الله في مجالات كثيرة ، والتأكيد على الواجب الأخلاقي وحده قد ينفي الشعور بالواجب نحو الله والاستغناء عنه، والفرد قد ينشد ثواب الله قبل أن يهدف إلى تحقيق فائدة بعينها. وجعل الظاهرة الدينية وليدة المجتمع أنتجها البشر باعتبار أن الذين يحترفون المهنة الدينية هم من المجتمع، وهم يمثلون المقدّس في الحياة الاجتماعية لذلك فإننا لا نكاد نعثر في قاموس علم الأديان المقارن الغربي على مفاهيم حول النبي أو الرسول .

ب) \_ الهدف نفسي وعاطفي:

يضطلع الدين بوظيفة سامية في تلبية حاجات نفسية وعاطفية ، فالطقوس الدينية والشعائر التعبدية التي يقوم بها المتدين لها أبلغ التأثير في تلبية هذه الحاجات، من خلال قيامه بالطقوس الدينية ، فإنّ الفكر الغربي نظر إلى الدين باعتباره التّفعي من حيث إشباعه لأغراض نفسية وتغاضي عن المعيار القيمي الذي يميز الدين.

ت\_ هدف فكري عرفاني:

يسعى المتدين إلى التطلع إلى اليقين البرهاني والساكن النفس إلى العقد الإيماني في اعتلاء العروة الوثقى فيسمو سره على المقدّس لينال من روح الإتصال.

في حين رأى البعض أنّ الدين ظل بجانب الإنسان يجيبه عن الأسئلة الكثيرة التي شغلت باله، حتى ولو كانت إجابات ساذجة فهي تعبر عن مضمون فكري ، ولولاها لاعتبرت الفلسفة ديناً، رغم قصور التعريفات المسيحية الغربية للدين ، فالذي استطاع الإمام بمضمونه وسبر أغواره هو الوحي والنبوة. وتمّ في خضم هذه التعريفات تحديد ماهية الدين بناء على الخصائص والعناصر الجوهرية التي تميز النزعة الدينية والشعور الديني من خلال معرفة الخصائص التي لا تقصي أي دين عرفه الإنسان.

<sup>1</sup> - المرجع السابق ، ص 104.

يقول "عبد الله دراز": (( فالدين ينظر إليه أولاً من حيث هو حالة نفسية داخلية بمعنى التدين، فهو اعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية لها شعور واختيار، ولها تصرف وتديير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على منجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد، وبعبارة موجزة هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة، أمّا إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجية، فالدين هنا هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها))<sup>(1)</sup>.

ويرى العلماء أن البشرية عرفت منذ القدم ترقى في العقائد كما حصل لها ترقى في العلوم والاختراعات التي أبدعتها عبر العصور، فالإنسان البدائي كانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى كما كانت علومه واختراعاته، بل كانت محاولاته في البحث عن التدين أطول من محاولاته في سبيل العلوم والصناعات التي اختارها لكون معرفة حقيقة الكون أطول طريقاً من فروع العلوم والاختراعات<sup>(2)</sup>، بالرغم من الدراسات الدينية التي أسفرت عن اكتشاف كثير من الضلالات والأساطير التي آمن بها الإنسان الأول ولا تزال لها بقية شائعة بين القبائل البدائية في العصر الحديث. فأصول الدين في العصور القديمة لتاريخ البشرية الأولى لا يدل على بطلان التدين، ومما يثبت أن الأولين لم يعرفوا حقيقة الكون كاملة منزّهة عن الشوائب والضلال، والنقص في عبادات البدائيين أمر مفروغ منه غير أن طلب الروح للعقيدة الدينية أمر ثابت، وأنّ إنكار الحاسة الدينية لرداءة العقيدة الأولى أو سخر موضوعها هو كإنكار المعدة في الجوف لرداءة المأكول من الطعام، فالحاسة الدينية بعيدة الغور في طبيعة الإنسان، وضعف الإيمان شذوذ يناقض طبيعة التكوين وينم عن خلل في الكيان، فالعقيدة متأصلة في الطبع الإنساني منذ القدم، وهو ما أثبتته المدارس التي تحدثت عن نشأة العقيدة الدينية، ومنها:

**مطلب 2: مدارس نشأة العقيدة الدينية وتطورها:**

**أ - من منظور المدرسة الإحيائية (الروحية):**

يرجع البعض إلى أن أصل الاعتقاد بالألوهية يعود إلى ملكة الاستحياء ANIMISM بحسب رأي "إدوارد تايلور"<sup>(3)</sup> وأن الإنسان الأول كان كالطفل في تحيّله للأشياء، وتمثله لها في صور

<sup>1</sup> - الدين ، ص 44.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد : الله . جلّ جلاله ، ص 7.

<sup>3</sup> - المير اسماعيل علي: السلالات البشرية ، مؤسسة عز الدين للطباعة ، بيروت، ط 1، 1982م، ص 208.

الأحياء ، فالنجوم أرباب حيّة تشعر وتسمع وتطلب ما يطلبه الحي ، وكذلك الرياح والسحب والنياييع ومظاهر الطبيعة على اختلافها، فإنّ الإنسان الأول خافها رهبة ورغبة. فيرى " تايلور" أن نشأة الظاهرة الدينية والإيمان بالأرواح وتأليها ترجع إلى تجارب مباشرة وواقعية في حياة الإنسان البدائي ، وأن ما يصيبه من خير أو شر يرجع إلى تأثير عالم الأرواح الأمر الذي حدا به إلى التقرب منها ومحاولة إرضائها من خلال القرابين والأضحيات<sup>(1)</sup>. فالإنسان توصل إلى فكرة الإله من خلال التجارب الذاتية متمثلة في الرؤى والأحلام ومحاولة تفسير أسباب ما ينزل من خير وشر ((ونشأت هذه الفكرة على رأي " تايلور" عن اعتقاد الإنسان البدائي في الحياة المزدوجة بين يقضته ونومه، ومن ذلك ثبت للبدائي أنّ فيه كائنا آخر غير الجسم يستطيع في ظروف معينة أن يترك الجسم ويتعد عنه. فاعتقدوا للنفس قوّة عجيبة تستطيع الاتصال بأجسامها وتؤثر عليها بالضر والنفع، ولا يستطيع الإنسان أن يتصل بها إلا بمراعاته لطقوس خاصة، ولما كان الموت هو بداية تحول هذه النفس إلى روح مقدّسة فإنّ أول عبادة إنسانية إنّما اتجهت إلى الموتى، إلى نفوس الأسلاف))<sup>(2)</sup>، وهذا عكس المدرسة الطبيعية عند مللر" و أنّ الإنسان توصل إلى فكرة الإله من خلال التأمل في مظاهر الطبيعة<sup>(3)</sup>.

أ- (عبادة الأسلاف):

هي أصل الدين ونشأته عند "سبنسر" أو ما تسمّى بمدرسة ما قبل المادة الحية (المانا)، وكما اعتقد تايلور فيما ذهب إليه من نشأة الدين بحسب المدرسة الروحية ، يرى "هربرت سبنسر" أن الإنسان الأول كان يؤمن بحياة الأرباب فبعد الأسلاف ، فكان يرى الأطياف في المنام فيحسب أنّها باقية ترجى وتخشى، وتحاسبه كما يحاسبه الآباء وهم على قيد الحياة<sup>(4)</sup>. فإنّ ظواهر الأحلام إن هي إلاّ تجارب واقعية تحدث في أثناء النوم وتفترض نوعا من التجسيد يكون قادرا على التجوّل ، بينما يكون الجسم نائما<sup>(5)</sup>. في حين تعرّض هذا الرأي إلى الانتقاد بالقول أنّ النائم يرى أطياف الغرباء كما

<sup>1</sup> - ينظر: فاروق مصطفى اسماعيل: الأنثروبولوجيا الثقافية (دراسات عقلية في الثقافات الفرعية) ، دار الجامعية ، الإسكندرية، مصر، ج1، ط1، 1984م، ص 241.

<sup>2</sup> - محمد بوارويح: مختصر تاريخ الأديان، ص 27، في إحالته لنا على: علي سامي النشار: نشأة الدين ، ص 33، و ص 38.

<sup>3</sup> - ينظر محمد عبد الله دراز: الدين، (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) ، ص 114.

<sup>4</sup> - فاروق مصطفى اسماعيل: المرجع السابق ، ج1، ص 244 ومايليها ، وفي ج 2 ، ص 288. وفي ص 428، تحدث عن عبادة الأسلاف عند مجموعة قبائل (الدنكا) في السودان التي تعتقد أن أجساد أسلافهم بعد موتها تساعدهم على الشدائد وتحقق لهم ما يريدون، ثم لا تلبث أن تفارقهم، ومن ثم يستردون عطفها من حين لآخر ، ويقدمون لها القرابين.

<sup>5</sup> - سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري ، ص 24.

يرى أطياف الآباء، ويرى أطياف الحيوانات التي يخافها في يقظته فلا يعبدها، بل يقتلها، إلى جانب أنّ البدائي ينظر إلى جميع الأشياء كمنظرته إلى الحيّ، فلماذا لم يعبد جميع الأشياء؟ مما يوحي ولا شكّ أنّه قد عرف قبل هذه العبادة وصف للرّوبية يميّز به طائفة من الكائنات عمّا سواها، ويرى ذلك الوصف موفورا في هذا الشيء وغير موفور في سواه. وقد ذكر بعض العلماء أن أقزام أفريقية الوسطى يؤمنون برب عظيم فوق الأرباب، ووجدت قبائل بدائية همجية لم تعبد الأسلاف، ونظرت إلى الطبيعة أنّها مسخرة لروح عظيم<sup>(1)</sup>. لقد ترافعت أقوال بعض علماء الإحتماع أن عبادة الأسلاف هي أول دين ظهر على وجه الأرض ويفنده "دوركايم" بالذهاب إلى أنّ عبادة البشر أو أرواح البشر لم تعرفها المجتمعات الإنسانية إلاّ في وقت متأخر نسبيا من التاريخ، ولم تعرف إلاّ في المسيحية في صورة المسيح الذي إلتقى فيه الجانب اللاهوتي والتناسوتي، وهذا التصور له علاقة بتشكيل المسيحية وتأليه المسيح. كما هو عند الإغريق والرّومان التي كانت آلهتهم تحمل صفات إنسانية وإن كان يرمز لها برموز حيوانية<sup>(2)</sup>. وتسمّى القوّة الخفيّة المنبثقة في العالم التي تدخل أجسام الرّعماء والرّؤساء فيصبح لديهم القدرة على التأثير عليها والتحكّم من خلال مجموعة من الممارسات السحرية، ولها القدرة الخارقة على التشكّل وعلى الحلول داخل الأشخاص ومنحهم خصائص خارقة. وأن هذه النظرية زائفة ومرفوضة وهذا التصور من عمل مخيلة الإنسان القادرة على تشخيص المعنويات وتجسيم الجردات بحسب رأي "برجسون"<sup>(3)</sup>. ويعلّق "السمالوطي" على هذا الرأي بقوله: ((إنّ نظرية "برجسون" التي أحالت فكرة الألوهية في مظهرها الإجماعي والمستقبلي \_ عند العامة \_ إلى فكرة رمزية زائفة وأنّ فطرة الإنسان التي تتجه به نحو الله لم توجد إلاّ لتحقيق انضباط الإنسان والتزامه بقوانين المجتمع، وهذا قول زائف ذلك أنّ الألوهية \_ حتى عند العامة \_ تعني وجود إله حقيقي قادر وخالق، وفطرة الإنسان السليمة نزعة أوجدها الخالق سبحانه لتصل الإنسان بالخالق وتتلقّى الهداية عنه حتى تستقيم حياته في الحياة الدّنيا وليس الأمر كما ذهب إليه "برجسون" للانصياع لضوابط ونظم وقواعد المجتمع أيّا كان<sup>(4)</sup>). وهي قوة تختلف في طبيعتها عن القوة الفيزيقية وتستطيع أن تعمل في طرق متباينة

<sup>1</sup> - ينظر دراسة: محمد بالروايح: المرجع السابق، ص 24، حول الخصائص العامة للدين.

<sup>2</sup> - نبيل محمد توفيق السّمالوطي: المرجع السابق، ص 75. وينظر: ص 77.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 81.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 83.

لتحقيق الخير والشر، وأن لديها القدرة على السيطرة والفعل بالنسبة للأشياء ، وهي قوة ذات طبيعة مجردة تسمى " المانا"<sup>(1)</sup>.

ب- السّحر:

يرجع البعض إلى أن أصل الدين هو السحر وهو أصل العبادة وأصل الشعائر الدينية. ويرد على هذا الاتجاه أن السحر يستلزم وجود الأرواح التي تعالج به، والسحر لا يخلق الآلهة وإنما يخلقه السحرة والكهان، الذين يخدمون تلك الآلهة، والسحر طبيعته غير طبيعة العبادة، لأن السحر يختص بالأمور الخبيثة ووسائله دنيئة، أما العبادة فلم تخل من التوسل إلى الخير والرجاء في كرم المعبود، ولا يمكن أن يزعم أنّ النَّاس سحروا ثم عبدوا، بل يزعم أن الناس عبدوا ثم سحروا، لأنّ السحر اختراع لا معنى له ما لم يسبقه إيمان بالمعبودات التي يروضها السحرة ويخافها العباد.

ج- الخوف والضعف :

من العلماء من يجعل أصل الظاهرة الدينية هو ضعف الإنسان أمام مظاهر الكون من القوى الطبيعية والأحياء، فلكي يحس بالاطمئنان توجه إليها بالصلوات في محنه وبلواه، ولكن الواقع يبيّن أنّ الضعف لا يعلل العقيدة الدينية كل التعليل، لأنّها تصدر من غير الضعفاء ، فقد كان الأنبياء والدعاة إلى الأديان أقوياء من ذوي البأس والخلق والرأي السديد، ومهما تكن الصلة بين ضعف الإنسان واعتقاده فهو لا يزداد اعتقاداً كلّما ازداد ضعفاً، وما زال ضعفاء النفوس ضعفاء العقيدة، وذوو القوة في الخلق ذوو قوة في العقيدة كذلك، والعقيدة تعظم في الإنسان على قدر إحساسه بعظمة الكون وعظمة أسراره وخفاياه، لا بضعفه.

إن عبادة الأسلاف ليست هي العقيدة الأولى التي ظهرت في الوجود إذ أورد "محمد بوالروايح" ردود دوركايم على النظرية الحيوية (الروحية) في نشأة العقيدة الدينية بناء على البحث العلمي لمحمد عبد الله دراز الذي يقول: (( ولقد وجه دوركايم كل قوّته الجدلية لمهاجمة هذه النقطة الضعيفة في النظرية مبيناً أن البدائين ليسوا في حاجة إلى تفسير ظاهرة الإحلام، وأنهم إن احتاجوا إلى تفسيرها فليس الطريق التي وصفته النظرية . . أن تجربة الحلم إن سلمنا أنّها تكفي للإعتقاد بالروح فإنّها لا تكفي بمجردا

<sup>1</sup> - فاروق اسماعيل: تأثير الإسلام على الوثنية ، دراسة أنثروبولوجية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1987م، ص129

. ينظر المرجع نفسه، ص 135. في تعريفه لـ "المانا" وهي: تلك القوة التي تكمن في الأشياء ، ومن ثمّ تكون مصدراً للشّر لمن يلمسها ومنها جاء اصطلاح "التابو" في مقابل "المانا" للإشارة إلى القواعد التي تحرّم الأشياء أو الأفعال، ويمكن القول أنّ الكلمة تعني: لا ينبغي لك أن تفعل كذا.

لتحليل الاعتقاد بألوهية مصدرها، فإن من الرؤى ما هو هذيان وأضغاث أحلام ، ومنها ما هو مجرد ذكريات ماضية عادية، وليس شئ من ذلك يثير عقيدة التأليه، وإنما يثيرها نوع خاص، وهو الرؤى التي يتجلى فيها معنى الوحي والإلهام بحوادث غير متوقعة، أو بحقائق لا تدرك بنور العقل البشري العادي، ومن جهة أخرى فإنه لا يعرف في أمة من الأمم أن احترامها للموتى أو الأسلاف وصل بها إلى عبادة جميع الموتى أو جميع الأسلاف<sup>(1)</sup>.

## ب\_ من منظور المدرسة الطبيعية :

المدرسة الطبيعية بحسب رأي "ماكس مولر" ترجع انبثاق الشعور الديني لدى البشر إلى تأمل الطبيعة بمظاهرها المختلفة، التي تبعث مشاعر الخوف والرغبة والتعجب والحيرة والدهشة والعجز((ويرى أصحابها أن الدين محاولة أولى من جانب العقل الإنساني لتفسير الظواهر الطبيعية وقد اهتموا إلى ذلك بما يرونه من تناسق وانتظام في الكون، فنسبوا هذا التناسق والانتظام الكوني إلى قوة قاهرة مستقلة))<sup>(2)</sup>، وقد استعان عالم اللغة "ماكس مولر" في تفسيره لنشأة الظاهرة الدينية بعدة متغيرات وعوامل هي:

أ\_ أن التجربة الحسية هي التي تخط مختلف الخبرات على العقل الذي يشبه الصفحة البيضاء.

ب- شعور الإنسان بالرغبة والدهشة والعجز نحو مختلف الظواهر الطبيعية التي تحيط به. ويسمى هذا بالعامل النفسي، وهو شعور يتولد عن تأمل الطبيعة ويؤدي إلى الإحساس بأنه محاط بقوة خفية لها استقلالها وقادرة على التأثير على الطبيعة وعلى الإنسان، ولا يستطيع الإنسان إزاءها دفعا أو قهرا أو منعا.

ت- إن عبادة وتقديس مظاهر الطبيعة تمثل الشكل الأول من أشكال نشأة الظاهرة الدينية عند الإنسان أو داخل مجتمع الإنسان.

ويركز "مولر" أن الطبيعة تثير في نفوسنا الإحساس باللامتناه والغموض وأن الإنسان في البداية يقدر آلهة ، غير أن ما لبث أن أدرك عظمة إله واحد من بينها إستأثره بالعبادة دون سواه. ويذهب أحد رواد هذه المدرسة "جيفونز" الإنكليزي في دراسة له بعنوان(مقدمة في تاريخ الأديان) :(( أن مظاهر الطبيعة العادية غير العنيفة أو القاسية لا تستطيع أن تستثير الشعور الديني في نفوس البدائيين

<sup>1</sup> - مختصر تاريخ الأديان، ص 27\_28 في إحاثة على: محمد عبد الله دراز، ص 135.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 24.

كالشمس والقمر لأن استمرار وجودها أمامهم يحدث الألفة بها، أما مظاهر الطبيعة المخيفة لندرتها وعنفها وفجائيتها مثل الرعد والعواصف الشديدة والصواعق والبرق والظوفان والزلازل والخسوف والكسوف، فإنها تهدد أمن الإنسان البدائي وتفزعوه وتدعوه للتفكير في مصدرها وكيفية تجنب شرورها فينتقرب إليها اتقاءً لشرها<sup>(1)</sup>.

قامت المدرسة الطبيعية على أساس مسلمة الاتجاه التجريبي القديم ، أنه لا يوجد شيء في العقل إلا إذا كان سبق أن وقع في الحس والتجربة، وإن صدق هذا فإن هناك ميولا فطريا أو استعدادات قبلية لا بد من وجودها حتى توجد ظواهر محددة. فالخبرة والتجربة لا تجدي وحدها فلولا وجود استعداد للتطق والكلام لدى الإنسان لما استطاع التحدث، ويعدّ الدين ضمن هذه الاستعدادات الفطرية عند الإنسان، ولو كان الباعث على العقيدة هو الضعف أمام الطبيعة والتماس الطريق للحصول على خيراتها واتقاء شرها لكانت الديانات ضربا من الخرافة، لأنه ليس بالدعاء والصيام والطقوس وتقديم القرابين للطبيعة يكون استدرار الأمطار أو التخلص من الزلازل واتقاء البراكين والحر والبرد ، فالقول أن البدائيين ينطلقون في الإيمان من الشعور بالقوة والقدرة على تسخير الطبيعة ليس صادقا على علاته ومناقض للواقع<sup>(2)</sup>. ويذهب "مولر" إلى أنّ الدين هو اللغة التي يعبر بها الإنسان عن هذا الإحساس الغامض الذي يأتيه عن طريق الحواس، والشعور الديني<sup>(3)</sup>.

ث- الدين من منظور الأسطورة:

يرى بعض العلماء أنّ الأساطير هي أصل الدين بين القبائل البدائية المعروفة بقبائل لهمج، وهو رأي لا يرفض كله ولا يقبل كله، لأن عقائد هؤلاء تلبست بالأساطير ومن الصعب أن نرفض القول بالعلاقة بين الأسطورة والعقيدة، وليس من السهل أن نطابق بين العقيدة والأسطورة في كل شيء<sup>(4)</sup> ، لأن العقيدة قد تحتوي الأسطورة ولكن الأسطورة لا تحتويها، فعناصر العقيدة لا يشتمل عليها عنصر الأسطورة وهي زيادة الإلزام الأخلاقي والشعور الأدبي بالطاعة والولاء والأمل في المعونة والرحمة من جانب الرب المعبود<sup>(5)</sup>، وفي مدخل للأسطورة تعريفها ومنهجها فإن الأسطورة اشتقاقا من سطر، أي

<sup>1</sup> - نبيل محمد توفيق السماطوي: المرجع السابق ، ص 66.

<sup>2</sup> - المرجع السابق ص 68.

<sup>3</sup> - محمد بوالروايح: المرجع السابق، ص 24.

<sup>4</sup> -Mircea Eliade : Aspects du Mythe, éditions Gallimard, 1963. (la structure des mythes ) , p9 .

<sup>5</sup> - خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي ، دار الطليعة ، بيروت، ط3 ، 1986، ص 8.

ألف الأساطير أو الأحاديث التي لا صلة لها، أو هي الأحاديث العجيبة، الخارقة للطبيعية وللمعتاد عند البشر. أو هي حكاية عن كائنات تتجاوز تصورات العقل الموضوعي، وما يميزها عن الخرافة هو الإعتقاد فيها؛ فالأسطورة موضوع اعتقاد. (فهذه الملاحظات تقودنا إلى فصل الأسطورة عن القيم الأخلاقية والمحرمات الدينية، فهي لغة الشعب في مرحلة معينة من مراحل تطور رموزه الاجتماعية)<sup>(1)</sup>. ففي مدخل بحث عن الأساطير التي ازدحمت بها المخيلة البشرية يشير "صموئيل هنري هووك" أن هناك غموض يكتنف معنى واستخدام مصطلح الأسطورة، حيث يركز التمييز المعتاد بين الأسطورة Myth والحكاية الأسطورية، والمآثرة الشعبية والقصة الشعبية، على معايير أدبية وهي كالآتي<sup>(2)</sup> :

أ\_ الحكاية الأسطورية: هي في الأصل قصص حياة القديسين التي تقرأ في الكنائس، أصبحت الآن تعني الحكاية أو القصة تكون بين الأسطورة والحقيقة التاريخية.

ب\_ المآثرة الشعبية: هي قصص نثرية تروي حياة ومآثر بطل شعبي شهير أو أسرة أبطال، وتنتمي أصلاً إلى الإرث الشفهي المحكي.

ت\_ القصة الشعبية: الحكايات الشعبية ذات الطابع العام المتصل بتراث وتقاليد شعب ما أو مجموعة شعوب متقاربة في ثقافتها.

غير أن "هنري هووك: يؤكد في بحثه في الأساطير أنّ البشرية في الماضي طيلة أحقاب هائلة من الزمن عاشت دون إحساس بالحاجة إلى التاريخ ، لكن الأسطورة ، وقبل ظهور أقدم أشكال التسجيل التاريخي، كانت لها وظيفة حيوية في حياة الجماعة وساعدت كجزء جوهري من الطقس في ضمان تلك الشروط التي اعتمدت عليها حياة الجماعة<sup>(3)</sup>، حتى قال أحد المنتسبين للمدرسة المادية المركسية: أن الفلاسفة عرّفوا الإنسان بأنه حيوان ناطق وإذا كان الإنسان حيواناً ناطقاً فلا شك كذلك بأنه " حيوان خرافي". فكما أنه الحيوان الوحيد الذي يتصف بالنطق فإنّ الحيوان الوحيد الذي ينسج الخرافات والأساطير ويحوّلها إلى ميثولوجيات معقدة يؤمن بها إيماناً جازماً كما لو كانت حقائق واقعة لا ريب فيها<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، ص 7.

<sup>2</sup> - ينظر: صموئيل هنري هووك : منعطف المخيلة البشرية ( بحث في الأساطير)، ترجمة: صبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع،

الأذقية، سورية ، ط1، 1983م ، ص9.

<sup>3</sup> - منعطف المخيلة البشرية ، ص ص 10-11.

<sup>4</sup> - صادق جلال العظم: نقد الفكر الديني، دار الطليعة ن بيروت، ط1982، ص ص 57-58.

هذه هي فكرة الملحدّين عن الله أشبه بفكرة اللّقيط عن أبيه لا يعرفه ولا ينصفه<sup>(1)</sup>، ووجدت جمهورهم تفكّر بهذا الإله عن تقليد أعمى وغرور بليد، فهم يحسبون أنّ العلم والإيمان ضدّان، وأنّ الإرتقاء الثقافي يصحبه حتما إقصاء الدّين عن الطريق<sup>(2)</sup>. ولا شك أنّ الإنسان يسمع الأسطورة ولا يتدين بها ويتدين بالعقيدة ولا يلزم من ذلك أن تصطبغ أمامه بصبغة الأساطير، فليس كل أسطورة عقيدة وإن كانت كل عقيدة في الجاهلية الأولى قد تلبّست ببعض الأساطير، والأساطير لا تتجاوز الأوصاف الرّمزية، والمشابهة الفنية التي طبع عليها الخيال، فهي ترجع إلى ملكة التجسيم والتصوير، ولا ترجع إلى ملكة الاعتقاد<sup>(3)</sup>، فالإنسان تدين منذ أوائل عهده لأنه أحس بروعة المجهول وعظمته وأنّه مثل لهذه الرّوعة بأعظم ما يراه في الكون وهو "الشمس" فهي محور الأساطير والعقائد<sup>(4)</sup>.

وتعني الأسطورة في كل اللّغات الأوروبية شيئا ممثولا موهوما، متخيلا، وكل أسطورة تحكي أو تروي شيئا ما، وتدل على كيفية ولادته، وتعتبر تاريخا حقيقيا لأنّها تروي كيف تواجدت الأشياء الواقعية تخالف الأسطورة عن الخرافات، والحكايات التي يطلق عليها المرويّات التاريخية الفاسدة أو الباطلة<sup>(5)</sup>. والأساطير لا تروي فقط أصل العالم والحيوانات والنباتات والإنسان، بل تروي أيضا جميع الأحداث الأولى التي تصور الإنسان بعدها في صورته الراهنة: أي انسانا فانيا جسمانيا، منتظما في مجتمع، مكرها على الشغل ليعيش، وعمالا وفق قواعد معينة<sup>(6)</sup>. ويذهب "مولر" إلى أن الإحساس بالمعاني يسبق اختراع الكلمات، فالإنسان الأول لم يضع في لغاته كلمات لبعض الألوان مع أنّها قديمة

<sup>1</sup> - محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، السؤال رقم 3 ( هل يستطيع الإنسان السوي الرشيد أن يعيش بلا إسلام)؟ ص ص 13-14.

<sup>2</sup> - عبد الودود شليبي: كيف أرى الله؟ ط2، دار الشروق، بيروت، 1977، ص 55.

<sup>3</sup> - خليل أحمد خليل: المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1984م، ص 110. يستعمل الوصف ( الرمزي) للدلالة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، وفي مصطلح علماء الاجتماع الفرنسيين ( دوركيم) استخدم الوصف الرمزي في مجال الأساطير والطقوس والأضحية الصلاة.. فهو يفسر المعتقدات والعبادات والطقوس الإستحرامية تفسيرا رمزيا، لا تفسيرا حرفيا، ويرى أن الأقدمين لا يكرمون النبات والحيوانات، وإنما يكرمون المجتمع، ذلك الشئ الذي يجسده الحيوان والنبات .

<sup>4</sup> - ينظر: صموئيل هنري هووك: المرجع السابق، ص54 وما يليها حول الأساطير الأوزيرية، وأساطير ( رع) إله الشمس.

<sup>5</sup> - ينظر صموئيل هنري هووك: المرجع السابق، من ص 9-15: تناول بالبحث في أنماط الأسطورة وانتشار الأساطير، وانحسارها، ومن هذه الأساطير: أسطورة الطقس، أسطورة الصلاة، أسطورة العبادة، أسطورة الصيت (ذبوع الصيت)، أسطورة البعث .

\_ من ص 16-52 تناول: أساطير أرض الرافدين وعند البابليين ومنها: أسطورة تموز وعشتار، و الخلق والطفوان، وأسطورة جلعاش .

\_ من ص 53-64 تناول أساطير المصريين القدماء ومنها: أسطورة أوزوريس، وأساطير "رع" الإله، الشمس، وأساطير النيل.

\_ من ص 87-136 أساطير عبرية ومنها: أسطورة الخلق، أسطورة قابيل وهابيل، أسطورة الطفوان وبرج بابل، أسطورة كل من

يشوع، وتابوت العهد، وإيليا، وأليشع، والأساطير الواردة في الرواية اليهودية من خلال سفر دانيال .

\_ من ص 136-149 أساطير العهد الجديد ومنها: أقاصيص الولادة ليسوع، والبعث، والطقس.

<sup>6</sup> - خليل أحمد خليل: المرجع السابق، ص ص 15-16.

محسوسة بالنظر موصولة بتجاربه اليومية، فإذا بحثنا عن لفظة تدل على معنى اللانهاية فلم نجد لها في لغات الإنسان القديمة، فليس ذلك بدليل على أن المعنى النفساني غير موجود أو غير محسوس. والقول بأن إدراك الممجي لفكرة اللانهاية هي بعيدة التصديق، فلو كان قد أدركها قبل أن يتدين لتنزهت عقائده الأولى عن السخف، ولا يسلم من فساد الذوق . ونسجل اعتراضات بعث الباحثين في حقل العقائد الدينية من حيث النشأة والتطور، أنّ المدرسة الطبيعية بنظرياتها لم تصمد أمام النقد، فقد وجه إليها "محمد عبد الله دراز" انتقادا لها بأنه قد تنجح هذه النظرية في تعليل الأساطير ولا تصح تفسيراً لنشأة الدين أو الظاهرة الدينية<sup>(1)</sup>. واعتراض آخر "للعقاد" من أنّ العقيدة الدينية مستمدة من روح العظمة والقدرة في مواجهة الطبيعة، لا من روح الضعف والخضوع لها، فلو كان باعث هذه العقيدة هو الضعف أمام الطبيعة، وإلتماس الطريق لاجتلاب خيرها، واتقاء شرّها ، لكانت الديانات كلها ضرباً من الخرافة<sup>(2)</sup>.

### ت- من منظور مدرسة الغريزة الجنسية:

يميل "فرويد" إلى أنّ العقيدة الدينية تعود إلى الشعور بالخوف في وسط العناصر الطبيعية، وأنّ الهروب من آلام الواقع يتولد عنها الهروب إلى التعزي بالأوهام كالطفل الذي يرى أنه قد كتب عليه أن يظل طفلاً ما طول حياته ، وأنّه لن يستغنى عن حماية في وجه القوى الجبارة المجهولة فيخلع عليها صورة الأبوة، ويخلق لنفسه آلهة يخافها ويرجو أن يستميلها لتحميه<sup>(3)</sup>. وبحسب -رأي فرويد- تؤدّي حالة الطفل الذي يشعر بقلّة حيلته ولا يقوى على الحرمان من حنان الأبوة إلى حالة الكبير الذي يشعر بقلّة الحيلة ويفتقر إلى نوع من الحنان الأبوي فيجده في الدين<sup>(4)</sup>. ويردّ على هذا الرأي بأنّ العقيدة الدينية لا يمكن أن تكون حالة مرضية في الفرد والجماعات، فلا يمكن أن نتصور حالة نفسية هي أصح من حالة البحث عن مكان الإنسان من العالم الذي يعيش

<sup>1</sup> - محمد بوالروايح: مختصر تاريخ الأديان، ص 25.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد : الله\_ جل جلاله (كتاب في نشأة العقيدة الإلهية)، ص 10\_11.

<sup>3</sup> - ينظر: أنيس منصور: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 1986، ص7، ص131. ويشير إلى أنّ سيجموند فرويد مؤسس علم "التحليل النفسي" ولد في مدينة فرايبورج ( 1856\_ 1939) الموجودة الآن في تشيكوسلوفاكيا التي كانت جزءاً من الأمبراطورية النمساوية ، وعندما بلغ الرابعة من عمره انتقلت أسرته إلى فيينا... حيث بقي معظم حياته، حتى توفاه الموت في لندن لما قرّر إليها سنة 1938 م خوفاً من قوات النازي النمسا.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 132.

فيه وهو في حالة مرضية، فمرحلة الشعور بالأبوة مسبوقة لا محالة بمرحلة أخرى قد نشأت فيها الأرباب والعبادات، وليس أكثر الناس اعتقاداً أكثرهم ضعفاً. ويرى الباحثون أن " فرويد " يرمي بنظرياته وآرائه دون أن يقدم لها البرهان العلمي أو السند الواقعي ، وأنها تقوم في أغلبها على الافتراض ثم تصديق ما يفترض فيني عليه وكأنه حقيقة علمية ، فأثبتت الدراسات أن الدافع الجنسي يأتي في مرتبة أدنى من كثير من الدوافع الأخرى كالذوافع إلى الهواء أو الشراب أو الطعام ، ثم أنّ الدافع الجنسي يخضع للتربية ، بمعنى أننا نستطيع تربية الإنسان على العفة بحيث يضبط دافعه الجنسي ويتحكم فيه ، وبذلك تكون العفة أمراً ليس ممكناً فحسب بل ضرورياً<sup>(1)</sup>.

### ث- من منظور المدرسة الاجتماعية:

وضعت هذه المدرسة تصوراً خاصاً للدين يقوم على أساس التمييز بين قسمين: العقائد، والعبادات:  
أ- قسم العقائد:

وتمثل العقائد في مجموعة من الحالات الفكرية أو التصورات العقلية، وتقوم أساساً على تقسيم الوجود إلى ما هو مقدس وما هو علماني، وليس من الضروري أن يكون الشيء المقدس إلهاً ، فقد يكون في شكل طوطم حيوان أو نبات أو جماد أو مظهر من مظاهر الطبيعة<sup>(2)</sup>. و في العديد من المجتمعات الوثنية كَوّن الانسان لنفسه اسماً من الإله لفرض سلطانه وإرادته ورغبته على الآلهة تلبية لحاجاته وتطلعاته، وإذا لم تحقق الآلهة حاجاته تعرضت لمختلف ألوان السخرية، فالإله يقوم بوظيفة اجتماعية ويعد مسؤولاً عن آرائها، فإذا فشل تعرض لعقاب الجماعة<sup>(3)</sup>.

### ب- قسم العبادات:

فالعبادات هي مبادئ عملية تتعلق بالتقرب من المقدس، وهي عبارة عن طرق عملية أو جوانب سلوكية يجب على أعضاء المجتمع القيام بها اتجاه الأشياء المقدسة، فالدين هو مجموعة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى بالملّة، وهي أصل التصور الديني من خلال ما تفرضه من محرمات تكون مصدر التأليه والتقدّيس<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - أنور الجندي : مفاهيم النفس والأخلاق والإجتمع في ضوء الإسلام ، ص 24.

<sup>2</sup> - محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم، دمشق، ط1، 1992م، ص25.

<sup>3</sup> - نبيل محمد توفيق السمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي، ص 26.

<sup>4</sup> - خليل أحمد خليل: المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ص 40.

وقد تم الاعتراض على المدرسة الاجتماعية وأنه لا توجد جماعة لم يكن لها تصور واضح لأصل الإنسان ومصيره وسبب وجوده وأصل العالم ، فهذه المشكلات تحددت الفكر الإنساني في كل زمان ومكان، وحاول إيجاد حلول لها حقيقة أو باطلا، مستندا إلى تفسير إلهي صادر عن وحي أو تفسير عقلي كتفسيره لصورة الحياة ، وآلامها وأساليب الخلاص، فتصوره للألم يرجع للتمسك بالشهوات الجسدية، وهذا هو سبب الاعتقاد في تناسخ الأرواح وعودة الحياة إلى الجسد بعد الموت في شكل ما. كما اعتقد أنّ السبيل إلى الخلاص هو الزهد والرهبانية حتى يموت الإنسان مرة و إلى الأبد، فلا يعود للوجود بآلامه ومشكلاته<sup>(1)</sup>. ومن الاعتراضات أيضا على هذه المدرسة تقسيمها للوجود إلى: عالم مقدس وآخر علماني أرضي، في حين هناك من يرى أنّ السحر يقوم على نفس الأساس الذي يقوم عليه الدين، وأثيرت نقاشات حول ارتباط السحر بالدين وهناك من وقف موقف الرفض للسحر، والفرق بينهما : هناك من يكفر بالسحر ومن يمارسه<sup>(2)</sup>، وأن الدين نموذج شامل عام لم تخل منه جماعة إنسانية ، أما السحر فهو نموذج تنفر منه وتحاربه أغلب الجماعات الإنسانية ، إلى جانب أنّ الدين يتّسم بالطابع الجماعي يشارك فيه كل أبناء المجتمع بعكس السحر الذي يتضمن أسراراً وعادة ما ينحصر في أضيق نطاق، وكثيرا ما يتخذ منه السحرة وسيلة للثراء المادي أو السيطرة السياسية أو التحكم الاجتماعي في الكثير من المجتمعات.

وفي البحوث الأنثروبولوجية تذهب إلى أن أقدم الديانات كانت تتجه إلى تأليه بعض الحيوانات والنباتات ، وهو الرأي الذي تؤكده المدرسة الطوطمية التي يتزعمها "دوركايم"، وأكثر المعاني شيوعا للطوطمية هي اعتقاد عشيرة ما بأن مؤسسها (طوطمها) كان أحد المظاهر غير الطبيعية أو مظهرا من المظاهر الطبيعية في محيط العشيرة البيئي. ولهذا نجد أسماء العشائر مرتبطة بالطوطم التي تعتقد أنه سبب وجودها وبقائها<sup>(3)</sup>. كما أنّ اللغة البدائية تفشل في التعبير الواضح عن الشعور الديني لأنها تتضمن الكثير من ألوان الغموض والخلط الأمر الذي ينعكس عن الفهم الديني ، ويتمثل هذا الغموض في الأساطير والخرافات التي تصور لنا الآلهة، وتبقى نصوص القرآن وحدها التي

<sup>1</sup> - في دراستنا للعقائد المسيحية سوف نجد التوافق بينه وبين ما جاء في الديانات الهندية من فكرة الخلاص والرهبنة والتأليه والتجسد اعتمادا على كتاب : محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية.

<sup>2</sup> - ينظر :محمد بو الروايح: مختصر تاريخ الأديان ،ص 30 ، حيث يستعرض رد " فريزر" على المدرسة التي تعتبر الطقوس الطوطمية ليست ظاهرة دينية ، وإنما هي نوع من السحر.

<sup>3</sup> - المير اسماعيل علي: السلالات البشرية ، ص 204.

تثبت أولوية ديانة التوحيد على التعدد<sup>(1)</sup>. ومن الباحثين في الظاهرة الدينية من أرجع أصل العقيدة إلى الطوطم، ويعتبرونه الأول في الظهور بين قبائل الممج الأولين، ولا تزال شعائر الطوطم منتشرة بين القبائل البدائية في استراليا وإفريقيا والأمريكيتين وبعض أقطار القارة الآسيوية. فهذه القبائل لها على الأكثر طوطم تزعمه أبا لها أو أن أباهما الأعلى حلّ في حيوانها الطوطم، وأحيانا يكون نباتا أو حجرا، وتحرم القبيلة قتل الطوطم أو أكله كما حرمت أحيانا الزواج بين أفراد الطوطم وأحيانا يجرمونه في الطوطم الكبير<sup>(2)</sup>. ورجح المخالفون لفكرة أن الطوطمية أصل العقيدة الدينية، إلى أن الطوطم ينشأ بعد اتساع القبائل واعترافها بأنظمة الزواج وآداب المعاملات، وهذه المرحلة ليست الأولى في تطور الاعتقاد، فإنّ الناس عرفوا الروح الذي يحلّ في الجسد قبل أن يعرفوا الطوطمية، كما عرفوا تقديس الأسلاف قبل أن يعرفوها. ومن القبائل البدائية من وجدت لا تخلع على الطوطم صفة الربوبية بل يمكن أن يكون الطوطم راعي المجتمع<sup>(3)</sup>، وأيضا أشار دوركايم<sup>(4)</sup> إلى أنّ الدين شيء اجتماعي وحاول إثبات هذه القضية من خلال دراسته لظاهرة الطوطمية عند بعض القبائل الأسترالية، التي تمثل في نظره أكثر الأشكال بدائية<sup>(4)</sup>. وحاول إثبات عمومية ظاهرة الطوطمية في مختلف الديانات البدائية والمتحضرة معترضا بذلك عن كل أنواع التفسير الغيبي للدين والتفسير النفسي والبيولوجي والجغرافي، وأرجع كل الظواهر الدينية إلى الحياة الاجتماعية داخل المجتمع، وأنّ الدين يقوم بوظيفة حفظ المقدسات الاجتماعية، فلا فاصل بين فكرة الألوهية والمجتمع الذي هو السلطة الأخلاقية العليا التي تفرض القواعد والملازمات، فالدين لا يصدر إلّا عن الجمعي ولا يتحقق إلّا داخل المجتمع الذي يستمد

<sup>1</sup> - نبيل محمد توفيق السّمالوطي: المرجع السابق، ص 69.

<sup>2</sup> - الانسان والدين، سلسلة معارف الانسان، ص ص 59-60.

<sup>3</sup> - المير اسماعيل علي: المرجع نفسه، ص 204.

<sup>4</sup> - نبيل محمد توفيق السّمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي، ص ص 85 - 86. ويقول: ((كلمة طوطم مأخوذة من لفظ قبائل الهنود الحمر بأمريكا الشمالية ولم يتفق بعد على تحديد مدلوله بدقة فهو يفسر أحيانا على أنه إله العشيرة وأحيانا على أنه لقب أو علامة أو شعار العشيرة وكان الكاتب الهندي "لانج" هو أول من استخدم كلمة "طوطم" .. ويشق هذا اللقب غالبا من عالم الحيوان أو النبات أو الجماد. ويسود اعتقاد داخل هذه العشائر أنّ هناك صلة بين رمز أو لقب العشيرة وبين أفرادها حيث يعتقدون أن الحيوان أو النبات أو الجماد هو جدّ العشيرة وأنهم انحدروا من هذا الرمز وأنّ دماء الطوطم يسري في دمائهم.. ولهذا فإنّها تعظمه وترسم صورته على مساكنها وأسلحتها وأعلامها، ويرسمه أبناء العشيرة كوشم على أجسامهم كأنه هوية تثبت انتماء الأفراد إلى عشائرهم)).

- وينظر نبيل محمد توفيق السّمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي، ص ص 88 - 89. حيث يقول: ((حاول "برتسون سميث" على إثبات أنّ قدامى قبائل العرب واليهود كانوا يعبدون طوطما واستدلّ على ذلك بوجود أسماء وقبائل عربية مستمدة من المملكة الحيوانية والنباتية أو من بعض مظاهر الطبيعة أو الجمادات .. وإن كان هذا الاستدلال خاطئا لأنّ نظام الطوطم أو اللقب الأسري نظام عرفته كثير من الشعوب القديمة المصرية والأثيوبية والعربية واليونانية والرومانية)).

منه كليلته وضرورته، لذلك كان الشعور الديني في ذاته شعورا جمعيا على اعتبار أن الشعور الديني يصدر عن المجتمع (العقل أو المجتمع الجمعي) وليس عن الشعور الفردي<sup>(1)</sup>.

ولنقد نظرية "دوركايم" الذي اعتبر الطوطمية أقدم الديانات البشرية ووجهت لها الملاحظات التالية:

— الطوطمية ليست إلا تأليه أبناء المجتمع لمجتمعهم.

— عقائد الطوطمية نشأت عن عبادة أرواح الأسلاف بحسب "ويلكن" وإثما ظهرت في قبائل جاوه وسومطرة قبل قبائل وسط أستراليا.

— تذهب مدرسة "المانا" أن الطوطمية هي عبادة لنوع من القوى العامة غير المشخصة التي يعتقد البدائي في وجودها في كل الموجودات دون أن تختلط بواحد منها<sup>(2)</sup>.

— الطوطمية ليست إلا نظاما اجتماعيا عرفته بعض القبائل البدائية.

— ظاهرة الطوطمية لم تظهر فقط في وسط قبائل أستراليا فحسب بل ظهرت أيضا عند الهنود الحمر بحسب الدراسات التي اكتشفها "فرانس يواس"، كما أكد "الأب شمت" أن هناك قبائل بدائية أقدم من التي ذكرها "دوركايم" وهي موجودة بأستراليا الجنوبية الشرقية عقيدتها التوحيد. وأن "دوركايم" بنى نظريته على أقوال رحالة ومبشرين وهواة، وهي معلومات مشكوك فيها.

والقول بأن نظام القبائل والعشائر أقدم من الأسرة يعوزه الدليل، لأن بداية البشرية اقترنت بالأسرة، والمجتمعات البدائية كانت تعرف نظام الأسرة، مع العلم أنه أهمل كل المعتقدات والعبادات والأخلاق التي كانت سائدة لدى البدائيين، وتمسك بذكر الاحتفالات المأجنة لهم كي يثبت سيادة الروح الجمعية، وجعل من الشاذ والاستثناء والتأدر أساس الظاهرة الدينية وجعل من المواقف الإباحية التي تستحل فيها المحرمات أساسا لحقيقة الدين، فلا يمكن الزعم أن الدين في كل مظاهره ظاهرة اجتماعية خالصة، لأن في جوهره المعتقدات والعلاقة مع الإله<sup>(3)</sup>.

فلا يمكن إنكار أثر البيئة الاجتماعية على تشكيل العقائد لدى الأفراد، حيث أعاب

القرآن الكريم على المقلدين التقليد الأعمى دون تدبر وإعمال الفكر، قال الله تعالى: {بَلْ قَالُوا إِنَّا

وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّسْتَدُونَ} <sup>(4)</sup>. فالقرآن يدعو إلى التدبر والتأمل

<sup>1</sup> - نبيل محمد توفيق السمالوطي: المرجع السابق، ص 85.

<sup>2</sup> - هناك تشابه حول الامتزاج وعدم الامتزاج في الطوطم، وما هو موجود في المسيحية حول الأفانوم وطبيعة المسيح.

<sup>3</sup> - نبيل محمد توفيق السمالوطي: المرجع نفسه، ص 90.

<sup>4</sup> - سورة الزخرف الآية 22.

الفردى المنطقى ، وىءءوا إلى التءلص من تأءىر الجماعء أو العقل الجمعى ، وءلك بءبءال الأفكار بىن إءنبن؁ قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَمْطُكُم بِوَاحِدَةٍ ، أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ نَفْسٍ وَأَن تَتَفَكَّرُوا }<sup>(1)</sup> . ومن الآراء اللى ءءهب إلى أن نشأة الءىن ارءبءء بالءىمان بوءوء إله قوى قادر ءالء مسىءر فكانء أول الأءىان ءءوءىء؁ والقول بءله واءء سابق على القول بألهء ءءءءة ءءى مع الاءءءاء فى ووءوء إله أقوى فوقها؁ وىفسر ءلك أن مرءلة الإءمان بألهء ءءءءة لم ءظهر إلا بسبب الفساء الاءءماعى والانءرف الفءرى والعقءى.

### ء- أصل العقىءة من منءور هنرى برءسون :

ىرءع أصل العقىءة الءىنبىة عنء" الفىلسوف الفرنسى "هنرى برءسون" إلى مصءرىن : مصءر اءءماعى لفاءءة المءءع أو لفاءءة النوع كله؁ ومصءر فرءى؁ وىمءاز به واءء من ءوى البصىرة والعبقرىة الموهوبىة.

### أ- المصءر الاءءماعى :

ىلءأ المءءع للءاسء الءىنبىة ءنوع من الءىلة لءبء نزواء الفرء أمام المصلءة الءبرى أو العامة اللى ءءعلق بها ءىاة النوع فى جمىع الأءىال؁ فالإنسان إذا اسءوآى عقله وءءه ءءم نفسه وأطاع لءءه؁ ولم ىءمل الألم ولا الءسارة من أجل أبناء نوعه. ءءنشأ لءىه ملكة الءرافة الرمزىة أو ملكة الأساطىر؁ وءءولء لءىه الشعور بالءعوىض عن منافعه ولءاءه ءىن ىهءرها لمنفعة نوعه؁ فىءءء فى الءزاء بعء الءىاة؁ وأنه ىءاسب على الأضرار اللى ىلءقها بالءىر؁ وىءاب على الءىر اللى ءءمه إلى أبناء نوعه.

### ب- المصءر الفرءى :

ءىء قامء الءاسء الءىنبىة فى الفرء على الإلهام؁ أو الءشف اللى ىصل بىنه وبىن قوة الءلق؁ وأءها ءءءلى على أكملها وأوضءها فى بءىهة النءبة المءءارة من ءبار العباقرة الروءانىبن؁ وءوصف بأءها ءانا إلهىة ءغىر ولا ءءغىر وءونىة غىر منفصلة عن الموءوءاء؁ ءءءلى فى ءبار العباقرة. وىرء على هذا الرأى؁ إذا ءانء للءلق قوة ءونىة ءءءلى لبعض الملهمىن فلماءا ءءون الءاسء الءىنبىة والاءءماعىة وهما مءءلقان؁ أو ءرافة مزءرفة أو اءءراعاً لا أساس له غىر الءىلة النوعىة لءفظ البقاء؟ لماءا لا ءءون من ءبىل الءءاءىة المءءرءة فى طرىق البءء عن الءقىة المءهولة؟ لماءا لا ىءون فى هذا الوءوء ءاء إلهىة؁ ءم نسمى البءء عنها ءىلة مءءلقة؁ أو وهماً من الأوهام.

<sup>1</sup> - سورة سبأ الآىة 46.

ويخلص " برجسون " إلى أنه قد وُجِدَتْ وتُوجد جماعات إنسانية ليس لها علوم أو فنون أو فلسفات ، غير أنه لم توجد إطلاقاً أيّة جماعة بدون دين<sup>(1)</sup>. ويذهب أيضا " برجسون " إلى أن هناك نوعان من الديانات :ديانة مغلقة جامدة ، وديانة متفتحة حركية.

## 1- ديانة مغلقة جامدة:

وتتميز هذه الديانة بأن مصدرها الغريزة الاجتماعية وتنحصر وظيفتها في تهيئة جهاز من الطقوس والمراسيم والعادات ومجموعة من الجزاءات المادية والخلقية للعمل على صيانة المجتمع وتحقيق تماسكه ووحده بكافة مكوناته ومؤسسته، وتتضمن مجموعة من المعتقدات غير المعقولة التي تختلط بالأمور السحرية والأساطير الوهمية التي يعود مصدرها إلى الملكة المبدعة للعناصر الخرافية والتي تمكن الإنسان من أن يتصور موجودات خيالية ينسب إليها صفات متعددة ، فقد يتصور أنها أرواح أولا ، ثم قد تستحيل بعد ذلك إلى قوى إلهية<sup>(2)</sup>.

وبحسبه يصعب التمييز بين الطقوس الدينية والسحرية في ظل الديانات المغلقة لأنهما - أي السحر والدين معا - ظاهرتان صدرا عن مصدر واحد، كما يشتركان في غاية واحدة وهي إقناع الأفراد بضرورة الخضوع لرأي الجماعة وسطوتها تحقيقا للتكامل والتماسك الاجتماعيين<sup>(3)</sup>.

## 2- الديانة الحركية: (الدينامية) :

فمصدرها الحدس، وتصدر من ملكة فوق مستوى العقل تبلغ أسمى درجاتها عند أصحاب التجارب الصوفية ، والتي تتجه نحو تحقيق الكمال والمحبة، ولا تصدر هذه الديانة عن الضغوط أو الضرورات الاجتماعية ، وإنما تصدر استجابة لنداء الإلهام والحدس الصوفي، وهو ذلك النوع الذي نلقاه عند القديسين ، ولا يأتي هذا الإلهام إلاّ بالتححرر من ربكة العوائق المادية ورفض المظاهر الدنيوية<sup>(4)</sup>. ويظهر تأثر " برجسون " بالفكر الإغريقي والهندي خاصة عند البوذيين ، من خلال محاولته تفسير الوظيفة الدينية بالرجوع إلى الضرورة الاجتماعية وتحقيق تماسك الجماعة ووحدها وإرجاعه للديانة الحركية (الدينامية) إلى التجربة الصوفية التي اعتبرها وسيلة لعملية الإبداع والبناء الذاتي، والتنظيم الذاتي، والإصلاح الذاتي، وإليها يرجع السر في ظهور تلك النظم الغربية الديمقراطية التي

<sup>1</sup> - نبيل محمد توفيق السمالوطي: المرجع السابق ، ص 41.

<sup>2</sup> - نبيل محمد توفيق السمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي ، ج 2، ص 41.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 42.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ، ص 43.

تطلب لكافة الأفراد حقوقا متساوية، لدرجة أنه يذهب إلى أن الديمقراطية في جوهرها ذات طابع ديني إنجيلي، لأن محبة الإنسان هي ركنها الأصيل ودعامتها المحورية، وأنه يجب استخدام الدين للقضاء على الآفات الاجتماعية باعتباره مصدر وحدة المجتمع الروحية. والحقيقة حول أصل الدين؛ أن هناك سوى دين واحد وهو دين التوحيد مما يتبين فساد الفكرة التي جاء بها هذا الفيلسوف الفرنسي حول التمييز بين الدين المغلق، والدين الحركي، ولا يمكن إرجاع مصدر الدين إلى ملكة مبدعة للعناصر الخرافية التي استحدثت الأفكار الدينية، فالدين مصدره خالق الإنسان الذي أوجد ميلا فطريا في البشر للتدين والارتباط بالله.

### حـ أصل العقيدة من منظور " أوجيست كونت".

تعود نظرية أصل العقيدة وتفسير الدين عند "أوجيست كونت"،<sup>(1)</sup> إلى تطور المجتمعات معتبرا أن الفكر الديني يمثل طفولة الفكر البشري ، وأنه مع التقدم العلمي يتحول المجتمع إلى الحالة الوضعية العلمية ، حيث يختفي كل أثر للتفسيرات الدينية الغيبية. ويتضح من القانون الذي قدمه باسم قانون الحالات الثلاث أنه يرفض الفكر الديني فيرتكب تناقضا واضحا في آرائه لما يذهب إلى أنّ الدين هو أكثر النظم تحقيقا لوحدة أعضاء المجتمع وتحقيق الانسجام التام بين العقل والقلب وبين هذا القانون.<sup>(2)</sup> ويعلل المحللون لآرائه أنه استهدف من أقواله هذه تحقيق غاية اجتماعية قوامها أنّ الدين هو أحد الأوضاع الملازمة للمجتمع، وأنّه إذا توحدّ الدين فأنّه يؤدي إلى توحدّ الأوطان بالنسبة للإنسان. ويذهب إلى أن العقلية الإنسانية قد مرّت بأدوار ثلاثة، دور الفلسفة الدينية خلال الحالة الثيولوجية، ودور الفلسفة التجريدية خلال الحالة الميتافيزيقية وأخيرا وصلت إلى دور الفلسفة العلمية خلال الحالة الوضعية، وهو في نظره آخر الحالات التطورية وأكثرها تقدما، فبحسب "الموسوعة الفلسفية المختصرة" جاء رأى كونت: (( أنّ التطور العقلي هو العلة الرئيسية للتغير الاجتماعي، وأنّ المجتمع الإنساني بناء على ذلك يمر بنفس المراحل اللاهوتية والميتافيزيقية والعلمية الوضعية التي تمر بها العلوم؛ وعلى ذلك فقد كانت هناك بادئ ذي بدء مرحلة من الحكم الديني، هي مرحلة تقليدية

<sup>1</sup> - أوجيست كونت (1798م - 1857م) فيلسوف فرنسي ، ولد في مونييه لوالدين كاثوليكين . وفي سنة 1817م أصبح سكرتيرا لسان سيمون الكاتب الاشتراكي ، وفي سنة 1824م يخاصم ويعتزل خدمة سان سيمون. من مؤلفاته ( محاضرات في الفلسفة الوضعية) في ستة أجزاء نشرها في سنة 1842م والتي أطلق عليها فيما بعد (علم الاجتماع).

ينظر : كونت أوجيست في: الموسوعة الفلسفية المختصرة: نقلها عن الانكليزية: فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق ، مراجعة: زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 356.

<sup>2</sup> - نبيل محمد توفيق السّمالوطي: المرجع السابق، ص 44.

اتسقت فيها السلطة بعد ذلك بين قوة الملوك الدنيوية وقوة الكهنة الروحانية؛ وفي المرحلة الميتافيزيقية حدث نوع من الفوضى تعرضت فيها كل من السلطة الدنيوية والسلطة الروحانية للهجوم، على أن مرحلة الانتقال هذه تعقبها المرحلة الوضعية حينما يكون رجال العلم قوة روحية جديدة تبقى على الأيام؛ حينئذ يقام مجتمع منظم على أساس التعاون الذي ستؤدى إليه المعرفة الوضعية بالوقائع الإجماعية<sup>(1)</sup>. وفي نظره أن التفكير الديني يمثل طفولة البشرية أو الحالة البدائية للتطور البشري وكلما نضجت بعض الشيء أصبحت تفسر الظواهر بالرجوع إلى المبادئ العامة، وعندما اكتمل نضجها ورشدها رفضت البشرية كل نوع من الفكر الديني أو الفلسفي وأصبح تفكيرها وضعياً تجريبياً خالصاً، و(( أن كلاً منا يتذكر طفولته ومراهقته ورجولته ففي مرحلة الطفولة يفكر الإنسان بشكل غيبي ثيولوجي وفي مرحلة المراهقة يتحول التفكير إلى الشكل التجريدي الخيالي ، أما مع دخول مرحلة الرجولة ينضج الفكر ويأخذ طابعه الواقعي<sup>(2)</sup>.

فيرى النقاد أن هذه النظرية تبين النظرة الحسية الواقعية التي تمثل بداية الطريق لا نهايته، تمثل مرحلة الطفولة الإنسانية وليس النضج ، فحاجة الحس تأتي أولاً ثم حاجة العقل ، فحاجة الروح وهي حاجات باقية مع الإنسان مع استمرار بقائه. فيستحيل إذا أن تتلاشى فكرة التدين لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها، وفطرة التدين ستظل تلاحق الإنسان مادام له عقل يعقل به الجمال والقبح، وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه.

ويذهب "أرنست رينان" في دراسته عن تاريخ الأديان: ((أنه يمكن أن يضمحل كل شيء نخبه ، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر فكر الإنسان في المضايق الدنيئة للحياة الأرضية<sup>(3)</sup>)).

ويرى القرآن أن التجربة الحسية ليست هي المعيار الوحيد للوجود وأن نهاية العلم البشري لا يتمثل في القضاء على الغريزة التي تتعلق بالتدين، بل يزيدا قوة ، وصدق قول الله تعالى: { سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق }<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص 356 - 357.

<sup>2</sup> - نبيل محمد توفيق السمالوطي: المرجع السابق، ص 46.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 48.

<sup>4</sup> - سورة فصلت الآية 53.

## خ- أصل العقيدة من منظور المدرسة النفسية:

يخالف كل من "هنري برجسون" و"رينيه ديكرت" و"أوجست ساباتيه" المدرسة النفسية ويرون أنّ الإنسان مفطور على التوجه للإله، فهناك حاجة للتدين عند الإنسان وليس به حاجة لأن يعمل فكره ونظره في الطبيعة أو يخوض في عالم الأرواح وأسرارها، فتجاربه النفسية في ظروفه العادية كافية لجعله يدرك القوة العليا المسيطرة فيتوجه لها بالعبادة، نتيجة الخوف والفرع والإحساس بالضعف يدرك العظمة.<sup>(1)</sup> في حين ينظر علماء النفس للدين وأنه يكبت النشاط الحيوي للإنسان، ويظل ينكّد عليه حياته نتيجة الشعور بالإثم، ذلك الشعور الذي يستولي على المتدينين خاصة، فيخيل لهم أن كل ما يصنعونه خطايا لا يطهرها إلاّ الإمتناع عن ملذات الحياة.<sup>(2)</sup>

ونشأة العقيدة الإلهية عند "ساباتيه" مرتبطة بشعور بالتناقض بين قوتين تتألف منهما أبسط مظاهر الحياة النفسية وهما<sup>(3)</sup>: الإحساس والإرادة، وأن الحياة تقوم في جوهرها على حركتين متعاكستين الأولى تتجه من الخارج إلى الداخل - من المحيط إلى المركز - والأخرى من الداخل إلى الخارج - من المركز إلى المحيط. والأولى: تمثل تأثير العالم الخارجي على النفس (الإحساس)، وتمثل انفعال النفس وقابليتها، والثانية: تمثل استجابة النفس للتأثيرات الخارجية من خلال توسط (الإرادة) وهي تمثل فعالية النفس وإيجابيتها.

أما "برجسون" فيرى أن العقيدة الإلهية تقوم على أساس عوامل نفسية تثيرها حياة الإنسان اليومية داخل المجتمع و التي تقتضي منه التنازل عن الكثير من رغباته وتطلعاته الأنانية من أجل العيش معا في تماسك وتكامل، وهذه التضحية تستمد قوتها من الفطرة الإنسانية التي تتطلع إلى التدين والتي تصوّر للإنسان المحظورات الاجتماعية بصورة مخيفة من خطر انتهاكها والتعدي عليها حتى تخيل الإنسان أن هناك قوى معنوية تحمي هذه المقدسات الاجتماعية وتحاسب الخارجين عليها حسابا عسيرا، وهذا هو معنى الإله الذي يتوصل إليه "دوركاييم" الذي يرى أن الاعتقاد في وجود إله والخشوع والخوف منه يعود إلى المحرمات والنظم التي يفرضها المجتمع وأن الدين شيء إجتماعي.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> - فاروق اسماعيل: تأثير الإسلام على الوثنية، دراسة أنثروبولوجية، ص 24.

<sup>2</sup> - محمد قطب: شبهات حول الإسلام، دار الشروق، بيروت، ط 16، 1983م، ص 171.

<sup>3</sup> - نبيل محمد توفيق السمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي، ج 2، ص 79.

<sup>4</sup> - نبيل محمد توفيق السمالوطي: المرجع السابق، ج 2، ص 84.

لقد حاول بعض المشتغلين بعلم الاجتماع خلال القرن التاسع عشر والعشرين دراسة الظاهرة الدينية لدى مجتمعات الإنسان دراسة علمية تطلبت استخدام المنهج العلمي الذي يحقق لنا الوصف والتفسير والتحليل<sup>(1)</sup>، وحاول البعض الرجوع في تفسير الظاهرة الدينية إلى تاريخها والتعرف على أصولها ومراحل تطورها داخل المجتمعات من أجل الوقوف على القوانين التي تحكمها، وهناك من درسها دراسة وظيفية من خلال ربطها ببقية النظم والظواهر السائدة داخل نفس المجتمع من أجل الكشف عن علاقات الفعل ورد الفعل أو التأثير والتأثر، فاعتمدت الدراسات الغربية على التراث الثقافي الذي احتوته الأساطير والكتب المقدسة التي زحرت بمعلومات حول مجتمعات بائدة. فاستند البعض إلى العهد القديم لدراسة المجتمع العبري القديم وقوانينه ونظمه وعاداته وطقوسه، كما كان للرحالة والمبشرين الدور الهام في إيجاد حلقة وصل بين الدراسات التاريخية والدينية عن طريق المقارنة والمقابلة بتحليل الطقوس والعادات<sup>(2)</sup>.

#### د- أصل العقيدة من منظور المدرسة الماركسية:

بظهور الماركسية أخذ الإلحاد مظهر دين رسمي، فلم تقنع الماركسية - التي تنسب لصاحبها كارل ماركس ( 1818م - 1883م) صاحب مذهب المادية الثنائية<sup>(3)</sup> بالإدعاء بأنها فلسفة قدمت عن وجود العالم تفسيراً مادياً جديداً يستغني عن الله ، ولكنها من الناحية السياسية عرضت نفسها على الناس على أنها قبل كل شيء تمرد على المظهر البائد والمتخلف الذي أخذه الدين في المجتمع، لأنّ الدين بحسب رأيها بطبيعة عقائده المحددة ثابت ساكن يعيش في الحقائق الأزلية ، وينظر إلى الوراثة ليستلهم مهده ، ولذلك كان يشكل دائماً التبرير الميتافيزيقي والغيبى للأوضاع الاجتماعية والإقتصادية والسياسية القائمة<sup>(4)</sup>. ويذكر " روجيه غارودي" أنّه جاء في خاتمة كتاب: (المسيحية من غير ستار) للمؤلف "البارون دولباخ" في تأكيده على السّمة السياسية لدراسته النقدية التي يرى فيها أنّ الدين المسيحي معادٍ للسياسة السليمة ولسعادة الأمم ، وأنّ الدين لديه ولدى معاصريه اختراعٌ

<sup>1</sup> - ينظر: سامية مصطفى الخشاب: دراسات في الاجتماع الديني، ص 40، حول استخدام المنهج التجريبي في دراسة الدين.

<sup>2</sup> - ينظر فاروق إسماعيل : المرجع السابق ، ص 24 وما يليها: الذي تناول في فصول كتابه هذا: الأساطير\_ الألوهية \_ الأرواح وأرواح

الأسلاف والزعامة الروحية، الطوطمية ، الممارسات السحرية ، القربان ، الموت .وفي مقدمة هذه الدراسات استعرض مجموعة من العلماء الغربيين الذين تناولوا ظواهر الدين والسحر والتابو، ومظاهر التقديس على أساس المشاعر والحالات الانفعالية: كالخوف والرهبنة والجشع والحب والكره والدهشة والإعجاب والإحساس بقوى خارقة غيبية تستحق التقديس.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: فلاسفة الحكم في العصر الحديث، المكتبة العصرية ببيروت، بدون تاريخ، ص30.

<sup>4</sup> - صادق جلال العظم: نقد الفكر الديني، ص16.

أبدعه الطغاة، فيقول: (( الدين هو فن إسكار الناس بالحماسة لمنعهم من الإهتمام بالمصائب التي ينزلها بهم أولئك الذين يحكمونهم ))<sup>(1)</sup>. فالدين عند هذه المدرسة تعتبره بديل خيالي عن العلم مثلها مثل المدرسة القائلة بمذهب التطور في نشأة الأنواع ، فليس في هذا المذهب ما يصح أن يستند إليه الملحدون لإبطال الدين ، أو إنكار الخالق ، أو القول بخلو الكون من دلائل القصد والتدبير<sup>(2)</sup>.

لقد هاجمت الماركسية الكنيسة ، والتي اعتبرتها قوة رجعية بين يدي الطبقات المسيطرة، مكنت هذه الطبقات من استغلال الجماهير الكادحة من شعوب عديدة ، واستعبادها قرونا طويلة<sup>(3)</sup>، وذلك على خلاف رسالتها الأولى التي هي تحرير الناس وإقامة حكم العدالة والإخاء والمحبة بينهم ، فلما درس ماركس المجتمع الأوربي وجد أنه في القرون الوسطى سادت مظاهر التسلط الكنسي نتيجة ديكتاتوريات آباء الكنيسة ، وساد نظام الإقطاع الكنسي والإقطاع العام ، وانتشرت محاكم التفتيش ، وظهرت من خلال ذلك نظريات دينية زائفة نسبت إلى المسيحية عن طريق الخطأ مثل: نظرية التفويض الإلهي غير المباشر وصدرت مفاهيم دينية مثل صكوك الغفران وقيام آباء الكنيسة بمنح الناس البركة، فاستنتج ماركس من هذه الحالات نظريته التي ترى أن الدين (أفيون الشعوب) يحاول من خلاله الحكام تخدير الناس. فهذه النظرية تلغي أهمية الدين وتجعله مخدرا ، ولا ينبع من نزعة فطرية أو حاجة أساسية في الإنسان. والماركسية ترفض أن تكون للتدين صفة نوعية مميزة مادام للحادث الديني ذاته بنية فوقية يفسر في نظرها بالعامل الإقتصادي أولا، والعامل السياسي والاجتماعي ثانيا<sup>(4)</sup>.

فجاء في مذهب المادية الثنائية لماركس فلسفة مبنية على شطرين: فلسفة ما وراء الطبيعة، وفلسفة الإقتصاد والسياسة. ففيما وراء الطبيعة تقر المادية الثنائية أنّ المادة يتولّد منها ضدها ، ثم يتولّد منهما تركيب واحد لا يلبث أن يخرج منه ضده ، وتطبيق هذا المذهب على المجتمع الإنساني يدل على أن نظام المشايعة الأولى قد خرج منه ضده ، وهو نظام الأقطاع ، ثم خرج من هذا ضده وهو نظام الطبقة الحضرية أو الطبقة الوسطى التي عرفت بالبورجوازية ، وأنّ هذه البورجوازية تخلي مكانها لنظام رأس المال ثم يتبعه النظام الذي يستولى فيه العمال على الحكم فتتقطع الأسباب التي

<sup>1</sup> - روجيه غارودي: ماركسية القرن العشرين، ترجمة: نزيه الحكيم، دار الآداب، بيروت، ط1978، ص 4، ص 143.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ص 125.

<sup>3</sup> - ينظر محمد قطب: شهادت حول الإسلام، ص 184 وحديثه عن : الدين أفيون الشعوب.

<sup>4</sup> - محمد بو الروايح: مختصر تاريخ الأديان ، ص 57، نقلا عن: جيب هاملتون : علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، منشورات عويدات ،

بيروت، ط2: 1989م، ص 12.

أنشأت الطبقات الإجتماعية ، لأنها قائمة على استغلال بعض الناس لبعض فلا محل للطبقات مع بطلان الاستغلال<sup>(1)</sup>. ولو فرضنا جدلا أنّ ماركس اطلع على الإسلام الذي يحقق وظيفة الضبط والنظام والعدالة والمساواة، وقيم مجتمعا متكاملا متكافلا من خلال معايير ومبادئ يلتزم بها الحاكم والمحكوم على حد سواء ، لأدرك أنّ مبادئه من صنع ربّ الناس وليست وضعية ، وهذا ما جهله ماركس وأصحابه وراحوا يعممون آراءهم في الدين ، مدّعين امتلاك الحقيقة العلمية التّهائية ، متجاوزين المشكلة الفلسفية، مشكله وجود الله ومصير الكون. ولّما كانت الماركسية أنكرت عالم الروح ووجود الله نفسه، فمطامعها أرضية محضة، وتنطلق من أحوال اجتماعية اقتصادية لإقامة أخلاقها وثقافتها<sup>(2)</sup>.

فالدين هو العدو الأوّل للماديين وغيرهم ممن ينكرون ما وراء المادة، فالدين في رأي أصحاب المذهب المادي اختراع محض، حلقته الرغبات البشرية المسكونة في العقل الباطن، والماديون يقولون: ((إن العقائد والآراء الدينية ليست شيئا أكثر من نظريات بدائية من الطبيعة، حاول البشر استخدامها في تخلص الحقيقة من بشاعتها الأصلية، وإظهارها في صورة أقرب إلى هدى القلب، مما تسمح به حقائق الحياة))<sup>(3)</sup>، فيتصور الماديون أنّ الدين يمثّل الكبت الذي تفرضه الشرائع السماوية على مرديها بما تفرضه من أوامر ونواهي تحدّ من رغبتهم ، ونشأ في عقل الإنسانية الخوف والضعف والجهل وتولّد عن هذا كلّ ما يعرف بالخرافة التي تحولت مع الزمن إلى معتقدات<sup>(4)</sup>.

وكان الشيوعيون يسمّون مذهبهم بالفلسفة المادّية ويعتبرونها حقيقة ، وما عداها من الآراء المثالية والعقائد الروحية فهي خيال وضلال . ونسجل هنا رأي " العقاد" عن هذا المذهب بقوله: ((فالشيوعية هي مذهب الطفل الممسوخ الذي يفهم أنّ الذنب على أبويه وعلى البيت وعلى المدرسة وعلى الملّة وعلى الخلق والخالق، ولكنّه هو لا ذنب له في أمر من الأمور، ولا حرج عليه أن يقعد عن كل عمل ويكسل عن كل واجب ويطالب بكل حق، ويسبّي إلى كل انسان. والشيوعية هي بالإيجاز " أفيون الشعوب" الرخيص وخمرتها المبدولة، يبلغ من سخفها أنّها تصم الدين بهذه الوصمة وتذهب عن حقيقتها، هي عن غباء مفرط أو عن لجاجة في المكابرة والإنكار: وهذا القول

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: فلاسفة الحكم في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 31.

<sup>2</sup> - أحمد عروة: الإسلام في مفترق الطرق، المرجع السابق ، ص 50.

<sup>3</sup> - عبد الكريم الخطيب: الله .. والإنسان، (قضية الألوهية بين الفلسفة والدين)، دار الفكر العربي، مصر، 1971م، ص 56.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 57 و ما بعدها.

الهرء عن الدين آءر وصف يمكن أن ينطبق عليه، وأول وصف ينطبق على مذهب كارل ماركس بجميع معانيه<sup>(1)</sup>. وفي هذا الرأي إشارة إلى تمرد هذا المذهب على الشرائع وسنن الأخلاق والآداب والفترة الإنسانية، ولا يمنع مانع أن يستبيح كل محظور، خلافا للدين الذي يوقظ في نفس المتدين الشعور بالمسؤولية في السر والعلانية ويحذر من مقارفة الذنوب بينه وبين ضميره ، أما هذا المذهب فإن الضمير فيه يُرفع عن الشعور بالمسؤولية ؛لأنه يلقي بالمسؤوليات كلها على المجتمع ، ويقول ويعيد للعجزة وذوي الجرائم والآثام أنهم ضحايا مظلومون ، وأن التبعة كلها في عجزهم واجرامهم واقعة عليه<sup>(2)</sup>.

وهذا خلاف ما ينقله "وحيد الدين خان" عن (دائرة معارف العلوم الإجتماعية) أنه يمكن تشبيه الدين بالفن، فكما أن بعض الناس يتمتعون بقوة غير عادية في التدوق الفني، ويبرزون في المجال الفني كذلك ينفرد بعض الناس بخصائص العيون والآذان الداخلية يلتقطون بها ما لا يتمكن الإنسان العادي من سماعه أو رؤيته. وهذا الشيء هو الذي قاد الإنسان إلى تجارب الدين<sup>(3)</sup>.

#### ط- أصل العقيدة من منظور مدرسة هجرة الأفكار والنظم والثقافات:

وفي هذا الاتجاه يذهب أصحاب مدرسة هجرة الأفكار والنظم والثقافات إلى تتبع أصل الديانات وتطورها وانتشارها بين المجتمعات، فيذكر " السمالوطي " أن الدراسات تبين كيفية هجرة الأفكار الدينية ، والمعبودات وانتقال الديانات بين المجتمعات سواء في مظهرها الكامل أو في بعض عناصرها وطقوسها وشعائرها، وإن اتخذت المعبودات أسماء متباينة أو تغيرت بعض خصائصها وفقا للعوامل الاجتماعية المحيطة بالبيئات التي تهاجر إليها الديانات.

وينقل رأي " باستيد " الذي يرى انتقال عبادة الإله "مثر"- أحد آلهة النور عند الآريين القدامى - انتقلت عبادته إلى الفرس واكتسبت أولوية على بقية الآلهة الآخرين ثم إله الشمس في آسيا الصغرى ثم امتدت عبادته إلى سواحل البحر المتوسط وإلى طرسوس حيث انتشرت في أنحاء الإمبراطورية الرومانية<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: الشيوعية والإستعمار، المكتبة العصرية، بيروت ، بدون تاريخ ، ص15.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 15.

<sup>3</sup> - الدين في مواجهة العلم، ، ص 113، عن: Encyclopaedia Of the Social sciences (1957), Vol

13 ,p230

<sup>4</sup> - نبيل محمد توفيق السمالوطي: الدين والبناء الاجتماعي، ص 138\_139.

## ر- أصل العقيدة من منظور مدرسة الوحي:

إن الأديان السماوية جميعا خاطبت الناس على قدر عقولهم مراعية الواقع الاجتماعي القائم على محاولة السمو بالبشر إلى المستوى الذي يرضى عنه المولى عزّ وجل، أما الديانات الوثنية فإن ارتباطها واضحاً بالبيئة، وظهرت بها المعبودات بسبب عدة مؤثرات بيئية يمكن دراستها للأقوام التي عبدت الشمس، أو النار، وجدوا أنّها في نظرهم هي مصدر الحياة، كذلك الأمر بالنسبة للأقوام الذين عبدوا العجل (أبيس) من المصريين القدماء والهنود، فقدسوه لأنهم تصوروا أن هذا الحيوان هو عماد حياتهم<sup>(1)</sup>. في حين أن الديانات السماوية لها القدرة على التكيف بمطالب الجماعات الإنسانية وتنظيم حياتها، فعرضت القواعد والضوابط التي تتعلق بنظم الحكم، وللعلاقة بين الحاكم والمحكومين وتنظيم الأسرة من زواج وطلاق وتربية ونفقة، بل أن الشريعة الإسلامية انطوت على كثير من الضوابط القانونية التي تعتبر من طبيعة مدنية، مثل قواعد العقوبة على الجرائم الاجتماعية كالقتل والشروع فيه، والسرقه والزنا، بل وانطوت أيضاً على ضوابط اجتماعية حتى فيما يتعلق بالأطعمة والأشربة<sup>(2)</sup>.

تكاد تشترك المدارس السابقة في القول بأنّ الإنسان توصل إلى الدين عن طريق النظر والتأمل في الطبيعة، أو الأحلام، أو نتيجة لضرورات اجتماعية، أو نتيجة لغرائز معينة، فإنّ مدرسة الوحي تؤكد أنّ رحمة الله بعباده ورعايته لهم أودع فيهم من ميل فطري للتدين، وتوحيد الله بإرساله الرّسل لهداية الناس إلى الصّراط المستقيم، فالناس لم يعرفوا ربّهم بفعل العقل وحده بل بنور الوحي الذي كان البشر في حاجة إليه<sup>(3)</sup>. لذلك فإنّ الحقيقة العلمية هي أن البشرية عرفت التوحيد بأول انسان وهو آدم ومع أول نبي وهو نوح، وأنّها ظلت تتداول التوحيد والوثنية عصراً بعد عصر، ولم يكن هناك عصر واحد خال من التوحيد<sup>(4)</sup>.

فالتنظريات التي وردت حول نشأة الدين هي نظريات لا تصمد أمام النقد مثل: النظرية النفسية والنظرية الاجتماعية، التي تنكر كل واحدة وجود إله خالق، وفي حقيقة الأمر أنّ دلائل وجوده بادية

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 143 .

<sup>2</sup> - المرجع السابق نفسه، ص 147-153. الهامش. الفرق بين الدين الإسلامي وباقي الديانات في نظر العلماء، وحول انتشار فكرة "الخلاص" بين الأديان بحسب الباحث الاجتماعي "فيبر".

<sup>3</sup> - محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط9، سنة 1399هـ-1979م، ص 43.

<sup>4</sup> - أنور الجندي: مفاهيم النفس والأخلاق والإجتمع في ضوء الإسلام، ص 19.

داخل أنفسنا، وفي الكون، وفي الآفاق، بل وفي الفطرة السليمة؛ فضلا عن هداية الرسل والكتب التي أرسلها لنا الله حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل حيث قال تعالى: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} (1).

وفطرة اليقين الإلهي متنوعة؛ هناك العقل وهناك النفس، وهناك الكون، وهناك الرسل وهناك الكتب وهناك المعجزات، وهناك فروق فردية بين الناس تفسر تنوع أساليب الدعوة إلى الله، وهناك أدلة على وجود الله تتمثل في عملية الخلق والحياة والإنشاء من العدم. فنستعرض هذه الآيات من القرآن الكريم الدالة على ما ذكرته، حيث جاء: في قوله تعالى: {وفي السماء رزقكم وما توعدون} (2). وقوله تعالى: {أينما تكونوا ياتكم بكم الله جميعا، إن الله على كل شيء قدير} (3). وقوله تعالى: {الم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلفه بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار، يقلب الله الليل والنهار، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، والله خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، يخلق الله ما يشاء} (4). ويقول الله: {أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج} (5). يقول الله: {ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم واللوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين} (6).

يقول العقاد: ((من السهل أن يقال إن حاسة القانون تتولد في الإنسان لأنه عضو في مجتمع وإن حاسة الأخلاق تتولد فيه لأنه فرد من أفراد النوع الإنساني كله، ولكن ليس من السهل أن يقال إن الإنسان مهتم بمصيره في الكون لأنه عضو في المجتمع، أو فرد من أفراد النوع.. وإنما يدين الإنسان لأنه يهتم بمصيره ومعنى وجوده، ويطلب له قرارا أوسع جدا من علاقته الإنسانية أو علاقاته بالمجتمع،

1 - سورة فصلت، الآية 53.

2 - سورة الذاريات، الآية 22.

3 - سورة البقرة، الآية 148 .

4 - سورة التور، الآيتين 43-45 .

5 - سورة ق، الآيتان 6-7.

6 - سورة الروم، الآية 22.

ويجب أن يطلب عقيدة تحتويه ولا يكتفي بعقيدة يحتويها ويريدها كما يشاء<sup>(1)</sup>. فالإسلام هو العقيدة النموذج للإنسان منفردا ومجتمعاً، وعاملاً لروحه أو عاملاً لجسده، وناظراً إلى دنياه أو ناظراً إلى آخرته، ومسالماً أو محترماً، ومعطياً حقّ نفسه أو معطياً حقّ حاكمه وحكومته، فلا يكون مسلماً وهو يطلب الآخرة دون الدنيا، ولا يكون مسلماً وهو يطلب الدنيا دون الآخرة، ولا يكون مسلماً لأنه روح تنكر الجسد أو أنه جسد ينكر الروح، أو لأنه يصحب إسلامه في حالة ويدعه في حالة أخرى، فهو ليس رهينة بواسطة بينه وبين السماء يتولّأها في المعابد سدنة موكلون بالوساطة بين المخلوق والخالق، ولكن المسلم بعقيدته كلها مجتمعة لديه في جميع حالاته وجميع حالاتها، سواء تفرد وحده أو جمعه بالناس أو اصرر الاجتماع. إنّ شمول العقيدة الإسلامية في ظواهرها الفردية و الاجتماعية هو المزيّة الخاصة التي توحى إلى الإنسان أنه كلّ شامل<sup>(2)</sup>. وقد بيّن الإسلام أنّ عقل الإنسان وذكاءه هما أوثق طريق إلى معرفة الله مسجلاً بذلك مرحلة حاسمة في تطور الاعتقاد الديني النَّاجم عن ثلاث مجالات رئيسية يكمل ويثري بعضها بعضاً على حد تعبير أحمد عروة، وهي<sup>(3)</sup>:

**1\_ التجربة الإنسانية على امتداد آلاف السنين من تطور الفكر وهي تظهرنا على أن فكرة الله ملازمة للطبيعة الإنسانية، ولو أن هذه الفكرة تعكس إلى ما لا نهاية الظروف العقلية والاجتماعية التي تعبر عن نفسها فيها.**

**2\_ وعي الإنسان لوجوده، والإكتشاف الدائم للكون، ومعجزة حياة الإنسان وذكائه، والنظام المحكم الذي تتم فيه حركات الطبيعة وتحولاتها.. أي فكرة علة أولى وأخيرة هي الله.**

ظاهرة الوحي النبوي، التي أكملت هذه الفكرة الطبيعية عن الله، وخلّصتها ووجهتها، لتعلّم الناس ما لم يكونوا ليعلموه بالعقل وحده. فالإنسان وهب العقل والوعي الذي ينسبط إلى ما وراء ذاته في الزمان والمكان لأنه كائن ميتافيزيقي دائم السؤال عن معنى وجوده ووجود العالم، وشعوره بغريزته وجود قوة أعلى هي التي خلقت العالم تقوده إلى مصير خفي.

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين ( حاضرته ومستقبله)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1969، 2، ص 27.

<sup>2</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص 28.

<sup>3</sup> - أحمد عروة : الإسلام في مفترق الطرق، ص 30.

## الباب الأول

الفصل الثاني: تطور العقائد في ظل النبوة اليهودية.

المبحث الأول: النبوة اليهودية.

- 1- تعريفها.
- 2- طبيعتها.
- 3 - مراحل تطورها.
- 4\_ مفهومها في اليهودية.
- 5- صفات النبي في اليهودية.
- 6- تطبيقاتها.
- 7-أسباب كثرة الأنبياء في اليهود.

المبحث الثاني: تطور مفهوم الألوهية في الكتاب المقدس:

- 1- مفهوم كلمة الإبن.
- 2 - مفهوم الإبن في العهد القديم.
- 3- مفهوم الإبن في العهد الجديد.
- 4- مفهوم الإله في العهدين.

المبحث الثالث:- دلالات التوحيد والتعدد في الكتاب المقدس.

**مطلب 1:** تطور دلالات التوحيد: أ- دلالات التوحيد في العهد القديم.

- ب- دلالات التوحيد في العهد الجديد.
- ت- دعوى المسيحيين تأليه المسيح في القرآن الكريم.

**مطلب 2:** دلالات الوثنية في العقائد المسيحية ومنها:

- أ- عقيدة عودة الإله إلى الحياة بعد الموت. ب- عقيدة القربان والتعميد بالدم وتقديم الذبائح.
- ت - عقيدة البعث والحساب والآخرة.
- ث - صفات الألوهية في العهد القديم.

## الفصل الثاني: تطور العقائد الدينية في ظل النبوة اليهودية.

### المبحث الأول: النبوة اليهودية:

يقدم التاريخ اليهودي العبري تاريخ الأنبياء كتاريخ خاص بالشعب اليهودي وليس كتاريخ عام على اختلاف الأزمنة والأمكنة والأخبار<sup>(1)</sup>، ولا يعترف التراث اليهودي بأنبياء من غير الجنس اليهودي أو حتى من جنسهم، ولكن يعتبرونهم متمردين على ديانتهم، كما حصل مع عيسى بن مريم \_عليهما السلام. وجاء ((لفظة اليهود تعني كل المنتسبين إلى اليهودية بصرف النظر عما بينهم من تباين في الأوطان واللغات والأجناس، فيقصدون بها أيضا الإنتساب إلى يهوذا الإبن الرابع للنبي يعقوب<sup>(2)</sup>). ولفظة عبريون هي تسمية كان يطلقها سكان فلسطين القدماء الكنعانيون على آل إبراهيم عليه السلام النازحين من مناطق نهر الفرات، وأخذوا هذه التسمية للتعبير عن ترحالهم القسري أو الإرادي من مكان إلى آخر دون أن يتقيدون بإقليم معين))<sup>(3)</sup>. وجاء مدلول كلمة نبي في اللغة اليونانية: هو الشخص الذي يتحدث نيابة عن الإله أي: (prophètes)، وقد تحدث هارون عن موسى أمام فرعون ليطلعه على مضمون ما تلقاه موسى من وحي<sup>(4)</sup>. وجاء عن مدلول النبي في سلسلة ماذا أعرف؟ التالي:

Le prophète apotre de la volonté de dieu : la pensée d'Israél s, exprime , nom par le truchement de prêtres ou de philosophes , mais par la bouche de prophètes ( Nabi) arrachés à leur troupeau ou à leur maison par l,élection de dieu ...le prophète est l ,interprète du vouloir divin<sup>(5)</sup>.

[النبي الرسول أو المرسل من قبل الله، في الفكر الإسرائيلي مأخوذ من الصورة التي يرسمها الكاهن أو الفلاسفة من خلال الكلام الذي ينطق به النبي من فمه في قومه من قبل الله... النبي هو الداعية الإلهي والمترجم بما يريد الله ].

<sup>1</sup> - ينظر: محمود العابدي: مخطوطات البحر الميت، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ط: 1967م، ص 15 ومايليها.

<sup>2</sup> - مجلة الفيصل، العدد 89، ذو القعدة 1404هـ، السنة الثامنة - آب 1984م، تصدر عن: دار الفيصل الثقافية، الرياض، مقال: سيد فرج راشد: من صور التحريف اليهودي للتاريخ والمفردات، ص ص 42-44.

<sup>3</sup> - عفيف عبد الفتاح طبارة: اليهود في القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط 9، 1982م، ص ص 11-12.

<sup>4</sup> - أنظر ما ورد في سفر الخروج 4: 16، ((وهو يكون لك فَمَا وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلَهًا)).

<sup>5</sup> - Que sais - je ? la pensée juive ; p p 22-23.

ويقول فؤاد حسنين : ((إنّ الباحث في العهد القديم يجد مدلول لفظ (نبيّ) لا يلتزم معنى واحدا بل يعبر عن معاني متفاوتة حسب تطور العقيدة ، واختلاف الأزمنة، ولعلّ أوّل من تلقّب بلقب (نبيّ) في العهد القديم هو إبراهيم الخليل ومن بعده هارون كرسول لموسى . كما ورد اسم النبيّ في العهد القديم بمصطلح (رجل الله) في مواقع عديدة تصف مكانة وعلاقة النبيّ بالله، وسلطة النبيّ بين قومه))<sup>(1)</sup>. فجاء في (سفر التكوين) في قصته حول قول إبراهيم بأنّ سارة أخته فأخذها منه الملك أيمالك (( فجاء الله إلى أيمالك في حلم اللّيل وقال له ها أنت ميّت من أجل المرأة التي أخذتها فإنّها متزوجة ببعل ... فقال له الله في الحلم أنا أيضا علمت أنّك بسلامة قلبك فعلت هذا وأنا أمسكتك عن أن تخطئ إليّ))<sup>(2)</sup>، وقول الله لموسى: (( أنا جعلتك إلهاً لفرعون. وهارون أخوك يكون نبيّك. أنت تتكلّم بكلّ ما أمرك))<sup>(3)</sup>. وأنّ إبراهيم هو الذي تسمّى بهذا بلقب النبيّ ، ومن ثمّ موسى، فجاء كلام الله في "سفر التثنية" مخاطبة الله لموسى وهو على الجبل الذي يشتعل بالنار قوله: ((وأما أنت فقف هنا معي فأكلّمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام التي تُعلّمهم فيعملونها في الأرض التي أنا أعطيهم ليمتلكوها))<sup>(4)</sup>. كما تسمى النبيّ في التراث اليهودي باسم الرّائي، بمعنى رأى أو كل ما يفيد الرؤية، أو بمعنى الحالم الذي يعطى القدرة على تفسير الأحلام والرؤى. وشاع اسم الرّائي والنبيّ في مساواتهما في الوظيفة إذ يطلقان على رجل الله. فجاء في العهد القديم: (( هو ذا رجل الله في هذه المدينة والرجل مُكرّم... هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله . هلّمّ نذهب إلى الرّائي. لأنّ النبيّ اليوم كان يدعى سابقا الرّائي.. فذهبا إلى المدينة التي فيها رجلُ الله ))<sup>(5)</sup>.

فالنبيّ هو الشخص الذي يكلفه الله بحمل الرّسالة إلى قومه فاليهودية لا تعترف بأيّ وحي جاء بعد وحيها، وحتى المسيحية لا تعترف بأيّ وحي جاء بعد عيسى ورسله ، وبالتالي فهما يسقطان القرآن من هذا الحساب ، أما الوحي القرآني الذي نزل عقب ستّة قرون من المسيح فقد احتفظ بالعديد من تعاليم التوراة والإنجيل وأكثر من ذكرهما، بل وفرض على كل مسلم الإيمان بالكتب السّابقة، كما أبرز المكانة المهمّة التي شغلها في تاريخ الوحي رسل الله، كما كرّم والده

<sup>1</sup> - فؤاد حسنين علي: التوراة الهيروغليفية ، دار الكتاب العربي، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ص 82-83.

<sup>2</sup> - سفر التكوين 20 : 3-7.

<sup>3</sup> - سفر الخروج 7 : 1-2.

<sup>4</sup> - سفر التثنية 5 : 31.

<sup>5</sup> - سفر صموئيل الأول 9 : 6-10.

(المسيح) مريم تكريماً خاصاً وأطلق إسمها على السورة رقم تسعة عشر<sup>(1)</sup>. بل ذهب أحد علماء الفلسفة الإسلامية إلى جعل حقيقة النبوة حاصلة لشخص معين واضطرار كافة الخلق إليها ، ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصوّر أن تنال بالعقل، كعلم الطب والنجوم، فإن من بحث عنها علّم بالضرورة أنّها لا تدرك إلاّ بإلهام إلهي وتوفيق من جهة الله تعالى<sup>(2)</sup>.

## 1 - تعريف النبوة لغة واصطلاحاً:

أ- لغة :

كلمة النبي عربية لفظاً ومعنى ، عربية لفظاً لأنّ مادة النبا والنبوءة أصيلة في اللّغة<sup>(3)</sup> وهي الكلمة نفسها في الآرامية والعبرية ، مما يدل على أصلها السامي<sup>(4)</sup> ، وهي مشتقة من جذر ثلاثي ووردت بمعنى ( تنبأ ) أي مدفوعاً بقوة إلهية<sup>(5)</sup> ، فمنذ ابراهيم - عليه السلام ، تتابع أفراد مدفوعون بقوة لا تقاوم لا تقاوم جاءوا يخاطبون الناس باسم ( حقيقة مطلقة) يقولون إنهم يعرفونها معرفة شخصية، وخاصة، بوسيلة سرية هي الوحي<sup>(6)</sup>. ومن مفاهيم النبي في العهد القديم هو الذي يأتي يتغنّى بأناشيد دينية، بمعنى يسبح الله<sup>(7)</sup> ، أو الذي يأتي ينشد وهو مجنون، للإعتقاد أنّ المصاب بالجنون المقدس يخلط هذيانه بوحي الأرواح العلوية التي تستولي عليه<sup>(8)</sup> ، وقد تعود على الأنبياء الكذبة<sup>(9)</sup>.

ب- اصطلاحاً:

النبي هو الرجل الذي يحس بأنّه مدعو من الله لأداء مهمة خاصة تكون فيها إرادته خاضعة تماماً لإرادة الله التي يتعرف عليها من خلال الوحي أو الإلهام المباشر. فالنبوة تجمع معاني الكشف والوحي

<sup>1</sup> - موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة نخبة من الدعاة، دار الكندي ، ط2، 1978م ، ص 8.

<sup>2</sup> - أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال ، والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق: جميل صليبا وكامل عياد ، دار الأندلس ، بيروت ، ط: 1981م ، ص 147.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: ابراهيم أبو الأنبياء ، المكتبة العصرية، بيروت، 1973م، ص 159.

<sup>4</sup> - فيليب حتي: الإسلام منهج حياة، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، ط2، 1979، ص 22.

<sup>5</sup> - ينظر: سفر عاموس 3 : 8 ، ((إنّ السيّد الرّب لا يصنع أمراً إلاّ وهو يُعلنُ سرّه لعبيده الأنبياء)). وفي سفر حزقيال 11 : 14 . قول حزقيال نفسه: (( وكان إليّ كلامُ الرّبِّ قائلاً...)).

<sup>6</sup> - مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ص 92.

<sup>7</sup> - ينظر: سفر صموئيل الأول 10 : 11 (( ولما جاءوا إلى هناك إلى جُبّة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحلّ عليه روحُ الله فتنبأ في وسطهم)). وفي صموئيل الأول 19 : 20 ((ولما رأوا جماعة الأنبياء يتنبأون وصموئيل واقفا رئيساً عليهم كان روحُ الله على رُسُلٍ شاول فتنبأوا هم أيضاً)).

<sup>8</sup> - ينظر: عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص 58.

<sup>9</sup> - صموئيل الأول: 18 : 10 ((وكان في الغد أنّ الرّوح الرّديّ من قبل الله اقتحمّ شاول وجُحّ في وسط البيت)).

والإنباء بالغيب والإنذار والتبشير<sup>(1)</sup>، فالنبي هو الذي يخبر عن أشياء لم تكن معروفة عند الناس بواسطة القوة الإلهية. فالنبوة ليست بقول ساحر أو كاهن أو مجنون لقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون، كذلك نسلكهم في قلوب المجرمين، لا يؤمنون به وقد خلت سنن الأولين﴾.<sup>(2)</sup> فالنبي لا يكتفي بالحوار ليثبت حجة دعوته أمام المكابر الذي يعتبر المعجزة ضرباً من السحر أو السكر ولو فتح له الأنبياء باباً من السماء، فالأنبياء لم يكونوا من المرضى النفسانيين بل كانوا عباقرة ممتازين. والفرق بين النبي والكاهن في جوهر العمل أوسع جداً من الفرق بينهما في التعيين والاختيار، فالكاهن موكل بالشعائر والمراسم والأشكال، يحرص عليها ويأبى أن يشاركه أحد فيها، ولكن النبي تعنيه روح الدين وحقيقته في الضمير قبل هذه الشعائر والمراسم والأشكال سريرة الإنسان هي وجهة النبي وغايته من التبشير والإنذار، وأما الكاهن فوجهته نظام المجتمع وتقاليد الدولة وما إليها من الظواهر أو الواجبات العامة<sup>(3)</sup>. إن النبي بقدر ما يقرأ المستقبل، يستحق التمييز عن الكاهن أو العراف أو (أنبياء البلاط). وهذا التمييز يقوم على معيارين: أولهما: أن العراف يستند إلى تقنيات سحرية، وثانيهما: أنه تابع للأقوياء، أما النبي فهو نبي العقاب والثواب، يقدم للناس علماً صريحاً، وليس علماً نفعياً دنيوياً، وأسلوبه في مخاطبة الناس وجداني عقلائي، وكلامه الموحى به من ربه هو كلام تنزيل، لا كلام عقل وتأويل<sup>(4)</sup>.

## 2 - طبيعة النبوة اليهودية:

للبحث في طبيعة النبوة الإسرائيلية يصعب عقد المقابلة بين النبوة في الإسلام والنبوات اليهودية لوجود الفوارق بين نبوة تقوم حجتها على هداية العقل، ونبوات تقوم حجتها على الأعاجيب والحوار والغرائب، وهناك فرق بين نبوة تدعو إلى رب العالمين ونبوة تدعو إلى رب قبيلة أو أسرة أو فرقة أو سلالة معينة<sup>(5)</sup>، وعلى هذا الرأي قال الباحثون في هذا الشأن: (( أن النبوة الإسلامية الإسلامية جاءت مصححة متممة لكل ما تقدمها من فكرة عن النبوة، كما كانت عقيدة الإسلام

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، ص 159.

<sup>2</sup> - سورة الحجر، الآيتان 11-13.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: نفسه، ص 157-158.

<sup>4</sup> - خليل أحمد خليل: المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ص 220.

<sup>5</sup> - ينظر: سينيوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، دار الكتب، مصر، ط: 1971، ص 123 وما يليها. البحث المستفيض عن "النبوة" في الفصل الأول من كتابه، وأنظر تعليق المترجم حسن حنفي لهذه الرسالة في التوطئة التي وضعها من خلال حديثه عن "النبوة" من ص 44 إلى ص 52.

الإلهية مصححة متممة لكل ما تقدمها من عقائد بني الانسان في الاله<sup>(1)</sup>. فاليهود الأقدمون كانوا يسمون الأنبياء بالآباء ويسمون المطلّ على الغيب باسم الرّائي والنّاظر وقد تعددت قوائم صفات التّبوة لدى الباحثين في الأديان وفي تاريخ الفكر الديني اليهودي<sup>(2)</sup>. وهناك أنواع للتّبوة ومن تلك الأنواع: نبوة السّحر، ونبوة الرؤيا في الأحلام، ونبوة الكهانة، ونبوة الجذب أو الجنون المقدّس، ونبوة التنجيم وطوالع الأفلاك، إلى جانب كل ما يدعيه المتنّبون من العلم بالغيب والقدرة على تسخير نواميس الطّبيعة<sup>(3)</sup>. فعرف المجتمع الإسرائيلي نبوءات السّحر والكهانة والتنجيم كبقية الشّعوب القديمة البدائية، فعرفت التّبوة الإسرائيلية تطوّرا في مفهومها لارتباطها بالوظائف الدينية الموروثة، كالكهانة والعرفاء وتفسير الأحلام والرؤى والتنجيم، لذلك إعتبر الباحثون في الأديان التّبوة أنّها المصدر الأساسي في فهم الديانة اليهودية التي وصلتنا من خلال مجموعة الكتابات الدينية التي خلّفها الأنبياء والتي يضمّها كتاب العهد القديم<sup>(4)</sup>. وأرجعوا أسباب تطور النبوة الإسرائيلية في ظواهرها إلى العقيدة المضطربة في عبادة الإله الواحد، و إلى ميل اليهود إلى عبادة الشعوب الغريبة عن جنسهم من الوثنيين وولعهم بها رغم تفوقهم على أنفسهم وكرههم لغير اليهود من الشعوب الأخرى. إنّ طبيعة التّبوة عند بني إسرائيل هي ظاهرة دينية كما هي ظاهرة سياسية لمواكبتها لتاريخ بني إسرائيل في أزماته السياسية، فظهور الأنبياء فيهم أدى إلى ظهور مملكتين بين ظهرانيهم: مملكة شمالية وأخرى جنوبية لكل لها ملوكها وحكامها<sup>(5)</sup>. ونتيجة لحدوث بعض الصراعات نتج عن الوضع السياسي شغورا في الحكم في بعض الأحيان فيدير الحكم أنبياء يصرفون شؤون الناس في الحرب أو السلم، و من أنبياء بني إسرائيل الذين ورثوا أوضاعا سياسية مزرية: عاموس، هوشع، ميخا، أشعيا، صنفيا، ناحوم، حبقوق، أرميا،

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، ص 61.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: إبليس، (الكتاب عبارة عن تاريخ الأخلاق الإنسانية)، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص 92.

ويسمي "عباس محمود العقاد" الديانة اليهودية بالديانة العبرية، ويقول: نسميها العبرية لأننا لا نعرف تسمية تصدق عليها منذ نشأتها في بلاد بين النهرين كما تصدق عليها هذه التسمية، فلا يصدق عليها اسم "اليهودية" لأن النسبة إلى يهوذا حدثت بعد موسى عليه السلام ولا يصدق عليها اسم "الموسوية" لأن موسى قام بالدعوة بعد يعقوب واسحاق وإبراهيم عليهم السلام. ولا يصدق عليها اسم "الإسرائيلية" لأن الإسرائيلية تنسب إلى إسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق، وكان إبراهيم الخليل جدهم أجمعين يلقب بالعبري في بعض كتب العهد القديم، فإطلاق اسم العبرية على العقائد التي دانت بها العشائر التي نشأ فيها إبراهيم أصدق من كل اسم آخر في الإحاطة بديانة القوم من أوائل تاريخها وفي جميع أطوارها المعلومة إلى أن عرفت أخيرا باسم ديانة التّوراة.

<sup>3</sup> - ينظر عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، من ص 62، إلى ص 73، طبيعة كل نبوة وقوة سيطرتها على الحوادث.

<sup>4</sup> - ينظر: حسن ظا : الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، ط 1987، 2م، من ص 32 إلى ص 35، ويشير إلى أسفار الأنبياء الأوائل ويضم أربعة أسفار وهي: يوشع بن نون، القضاة، صمويل، الملوك.

<sup>5</sup> - حسن ظا: المرجع نفسه، من ص 25 وما بعدها.

حزقيال، حجي، زكريا، ملاخي، يونان، يوثيل، وعبوديا<sup>(1)</sup>. فكان ظهور النبوة الإسرائيلية في بعض الأحيان ضرورة تاريخية في مواجهة أوضاع سياسية متدهورة دفعت بهم إلى الولاء الديني للإله الواحد، أي الإيمان بالنبوة الإلهية مع الخلط بينها وبين السحر والتنجيم والإطلاع على الغيب<sup>(2)</sup>.

### 3 - مراحل تطور النبوة اليهودية.

يرتبط ظهور النبوة بظهور البشرية بدءا بآدم عليه السلام والذي تناسلت عنه شعوب وأمم وقبائل ومجتمعات وأسر، ظهرت بين ظهرانيهم أنبياء ورسل يهدوهم إلى الحق وطريق اليقين كلما زاغوا وانحرفوا عن عقيدة التوحيد النقية. يقول العقاد: (( لقد تعلّمت النبوة الإلهية بلفظها ومعناها من شعوب العرب ولم تكن لهذه الكلمة عند العبريين لفظة تؤديها قبل وفودهم على أرض كنعان ومجاورتهم للعرب المقيمين في أرض مدين.. فكانوا يسمون النبي بالزائي أو الناظر أو رجل الله )، ولم يطلقوا عليه اسم النبي إلا بعد معرفتهم بأربعة من أنبياء العرب المذكورين في التوراة، وهم ملكي صادق وأيوب وبلعام وشعيب الذي يسمونه (يَثْرُون) معلّم موسى الكليم، ويرجح بعضهم أنه الخضر -عليه السلام للمشابهة بين لفظ يثرون وخثرون وخضر في مخارج الحروف، ولما ورد من أخبار الكليم مع الخضر -عليهما السلام في تفسير القرآن))<sup>(3)</sup>.

ولم يستخدم لفظ نبي في التراث اليهودي إلا من بعد عصر موسى انطلاقا من عصر النبوة الكلاسيكية التي تمتد حتى القرن الثامن قبل الميلاد وتنتهي عند القرن الرابع قبل الميلاد، لتكون قد مرت بمرحلتين تضم كل مرحلة مجموعة من الأنبياء يطلق عليهم اسم الأنبياء الأوائل والأنبياء الأواخر، أو ينضون تحت اسم الأنبياء الأولين والأنبياء المتأخرين أو الأنبياء الكبار في المرحلة الأولى والأنبياء الصغار في الثانية.

فالأنبياء الكبار في التراث اليهودي هم: أشعيا وأرميا وحزقيال ودانيال، أما الأنبياء الصغار فهم: عاموس وهوشع وميخا وصفنيا وناحوم وحبوق وحجي وزكريا وملاخي ويونان ويوثيل وعبوديا، وهذا الترتيب للأنبياء ليس بحسب التاريخ لهم بل بحسب الأهمية الدينية والسياسية للأنبياء،

<sup>1</sup> - حسن ظا: المرجع السابق، ص 31 .

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه: ص 65.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: المرجع نفسه، ص 63 .

وقد تسمى الأنبياء بالأكابر لأنهم ذوو أسفار أكبر من أسفار غيرهم<sup>(1)</sup>. وتتحول النبوة في المرحلة الثانية من مؤسسة دينية كهنوتية إلى مؤسسة دينية مستقلة عن الكاهن والحالم والرأي والعرف والمتنبئ، وغيرها من الوظائف المتعددة لتمييز في هذه المرحلة بالدعوة إلى نبذ الشرك والتمسك بالتوحيد والرغبة في الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي بعيدا عن الجمود الديني الناتج عن الاهتمام بطقوس الشعائر والقرايين، فأصبح للنبوة أبعادا أخلاقية مستندة إلى الوحي الإلهي الآتي عن طريق الأنبياء والرسل.

تعتبر النبوة الإسرائيلي النبي موسى الشخصية المحورية التي تدور حولها بقية النبوات وتعتبر نبوة موسى مثالا للدعوة إلى الإصلاح الديني الذي نادى به أنبياء بني إسرائيل قي شخص إيليا وأليشع وسموئيل في حين لا ينظر إلى بعض الأنبياء كأنبيا بل كملوك من مثل: شاؤول وداود وسليمان لاستعانة هؤلاء بأنبياء يستشيرونهم كما فعل شاؤول مع النبي صموئيل وكما فعل داود مع النبي (جاد) حيث وصف سفر صموئيل الثاني: جاد النبي رائي داود<sup>(2)</sup>. وكان داود ينفذ كل ما يقوله جاد على أنه وحي: ((فصعد داود حسب كلام جاد كما أمر الرب))<sup>(3)</sup>. وكما فعل سليمان مع (ناثان) حيث مسح ناثان سليمان على أنه ملك لإسرائيل<sup>(4)</sup>.

فعاشرت الديانة العبرية أو اليهودية إلى ما قبل المسيحية بنحو مائتي سنة بين الوثنيات وعقائد التوحيد ولم تستقم على عقيدة الإله الواحد المنزه عن اللوثة الوثنية إلا حوالي القرن الثاني قبل الميلاد. وإنما نشأت وعاشرت ديانة "قبيلة واحدة" أو قوم معينين، ولم ترتفع قط بادراكها للتنزيه الإلهي إلى الأفق الذي ارتفع إليه آخر الأديان الكتابية وهو السلام<sup>(5)</sup>.

#### 4- مفهوم النبوة والنبي في التراث اليهودي:

لم يضبط مفهوم النبوة والأنبياء عند اليهود فالأنبياء يظهرهم في شكل جماعات يسمون ببني الأنبياء، وهناك فئة يسمونها بالأنبياء الكذبة. وكثر الأنبياء في بني إسرائيل وعج بهم المجتمع حتى

<sup>1</sup> - محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ النبوة الإسرائيلية، المبحث الأول: ظاهرة النبوة الإسرائيلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1: 1985م، ص 19.

<sup>2</sup> - سفر صموئيل الثاني 24: 11. ((ولما قام داود صباحا كان كلام الرب إلى جاد النبي رائي داود قائلا: ...)).

<sup>3</sup> - سفر صموئيل الثاني 24: 19.

<sup>4</sup> - ينظر: سفر الملوك الأول 1: 34. ((وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي وأنزلوا به إلى جيحون، ولبمسخه هناك صادق الكاهن ونathan النبي ملكا على إسرائيل واضربوا باليوق وقولوا ليحي الملك سليمان)).

<sup>5</sup> - عباس محمود العقاد: إبليس، ص ص 92-93.

صار يتخيل بأن كل المجتمع الإسرائيلي أنبياء، ويمزج التراث اليهودي في مفهومه للنبوة بينها وبين الملك، فيجعل من الأنبياء ملوكا في بعض الأشخاص المهمين من مثل داود وسليمان فهما نبيان ملكان جمعا بين النبوة والملك، ووجد من اليهود من يعتبرهما ملكان وليسا نبيان، ويعتبر اليهود إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب ويوسف بمثابة آباء أو بطارقة رغم تلقيهم الوحي الإلهي، فهم لهم ارتباط بإسرائيل بالنسب لا بالنبوة: أي بالعرق لا الوحي<sup>(1)</sup>. وفي نصوص التراث اليهودي نجد أن أكبر الأنبياء يعدهم اليهود من الآباء الذين تلقوا نوعا من الوحي الإلهي، فهم بمثابة رؤساء وشيوخ لقبائلهم وعشائرتهم وأن وظيفتهم كانت سياسية أكثر منها دينية، ومن هؤلاء أيضا موسى وهارون على الرغم من حديث التوراة على أنّ موسى نبي<sup>(2)</sup>. غير أن ما يلاحظ على النبوة الإسرائيلية أن اليهود يحاولون حصرها كظاهرة خاصة بهم وحدهم لتبدأ بموسى وتنتهي بأنبياء القرن الرابع قبل الميلاد، مع تعمدهم إخراج إسماعيل - عليه السلام من دائرتها، فلا هو من الأنبياء ولا من الآباء رغم الاعتراف لنبوة إبراهيم وإخوته لإسحاق معا، والهدف مقصود حتى يخرجوا من محيط النبوة كل من عيسى و محمد - عليهما السلام، بغية جعل النبوة في اليهود فقط.

## 5 - صفات النبي والنبوة في التراث اليهودي .

نسجل كلام "العقاد" في كتابه الإنسان في القرآن قوله: (( كانت الأمم \_ قبل البعثة المحمدية \_ تفهم أن النبوة استطلاع للغيب وكشف للأسرار والمخبات، يستعان بها على رد البضائع وإعادة المسروق أو الدلالة عليه، ويستخبرونها على طواع الخير والشر ومقادير السعود والنحوس، وكان من تلك الأمم من يحسب أنّ النبوة وساطة بين المعبود وعباده للتشفع إليه بالهدايا والقرابين، وكانوا يطلبون وساطة الأنبياء دفعا للتوازل التي يستحقونها وتنزل بهم، لأنها قضاء مبرم يتوقعه الصالحون العارفون، ويسألون المعبود في دفعه قبل نزوله))<sup>(3)</sup>. وهذا ما يعتبره التراث اليهودي من أنّ النبي له صفة الشخصية التاريخية بحيث يرد اسمه في بداية السفر بتحديد إلهي، كما يحدد السفر زمان ومكان النبي ونشاطه الدعوي النبوي<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - محمد خليفة حسن أحمد ، المرجع السابق، ص 16.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 16.

<sup>3</sup> - ص 22.

<sup>4</sup> - ينظر: سفر أشعيا 1: 1 - 2. ((رؤيا إشعيا بن أموص التي رآها على يهوذا وأورشليم في أيام غزبا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا)). وفي سفر هوشع 1: 1. ((قول الرب الذي صار إلى هوشع بن بيري في أيام غزبا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا وفي أيام يريعام بن يواش ملك إسرائيل)). وفي سفر أرميا 1: 1- 4. وفي سفر صفيان 1: 1-5. ((كلمة الرب التي صارت إل صفنيا بن كوشي بن جدليا بن أمريا

فليست النبوة فهم وهداية بل هي نبوة استطلاع وتنجيم ، ولم تكن نبوة تأمل ونظر وتفكير ، بل هي نبوة خوارق وأهوال تروّع البصر والبصيرة، وتروّع الضمائر بالتحويق، وهو ما يعني أنّ التراث اليهودي كله لم يكن وحيا بل أكثر مادته من تراث الشعوب الكنعانية، والمصرية ، والآكدية، نظرا لانغماس اليهود في حياة شعوب الشرق الأدنى القديم وعاداته وتقاليده. والنبي في التراث الإسرائيلي هو ذلك الشخص المدعو من الله لأداء رسالته بإرادة الله عن طريق روح المفاجأة في الاتصال الإلهي كما حدث لموسى، ((حيث ظهر ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ، وكان موسى يرعى غنم "يثران" كاهن "مدين" وساقى غنمه إلى جبل "حوريب" وقد طغى حب الاستطلاع على موسى حين شاهد العليقة تتوقد نارا))<sup>(1)</sup>.

وحول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل فإن النبي هو الرائي بحسب نص صموئيل: (( فقال له هُوَ دَا رجلُ الله في هذه المدينة والرَّجُلُ مُكْرَمٌ. كل ما يقوله يصيرُ. لنذهب الآن إلى هناك لعلَّه يجزئنا عن طريقنا التي نسلكُ فيها))<sup>(2)</sup>. فلم تكن التسمية (نبي) معروفة في إسرائيل، وأن رجل الله إنما كان يوصف بلفظة الرائي ، وصموئيل نفسه كان يدعو نفسه الرائي<sup>(3)</sup>.

ويكون التحوّل من الرائي إلى النبي قد جاء إلى بني إسرائيل من آسيا الصغرى، ثم انتقلت من هناك إلى سوريا فبلاد الكنعانيين على أنّ النبي هو صاحب الشطحات<sup>(4)</sup>.

## 6 - طبقات النبوة في الديانة اليهودية.

زحرت الحياة الدينية اليهودية بأصناف من الطبقات المنتسبة إلى النبوة كطبقة الكهنوت، وبنو الأنبياء والأنبياء المحترفون: أي الأنبياء الكذبة، وطبقة العرافون والمتنبئون والمنجمون، وقد وقفت

=

بن حزقيا في ايام يوشيا بن آمون ملك يهوذا)). وفي سفر ميخا 1: 1 - 3. (( قول الرب الذي صار إلى ميخا المورشي في ايام يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا الذي رآه على السامرة وأورشليم)). وفي سفر يونان 1: 1 (( وصار قول الرب إلى يونان بن أمثاي قائلا قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة ونادي عليها لأنه قد صعد شرهم أمامي)).

<sup>1</sup> - سفر الخروج 3: 2.

<sup>2</sup> - سفر صموئيل الأول 9: 5-6.

<sup>3</sup> - ينظر: سفر صموئيل الأول 9: 18-19 (( فتقدم شاوّل إلى صموئيل في وسط الباب وقال أطلب إليك أخبرني أين بيت الرائي، فأجاب صموئيل شاوّل وقال أنا الرائي)).

<sup>4</sup> - حسن ظا : أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم ، دمشق، ط1987، م ص 63 . وينظر: نصوص العهد القديم في سفر الملوك الأول 18: 26 (( وكانوا يرقصون حول المذبح الذي عمل)). وفي سفر الملوك الثاني 3: 15 (( ولما ضرب العواذ بالعود كانت عليه يد الرب)). في سفر الملوك الثاني 1: 8 (( فقالوا إنه رجل أشعر مُنْطَقٌ بمنطقٍ من جلدٍ على حَقْوَيْهِ. فقال هو إليّا التشبي)).

ضد هؤلاء الطبقة السياسية الممثلة في الملوك ضد تدخل الأنبياء في شؤونهم ، كما وقفت المؤسسات الدينية ضد النبوة والأنبياء وما جاءوا به من إصلاحات. وقد سجلت التوراة لأحد المؤسسات الدينية الكهنوتية سفرا خاصا بها وهي فرقة "اللاويين" التي كانت وظيفتها في المعبد أداء الطقوس ، ويجمع أفرادها بين وظيفة الأب ووظيفة الكاهن<sup>(1)</sup> حتى تسمى البعض منهم بأنبياء المعبد جامعين بين النبوة والكهانة ، طبقا للنص: (( فقال له ميخا أقم عندي وكن لي أبًا وكاهنًا ))<sup>(2)</sup>، و جاءت وظيفة الأب والكاهن بحسب النص: (( وكان للرجل ميخا بيتٌ للآلهة فعملٌ أقدًا وترافيم وملاً يدٌ واحدٍ من بنيهِ فصار له كاهنًا،... فقال ميخا الآن علمتُ أن الربَّ يحسنُ إليَّ لأنه صار لي اللاويُّ كاهنًا))<sup>(3)</sup>. وهذا على خلاف الأنبياء الكذبة الذين يتميّزون بالفسق، وفعل الشر ويمارسون النفاق، ولا تربطهم رابطة بالرب، ويأتون بالأخبار السارة ينافقون بها ملكا ، أو يكذبون على حاكم ويشككون في نبوة الأنبياء الحقيقيين، ويتكسبون في المعبد أو في بلاط الحاكم، فجاء في سفر إرميا: (( لأنَّ الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعا بل في بيتي وجدتُ شرهم يقول الربُّ ))<sup>(4)</sup>، وقوله: ((لذلك هكذا قال ربُّ الجنود.. وأسقيهم ماء العلقم لأتته من عند أنبياء أورشليم خرج نفاقٌ في كلِّ الأرض))<sup>(5)</sup>. وفي إشعيا: (( ولكن هؤلاء أيضا ضلُّوا بالخمير وتاهوا بالمسكر. الكاهنُ والنبيُّ ترنَّحا بالمسكر ابتلعتهما الخمرُ تاهما من المسكر ضلًّا في الرؤيا قلِّقا في القضاء، فإنَّ جميع الموائد امتلأت قينًا وقذرًا ))<sup>(6)</sup>. وفي سفر إرميا: ((صيرتُ كإنسانٍ سكرانٍ ومثله رجلٌ غلبته الخمرُ من أجل الربِّ ومن أجل كلام قُدسه))<sup>(7)</sup>. فجاء تحذير الأنبياء الحقيقيين منهم بقولهم: ((فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعزافيتكم وحالميتكم وعائقيكم سحرتكم.. لأنهم يتنبأون لكم بالكذب لكي يبعدوكم من أرضكم))<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: حسن ظاها: أبحاث في الفكر اليهودي ، ص ص 70-72. وينظر أيضا: ابن خلدون: المقدمة، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ط: 1984م، ص ص 286-287. فصل في شرح اسم البابا والبطريك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود.

<sup>2</sup> - سفر القضاة 17: 10.

<sup>3</sup> - سفر القضاة 17: 5-13.

<sup>4</sup> - سفر إرميا 23: 11.

<sup>5</sup> - سفر إرميا 23: 15.

<sup>6</sup> - سفر إشعيا 28: 7-8.

<sup>7</sup> - سفر إرميا 23: 9 .

<sup>8</sup> - سفر إرميا 27: 9-10 . وفي إرميا 14-15: (( فلا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يكلمونكم.. لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب، لأنني لم أرسلهم يقول الربُّ بل هم يتنبأون باسمي بالكذب لكي أظردكم فتَهلكوا أنتم والأنبياء الذين يتنبأون لكم)) .

فهذه النبوة ضرب من طرق الوثنية كالعرافة ، والكهانة والسحر ، وقد تحدى النبي "إيليا" جماعات الأنبياء الكذبة الذين دعوا إلى عبادة البعل ، وقد سّمّاهم بأنبياء البعل الذين ساروا وراء العبادات الأجنبية<sup>(1)</sup>. وتصنف النبوة في التراث اليهودي إلى الوظيفة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ، وتختلف كل وظيفة عن الأخرى عند الأنبياء بحسب طبيعة العصر وطبيعة المشاكل والقضايا ، وقد تأتي وظائف النبوة مجتمعة ، وكل نبيّ يشكل تجربته النبوية في عصره ويحدد له وظائفه وأهداف نبوته ، وتجمعهم جميعا الوظيفة الدينية ، وهي عامل التوحيد في دعواهم.

## 7 - كثرة ظهور الأنبياء في الديانة اليهودية.

تعود الأسباب في ظهور كثرة لأنبياء في الديانة اليهودية إلى طبيعة التمرد في هذا المجتمع ولنكته العهود والمواثيق مع الله ، والانحراف عن العبادة الصحيحة ، والإفتقاد أحيانا إلى الزعماء والحكام الصالحين ، فتعددت فترات الفساد فيه ، فشارك الأنبياء في معالجة الأزمات حال غياب السلطان السياسي ، أو في وجوده الفاسد. فكان الأنبياء على قلب رجل واحد يصححون ما أفسده القوم من شرع شرعه لهم الله ، أو معتقد أمرهم به ، فامتزجت مهمتهم الدينية بالمهمة السياسية في إصلاح الأوضاع، خصوصا بعد سقوط دولتي: إسرائيل ويهوذا في أيدي الآشوريين والبابليين، ووقوعهم تحت السبي البابلي بعد إلحاقهم الخراب بالهيكل بالقدس فيسجل التاريخ أنه تم (( أخذ معظم أهلها أسرى إلى العراق حيث بقوا سبعين عاما ، إلى أن مال نجاح الإمبراطور كورش ملك الفرس في احتلال العراق وإسقاط الإمبراطورية البابلية.. فعاد كثير منهم برئاسة يوشع بن يوصادق وزروبابل بن شلتئيل ، وبعدهما بثمانية عشر عاما جاء عزرا ، ونحميا الذي أخذ في إعادة بناء هيكل سليمان))<sup>(2)</sup>، فكان نشاط الأنبياء بمثابة تقويم للسلوك السياسي للملوك والحكام مع إعطاء تفسير ديني للأحداث التاريخية التي ارتبطت وقوعها بتدهور الوازع الديني والبعد عن العبادة الصحيحة<sup>(3)</sup>. فنسجل حديث عن مقاومة إيليا للملك "أحاب" في سماحه للثقافة الكنعانية ومظاهر العبادة الوثنية بالانتشار في المملكة الشمالية و عبادة البعل ، ومّا قام به الملك أحاب في عهد إيليا لما تزوّج ابنة ملك مدينة صور الفينيقية التي كانت المركز الرئيسي لعبادة البعل. وقد عملت الملكة

<sup>1</sup> - ينظر: سفر الملوك الأول 18: 21-22 قول إيليا: ((إن كان الربُّ هو الله فاتبعوه وإن كان البعلت فاتبعوه. فلم يجبه الشعب بكلمة.

ثم قال إيليا للشعب أنا بقيتُ نبياً للربِّ وحدي وانبياء البعل أربع مئة وخمسون رجلا)).

<sup>2</sup> - حسن ظاها: أبحاث في الفكر اليهودي ، ص ص 32-33.

<sup>3</sup> - محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ النبوة الإسرائيلية، المبحث الأول: ظاهرة النبوة الإسرائيلية ، ص 95.

"إيزاييل" على نشر ديانتها الوثنية من خلال تأثيرها المباشر على زوجها الملك آخاب واضطهدت الأنبياء<sup>(1)</sup> ليتنبأ أرميا بسقوط المجتمع اليهودي في يد "نبوختنصر" بسبب معصية الشعب ومن يحكمه لله<sup>(2)</sup>. وتحدث النبي "هوشع" عن الوضع الاجتماعي الفاسد بقوله: (( إِنَّ لِلرَّبِّ مَحَاكِمَةً مَعَ سَكَّانِ الأَرْضِ لِأَنَّهُ لَا أَمَانَةَ وَلَا إِحْسَانَ وَلَا مَعْرِفَةَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، لَعْنٌ وَكَذِبٌ وَقَتْلٌ وَسَرِقَةٌ وَفَسْقٌ ))<sup>(3)</sup>. ونفس الوضع يصفه النبي "عاموس" عن حالة الفساد في المجتمع الإسرائيلي و التي كانت سببا في رفض الله الشعائر والقرايين المقدمة إليه<sup>(4)</sup>.

هذه هي ملامح تاريخ النبوة الإسرائيلية وفقا للفهم والتصور اليهودي لهذا التراث الذي يختلف عن التصور الإسلامي الذي يؤكد أنّ الأنبياء والرسل السابقين يكونون وحدة واحدة لا تتجزء، فدعوتهم واحدة وهي التأكيد على عبادة الإله الواحد وهدفهم واحد وهو نبذ الوثنية والشرك. بينما النظرة اليهودية تجعل من الأنبياء سلسلة واحدة لا تخرج خارج إسرائيل ولا تخص الإنسانية عامة ولا تستهدفهم.

### المبحث الثاني: تطور مفهوم الألوهية في الكتاب المقدس.

نتناول في هذا المبحث تطور مفهوم الألوهية من التوحيد إلى التثليث من خلال معرفة تأخر اليهود في ادراك اسم إلههم خلافا للأديان التوحيدية، حيث امتدت فترة معرفتهم لعقيدة التعدد والتوحيد مدة طويلة استغرقت قرون، حيث ثبت الموحدون على تسمية الله بالرب الخالق للسموات والأرض، بينما التعدديين الذين اعتنقوا التوحيد، فالمسألة عندهم لا تعني توحيد الربوبية وإنما تعني انتصار أحد الآلهة على الآخرين ، ولذلك تعددت أسماء الآلهة عند اليهود، وقد وصلوا إلى التوحيد

<sup>1</sup> - ينظر: سفر الملوك الأول 18: 18-24. ((ولمّا رأى إيليا قال له آخاب أنت هو مكدرُ إسرائيل. فقال لم أكدرُ إسرائيل بل أنت وأبيك بترككم وصايا الربّ وبسيرك وراء البعل)).

<sup>2</sup> - ينظر: سفر أرميا 25: 8-12. ((هأنذا أرسلُ فأخذ كلَّ عشائر الشمال يقول الربّ وإلى نبوخذ نصر عبدي ملك بابل وآتي بهم على هذه الأرض وعلى كلِّ سكّانها وعلى كلِّ هذه الشعوبِ حولها فأحرمهم وأجعلهم دهبًا وفضةً وخرابًا أبديةً... وتخدم هذه الشعوبُ ملكَ بابل سبعين سنةً ن ويكون عند تمام السبعين سنة أتّي أعاقبُ ملك بابل وتلك الأمة يقول الربّ على إثمهم وأرض الكلدانيين واجعلها خرابًا أبديةً)). وأرميا 29: 4: ((هكذا قال ربّ الجنود إله إسرائيل لكلّ السبي الذي سبيته من أورشليم إلى بابل)).

<sup>3</sup> - سفر هوشع 4: 1-2.

<sup>4</sup> - ينظر: سفر عاموس 3: 10، ((يقول الربّ. أولئك الذين يخزنون الظلم والإغصاب في قصورهم. لذلك هكذا قال السيّد الربّ. ضيق حتى في كل ناحية من الأرض فينزل عنك عزك وتنهب قُصُوك)). وفي سفر عاموس: 7: 12. ((هكذا اراني وإذا الربّ واقف على حائط قائم وفي يده زيج. فقال لي الربّ ما أنت راء يا عاموس. فقلت زيجًا. فقال السيّد هأنذا واضع زيجًا في وسط شعبي إسرائيل. لا أعود أصفح له بعد. فتقف مرتفعات إسحاق وتخرّب مقدس إسرائيل وأقوم على بيت يرثع بالسيف)).

عن طريق التطور ، رغم دعوة موسى التوحيدية ، فإنهم لم يتمكنوا من الخروج من طور التعددية إلى طور التوحيد بدءاً من الإعتقاد فيما يلي :

أ- إيل<sup>(1)</sup> : أي الله وهو تسمية استخدمها الموحدون.

ب- إيلوهيم<sup>(2)</sup> : أي الآلهة بصيغة الجمع وهي تسمية أطلقا التعدديون، وتعني عقيدتهم انصهار جميع الآلهة مع بعضها لتشكيل إله واحد.

ت- آدوناي<sup>(3)</sup> : أي سيدي وهو لقب كنعاني أطلق على الإله تموز ثم أصبح آدونيس عندما انتقل إلى اليونانيين .

ث- يهوه<sup>(4)</sup> : هو اسم أحد آلهة العبرانيين وهو إله يتصف بالبطش والإنقام ، ولما كان محرماً بالنطق باسم الجلالة حتى لا يساء استعماله ينطق الاسم الرباعي الإلهي (( ي ه و ه)).

فجاء في سلسلة : ماذا اعرف؟ عن إله إسرائيل وحول أسماء الإله :

« Le Dieu d,Israël est par essence transcendant et souverain .cesont ces deux caractères qui le définissent dans la bible.YHWH ,lu Adonai, est son nom ,qui garde en Tsraël le caractère sacré que la bible lui attribue .ce nom dérive du verbe HYH ,c,est-à-dire être.Dieu est essentiellement celui qui a été, qui est, qui sera, etqui fait être.Ce nom sacré ne pouvait être prononcé qu ,une fois l ,an,à Jérusalem, par le grand-prêtre,le jour du Grand-pardon<sup>(5)</sup> .

[الله فيالديانة الإسرائيلية هو متعالي له السيادة المطلقة ، هاتين الميزتين التي تحدد صفات ( يهوه) في الكتاب المقدس.والذي تحرّم اسرائيل النطق به، فتنطق به بحسب الفعل ( ي ه و) بمعنى الله معنا. وهو إله مقدس اسمه ، وهو الله الأكبر المقدس اسمه في القدس، وعند الكهنة وفي اليوم الآخر . ]  
( ( والتفسير الأقرب للمنطق هو تعدد الأسماء التي أطلقت على هذا الإله حسب الطوائف والقبائل العبرانية الإسرائيلية واليهودية ، وامتدّ هذا الاختلاف مئات السنين، مما دفع بالزعماء اليهود المعروفين

<sup>1</sup> - قاموس الكتاب المقدس، ص 107.

<sup>2</sup> - ويدل هذا الاسم على صفة الله وعلى علاقته مع جميع شعوب العالم. المرجع السابق، ص 107.

<sup>3</sup> - ويستعمل عوضاً عن يهوه تستعمل في مخاطبة الله بخشوع. المرجع نفسه، ص 107.

<sup>4</sup> - هو من أسماء الله لا ينطق به إلاّ رئيس الكهنة عند تلاوة الصلاة. أنظر: المرجع نفسه، ص 109.

<sup>5</sup> -

بسيطرتهم التامة على شعوبهم إلى منع إعطاء الجلالة أية تسمية ريشما يتم الإجماع على واحدة منها، ولم يتم هذا الإجماع إلى اليوم))<sup>(1)</sup>.

وما تحبّط فيه اليهود من مفهومهم لعقيدة التوحيد والتعدد، حصل بالمثل لأتباع الديانة المسيحية لولا تدخل القرآن الكريم الذي أزاحت آياته عن كثير من الإنحراف عن عقيدة التوحيد عند كل من الديانتين السابقتين للإسلام ، فيحكي القرآن عن المسيح في باب الحديث عن مولده ومعجزاته التي أيده بها، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: {إِذ قَالَ اللَّهُ يَا مَعْسِي ابْن مَرْيَمِ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَإِذْ تَخَلَّقَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفَخَ فِيهَا فَتَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِي، وَتَبْرَأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي} <sup>(2)</sup>.

فيدل القرآن على أن المسيح ليس هو الله ، بل هو عبد الله ، كل ما فعله بإذن الله مثله مثل غيره من الأنبياء، وأنّ الآذن غير المأذون له ، وأن الله أخبر في القرآن أن المسيح خلق من الطين كهيئة الطير {بِإِذْنِ اللَّهِ}، فهناك فرق بين "المسيح" وبين "الله"، وأن الله هو الآذن للمسيح على خلاف عقيدة المسيحيين من أنّ اللاهوت المتحد مع ناسوت المسيح هو الخالق وهو "الآذن"، وهذا التفسير لا يستقيم لأنّ اللاهوت إذا كان هو الخالق لا يحتاج إلى أن يأذن لنفسه ، فالله هو الذي أذن للمسيح حتى خلق من الطين كهيئة الطير ، فالذي خلق من الطين كهيئة الطير ليس هو الله ولا صفة من صفاته، فالمسيح ليس هو الله ولا ابن قدس أزلي لله ولكن عبده فعل بإذنه كما جاء في العهد القديم: ((في البدء خلق الله السموات والأرض))<sup>(3)</sup>. ولم يقل إن كلمة الله هي الخالقة ، فهناك فرق بين الخالق للسموات والأرض وبين الكلمة التي بها خلق السموات والأرض، كالفرق بين القادر والقدرة ؛ فالقادر هو الخالق وليست القدرة هي الخالقة فالله يخلق بقدرة ومشيته وكلامه ، وليس صفاته هي الخالقة ، والمسيح كله مخلوق كسائر الرسل ، والله وحده هو الخالق، والكلمة التي ذكرها القرآن إنّها هي التي بها خلق السموات والأرض .

<sup>1</sup> - سهيل ميخائيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد، دار النفائس، بيروت ، ط1 ، بدون تاريخ، ص 22.

<sup>2</sup> - سورة المائدة ، الآية 110.

<sup>3</sup> - سفر التكوين 1: 1.

## 1 - تطور مفهوم الإبن والإله.

لفظ ابن الله الواردة في الأناجيل وحتى في العهد القديم تعني الرعاية والمحبة ، طبقا لما جاء في العهد القديم في قول الله لداود عليه السلام: (( أنت ابني ، أنا اليوم ولدتك اسألني فأعطيكَ ميراثا لك وأقاصي الأرض مُلكا لك ))<sup>(1)</sup>. وفي إنجيل متى قال المسيح: (( طوبى لصانعي السّلام. لأنهم أبناء الله يُدْعَوْنَ ))<sup>(2)</sup>، وما عبارات التعميد الواردة باسم الآب والابن والروح القدس لا تعني العبادة بقدر ما تعني التبرك والتميّن ، فالآب قد تعني المحبوب المحبوب كما جاء في يوحنا: (( إني أصعدُ إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ))<sup>(3)</sup>. ويرى "البيروني" أن الإبن يرجع إلى عيسى بمعنى الإختصاص والأثرة، وليس يقصر عليه بل يعدوه إلى غيره، فهو الذي يأمر تلاميذه في الدّعاء بأن يقولوا: ( يا أبانا الذي في السّماء )، ويخبرهم في نعي نفسه إليهم بأنّه ذاهب إلى أبيه وأبيهم. ويفسر ذلك بقوله في أكثر كلامه عن نفسه: ((إنّ ابن البشر))<sup>(4)</sup>. وقد ورد لفظ المسيح ابن الإنسان في مواضع كثيرة<sup>(5)</sup> ، ومنها ما جاء في انجيل يوحنا قول المسيح لمن يريدون قتله: (( ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسانٌ قد كَلّمكم بالحقّ الذي سمعته من الله ))<sup>(6)</sup>. فما تردد في العهد الجديد ((ففيه يكثر استعمال عبارات وجمل تنم عن الشرك .. وفي الرد على ظاهرة الشرك بالله عند أهل الكتاب اشترط القرآن مبدأ التوحيد وجعله أساس كل الشعائر وركيزتها الأولى فمن لا يؤمن بوحدانية الله هو مقصي من رحمة الله))<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> - سفر المزامير مزمو 2: 7.

<sup>2</sup> - متى 5: 9.

<sup>3</sup> - يوحنا 17: 20.

<sup>4</sup> - محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني : الفلسفة الهندية ، (فصل من كتاب : تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مردولة ) ، مراجعة وتقديم : عبد الحلیم محمود، وعثمان عبد المنعم يوسف، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، بدون تاريخ، ص 38.

<sup>5</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 17: 22 ((وقال للتلاميذ ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوما واحدا من أيام ابن الإنسان)). وفي إنجيل لوقا 18: 8 ((ولكن متى جاء ابن الإنسان أَلَعَلَّهُ يجدُ الإيمانَ على الأرض)). وفي إنجيل مرقس 2: 28، ((السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لِأجل الإنسان لا الإنسان لِأجل السَّبْتِ)). وفي إنجيل متى 12: 33، ((ومن قال كلمة على ابن الإنسان يُغْفَرُ له، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي)).

<sup>6</sup> - إنجيل يوحنا 8: 40.

<sup>7</sup> - شايف عكاشة: مدخل إلى عالم المنهج الإسلامي ، قراءة في القرآن والإنجيل والتوراة، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، ج1، ط1، 1993م، ص ص 62-63 .

وقد أنكر القرآن الكريم على المسيحيين بقولهم بنوّة المسيح من الله ، حيث قال تعالى: { وقالوا اتّخذ  
الرّحمان ولداً، لقد جنّتم شيئاً إكّاباً، تكاد السّماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ  
الجبّال هكّاباً، أن دعوا للرّحمان ولداً، وما ينبغي للرّحمان أن يتّخذ ولداً }<sup>(1)</sup>.

وقال منكر أيضاً مقولاتهم التي ذكرها في قوله تعالى: { وقالك اليهود والنّصارى نحن أبناء الله  
وأحبّاءه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم، بل أنتم بشر ممّن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من  
يشاء ، ولله ملك السّماوات والأرض وما بينهما ، وإليه المصير }<sup>(2)</sup>.

ويبرر تعدد أقانيم المسيحيين بما ورد على لسان المسيح في إنجيل متى : (( عمّدوا النّاس باسم الآب  
والابن والرّوح القدس ))<sup>(3)</sup> ، وأنّ ما يدعيه هؤلاء من أقانيم ثلاثة فإنّ هذا النص ليس فيه شيء يدل  
على ذلك، فلفظ " الابن " لم يسمّ أحد من الأنبياء "علم الله" ابنه ، ولا سمو "كلامه " ابنه، فإن  
تعميدهم باسم الآب الذي يريدون في لغتهم "الرب" ، و "الابن" يريدون به في لغتهم "المرى" وهو  
المسيح، والروح القدس الذي أيّد الله به المسيح من الملك والوحي. ويستدل المسيحيون على صحة  
عقيدتهم في بنوّة المسيح لله بما يتأولونه بما جاء في القرآن: { إنّما المسيح ميسى ابن مريم رسول  
الله وكلمته، ألقاهما إلى مريم وروح منه }<sup>(4)</sup>، فيقولون أنّ هذا يوافق القول بأنّ للمسيح لاهوت  
وناسوت، إذ قد شهد القرآن أنّه إنسان مثلنا بالنّاسوت الذي أخذ من مريم ، وكلمة الله وروحه  
المتّحدة فيه . وهذا الاستشهاد فيه افتراء وبهتان مصداقاً لقوله تعالى: { لقد كفر الذين قالوا إنّ  
الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم  
وأهله ومن في الأرض جميعاً }<sup>(5)</sup>، وقوله: { لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن  
مريم، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربّي وربّكم، إنّّه من يشرك بالله فقد حرّم  
الله عليه الجنّة وماواه النّار، وما للظّالمين من أنصارٍ، لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث  
ثلاثة، وما من إله إلاّ إله واحد }<sup>(6)</sup>. وقوله تعالى: { وقالك اليهود عزير ابن الله وقالك

<sup>1</sup> - سورة مريم ، الآية 88.

<sup>2</sup> - سورة المائدة، الآية 18.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 28 : 19.

<sup>4</sup> - سورة النساء ، الآية 171.

<sup>5</sup> - سورة المائدة ، الآية 17.

<sup>6</sup> - سورة المائدة، الآيتان 72 - 73.

النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يظاهرون قول الذين كفروا من قبل  
 قاتلهم الله أنى يؤفكون<sup>(1)</sup>، فهذه الآيات تبطل زعم المسيحيين بأن القرآن يثبت لاهوت المسيح  
 ونبوته لله ويثبت ألوهيته من خلال تأويلهم لقوله تعالى: { وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ  
 بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَائِراً بِإِذْنِي }<sup>(2)</sup>، فيفسرها المسيحيون أنّ ذلك يكون بإذن اللاهوت  
 وبإذن الكلمة المتحدة مع الناسوت، وهو قول مردود، لأن المسيح لم يذكر خلقاً مطلقاً أو عاماً، فلم  
 يذكر إلا خلق شيء معين خاص بإذن الله، وأنه خلق من الطين كهيئة طير أي تصويره بصورة طير،  
 وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس، فيمكن لأي أحد فعل ذلك بل وحتى غير الطير، والمعجزة أنه  
 ينفخ فيه الروح فيصير طيراً بإذن الله، وليس مجرد خلقه من الطين. وأخبر الله أن معجزات المسيح هي  
 من نعم الله التي أنعم بها عليه فقال تعالى: { إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي  
 إِسْرَائِيلَ }<sup>(3)</sup>.

وما أطلقت أسفار العهد القديم من لفظ "النبوة" على آدم وعلى "إسرائيل" وعلى "داود  
 " وغيرهما إنما أطلقت من جهة التعميم، وهو نوع من التحريف الذي ألحقه المسيحيون بعقيدتهم،  
 فحملوا النبوة على محمل الحقيقة دون المجاز، فما أسند إلى المسيح من أفعال الله هو نوع من  
 التحريف، وأن ما أضافه إلى المسيح من أفعال الألوهية يعد أمراً باطلاً. فالمسيح يعتقد بأن الله خلقه  
 كسائر الناس، ولذا دعى نفسه ابن الله كما دعاهم "أبناء الله" سواء بسواء، فليس ذلك حجة لتأييد  
 دعوى أن المسيح هو ابن حقيقي لله، وهو ما ذهب إليه كل من "تولتسوي"، والقس "لوزان" من نفي  
 حقيقي للنبوة، وإنما أطلقت على عيسى لتقرّبه من ربه، وقد تعني الطاعة، أما القول بها فما هو إلا  
 افتراء على مقام الله المنزه عن الشريك<sup>(4)</sup>.

ومعجزة إحياء الموتى لم يفعلها المسيح باعتباره إلهاً قادراً، بل فعلها بالقدرة الإلهية،  
 وليس ما يدل فيها على ألوهيته ولكنه يدل على نبوته، وما يستشهد به المسيحيون على عقيدتهم في  
 المسيح إما تكون شواهد مكذوبة أو محرفة في نقلها وترجمتها، أو تكون متضمنة لألفاظ مؤولة لا  
 ينبغي فهمها إلا في ضوء الكتب المقدسة الصحيحة.

<sup>1</sup> - سورة التوبة، الآية 30.

<sup>2</sup> - سورة المائدة، الآية 110.

<sup>3</sup> - سورة الزخرف، الآية 59.

<sup>4</sup> - محمود علي قراءة: الثقافة الروحية في إنجيل برنابا، دار مصر للطباعة، 2، 1983، ص ص 7-8.

أما اليهود فينظرون إلى المسيح على أنه ولد زنا، وأنه كذاب وساحر فلم يؤمنوا به نبيا من أنبيائهم بل عدّوه متمرّدا ومشاغبا إستحقّ عقوبة الإعدام على خشبة الصليب، وعلى التقيّض فإنّ المسيحيين غالوا في تعظيم المسيح إلى درجة تأليهه فقالوا عنه أنه "ابن الله" أو "الله" واستدلّوا على أنه "ابن الله" لنصوص تأوّلوها من العهد القديم الواردة في سفر التثنية ، وأن الله على لسان موسى خاطب بني إسرائيل: ((أليس هو أباك ومُقتنيتك. هو عمّلك وأنشأك))<sup>(1)</sup> ، وفي سفر الخروج: (( هكذا يقول الربُّ. إسرائيل ابني البكر ))<sup>(2)</sup>، وقوله لداود: ((هو يدعوني أبي أنت. إلهي وصخره خلاصي، أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض ، إلى الدهر أحفظ له رحمتي وعهدي يُبَيِّتُ له ))<sup>(3)</sup>. وفي يوحنا قول المسيح لمريم المجدلية: (( إذهبي إلى إخواني وقولي لهم إنّي أبعثُ إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، وجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنّها رأت الربّ وأنه قال لها هذا))<sup>(4)</sup>.

إنّ نصوص كتب الأنبياء تبطل مذهب النصارى وتناقض أمانتهم ، ويحاجج المسيحيون بأن المسيح "ابن الله" وأنّ الله ليس أباً كباقي البشر ، ويعلمون أن آدم ولد بدون أب ولا أم. وينسون أن شجرة النسب التي ورد ذكرها في إنجيل لوقا لما تحدث عن نسب المسيح أن: (آدم ابن الله)<sup>(5)</sup>، ولم يقل منهم أحد أن "آدم" ابن الله حقيقة، بل هو ابن الله مجازا. وقد أبطل القرآن ما ذهب إليه المسيحيون حول المسيح فقال: { **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ** }<sup>(6)</sup> ، وأم البشرية نفسها أيضا جاءت بطريق معجز ولم يقل أحد أنّها "ابنة الله"، والملائكة أيضا ما جاءوا من أمهات وآباء . وقول المسيحيين أن المسيح جاء من روح الله عن طريق الروح القدس محاجين بالقرآن من خلال تفسيراتهم لصالح عقيدتهم ، يشيرون إلى قوله تعالى: { **فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رَوْحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ** }<sup>(7)</sup> وقوله تعالى: { **فَأرسلنا إليها روحنا** }<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> - سفر التثنية 32: 6.

<sup>2</sup> - سفر الخروج 4: 22.

<sup>3</sup> - سفر المزامير: مزمو 89: 26-28.

<sup>4</sup> - إنجيل يوحنا 20: 17-18. ويتبيّن صراحة أن الفقرة 18 من تأليف المؤلف للسفر.

<sup>5</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 3: 38. ((.. بن أنوش بن شيت بن آدم ابن الله)).

<sup>6</sup> - سورة آل عمران ، الآية 59.

<sup>7</sup> - سورة ص ، الآية 87.

<sup>8</sup> - سورة الأنبياء ، الآية 91.

يرد على لبس فهمهم للقرآن بما جاء في إنجيلهم بأن روح القدس هو نفسه الملاك "جبريل" الذي جاء إلى مريم، وإلى زكريا الذي طلب من الله أن يرزقه ولدا: (( فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامراتك أليصابات ستلد ابناً وتسميه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته، لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمراً ومسكرًا لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس))<sup>(1)</sup>، فهذا هو روح القدس الذي ملأ بطن أم يحيى العجوز العاقر، هو نفسه الذي نفخ في بطن مريم. حيث جاء في إنجيل لوقا: (( وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل، اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم... فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك... وهوذا أليصابات نسيبتك هي أيضا حبلت بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله))<sup>(2)</sup>.

فيتبين أنه ليس كل من يحل عليه روح القدس من البشر يتحول إلى إله، كما حل على الأنبياء الذين ذكرهم العهد القديم، فقد جاء في على لسان النبي حزقيال: (( وحل علي روح الرب وقال: قل هكذا قال الرب))<sup>(3)</sup>، وفيه أيضا ((وأجعل رُوحِي فيكم فَتَحَيُّونَ))<sup>(4)</sup>، ويقصد بها الروح الناطقة. وفي العهد الجديد الروح القدس هو هبة من الله يعطيها لمن يسأله، وهناك نصوص جديدة بأن تزيج المفهوم الخاطيء على أن المسيح ابن الله جاء من الروح القدس ففيه:

أ - (( وأما المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الأب بإسمي فهو يعلمكم كل شيء ويدكركم بكل ما قلته لكم))<sup>(5)</sup>.

ب - (( وامتلاً الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا))<sup>(6)</sup>.

ت - (( فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله، وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم))<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - إنجيل لوقا 1: 13-15.

<sup>2</sup> - إنجيل لوقا 1: 26-38.

<sup>3</sup> - سفر حزقيال 11: 5.

<sup>4</sup> - سفر حزقيال 37: 14.

<sup>5</sup> - إنجيل يوحنا 14: 26.

<sup>6</sup> - أعمال الرسل 2: 4.

## 2- مفهوم "الإبن" في العهد القديم:

لم تقل أسفار العهد القديم تصريحاً ولا تلميحاً بمقولات التثليث ولم تستشهد بفقرة تتعلق به بحيث تقيم الحجة عليه، رغم محاولات أصحاب التثليث في الإستشهاد لهذه العقيدة بنصوص من العهد القديم:

- ففي "سفر الخروج" يقول موسى لفرعون أنّ إسرائيل هو يعقوب وهو ابن الله البكر: (( هكذا يقول الربّ إسرائيل ابني البكر ))<sup>(2)</sup>، وفي سفر أرميا: (( لأني صرت لإسرائيل أبا وإفرايم هو بكري ))<sup>(3)</sup>، فنلاحظ في نص "الخروج" يعقوب ابن الله البكر، وفي "إرميا" هو "إفرايم". وهناك غيرهم أبناء الله بكور، كما جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية: (( لأنّ الذين سبق فعينتهم ليكونوا مشابهيين صورة ابنه ليكون هو بكرًا بين أخوة كثيرين ))<sup>(4)</sup>، إذا كان هؤلاء جميعهم أبناء بكورة الله فماذا يكون عيسى عليه السلام؟

وفي سفر المزامير لداود: (( أنت ابني أنا اليوم ولدتك ))<sup>(5)</sup>، وقال الله لسليمان: (( يبني بيتًا لإسمي وأنا أثبتُّ كرسي مملكته إلى الأبد أنا أكون له أبًا وهو يكون لي إبنًا ))<sup>(6)</sup> وقال موسى لقومه: (( أنتم أولاد للربّ إلهكم ))<sup>(7)</sup>، وقول إشعيا في الدعاء: (( أنت يارب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك ))<sup>(8)</sup>. إنّ أتباع التوراة لم يعرفوا التثليث ولا الأقانيم ولا اعتقدوا هذا الإعتقاد ولا حدثهم به نبي من أنبيائهم ولا كان لهم نظر فيه ولا علم به.

## 3- مفهوم "الإبن" في العهد الجديد:

ووردت في الأناجيل نصوص تفسر معنى "البنوة" بغير ما فهمه المسيحيون بالمعنى الحرفي ففي إنجيل يوحنا: (( وأما الذين قبلوه فأعظمهم سلطانا يصيروا أولاد الله ))<sup>(9)</sup>. ومعنى ابن الله هنا هو كل من يؤمن بالله، وهو لفظ مجازي وليس حقيقي<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - رسالة بولس إلى أهل رومية 8 : 9 .

<sup>2</sup> - سفر الخروج 4 : 22 .

<sup>3</sup> - سفر أرميا 31 : 9 .

<sup>4</sup> - رسالة بولس إلى أهل رومية 8 : 29 .

<sup>5</sup> - سفر المزامير : المزمور 7 : 7 .

<sup>6</sup> - سفر أخبار الأيام الأولى 28 : 6 .

<sup>7</sup> - سفر التثنية 14 : 1 .

<sup>8</sup> - سفر أشعيا 63 : 16 .

<sup>9</sup> - إنجيل يوحنا 1 : 12 .

- وجاء قول المسيح: ((انظروا آية نصيحة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله))<sup>(2)</sup>. فكلمة ابن هنا مجازية ، فكل من يؤمن بالله يطلق عليه مجازا ابنا لله.

- وقول المسيح: (( لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات ))<sup>(3)</sup>، فالله له أبناء كثيرون؟  
-وقال : ((طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون))<sup>(4)</sup> ، استعمال مجازي لكلمة الأبناء.  
-وقال : ((أبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية))<sup>(5)</sup>.  
-وقال : ((لأنّ أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه))<sup>(6)</sup>.  
-وقال : (( فصلّوا أنتم هكذا، أبانا الذي في السماوات))<sup>(7)</sup>.  
-وقال: (( يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي))<sup>(8)</sup>.

#### 4\_ مفهوم "الإله" في العهدين: القديم والجديد.

لما كانت ديانة بني اسرائيل هي ديانة خاصة بهم فهي على حد تعبير عباس محمود العقاد (( تشبه الهندوكية والشتية، في أنّها ديانة مغلقة، أي ليست من ديانات الدعوة، وانما تخالف بأن الهندوكية والشتية كلتاها ديانة شعب مستقر في وطنه منذ عهد بعيد، وأن اليهود تعرضوا للشتات، غير مرة))<sup>(9)</sup> فتعكس نفسيتهم عصبيتهم المغلقة (( فكان أبناؤها يكرهون أن يشاركهم غيرهم فيها، كما يكره أصحاب النسب الواحد أن يشاركهم غيرهم فيه، وكانوا من أجل هذا، لا يحركون ألسنتهم، لتعميم الدين اليهودي، وإدخال الأمم الأجنبية فيه ))<sup>(10)</sup>.

<sup>1</sup> - Que sais- je ? :la pensée biblique, dieu et l,homme, p 21

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 3 : 1.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 5 : 45.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 5 : 9.

<sup>5</sup> - إنجيل متى 6 : 4.

<sup>6</sup> - إنجيل متى 8 : 6.

<sup>7</sup> - إنجيل متى 6 : 9.

<sup>8</sup> - إنجيل متى 6 : 14.

<sup>9</sup> - مايقال عن الإسلام، مطبعة المعارف، بومرداس، الجزائر، بدون تاريخ، ص 36 .

<sup>10</sup> - عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، المكتبة العصرية، بيروت ، بدون تاريخ ، ص 32 .

فإله بني اسرائيل كديانتهم هو إلههم وحدهم، فهو: ((إله قبيلة واحدة، يختصها بحظوته))<sup>(1)</sup>، ولهذا تتحدد أبعاد ومقومات العقيدة اليهودية وكل ما يتعلق بالجانب الإلهي فيها من خلال كتب العهد القديم التي تتحدث عن دعوة الله لموسى - عليه السلام بأن يصعد إلى الجبل ليتلقى ما هو معطيه إياه: فجاء في سفر الخروج قول الله لموسى : (( وقال الرب لموسى أنظر. أنا جعلتك إلهاً لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك ))<sup>(2)</sup>. وجاء أيضاً قول الله لموسى - عليه السلام في نفس السفر: (( ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يمكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن . لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيي . وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي . لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا . لأن الرب لا يبريء من نطق باسمه باطلاً، أذكر يوم السبت لتقدسه ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما . أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك: لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره، ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك ))<sup>(3)</sup>.

فقد تحدث هذا النص بقدر من الإيجاز والإمام والشمول عن العقيدة والعبادة والشريعة اليهودية، دون أن يكون هناك لبسا أو تأويلاً جاءت به هذه الوصايا تحمل بين سياقها الجانب العقائدي والتعبدي في صلب العقيدة اليهودية عن الله المنزه الذي لا يليق بذاته التي تتعالى عن المخلوقات. وليس في الديانة اليهودية اسم علم لله تعالى، وغاية ما عندهم كلمة "إلوهيم" وهي كما لا يخفى اسم جمع. أما التوراة فقد ذكرت إهيه ويهوه<sup>(4)</sup>، إنه إله سريع الغضب، سريع الرضا، يدعو إلى إلى الشيء ونقيضه<sup>(5)</sup>، إنه قائد حرب وظيفته حب القربان ، فجاء في سفر أيوب قول الرب: (( قد

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: ما يقال عن الإسلام ، ص 47 .

<sup>2</sup> - سفر الخروج 7 : 1 .

<sup>3</sup> - سفر الخروج 20 : 1- 17 .

<sup>4</sup> - عبد العزيز الثعالبي: محاضرات في تاريخ المذاهب والاديان، تقديم ومراجعة : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،

ط : 1985، ص 114 .

<sup>5</sup> - عبد الغني عبود: الله والانسان المعاصر، (الكتاب الثاني)، سلسلة الإسلام وتحديات العصر، دار الفكر العربي، ط2، 1981م، ص74.

احتمى غضبي .. لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب كعبدى أيوب، والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش واذهبوا إلى عبدى أيوب وأصعدوا محرقة لأجل أنفسكم))<sup>(1)</sup>. وفي سفر إشعيا: (( في ذلك اليوم يكون مذبحٌ للربِّ في وسطِ أرضِ مصرَ وعمودٌ للربِّ عند ثُجْمِهَا، فيكونُ علامةً وشهادةً لربِّ الجنودِ في أرضِ مصر))<sup>(2)</sup>، وتحدث العهد الجديد على وحدانية الله من خلال أدلته التي وردت على لسان المسيح في مواجهته لكهنة اليهود حيث جاء قول المسيح لكهنتهم وأنهم آلهة: (( فأجابهم يسوع: أليس مكتوبا في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة؟))<sup>(3)</sup>. فمن هذا النص لا يمكن للمسيحي أن يقول أن موسى إله حقيقة، فلماذا لا يكون المسيح كذلك؟ ويلزم من هذا أن تفهم النصوص كلها أن مفهوم البنوة هي مجازية، التي وردت في العهد القديم أو الجديد، وأما عبارة ابن الله الوحيد التي ذكرها يوحنا وردت منفردة دون سواه من الأناجيل الأخرى، علما أنه هو آخر الأناجيل تدوينا<sup>(4)</sup>.

ولماذا لم يفهم المسيحيون " البنوة " كما فهموا كلمة " حمل الله " ؟ فلم يقل أحد منهم أن المسيح هو " حمل " بالمعنى الحقيقي من أنواع الحيوان ، بل يؤمنون بأنه استخدام مجازي، كالقول: أبناء القبيلة أو أبناء الوطن ، أو القول بأن الخلق عيال الله ، فعبارة " عيال الله " اللفظ فيها مجازي وليس حقيقي. ويترتب عن القول بألوهية المسيح القول أنه خالق السماوات والأرض وأنه يدين الناس ويحاسبهم يوم الدين، وهذا تعارض شديد بين ما جاء في إنجيل يوحنا: ((في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس والنور يضيئ في الظلمة والظلمة لم تدركه))<sup>(5)</sup>، ثم يقول عن نفسه: (( أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا ، كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني))<sup>(6)</sup>، أو يقول: ((لأن كلَّ شيء مستطاعٌ عند الله))<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> - سفر أيوب 42 : 7- 9 .

<sup>2</sup> - سفر إشعيا 19 : 19 .

<sup>3</sup> - إنجيل يوحنا 10 : 34-35 .

<sup>4</sup> - ينظر : إنجيل يوحنا 3 : 18 في حديثه عن الدينونة : ((لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد)).

<sup>5</sup> - إنجيل يوحنا 1 : 1-4 .

<sup>6</sup> - إنجيل يوحنا 5 : 30 .

<sup>7</sup> - إنجيل مرقس 10 : 27 .

وبالرغم من ورود نص على أن المسيح هو الذي يدين يوم الدينونة ، هناك ما يناقضه في نص آخر، فجاء في يوحنا : ((لأن الآب لا يدين أحدا بل قد أعطي كل الدينونة للإبن))<sup>(1)</sup>، وما يناقضه قول المسيح: ((لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم، من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه))<sup>(2)</sup>. وقوله: ((فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية))<sup>(3)</sup>، وقوله في متى : ((فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوك السماوي))<sup>(4)</sup>، فهذا التصريح من المسيح يشير إلى أن الله هو الذي يجازي ، ويغفر الذنوب ، وليس المسيح هو الذي يدين ويجازي ويغفر. فالمسيح نفى الألوهية عن نفسه ولا يوجد نص في الأناجيل يقول فيه المسيح : أنا إلهكم أو يقول: أعبدوني، بل قد تنبأ بما سيكون بعده فقال: ((وباطلا يعبدوني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس))<sup>(5)</sup>، وأن المسيح يتنكر يوم القيامة للذين يدعونه ربا ويطردهم ، حيث قال : (( ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا الشياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم))<sup>(6)</sup>، فلو ادعى أنه إله لما تنكر لهم ووصفهم بفاعلي الآثام. وتشهد نصوص أخرى أن المسيح جاء إلى المعمدان ليتعمد بماء النهر ليتطهر من الخطيئة التي ورثها البشر من آدم، فجاء كبقية الناس، فكيف يكون إله وهو يحمل الخطيئة؟ والتعميد ينفي أن يكون المسيح ابن الله .

وأحيانا يستدل المسيحيون عن تأليه المسيح بما جاء في متى قوله : (( وصوت من السموات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت ))<sup>(7)</sup>، كما يذهبون إلى أن هناك دلالات أخرى تثبت تأليه المسيح لأنه ولد من غير أب ، فيخطئون في فهم النبوة وأنها غير البيولوجية فهناك نبوة مجازية ليست بالمعنى الحقيقي الحرفي الذي فهموه ، فكل من يؤمن بالله يستحق أن يطلق عليه مجازا "ابن الله" كما جاء في انجيل يوحنا : (( وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد

<sup>1</sup> - إنجيل يوحنا 5: 22.

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 12: 47.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 6: 4.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 6: 14.

<sup>5</sup> - إنجيل متى 15: 9.

<sup>6</sup> - إنجيل متى 7: 21-23.

<sup>7</sup> - إنجيل متى 3: 17.

الله (أي المؤمنون باسمه))<sup>(1)</sup>. وقد يستشهد المسيحيون أن المسيح هو الله أو هو أحد الآلهة الثلاثة التي تكوّن في مجموعها "الله" مستنديين في تشكيل هذه العقيدة إلى نص إنجيل يوحنا: (( في البدء كان الكلمة والكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ))<sup>(2)</sup>، فإذا كان الله هو "الكلمة" فمن الذي ألقاها وتلفظها والتي صارت الله؟ وإذا أُلقيت الكلمة في البدء فمتى هذا البدء؟ ونعلم أن الله أزل لا بداية له ولا نهاية، والله لا يمكن أن يكون كلمة من الكلمات ولا الكلمة تكون الله، وبحسب النص يلزم وجود إلهين: الله الذي كانت عنده الكلمة، ثم الكلمة التي صارت الله.

### المبحث الثالث: تطور دلالات التوحيد والتعدد في الكتاب المقدس.

إذا رجعنا إلى كتاب العهد القديم فإن موسى - عليه السلام يعتبر أول من أفشى التوحيد في قومه، فأعتنق القوم التوحيد ولكنهم لم يستطيعوا التخلص من آلهتهم المتعددة إلاّ بعد فترة طويلة حتى عهد عزرا ونحميا، أي بعد انتهاء السبي البابلي وعودتهم إلى أرض كنعان من جديد في القرن الخامس قبل الميلاد حيث تعددت النصوص المقدسة في حديثها عن التوحيد<sup>(3)</sup>.

### مطلب 1: تطور دلالات التوحيد:

#### أ- تطور دلالات التوحيد في العهد القديم:

إن فكرة التوحيد انطلقت من تطور معين في تاريخ اليهود لأسباب سياسية واقتصادية حتى تم إصباغ صفة الإله الواحد على إله اليهود القبلي (يهوه)<sup>(4)</sup> فهو إله تطور من مرحلة تعدد الآلهة التي مرّ بها اليهود، تلك الآلهة التي كان "يهوه" مجرد واحدا منها، إلى مرحلة الإله الواحد، ((وقد يكون نتيجة هذا التطور تلك الحروب الشعواء التي يشنها (يهوه) من خلال التوراة، على غيره من الآلهة والتي بقيت آثارها عالقة في أذهان اليهود المتعددي الآلهة))<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - إنجيل يوحنا 1: 12.

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 1: 1.

<sup>3</sup> - سهيل ميخائيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص 43.

<sup>4</sup> - ينظر: سهيل ميخائيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، ص 94-95. يهوه: هو إله اليهود القبلي، وتكتب yhwh دون حروف علة،

وتكتب أحيانا **jehovah** وطريقة لفظ هذه الكلمة تعود إلى التفسير الغريب للنص الوارد في سفر الخروج 20: 7: (( لاتحلف أو

تنطق باسم الربّ إلهك باطلا)).

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 81.

ومن النصوص الدالة على عقيدة التوحيد في العهد القديم، ما جاء في سفر التثنية: (( اسمع يا اسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد))<sup>(1)</sup>، وفيه أيضا: (( لتعلم أنّ الربّ هو الإله ليس آخر سواه))<sup>(2)</sup>، وفي سفر أشعيا: ((هكذا يقول الرب.. أنا الأوّل و أنا الآخر ولا إله غيري))<sup>(3)</sup>. وجاء في سفر الملوك الأوّل: (( ليعلم كلّ شعوب الأرض أنّ الربّ هو الله وليس آخر))<sup>(4)</sup>. وينفي الله أن يكون مثله أحد كما في سفر التثنية: (( ليس مثل الله ))<sup>(5)</sup>.

وفي سفر أيوب: ((لأنّهُ ليس هو إنسانا مثلي)).<sup>(6)</sup> ورغم هذه النصوص الدالة على عقيدة التوحيد المأخوذة من العهد القديم، فإن اليهود لبثوا زمنا يصفون الإله بالصفات التي لصقت به في الوثنية أو في ديانات الحضارات القديمة، فظلّ الإله عند اليهود يغار من الجنس البشري ، وينصب الفخاخ في البرية للتغريب بهم<sup>(7)</sup>.

### ب- تطور دلالات التوحيد في العهد الجديد:

سئل عيسى -عليه السلام عن أي الوصايا أعظم ، وأول الكلّ فقال: (( إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل. الربّ إلهنا رب واحد، وتحبّ الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك ومن كلّ فكرك ومن كلّ قدرتك هذه الوصية الأولى... فقال له الكاتب: جيد يا معلم. بالحقّ قلت لأنّهُ الله واحد وليس آخر سواه))<sup>(8)</sup> ، فالله هو رب جميع الناس وعيسى المسيح ليس رباً لأنّ الربّ لا لا يكون له ربّ آخر، فشهد المسيح بالتوحيد، وقد خاطب التلاميذ قائلاً: ((إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم))<sup>(9)</sup>، فالمسيح مثله مثل التلاميذ، فالله أبوه وأبو التلاميذ على سبيل المجاز. وفي يوحنا يقول: ((أنّ يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته، أنا مجدّتك على الأرض ، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته))<sup>(10)</sup>، وهذا دلالة على الوحدةانية الصريحة.

<sup>1</sup> - سفر التثنية 6 : 4 .

<sup>2</sup> - سفر التثنية 4 : 35 .

<sup>3</sup> - سفر أشعيا 44 : 6 .

<sup>4</sup> - سفر الملوك الأوّل 8 : 60 .

<sup>5</sup> - سفر التثنية 33 : 26 .

<sup>6</sup> - سفر أيوب 9 : 32 .

<sup>7</sup> - عباس محمود العقاد: إبليس، ص 93 .

<sup>8</sup> - إنجيل مرقس 12 : 28-32 .

<sup>9</sup> - إنجيل يوحنا 20 : 17 .

<sup>10</sup> - إنجيل يوحنا 17 : 3-4 .

والمسيح يجذر قومه من أنه لا يوجد إله على الأرض بل الله هو الموجود في الكون، وما المسيح إلا معلما في الأرض وليس إلهاً<sup>(1)</sup>. ويشهد المسيح أنه ضعيف يتمتع بقوة الروح القدس منذ كان في بطن أمه، حتى بعد ولادته لم يستطع دفع الأذى عن نفسه إلا بواسطة روح القدس فجاء في إنجيل متى: ((وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً: قم وخذ الصبي وأمّه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك. لأن هيرودوس مزع أن يطلب الصبي ليهلكه. فقام وأخذ الصبي وأمّه ليلاً وانصرف إلى مصر. وكان هناك إلى وفاة هيرودوس))<sup>(2)</sup>، فكيف لا يمكن للمسيح أن ينقذ نفسه من أحد أفراد خلقه "هيرودس" إذا كان إلهاً؟ وفي نص آخر أن يوسف قام وأخذ الصبي وأمّه، وجاء إلى أرض إسرائيل ولكن لما سمع أن "أرخيلاوس" يملك اليهودية عوضاً عن "هيرودس" أبيه خاف أن يذهب إلى هناك، إذ أوحى إليه في حلم أن ينصرف إلى نواحي الجليل<sup>(3)</sup>، وكيف يكون المسيح إلهاً ويأتي إبليس ليجره حيث ورد نص بإنجيل متى عن المسيح: ((ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها. وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي))<sup>(4)</sup>. فكيف يغري الشيطان الله بممالك الله وهو الذي خلق الكون؟ وهو الذي الذي يقول عنه يوحنا: ((كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس))<sup>(5)</sup>. فالشيطان لم يكن يؤمن بأن المسيح هو الله، وإلا لما تجرأ أن يقف أمامه ليمتحنه ويعلم أنه هو الذي خلقه، ولكن يبدو أن الأسطورة الوثنية الهندية فعلت فعلتها في التراث المسيحي وتغلغلت أيما تغلغل محكم. فالمسيح يشهد أنه إنسان ولم يقل أنه إله أو ابن الله حقيقة، أو ادعى أنه مساوي لله، فقد كان يتجه إلى الله بالدعاء والشكر بقوله: ((أيها الآب أشكر لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت. ليؤمنوا أنك أرسلتني))<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: إنجيل يوحنا 5: 44. قول المسيح: ((ليست لكم محبة الله في أنفسكم. أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني)).

<sup>2</sup> - إنجيل متى 2: 13 - 15.

<sup>3</sup> - ينظر: إنجيل متى 2: 19-23.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 4: 8.

<sup>5</sup> - إنجيل يوحنا 1: 4.

<sup>6</sup> - إنجيل يوحنا 11: 41-42.

ولهذا دعا الله أن يمدّه بمعجزة الإحياء ثم شكر الله لأنه استجاب له، وهذه أخت لعازر تقول للمسيح: ((إعلم أنّ كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه))<sup>(1)</sup>، فالمسيح يطلب المعجزات من الله ويطلب النجاة لنفسه كما ورد في قوله ليلة أرادوا القبض عليه: ((أيها الآب نجّني من هذه السّاعة))<sup>(2)</sup>، وكان المسيح يصلي ويعبد الله، فكيف من يعبدّه وهو يصلي لغيره؟ ((وقضى الليل كله في الصلاة لله))<sup>(3)</sup>، فإذا كان هو الله، فلمن كان يصلي إذا؟ وكيف يكون إله وهو لم يستطع إنقاذ نفسه ليلة القبض عليه كما تدّعي الأناجيل؟ وهو القائل: ((إيلي إيلي لما شبقني، أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟))<sup>(4)</sup>، فلماذا يتوجّه المسيحيون إليه بالطلب وهو لم يقدر على إنقاذ نفسه؟ وكيف تلجأ إلى من لا يستطيع أن يعطيك ما تطلبه؟

يشهد المسيح أنّه رسول الله فجاء في إنجيل مرقس أن اليهود لما طلبوا من المسيح مغادرة أورشليم قال لهم: ((لأنه لا يمكن أن يهلك نبيّ خارجاً عن أورشليم، يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين))<sup>(5)</sup>، فوصف المسيح نفسه أنه نبيّ، وأن الأنبياء لا يقتلهم أحد خارجها. وقد قال أيضاً لأصحابه: ((الحق أقول لكم إنّه ليس نبيّ مقبولاً في وطنه))<sup>(6)</sup>، وهو اعتراف منه أنّه نبيّ وأنّه نبيّ لبني اسرائيل الذين لم يقبلوه فهو يخبر ما يحدث له، وقد حدث للأنبياء من قبله من صعوبات من أقوامهم: ((ليس نبيّ بلا كرامة، إلاّ في وطنه وبين أقربائه وفي بيته))<sup>(7)</sup>. ومن دلائل أنه نبي ما ورد عن المسيح لما قدم المدينة وخرجت الجموع قائلة: ((مبارك الآتي باسم الرب.. ولما دخل أورشليم ارتجّت المدينة كلّها قائلة من هذا؟ فقالت الجموع هذا يسوع النّبي الذي من ناصرة الجليل))<sup>(8)</sup>، فشهد أقرب أصحابه ومن عاصره بأنه نبيّ ولم يقل منهم أحد أنه إله أو ابن إله. كما جاء أيضاً في نص للوقا: ((قد قام فينا نبيّ عظيم وافتقد الله شعبه))<sup>(9)</sup>.

<sup>1</sup> - إنجيل يوحنا 11: 22.

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 12: 27.

<sup>3</sup> - إنجيل لوقا 6: 13.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 27: 46. ونفسه في إنجيل مرقس 15: 34.

<sup>5</sup> - إنجيل لوقا 13: 34.

<sup>6</sup> - إنجيل لوقا 4: 24.

<sup>7</sup> - إنجيل مرقس 6: 4. وأنظر: نفسه في إنجيل متى 13: 57.

<sup>8</sup> - إنجيل متى 21: 9.

<sup>9</sup> - إنجيل لوقا 7: 16.

ومن النصوص التي يشهد المسيح أنه رسول ونبي ما جاء في يوحنا قوله: (( فنأدى يسوع وقال: الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني ))<sup>(1)</sup>. ويقول المسيح: ((لأني لم أتكلم من نفسي نفسي ، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول، وبما ذا أتكلم ...فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم ))<sup>(2)</sup>. وقوله: (( ولا تدعوا لكم أبا على الأرض، لأنّ أباكم واحد الذي في السماوات، ولا تُدعوا معلّمين لأنّ معلّمكم واحد المسيح ))<sup>(3)</sup>. وعندما نادى أحدهم المسيح المسيح قائلاً:

(( أيّها المعلّم الصّالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحد صالحاً إلّا واحد وهو الله ))<sup>(4)</sup>، فليس أحد كاملاً إلّا الله ، وترى كيف نفى عيسى عن نفسه صفة الصّلاح، ثم كيف يزعم المسيحيون أن المسيح إدعى أنّه إله؟

ويرد على مقولات المسيحيين حول دعوى بنوّة المسيح لله : أنّ ما جاء في الكتاب المقدس الذي يذكر فيه أن المسيح ابن الله هو نفسه الكتاب المقدس الذي ينتهي بآدم إلى هذا النسب ، وهو نسب البنوّة إلى الله. فقد جاء في إنجيل لوقا: (( وكان يسوع في نحو الثلاثين من العمر عندما بدأ رسالته، وكان الناس يحسبونه ابن يوسف بن هالي ... بن شيث ، بن آدم ، ابن الله ))<sup>(5)</sup>.

وهذا الكتاب المقدس نفسه ينسب "إسرائيل" على أنه ابن الله فجاء في سفر الخروج: ((فتقول لفرعون هكذا يقول الربّ . إسرائيل إبني البكر ))<sup>(6)</sup>. كما جاء في انجيل متى: (( طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله، طوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون ))<sup>(7)</sup>. فالبنوّة هذه هي بنوّة بنوّة مجازية تعني العبد الصّالح ، على حد قول يوحنا في إنجيله: ((أنظروا أية نصيحة أعطانا الأب حتى ندعى أبناء الله ))<sup>(8)</sup>. وهو لا يقصر التسمية ابن الله على نفسه ، وإنما يجعلها لكل مؤمن بالله يدل

<sup>1</sup> - إنجيل يوحنا 12 : 44 .

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 12 : 49-50 .

<sup>3</sup> - إنجيل متى 23 : 9-10 .

<sup>4</sup> - إنجيل لوقا 18 : 19 .

<sup>5</sup> - إنجيل لوقا 3 : 23-38 .

<sup>6</sup> - سفر الخروج 4 : 22 . وفي سفر هوشع 11:1 جاء فيه: ((يقال لهم أبناء الله الحي)).

<sup>7</sup> - إنجيل متى 5 : 8-9 .

<sup>8</sup> - رسالة يوحنا الأولى 3 : 1 . المسيح يسمي نفسه مرة إنه ابن الله إنما يقوله مجازاً ، ولم يسم نفسه ابن الإنسان إنما يقول الحقيقة

ولكن تسمية المسيح ابن الله تحولت مع الزمن من المجاز إلى الحقيقة.

ذلك من موقف المسيح من المرأة حيث ((...قال لها يسوع: لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي ، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم : إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهمكم ))<sup>(1)</sup>.

وعلى أساس هذا فلا خصوصية للمسيح حتى يعبدوه من دون الله، ففي هذا النص جمع لهم بين اشتراكهم معه في أبوة الله لهم، واشترائه معهم في ألوهية الله للجميع. وقد يقول المسيحيون إن يسوع أحيا الموتى لذلك استحق البنوة والتأليه، وللرد عليهم : من الذي أمات هؤلاء ؟ ويقولون إن المسيح أشفى المرضى وقد شفا امرأة ظلت تنزف دما مدة اثنتي عشرة عاما، فيرد عليهم : لماذا تركها تنزف هذه المدة ؟ والحقيقة أن غلّه لبني إسرائيل القديم كان قاسيا لا يعرف الرحمة، يهّمه أن يرى شعبه يتقرب إليه بالذبائح وبالدموع. فصار إلههم الجديد شيئا آخر جديدا، يتفق وروحانية الدعوى المسيحية، فهو إله قدم نفسه ذبيحة لأجل الإنسان<sup>(2)</sup>.

ففي نظر المسيحيين أنّ التجسد الإلهي ليس ديننا جديدا، بل هو تطوير لفكر البشرية عن الإله الذي يبحثون عنه ليعبدوه<sup>(3)</sup>، ويقولون إن المسيح طلب فداء للبشرية عن خطيئة آدم الأولى، فتألم من أجلنا، ويرد عليهم: كيف لهذا الإله أن يطلب من البشر مالا يستطيع أن يفعله هو؟ وهو الذي يرفض بشدة أن يسامح الإنسان المخطئ، ويتناقض مع نفسه لما يطلب أن يسامح أخاه إلى سبعين سبع مرات. كيف تكون العدالة الإلهية والمسيح يصلب ومعه لسان نالا من التعذيب والألم أشد من المسيح، حيث كسرت عظامهما بينما ظلت عظامه دون أن تمس، ولماذا لم تشملهما غفران الخطايا التي صلب من أجلها المسيح ؟ لماذا تجسد المسيح من خلال بطن امرأة، وكان الأولى أن يتجسد من خلال بطن رجل حتى تكون الحادثة أكثر دهشة؟ فلماذا تجسد من خلال امرأة ؟ أليس قادرا أن يتجسد بلا واسطة بشرية ليكون إله خالصا بعيدا عن الشوائب البشرية؟ فالمسيحية التي دعا إليها عيسى - عليه السلام جاءت بالتوحيد الخالص والمنهج الواضح، غير أن القوم بعد المسيح غيروا وجهتها الصحيحة من النظرة السليمة لعيسى التي تحمل كل تكريم وتنزيه حيث يستحقه وأمه عليهما السلام ، إلى التحريف في وجهتها من التوحيد الخالص والمنهج الرباني الواضح إلى وثنية خالصة وعقائد منحرفة لم يكن المسيح ولا حواريه لهم معرفة بها : كالتثليث والفداء والصلب والدينونة<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - إنجيل يوحنا 20: 17-18.

<sup>2</sup> - عبد الغني عبود : الله والانسان المعاصر، ص 83.

<sup>3</sup> - عبد الكريم الخطيب: الله.. والإنسان ( قصة الألوهية بين الفلسفة والدين)، ص 259 .

<sup>4</sup> - قاموس الكتاب المقدس، ص 234 . جاء فيه: التثليث: ( إله واحد؛ الأب والابن والروح القدس إله واحد، جوهر (ذات) واحد متساوين

## ت - دعوى تأليه المسيح في القرآن الكريم:

جاء في خطبة (مقدمة) كتاب الأجوبة الفاخرة للقراني قوله: (( فإن بعض النصارى قد أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيراً أن غيره هو القائل، وأنه هو السائل. مشتملة على الإحتجاج بالقرآن الكريم على صحة مذهب النصرانية، فوجدته قد التبس عليه المنقول، وأظلمت لديه قضايا العقول، فإن كتابنا العزيز وكتبهم دالة على صحة مذهبنا وإبطال مذهبهم،... وسميت الكتاب: بالأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة))<sup>(1)</sup>. وفي هذا الكتاب أربعة أبواب اشتمل الباب الأول على بيان ما التبس على النصراني من القرآن الكريم حيث تتبعه القراني في الرد على رسالته حرفاً حرفاً إلى آخرها، متناولاً في بداية هذا الباب الجمود الفكري لطائفة النصارى وتشبثهم بالتقليد وبكل ما يلقيه إليهم أساقفتهم ويقرّون بذنوبهم إليهم على اعتبار أن بيدهم السعادة والشقاء، ويستدلون على عدم اتباع النبي محمد -صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرسل إليهم، وأن القرآن جاء معظماً لعيسى وأمه وللكنائس، حيث قدّمها على المساجد، كما عظم الحواريين والإنجيل الذي يدلّ على تعظيمه وعدم تبديله مما استوجب على "القراني" الرد بخمسة عشر ردّاً من كتبهم تدل على التبديل والتغيير<sup>(2)</sup>، وفي الباب الثاني إجابة "القراني" عن خمسة عشر سؤالاً بعثوا بها تتحدث عن استحالة توأمتهم على الكذب، وأن النسخ يميز البدء والندم على الله، واشتمال القرآن على ما ليس بصحيح كقول القرآن بأنّ مريم ابنة عمران، فأين عمران من مريم حتى يكون أباهما؟ وأن المسيح إله لأنه أحى الموتى<sup>(3)</sup>. وجواب "القراني" أنّ غير عيسى شاركة في ذلك حيث شهد الإنجيل أنّ الحواريين فعلوا ذلك، وأن إلياس وأليسع وحزقيال وغيرهم كانوا يحيون الموتى<sup>(4)</sup>، ثم يستطرد القراني في هذا الباب في الرد على

---

في القدرة والمجد. وعند الكنائس تفاوت عجيب في تفسيرها للأقنيم الثلاثة (الأشخاص الثلاثة)، والبعض منها يفسره بأنه وحدانية في تثليث وتثليث في وحدانية، وترتب عن ذلك بالإتحاد (التجسد) أي أن الله اتخذ جسد المسيح له صورة وحل بين الناس بصورة إنسان ويفسر المسيحيون ذلك بمشابهة التثليث بالإنسان المكون من دم، وروح، وجسد ومرة بالشمس من جسم ونار ونور. وحول الصلب والفداء تتجادب اليهود والمسيحيين موقفين متضاربين حيث يزعم الأولون أن المسيح لما كفر بالله استحق العقاب بالصلب أما الكنيسة فتزعم أن الصلب هو فداء للبشر لتخليصهم من الخطيئة الأزلية التي ارتكبتها آدم عليه السلام من أكله من الشجرة التي نهي عنها، وللتخلص من هذا الإنم رضي المسيح أن يموت مصلوباً بأمر من الله ولم يكن هذا الفادي إلا ابن الله، بل يعتقدون أنه هو الله نفسه الذي تجسد في صورة عيسى وخرج من بطن مريم ومات على الصليب فداء للبشر).

<sup>1</sup> - شهاب الدين ابن ادريس (القراني): الأجوبة الفاخرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1986م، ص 3.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 22 وما يليها.

<sup>3</sup> - شهاب الدين أحمد ابن ادريس المالكي (القراني): المرجع نفسه، ص 62 وما يليها.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 65.

دعوى القول بصلب المسيح والقول بالإتحاد مبينًا وجه التناقض في ذلك وفي وجه التناقض حول مقولات: الخلاص، والتجسد. وفي الباب الثالث: يستعرض مائة وسبع جواب عن سؤال مشيرًا إلى عدم تمكن النصارى من الإجابة عليها تشير إلى أنّ المسيح بأنه رسول الله بحسب ما أورده لوقا في إنجيله، وفي إبطال ألوهيته للمجيب مرة أخرى. وفي الباب الرابع والأخير: تناول ما في كتب النصارى مما يدل على صحة الاسلام واثبات نبوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم وفيه خمسون بشارة مقتبس نصوصها من العهد القديم والعهد الجديد<sup>(1)</sup>.

إنّ أشد الكتب التاريخية تصريحًا بتأليه المسيح هو إنجيل يوحنا<sup>(2)</sup>، وقد ردّ على تصورهم

الفاقد القرآن بقول الله :

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ }<sup>(3)</sup>، ويستشهد المسيحيون على أن المسيح ابن الله وأنه إله بتفسيرهم لقوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} <sup>(4)</sup>، فقالوا إنّ قوله مثل عيسى إشارة إلى البشرية المأخوذة من مريم لأنّه لم يذكر هنا اسم المسيح إنّما ذكر " عيسى " فقط. وكما أنّ آدم خلق من غير جماع ولا مباحضة فكذلك جسد المسيح خلق من غير جماع، وكما أنّ جسد آدم ذاق الموت كذلك جسد المسيح ذاق لموت. وقالوا أنّ ما قاله القرآن وأنّ الله ألقى كلمته إلى مريم يطابق القول الوارد في إنجيل يوحنا بأنّ كلمة الله الأزلية الخالقة حلّت في مريم وتجسدت بإنسان: ((والكلمة صار جسدا وحلّ بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيده من الآب مملوء نعمة وحقًا))<sup>(5)</sup> ويرد عليهم بأنّ الله بيّن قدرته حيث خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق زوجته من ذكر بلا أنثى ، وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر ، وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى، فخلق آدم أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، حيث خلق آدم من تراب ليس جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه المسيح من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟ ولم يكن آدم بما نفخ من روحه لاهوتا وناسوتا بل كله ناسوت وكذلك المسيح كله ناسوت، فالمسيح ليس بإله ، وإنه مخلوق كما خلق آدم وقد أمر الله رسوله أن

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع نفسه ، ص 163 وما يليها.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، مطبعة العزيزية، الرياض، ط4، 1404هـ ، ص 58.

<sup>3</sup> - سورة المائدة ، الآية 77.

<sup>4</sup> - سورة آل عمران ، الآية 59.

<sup>5</sup> - إنجيل يوحنا 1: 14 .

يباهل من قال أنه إله أن يجعل لعنته على الكاذبين. وقال المسيحيون أن القرآن ذكر عيسى ولم يذكر "المسيح" في قول الله: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرَوَّحَ مِنْهُ} (1)، ويتناسون قول الله: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ، اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا، وَمِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ، قَالَ كَذَلِكَ، اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (2)، فأخبر أن المسيح ليس هو ابن الله وإنما هو ابن مريم وهو ناسوت ورسول، وقوله: (كلمة منه) أنه كلمة من كلمات الله، ليس هو كلامه كله كما يدعي المسيحيون ظنا منهم أن معنى (كلمة منه) : قطعة منه، وهو تأويل فاسد. وغاب عنهم أن الكلمة المرادة : هي لفظ {كُنْ} لأنه لم يولد ولادة طبيعية كسائر البشر؛ بل كان لفظ {كُنْ} فكان (3) ويتبين أن المسيح الذي هو الكلمة هو ولد "مريم لا ولد" الله".

ولقد ناقش ابن حزم عقيدة النصارى حول المسيح مناقشة طريفة فيقول: ((وجملة أمرهم في المسيح عليه السلام أنه مرة بنص أنجيلهم ابن الله ومرة هو ابن يوسف، وابن داود، وابن الإنسان، ومرة هو إله يخلق ويرزق، ومرة هو خروف الله ومرة هو (في الله) والله فيه، ومرة هو في تلاميذه وتلاميذه فيه ، ومرة هو علم الله وقدرته، ومرة لا يحكم على أحد ولا ينقذ إرادته، ومرة هو نبي وغلّام الله، ومرة أسلمه الله إلى أعدائه، ومرة قد انعزل الله له عن الملك، وتولاه هو، وصار يولي أصحابه خطة التحريم والتحليل في السماوات والأرض، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل، ويعرق من الخوف، ويفضل فيركب حماره ويؤخذ ويلطم وجهه ويضرب رأسه بالقصبة ويمسكه الشرط، ويصلب بين ساريقين، ومات ودفن ثم قام بعد الموت فلم يكن له من هم بعد أن قام إلا أن طلب ما يأكل ثم انطلق إلى شغله)) (4).

**مطلب 2: الوثنية في العقائد المسيحية ، ومنها:**

<sup>1</sup> - سورة النساء ، الآية 171 .

<sup>2</sup> - سورة آل عمران ، الآيات 45-47 .

<sup>3</sup> - ابن الخطيب: هذا هو الحق (رد على مفتريات كاهن كنيسة)، المطبعة المصرية ، ط2، 1979، ص 34.

<sup>4</sup> - عبد الحلیم عويس: العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري ، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1981 م، ص 22. وأحالنا المؤلف على :

الفصل لابن حزم ، ج 2 ، ص 69 ، والمسيحية لأحمد شلبي ، ص 41.

أ- عقيدة عودة الإله إلى الحياة بعد الموت: حيث تميزت بعض الفرق الدينية اليهودية بتعلقها بفكرة الأمل في النجاة من الموت في عالم الخلد عن طريق شفيع منقذ إلهي، يقوم بإجراء طقوس للإله في شكل أسرار تشبه القربان المقدس من شأنه أن يغمر المشتركين فيه بالعناية الربانية، كما راح المتدينون من الوثنيين يفسرون العلاقة بين حياة الشمس وحياة الأرض الخصبة التي تدر عطفًا ورعاية أن لها نفس دور الأم فألهوها، وأقام لها عبادها شعائر وطقوس ومراسيم في مختلف فصول السنة تنطلق بنعي الإله الميت ليتم الاستعداد بعدها لتمجيد بعثه من جديد<sup>(1)</sup>. فاعتقد أتباع المسيح أنهم رأوه حيًا في اليوم الثالث بعد يوم صلبه ثم ظهر لهم في عدد من المناسبات. وأصبح الطقس الديني المميز للجماعة المسيحية قد أصبح أكل جسد المسيح وشرب دمه في بدائل نباتية: الخبز والخمر، وكان يسوع منافسون في دور المخلص ولكنه كان أكثرهم حصة في اقتناص دور الإله المتجسد. يقول " تويني": (( فإن جميع الأباطرة على التوالي كان كل واحد منهم الوريث الشرعي للإله المتجسد المصري. وكانت عبادت الإله البشري الإمبراطوري الإسمنت الذي كان يربط أجزاء الإمبراطورية أحدها بالآخر؛ كما كانت هذه العبادة قد حافظت على ترابط الملكية المصرية المزدوجة، لمدة تزيد عن ثلاثة آلاف سنة))<sup>(2)</sup>. وهكذا تحيل أتباع المسيح أن الإله يتعذب كما يتعذب الإنسان، ثم يموت كما يموت الإنسان ولكنه يتغلب على العذاب وعلى الموت إذ يبعث من جديد مشابهة بما اعتقده المصريون القدامى<sup>(3)</sup>.

#### ب- عقيدة القربان والتعميد:

وتتمثل هذه الشعيرة في التعميد بالدم بتقديم ثور كذبيحة داخل أسوار المعبد، وتحفر حفرة تسدل عليها شبكة بعد أن ينزل إليها المرید ويسيل دم الثور في الحفرة فيتلقاه الذي بها ويغمس فيه أعضاء جسده وبعد إتمام هذا النوع من التعميد تنزع الأعضاء الذكرية من الذبيحة وتوضع في إناء

<sup>1</sup> - شارل جنير: المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحلیم محمود، المكتبة العصرية، بيروت، ب. تاريخ، ص 62. ويقول المؤلف: أقام الوثنيون شعائر وطقوس لشخصيات نسائية على أساس أنها آلهة كما هو الحال عند الأم الكبرى (سبيل) في أسطورة جها لأتيس وأفروديت بالنسبة لأدونيس وعشتار مع تموز وإيزيس مع أوزوريس .

<sup>2</sup> - أرنولد تويني: تاريخ البشرية، ج 1، ص 375.

<sup>3</sup> - أشار عبد العزيز الثعالبي في كتابه: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، ص 54. حول عقيدة الفداء والقتل والصلب عند المصريين أنها قديمة، حيث كانوا يبعثون (أوزيريس) بالصالح الإلهي وذكروا أشياء كثيرة عن كيفية ظهوره على الأرض وموته وقيامه من بين الأموات، ويعودونه أعظم مثال لتقديم الضحية، ضحى بمفسه وقدم الذبح لينال الناس الحياة.

مقدس ويتقدم بها السالك قربانا للآلهة ثم تدفن تحت هيكل تذكاري<sup>(1)</sup>. فهذه الطقوس الوثنية اليونانية عرفت المسيحية في القرن الثاني الميلادي مجسدة في عبادة (ميثرا) التي احتوت على شعائر تقدم كأس من الشراب وخبز إلى المؤمنين مع النطق ببعض التمامم والعبارات المخصصة.

وقد تحدث "عبد الله الترجمان" عن فساد عقيدة النصارى وقواعد دينهم الخمس ومنها التغطيس وصفته أن في كل كنيسة حوضا من رخام يملؤه القسيس بالماء ويقراً ما تيسر من الإنجيل ويرمي فيه ملحاً كثيراً أو أشياء من دهن البلسان.. ويسكبها عليه وهو يقول: وأنا نغطسك باسم الأب، والإبن وروح القدس، ثم يمسح الماء عنه بمنديل، وينصرف وقد دخل في دين النصارى<sup>(2)</sup>.

وكما غرقت اليهودية من الأديان الوثنية على مختلف مشاربها، استمرت المسيحية أيضاً في الإغتراف من الأديان الوثنية على امتداد تاريخها عن طريق رجال الكنيسة؛ بدءاً من بولس ومروراً بالقدس أوغسطين، حيث قام الرجل الأول باستغلال رؤية رآها في طريقه إلى فلسطين من دمشق، مستغلاً ثقافته اليونانية وجنسيته اليهودية في تشكيل العقيدة المسيحية في قالب جديد محوره عيسى جامعاً حوله معلومات من عمل عقله وفكره وخياله ومستخدماً أساليب اعتادها كيهودي فريسي من أهل المهجر على ما تلقاه في صياغة المسيحية الحالية. أخذت المسيحية البولييسية من الأديان التي اهتمت بالدعوة إلى النجاة بواسطة المنقذ الإلهي الذي يشفع للبشر عند الإله الأعظم هذا الشفيع الذي رضي بالعذاب كإنسان يسمح لبني البشر بالإتحاد معه فينجيهم لارتباط مصيرهم بمصيره.

ولما يشترك الأتباع في هذه المعتقدات يشعرون بحلول الآلهة أثناء الاحتفالات التي يموت فيها الإله ويعث، والتي فسرها بولس: على أن المسيح هو الموعود به في كل بني إسرائيل فهو المنقذ والمحقق لمملكة الله، وبنجاة المؤمنين تكون بالإتحاد مع المنقذ وفق طقوس التعميد التي ترمز إلى الموت والبعث، ويرمز القربان إلى مأدبة الوحدة مع المسيح عند تناول الخبز. حيث تخيل بولس أن عيسى لما استسلم للصلب الذي كان يتوقعه أمر صحابته أن يأكلوا من لحمه ويشربوا من دمه، رمزياً وقد كان شرب الدم من طقوس العبادات الهلنستية الغامضة التي ترمز إلى قهر الموت، وكان بولس أول من كتب

<sup>1</sup> - شارل جنير: المصدر السابق ص 75. استبدلت هذه الشعائر في المسيحية إلى السعي لكسب الخلود في الحياة الأخرى بتناول

المؤمنين الطعام في هيئة جماعة كتعبير عن التأخي، ويرمز بطقوس ذبح الثور بأن حفرة جمع الدم تمثل مملكة الأموات حين ينزل إليها المرید كأنه مات، وإذا خرج منها أعتبر مولوداً من جديد.

<sup>2</sup> - عبد الله الترجمان: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق: الطاهر المعموري، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، ط4،

1983، ص 33-34. وأنظر أيضاً: ص 42 وما يليها حول الإيمان بالقربان وصفته والرد على النصارى وطقوس صلواتهم من أكل

للفطيرة وشرب الخمر.

عن هذا الطقس في رسالته إلى أهل كورنثوس وبعده نقل عنه أصحاب الأسفار الثلاثة القصة عنه ما عدا أنجيل يوحنا الذي لا يعرف عن هذه القصة شيئاً<sup>(1)</sup>. إنَّ ما ترجمه بولس من طقوس في رحاب الكنيسة كانت في أغلبها عقائد متفشية في بلاد اليونان من مثل عبادة الأسلاف والطوطم ومظاهر الطبيعة، حيث امتزجت هذه المعتقدات بطلاسم السحر والشعوذة، كما شاعت في بلاد الإغريق عبادة الإله "ديوس" المعروف في ديانة الهند القديمة، وعبادة الإلهة (ديمتر) لمشابته ل ( إيزيس) المصرية<sup>(2)</sup>، وعبادة (أدونيس) المأخوذ اسمه من "أدوناي" العبرية بمعنى "السيد" أو "الإله"<sup>(3)</sup>. كما كان للمعتقدات الآسيوية والمصرية الأثر الكبير في المجتمع الفلسطيني الذي انتقلت إليه عبادة ميثرا وعبادة الجوس والبرهمية، حيث عرف المجتمع اليهودي من خلال ديانات الهند والجوس عقيدة "تناسخ الأرواح" ومفهوم الروح، وعرفوا طقوس التطهير والتكفير، وعرفوا عبادة "ديونيس" إله الخمر والترف، فجعلوا خمرة رمزاً إلى النشوة الإلهية وهي نشوة الحياة والشباب الخالد المتجدد على مدى الأيام كما يتصورون، وعرفوا أن هذه الخمر تسري إلى الأجساد البالية فتنتفث فيها الحياة وتصلحها للبعث من جديد في أجسام الأجنّة المطهّرة من أدران حياتها الماضية، وهذا ما اعتقدته المسيحية من خلال منظومتها اللاهوتية التي صدرت عن المجامع الكنسية تحت تنظير أشخاص ليسوا من أتباع المسيح ولا من حواربي، ويشير نص من العهد القديم أنّ بني إسرائيل دانوا بعقائد الأمم السابقة لعهد إبراهيم - عليه السلام، ولعهد الأنبياء من بعده، حيث جاء في سفر الملوك الثاني أنّ حَزَقِيَّا ملك اليهود: ((هو أزال المرتفعات وكسّر التّمائيل وقطّع السّوّاريّ وسَحَقَ حَيَّةَ النُّحاسِ الّتي عملها موسى لأنّ بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيّام يوقدون لها ودعوها نُحُشْتان))<sup>(4)</sup>.

وجاء في العهد القديم أيضاً أن إحدى زوجات داود وهي ( ميكال ) أخذت تمثال على صورة بشر ووضعته في الفراش وكانت هذه التماثيل توضع في البيوت وتُحْمَلُ في السّفَرِ ويرمز لها

<sup>1</sup> - محمد فاروق الزين : المسيحية والإسلام والإستشراق، دار الفكر، دمشق، ط3، 2003، ص 148.

<sup>2</sup> - الإنسان والدين : سلسلة معارف الإنسان، ص 97. جاء في هذا الكتاب: أنّه من أعمق الأساطير أسطورة (إيزيس) الأم العظمى كان كهنتها ينشدون لها الأناشيد، حتى أنّ المسيحيين الأوّلين كانوا أحياناً يصلّون أمام تمثال إيزيس الذي يصورها وهي ترضع طفلها (حورس)، وكانوا يرون فيها صورة أم الإله.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: الله - جل جلاله، ص 108. يذكر المؤلف أنّه من معتقدات الإغريق بأنّ أرباب الأولمب يقترفون أفحح الآثام ويستسلمون لأغلب الشهوات، وقد قبل (زيوس) أباه (كرونوس) وضاجع بنته وهجر سماءها ليطارد عرائس العيون والبحار ويغازل بنات الرّعاة في الخلوات وغار من ذرية الإنسان فأضمر له الشرّ والهلاك.

<sup>4</sup> - سفر الملوك الثاني 18: 4.

إلى الله، فجاء في سفر صموئيل الأول: ((فاخذت ميكال الترافيم [وهي التماثيل] ووضعتها في الفراش ووضعتُ بُدَّةَ المعزى تحت رأسه وغطتُه بثوبٍ))<sup>(1)</sup>.

**ت - عقيدة البعث والحساب في الآخرة:** إذ تكاد تخلو العقيدة الإسرائيلية من الإيمان باليوم الآخر وبالبعث إلا ما جاء من إشارات قليلة عند النبي (إشعيا) حيث تنبأ في سفره: (( الرَّبُّ يَطالِبُ جند العلاء في العلاء وملوك الأرض على الأرض. ويجمعون جمعًا كَأَسْرَى في سجنٍ، ويُعَلِّقُ عليهم في حبسٍ ))<sup>(2)</sup>. (( في ذلك اليوم يعاقب الرَّبُّ بسيفه القاسي العظيم الشديد ))<sup>(3)</sup>، (( وكثيرون من الرافدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للآزدراء الأبدية ))<sup>(4)</sup>. فلم تكن عقيدة اليهود في الحياة الآخرة وليدة الشريعة السماوية التي جاء بها موسى، فاليهود لما آمنوا بموسى آمنوا به على أن يكزن لهم هذا الإله قوة عاملة في الحياة اليومية، فلم يكن تعاملهم مع الإله يهوه إلا على أساس دنيوي فقلما كان اليهود يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود. وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا<sup>(5)</sup>. ورغم هذه القلة في نصوص العهد القديم التي تتحدث عن العالم الآخر تظلّ العقائد الإسرائيلية الحدّ الفاصل بين العبادات القديمة الوثنية والعبادات الكتابية التي رسّخت فكرة مجيء مسيح محلّص ذات الأصول الفارسية<sup>(6)</sup>، وقد سادت هذه الفكرة بعد زوال مملكة إسرائيل ووقوعها تحت الأسر البابلي، وراحت الديانة الإسرائيلية تحصر النبوة الداعية إلى التوحيد الذي بشر به إخناتون الفرعوني في سلسلة واحدة لا تخرج خارج إسرائيل ولا تخص الإنسانية عامّة ولا تستهدفهم فيعتبرونها نبوة خاصة من إله خاصّ إلى شعب خاص. أما من تحدث عن النعيم والجحيم في الآخرة هو "التلمود" حيث قصر دخول الجنة على اليهود فقط أما الجحيم فهو مأوى الكفار ونصيبهم هو البكاء لما فيه من الظلام والعمى. أما عقيدة البعث والحساب في الديانة المسيحية فإنه لم يواجه الإنجيل قضية البعث

<sup>1</sup> - سفر صموئيل الأول 19: 13.

<sup>2</sup> - سفر إشعيا 24: 21-22.

<sup>3</sup> - سفر إشعيا 27: 1.

<sup>4</sup> - سفر دانيال 12: 2.

<sup>5</sup> - عبد الكريم الخطيب: الله.. والإنسان، (قضية الألوهية بين الفلسفة و الدين)، ص 254.

<sup>6</sup> - عباس محمود العقاد: الله. جل جلاله، ص 114-115. وتسمى الملك (شاول) بمسيح الرب بحسب سفر صموئيل الأول

9: 16-17: (( الآن أرسلُ إليك رجلا من أرض بنيامين. فأمسحُه رئيسا لشعبي إسرائيل فيخلصُ شعبي من يد الفلسطينيين لأنّي نظرتُ

إلى شعبي لأنّ صراخهم قد جاء إليّ. فلما رأى صموئيل شاول أجابه الربُّ هو ذا الرجلُ الذي كلمتُك عنه)).

والحساب والجزاء مواجهة صريحة ولم يحاول المسيح أن يجعل منها مجالاً للبحث والنظر لأنه لم يكن من همه أن يقرر عقيدة أو يشرح مذهباً فالمسيح إنما أرسل إلى اليهود - بني إسرائيل ، فلم يرد في تعاليم المسيح شيء عن البعث وعن المرحلة الفاصلة بين الموت والبعث<sup>(1)</sup>. فما جاء في الإنجيل عن القيامة هو إشارات ولحاح لا يقصد بها إلا التذكير بهذا اليوم وإعداد الناس له ولا يتحدث الإنجيل عن الصراط ولا عن الميزان وإثماً هو مجلس قضاء يجلس فيه ابن الإنسان وحوله الملائكة والقديسون، وفي مجلس القضاء هذا يقف الأبرار جهة اليمين، والأشرار جهة اليسار ، وبعد الحساب يساق الأشرار إلى النار الأبدية ، وبمضي الأختيار إلى الخلود الأبدية<sup>(2)</sup>.

### ث - صفات الألوهية في العهد القديم:

ظلت الصفات الإلهية التي يطلقها اليهود على الله قريبة بالصفات البشرية رغم دعوة موسى إلى عقيدة التوحيد في اسم الله (يهو) الذي تعني اشتقاقات اسمه المأخوذة من مادة (الحياة)، أو هو نداء لضمير الغائب تقديراً واحتراماً، وقد أطلق على (يهو) اسم (إيل) بمعنى القوي في اللغة الآرامية<sup>(3)</sup>. أمّا الصفات الإلهية القريبة من الصفات البشرية التي ادّعاها اليهود لمعبودهم في سفر التكوين فإنّ الله عندهم كان يمشي في الجنة، ويصارع الناس ويأكل ويشرب.

<sup>1</sup> - عبد الكريم الخطيب: المرجع نفسه ، ص 256.

<sup>2</sup> - ينظر: إنجيل متى 25: 31-46 ((ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الرّاعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار... ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عنّي يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدّة لإبليس وملائكته... فيمضي هؤلاء إلى عذابٍ أبديٍّ والأبرار إلى حياةٍ أبديّةٍ)).

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد الله . جل جلاله ، ص 111.

## الباب الثاني

تطور الأصول اليهودية إلى العقائد المسيحية.

الفصل الأول: بيان أوضاع البيئة اليهودية مهد المسيحية

المبحث الأول: البيئة الدينية وروافد العقائد:

مطلب 1: روافد حضارات الشعوب القديمة.

مطلب 2: روافد الدين اليهودي : أ- العهد القديم. ب- التلمود. ث- الفلسفة.

مطلب 3 : تأثير الفلسفة في البيئة الدينية.

مطلب 4 : بداية رواج فكرة المسيح المنقذ وتطورها.

المبحث الثاني: البيئة السياسية ودورها في تطور العقائد.

- دور الفرق اليهودية:

أ- الصدوقيون، ب- الفرّيسيون، ت- الأسيونيون - ث- الغيوريون،

ج- السّامريون، ح- المندائيون، خ- الأبيونيون.

### المبحث الثالث- البيئة الفكرية ودورها في تطوّر العقائد:

1- دور الفلسفة الفيثاغورية.

2- دور الفلسفة الأبيقورية.

3- دور الفلسفة الرواقية.

### المبحث الرابع: البيئة الإجتماعية ودورها في تطوّر العقائد.

مطلب 1: الإضطرابات الإجتماعية.

مطلب 2: النزعات الإستعمارية.

مطلب 3: مظاهر الإضطهاد.

### الفصل الأوّل : بيان أوضاع البيئة اليهودية مهد المسيحية.

ارتبطت النبوات الكبيرة في تاريخ الدّعوة الدينية ببيئة وسطى بين الحضارة والبداءة ، وتجلّت هذه الدّعوة في رسالات كبرى لدعاة كبار في تاريخ البشرية وهم :إبراهيم الخليل، وموسى عليه السلام، والمسيح بن مريم ، و خاتم المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم. فكانت مدن تاريخية كمدينة (أور) و(بيت المقدس) و(مكة) و(يثرب) و(فلسطين) و(الحجاز) تترقب دوما مصدرا للهداية التّبوية في بيئة وسطى ،لإعتبار أنّ الرّجاء في الخير يعدّ أصلا من أصول الدّيانة والأمل في صلاح الحياة الإنسانية في طلب الكمال والخلاص من العيوب، فكان الإيمان بانتظار المسيح قويّ بعد زوال مملكة داود وهدم الهيكل الأوّل ، ثم تطوّر هذا الإيمان بالمسيح إلى معنى المختار أو المنذور للهداية والصلاح<sup>(1)</sup>.

فكان المجتمع اليهودي بفلسطين في عصر الميلاد يتربّع الدعوة الإلهية من كل جانب بمختلف طوائفه المعروفة في عصر الميلاد وهي :طائفة الصدوقيين والفريسيين والغلاة ( الغيوريون)، والسامريين والكتبة والهيروديين ، والجليليين و كان لكل منها مذهبه في انتظار المسيح المخلص

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: عقيدة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1952م، ص34.

الموعود به<sup>(1)</sup>. كما انتشرت طبقات رجال الدين عند اليهود ومنهم: الآباء، والأنبياء الكتبة والكهنة ، واللاويون، والثنينيم (الموهوبون) ، والمنذرون<sup>(2)</sup>.

— **الآباء** : وهم الذين ذكرهم العهد القديم على أنهم أصول لشعوب كبيرة فهم رؤساء شعبهم أشرنا إليهم في حديثنا عن طبقات النبوة اليهودية.

— **الأنبياء الكتبة** : وهم الذين يتنبؤون ببركات الله على الجنس البشري.

— **الكهنة** : الذين يتولون تقديم الذبائح لله والتشفع لديه من أجل الشعب وكانوا على ثلاث درجات: رؤساء كهنة، وكهنة، ولاويين.

— **اللاويون**: هم من نسل لاوي لا من نسل هارون رتبهم أقل من الكهنة يساعدون الكهنة في الخدمة المقدسة وكان لهم عشور ثمار الأرض مقابل خدمتهم للشعب<sup>(3)</sup>.

— **الثنينيم**: الموهوبون أصحاب الأعمال الشاقة مثل جمع الحطب وسقي الماء وأصولهم كنعانية<sup>(4)</sup>.

— **المنذرون**: هؤلاء نذروا أنفسهم لعبادة الله ، ومنهم يوحنا المعمدان .

**المبحث الأول: البيئة الدينية وروافد العقائد.**

**مطلب 1: روافد حضارات الشعوب القديمة:**

وتخضع دراسة شخصية المسيح إلى دراسة البيئة التي خرج منها، فهي بيئة يهودية، ويذهب بعض الباحثين إلى تسمية البيئة اليهودية بالبيئة العبرية لأن اليهودية تنسب إلى يهوذا فاليهودية حدثت بعد موسى -عليه السلام كما لا يطلق على البيئة اسم الموسوية لأن موسى عليه السلام جاء بدعوته بعد يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام جميعا. وإبراهيم الخليل كان يلقب بالعبري في بعض نصوص العهد القديم، فإطلاق اسم العبرية على العقائد التي دانت بها العشائر التي نشأ فيها إبراهيم أصدق من كل اسم آخر في الإحاطة بديانة القوم من أوائل تاريخها في جميع أطوارها

<sup>1</sup> - عبد الغني عبود: المسيح والمسيحية والإسلام، الكتاب الرابع عشر ، سلسلة: الإسلام وتحديات العصر، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1984م ، ص 45.

<sup>2</sup> - ينظر: مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، ط1، المطبعة الفنية الحديثة ، جامعة الدول العربية، 1968م ، ص 20 وما بعدها.

<sup>3</sup> - ينظر: سفر العدد 35: 1-2. ((أوصى بني إسرائيل أن يعطوا اللاويين من نصيب مُلكهم مدناً للسكن)).

<sup>4</sup> - ينظر: سفر يشوع 9: 27: (( وجعلهم يشوع في ذلك اليوم محتطي حطبٍ ومستقي ماءٍ للجماعة ولمذبح الربِّ إلى هذا اليوم في المكان الذي يختاره)). وسفر عزرا 8: 20. (( ومن الثنينيم الذين جعلهم داود مع الرؤساء لخدمة اللاويين من الثنينيم مئتين وعشرين)).

المعلومة إلى أن عرفت أخيرا باسم ديانة التوراة ، كما لا يطلق على البيئة اليهودية اسم البيئة الإسرائيلية لأنها تنسب إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق<sup>(1)</sup> .

لم تكن هذه البيئة في منأى عن تأثيرات الشعوب من حولها ، وعاشت بجوارها بيئة السريانيين والكلدانيين والشعوب التي داهمت فلسطين كغزاة كالإغريق الوافدين من مصر تحت قيادة ملك البطالمة بطلموس الثاني فيلادلفوس<sup>(2)</sup> أو الوافدين من الشام تحت إمارة السليوقيين وبخاصة " أنطيوخوس " الرابع ( 175- 264 ق م ) لفرض الأغرقة على اليهود<sup>(3)</sup> ، وانقسام هؤلاء إزاءها إلى فئتين: فئة آثرت التمسك بدينها وتقاليدها وفئة تقبلت الحضارة الإغريقية وتغالت بعض عناصرها في الأخذ بأسبابها<sup>(4)</sup> . كما كان لوفود الحجيج من يهود المهجر الأثر البالغ على البيئة في الناحية الفكرية والدينية والتي ما فتئوا يحملونها في مواسم الأعياد إلى أورشليم من بلاد اليونان. ولقد كان اليهود يعيشون في حياة الشتات الطوعي -على حد تعبير أرلوند توينبي: ((أكثر التشتت اليهودي كان طوعيا. فقد استقر اليهود في الخارج جنودا مرتزقة أو تجارا))<sup>(5)</sup> .

كما تشرب المجتمع اليهودي في فكره الديني قبل مجيء المسيح وقبل ظهوره من فكر بيئتين مجاورتين لفلسطين وهما: البيئة السورية والبيئة الفينيقية، حيث كانت المعتقدات الدينية عندهما مدججة بالخرافات والأساطير وبقايا ديانات قرون ماضية زاحمت التيارات الدينية الوافدة من بلاد الهند وفارس اللتان كانتا تطويان معابدهما وهياكلهما على طوائف من الأرباب منها ما يلحق بالحيوان وعناصر الطبيعة ومنها ما يلحق بالأوثان والأنصاب، وكثيرا منها يتطلب من سدنته أن يتقربوا إليه بالبغاء المقدس وسفك الدماء، فيتحدث "العقاد" عن الهند القديمة التي انتهت الأرباب المتعددة إلى الثالوث الأبدي الذي اشتمل على ثلاث من الصور الإلهية هي الاله (براهما) في صورة الخالق والإله (فشنو) في صورة الحافظ والإله (سيفا) في صورة الهادم<sup>(6)</sup> . وعن الهند أيضا يقول أحمد شلبيي: ((وقد

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد : ابليس ، ص 92 .

<sup>2</sup> - مصطفى كمال عبد العليم: اليهود في مصر ( في عصر البطالمة والرومان ) ، ط1 ، مكتبة القاهرة الحديثة ، مصر ، 1968 ، ص (ط) من المقدمة . وينظر في نفس الكتاب: القسم الثاني عن ( اليهود في مصر في عصر البطالمة ) ، ص 28 وما يليها .

<sup>3</sup> - ينظر: أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، ج1، ص320. وحديثه عن حروب أنطيوخوس الرابع في رافيا (فتح الحالية).

<sup>4</sup> - مصطفى كمال عبد العليم: المرجع نفسه، ص 43 .

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ج1، ص 352 .

<sup>6</sup> - عباس محمود العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، ص 41. وينظر: جوزيف كايير : حكمة الأديان الحية ، ترجمة: حسين الكيلاني،

منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ: تناول الديانات القديمة وما حوته من تعاليم ، حيث تناول:

أ-الديانة الهندوسية في : ص111 وما يليها .

((وقد عرف الهنود القدماء عبادات الحيوانات وبخاصة البقرة، كما عرفوا عبادة قوى الطبيعة ، وعرفوا كذلك عبادة عضو التلقح معتقدين أنه سبب الخلق ، وكان هذا الإله يسمى عندهم (linga) وهي من اشتقاق الكلمة الإنكليزية link أي صلة ورابطة، وفي العصور الآرية إندمج هذا الإله في الإله الذي كوّن منه الثالوث الهندي))<sup>(1)</sup>. ويقول "احسان حقي" معرب كتاب الهندوس المقدس "منوسمرتي" : ((إن الدين الذي نشره الآريون في الهند يشبه الديانة اليهودية شيها كبيرا في مجموعته وتفصيلاته. والديانة اليهودية، وليدة الديانتين البابلية والمصرية وعند البابلية تلتقي اليهودية بالهندوكية ثم تختلفان في بعض الفروع بحسب البيئة والمكان))<sup>(2)</sup>، وأيضا المعتقدات الوافدة من مصر في شكل قوالب فكرية يونانية، والوافدة أيضا من آسيا الصغرى؛ هذه المنطقة التي كانت تعتبر مركز هام للديانات ولأساطير الديانات الأولمبية ولتأملات الفلاسفة اليونان وعقائدهم، فشكلت مادة دينية ضخمة قابلة لأن تتشكل وتتطور في سهولة حسب رغبات من يريد استغلالها، فكانت مصدرا يكاد لا يغني لمستقبل المسيحية بعد المسيح وجيله الأول<sup>(3)</sup>.

يقول " توينبي" : (( والعوامل المساعدة في نشر هذه الديانات الجديدة كانت الشتات وقد كان أوائل المجندين في الشتات هم المهجرون، وسارت على خطاهم الحاميات العسكرية التي كان يقيمها بناء الإمبراطوريات في البلاد المفتوحة، وكان التجار يتبعون هؤلاء.. وقد يصبح المغتربون أيضا ناشرين، واعين ومتعمدين، للثروة الروحية التي حملوها معهم))<sup>(4)</sup>.

لما ظهر المسيح في المجتمع اليهودي وجد النظام الطبقي محكما فيه يسوسه رجال من الدين ينظمون دور العبادة ويشرفون على تقديم الطقوس والذبائح للهيكل والمحافظة على النصوص المقدسة وممارسة الطقوس، ولا تهمهم أحيانا السعي إلى تعلم الشريعة أو تعليمها بل همهم استقبال

ب - الديانة الجانتسية ( عدم الإيذاء) مثلها مثل البوذية في ص:141 ومايليها.

ت -والديانة الشنتوية القومية ذات الوطن الياباني المؤهلة للإمبراطور ( الميكادو) : ص 235 ومايليها.

ث -والديانة التاوية: ص 245 ومايليها.

ج -والديانة الزرادشتية الفارسية:ص 257 ومايليها.

<sup>1</sup> - أحمد شلبي :أديان الهند الكبرى، ص 28-29، في احالته على: weech :the peoples and religion of India p 310.

<sup>2</sup> - منوسمرتي ( كتاب الهندوس المقدس)، دار اليقظة العربية ، ط1، بدون تاريخ. المقدمة (ب). وكتاب: منوسمرتي : أي

الطقوس والعادات، وهو خلاصة التشريع الهندوكي ، ص (ه)، وكتاب منو سمرتي مؤلف من اثني عشر بابا أو جزءا يبحث كل باب في

موضوع أو مواضيع متقاربة. وتؤلف مجموع هذه الأبواب 2685 فقرة، ولغة منو سمرتي السنسكريتية ص (ز).

<sup>3</sup> - شارل جنبير: المسيحية نشأتها وتطورها ، ص 19.

<sup>4</sup> - تاريخ البشرية ، ج 1، ص 361.

وفود الحجيج الوافدين من المهجر إلى أورشليم للاحتفالات الدينية السنوية، فهم القيمون على شؤون الهيكل تحت رئاسة الحبر الأعظم الذي يظم مجلسه رجال دين أغلبهم من أسرته تعرف بطبقة "الأكليروس"، وهو أحد صنائع السلطة الرومانية لتقديمه الولاء والطاعة للإمبراطور في صلواته بالهيكل. حيث يلبس كهنة الأكليروس ثوب كتاني طويل وشفاف ويمتد عند الكتف اليسرى منه شريط مستقيم، ويربط الكاهن شعره برباط من المعدن الثمين، وأحياناً يغطي رأسه بقبعة عالية شبيهة بالطربوش.. ويدور في فلك الكهنة عدد من الأشخاص التابعين، ومنهم الحلاقون المقدسون والموسيقيون وحملة المصاييح وغيرهم<sup>(1)</sup>.

إن العقائد اليهودية لم تتطهر عن الوثنية إلاّ حوالي القرن الثاني قبل الميلاد حيث كان اليهود من قبل يميلون إلى شعائر الأوثان كعبادة: البعل وتموز وعشتروت ، وكثيراً ما كانوا يصفون الله بالصفات الوثنية<sup>(2)</sup>.

فيشير كل من "سهيل ديب" و"العقاد" حول العقيدة اليهودية أنّ الله يغار من الجنس البشري ، ويكيد له المكائد وينصب الفخاخ في البرية للتغريب بهم ، وأنّ الملائكة يعاشرون بنات الناس، وأن الإله يمشي في ظل الحديقة ويأكل اللحم والخبز ويجب ربح الشواء<sup>(3)</sup>.

وحول القربات التي تقدم للآلهة الوثنية المشابهة للعرف اليهودي، تقول " مادلين هورس مايدان" عن طقوس الذبائح: ((ولقد تُرجمت هذه التعريفات - تعرفات الذبائح - فظهرت قرابتها من الطقوس الإسرائيلية التي اطلعنا عليها بواسطة التوراة، وخاصة بواسطة اللاوي))<sup>(4)</sup>.

وعرف عن اليهود عدم إنكارهم على غيرهم من الشعائر في تعبدهم لأرباب أو آلهة متعددة ، بل أنكروا عليهم سيادتها ، وأحياناً كانوا ينسبون للإله "يهوه" من أعمال كانوا ينسبونها إلى الشيطان كقضية إحصاء الشعب على عهد "داود" معتبرين ذلك العمل مردّه إلى الشيطان الذي أغرى داود بإحصاء الشعب<sup>(5)</sup>. كما يجعلون قصة إغواء آدم بالأكل من الشجرة المحرمة ؛ لم تكن من

<sup>1</sup> - مادلين هورس مايدان: تاريخ قرطاج، ط1، ترجمة: ابراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981م، ص 69.

<sup>2</sup> - ينظر: السيد الباز العريني في حديثه عن: تطور الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية في كتابه: (تاريخ أوربا، العصور الوسطى)، دار النهضة العربية، بيروت، 1968م، من ص 21 ومايليها ، و ص 24 ومايليها.

<sup>3</sup> - سهيل ميخائيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص 48. وينظر: عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص 46.

<sup>4</sup> - تاريخ قرطاج، ص 63.

<sup>5</sup> - ينظر: سفر أخبار الأيام الأولى 21: 1 ، حيث جاء فيه: ((ووقف الشيطان ضدّ إسرائيل وأغوى داود ليحصي إسرائيل)).

الشیطان بل من الغواية التي وقعت من الحية، فغالبا ما كانت تقدم القرابين بالتساوي بين الإله وبين الجني الذي يهيمن على الصحراء<sup>(1)</sup>.

## مطلب 2: روافد الدين اليهودي :

لم ينصف علماء الغرب عند دراستهم للتراث الديني اليهودي وكتابتهم عنه فأعمتهم العصبية الأوروبية عن النظرة الحقيقية ، فجعلوا لعقائد اليهودية التي جاء بها أنبياءهم أقدم من عقائد الأنبياء المنتسبين للعرب من مثل هود وصالح وشعيب وذي الكفل ، كما جاء في التوراة ذكر: بلعام وأيوب وشعيب، وجاء فيها أن شعيب علم موسى وهداه إلى سياسة قومه ، وأن بلعام كان حكما بين إسرائيل وخصومها في جنوب فلسطين ، فهؤلاء الأنبياء تناولوا مسائل الخير والشر والثواب والعقاب، وقد إزدان بها سفر أيوب قبل غيره من أسفار التوراة وتوالت النبؤات في بلاد العرب قبل غيرهم من بلاد اليهود ونتيجة لمخالطة اليهود لأهل مصر وبلاد العرب واليونان تشكل لديهم تراث ديني ضخم شمل كتب ضمت إلى التوراة، أو ما يسمى بالعهد القديم، وهذه المدونات هي : التلمود والمشنا اللتان لم تتوقف زيادات النصوص إليهما إلى ما بعد الإسلام<sup>(2)</sup>.

ويعد إبراهيم -عليه السلام هو الجد الأول لليهود ، نشأ بأرض بابل في جنوب مدينة (أور) التي انتشرت بها عبادة الأوثان، وكانت الدافع إلى هجرة إبراهيم منها إلى مدينة (حاران) هربا من اضطهاد الوثنيين له ، ومكث بها إلى حين وفاة أبيه، ثم رحل وأسرته إلى أرض كنعان مكونا نواة العبرانيين بها ، والذين عرفوا من بعد باسم اليهود<sup>(3)</sup>.

ولما ظهرت المسيحية كان انتشارها على أيدي اليهود في داخل فلسطين وخارجها يؤطرها فرق ومذاهب دينية نشأت بين أهل فلسطين ، وأخرى نشأت بين صفوف يهود المهجر ، يجمع بينهم الاعتقاد بأن المخن التي مرت بها إسرائيل كان سببها عدم الوفاء بالعهد، وأن الطريق إلى إرضاء الإله ؛ هو الخضوع في عبادته الحرفية للنصوص، والتمسك بالشعائر المفروضة في غير ما لين أو تحرر تمنع تسرب أدنى نزعة إلى الوثنية، وهناك فئة من يهود المهجر والمنفى دفعها اليأس إلى عبادة أصنام

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: إبليس ، ص 95.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: إبليس، ص 98. ويقول في نفس الصفحة: ((نقل العبريون عن العرب قصصا كان موطنها أرض بابل وأشور كقصة هاروت وماروت ، فلم يأخذوا هذه القصة إلا بصيغتها العربية بعد السبي البابلي بألف سنة)).

<sup>3</sup> - زكي شنودة: تاريخ الأقباط، ج2 ، جمعية التوفيق القبطية لجنة التاريخ والنشر، مطبعة فايقه محفوظ للتدريس المهني بحدائق القبة، ط1، سنة 1962م ، ص 27. وما بعدها يتناول أصل اليهود ونشأة الديانة اليهودية.

المنتصرين بعدما دفعهم الأمل في انتظار مجيء مسيح مخلص موعود به ، إلى مغامرات جرّت عليهم المصائب لما شرعوا في العنف ضد الطغيان الأجنبي ، معتقدين بقرب اليوم الموعود<sup>(1)</sup>، وعند عودتهم إلى فلسطين من بلاد فارس جلبوا معهم تراث الفرس الذي تشبّعت به مملكة بابل، والتي أنجبت علماء لاهوت كبار أطلقوا على أنفسهم اسم (الكتبة) لتخصصهم في دراسة الشرع والتفسير، من أمثال نحما وأسدراس، وتقوم هذه الفئة على شرح فقه الشرع من خلال تحليل نصوص العهد القديم في شكل شروحات وتعليقات مبسطة ، حتى وصل الأمر بهؤلاء الفقهاء إلى التطرق إلى حكم نجاسة بيضة الدجاج التي تولد يوم السبت ، وإلى حكم نجاسة الماء أو طهارته عند وضعه في دلو نجس.

وروج الكتبة لفكرة مجيء المنقذ، حيث يقول العقاد: ((فتعلقت آمالهم بعودة المملكة على يد بطل من أبطال الغيب. ولم يكن هذا البطل مقصورا عندهم على ذرية داود، بل زعموا مرة أنه هو كورش الفارسي الذي سمي بالمسيح<sup>(2)</sup>)).

ولبثوا دهرا يتخيلون المسيح الموعود ملكا صاحب عرش وتاج، يفتح بيت المقدس بالسيف، ويعيد فيها الدولة الدائلة<sup>(3)</sup>، ثم يئسوا مع الزمن من تجدد المملكة بقوة السلاح فعلقوا الرجاء بالرّسول المختار من عالم الروح<sup>(4)</sup>، وقيل في ملامح المخلص ما جاء في سفر زكريا: (( هو ذا ملكك يأتي إليك، هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان<sup>(5)</sup>)). ونشأت بجوار طبقة "الكتبة" مجموعة من رجال الدين تسهر على انتظام العبادة بالمعبد اليهودي وتسمى هذه الطبقة بطبقة "الأكليروس". ولم يخف تأثر هذه الطبقة بالمقولات الفلسفية اليونانية في الإله والكون والإنسان، إذ أصبحت الفلسفة متنفسا لديها في التعبير عن يهوه وتوسيع مفهومه، إذ صار عندهم هو الإله الذي لا يُحدُّ والذي لا يكاد الإنسان يجدُّ له اسما<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - شارل جنير: المصدر السابق، ص 36.

<sup>2</sup> - سفر اشعيا 45: 1: ((يقول الرّب لمسيحه لكوروش الذي أمسكتُ يمينه لأدوسَ أمامه أمما وأحقاء ملوك)).

<sup>3</sup> - دال الزّمان: انقلب من حال إلى حال، والأيام دارت.

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد: الصهيونية العالمية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ص 10-11. وفي إشارته لسفر إشعيا

45: 1 حيث جاء فيه: (( هكذا يقول الرّب لمسيحه لكوروش الذي أمسكتُ يمينه لأدوسَ أمامه أمماً)).

<sup>5</sup> - سفر زكريا 9: 9.

<sup>6</sup> - Ernest Renan : Judaisme et Christianisme ; Textes présentés par Jean Gaulmier, -

Vol.2 , 1977 , Copernic, le judaisme comme rase et comme religion p103.

ونظرا لكون هذه الطبقة لها المكانة الرفيعة لعلمها بالشريعة وعلمها بفقهاها، انطلقت الديانة اليهودية من التوقع لتتخذ لنفسها صبغة عالمية إنسانية تشرح العقيدة الثنائية التي تتعارض فيها الروح مع المادة ، أو النفس مع الجسد ، والتي رُوِّج لها رجال الدين بين الجاليات اليهودية بالمهجر باعتبارهم مرشدين وأصحاب فقه ، وتسامح بعض من طبقة الكتبة مع الوثنيين في تقربهم بمعايهم للإستفسار عن أحكام الشريعة التي ترجمت إلى اليونانية ، فتمكن منها كل مثقف دارس أو أراد أن يدرسها، كما تبحر علماء اليهود بالمهجر في الأدب اليوناني حتى صار منهم النّابغة من مثل (فيلون) الذي تشبّع بالروح اليونانية بالإسكندرية ، والذي سعى إلى التوفيق بين الوحي الإلهي الذي نزل على سيدنا موسى - عليه السلام، وتلك الأحكام التي جاء بها وبين نظريات أفلاطون وزينون<sup>(1)</sup>. لقد كان يهود المهجر أكثر الفئات استعدادا للحوار مع دعاة المسيحية من اليهود المتواجدين بفلسطين مما يثبت سرعة انتقال العقائد المسيحية من معابد اليهودية إلى بلاد اليونان بشكل سريع، والتطّبع بخصائص الفكر اليوناني، وأحيانا يخلط الوثنيون معتقداتهم المختلفة بمعتقدات الفرق والمذاهب المنتسبة لليهودية من مثل: القرّاء والرّبانين الذين تسموا بهذا الاسم لإيمانهم بالتّوراة كمصدر للشريعة ، وبجانبه المصدر الثاني وهو "التّلمود الذي لا يؤمن به القرّاءون"<sup>(2)</sup>.

### أ- العهد القديم<sup>(3)</sup>:

ترتكز الديانة الموسوية على المصادر التالية : الشريعة وهي المسماة بالتوراة، وتثنية أو تكرار الشريعة المسماة بالمشناه، وفقه الشريعة المسماة بالجمارا ، وأمّا الشريعة أو التوراة فهو الوارد في الكتاب المقدس باسم العهد القديم ، هذا العهد الذي يُعرف باسم التوراة ، هو الجزء اليهودي من الكتاب المقدس، أو هو الكتاب المقدس الذي قبلته المسيحية كجزء من كتابها المقدس باعتبار تسلسل النبوات من عهد ابراهيم عليه السلام<sup>(4)</sup> ، وهو في مقابل الجزء المسيحي المعروف بالعهد

<sup>1</sup> - شارل جنير: المصدر السابق، ص 60-61.

<sup>2</sup> - ينظر: محمد شكري سرور: نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979م، ص 12. ويقول المؤلف: أنه يحدث في التاريخ الإسرائيلي أن ينقسم الرّبانين إلى طائفتين هما: الأشكنازيم وهم يهود الغرب، والسفارديم وهم يهود الشرق. نفس الصفحة.

<sup>3</sup> - فؤاد حسنين علي: التوراة الهيروغليفية ، ص 9. لعل بولس الرسول هو أوّل من أطلق في رسالته الثانية الى أهل كورنثوس 3: 14 عبارة العهد القديم على المجموعة التي تتكون منها أسفار الشريعة والأنبياء وسائر الكتابات المقدسة والتي هي الوثائق الأولى لليهودية والمسيحية. فجاء قول بولس: (( عند قراءة العهد العتيق باقٍ غير منكشفٍ الذي يُطلُّ في المسيح)).

<sup>4</sup> - جوزيف كاير: حكمة الأديان الحية ، ص 154.

الجديد<sup>(1)</sup>. فالعهد القديم هو كتاب تاريخ يرى العلماء أنه يفتقر إلى التوثيق ، حرّر معظمه بعد سنوات عديدة قد تبلغ مئات السنين بعد وقوع الأحداث الموصوفة فيه<sup>(2)</sup>، وقد كتب العهد القديم على مدى يربو على تسعة قرون، وبلغات مختلفة اعتمادا على التراث المنقول شفويا من غير تدقيق ولا تمحيص، بل بتغيير وتبديل، فمن الطبيعي أن تكون مضطربة في نصوصها متضاربة في أقوالها. وهناك فروق بين النسخ الثلاث للتوراة المعروفة بالنسخة العبرانية، و النسخة اليونانية، و النسخة السامرية<sup>(3)</sup>، وتعتبر التوراة المصدر الأساسي للشريعة وتطلق مجازا على الأسفار الخمس الأولى من العهد القديم<sup>(4)</sup> ، الذي يتكون من ثلاثة فروع بحسب تقسيم العهد القديم وعدد أسفاره، وهي: فرع التوراة، فرع الأنبياء، فرع الكتابات<sup>(5)</sup>. وتقسم أيضا إلى نسخ من حيث التسمية اللاهوتية إلى : نسخة إلهيم، ونسخة يهوه، ونسخة الكهنة. وسميت بنسخة (إلهيم) بهذا الاسم لأن ( إلهيم) هي الكلمة التي تطلق فيها على الإله، وسميت النسخة الأخرى باسم (يهوه) لأنه اسم الإله فيها، وسميت النسخة الثالثة باسم الكهنة ، لأنهم جمعوا كتب الشريعة وعنوا فيها عناية خاصة بالشعائر والمراسم وأخبار الهيكل والعبادة<sup>(6)</sup>. ومن هذه النسخ ما كتب على أيام المملكة الإسرائيلية ، ومنها ما كتب في المنفى بين النهرين، ومنها ما كتب قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون<sup>(7)</sup>، وأقدمها عهدا بينها وبين عصر

<sup>1</sup> - محمد فاروق فارس الزين: المسيحية والإسلام والإشتراق، ص 49.

<sup>2</sup> - سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد ، ص 4. والأحداث الموصوفة فيه هي:

أ\_ من خلق العالم إلى الطوفان.

ب \_ من الطوفان إلى دعوة إبراهيم عليه السلام.

ت \_ من دعوة إبراهيم عليه السلام إلى خروج إسرائيل من مصر.

ث \_ من خروج بني إسرائيل من مصر إلى بناء الهيكل.

ج \_ من بناء الهيكل إلى السبي البابلي .

ح \_ من السبي البابلي إلى ميلاد المسيح. وأنظر أيضا مراد كامل : الكتب التاريخية، من ص 9 إلى ص 12.

<sup>3</sup> - عبد الوهاب عبد السلام طويلة: الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، دارالسلام، المدينة المنورة، ط1990، ص 94 - 95.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 99.

<sup>5</sup> - ينظر: مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم المرجع السابق، ص 7.

<sup>6</sup> - ينظر: محمد فاروق الزين: المرجع نفسه، ص 50.

<sup>7</sup> - مصطفى العبادي : العصر الهيلينستي (مصر) دار النهضة العربية ، بيروت، ط: 1981، ص 112\_113. تمت ترجمة التوراة إلى

اليونانية والتي عرفت بالتوراة السبعينية حيث تروى حول هذه الترجمة قصة قيام الملك بطليموس الثاني ( 285\_ 246 ق م) بأمر

حاخام بيت المقدس أن يرسل له الكتب القانونية ومعها إثنا وسبعون رجلا يتقنون اللغة العبرية واليونانية لتتم الترجمة للأسفار الخمسة

في الإسكندرية. ينظر: ص 162.

عصر الخليل ما يبلغ ألف سنة، وقد اجتهد الكهنة في تكملة الأجزاء التي بين أيديهم<sup>(1)</sup>. والتوراة كلمة عبرية أصلها (تورة) ومعناها: الهدى والرشاد<sup>(2)</sup>، وتتناول أصول العالم حتى دخول الشعب اليهودي إلى أرض كنعان، أرض الميعاد بعد المنفى في مصر. أي بدقّة حتى موت موسى<sup>(3)</sup>. وهذه الكتب لم يدونها موسى ولم يتلقاها عن طريق الوحي الإلهي<sup>(4)</sup>، فبعضها كتب بعد عهده، حيث كتبها أبحار اليهود على مراحل بدءاً من القرن التاسع قبل الميلاد حتى القرن الخامس قبل الميلاد إلى أن تكوّنت على صورتها الحالية<sup>(5)</sup>. فهناك نصوص من العهد القديم تحدثت عن وفاة موسى موسى: ((ولم يعرف انسان قبره إلى هذا اليوم))<sup>(6)</sup>.

وقوله: ((ولم يبق بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الربّ وجهًا لوجه<sup>(7)</sup>)).

فيقول موريس بوكاي: ((لعله في مجرى القرن العاشر قبل الميلاد، كان قد وضع النص اليهودي للأسفار الخمسة التي شكّلت فيما بعد هيكل الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى، وفي القرن التاسع حتى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ظهرت كتب "إيليا" و"اليسع" وكتب "يوشع" والقضاة، وفيها حديثاً عن إبراهيم ويعقوب ويوسف، أمّا القرن الثامن قبل الميلاد فهو قرن الكتابة: عاموس، وهوشع، وأشعيا، وميخا، وفي هذا العهد ترجع له مجموعة الأمثال، كما هو عهد سقوط السامرة مملكة إسرائيل، لتستلم مملكة يهوذا الميراث الديني، وفي الشطر الثاني من القرن السابع قبل الميلاد يدون كتاب "أرميا" الذي لم يأخذ عمله شكله النهائي إلا بعد قرن. وفي القرن السادس قبل الميلاد؛ قبل السبي الأول إلى بابل سنة 598 ق م تنتشر كتب: صفنيا وناحوم، وحبقوق، ثم النبي حزقيال الذي لم يدون

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، ص 34.

<sup>2</sup> - عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، سنة 1976م، ص 43.

<sup>3</sup> - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ص 22.

<sup>4</sup> - ينظر: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تحقيق: أحمد حجازي

السقا، دار الشباب للطباعة، القاهرة، ط1، 1979م، ص 11 وما بعدها. : التوراة العبرانية والسامرية واليونانية والإختلاف بينهم .

<sup>5</sup> - فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية، ص 29 .

<sup>6</sup> - سفر التثنية 34: 6. ويعلق محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، ص 33 على هذا النص بقوله: (والذي يقرأ التوراة اليوم يجد فيها مشهداً مؤثراً لوفاة موسى، وكيف أنه عاش مائة وعشرين سنة فلم يتغضن له جلد، ولم يكَل له بصر ثم مات، وناحت عليه نسوة إسرائيل كذا يوماً، ودفن عرَبَات مؤآب ولم يعرف قبره؟ [أنظر: 34: 7]. فيقول: وظاهر أنّ هذا الكلام لمؤرخ كان يسجل حياة موسى بين قومه،

ولكن كلام المؤرخ تسلل بطريقة ما إلى التوراة نفسها، التوراة التي نزلت على موسى وأصبح جزءاً منها).

<sup>7</sup> - سفر التثنية 34: 10.

ميراثه الرّوحي إلّا بعد موته. وفي فترة العودة من السّبي البابلي وبعودة اليهود إلى فلسطين سنة 538 ق م ، تمّ تدوين كتاب المراثي ، وحجي ، وزكريا، وأشعيا الثالث، وملاخي ، ودانيال ، وباروخ الذي كتب باليونانية، كما حرر سفر الحكمة سنة 480 ق م ، وسفر أيوب وسط القرن الخامس قبل الميلاد، وسفر الجامعة ونشيد الأنشاد وسفر عزرا ونحميا في القرن الثالث قبل الميلاد، أما سفر الجامعة أو سيراخ فظهر في القرن الثاني قبل الميلاد، ودون سفر حكمة سليمان وكتابا "مكابى" قبل قرن من ميلاد المسيح، ويصعب تاريخ كتب راعوث وأستير ويونان، كما يصعب تاريخ كتابي "طوبيا ويهودث" فيرجع أنّها كتبت احتياطا من التعديلات اللاحقة، لأن كتابات العهد القديم لم تعط شكلها الأولى إلّا قبل المسيح بقرن واحد، ولم يصبح هذا الشكل بالنسبة إلى الكثيرين نهائيا إلّا في القرن الأوّل بعد الميلاد<sup>(1)</sup>: ((فقد اختلط الوحي بكل هذه الكتابات، ولا نعرف اليوم ما تركه لنا منه الذين عاجلوا نصوصه حسب هواهم وفقا للظروف التي وجدوا فيها، والضرورات التي واجهوها))<sup>(2)</sup>.

وفي مقابل التوراة المكتوبة هناك التوراة الشفوية التي يطلق عليها اسم ( المدراش ) وهو التعليم الشفهي لها، وقد تناقلها العلماء اليهود شفهيًا من جيل إلى جيل إلى أن جرى تدوينها في حوالي القرن السادس الميلادي. والمدرّاش هو توسّع شفهي بكثير من التصرف في نص توراتي لكنه أصبح بعد تدوينه، جزءا من التراث اليهودي<sup>(3)</sup>.

فالمدرّاش مأثورات إسرائيلية أو هو الدراسات التي تتضمن أقوال الفقهاء وحواشيهم على النصوص والمحفوظات، وهي عند اليهود ما يعوّل عليها ، ومنها ما هو من قبيل القصص التعليمية والأمثال الوعظية تساق للإعتبار، ولا يقصد بها التّاريخ والإعتقاد<sup>(4)</sup>. وتقع أسفار العهد القديم في أربعة وثلاثين سفرا<sup>(5)</sup>، رغم أنّ المؤرخين يشيرون إلى أنّ هناك أسفار أخرى كانت موجودة ثم ضاعت، أو

<sup>1</sup> - موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ص 20-21. وتحدد فترة السبي البابلي خلال حكم نبوخذ نصر، بين (586 ق م

\_ 539 ق م). ينظر أيضا: محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والإستشراق ، ص 50.

<sup>2</sup> - موريس بوكاي: المرجع نفسه ، ص 22.

<sup>3</sup> - سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، ص 94.

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد: ابراهيم أبو الأنبياء، ص 37.

<sup>5</sup> - أسفار العهد القديم هي: الخمسة الأولى : سفر التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، وتضاف لهذه الرزمة من الأسفار الخمسة الأسفار التالية: يوشع بن نون، القضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني، ويطلق عليهم ( الأنبياء الأولون)، وإشعيا وإرميا وحزقيال وهم ( الأنبياء المتأخرون) وبعد الأنبياء الأولون والمتأخرون سفرا واحدا. وهوشع، يوثيل، علموس، عوبيديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفيانيا، حجي، زكري، ملاخي يعتبرون سفرا واحدا. أما القصائد الدينية وكتب الحكمة فتشمل أسفار: المزمير، الأمثال، أيوب، نشيد الأنشاد، راعوث، مراثي أرميا، الجامعة، أستير، دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأولى، أخبار الأيام الثاني

أخفيت أو أبطلت<sup>(1)</sup>. فليست الكتب التي ضمت العهد القديم<sup>(2)</sup> هي كل كتب التوراة ، لأن هناك كتب تمّ الإستشهاد بها على ألسنة الأنبياء من بني إسرائيل لم توجد كلها بين سفار التوراة، فكتب العهد القديم لا تشكل جزءا من الشريعة اليهودية والمسيحية ،ولو كانت مقبولة للقراءة من الناحية التاريخية نظرا للموقف الذي اتخذته الكنيسة<sup>(3)</sup>، حيث قبل الأرثوذكس أسفار العهد القديم دون الكتب المنحولة التي أخذت بها الكنيسة الكاثوليكية لتلك الأسفار المسماة: (الأبوكريفيا) مثل: طوبيت ويهوديت وحكمة سليمان والجامعة والمكابيين وأخذ البروتستانت تسعة وثلاثون سفرا بدلا من الأربع والثلاثين<sup>(4)</sup>.

تغطي الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى، فترة من التاريخ تبدأ مع بدء الخليقة، وتنتهي بوفاة موسى على جبل (نبو) في شرق الأردن حوالي سنة 1300 ق.م<sup>(5)</sup>، وهذه الأسفار هي:

– أنظر: التوراة بين الوثنية والتوحيد ص 11-12. وأنظر: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، من ص 33 إلى ص 36. وأنظر بالتفصيل فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية، من ص 58 وما بعدها.

<sup>1</sup> – رحمة الله بن خليل الرحمان الهندي: إظهار الحق، ج 1، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1988، ص 56. يعدد رحمة الله الهندي كتب العهد العتيق ب: ثمانية وثلاثين سفرا بدءا بسف التكوين الذي يسميه سفر الخليقة وانتهاءا بسفر ملاخيا. على أنها كتب مسلمة عند جمهور القدماء من المسيحيين. و يعدد كتب العهد العتيق التي كانت مشكوكة غير مقبولة عند المسيحيين إلى سنة 324م أنظر رحمة الله الهندي: المرجع نفسه، ص 210.

<sup>2</sup> – محمد عبد الله الشرفاوي: في مقارنة الأديان ، بحوث ودراسات، ط 2، دار الجيل ، بيروت،: 1990، ص 13 الهامش. يراد بكلمة العهد: الميثاق، أي أن هذه الأسفار تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه سبحانه، وهذه التسمية " العهد القديم" قد أطلقت على مجموعة الأسفار النصرانية التي اعتمدها النصارى لأنفسهم من بين عشرات الكتب التي وضعت وزعم لها القداسة والعصمة . وينظر: علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ ، ص 12 وما بعدها ، حول أسفار العهد القديم وتقسيماته ومحتويات كل سفر وتاريخ كل سفر واللغات التي ألفت بها والتي ترجمت إليها.

<sup>3</sup> – عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص 43 ويشير المؤلف إلى عناوين الأسفار التي ضاعت ومنها:

– سفر حروب الرب المشار إليه في سفر العدد 21: 14 (( لذلك يُقال في كتاب حروب الرب)).  
– وسفر أخبار النبي ناتان ، وسفر أخبار النبي جاد الرائي وقد جاء ذكرهما في سفر أخبار الأيام الأول 29: 29.  
– ينظر: حسن ظا: الفكر الديني اليهودي، ص 62 وما بعدها. حول الكتب غير القانونية المسماة: (الأبوكريفيا).

<sup>4</sup> – ينظر: سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص 11.

– ينظر: صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، مكتبة عالم الكتب، ط 1، 1985، ص 38.

– وينظر أيضا: محمد عبد الله الشرفاوي: في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، ص ص 20-21.

– وينظر أيضا: علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص 20 حول الأسفار الخفية.

<sup>5</sup> – حسن ظا: المرجع السابق، ص 14. وينظر: صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، (دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية

والمسيحية)، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1985، ص 53 إلى ص 70. ومن ص 71 إلى ص 88. وحول مراحل كتابة التوراة

ومحتوياتها ومتى وكيف كتبت الأسفار؟ ينظر: السموعل بن يحيى بن عباس المغربي: بذل المحجود في افحام اليهود، ط 1، تخريج عبد

الوهاب طويلة، دار القلم ، دمشق، 1989م، من ص 129 الى ص 140. حيث تحدث عن اللمحة التاريخية للتوراة والأدوار التي مرت

-سفر التكوين: وعدد إصحاحاته خمسون إصحاحا جاء فيه قصص آدم ونوح والطوفان، وما كان من أمر أبناء نوح سام وحام ويافت بعد الطوفان، ثم يتناول السفر قصة ابراهيم وسلالته، ثم قصة ابنه اسحاق ثم يعقوب بن اسحاق الذي يسمّى اسرائيل، وينتهي السفر بقصة يوسف ومجيئه إلى مصر ولحاق يعقوب وأبنائه الأحد عشر به واستقرارهم في أرض مصر. ويحفل هذا السفر بتناقضات صريحة مع العلم المعاصر، وهي تقع في ثلاثة نقاط أساسية<sup>(1)</sup>:

أ- خلق العالم ومراحله.

ب- تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض.

ج- رواية الطوفان.

ويعلق "العقاد" على هذا السفر: ((إنّ التوراة الباقية اليوم تبتدئ بسفر التكوين ولا تسنده إلى أحد من أنبياء بني إسرائيل، ولا حاجة بعد ذلك إلى القول بأنّ عقائده سابقة للنبوءات الإسرائيلية، وأنّ اليهود تعلّموه من حيث يستطيع كل من شاء أن يتعلّمه أو ينقله عن مصادره الأولى، سواء كانت من وحي الأنبياء السابقين أو من تراث الشعوب الموروث عن الأسلاف))<sup>(2)</sup>.

-سفر الخروج: ويقع في أربعين إصحاحا ويبدأ بالحديث عن إضطهاد الفرعون لبني اسرائيل خوفا منه من إزدياد عدد اليهود بأرضه، ليولد موسى فيتناول خبره منذ نشأته حتى نزول الوحي عليه على جبل طور لينطلق موسى في مواجهة فرعون مصر من أجل خلاص الأمة اليهودية من البطش الذي لحق بهم ليعبر بهم موسى البحر، ليتلقى الوصايا العشر<sup>(3)</sup>، ثم يصعد موسى الجبل ليملك هناك مدة من الزمن وإذا ببني اسرائيل يرتدون عن دينه إل عبادة العجل، فيتولّى موسى بعد هذا التمرد من قومه محاولا اصلاحهم وثنيتهم عن عبادة الوثن. وجاء في هذا السفر أنّ موسى - عليه السلام كان يتعلم التبليغ من نبيّ تسميه التوراة " يثرون" فيقول السفر: ((فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميه وقال له أنا أذهب وأرجع إلى إخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحياء))<sup>(4)</sup>؟ وجاء عن "يثرون" أنه كان يصلي ببني اسرائيل في عهد موسى ومنهم إخوة هارون، وكان يقرب القرابين، ويقدم الشعائر

---

بها إبان حكم القضاة وإبان حكم الملوك، وبعد سقوط إسرائيل والعتور على التوراة قبيل سقوط مملكة يهوذا، والتوراة إبان السبي البابلي، وأخيرا إبان حكم المكابيين ثم الرومان عام 37 ق م .

<sup>1</sup> - موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص 24 وما بعدها.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص 46.

<sup>3</sup> - حسن ظاظا: حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، المرجع السابق، ص 139-140. ينظر فيه: الوصايا العشر.

<sup>4</sup> - سفر الخروج: 4: 18.

ويدعو الله بدعائه الذي دان به قبل بعثة الكليم ، ويتبعه موسى وهارون وشيوخ اسرائيل وصفوة الشعب الإسرائيلي أجمعين<sup>(1)</sup>.

-**سفر اللاويين**: أو سفر الأحبار كما يسمونه، ويقع في سبعة وعشرين اصحاحا، وتكثر فيه الشرائع والطقوس الكهنوتية التي كان يتكفل بها سبط ((لاوي)) بن يعقوب القبيلة التي ينتمي إليها موسى وأخوه هارون، وإلى جانب تناوله للحياة الدينية، يتناول هذا السفر أيضا تكملة لقصة المسيرة الإسرائيلية مع موسى عبر صحراء سيناء، ويطلق على هذا السفر بسفر الشريعة.

-**سفر العدد**: ويضم ستة وثلاثون اصحاحا، يكثر هذا السفر من إيراد الأعداد الخاصة بتعداد الإسرائيليين الراحلين مع موسى عبر مسيرتهم التاريخية، ويضم عدد وأرقام حول الذبائح وعدد المدن والقرى، ويشمل هذا السفر أيضا انحراف اليهود وانغماسهم في الفسوق والعصيان مما أثار غضب موسى على قومه.

-**سفر التثنية**: أو سفر إعادة الشريعة ، أو تثنية الإشتراع وتكرارها على بني اسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء ووصولهم إلى سهول النقب وجنوب الأردن في صحراء مؤاب. ويقع السفر في في أربعة وثلاثين اصحاحا ، في آخره ورد النص الذي لا يمكن أن يقوله موسى -عليه السلام أبدا، بل هو ضرب من الأساطير والخرافة وهو: (( فمات هناك موسى، عبد الربّ في أرض مؤاب حسب قول الربّ. ودفنه في الأجواء ، في أرض مؤاب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ، وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكلّ عينه ولا ذهب نضارته ، فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مؤاب ثلاثين يوما. فكملت أيام مناخة موسى))<sup>(2)</sup>.

ويقول "سهيل ديب" في موضوع حول ملاحم اليهود الأسطورية: أن معظم الروايات التي ذكرت في الأسفار القديمة على أنها من صلب التاريخ اليهودي، إنما نقلت عن قصص وأساطير بابلية قديمة ، جرى تحويلها وتعديلها بحيث تتماشى مع الرواية الفريسية عن تاريخ اليهود ، من مثل قصص التكوين والطوفان ، وبرج بابل ، وغيرها<sup>(3)</sup>، فكان موسى بطلا أسطوريا عند اليهود يتكلم باسم ( يهوه) وتعطينا الأسفار الخمسة الأولى من التوراة أمثلة عديدة عن الصفة الخيالية والأسطورية

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: المرجع نفسه ، ص 46، و أيضا : ص 96.

<sup>2</sup> - سفر التثنية 34: 5-8.

<sup>3</sup> - التوراة تاريخها وغاياتها ، ص 30.

للقصص الواردة فيها . وهذا السفر سفر التثنية لا يعني بالعقيدة فقط بل بالحروب أيضا، فهو يتحدث عن الحصار والسبايا والمعسكر ووسائل الدفاع<sup>(1)</sup>.

وفي نقد " سبينوزا " لسند العهد القديم ورأيه فيه يقول: ((المعرفة التاريخية للظروف الخاصة أسفار الكتاب، لا تتوفر لدينا في معظم الأحيان، والواقع أننا نجعل الأشخاص الذين كتبوها، أو نشك فيهم، .. ومن ناحية أخرى ، لا ندري في أية مناسبة ، وفي أيّ زمان كتبت هذه الأسفار التي نجعل مؤلفيها الحقيقيين، ولا نعلم في أيدي من وقعت، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التي وجد لها عدد من النسخ المتباينة، ولا نعلم إن كانت هناك صياغات أو قراءات كثيرة في مخطوطات من مصدر آخر))<sup>(2)</sup>، فيثبت سبينوزا في الثقة بالنفس أنّ موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة ، بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل ، وأن موسى كتب سفرنا مختلفا ، وذلك من خلال الشواهد التي تؤخذ من سفر التثنية ، وهي:

أ- أن موسى لم يكتب مقدمة سفر التثنية الذي جاء فيه: ((فعبّر الأردن، في أرض مؤاب، ابتداء موسى يشرح هذه الشريعة قائلا: الرب إلأهنا كلمنا في حوريب..))<sup>(3)</sup>. إنّ موسى لم يكتب مقدمة التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن<sup>(4)</sup>.

ب- ورد في سفر التثنية : (( وكتب موسى هذه التوراة وسلّمها إلى كهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب.. وأمرهم موسى قائلا:..))<sup>(5)</sup>، فيكون بالفعل قائل هذه الكلمات كاتب آخر يروي أقوال موسى وأعماله. فيبدو واضحا وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة<sup>(6)</sup>. ودلت الإكتشافات حول مخطوطات البحر الميت عن عدم انتساب العهد القديم إلى الوحي الإلهي أو حتّى إلى موسى -عليه السلام نفسه<sup>(7)</sup>.

## ب- التلمود:

<sup>1</sup> - فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية، ص 53.

<sup>2</sup> - رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص 255.

<sup>3</sup> - سفر التثنية 1: 5 . و حول موت موسى في البرية، ينظر: سفر التثنية 34: 5-6.

<sup>4</sup> - سبينوزا: المصدر نفسه ، ص 266.

<sup>5</sup> - سفر التثنية 31: 9-10.

<sup>6</sup> - سبينوزا : المصدر نفسه ، ص 271.

<sup>7</sup> - ينظر: محمود العابدي: مخطوطات البحر الميت، ص 52 وما بعدها، حيث أشار العابدي إلى أهم الإكتشافات الأولى وهي: سفر

راعوث-سفر حبقوق- بردية ناش- المسورون- مخطوط إشعيا- شرح سفر حبقوق- متاب النظام- سفر لاملك- سفر حروب أبناء

النور- المزامير- مزامير كندو).

يدعي اليهود أنّ التلمود هو مجموعة قوانين شفوية مروية عن النبي موسى ، كان الحاخامات يتناقلونها سرا فهو (( القانون المكتوب الموسوي والشفوي الحاخامي ))<sup>(1)</sup>. ويستعرض "زهدي الفاتح" -الذي أعدّ كتاب فضح التلمود للأب: آي. بي. برانائيس- التلمود استعراضا علميا مبينا أن هذا الكتاب مستخرج من كلمة (لامود) التي تعني تعاليم. وبالمجاز المرسل تعني هذه الكلمة الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية ، والتي تدعى بدورها اليوم ، ومنذ زمن طويل، باسم ( التلمود) ، أي الكتاب العقائدي الذي وحده يفسر وييسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه<sup>(2)</sup>، فهو التعبير عن النظرة اليهودية الشاملة إلى العالم في امتدادها عبر ألف سنة من الزمن، وهو الوثيقة السياسية التي صنعها بعض الحاخامات، وهو المجال التطبيقي للتوراة رغم الفروق الواسعة بينها ، فهو الجسر الممتد بين التوراة والحياة أي أنه التوراة في التطبيق<sup>(3)</sup> ، عندما اهتمت بالعبادات والعقائد وأحكام المعاملات التي أكثر حولها علماء الهيكل الشروح والتفاسير في كتاب سموه (بالتلمود) باعتباره كتاب التحصيل والمعرفة<sup>(4)</sup>، وباعتباره كتاب شرعي، مثل التوراة كما هو عند الرابانيين<sup>(5)</sup>، وغير معترف به عند القرائين<sup>(6)</sup> لكون لفظ التوراة وردت بصيغة المفرد ولم يرد ذكر لها بلفظ بلفظ مثنى أو جمع. والقول بأنّ الله أمر بعدم كتابتها ونقلها شفوية، فكتابتها تعد من طريق المخالفة

<sup>1</sup> - حسن ظلطا: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، ص 66. وينظر: ظفر الإسلام خان : التلمود، تاريخه وتعاليمه، ط6، دار النفائس، بيروت، 1985م ، ص 30.

<sup>2</sup> - آي. بي. برانائيس الآب: فضح التلمود (تعاليم الحاخامين السرية)، إعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، ط2، 1983م، ص21.

<sup>3</sup> - صابر طعيمة : الأسفار المقدسة قبل الإسلام، ص 41. والنظور التاريخي للتلمود ، المرجع نفسه، ص 158 وما يليها، وأهمية التلمود عند اليهود، المرجع نفسه، ص 163 وما يليها.

<sup>4</sup> - رحمة الله الهندي : إظهار الحق، ج1، ص 270. ينقل رحمة الله الهندي نصا من رسالة صغيرة في الرد على اليهود ( الرسالة الهادية، = لعبد السلام) وهو يهودي أسلم في عهد السلطان بايزيد خان، قوله: أعلم أنّا قد وجدنا في أشهر تفاسير التوراة المسمى عندهم بالتلمود، أنّ في زمن تلماي الملك، وهو بعد بختنصر، أن تلماي الملك قد طلب من أحبار اليهود التوراة. فهم خافوا على إظهاره لأنه كان منكرا لبعض أوامره. فاجتمع سبعون رجلا من أحبار اليهود فغيروا ماشاء من الكلمات التي كان ينكرها ذلك الملك خوفا منه. فإذا أقروا على

تغييرهم فكيف يؤتمن ويعتمد على آية واحدة)). وينظر أيضا: La : Que sais-je ? la pensée juive, chapitre 2 : La pensée almudique , p 29

<sup>5</sup> - ظفر الإسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت، ط6، 1985م ، ص 19.

<sup>6</sup> - سهيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، ص 93. القرائية: هي فئة يهودية ظهرت خلال القرن الثامن للميلاد في العراق برئاسة شخص يدعى عنان بن داود، والتسمية نسبة إلى القراءة أي: قراءة النصوص المكتوبة ورفض كل الأسفار الأخرى المسماة (السرية) أو(المخفية) أو الشفهية التي تشكّل التلمود .

لأمر الله، ناهيك عن كثرة التناقض فيها مما يدل على أنها ليست وحيا من الله؛ ويقسم اليهود التلمود إلى (1):

-قسم يعرف "بالمشنا" الذي هو أهم المراجع الإسرائيلية بعد التوراة \_ التي يراد بها حفظ الكلام المعاد والغرض منها التفسير والتعليق على التوراة، فيقول ابن النديم: (( ولموسى كتاب اسمه المشنا ومنه يستخرج اليهود علم الفقه والشرائع والاحكام )) (2). وتشكل "المشنا" ثنائيا مع التوراة وقد تعني التوراة الثانية أو التوراة الشفوية التي أوحى الله بها إلى موسى في جبل سيناء، إذ أمره ألا يكتبها ويبلغها شفاهة، ونظرا للخوف من اندثارها تم تدوينها في القرنين الأول والثاني من الميلاد بواسطة أحبار عرفوا باسم (( الثنائيم )) الذين ثنوا التوراة فجعلوها اثنين (3).

-وقسم ثاني من التلمود يعرف "بالجمارا" أو "التكملة" وهو خلاصة طائفة من الأحكام المتفق عليها بعد تمحيص المشنا (4)، أما "الجمارا" فقام بتدوينها رجال الدين الذين أطلق عليهم اسم ( الأمورائيم )، التي تعني الخطباء والمفسرون الذين راحوا يشرحون ويحللون المشنا بوضع تعليقات وحواشي عليها منذ القرن الثاني الميلادي، حيث أخذ الرّبّيون والحاخامات تعاليمهم عن الفرّيسيّين الذين كانوا متسلطين على الشعب أيام المسيح يحضونه على اتّباع ظواهر شريعة موسى، ويحفظون لأنفسهم تفسير التقاليدات المتصلة إليهم (5).

<sup>1</sup> - محمد شكري سرور: نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، ص 15، وجاء في كتابه أن التلمود يقع في ستة أجزاء كما يلي:

- الجزء الأول وعنوانه: (زراعيم) بمعنى البذور.
- الجزء الثاني بعنوان: موعيد بمعنى الفصول والأعياد.
- الجزء الثالث بعنوان: ناشيم بمعنى النساء.
- الجزء الرابع بعنوان: نازكين بمعنى الأضرار والجرائم.
- الجزء الخامس بعنوان: قوداشيم بمعنى الأمور المقدسة.
- الجزء السادس بعنوان: طهاروت بمعنى الأشياء الطاهرة.

وينظر: Que sais-je ? la pensée juive : L , enseignement du Talmud, p41

<sup>2</sup> - الفهرست، تحقيق: مصطفى الشويبي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص 114

<sup>3</sup> - عبد الله التّل: خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية، قصر الكتاب، البلّيدة، الجزائر، 1981، ص 69.

وينظر أيضا: السمّوّل بن يحيى بن يوسف المغربي: إفحام اليهود، تحقيق: عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، مصر، ط 1986، ص 1، ص 172، الهامش وهو أول من جمع تفسيرات التوراة في كتاب أسماه ( المشنا ) هو الحاخام يوحنا حوالس سنة 150م. ومشنا معناها: الشريعة المعتادة أو المكررة. ينظر أيضا: علي عبد الواحد: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص 21 وما بعدها، وتناوله لأسفار التلمود وتاريخ تأليفها، واللغات التي ألّفت بها أسفار التلمود، والتي ترجمت إليها.

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، ص 37.

<sup>5</sup> - عبد الله التّل: خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية، ص 69.

غير أن المسيحية لا تعترف بالكتب اليهودية التي كتبت بعد بعثة المسيح عليه السلام وبالتّالي تضع التلمود بمنزلة الأساطير الوثنية<sup>(1)</sup>. وبعد المسيح بمائة وخمسين سنة خاف أحد الحاخامات -إسمه (يهوذا هاناسي)- أن تلعب أيدي الضياع بهذه التعاليم، فجمعها في كتاب سماه المشنا عام (190م-200م) أي بعد قرن من تدمير الهيكل سنة 70 للميلاد<sup>(2)</sup>، فكان نتيجة اضطهاد اليهود وما تعرضوا له في فلسطين تدوين التلمود الحافل بالأحكام الحاملة لكل معاني العنصرية والحقد والكراهية لغير اليهود من مسيحيين ووثنيين ، واحتلت تعاليم التلمود عند اليهود المكانة الرفيعة في ميدان التشريع رغم عدم وجود علاقة له بموسى -عليه السلام، ويمكن ادراك ان تعاليمه موضوعة من قبل الحاخامات ما ورد فيه وقاحة وتطاول على السيد المسيح وأمه العذراء ، و على المسيحيين عامة<sup>(3)</sup>، بل أن ملك اليهود "هيرودوس" عندما عرف بمولد المسيح أرسل عمّاله يعملون القتل في جميع أطفال بيت لحم وما جاورها من ابن سنتين فما دون ذلك، ولم يعد يوسف بالطفل وأمه إلى الجليل إلا أن أتاه الأمر بالعودة بحسب نص الإنجيل متى: (( لأنّ الذين كانوا يطلبون حياة الطفل قد هلكوا))<sup>(4)</sup>.

ويوجد في نسخ كثيرة من التلمود المطبوع في المائة سنة الأخيرة بياض، أو رسمٌ دائرة، بدلاً عن ألفاظٍ سبّ في حق المسيح والعذراء والرّسل كانت مذكورة في النسخ الأصلية<sup>(5)</sup>.

فقد ورد عن أسماء المسيح في التلمود: [ليمح إسمه، ذاك الرجل، نجار ابن نجار، الرجل الذي شنق، ابن غير شرعي، حملته أمه وهي حائض، شرير، مجنون، ساحر مشعوذ، وثني، مضلل، مدفون في جهنم، معبود كإله بعدما قتله أتباعه، وثن، وتعاليم المسيح هي كذب وهرطقة، وأصحابه أبناء الشياطين، وأرواحهم شريرة، ونجسة]، فيوصي التلمود بوجود إفناء المسيحيين والإضرار بهم<sup>(6)</sup>. ولذلك فإن تعاليم التلمود دفعت باليهود بتحسين إيقاع المكائد بالمسيح وتسفيه تعاليمه مستعملين أساليب الدسائس والعمالة ، ومنها اجتماع كبار كهنتهم في منزل أحدهم ويدعى (

<sup>1</sup> - محمد فاروق الزين : المسيحية والإسلام والإستشراق ، ص 51.

<sup>2</sup> - أغسطس روهلنج وشارل لوران الفرنسيين: الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة يوسف نصر الله، وتقديم: مصطفى أحمد الزرقا، و حسن طازا، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1408هـ - 1987 ، ص 47.

<sup>3</sup> - آي. بي براناتيس، الأب : فضح التلمود، ص 112.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 2: 20.

<sup>5</sup> - أغسطس روهلنج ، وشارل لوران : المرجع نفسه ، ص 48.

<sup>6</sup> - آي. بي براناتيس، الأب : المرجع نفسه ، ص 55.

قيافا) وقرروا ايداء السيد المسيح بالاعتماد على " يهوذا الأسخريوطي" الذي كان يتحين الفرصة لتسليم المسيح بحسب الإتفاق الذي وقّعه مع عظماء الكهنة مقابل وزن ثلاثين من الفضة<sup>(1)</sup>. ومن تعاليمه أيضا ما قام به اليهود من إحراق المسيحيين جماعيا في الأحدود وهم أحياء ، وقد ذكر القرآن القصة في (سورة البروج ) لما قال الله تعالى: {وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ، وَشَاهِدْ وَمْشْهُودِ ، قَتَلَ أَصْحَابَ الْأُحْدُودِ ، النَّارِ ذَاتَ الْوُجُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }<sup>(2)</sup>.

بعد تعليق علماء اليهود على "المشنا" حواشي كثيرة وشروحات مسهبة سمّوها بالجمارا ، تكوّن ما يعرف بالتلمود ، الذي هو كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم ، ((وشروحاته مأخوذة من مصدرين أصليين أحدهما: المسمى بتلمود أورشلين ، وقد كان موجودا في فلسطين سنة 330م، وثانيهما: تلمود بابل و، كان موجودا فيها سنة 500م))<sup>(3)</sup>.

وقد أثر التلمود في السيرة المسيحية حتى كاد التطابق بين نظرة اليهود إلى تعاليم الحاخامات ، وما قام به المسيحيون بعد المسيح ، نذكر ما جاء في التلمود الذي يعتبر من الكتب المنزلة عند اليهود وأنه أفضل من التوراة ، يتحدث عن عصمة الحاخامات عن الخطأ وكل ما يقولونه يعتبر كأقوال إلهية!<sup>(4)</sup> لتقارنه بما ورد عن المسيح وتعاليمه:

- أنّ حديث أشعيا مساوي لشريعة موسى في مقابل حديث بولس في رسائله المساوية لكلام المسيح في الأناجيل.

- من يقرأ التوراة بدون التلمود فليس له إله ، وفي المقابل من يقرأ الإنجيل دون الأسفار الأخرى من العهد الجديد فليس بمؤمن ولا يستحق الملكوت!

- يعتقد الحاخامات أنّ لهم سلطة إلهية، وكل ما قالوه يُعتبر أنّه صادر من الله ، في المقابل يعتبر مؤلفوا الأناجيل والرسائل لهم أيضا ميزة تلك السلطة!

<sup>1</sup> - ينظر إنجيل متى 26: 14، 15، 16.

<sup>2</sup> - سورة البروج ، الآيات من 1- 10.

<sup>3</sup> - آي. بي براناتيس، الأب : المرجع السابق ، ص 48.

<sup>4</sup> - أغسطس روهنج وشارل لوران : الكنز المرصود في قواعد التلمود ، المرجع السابق ، ص 50 وقد أورد في الفصل الثاني من كتابه هذا بعد ص 50 ومايليها مقارنة بما ورد عن المسيح وتعاليمه، بأقوال الحاخامات.

- مخافة الحاخامات هي مخافة الله، وفي المقابل لا يختلف كثيرا قي رؤية المسيحيين لما يعتقدونه في آباءهم الكنسيين!

-من يجادل حاخامه أو معلّمه فقد أخطأ وكأنّه جادل العزّة الإلهية، وهو ما يقابله في موقف المسيحيين من رجال الدين عندهم!

- أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها: إنّها كلام الله مهما وُجدَ فيها من تناقض، فهي منزلة من السّماء! ومن قال أنّها ليست أقوال الله فقد أخطأ في حق الله، ونفسه ما يراه المسيحيون فيمن يعتقد وجود التناقض في نصوص العهد الجديد.

- أنّ الإنسان مهما كان شريرا في الباطن وأصلح ظواهره يخلص! ويذكر بولس أن الإنسان لا يخلص من الدينونة بالعمل الصالح بل بالإيمان!

- ان بعض الشياطين يسكنون في الهواء وفي قاع البحر وهم الذين يتسببون في خراب الارض اذا تركوا وشأنهم. وبعضهم يسكن في أجساد اليهود المتعوّدين على ارتكاب الخطايا. وقد أشارت الأناجيل إلى محاربة المسيح للشياطين واخراجها من أجسام النّاس وطرحها في قطع الخنازير، كما روت تجربة الشيطان للمسيح!

- ((التلمود هو أوّل كتاب سحري، وممارسه يمكن أن يخلق رجلا بعد أن يقتل آخر، ويجول الماء إلى عقارب، وكان ابراهيم الخليل يتعاطى السحر ويعلمه. وكان يعلّق في عنقه حجرا ثمينا يشفي بواسطته جميع الأمراض، فوصل هذا الحجر لبعض الحاخامات التلموديين، وكان بقوّته هو وباقي رفقائه يقيمون الموتى!! وحصل أن أحد الحاخامات قطع مرة رأس حيّة ثم لمسها بالحجر المذكور فإذا هي حيّة تسعى. وقد لمس أيضا به جملة أسماك مملّحة فدبّت فيها الرّوح بقوة السحر!!))<sup>(1)</sup>. وبالمقابل نرى اهتمام الأناجيل كثيرا بموضوع السّحر وجعلوه في باب المعجزات خلاف ما ذكره القرآن من معجزات المسيح كنيّ ورسول.

- تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنّها جزء من الله، كما أنّ الإبن جزء من والده، وهذا ما تبناه المسيحيون في نسبة المسيح بينوّته لله وجعلوه الأقتوم الثّاني الملازم لإقتوم الآب.

<sup>1</sup> - أغسطس روهنج وشارل لوران: الكنز المرصود في قواعد التلمود، المرجع السابق، ص 63. وينظر: صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، من ص 49 إلى ص 52. قدسية التلمود عند اليهود وفرقهم الدينية والسياسية.

وجاءت فكرة الإحاطة باسم الله الأعظم وتسخير الأشياء به فكرة يهودية، انتقلت إلى النصرانية، حيث أن موسى قد أطلعه الله على الإسم المركب من اثنين وأربعين حرفاً، وبه شق البحر وعمل المعجزات!<sup>(1)</sup>

### ت- الفلسفة:

كان اليهود يعتمدون على الوحي لمعرفة الحقائق عن طريق الإيمان، مازجين تفكيرهم الديني بآراء الباطنية الجديدة التي جاءتهم من الفلسفة اليونانية، فوجدوا في منطق "أرسطو" أداة نافعة جداً، فيكاد يجمع أهل الفكر على أن صفات الإله قد ارتفعت إلى ذروتها العليا من التنزيه والتجريد في مذهب أرسطو، والذين يرون هذا الرأي لا ينسون مذهب "أفلوطين"؛ إمام الفلسفة الأفلاطونية الحديثة وشيخ الفلسفة الصوفية بين الغربيين إلى العصر الأخير. فمذهب أرسطو في الإله أنه كائن أزلي أبدي مطلق الكمال لا أول له ولا آخر ولا عمل له ولا إرادة<sup>(2)</sup>، ((غير أن اليونان وثقوا بالعقل ثم جعلوا التفكير حكماً في ما هو صحيح وما هو غير صحيح أكثر من الشعوب القديمة))<sup>(3)</sup>، فتناولت الفلسفة اليونانية موضوع تأثير الكلمة والروح في الخلق، حيث بواسطة البيئة الدينية تلقى الفلاسفة تصوراتهم عن الروح، ومن الدين تعلموا عناصر التفرقة بين العقل والمادة، وتعلموا كيف يتوغلون في دراسة الموجودات وكنهها وتعليل أصولها والتنبؤ عن مصيرها بعد انتهاء وجودها فكان أساس تعاليم أفلوطين المتوفى في عام 270م أمور ثلاثة:<sup>(4)</sup>.

أ- الكون نشأ عن الخالق الأزلي الأول الذي لا تحده الأفكار.

ب- الأرواح شعب لروح واحدة تتصل بالخالق الأزلي عن طريق العقل المنبثق عن الخالق الأزلي الأول.

ت- العالم كله في تديره وتكوينه وتحركه يخضع لهذه الثلاثة: المنشئ الأول، العقل المنبثق عنه، الروح التي هي المصدر تتشعب منها الأرواح جميعاً.

ويشرح أفلوطين نظريته الثلاثية فيقول: ((عن المنشئ الأول صدر العقل، وليس صدوره كالولادة، ولكنه إنبثاق، ومن العقل انبثقت الروح التي هي وحدة وأساس الأرواح كلها، وهذه الثلاثة: المنشئ الأول، والعقل، والروح، أساس لتوالد العالم وتواجده وتكوينه)). هذه الدراسات أساسها الأفكار

<sup>1</sup> - السموعل بن يحيى المغربي: إفحام اليهود، وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي، تقديم وتحقيق وتعليق محمد عبد الله الشرقاوي، ص 104 .

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص 33.

<sup>3</sup> - فيليب حتي: الإسلام منهج حياة، ص 234.

<sup>4</sup> - رؤف شلبي: أضواء على المسيحية، (دراسات في أصول المسيحية)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1985م، ص 30-31.

والثقافات التي حملها أفلوطين من العالم الفارسي والهندي، وحملتها مدرسة الإسكندرية الأفلوطينية الحديثة في القرن الثالث الميلادي. وتطرق فلاسفة اليونان إلى قدرة الله التي تخالف قدرة القوى المادية التي تعمل بالجهد والعناء، فأدركوا أنّ الله يخلق بالكلمة أو المشيئة ما يريد، وقد أدرك العقل هذه الفكرة السّامية من شيء رآه لا من شيء بحثه، كرؤيته لقدرة السّاحر على التأثير بالكلمة التي يقولها على الأجسام بواسطة همهمة وتعزيم، والله أقدر من السّاحر<sup>(1)</sup>.

وبلغت الفكرة الإلهية والعقيدة الروحية نضجها في الديانة الإسرائيلية الكتابية ما بلغت الفكرة الدينية في الفلسفة اليونانية، إذ لم تخرج مباحث أرسطو عن القول بالهيوولي والحركة الأولى، فعند أرسطو أن سلسلة المحركات يجب أن تنتهي آخر الأمر، إلى محركين أولين:

- محرك أول يتحرك، هو السّماء الأولى و الفلك أو المحيط. ومحرك أول لا يتحرك هو الله<sup>(2)</sup>،

ولولا الإيمان بالخالق والمخلوق والروح والجسد لما خلص إلى الصورة والمادة والتفرقة بين العقل والهيوولي<sup>(3)</sup>، فمن فلاسفة اليونان القائلين بأن الماء أصل كل شيء وأن الروح تحرك المادّة، وما من متحرك إلا وهو ذو روح أو تقوده روح، فمثلا الحديد لا يجذبه المغناطيس إلا بروح فيه<sup>(4)</sup>. ومن فلاسفة اليونان من قال بأن النّار هي أصل الموجودات وأصل النار الهيوولي، والله هو العقل الفاعل والهيوولي هي المادة المنفعلة، وأن الكون هو جوهر الإله، وأنّ الله يتخلل أجزاء الكون كما يتخلل العسل قرص الخاليا، وهذا الرأي للفيلسوف زينون المنتمي للمدرسة الرواقية، والذي يخالف به رأي أفلاطون الذي يرى أن الله جوهر منزه عن المادة، والرواقية هي مدرسة لاحقة لمدرسة سقراط وأفلاطون وأرسطو في تاريخ الظهور. حتى قال فلاسفة هذه المدرسة أن خيال الإنسان وراء تخيل

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: الله. جل جلاله، مرجع سابق، ص 122.

<sup>2</sup> - ماجد فخري: قادة الفكر (أرسطو ليس المعلم الأول)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط: 1958، ص 94. وينظر من ص 169 إلى ص 175 عن: (الله أو المحرك الذي لا يتحرك)، وينظر عن فلسفة أرسطو: جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون تاريخ، حول:

أ\_ الجوهر والعرض، ص 69.

ب\_ المادّة والصورة، ص 71.

ت\_ القوّة والفعل، ص 71\_72.

ث\_ أقسام العلل وأحوالها، ص 73.

ج- وعن الحركة من حيث: طبيعتها وسببها وأزليتها من ص 74 وما يليها.

<sup>3</sup> - ماجد فخري: المرجع نفسه، ص 85.

<sup>4</sup> - ينظر: عباس محمود العقاد: الله. جل جلاله، ص 123، و ص 124 - 125.

أربابه فيتصور إلهه على هيئته وينسب له أخلاقاً وأعمالاً كأخلاقه وأعماله. فتذهب فلسفة أرسطو إلى أن المادة الأولى التي نبت عنها هذا العالم أزلية قديمة لم تخلق وليست محدثة. ومن هذه المادة الأولى أو الهيولى تكوّنت المواد المختلفة والأجسام والكائنات، وتتكون الموجودات عند أرسطو من مادّة وصورة تلحق بها<sup>(1)</sup>.

إن الفلسفة الرواقية بما فيها فلسفة فيثاغورس لا تقل أهمية عن فلسفة المدرسة الأثينية، مدرسة (سقراط 469 ق م - 399 ق م) الذي يعد أستاذاً أفلاطون، فهذا الفيلسوف على غرار مباحثه في الأخلاق والسياسة، كانت مباحثه في ما وراء الطبيعة، فتناول مسألة خلود الروح وسلامتها من الفساد مع الجسد بعد الموت، وأنها ترجع إلى معدنها الأولى من الصفاء المنزهة عن التجسيد والتركيب. وخلف سقراط تلميذه أفلاطون (428 ق م - 348 ق م) الذي جعل مباحثه أيضاً في الأخلاق والسياسة والثقافة النفسية<sup>(2)</sup>. وتبع فيثاغورس أفلاطون في المسائل المتعلقة بالعقائد الروحية مازجا الفلسفة بالرياضة والدين، وتبعه في مسألة الوجود، حيث يرى أفلاطون أن القدرة كلّها تصدر من طبقة العقل المطلق، والعجز كله يصدر من طبقة المادة الأولية (الهيولى). وتحدث "العقاد" في موضوع النفس عن العقل والروح عند حكماء اليونان بمعانيها التي تنسب إلى الكون وإلى الإنسان ورتبها على حسب صفاتها وعلو جواهرها قائلاً: (( فكان العقل عندهم أوّلها وأشرفها، لأن جوهر العقل المطلق هو الله - جلّ شأنه، والعقل الإلهي هو العقل الفعّال المنزه عن المادة واليهوى، وعنه يصدر العقل الإنساني أو العقل المنفعل<sup>(3)</sup> .

كما تبع أفلاطون فيثاغورس في القول بتناسخ الأرواح، إذ أنّ النفس البشرية إذا استسلمت لعجزها هبطت من جسد إلى جسد أحقر منه. والراجح أن القول بتناسخ الأرواح وصل من الهند إلى حكماء اليونان من طريق العبادات السريّة المعروفة باسم النحل "الأورفية" القائمة على نظام الرياضة الصوفية والرياضة البدنية<sup>(4)</sup>، وجاء بعد أفلاطون تلميذه أرسطو<sup>(5)</sup> الذي نظر إلى الله على أنّه هو العلة

<sup>1</sup> - زينب محمود الخضيري : أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مصر ، ط1 : 1983م ، ص 212.

<sup>2</sup> - جميل صليبا : تاريخ الفلسفة العربية ، ص 32.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن ، ص 31.

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد : المرجع نفسه ، ص 131-132.

<sup>5</sup> - ينظر : جميل صليبا : المرجع نفسه ، ص 63 وما يليها عن أرسطو : حياته وكتبه وفلسفته.

- وينظر : لويس غاردي ، و جورج قنواطي : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ترجمة : صبحي صالح ، و فريد جبر ، دار العلم =

للملايين ، بيروت ، ج1 ، ط2 ، 1978م ، بعنوان : التراث القديم \_ أ: آثار أرسطو : ص 177.

الأولى ، أو المحرك الأول ، وهذه المتحركات محرك ، وللمحرك محرك آخر متقدم عليه ، حيث ينتهي العقل إلى محرك ذاته أو محرك لا يتحرك ، لأن العقل لا يقبل التسلسل في الماضي إلى غير نهاية ، ويكون سرمديا لا أول له ولا آخر ، كاملا منزها عن التقص والتركيب والتعدد ، ومستغنيا بوجوده عن كل موجود ، وانتهى أرسطوا إلى محركات تنتهي إلى محرك يحرك ولا يتحرك ، هو المحرك الأول .

تقول "زينب محمود الخضيرى" عن أرسطو: ((فيمكن القول إذن أنّ أرسطو هو فيلسوف الصيرورة والتعدد ، وأن فكرة الوحدة أو الثبات والإستقرار إنما أضيفت إلى فلسفته في النهاية))<sup>(1)</sup> . فالله عند أرسطو يعقل ذاته ولا يعقل ما دونها ، ويتنزه عن الإرادة لأن الإرادة طلب في رأيه والله كمال لا يطلب شيئا غير ذاته ، ويجل عن علم الكليات والجزئيات لأنه يحسبها من علم العقول البشرية ، وعلى هذا لنا أن نسأل: هل استطاع أرسطو بتجريدته الفلسفي أن يسمو بالكمال الأعلى فوق مرتبته التي يستلهمها المسلم من عقيدة دينه؟ كلا . فان الله في الإسلام إله صمد لا أول له ولا آخر ، وله المثل الأعلى ، والذات الإلهية التي جاء بها الإسلام غاية ما يتصوره العقل البشري من الكمال في أشرف الصفات . فبرهان وجوده تعالى حدوث العالم ، ودليل حدوثة ملازمته للأعراض الحادثة من حركة وسكون وملازم الحادث حادث ، ودليل حدوث الأعراض مشاهدة تغيرها من عدم إلى وجود ، ومن وجود إلى عدم<sup>(2)</sup> وبرهان وجوب القدم له تعالى ، لأنه لو لم يكن قديما لكان حادثا فيفتقر إلى محدث ، ويلزم الدور أو التسلسل ، وبرهان وجوب البقاء له تعالى ، فلائنه لو أمكن أن يلحقه العدم لإنتفى عنه القدم ، لكن وجوده حينئذ يصير جائزا لا واجبا ، والجائز لا يكون وجوده إلا حادثا ، كيف وقد سبق قريبا وجوب قدمه ، وبرهان وجوب مخالفته تعالى للحوادث ، فإنه لو مائل شيئا منها ، لكان حادثا مثلها ، وذلك محال<sup>(3)</sup> .

وتقول زينب محمود الخضيرى : (( ونظرا لقدم المادة عند أرسطو فهي ضرورية وليس لها خالق . أما الأديان الثلاثة المنزلة : أي اليهودية والمسيحية والإسلام فتقول أنّ العالم قد خلقه الله من العدم ، وفق إرادة حرّة ، وبالتالي فهو ليس ضروريا ، ولا قديما بل كانت له بداية في الزمان))<sup>(4)</sup> .

<sup>1</sup> - أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص 213 .

<sup>2</sup> - أبو عبد الله السنوسي : شرح أمّ البراهين ، تحقيق: مصطفى محمد الغماري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط: 1989م ، ص 49 .

<sup>3</sup> - أبو عبد الله السنوسي : المرجع نفسه ، ص ص 50-51 .

<sup>4</sup> - زينب محمود الخضيرى : المرجع نفسه ، ص 214 .

ويصنّف "أبو حامد الغزالي" أصناف الفلاسفة القدماء على كثرة فرقتهم واختلاف مذاهبهم إلى ثلاثة أقسام: الدهريون ، والطبيعيون، والإلهيون ، حيث يصف: الدهريين بتعطيلهم صنع العالم من قبل الله. والصنف الثاني الطبيعيون ذهبوا إلى انكار الآخرة والجنّة والنار ، وأن النفس تموت ولا تعود وبالتالي لا حساب ولا عقاب ، وإن آمنوا بالله وصفاته.

أما الصنف الثالث الإلهيون من مثل سقراط - وهو أستاذ أفلاطون أستاذ أرسطوطاليس - الذي ربّب المنطق وهذّب العلوم وردّ على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية ، ثم ردّ علّة أفلاطون وسقراط ومن كان قبلهم من الإلهيين وتبرأ عن جميعهم<sup>(1)</sup>.

### مطلب 3: تأثير الفلسفة في البيئة الدينية.

يتمسك اليهود بعقائد آبائهم وأجدادهم حتى وإن خالفت ما تعلّموه ودرسوه ، لأنهم ينظرون إلى العقيدة على أساس أمّها جنس ، فيصعب عندهم التوفيق بين العقيدة والفكرة في فهم الدين، فاليهودي لا ينقطع عن أصله ولا ثقافته كل الانقطاع، فكان "فيلون" اليهودي يقبل كتب الأنبياء على سبيل الرمز والمجاز، فيرى في فلسفته أن الله منزّه عن صفات التشبيه والتجسيم، ويرى أن الله ذات، وأن الله عقل مطلق مجرد من المادّة ، وأن الله لا يمكن أن يتصف بالصفات التي أسندت إليه في كتب اليهود بدلالاتها الحرفية، ويرى أنّ اتّصال الخالق بالمادة يكون بالعقل أو بالكلمة، فالعقل يصدر عن الله والمادة تنقاد للعقل فتشترك وتنظم وتتعدد فيها طبقات المخلوقات. وكان "فيلون" يرفض ما ذهب إليه الرّواقية من القول بوحدة الوجود التي تجعل الله من العالم والعالم من الله، كما يرفض مذهب أرسطو في تجريده لله عن العمل للمخلوقات هذا التجريد يقول فيه: ((إن الله أحد، ولكنه بقدرته خير وحاكم، فبالخير صنع العالم وبالحكم يديره، وثمة شيء ثالث يجمع بين القدرتين وهو الكلمة لأنّ الله بالكلمة يوجد ويحكم.. والكلمة كانت في عقل الله قبل جميع الأشياء.. وهي متحلّية في جميع الأشياء))<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال ، تحقيق: جميل صليبا، و كامل عياد، دار الأندلس، بيروت، ط: 1981م ، ص 98.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: الله. جل جلاله، ص 165. ويذكر العقاد في نفس المرجع، ص 169. أنّ "سبيتوزا" اعتمد في فلسفته على فلسفة كل من موسى بن ميمون (1135م-1204م)، مؤلف كتاب: دلائل الحائرين الذي تناول فيه الذات والصفات ومسألة المعاني والنصوص وقبله سليمان بن جبريول مؤلف كتاب: ينوع الحياة.

إنّ اليهودية كانت بمثابة فلسفة تجريدية بالقياس إلى العقائد الوثنية المحسّمة التي نشأت بينها، غير أن ما لحق بهذه الأمة من هجرة وتشّتت لأفرادها منذ أيامها الأولى ولّدت لديها العصبية القومية ، وتسربت إلى معتقدها أصناف البدع الأجنبية الوافدة من كل فج .

#### مطلب 4: بداية رواج فكرة المسيح المنقذ وتطورها في الفكر اليهودي.

ظلت الظروف الصّعبة التي عاشها المجتمع الإسرائيلي أو اليهودي كمحطات تاريخية في انتظار ظهور مسيح مخلص للأوضاع المتردية والرديئة ، فكلمًا خضع اليهود لسلطة وثنية أجنبية ازداد الأمل في انتظار ظهور هذه الشخصية المنقذة ، والتي ستجلس على كرسي أبيها داود عليه السلام وتنتقم لأعداء أفرادها<sup>(1)</sup>. ولمّا بات هذا الأمل يزداد ويضعف خلاف ما كان يتصوره الإسرائيليون اليهود، راحوا ينتظرون مسيحا مخلصا للأرض كلّها يرشد النّاس لعبادة إله واحد وينشر العدل والمحبة والرّحمة ، ويبدد الشر ليحقق ملكوت السّماء.

وجاءت فكرة انتظار المخلص مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرّب أو فكرة العهد الجديد<sup>(2)</sup>. وتعود أسباب انتشار ظاهرة انتظار مسيح مخلص عند اليهود ،كلما حدث تغيير في أوضاعهم نحو الأسوء فيسارعون إلى انتظار الأمل في مجيء مخلص ، ويزداد هذا الأمل أيضا كلما كان الاعتقاد بأن العالم الدنيوي على وشك الفناء والنهاية ، أي نهاية الحزن والفقر والمرض ليحل السرور والسعادة والسلام ، فكان انتظار اليهود لمسيح مخلص يتعلق بتحقيق غايات دينية وسياسية في آن واحد، فالأمل اليهودي لا يهدف إلى تحقيق مثل أعلى ، بل يمثل نهاية لأوضاع دنيوية.

وقد ترقّب التلمود المسيح المنتظر وهو يعدد خصال مجيئه وأنّ الأرض تدرّ قمحا بقدر كلى الثيران وأن السّلطة تعود لليهود ، وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له ، ويأتي المسيح بعد انقضاء حكم الأشرار الخارجين عن دين بني اسرائيل<sup>(3)</sup>. وحلّت الألفية الخامسة من تاريخ البشرية - بحسب التقويم اليهودي - أين كان الترقب في ظهور مسيح منتظر على رأس هذه الألفية ، وتمهيدا لمجيئه قام يحيى بن زكريا الملقب بيوحنا المعمدان بنهر الأردن بالدعوة إلى التوبة من الذنوب والاعتسال جاعلا شعاره التبشيري بقرب ملكوت الله أو ملكوت السّماوات الذي انتظره اليهود منذ أمد طويل، على أن يكون المنتظر في عالم السّياسة، فيأتي المسيح ملكا ممسوحا بالزيت المقدس باسم الرّب.

<sup>1</sup> - عبد الكريم الخطيب : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص 472.

<sup>2</sup> - حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، ص 98.

<sup>3</sup> - أغسطس روهنج وشارل لوران الفرنسيين : الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص 70-71.

وكان لاجتياح الرومان على البلاد اليهودية دعوة شديدة للإعتقاد بقرب ظهور المنتظر المسوح، ولما لم يظهر يئس الناس في ظهور المسيح في عالم السلطان والعرش ، وأخذ الانتظار يرتبط بعالم الروح ليكون الخلاص المنتظر، أي خلاص النفس والضمير بالتوبة والتطهير، وأخذ التدرج في وصف المنتظر ، من شخص يتصف بالقوة والبأس إلى وصفه بالرحمة والعطف والتواضع حيث يركب حمارا بن أتان بدلا من ركوب الخيل.

ويتم ميلاد المسيح في ظروف يسودها الاعتقاد بظهور مخلص في عالم الروح ، يولد المسيح ليقوم بالدعوة في أرض الجليل في بيت المقدس حول هيكل ومعبد بني إسرائيل داعيا إلى تخلص الضمير البشري من الشرور، قائلا للناس: ((لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه))<sup>(1)</sup>، وقال: ((ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان))<sup>(2)</sup>.

يتم ميلاد المسيح المنتظر ليقوم بالدعوة إلى محاربة الرياء والنفاق الذي تلبّست به إحدى الفرق اليهودية المعروفة "بالقرايين" القائمة بشؤون الهيكل من مراسيم العبادة والطقوس، فقال المسيح في شأن هؤلاء وشأن علماء الهيكل: ((ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة))<sup>(3)</sup>.

وفي دعوته لبغض رياء الصدقة قال: (احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات، فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المرأؤون في الجامع وفي الأزقة... وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك، لكي تكون صدقتك في الخفاء ، فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية)<sup>(4)</sup>. ودعا المسيح إلى الإيمان الذي ينقاد فيه عالم الحس لقوة الضمير، وجعله قوة باهرة في السيطرة على الطبيعة فقال: ((فقال الرب لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الجميزة (أي الشجرة) انقلعي وانغربي في البحر فتطيعكم))<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - إنجيل متى 16 : 26.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 15 : 11.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 23 : 25.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 6 : 1- 4.

<sup>5</sup> - إنجيل لوقا 17 : 6 .

ومن دعوة المسيح أيضا أن القربة لله تكون بمحبة الله وحب خلق الله ، وعلم أن الله محبة، يغفر للمخطئين والمسيئين فقال: ((وإن أخطأ إليك أخوك فوبّخه، وإن تاب فاغفر له، وإن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم ورجع إليك سبع مرات في اليوم قائلاً أنا تائب، فاغفر له)<sup>(1)</sup>.

كما دعا المسيح إلى الثقة بالله في رعايته لخلقه فقال: (( أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس، أنظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوك السماويّ يقوتها ، أليست أنتم بالحريّ أفضل منها؟ ومن منكم إذا اهتمّ يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة؟ ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، وهي لا تتعب ولا تغزل، ولكن أقول لكم إنّه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها ... أفليس بالحريّ جدّا يُلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان)<sup>(2)</sup>.

جاء المسيح لينقل الإيمان بالله من الحرف إلى المعنى من ظواهر الرّياء إلى حقائق الخير، مثبتا لشريعة اليهود وليس ناقضا لها، فقال: ((لا تظنوا أني جئت لأنقض التّاموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل))<sup>(3)</sup>. وأقرّ المسيح على ما وجدته من شرائع الأنبياء وشرائع الرومان التي دان بها اليهود فقال لهم: (( أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله))<sup>(4)</sup>، فجاءت دعوة المسيح في بني إسرائيل داعية إلى حفظ الوصايا والتمسك بالشريعة كعهد تمّ قطعه مع الله مثله مثل العهد المقطوعة من طرف النّبوة الإسرائيلية، والمتمثّل في الإيمان بعقيدة البعث والثّواب والعقاب، وعقيدة المسيح المخلص، وهجر كل العبادات الأجنبية الوثنية التي تسرّبت إلى المجتمع اليهودي.

وقد دلّت علامات المنقذ في النّبوة اليهودية بحسب التّوراة ، أنّ انتسابه يكون من بيت داود- عليه السلام ، وأنّه يصنع الأعمال الخارقة، بل هو ملك من نسل داود ، بحسب سفر هوشع: ((لأنّ بني إسرائيل سيقعدون أيّاما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفودٍ وترافيم، بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرّبّ إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرّبّ وإلى جُوده

<sup>1</sup> - إنجيل لوقا 17: 3.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 6: 25 - 30.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 5: 17.

<sup>4</sup> - إنجيل مرقس 12: 17.

في آخر الأيام))<sup>(1)</sup>. وبحسب سفر أرميا: ((ويكون حاكمهم منهم ويخرج واليهام من وسطهم وأقربيه فيدنون إليّ لأَنَّهُ مَنْ هُوَ هَذَا الَّذِي أَرَهَنَ قَلْبَهُ لِيَدْنُو إِلَيَّ يَقُولُ الرَّبُّ))<sup>(2)</sup>.  
 وفي سفر حزقيال: (( وأنا الرَّبُّ أَكُونُ لَهُمْ إلهًا وَعَبْدِي دَاوُدَ رَئِيسًا فِي وَسْطِهِمْ، أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ ، وَأَقْطَعُ مَعَهُمْ عَهْدَ سَلامٍ ))<sup>(3)</sup>. وكانت تشير المسيحانية - التي يقصد بها المسيح المخلص - في الفكر الإسرائيلي قبل وبعد السبي البابلي إلى النموذج الرمز لهذه الفكرة في شخص "داود" الملك المخلص، ولذلك لما ظهر المسيح كفرد إسرائيلي اعتبرت حركته الدعوية حركة يهودية تهم الحياة الدينية لليهود وتميز بها بيئته. وأصل كلمة المسيح من المسح بالزيت أو الدهن، وهي في الأصل العبراني "هاماشيح" وفي الآرامي "ماشيح" وفي اليوناني "مسيح" وهي الآن "مسيا"<sup>(4)</sup>. وكان عيسى هو المسيح الذي وعدت به إسرائيل، وهو الذي أشارت إليه نصوص التوراة التي قيل أنها تتعلق برسول "يهوه" المبارك الموعود به<sup>(5)</sup>، من خلال ملاحظته التي أدت إلى تقوية البناء الديني اليهودي الذي جسّدته العقائد التالية:

#### أ- عقيدة البعث:

وتعود جذورها التاريخية في الديانة اليهودية إلى فترة بعض أنبياء ما قبل السبي البابلي بحسب بعض نصوص العهد القديم كسفر أشعيا ((تحيا أمواتك تقوم الجثث، استيقظوا ترمموا يا سكّان التراب... لأنّه هو ذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكّان الأرض فتكشف الأرض دماءها ولا تغطّي قتلاها في ما بعد))<sup>(6)</sup>. وسفر يونا الذي يدل كتابه على إمكانية البعث من خلال قصة يونا (يونس) وبقائه في بطن الحوت ثلاثة أيام بلياليها (( وأما الرب فأعدّ حوتا عظيما ليلتلع يونا، فكان يونا في جوف الحوت ثلاثة أيام ليالٍ))<sup>(7)</sup>، و في نص بسفر هوشع قوله عن الله : (( يُحْيِينَا بَعْدَ يَوْمَيْنِ ، فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقيْمُنَا فَنَحْيَا أَمَامَهُ))<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> - سفر هوشع 3: 4-5 .

<sup>2</sup> - سفر أرميا 30: 21-22 .

<sup>3</sup> - سفر حزقيال 34: 24-25 .

<sup>4</sup> - الجويني : شفاء الغليل ، في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، مصدر سابق، ص 15.

<sup>5</sup> - شارل جنيسر: المسيحية نشأتها وتطورها، مصدر سابق، ص 26.

<sup>6</sup> - سفر أشعيا 26: 19-21 .

<sup>7</sup> - سفر يونا 1: 17.

<sup>8</sup> - سفر هوشع 6: 2.

وتدور عقيدة البعث إلى المسائل المتعلقة بالعالم الآخر الذي يتم فيه الخلاص المطلق الأخروي في مقابل الخلاص الدنيوي. وتعود هذه العقيدة إلى الأمل في الخلود الذي انحدر من الديانة المصرية القديمة وامتد أثره إلى اليهودية في عصر موسى - عليه السلام<sup>(1)</sup>.

#### ب - عقيدة الثواب والعقاب:

أدى المعتقد اليهودي إلى ظهور فكرة البعث والجنة والنار نتيجة تطور هذا المفهوم من طرف الأنبياء الذين مكّنوا لفكرة المسؤولية الأخلاقية الفردية، وأنّ الفرد مسؤولاً أمام الله عن أفعاله فيتم الحكم عليه بناء على ما قام به.

#### ت - عقيدة المخلص:

نشأت هذه العقيدة نتيجة لعوامل سياسية إسرائيلية والتي تطور مفهومها إلى عقيدة دينية ثابتة من مجموع العقائد اليهودية ، فبعد أن أدى انقسام مملكة داود وسليمان إلى مملكتين شمالية وجنوبية وسقوط المملكة الأولى في يد الآشوريين و الثانية سقطت في يد البابليين، أدى هذا الأمر إلى صياغة فكرة ظهور المخلص من الصبغة السياسية إلى الدينية، وسميت هذه الفكرة بالمسيحانية كفكرة غيبية تقوم على أساس الاعتقاد في قدوم مسيح مخلص وظيفته السياسية تحقيق الخلاص القومي لشعبه ، ثم أضيفت إليها الوظيفة الدينية لتعطي المسيح المخلص دور تحقيق الخلاص الديني لشعبه. فأطلقت التوراة هذه الكلمة قبل ظهور عيسى بن مريم إطلاقيين مختلفين، فأطلقتها بالمعنى العام على الملوك والأنبياء وكل من يبعثه الله برسالة من عنده، على حين أطلقتها بالمعنى الخاص على الرسول الذي يبعثه الله لتكفير خطايا البشر وإنقاذ بني اسرائيل وتخليص العالم مما نزل به من الظلم والإضطهاد. وهكذا كان شعب الله المختار أول من دان بهذه العقيدة، كما لا يزال ينتظر ظهور ذلك المخلص إلى اليوم<sup>(2)</sup>.

وما حدث من مزج بين الوظيفة السياسية والدينية للمسيح المخلص ، حتى نشأت إقامة مملكة الله السماوية كتعويض لضياح المملكة الأرضية، وسيحقق قدوم المخلص إقامة مملكة الله على الأرض، ولكن المسيح الذي رآه اليهود في شخص عيسى بن مريم ليس هو المسيح الذي عاشوا في

<sup>1</sup> - ينظر: فرانسوا غريغوار: المذاهب الأخلاقية الكبرى ، سلسلة: زدني علما، ترجمة قتيبة المعروفي، منشورات عويدات، بيروت، ط2: 1977م، ص65.

<sup>2</sup> - فان فولتن: السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: حسين إبراهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط2، 1965 ، وينظر ما قاله المترجمان على الهامش ، ص 108.

أجياهم يلمون به ويتوقعون الخلاص على يديه، لأنه لم يقع على يديه تأويل أحلامهم على الوجه الذي يتصورون، ويتوقعون، ولهذا عجل اليهود بالقضاء على المسيح عيسى، لأنه ليس المنتظر<sup>(1)</sup>. ظل مفهوم النبوة الإسرائيلية يشوبها تصورا ناقصا، للاعتقاد أنّ النبوة عند الإسرائيليين هي وظيفة، وأنّ الأنبياء هم أشخاص ملهمين مكلفين من لدن الله بتبليغ رسالة معينة، ثم تطور هذا المفهوم إلى أنّ النبي هو ذاك الذي سيحقق النبوة في آخر الأزمنة، وترتب عن هذا الاعتقاد في إمكانية عودة موسى أو أي نبي يشبهه، فيكون المنتظر الذي يمكنه أن يتجسد في أشخاص مختلفين، وأنّه سيعود إلى الأرض عند نهاية العالم الدنيوي وكان أكثر الشخصيات انتظارا في التراث اليهودي هو النبي "إيليا" لكونه لا يزال حيًا، وأنّه رفع إلى السماء<sup>(2)</sup>.

بقي النبي إيليا من الأركان الغيبية في الفكر اليهودي إلى اليوم. وكثر الحديث عنه في التلمود والمدراش وفي كتب التصوف اليهودي<sup>(3)</sup>، وكان انتظار إيليا الذي لم يمت ويشهد على الوثنيين في آخر الزمان؛ أملا معلقا في ذهن اليهود، مثل الأمل الذي انتظروه في ظهور "أرميا" النبي، وظل الفكر اليهودي مهيبًا لقبول أي دعوة جديدة في ظل المقولات السائدة عن انتظار مسيح مخلص موعود به من قبل في التراث الديني، وامتد هذا الأمل في الانتظار لهذه الشخصية حتى عند الوثنيين الذين انتشرت بينهم أفكار الاعتقاد بالخلاص حتى أطلق لفظ المخلص على الإمبراطور (أغسطس)<sup>(4)</sup>.

ويقول المستشرق فان فولتن: ((أننا إذا دققنا البحث وجدنا أن تلك العقيدة كانت منتشرة بين جميع الشعوب والأمم. فقد ظهرت في خرافة تيفون typhon وحوروس horus عند قدماء المصريين، كما نجدها أيضا في ميثرا mithra إحدى القصص الفارسية، ثم في كتب الصينيين القديمة، وكذا في عقائد الهنود و ما تعلق منها بتناسخ براهما))<sup>(5)</sup>.

ولما ظهر المسيح تلاقت في شخصه مفهوم النبي المنتظر والمسيح الموعود به بحسب تاريخ النبوة الإسرائيلية، وراحت التيارات الفكرية في فلسطين تضيف على عيسى صفات تتجاوز شخصه وتعاليمه الحقيقية إلى ما كانت تنشده العقلية اليهودية والعقلية الوثنية الرومانية في عصر المسيح. وهذا

<sup>1</sup> - عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ص 473-474، عن: ول ديورانت: قصة الحضارة، القاهرة، ج2، ص3، ط2، 1964م، ص 182.

<sup>2</sup> - ينظر: سفر الملوك الأول الإصحاح 17 و 18.

<sup>3</sup> - حسن ظا: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، ص 106.

<sup>4</sup> - شارل جنبير: المسيحية نشأتها وتطورها، ص 31، في إحواله على كتاب: E. Aegerter, les grandes religions. Pp. 99 /100.

<sup>5</sup> - فان فولتن: السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية - الهامش - ص 109.

هو المسيح يقول لتلاميذه وهو جالس على جبل الزيتون على انفراد بهم: ((انظروا لا يضلّكم أحد، فإنّ كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح . ويضلّون كثيرين ))<sup>(1)</sup>. وفي تحذيره من المسحاء الكذبة يقول: (( إن قال لكم أحد هو ذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدّقوا، لأنّه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتّى يُضلّوا لو أمكن المختارين أيضا))<sup>2</sup>.

ظل باب الفكر الدّيني اليهودي حول الأمل في مجيئ المسيح المخلّص مفتوحا على مصراعيه لكل ألوان التطور حتى ظهور المسيح الذي قام ونشر دعوته في وقت قصير جدا ، ثم حمل حواريه وتلاميذه دعوته وأقواله من بعده ثمّ تمّ الإتفاق على روايات معينة للأناجيل وأعمال الرسل ورسائل القدّسين الأوائل منذ القرن الثاني بعد المسيح ، واستبعد ما سواها من نقول ونصوص، وظلّ باب الإجتهد مفتوحا يلجحه آباء الكنيسة المسيحية، وظل التطور الفكري الدّيني مستمرا يتجلى في التأثيرات الرّوحية والفلسفية الأجنبيّة اليونانية الذي يبدو فيها واضحا. يقول "حسن ظاظا": ((حيث يبدو أثر الفكر اليوناني بحدوده ورسومه وتقسيماته، ومثله الخلقية والإجتماعية واضحا))<sup>(3)</sup>.

فقد أثرت في المسيحية الفلسفة الأفلاطونية الحديثة من خلال مدينة الإسكندرية ومدارسها وفلسفتها، وقد آوى إليها فلاسفة اليونان وتابعوا الفلسفة اليونانية، وكان شيخ مدرستها "أمنيوس" المتوفى سنة 242م اعتنق في صدر حياته الديانة المسيحية. ثم ارتد عنها إلى وثنية اليونان الأقدمين، وجاء بعده تلميذه "أفلوطين" المتوفى سنة 270م وقد تعلّم في مدرسة الإسكندرية أولا، ثم رحل إلى فارس والهند، وهناك استقى ينابيع الصوفية الهندية واطّلع على تعاليم "بوذا" وديانته، وبراهما الهند وديانتهم ، وعرف آراء البوذيين في بوذا، والبراهمة في كرشنة، وقد عاد بعد ذلك إلى الإسكندرية وأخذ يلقي بآرائه على تلاميذه، وجلّها يتجه إلى التعرّف على ما وراء الطّبيعة، ومنشئ الكون ، على أساس أنّ الكون صدر عن منشئ أزلي دائم لا تدرّكه الأبصار ولا تحدّه الأفكار، وأنّ جميع الأرواح ترتبط بالمنشئ الأول عن طريق العقل الذي صدر عنه كأنّه يتولّد منه، وللعقل هذا قوّة الإنتاج حيث منه تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يصدر كل شئ ومنه يتولد كل شئ<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - إنجيل متى 24: 4-5.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 24: 23-24.

<sup>3</sup> - الفكر الدّيني اليهودي أطواره ومذاهبه ، ص 131.

<sup>4</sup> - محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ، ص 43\_44.

فالفلسفة الأفلوطينية الإسكندرية ترجع العالم في تكوينه وتدييره إلى ثلاثة عناصر، أو إلى ثلاث مبادئ مقدس: المنشئ الأول، والعقل الذي تولد منه كما يتولد الولد من أبيه، والروح الذي يتصل بكل حي ومنه الحياة، وهكذا يكون التطابق بين المنشئ الأول بالآب، والعقل المتولد عنه بالإبن، وعن الروح بروح القدس، كما هو ثلاث المسيحية الذي أقرّ بعضه مجمع نيقية، وبكله المجمع التي تلتها. فالتثليث ليس من المسيحية بل من الفلسفة اليونانية بوجه عام ومن الفلسفة الأفلاطونية الحديثة بوجه خاص.

### المبحث الثاني: البيئة السياسية ودورها في تطور العقائد:

نشأ المسيح في بيئة يهودية أصاب من ثقافتها وتأثر بها كغيره من أهلها، فنشأ خاضعاً للسلطة الرومانية منذ أن استولت الإمبراطورية الرومانية القيصرية<sup>(1)</sup> على مدن فلسطين ومنها أورشليم (القدس)، وكان ذلك سنة 63 ق م تحت قيادة الملك (هيرودس الأكبر) الذي امتد حكمه من سنة 37 ق م إلى السنة 6م، حيث خضعت جميع مناطق فلسطين لحكمه وتم ضمّ الولايتين اليهوديتين في ولاية واحدة يحكمها حاكماً رومانيا وعاصمتها أورشليم تشمل اليهودية في الجنوب والسامرة في الوسط، وسعى الحاكم الروماني على تنصيب أمراء محليين على ولايات صغيرة كمنطقة "الجليل" في شمال فلسطين، والتي تمّ تعيين الوالي عليها (هيرودس أنتيباس) أحد أبناء هيرودس الأكبر، حيث عاشت في ظل حكمه فرق ومذاهب، إذ انقسم اليهود من الناحية السياسية إلى عدّة فرق ودويلات، ومن الناحية القبلية إلى عدّة قبائل وعشائر وبطون<sup>(2)</sup>.

### – دور الفرق اليهودية:

كانت فلسطين إحدى المستعمرات الإمبراطورية الرومانية، يعيش الوثنيون من سكّانها في مدنها الساحلية.. ويتركز اليهود في المدن الداخلية.. ويعاني شعبها، لا سيما اليهود، نزاعاً عنصرياً، واضطراباً سياسياً. فبين أهل يهوذا، والسامريين، وبين الصدوقيين، والفريسيين عداوات دائمة الإستمرار.. ولكن مقتنهم لروما يجمع بين قلوبهم المشتتة، التي توهّجت لقدم مسيح مخلص ملك يؤسس مملكة مستقلة، تدفع ضغط روما وتسلطها.. وكان أصحاب هذا الملّة، جماعة تسمى "الآسينية"<sup>(3)</sup>. فانتشرت الحركات الدّينية والسياسية عند ظهور المسيح بفلسطين وكان لها الدور الفعّال في

<sup>1</sup> - ينظر: عباس محمود العقاد: الشيوعية والإستعمار، ص 21. حيث يعرف القيصرية بأنّه: يراد بها في عرف السياسة، كل حكم يتغلب فيه حب التسلط وتوسيع الدولة، واعتبار السيادة الحكومية سيادة شخصية ينفرد بها صاحب الأمر ولا يتقيد فيها بالشورى ولا بشعور المحكومين

<sup>2</sup> - علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص 54.

<sup>3</sup> - خالد محمد خالد: معا على الطريق محمد والمسيح، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1974، ص 56-57.

التأثير على الطبقات الاجتماعية اليهودية وغير اليهودية ، كما تواجدت فرق بين يهود المهجر خارج فلسطين<sup>(1)</sup> ولكنها أقل نشاط من الفرق المتواجدة بداخل فلسطين ومن هذه الفرق الداخلية هي:

#### أ- الصدوقيون:

هم فرقة دينية يهودية عاصرت فرقة الفرّيسيّين ، وهي أقدم منها غير أنّها لم تساير تطور الفكر الديني اليهودي مثل فرقة الفرّيسيّين ، والصدوقية من الفرق اليهودية المشتهرة بثرائها الفاحش ومفاخرتها بانتسابها إلى الطبقة المحافظة المتمسّكة بالشريعة المكتوبة في التوراة ، فهؤلاء من أتباع (صدوق)<sup>(2)</sup> الذي كانت مهنته الكهانة في عهد النبيان داود وسليمان ، فجاء في سفر الملوك الأول: ((وقال الملك داود أدع لي صادوق الكاهن، وناثان النبي وبنّا ياهو بن يهوياذاع، فدخلوا إلى أمام الملك، فقال الملك لهم خذوا معكم عبيد سيّدكم وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي وأنزلوا به إلى جيحون، وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكا على اسرائيل))<sup>(3)</sup>. وزعم البعض من مؤرخي اليهود أنّهم تسموا بذلك نسبة إلى رئيسهم صادوق الكاهن الذي كان موجودا سنة 280 ق.م<sup>(4)</sup>. نشأت هذه الفرقة محافظة رافضة لكل بدعة في الدين متشبّثة بالقديم مؤيدة لسلطان الهيكل ، مؤمنة بأسفار التوراة الخمسة فقط المنسوبة لموسى رافضة ما عداها، ولا سيما المآثورات المنقولة بالسمع<sup>(5)</sup>. ومن التناقض في النظام القائم بمسلكهم مع عقيدتهم أخذهم من لوازم الحضارة اليونانية ومن الحياة المعيشية للمجتمع الروماني، فكان من أتباع هذه الفرقة من كان يدين بمذهب "أبيقور"

<sup>1</sup> - شارل جنير: المصدر السابق، ص 63. تحدث عن الفرق اليهودية التي نشأت بالمهجر وهي:

أ- السبتون: وهم الهيستون و يسمون بالسابازيون وانتشرت عقائدهم بين يهود المهجر وجالياتهم واشتهروا بانتظارهم لمنقذ إلهي يأتي بعد النكبات التي تحصل للشعب.

ب- الناظوريون: وهم فرقة يهودية نشأت في المهجر وانتشرت على ضفاف نهر الأردن قبل ميلاد المسيح، مدعية لنفسها القداسة دون باقي الناس ، وعرف عن أفرادها تفاوتهم في أشكال ترقب مجيء المنقذ بين متشدد وغير مبال ، ويعود سبب ذلك إلى بُعد يهود المهجر عن معبد القدس، كما جعلهم هذا البعد مؤهلين لقبول دعوة حواري المسيح أكثر من قبولها من طرف يهود فلسطين.

<sup>2</sup> - ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمان عُميّرة ، دار الجيل، بيروت ، ج1، ط: 1405هـ - 1985م، ص 178. وجاء فيه: أن فرقة الصدوقيين تنسب إلى رجل يسمى صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود أن عزيز هو ابن الله تعالى الله عن ذلك. وكانوا بجهة اليمن.

<sup>3</sup> - سفر الملوك الأول 1: 32-34.

<sup>4</sup> - عبد العزيز التعلبي: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1، 1985 م ، ص 116.

<sup>5</sup> - عباس محمود العقاد: عبقرية المسيح ، ص 42.

الفلسفي المعروف بمذهب اللذة الحسية والمتعة بالترف والتّعيم، ((فجذبت تعاليم أبيقور الكثير من المثقفين ومن الشعب، واتخذها الشعب وسيلة للإنغماس في حياة الفسق والفجور))<sup>(1)</sup>. وكانوا لا ينكرون هذا على أصحاب السلطان السياسي لليونانيين والرومانيين، فهم يعاشرونهم ولا يعتزلونهم كسائر أبناء قومهم لأنّ أعمالهم ومراكزهم متصلة بهم ، ودفعتهم عدم الإيمان بيوم القيامة وبعث الأجساد إلى عدم ورود نصوص من التوراة تشير إلى ذلك. ومن الأنبياء القدماء من لم يتحدث حول عقيدة البعث، والإيمان باليوم الآخر، وبالحساب والعقاب<sup>(2)</sup>. وتعد هذه الفرقة من ألد أعداء المسيح ودعوته عند ظهوره بالجليل ، فكانت حملتهم شرسة عليه بقيادة اثنين من كبارهم وهما: (حنانيا) و(قيافا) وهما من الصدوقين المحافظين على سلطان الهيكل والنظام القائم، غير مستريحين إلى الثورة والإنقلاب"<sup>(3)</sup>، وينسب إلى هذه الفرقة القول بأن العزيز ابن الله ، وهو من تسميه أسفار اليهود عزرا<sup>(4)</sup>، وإلى ذلك يشير القرآن: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِيرَ ابْنِ اللَّهِ }<sup>(5)</sup>.

#### ب- الفريسيون:

ومعنى التسمية بالعبرية يدل على الإعتزال والفرز ، وهم من الفرق اليهودية التي عرفت بأرض فلسطين أوسع انتشارا وأكثرها عددا وأقدمها نشأة<sup>6</sup>، ويطلقون على أنفسهم لفظ الأصحاب أو الأصدقاء، و((ظهرت هذه الفرقة - لأول مرة - قبل الميلاد بحوالي 200 سنة ، وأنهم تبوّأوا المسرح اليهودي - السياسي والفكري والعقدي - حتى مائتي سنة بعد ميلاد المسيح، وهم الذين أوجدوا القانون الشفهي المعروف باسم " التلمود"<sup>(7)</sup>، وهم أتباع ( عزرا ) المتوفى 444 ق.م، ويشار إلى هؤلاء

<sup>1</sup> - مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم ، ص 24.

<sup>2</sup> - ينظر: حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، ص 216.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: عبقرية المسيح ، ص 42.

<sup>4</sup> - علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ ، ص 57.

<sup>5</sup> - سورة التوبة ، الآية 30.

<sup>6</sup> - مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، ص 23. وعن هذه الفرقة أنظر أيضا: شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص 26. في

إحالة على: r Bultmann. le ristianisme primitif dans le cadre des religions antiques

pp 70. 71

<sup>7</sup> - علي عبد الواحد وافي: المرجع نفسه ، ص 55 ، و ص ص 21 - 22.

الكتبة<sup>(1)</sup> بأنهم : رجال الكنيس العظيم ، الذين يعتبرون (عزرا) أكبر معلم يهودي بعد موسى - عليه السلام<sup>(2)</sup> .

ويعرّف "العقاد" هذه الفرقة بقوله: ((الفريسيون إسمهم مأخوذ من كلمة عبرانية تقارب كلمة (الفرز) العربية في لفظها ومعناها، فهم المفروزون أو المتميزون وخصومهم يطلقون عليهم هذا الإسم تحكما وتحقيرا لآعتقادهم أنهم فرزوا أنفسهم عن السلف واعتزلوا طريق الجماعة الأولى. أما هم فقد كانوا يطلقون لقب الفريسيين أو المفروزين على أنفسهم ويردّونه إلى خطاب الله لبني اسرائيل جميعا كما يروونه في سفر اللاويين ، فهناك يخاطب الله الشعب قائلا: (( وقد ميّرتكم من الشعوب لتكونوا لي ))<sup>(3)</sup>، فهم عند أنفسهم المميزون المفضولون<sup>(4)</sup> . وهم في الجانب المقابل لفرقة الصدوقيين حيث ينتسب إليهم عامة الناس لسمعتهم الطيبة بين سواد الشعب ولترفع رؤسائهم عن مخالطة الأجانب رغم قلة أفرادها في مرتبة الوجهاء والرؤساء، ويقدمون الشريعة المدونة في التوراة ويقدمون أيضا التراث الديني الشفوي (التلمود)، وكانوا أكثر الفرق ولعا بالجدل في المسائل الشرعية يستنبطون الحلول المعقدة لها، كما عرف عنهم المبالغة في الطهارة والغيرة الدينية والحماسة ، ويعتقدون بعقيدة البعث الجسماني يوم القيامة .

وتعد فرقة الفريسيين من أكثر الفرق مقاومة للحركات الوثنية الهلنستية ، مما يعتقد أن هذه الفرقة كان من أتباعها أتباع المسيح لما ظهر بدينه الجديد بالرغم من أن بعض أفرادها كان هدفا لانتقادات المسيح لمبالغتهم وتطاولهم لما يظهرونه من الثقة والكبرياء بالنفس . يقول "عبد الواحد وافي": (( وتتضمن الإنجيل فصولا طويلة يوجه فيها المسيح - عليه السلام تقريرا شديدا إلى الفريسيين، ويكشف عن كفرهم ونفاقهم وإلتوائهم وتحريفهم لتوراتهم وابتداعهم تعاليم وأحكاما فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان)).<sup>(5)</sup> وكانت فرقة الفريسيين في مواجهة لفرقة الشراة والوجاهة التي كانت تتمتع بها فرقة الصدوقيين، وإنتمى للفريسيين جماعة "الكتبة" وهم فقهاء الدين يتعاطون مهنة الكهانة التي ورثوها من ذرية وسلالة هارون ، ولا يتولى مهمتهم غيرهم من أسباط

<sup>1</sup> - ينظر سهيل ديب : التوراة تاريخها وغاياتها، ص78. ويذكر أنّ الكتبة لدى اليهود هم مدوّنو الشريعة والكتب المقدسة بعد السبي البابلي الى جانب الفريسيين.

<sup>2</sup> - السموع بن يحيى المغربي: إفحام اليهود ، ص 172-173. وينظر ظفر الاسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه ، ص 31.

<sup>3</sup> - سفر اللاويين 20: 26.

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد : المرجع نفسه، ص 43. وينظر أيضا: حسن ظا : المرجع نفسه ، ص 210.

<sup>5</sup> - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص 55.

اليهود حيث يقومون بتراتيل الصلاة وتقديم الإفتاء في مسائل الفقه وتقديم القرابين والذبائح، ويعتمدون في مراسم العبادات والمعاملات على جميع الأسفار بخلاف الصدوقيين الذين يقصرون التلاوة فقط على الأسفار الخمسة الموسوية<sup>(1)</sup>.

وتتميز الفريسيّون في البيئة اليهودية بتمردهم على الحاكم الروماني الأجنبي وإنكارهم لسلطان الكهّان بالهيكل، واستبدادهم بالشعائر والمراسم، فأقاموا الشعائر في بيوتهم بدون كهنة جاعلين من كل بيت هيكلًا تقام فيه مراسم العبادات، وقد سجل التاريخ عدة ثورات لهم على البدع الأجنبية التي كانوا يرفضونها ولا يسمحون بقبولها مهما كلفهم الأمر من التضحية<sup>(2)</sup>.

ولما ولد المسيح كانت وظائف الهيكل منظمة وفق مجلس يضم واحد وسبعون عضواً، منهم ثلاثة وعشرون يتألف منهم المجلس الدائم يطلق عليه: (السنهدرين)، مجلس القضاء الأعلى لليهود القدماء<sup>(3)</sup>، والذي يتصل أفراده برجال الدولة في الشؤون العامة ويقومون بحماية الشريعة وفق ما نصّ عليه سفر العدد الذي جاء فيه: ((فقال الربّ لموسى: اجمع إليّ سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أمّهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك، فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وأخذ من الرّوح الذي عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك))<sup>(4)</sup>.

وظل مجلس "السنهدرين" بالهيكل في عهد المسيح يؤدي دوره، ولكنه عرف بالأداء الضعيف نظراً لسلبه الحق في الحكم في الجرائم الكبرى، فكانت أحكامه معلّقة على إقرار الحاكم الروماني بالنقض أو التنفيذ. وعند المقابلة بين الفريسيّين والصدوقيين يتم تسجيل فروق بينهما تتمثل في إصرار الصدوقيين على شريعة القصاص المتمثلة في العين بالعين بلا دية، بينما يفضل الفريسيون الدية ويقبلون المسامحة على القصاص.

<sup>1</sup> - ينظر: مراد كامل: المرجع السابق، ص 26\_27 عن فرقة الكتبة.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق ص 43. لما أمر الملك ((أنطيخوس)) كاهن الهيكل أن يضحي في مذبحه بالخنازير سنة 168 ق م قاموا قيامة رجل واحد وعرضوا أنفسهم للموت بالمنات والألوف كراهة لهذه البدعة النجسة.

<sup>3</sup> - أحمد ديدات: المسيح في الإسلام، ترجمة وتحقيق: محمد مختار، دار الهدى، عين مليلة، (المترجم) ص 18. سنهدرين أو السنهدريم: أصله في العبرية بمعنى المجلس الكبير. وهو المجلس الأعلى ومحكمة اليهود خلال فترات ما بعد النفي ويترأسه الكاهن الأكبر، وله سلطان قضائي على التّواحي الدينية والمدنية والجنائية.

<sup>4</sup> - سفر العدد 11: 16-17.

ويفضل الصدوقيون حياة الترف والميل إلى الأمور المادية والقواعد العملية ، بينما يميل أفراد طائفة الفريسيين إلى الحياة الروحية والآداب النظرية كالتأمل والتفكير، فأنكروا على غيرهم إنكارهم للحياة الأخروية ، ويتفرع عن فرقة الفريسيين فريقين أحدهما لئب وسمح في تعامله مع الأجانب ، والفريق الآخر من المتشددين، حيث يتبع الفريق الأول الحكيم "هلل" الوافد إلى فلسطين من بابل أرض الشتات والذي كان شعاره الاعتدال بين الزهد والمتاع<sup>(1)</sup>.

وأما الفريق الثاني فيتبع الحكيم "شمائي" المتزمت الراض لكل من يريد الدخول في الدين اليهودي من غير اليهود ، كثير الغيرة على التقاليد القديمة قليل الإقبال على الجديد و يرفض التصرف في تأويل النصوص<sup>(2)</sup>.

### ت- الآسنيون:

وهي فرقة من أهم الفرق اليهودية التي انفصلت عن الفريسيين في سنة 200 ق.م<sup>(3)</sup>، والتي ظهرت على أيام ظهور المسيح حيث وفرت وثائق خربة وادي قمران الكثير من التصورات حول هذه الفرقة التي تشبه إلى حد ما في سلوكها سلوك المسيحيين الأوّلين فيتحدث "العقاد" عن وادي قمران وعن المخطوطات التي وجدت به فيقول: ((وادي قمران: هو شرق الأردن بجوار البحر الميت التي تم اكتشاف وثائق تاريخية مهمة سنة 1947م حيث تم العثور على كتاب كامل من العهد القديم ،وتعليقات على كتب أخرى، ودفتر واف بالوصايا والأوامر عن لآداب والسلوك بين زمرة دينية تشبه الزمرة المسيحية الأولى في الشعائر والعبادات ،وضمّت لفائف وادي قمران هذه كتبا من التوراة ، وقطعا من الكتب الخمسة المشهورة باسم الكتب الموسوية، ونسخة كاملة من كتاب أشعيا، ونسخة مقروءة سليمة بعض السلامة من تفسير نبوءات حبقوق التي حققتها الحوادث التالية، وشذرات من تفسير كتاب ميخا، وقصة تسمى قصة الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلام، وأناشيد منظومة للدعاء والصلاة، ونسخة آرامية من كتاب غير معتمد بين كتب التوراة، وقصاصات متفرقة من كتب شتى

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: عبقرية المسيح ، المصدر السابق ص 45. من شعارات (هلل): (إن الزيادة في اللحم زيادة في الدود )، ومن شعاراته في المعاملة: (لا تصيب أحدا بما تكره أن تصاب به ).

<sup>2</sup> - السموئل بن يحيى المغربي :افحام اليهود - الهامش - ص 173.

<sup>3</sup> - عبد العزيز الثعالبي: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان ، ص 117.

تلحق بكتب العهد القديم، ونسخة مفصلة لآداب السلوك المرعية بين جماعة النساك الذين أقاموا زمنا بصومعة وادي قمران<sup>(1)</sup>.

وكان من أهم مميزات الممارسة الجماعية لسلوك الرهبنة التي تنزع إلى الطهارة الشرعية من غسل وتقديس لمشاعر الأخوة بين أفرادها الذين يقيمون موائد مقدسة لإحياء ذكرى مؤسس فرقتهم، والمبالغة في العبادة والصلاة<sup>(2)</sup>، وهم من أكثر المؤمنين إيمانا بقرب نهاية الحياة، ولا علاقة لها بمراسم القدّاس التي كانت تقام بالهيكل المقام بأورشليم، فكانت تعيش هذه الفرقة بمعزل عن باقي اليهود الذين كانوا يكافحونها لخروجها عن الإجماع<sup>(3)</sup>.

ويذكر "مراد كامل" عن هذه الفرقة أن أفرادها يمتنعون عن الزواج ويتبنون أولاد الفقراء ليعلموهم عقائدهم وفقه مذهبهم، والمريد من جماعتهم يظلّ ثلاث سنين تحت التجربة يفضي بأسراره للجماعة ويمتنع عن البوح بما لغيرهم حتى ولو أدى به الأمر إلى القتل، وغاية الجماعة في الحياة التقشف ولبس الخشن من الثياب وممارسة العمل الشاق والإحسان إلى الفقراء والصدق في القول والطاعة والقسم الوحيد في الحياة عند دخول الجماعة<sup>(4)</sup>.

وتراوحت تقديرات الزمن لظهور هذه الطائفة بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الأول بعد الميلاد، أو بين منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وحتى تهدم الهيكل وتشيت اليهود عام 70م من قبل تيتوس الروماني<sup>(5)</sup>. تميزت هذه الفرقة بالتشدد في تطبيقها للأحكام الدينية وفي مبالغتها في انتظار المخلص الموعود به، ويشاع بينها تحريم القسم بالحق أو الباطل طول الحياة، ولا يوجد رئيس بينهم يدير شؤونهم المادية لأنهم يعتبرون المادّة أصل كل شر بل الشر كله، وهم مثل الفريسيين يؤمنون بالقيامة والبعث، ويؤمنون برسالة المسيح المخلص الذي يكون خلاصه في عالم الرّوح حيث يدعو النّاس إلى الإستقامة في الخلق والسلوك والعمل الصّلاح، وهذه الفرقة هي إمتداد لفرقة المنتنسين بمصر التي تقابل الكلمة اليونانية (الثيرابين) أي الأسينيين، ومفردها آسي بمعنى الطبيب، فيقول "العقاد": (آسي)

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد : عبقرية المسيح ، المصدر نفسه ، ص ص 13 - 14. وينظر : سهيل ديب : التوراة بين الوثنيو والتوحيد ، ص 83 وما يليها : عن لفائف البحر الميت بوادي قمران. وينظر أيضا: محمود العبادي: مخطوطات البحر الميت، ص 107، وعن عمر المخطوطات في ص 167.

<sup>2</sup> - مصطفى العبادي : الأمبراطورية الرومانية، (النظام الأمبراطوري ومصر الفرعونية)، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1981، ص 288.

<sup>3</sup> - سهيل ديب : التوراة تاريخها وغاياتها، المرجع السابق، ص 93.

<sup>4</sup> - مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، ص 25.

<sup>5</sup> - سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، المرجع نفسه، ص 89.

بمعنى الطبيب، أو النطاسي في اللغة الآرامية، وهي تفيد هذا المعنى في اللغة العربية التي تعد اللغة الآرامية أقرب اللغات السامية إليها، ومن المعقول أن يتسمى أصحاب هذا المذهب بالآسين لأنهم يتعاطون طب الروح ويدعون إبراء المرضى بالصلوات والأوراد، كما يدعون العلم بخصائص العقاقير<sup>(1)</sup>. فهذه الفرقة أكثرها ميلا إلى الإنعزال والتفوق مستقلة بشعائرها وعباداتها وآرائها وأسرارها عن الهيكل، فلولا اعترافها بتقدم القرابين النباتية دون الحيوانية للهيكل لما أعتبرت من طوائف اليهود، وفي انكارها للقرابين الحيوانية قد يعود الأمر إلى اقتباسها من مذهب وفلسفة "فيثاغورس" الذي يحرم ذبح الحيوان ويدعو إلى التقشف والرضا بالقليل<sup>(2)</sup>، حتى أدى بأبناء هذه الزمرة إلى سلك طريق الرهبنة من بتولة وتنسك، وفضلوا العمل في الزراعة والصناعة اليدوية، أما التجارة فهي في مذهبهم عمل غير لائق وأقبح منه حمل السلاح للقتال<sup>(3)</sup>. و((كانوا ينتظمون في النحلة على ثلاث درجات: درجة التلمذة ويقبلون فيها الصبيان فيما دون سن الحلم، ثم درجة المقسمين وهم الذين يقسمون اليمين ويقضون سنة في الرياضة والتدرب على العبادة والاطلاع على الأسرار، ثم ينقل المرید إلى درجة الواصلين ويقضي فيه سنتين، ثم يلبس شعار الطائفة، وهو ثوب أزرق وزنار ويحمل الفأس في يده، كناية عن العمل الشاق، ولهم بين المرحلة الأولى والمرحلة الثانية شعائر متواترة يقوم بها الأساتذة، منها: الاغتسال، وتلاوة بعض العهود، ويقسم أحدهم مرة واحدة يمين الأمانة والمحافظة على سر الجماعة، ويجرم عليه القسم بالحق أو الباطل مدى الحياة، ويجوز فصل العضو بعد رسمه إذا حنث في يمينه، بل يجوز الحكم عليه بالموت إذا بلغ الحنث حد الخيانة والكفر بقواعد الإيمان))<sup>(4)</sup>.

### ث- الغيورون :

هي فرقة متشعبة من فرقة الفريسيين تتميز بالتطرف والعنف، هدفها كان مقاومة سياسة هيرودوس، والرومان، وهي فرقة جدد نشاطها العنيف "يهودا الجليلي" جاعلا إياها حركة مضادة للتواجد الروماني وسلطته على فلسطين، وتسمى هذه الفرقة أيضا بالغلالة أو فرقة الغيورين أو أصحاب الحمية، وهي الكلمة التي وصف الله بها نفسه في الوصايا العشر عن التهي عن اتخاذ آلهة أخرى، كما يسمون

<sup>1</sup> - عبقرية المسيح، ص 45. وينظر: حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، من ص 221 إلى ص 235

عن الآسين أو الآسينيين تاريخها ومعتقداتها ومظهرها العام وأهميتها بحسب مخطوطات البحر الميت.

<sup>2</sup> - ينظر علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، المرجع السابق، ص 60. ويطلق على فرقة الآسينيين

عبد الواحد وافي اسم: فرقة الحسددين، وكلمة الحسددين مأخوذة من كلمة حسديم، بمعنى المشفقين. أنظر: نفس المرجع ص 58.

<sup>3</sup> - خالد محمد خالد: معا على الطريق محمد والمسيح، ص 57.

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق، ص 46.

بالجليليين<sup>(1)</sup> ، وهم فرقة من فرق الآسين لمسلكهم التقشفي ، وتنسب إليهم حركات التمرد منذ قديم عهدهم ، حيث تمردوا في السنة السابعة قبل الميلاد على أمراء الإحصاء الذي صدر من ( كرينياس ) حاكم سورية الذي عدّ اليهود من رعايا قيصر وعبيده يدينون له بالسيادة، فثاروا لأنهم اعتبروا طاعة قيصر ضرب من عبادة الأوثان ومروق من الديانة اليهودية، ((فلما رفع الملك هيروود تمثال النسر القيصري فوق هيكل بيت المقدس ذهب اثنان من الغلاة إليه وانتزعاه وأنذرا إخوانهما من يعيده إلى مكانه بالموت))<sup>2</sup> . انتسب إلى هذه الفرقة كثير من اليهود أثناء العصيان الذي أعقبه هدم الهيكل سنة سبعين ميلادية على يد الملك الروماني "تيتس" .

ويعد من أتباع هذه الفرقة بعض تلاميذ المسيح الذين كانوا بأرض الجليل والذين تضمّروا من السلطة الرومانية وما كانت تفرضه من ضرائب تحصيلها لفائدة سلطة وثنية بحسب رأيهم<sup>(3)</sup> ، ولما يسوا في تقويض أسس الحكم الروماني ، راحوا يشددون في انتظار عودة المسيح وظهوره ثانية ليمحق الباطل .

### ج- السامريون:

تنسب هذه الفرقة إلى السامرة المدينة التي بها جبل (جزريم)، وهو جبل مقدس تقام به الشعائر التعبّدية بدل الهيكل في أورشليم<sup>(4)</sup>، وهذه الفرقة هي خليط من اليهود والآشوريين كانوا يقيمون في مملكة اسرائيل القديمة عندما أرسل ملك بابل قبائل آشورية إلى فلسطين ليسكنوها في أماكن القبائل اليهودية التي خرجت إلى ما بين النهرين تحت مشروع السّبي البابلي، فحدث اختلاط بين الوافدين من بابل مع القبائل اليهودية المتبقية في فلسطين عن طريق النّسب وامتزاج العادات والعبادات<sup>(5)</sup>، ولما عاد اليهود من السّبي ؛ أنكروا على الآشوريين السامريين شعائرهم المخالفة لتقاليدهم متهمين إيّاهم بممارسة الوثنية<sup>(6)</sup>، ورفضوا منهم المساهمة في بناء الهيكل ممّا دفع بالسامريين إلى بناء هيكل جديد في

<sup>1</sup> - مراد كامل: المرجع السابق ، ص 27. وكتب عنها القس : حنا جرجس الخصري ((يسوع والغيورون)) وأنظر عن هذه الفرقة أو الحركة عند:

S.G.f.brandon ; Jésus and the zealots. a study of the political factor in prémitive - christianity.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر نفسه ، ص 47.

<sup>3</sup> - حسن ظا: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، ص ص 219\_ 220.

<sup>4</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 205.

<sup>5</sup> - جاء في سفر الملوك الثاني 17: 24 (( وأتى ملك آشور يقوم من بابل وكوث وعوا وخماة وسفراويم واسكنهم في مدن السامرة، عوضا عن بني اسرائيل، فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها)).

<sup>6</sup> - سفر الملوك الثاني 17: 26\_ 46 حيث ظل بعض افراد الفرقة على وثنتهم ثم التمسوا من ملك اشور أن يرسل إليهم كهنا من اليهود يعلمهم الدين، ولكنهم إلى جانب هذا يعبدون آلهتهم الوثنية.

(جزيم) محرّضين على تدنيس هيكل بيت المقدس<sup>(1)</sup>. وبقي هيكل السامريين منافسا لهيكل اليهود زهاء قرنين حتّى تمكّن رئيس كهان بيت المقدس "حنّا هير كانوس" من هدمه ، ليعيدوا بناءه ويتم هدمه من طرف الرومان بعد ثورة السامريين في القرن الخامس للميلاد لما هدم "سيباستيان" مدينتهم وأقام على أنقاضها مدينة سمّاها المدينة الجديدة "نيوبوليس" أو نابلس المعروفة اليوم<sup>(2)</sup>.

ولا يعتبر السامريون كتب العهد القديم مقدّسة ما عدا الكتب الخمسة الأولى لنسبتها إلى النبي موسى، فهم يبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع عليهما السلام<sup>(3)</sup>، وتعتبر باقي الفرق اليهودية فرقة السامريين فرقة دخيلة على اليهودية وأفرادها من العنصر الآشوري، وبالتالي هم خليط من دماء غيرهم ممّا ولد لدى هذه الفرقة التعصب والحقد والعداوة لغيرهم من الفرق، جعل الكثير من الحجيج الوافدين من المهجر إلى أورشليم يتحاشون غالبا المرور بالسامرة خوفا من أهلها، لأن كثير من اليهود ينفون عن السامريين الإنتساب إلى إسرائيل أو الإيمان بإله إسرائيل، وقد وصل ذلك إلى حد أن أحبار اليهود كانوا يسمونهم (جيران السباع)<sup>(4)</sup>. وما جمع هذه الفرقة بغيرها من من الفرق هو مشاركتها لغيرها في انتظار مجيء مخلص ينشر العدل ويحارب الظلم ويحقق الملكوت الإلهي<sup>(5)</sup>.

وذكر "ابن حزم" أنّهم: ((يبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع ، فيكذبون نبوة شمعون وداود وسليمان وأشعيا وأليسع وإلياس وعاموس وحبقوق وزكريا وأرميا وغيرهم، وأنهم يقولون أن مدينة القدس هي نابلس، وهي من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلا، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظّمونه، وهم بالشّام لا يستحلّون الخروج عنها))<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق، ص 50. مرّ الهيكل في بنائه عبر مراحل حيث كان ( عبارة عن خيمة في عهد البداوة، وكان الشعب يعتقد قديما أن الله يتجلى في هذه الخيمة للأنبياء والكهان، ثم بنيت الخيمة من خشب يفك وينقل في أيام التيه، ثم أقام سليمان الحكيم هيكله بديلا من الخيمة والمعبد الخشبي،...هدمه البابليون بعد أن قام في مجده أكثر من أربعة قرون، ثم أمر كورش الفارسي بإعادة بنائه في سنة 536 ق م وجاء الملك هيرود بعد خمسة قرون فجدد بناءه وأضاف إليه، وتم ذلك أو كاد في عصر الميلاد.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق ص 48.

<sup>3</sup> - محمد بوالروايح : مختصر تاريخ الأديان، ص 75.

<sup>4</sup> - حسن ظاظا: المرجع السابق، ص 208.

<sup>5</sup> - الملكوت الإلهي لمّا لم يتحقق بعد هدم الهيكل اليهودي سنة 70 للميلاد الذي أوقعه الرومان على يد تيتوس، فراحت أحد الفرق المسيحية تترجم وتتأول فشل هذا الانتظار ، وهذه الفرقة تعرف ( بالغنوصية ) وعنّها يمكن مراجعة:

R .m.grant.lenosticism and early Christianity pp 76 .77

<sup>6</sup> - ابن حزم :الفصل في الملل والأهواء والنحل ،تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمان غُمَيْرَة، ج1، ط: 1405هـ - 1985م، ص ص

## ح- المندائيون:

المندائيون<sup>(1)</sup> فرقة غير يهودية نشأت على هامش الدين اليهودي الرسمي بالمناطق المجاورة لنهر الأردن المقدّس تمارس مهنة التغطيس والتعميد التي اشتهرت على يد يحيى بن زكريا "يوحنا المعمدان"، وضمت هذه التّحلة أفرادا ينسوا من جميع الطوائف اليهودية الأخرى ، فراحوا يعيشون حياة الإنعزال والتّكشف في الصوامع بعيدا عن العمران والدعة والبذخ الذي عرفته بيئات الساسة والكهّان، واتّصف أتباع المندائية بصفة التطهر بالماء وممارسة الرياضة والإكثار من تلاوة التراتيل الدينية<sup>(2)</sup>.

إن أفراد هذه التّحلة لم يكونوا طائفة واحدة بل أفرادا متفرقين ينتسبون إلى طائفة النذيرين أو المنذورين، فيقول عن هؤلاء "عباس محمود العقاد": ((النذريون: الكلمة باللغة العربية ترجع إلى مادة تفيد معنى التجنيد، واستعيرت إلى ما يظهر للجهد في سبيل الدين، يقال نذر الجيش الرجل: جعله نذيرة أي طليعة، وربما كان من عمله أن ينذر قومه بالعدوّ، ويبيدهم عن المخاطر والمفاجآت... ولا يشترط في المنذور أن يهجر العالم ويعتزل الناس في الصوامع ولكنه يراض على حياة التنطس فلا يجوز له شرب الخمر ولا أن يدنس جسده بملامسة الموتى أو الأجسام المحرمة، وعليه أن يرسل شعره ولا يلقيه قبل وفاء نذره إن كان منذورا لأجل مسمّى، وقد ينذر الطفل قبل مولده ويمتد نذره طول حياته، ويقال عن المنذور أنه بمثابة النّبي في سن الفتوة<sup>(3)</sup>، قال النّبي عاموس بلسان يهوه: ((وأقمت من بينكم أنبياء ومن فتيانكم نذيرين.. لكنكم سقيتم النذيرين خمرا وأوصيتم الأنبياء قائلين لا تتنبأوا))<sup>(4)</sup>. الذين وهبوا أنفسهم لحياة القداسة والرهبنة مبشّرين بيوم الخلاص الموعود به، فيتخلص الناس من الظلم ويتطهرون من دنس الشرور والذنوب<sup>(5)</sup>، وقد اعتاد الرّحالة الغربيون في الشرق أن يشيروا إليهم بنصاري القديس يوحنا<sup>(6)</sup>.

.178 - 177

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: عبقرية المسيح ص 49. أطلق على المندائيين اسم الصابئة والمسبوتين، و اسم الناظوريون لاعتنائهم بالتغطيس وأطلقت صفة الناصري على عيسى و تلاميذه ، ولعلها صفة تدل على الناظر نسبة إلى المعمدان ولا تدل على النسبة إلى الناصرة.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه ، ص 49. أشهر أتباع المندائيون : ( بانوس) الذي تتلمذ عليه المؤرخ اليهودي الكبير ( يوسيفوس) ، ويحيى المغتسل المعروف في الأناجيل باسم يوحنا المعمدان.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد : عبقرية المسيح ، المصدر السابق ، ص 53.

<sup>4</sup> - سفر عاموس 2: 11 - 12.

<sup>5</sup> - والتّوبة هنا بمعنى الإنذار بما سيكون .

<sup>6</sup> - الليدي دراوور: الصابئة المندائيون، الكتاب الأول، ط2، ترجمة: نعيم بدوي، وغضبان رومي، مطبعة الديواني، بغداد، 1987م، ص 39.

وقد تكاثر أتباع هذه النحلة قبيل مولد المسيح لأنه وافق نهاية الألف الرابعة من بدء الخليقة على حساب التقويم العبري، وهو الموعد الذي كان منتظرا لبعثة المسيح الموعود لأنهم كانوا ينتظرونه على رأس كل ألف سنة<sup>(1)</sup>، فكانوا كغيرهم من الفرق ينتظرون رسولا كلما انتهت ألف سنة من بدء الخليقة ، وكانت بداية الألف الخامسة موعدا منظورا أو منذورا لهم قد يكتب لأحدهم الخلاص على يديه، وكان يوحنا المعمدان علما من أعلام الطائفة الذي عمّد المسيح وأخذ العهد على يديه، الذي ظهر بالناصره والتي كانت تسمى (نذيرة) بمعنى الطليعة ، حيث كانت مرقبا صالحا للإستطلاع، لأن التلؤلؤ التي تحيط بها تكشف جبل الشيخ والكرمل والمرج المعروف باسم "مرج ابن عمير"<sup>(2)</sup>. فالنذيريون ليسوا طائفة موحدة بل هم جماعة يجمعها الحماس الفيّاض في صفوف شبابها الذين ملئت قلوبهم بالأمل على الإصلاح يترقبون المسيح الموعود في شغف كبير.

فلفظ الصابئين ماخوذ من كلمة "صبا" الآرامية وتعني الدهن بالماء والمعمودية وليس كلمة " صبا" العربية التي معناها خروج الفرد من دين آباءه إلى دين آخر، وهناك فئة يطلق عليها اسم " صابئة حرّان" ليست بالصابئة المندائيين بل هي فئة تعظم الكواكب والنجوم فحدث خلط بينهما وبخاصة أنهم قد سكنوا مدينة واحدة ، وهي مدينة حرّان<sup>(3)</sup>.

### خ- الأبيونيون:

هي فرقة آمنت باليهودية بعض الإيمان فقط، وآمنت بالمسيحية إيمانا جزئيا أيضا، والكلمة العبرية (إبيون) معناها الفقير أو الوجيه أو المسكين، أشار "إشعيا" إلى شريعتهم في حديثه عن ضيق الرب بالطقوس وبخاصة الذبائح والقرابين التي يأتونها، فجاء في السفر: ((اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم. أصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة، لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. أتخمت من محرقات كباش، وشحم مسمنات. وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسرّه حينما تأتون لتظهروا أمامي من طلب هذا من أيديكم ..لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي...لست أطيق الإثم

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد : المصدر نفسه، ص 54. فيقول العقاد : ومنهم من كان يقول أن اليوم الإلهي كألف سنة ، وأن عمر الدنيا أسبوع إلهي، تنقضى ستة أيام منه في العناء والشقاء ويأتي اليوم السابع بعد ذلك كما يأتي يوم السبت للراحة والسكينة. فيدوم ألف سنة كاملة هي فترة الخير والسلام قبل فناء العالم. " ولا يزال الغربيون يعرفونها باسم الألفية **mellinum** ويطلقونها على كل عصر موعود بالسعادة والسلام. فالذين قدروا أن القيامة تقوم بعد سبعة آلاف سنة من بدء الخليقة كانوا يؤجلون قيام ملكوت السماء على الأرض إلى نهاية الألف السادسة، ويومئذ تسود دولة المسيح الموعود.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر نفسه، ص 54.

<sup>3</sup> - الليدي دراوور : الصابئة المندائيون، ص 1.

والإعتكاف.. كَفُّوا عن فعل الشر، تعلّموا فعل الخير. أطلبوا الحق أنصفوا المظلوم أقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة<sup>(1)</sup>. كما أشار أيضا "أرميا" في سفره بنفس ما جاء في سفر إشعيا حيث يقول: (( هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. ضمّوا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحما، لأني لم أكلّم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر.. فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل ساروا في مشورات وعناد قلبهم الشرير وأعطوا القفا لا الوجه))<sup>(2)</sup>. والأبيونية أكثر الفرق اليهودية ميلا إلى حياة التصوّف لسعي أتباعها إلى روح المسالمة والسعي إلى النّفع العام، وامتد ظهور هذه الفرقة حتى بعد مجيئ المسيح حيث آمن أتباعها ببعسى واستمرت عقائدها قائمة حتى إلى أواخر القرن الرابع الميلادي، ثم انطفأت بعد ذلك<sup>(3)</sup>. ويورد "حسن ظاذا" عن هذه الفرقة أنّه قد وردت بعض أخبار عن الأبيونيين في كتابات آباء الكنيسة المسيحية الأولين مثل: ترتوليان وأوريجن وغيرهما، تفيد أنّهم حافظوا على الشريعة الموسوية كما هي في التّوراة بكل تفاصيلها، ولكنهم آمنوا ببعسى المسيح إيمانا خاصا، فهم يقولون إنّهم ليس مخلصا سياسيا ولا دنيويا ولا ماديا، ولكنّه مسيح منقذ للأرواح، يعلم الناس قاطبة تفاهة عرض الدّنيا ومتاع هذه الحياة... وهؤلاء الأبيونيين لم يؤمنوا بالمسيح على أنّه أقنوم من أقانيم الثالوث المقدس: الأب والإبن والروح القدس، ولا بأنّ له قدرة إلهية، بل هو بشر ورسول وعبد من عباد الله كسائر عباد الله. ولذلك فإنهم قاموا في وجه القديس بولس عندما وضع مفهوم المسيح والدعوة المسيحية في رأيه<sup>(4)</sup>. واستمر عداء المسيحيين من تلاميذ القديس بولس للأبيونيين الذين كانوا يتّهمون هؤلاء المسيحيين بخيانة تعاليم المسيح وتأليهه، وظلّوا يلاحقونهم حتى تمّ فناؤهم. ويذهب "محمود العابدي" إلى ترتيب الفرق اليهودية ومؤرخوهم من مثل: يوسيفوس وفيلون لهذه الافرق التالية: السامريون والصدوقيون والأسينيون والفريسيون والربّانيون والقراؤون دون ذكر لفرق أخرى<sup>(5)</sup>.

### المبحث الثالث: البيئة الفكرية ودورها في تطور العقائد:

ظلت البيئة اليهودية أرض خصبة للتأثيرات الخارجية الوافدة عن طريق الجاليات اليهودية بالمهجر أثناء رحلات الحج إلى اورشليم خلال الاحتفالات السنوية، كما كان للغزاة دور فعال في نقل

<sup>1</sup> - سفر إشعيا 1: 11-17.

<sup>2</sup> - سفر أرميا 7: 21-24.

<sup>3</sup> - حسن ظاذا: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، ص 239.

<sup>4</sup> - حسن ظاذا: المرجع نفسه، ص ص 239-240.

<sup>5</sup> - محمود العابدي: مخطوطات البحر الميت، ص 25 وما بعدها.

الروافد الفكرية إلى فلسطين انطلاقاً من البيئة السورية والفينيقية وأيضاً البيئة المشكّلة على ضفاف النهرين التابعة من ديانات شرقية قديمة هندية وفارسية، حيث انتشرت في البيئة اليهودية خليط من الأفكار لشعوب مختلفة ، جارفة معها كثير من الخرافات والأساطير أغلب مواضيعها تدور حول الميتافيزيقا. وساهمت إلى جانب هذه الروافد البيئية المختلفة ، البيئة المصرية بتأثيرها في الفكر اليهودي الذي انبثق عنه الفكر المسيحي فيما بعد، وكان للبيئة المصرية الصلة الوثيقة بالفكر اليوناني والفلسفة اليونانية سمحت بتطور العبادات المحلية وانتشارها في ربوع العالم الروماني المسيطر على المناطق اليهودية، وساهمت البيئة الإغريقية في دفع و بروز الديانات الأولمبية<sup>1</sup>، وكثرة التأمّلات الفلسفية عند من سلك طريق التأمل في البحث عن الوجود وأصله وحقيقة الكون وهدفه. ونتيجة تأثير هذه التيارات الفكرية المتنوعة والمعقدة في البيئة اليهودية تضافرت عناصرها التي كانت تهدف إلى تدعيم ظاهرة مبطنة في العقلية اليهودية منذ القديم ، والتي أخذت في البروز بشكل واضح زمن عيسى -عليه السلام ، وهي ظاهرة انتظار مجيء مسيح مخلص موعود بمجيئه يتم استرجاع المجد اليهودي الذي كان على أيام داود - عليه السلام.

وروّجت الفلسفة اليونانية فكرة (العقل الإلهي) مبعث كل حركة ومصدر كل وجود على أنه يقصد بها (الكلمة الإلهية)، كما روّجت الفلسفة اليونانية القول بأنّ ( الحب ) هو أصل جميع الموجودات على اعتبار أن هذه المحبة يقصد بها بعينها (الكلمة الإلهية)<sup>(2)</sup>.  
لقد لعب فلاسفة عصر ظهور المسيح في ترويج الفلسفات الدينية للحضارات القديمة والتي امتزجت عقائدها بعقائد الرومان واليونان وسكان آسيا الصغرى ، وكانت شعوب هذه الأماكن تدين بمراسم خفية يترقى فيها المرید على أيدي الكهان من خلال صلوات القبول والتطهير والخلاص من خطايا الجسد. ومن فلاسفة تلك الفترة المرتقبة لظهور المسيح "فيلون" اليهودي الذي ذهب بالقول إلى أن الإيمان بالعقل الإلهي أو (الكلمة) كأتمها ( ذات ) لها صفات الذات الإلهية<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - كان أرباب الأولمب يقترفون أفعال الآثام حيث قتل زيوس أباه كرونوس. عن : العقاد: الله جل جلاله ، ص 108.

<sup>2</sup> - ينظر : ميخائيل ضومط: توما الأكويني ، قادة الفكر ، عدد (1)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، ط1956، ص 69 ، [ البرهان الأول عن طريق الحركة على وجود الله. ثم البرهان الثاني عن طريق العلة الفاعلة ص 71، ثم البرهان الثالث عن طريق الإمكان والوجود ص 72، ثم البرهان الرابع عن طريق درجات الكمال، ص 73].

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: الله . جل جلاله، ص 148. ويستدل على هذا المزج ما جاء في كتاب (أخنوخ) الذي يذهب إلى أن أصحاب الرؤى يعلمون تلاميذهم أن الحكمة خلقت الإنسان من سبع عناصر: فخلقت اللحم من التراب، والدم من الندى، والبصر من نور الشمس، والعظام من الحجارة ، والدكاء من السحب، والعروق من العشب، والروح من أنفاس الله ، وأن خلق الأرواح سابق لخلق الدنيا.

ويتبين أنّ رجال الدين اليهود قبل مجيء المسيح مزجوا الفلسفة اليونانية بالعتيدة الإسرائيلية، في كون المذاهب الفلسفية أكثر ارتباطا بالسلوك والإعتقاد والتي تلح على طلب السكينة والراحة، ومن هذه المذاهب الفلسفية التي كان لها الدور الفعّال:

## 1- دور الفلسفة الفيثاغورية:

وهي أكثر المذاهب ميلا إلى الروحانيات وأكثرها مزجا لعقائد الشعوب المختلفة من اليونانيين والمصريين، القداما والفرس والهنود<sup>(1)</sup>. واعتقد أتباع هذا المذهب أن رئيسهم "فيثاغورس" الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد أنّه ابن الإله "أبولون" وأنّه لم يمّت وسيبعث بعد حين لإيمانهم بعتيدة تناسخ الأرواح، فكان يقول: ((إنّ الأرواح لاتفنى غير أنّها تسوح في الهواء من جهة إلى أخرى، إلى أن تصادف جسما أيّا كان، فتدخل فيه.. فإذا خرجت من جسد انسان مثلا، فقد يتفق أن تدخل في جسم فرس أو ذئب أو حمار، أو غير ذلك من سائر أنواع الحيوان))<sup>(2)</sup>. وبالتالي لم يكن لهذا الرأي أثر في سلوك الإنسان وعتيدته، ولم يذكر فيثاغورس أنّ روحه تلك كانت يوما ما روحا لحيوان؟ ويؤمن أتباع فيثاغورس بعد موته أنّه يلهمهم الكشوف العلمية ويلقّنهم عظات الحكمة والأخلاق الحسنة، باعتبار الأفكار الفلسفية عنده هي وحي من الله، لأن اشتقاق الكلمة (ثيوري) تعود إلى اسم الله "تيوس" باليونانية.<sup>(3)</sup>

## 2- دور الفلسفة الأبيقورية:

ظهرت الأبيقورية بين القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد على مقربة من شواطئ آسيا الصغرى في جزيرة (ساموس)<sup>(4)</sup>، وعاش "أبيقور" حياة التقشف يقضي معظم أيامه على الخبز والماء،

<sup>1</sup> - غسان خالد: أفلوطين رائد الوجدانية، ومنهل فلاسفة العرب، منشورات عويدات، بيروت، ط: 1983م، ص 20 الهامش. عرفت في مصر القديمة الديانة الهرمسية نسبة إلى هرمس وكانت تعتقد أن الحقيقة الكلية موجودة في الشرق ولدى أنبياء الشرق، وبرز من يمثلها من المفكرين فيثاغورس وأفلاطون. والعالم العلوي هو مصدر الحقيقة التي يحصلها الإنسان الزاهد الحكيم بالإلهام الإشراقي شرط أن يعتمد التجربة الباطنة وحيدا لبلوغ الحكمة الحقّة. ثم أن الكون مترابط بوحدة نورانية تجسد الحضور الإلهي. وقد أثرت هذه المبادئ كثيرا في الفكر الأفلوطيني.

<sup>2</sup> - عبد الكريم الخطيب: الله .. والإنسان ( قضية الألوهية بين الفلسفة والدين )، ص 133.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: عبقرية المسيح، ص 71. ويشاع بين أفراد هذا المذهب الفلسفي تحريم أكل الحيوان وأكل الفول ويجتنبون البقول على العموم، ويمتنعون عن إلقاط أي شيء يقع على الأرض ولا يقطعوا الزهر من الشجر، ولا ينظروا في المرأة إلى جانب النور، ومنهم من كان يعظ الحيوانات لأنهم يؤمنون أنهم يخاطبون أرواحا تسكنها إلى حين، وعندهم أن الناس درجات: بشر، وأنصاف من بشر وآلهة، وفيثاغوراس أحد هؤلاء.

<sup>4</sup> - فرنسوا غريغوار: المذاهب الأخلاقية الكبرى، (سلسلة زدني علما)، ترجمة: قتيبة المعروفي، منشورات عويدات، بيروت، ط2،

1977م - الهامش - ص 91.

ولكن اسمه اقترن باللذات والشهوات لأنه كان يعلم تلاميذه أن السرور هو غاية الحياة وأفضل السرور ما لم يعقب أما ولا ندما ، وأن السعادة قد تكون كامنة في اللذة التي يبعثها فينا الإستسلام إلى ميول طبيعتنا الإنسانية في غير افراط، ولهذا كان يتجنب الشهوات البهيمية ويجعلها من قبيل السرور المتحرك، وهو السرور الذي يقترن بالجهد ويعقب الندامة والعناء، وقد كان يقسم السرور إلى نوعين؛ سرور متحرك، وسرور مستقر أو ساكن، وأفضلهما سرور السكينة والإستقرار ويعني به سرور التأمل والراحة والقناعة<sup>(1)</sup>. كان ينظر إلى الديانات اليونانية أنها محشوة بالخرافات والأساطير ، وكان يعلم أن الآلهة كانت مشغولة بسعادتها عن شؤون الدنيا فلا قدر لها فيها ولا قضاء بل هي منبع كل وبال وشر<sup>2</sup>، وتصوّر أنّ الأرباب والمخلوقات سواسية ، فالكل من المادة وليس غير المادة، فكان يعيد كل تفسير لظواهر الوجود إلى الأسباب الطبيعية ولا يقبل المرجعية إلى الأرباب والغيوب، وينظر إلى ظاهرة الموت أنه إن لم يكن فيه مسرة فهو خلاص من آلام الحياة، مما أقبل على مذهبه المكذبون بالديانات من الملاحدة والمشككين في اليقين والإيمان خلافا للمذهب الرواقي الذي شاع بين أفراده كثرة ترديده للأوراد الدينية التي كان المرید يستظهرها ويترسّمها بالإيمان والعبادة<sup>(3)</sup>.

### 3 - دور الفلسفة الرواقية:

الرواقية مذهب أسّسه "زينون" الفينيقي الأصل ، شعاره الصبر على الشدائد والعفة عن الشهوات أي الصبر والعفة، ولا سعادة للإنسان من غير نفسه وضميره، فمغالبة الألم والحزن وقمع الشهوة والهوى هي غاية السعادة. واعتقد الرواقيون في مسألة القدر ، وأن الكون يسير وفق نظام متناسق يسير بحسب المشيئة الإلهية ، والوحي والرؤيا والفعال وطوالع النجوم من وسائل العلم بأسراره وخفاياه، ويتلقى الإنسان بالعقل مع الآلهة وبالجدس مع الحيوان ، ((فكل انسان ينطوي في ذاته على جانب إلهي))<sup>(4)</sup>، وفضيلة الإنسان أن يطيع العقل ويعصي الجسد بمقاومة الشهوات ، وطاعته العقل هي طلب المعرفة وتحصيل العلم.

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد : المصدر نفسه ، ص 73. يذكر العقاد أن أبيقور كان يقبل في مدرسته العبيد والراقصات والمأجورات ولا يرى حرجا في طلب السرور حيث يوجد بريئا من الألم والندم، بل لا يرى كيف يتخيل الحكيم (الخير) إذا أخرج من حسابه مسرات الدوق والنظر والسماع.

<sup>2</sup> - محمد عبده : الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغاني ، ورسالة الرد على الدهريين ، دار الشهاب للطباعة والنشر ، باتنة ، الجزائر، بدون تاريخ ، ص 156.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد : عبقرية المسيح، المصدر السابق ، ص 74.

<sup>4</sup> - السيد الباز العريبي : تاريخ أوربا (العصور الوسطى) ، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1968م، ص 22.

تصور الرواقيون الأوّلون أن الوجود كلّ أصل واحد ، فحول مسألة الوحدة والكثرة الضابطة للوجود، يقول الرواقيون: (( أن الكثرة تتحرك بشبكة من النواميس عائدة إلى عقل كوني إلهي متّحد بالوجود، فالكلمات الثلاث: طبيعة، الله، عقل كوني ، هي كلمات مترادفة لأن الكون واحد موحد. والعقل (اللّوغوس) هذا يحتوي العلل النطقية كبذور أولية تتضمن تفاصيل الكائنات التي تحيا ضمن الزمان والمكان. وهكذا تكون الرواقية أولى المحاولات الفلسفية لتفسير الوجود على أساس حلولي، فهي تجعل من العناية الإلهية، إلها شخصيا ، يصح التوصل إليه والتوسّل له ، بما يجري من صلاة، وتؤكد إتحاد بين الله والإنسان<sup>(1)</sup>. على أنّها غالت فجعلت حلوليتها مادية إذ اعتبرت الله جوهرًا خلاقًا في الطبيعة الحسية .. فصارت الكثرة الشيئية مجموعة تجليات لقدرة واحدة هي الله ((<sup>(2)</sup> ، ليصلوا في عصر الميلاد إلى الإيمان بجرية الروح في مواجهة المادة، متصورين أنّ القداسة في النّفس التي تعبد وليس القداسة في مكان للعبادة يصنعه البناء والحداد<sup>(3)</sup>. ويتبع الرواقي طريق القدر لأنه هو الخير، وأنّ الإله الأكبر لا يريد شرا ولا يخلقه، وما في الدنيا من شرور إلا نقائص محتومة في معرفة الخير، فلا محل للراحة بغير تعب ولا محل للشعب بغير الجوع، ولا محل للرحمة بغير القسوة<sup>(4)</sup>. أخذ الرواقيون فلسفتهم عن الفلسفة الهندية في القول بأن العالم ينقضي ويعود في دورات أبدية لا تعرف لها نهاية، واعتقد بعضهم أن أرواح الحكماء تبقى في كل دورة إلى نهايتها، ثم يشملها ما يشمل العالم كله من حريق التّار الأبدية ، وهي النار التي تطهر جميع الموجودات لتخلص من أخلاطها ثم تعود دواليك في وجود بعد وجود، وعالم بعد عالم وقيامه بعد قيامه.

#### المبحث الرابع: البيئة الاجتماعية ودورها في تطور العقائد:

لمّا تم اقتحام سورية وفلسطين من طرف القادة الرومان الكبار أهمهم " بومباي"<sup>(5)</sup> الذي قضى على ثورة العبيد الثالثة التي كان يقودها "سبارتاكوس" زادت شهرة القائد الروماني وعلا

<sup>1</sup> - السيد الباز العربي : المرجع نفسه ، ص22.

<sup>2</sup> - غسان خالد : أفلوطين رائد الوجدانية، ومنهل فلاسفة العرب ، المرجع السابق ، ص 12\_13.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر نفسه ، ص 75. ترى الرواقية أن " الإله الأكبر [ زيوس] لا يستطيع أن يجعل الجسد حرا من قيود المادة ولكنه يعطينا قيسا من روحه الإلهية، فنصبح بنعمته اخوانا لا يفرق بينهم وطن ولا جنس ولا لغة، وأينما نكونوا فهم مع الله، لا حاجة بهم إلى هيكل أو معبد [.

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق ، ص 75. من الصلوات المشهورة التي أثرت عن زعيمهم (كليانثس 310-230 ق م) حيث يناجي زيوس قائلا: ( اهدني يا زيوس، أيها القدر. خذ بيدي إلى حيث أردت أن ترسلني. خذ بيدي أتبعك غير ناكص ولا وجل فان خامرني الريب فأحجمت وتريثت فمن اتباعك لا مهرب لي ولا نجاة.

<sup>5</sup> - ينظر: آ . بيري: مدخل إلى تاريخ الرومان وأدبهم وآثارهم، ص 45 ومايلها ، حول هذا القائد العسكري الروماني .

مجده في انتصاره على هذه الثورة، ثورة العبيد التي جمع لها قائدها ما يقارب السبعين ألفا، قهر بها جيوش روما على مدى ثلاث سنوات<sup>(1)</sup>، وانتهت بسلسلة من الصراعات الحزبية والحروب الأهلية حتى وضع أوكتافيانوس أو (أغسطس قيصر 63 ق م - 14م) لها حدًا في عام (27 ق م) فجمع في يده كل سلطة سياسية وقضائية وعسكرية<sup>(2)</sup>، وأطلق على العصر الذي بدأه أغسطس اسم الأمبراطورية الرومانية الذي استمر في الحرب حتى سقوط روما سنة 410م. وأول لقب اتخذته أوكتافيانوس في قائمة ألقابه المهيبة هو (قيصر) الذي اتخذته اسما له بعد وفاة "يوليوس قيصر"<sup>(3)</sup>، وثاني ألقابه (إمبراطور) والذي جعله أيضا جزءا من اسمه الرسمي، كان لقبًا يتميز بالعراقة والإستعلاء<sup>(4)</sup>، وبالرغم من سقوط مدينة روما في القرن الخامس الميلادي أمام غزوات القبائل المتبربرة في الغرب، استمرت الأمبراطورية في الشرق في مدينة القسطنطينية التي تقلص سلطانها في القرن السابع الميلادي عند قيام الخلافة الإسلامية، نظرا:

### مطلب 1: الإضطرابات الإجتماعية:

ونظرا لتردي الأوضاع نتيجة الإضطرابات التي سبقت ميلاد المسيح أراد ساسة الرومان إصلاح العيوب الإجتماعية بالعودة إلى الشريعة بسنّ قوانين تحدّ من نفوذ النبلاء وأصحاب الضياع، والتكفل بتموين المعوزين بأغذية تبيعها الدولة بأقل من تكاليفها، غير أنّ عوامل الخراب أقوى من عوامل الإعمار والإصلاح حتىّ لما حلّ عصر "أوغسطس" وهو عصر ميلاد المسيح، قال فيه السيد المسيح: (( للتعالب أوجرة ولطيور السماء أوكاز، وأما ابن الإنسان فليس له أين يُسند رأسه ))<sup>(5)</sup>. فكان عصر أوغسطس عصر قوة السيف، فيه سطوة تصد الأعداء وتقمع الثائرين؛ فضاعت الجمهورية وحلّ مكانها القيصرية المطلقة، ورفعت القيصر إلى مقام الربوبية المعبودة، فخلعت على القيصر "أوغسطس" لقب "إله"، وقررت عبادته مع الآلهة ورصدت له شهرا في السنة بإسمه<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد : المصدر السابق ، ص 56. ويقول : (لم تكن ثورة (سبارتاكوس) هي الأولى في صادرة من نائر شرقي على الدولة الرومانية، بل سبقته ثورات للعبيد قام بها (أونس) ذي الأصول السورية في صقلية سنة 143 قبل الميلاد).

<sup>2</sup> - مصطفى العبادي: الأمبراطورية الرومانية (النظام الأبراطوري ومصر الفرعونية)، ص 11.

<sup>3</sup> - ينظر: أنيس منصور: الخالدون مائة؛ أعظمهم محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم، ص 79.

<sup>4</sup> - مصطفى العبادي: المرجع نفسه، ص 81.

<sup>5</sup> - إنجيل متى 8: 20.

<sup>6</sup> - ينظر: مصطفى العبادي: المرجع السابق، ص 104.

وكان اليهود يعيشون في أرجاء الأبراطورية الرومانية بين أناس يخالفونهم في العقيدة، وكانوا يعيشون حياة عزلة عن المجتمع حيث كانت لهم مراكز تجارية خاصة بهم ، حتى إذا سافر الفرد منهم إلى منطقة ما يعلم قبل سفره أن هناك بيئة مماثلة لبيئته، يذهب إليها ليستعين بها على عمله، فكان سلوكهم هذا مدعاة إلى غضب المعوزين والميسورين عليهم حتى قال فيهم "العقاد": (( وحدث غير مرة أنهم كانوا يصاحبون الجيشين المتقاتلين لشراء الأسرى، وبيع المئونة، وبذل القروض ، ثم يتقابلون على تفاهم عند " تصفية الأعمال" والمساومة، فوقر في أخلاص (البال والنفس) الأمم أنهم شعب غريب))<sup>(1)</sup>. فكان المجتمع اليهودي داخل الأبراطورية عندما ظهر المسيح ؛ كانت الثروة والطغيان من جهة في مقابل الفقر والهوان في جهة أخرى ، فضاع القانون مع السلطان وضاع النظام العام وازداد التفاوت الإجتماعي بين الحاكم والمحكوم، وزاد الإفراط في النعيم حدّ السأم من الحياة، ووصل الإفراط في الشقاء لذلك الرجل الذي كسب العالم وضيع وحسر نفسه، فضاع وأضاع<sup>(2)</sup>.

## مطلب 2: النزعات الإستعمارية :

فلم يكن هناك استقرار بفلسطين في ظل التواجد الروماني نظرا للنزاع بين الفرس والرومان على هذه المنطقة ، وانقسم المجتمع الفلسطيني بين مشايخ للفرس ومشايخ للرومان خصوصا في المسائل الدينية، فكان من مظاهر الإنقسامات تغلب أنصار الفرس على أنصار الرومان في بيت المقدس عند ترشيح رئاسة الكهانة "لأنتيخوس ابن أورشطوبوتس" بدل من "هيركانوس"<sup>(3)</sup>. قام الزعيم اليهودي (هيرود) ، في البادية الجنوبية من فلسطين بمناصرة الرومان لتيقنه من بوادر النصر في صف الدولة الرومانية فانضوى إليها ؛ ليتم مكافأته بتنصيبه ملكا على اليهودية والسامرة والجليل حيث ولد المسيح ، فراح يدهن السلطات الدينية والمدنية في وقت واحد مبالغا في غيرته اليهودية التي كانت قبيلته تدين بها على سبيل المداراة والمجاراة ، هذا الزعيم اليهودي ، والذي كانت نهايته كلها بغض من أبناء دينه عليه حيث ثارت طائفة من الغلاة على هدم مبانيه وما وضعه من نصب، فأمر جنده على رمي هؤلاء الغلاة في النار وهم أحياء بعد محاكمتهم<sup>(4)</sup>. وبعد وفاة "هيرود" تم تقسيم البلاد بين

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد : الصهيونية العالمية، ص 16.

<sup>2</sup> - ينظر : إنجيل متى 16 : 26، قول المسيح: ((لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه)).

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق، ص 58. لقد اشتد التنافر بين المشايخ للفرس ضد المشايخ للرومان في اختيار رئيس الكهانة إلى حد قيام "أنتيخوس بقبض بيديه على مزاحمه "هيركانوس" وقضم أذنه باسنانه، ليحول بينه وبين وظيفة الكهانة طول حياته.

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد: : الصهيونية العالمية ، ص 58 يذكر أنه حدث قبيل وفاة هيرود أنه أمر أخته أن تقتل الزعماء المحبوبين الذين حبسهم قبل إعلان وفاته كي تذهب حسرة الشعب عليهم بفرح الشماتة فيه، فلا يتمتعهم في ذلك اليوم بالفرح الذي ترقبوه.

أبنائه الثلاثة: "انتيباوس" الملقب بـ"ميرود الثاني"، حيث وقعت الجليل مولد المسيح في حصته، ووقعت اليهودية في حصه: "أرخلاوس"، بينما وقعت الشام في حصه "فيليب"، وجعل القيصر الروماني من هؤلاء الأبناء درعا يدفع به الغارات وثورات المتعصبين، نتيجة صدور الأمر بالإحصاء العام، الذي اعتبره الشعب اليهودي كفر وخيانة لأن فيه مبدأ الاعتراف بالملك الوثني ووفيه انكار "يهوه" ،وبالتالي يستحق الطرد من رحمة الله ، ويكون مستحق للعذاب ،فأعتبر اليهود الإحصاء مقدمة لتقييدهم عبداً لقيصر ، فيكونوا مطالبين بعبادته وافتتاح الصلوات باسمه ، وهم الذين كانوا ينكرون أداء الجزية ويحكمون بالكفر من يجيزها ويشترك في تحصيلها وينبذونه من الجماعة وينبذون من يعاشره ويتحدث إليه<sup>(1)</sup>.

فحدثت ثورات اشتعلت في أقاليم فلسطين صاحبها إزهاق أرواح ،وفي هذا الجو يولد المسيح ويتزعزع في هذه الظروف العصبية ، بل يصبح المسيح نفسه عرضة للشواية والمكاييد طيلة مشوار حياته الدعوية<sup>(2)</sup>. فجاء في إنجيل متى مسألة المسيح أمام جمهرة الشعب عن أداء الجزية ، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيروديسين قائلين: (( يامعلم : أتك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس. فقل لنا ماذا تظن؟ أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟فعلم يسوع خبثهم وقال لماذا تجربوني يا مرأؤون؟أروني معاملة الجزية ، فقدموا له دينارا، فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له لقيصر، فقال: أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر،وما لله لله))<sup>(3)</sup>. وأسكتهم جوابه لأنهم لا يرفضون العملة القيصرية مع وجود العملة اليهودية ولو كانوا يكسبونها ، ماعدا طائفة منهم وهي التي ثارت عند تقرير الإحصاء العام.ومن القلاقل التي برزت إلى جانب قضية الإحصاء مشكلة الضريبة التي يدفعها اليهود على مرتين ،إحداها للهيكل والأخرى للدولة ، وكان أداء الضريبة عبئا على الفقراء خصوصا دفع ضريبة الدولة التي يتم تحصيلها بالإلتزام والمزايدة ، كما كان للعشارين وهم الجباة يأخذون لأنفسهم شيئا غير الذي يسلمونه للملتزم، وكان الملتزم يأخذ لنفسه شيئا غير الذي يسلمه لخزانة الدولة، فكان المال المحصل يربى على ضعفي المال المطلوب ، لهذا كانت طائفة العشارين

<sup>1</sup> - كان من عادة استلام مهام السلطة أن يذهب الملك إلى روما ليتلقى عهد الإمارة من يدي القيصر، وهو ما يشير إليه المسيح في إنجيل لوقا 19: 12 - 14: (( فقال انسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملأ ويرجع...وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه، فأرسلوا وراءه سفارة قائلين: لا نريد أن هذا يملك علينا)).

<sup>2</sup> - رؤوف شلبي،: أعضاء على المسيحية، دراسات في أصول المسيحية ، ص 23.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 22: 16 - 21.

بغیضة إلى الشعب اليهودي، ولهذا كان انكارهم على السيد المسيح أنه كان يخاطب العشارين ويدخل بيوتهم ويستمع إلى مناجاتهم ، ولكنه كان يستمع لهم ويوصيهم بالأمانة في الجباية<sup>(1)</sup>.

### مطلب 3: مظاهر الإضطهاد:

إنّ الحالة السياسية في فلسطين خلال ميلاد المسيح حتى ظهور دعوته كانت على أسوء ما تكون، ولكنها لم تبلغ ما بلغته الحالة الإجتماعية في الدلالة على القنوط وعموم البلاء، فهناك حالات البؤس واليأس في فلسطين ولاسيما في الجليل الذي عجّت أخباره بالمرضى الذين كانوا يتعرّضون لطلب الشفاء من المسيح. فيتبين أن المجتمع اليهودي بفلسطين كان كثير الآفات الجسدية والنفسية ساهم في علاجها قبل المسيح "يوحنا المعمدان" الذي أعدّ طريق الرسالة والنبوة جاعلا التطهير رمزا للإغتسال بالماء من أدران الفساد الذي علّق ببلاط الملك "هيرود" الذي استباح الفجور بالمحارم والبناء بمنّ على غير شريعة ، ودنّس دور العبادة. ودفع يحيى بن زكريا ثمن جسارته على التطهير، فمات شهيدا، لتعلن رسالة أخرى جديدة تدعو إلى المحبة والإخلاص، والطهارة.

<sup>1</sup> - ينظر: انجيل متى 9: 9: ((وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه متّى. فقال له اتبعني فقام وتبعه، وبينما هو متكئ في البيت إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معكم مع العشارين والخطاة، فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى)). ونفسه ورد في إنجيل مرقس 2: 14.

## الباب الثاني

الفصل الثاني: ظهور المسيح في البيئة اليهودية.

المبحث الأول: شخصية المسيح في ضوء المسيحية:

مطلب 1: شخصية المسيح:

- أ- لمحات من حياة المسيح. ب- تاريخ ميلاد المسيح.  
ت- صفات المسيح. ث- تعاليم المسيح. ج- شريعة المسيح.  
مطلب 2: أمثولات المسيح: الأمثولات.  
مطلب 3: طقوس المسيح والمسيحية: أ- العشاء الرباني. ب- المسيح والكنيسة.  
ت- المسيح وطقوس التعميد. ث- الهيكلية الإدارية للكنيسة.  
ج- المسيح وعقيدة البنوّة. ح- المسيحية الحالية.

مطلب 4: شريعة المسيح الحقّة:

- أ- شريعة الإعتزال عن السلطة.  
ب- شريعة الزهد والحب والغفران.  
ت- شريعة ملكوت السماء.

المبحث الثاني: دعوة المسيح:

- أ- قدرة المسيح على الدّعوة.  
ب- إخلاص المسيح في الدّعوة.

المبحث الثالث: كتاب المسيح:

- مطلب 1: العهد الجديد .  
مطلب 2: الأناجيل الأربعة: (أ- متى. ب- مرقس. ت- لوقا. ث- يوحنا).  
مطلب 3: أوجه الإتفاق في بعض روايات الأناجيل .  
مطلب 4: أوجه الإختلاف والتناقض في بعض روايات الأناجيل .  
مطلب 5: خلاصة محتويات الأناجيل.

## الفصل الثاني : ظهور المسيح في البيئة اليهودية.

كان الضمير الذي جاء المسيح يخاطبه تتنازعه عوامل ثلاثة على حد تعبير " عبد الغني

عبود" وهي:

- الحضارة الإغريقية التي شكّلت عقل الإنسان.
- والدولة الرومانية، التي حددت له مؤسساته، التي يعيش بينها، وأطر الحياة في هذه المؤسسات.
- ثم الدين اليهودي ، الذي جاءت المسيحية أساسا لإصلاحه، بعد أن صار عامل تخريب في العقل وفي أطر الحياة معا<sup>(1)</sup>.

ويقول العقاد: (( كانت الجليل جزء من أقاليم الشاطئ الشمالية التي عرفت قى التاريخ القديم باسم كنعان، ثم أطلق عليها اليونان إسم (( فينيقية)) من اللون الأحمر على ما يظهر، وهو لون الصخور والجبال... وحفلت أرض الجليل من قديم الزمن بالسياح والمقيمين من جميع أمم الحضارة في الشرق والغرب، وتوثقت صلاتها بجميع الحضارات الإنسانية، وأنّ تسمية الجليل بأرض كنعان جعلت العلاقة بين الجليليين واليهودية تتسم بالجفاء والعداء بالرغم من اعتماد اليهود على الكنعانيين في مجالات الصناعة والتجارة، حيث استعانوا بهم في تشييد الهياكل والقصور خصوصا زمن سليمان عليه السلام))<sup>(2)</sup>، حيث جاء في سفر الملوك: (( وأرسل الملك سليمان وأخذ حيرام من صور، وهو ابن امرأة أرملة من سبط نفتالي وأبوه رجل صوريّ نحاس وكان ممتلئا حكمة وفهما ومعرفة لعمل كلّ عمل في النحاس. فأتى إلى الملك سليمان وعمل كلّ عمله))<sup>(3)</sup>. واعتمد اليهود على الكنعانيين في شؤون الثقافة والفن على غرار التجارة والصناعة، فنقلوا عنهم الكتابة وقرض الشعر وأناشيد الصلوات، بل مالوا أحيانا إلى عقائد الكنعانيين تاركين عقائدهم. وأشار إلى هذا التحوّل سفر القضاة، حيث جاء فيه: (( فعمل بنو إسرائيل الشرّ في عيني الرّبّ ونسوا الرّبّ إلههم وعبدوا البعليم))<sup>(4)</sup>. فيكونون قد تركوا إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، كما جاء في سفر القضاة: ((وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالدّهَاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها))<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الغني عبود: المسيح والمسيحية والإسلام ، ص 1.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: عبقرية المسيح ، ص 82.

<sup>3</sup> - سفر الملوك الأول 7: 13 - 14.

<sup>4</sup> - سفر القضاة 3: 7.

<sup>5</sup> - سفر القضاة 2: 19.

كانت فلسطين تابعة للإمبراطورية الرومانية التي كانت عاصمتها روما، وفي العهد الذي ولد فيه عيسى المسيح بن مريم كان يسود الأوساط العبرية فرق ونزعات دينية تتمثل من جهة الصدوقيين، أي اليهود المستنيرين، ومن جهة أخرى، بالفريسيين وهم أنصار التقيد الحرفي بتعاليم الناموس، وكان اليهود يكرهون الرومان لأنهم قضوا على استقلالهم، وكان الرومان يقابلون هذه الكراهية بالمثل. وبقرية الناصرة التي كانت تعجّ بفرقة الفريسيين وبأرض الجليل<sup>(1)</sup> بفلسطين عاش المسيح طفولته وشبابه مشغولاً بمهنة التجارة، حتى بلغ من العمر الثلاثين، ليغادر أسرته ويلتحق بالمعمدان ناشداً التعميد على يديه معلناً انضمامه إلى جماعته التي سرعان ما يعلن بعد ذلك انفصاله ليتفرد بالدعوة إلى الرّسالة الجديدة التي اعتبرها امتداداً لرسالة المعمدان التي تدعو إلى قرب حلول يوم الحساب الذي يستدعي الإسراع في التوبة الكفيلة بإدخال الإنسان إلى ملكوت الله. وعندما ناهز الثلاثين من عمره تحدث في البيع - وكانوا يسمّونه ( ربّي ) ( معلّم ) - وسافر إلى الجليل وكان تلاميذه يلتفون من حوله وهو يتنقل من مكان إلى مكان، وطفق يركز بنهاية العالم وبالملكوت<sup>(2)</sup>. وكان من أعمال المسيح صنع المعجزات بإذن الله كإشفاء المرضى والمجانين، وبعث الأموات ودعا إلى مثل أعلى لا تتعلق إلا بمشيئة الله.. وكان من حوله يقولون عنه إنه مختل<sup>(3)</sup>.

ولد عيسى بإقليم الجليل في الجزء الشمالي من فلسطين في بيئة يتميز أهلها بالعناد وصلابة الرأي، ذوي بأس شديد في مقاومة الرومان، ومتدينين لكثرة اهتمامهم بالمسائل الدينية، ومنها تمسكهم بالأمل والترقب في انتظار معجزة تعيد لليهود ملكهم في الأرض عن طريق ظهور المخلص<sup>(4)</sup>، فهرع الناس إلى "يوحنا المعمدان" الداعي إلى تحقيق مملكة الله، والمبشر على وشك قربها، فاعتقد المسيحيون الأوّلون أنّها تحققت في شخص عيسى المسيح لا غير بحسب رواية إنجيل مرقس: ((فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له أأنت المسيح ابن المبارك، فقال يسوع أنا هو))<sup>(5)</sup>. ولما ظهر

<sup>1</sup> - ينظر: عباس محمود العقاد: المصدر السابق ص 82.

<sup>2</sup> - ينظر عن طفولة المسيح في نصوص هذين الإنجيلين: إنجيل متى 11: 7-15. وإنجيل لوقا 7: 24-28.

<sup>3</sup> - كارل ياسبرس: فلاسفة إنسانيون، (سقراط، بوذا، كنفوشيوس، يسوع) ط2، ترجمة: عادل العوّا، منشورات عويدات، بيروت، 1980م، ص 208. وينظر: المعجزات والآيات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه إلى أن أصبح نبياً في: التعالبي: قصص الأنبياء، المسمى بالعرائس: عرائس المجالس، ص 436 ومايليها.

<sup>4</sup> - الموسوعة التاريخية الحديثة: تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ج1، ط1، تعريب، نور الدين حاطوم، دار الفكر الحديث، لبنان، 1967م، ص 61.

<sup>5</sup> - إنجيل مرقس 14: 61. بحسب هذه الرواية فإن عيسى هو المنتظر، في حين نظر إليه وفق نصوص القرآن الكريم أنّه نبيّ ورسول.

المسيح راح يجلب له أتباع عن طريق دعوته التي لم تستمر سوى ثلاث سنوات وبضعة أشهر ، وتبعه أفراد من أهل الجليل ومن فلسطين ، وكان يدعو إلى التأمل وحب الغير ، كما كان يدعو إلى التواضع والإيمان بالله ، وكان يدعو إلى إمكانية التعلق بالله وفق شريعة حب الله وحب الآخرين، ودعم دعوته بمعجزات من الله ، كإبراء المرضى على اختلاف أوجاعهم وآلامهم دون أخذ مقابل مما استرعى الانتباه إلى دعوته وصحة رسالته حتى دفع ببعض من شاهدوا معجزاته أنه الملك المسيح المخلص الذي طالما انتظروه ، وأنه من جملة أنبياء بني إسرائيل وأحد المنتميين إلى سلسلتها.

وقد لقي المسيح عبارات الترحاب والتضخيم عند دخوله بيت القدس التي استقبل بها، تنم عن الانتظار الشعبي له بحسب هذا النص الإنجيلي: ( مبارك الآتي باسم الرب ، مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب)<sup>(1)</sup>. وفي الإنجيل متى جاء فيه: (( فإنّ هذا هو الذي كُتب عنه ها أنا أرسلُ أمام وجهك ملاكي الذي يُهيئ طريقك قدامك، الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه.. وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي ))<sup>(2)</sup> .

### المبحث الأول: شخصية المسيح في ضوء المسيحية.

تكلم أهل الجليل الآرامية، وهي لغة كان يعرفها الحواريون في الهيكل، وكانوا يلفظون العبرية بلهجة أجنبية، أما اللغة اليونانية التي كانت بالجليل فهي لغة الوافدين أو القادمين من آسيا الصغرى<sup>(3)</sup>. كانت أرض الجليل منبت الدعوة الإنسانية التي ترقبها العالم في ذلك العصر والتي كسرت الجمود الحرفي لليهود على نصوص شريعتهم والمنكرين للسماحة الدينية التي عرفها أهل الجليل أهلتهم لإحتضان الدعوة الجديدة، فجاء في الإنجيل يوحنا: (( فيلُّس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في التاموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة ))<sup>(4)</sup> .

ولد المسيح الذي أعقب ولادته لبضع سنين وفاة الملك هيروود الكبير ملك اليهودية لتدخل في نصيب ابنه (هيروود أنتيباس) الذي بنى عاصمته بطبرية التي تسمت باسم العاهل الروماني (طيبريوس) -

<sup>1</sup> - إنجيل مرقس 11: 9-10. - وهي نفس العبارة في إنجيل لوقا 19: 38. وفي إنجيل يوحنا 12: 13.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 11: 10-14.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد : المصدر السابق ، ص 84.

<sup>4</sup> - إنجيل يوحنا 1: 45. وقد ورد ما يناقض بشارة موسى بنبي الجليل في نفس الإنجيل 7: 53 ، وفيه قول رجال الهيكل: (إنه لم يقم نبي من الجليل).

بالقرب من الناصرة، حيث كان عمر المسيح يقارب العاشرة من عمره، أين بدأ يطّلع ويشاهد العبث من ذوي السياسة، وأن الطاغية يتزلف والمتزلف يطغى، وأن مجد الرّياء زيف، فسبحت نفسه البريئة في آفاق غير هذه الآفاق وصور لفؤاده ملكوت السماء في صورة غير هذه الصورة تخالفها ولا تزال تختلف عنها كلما تقدمت الأيام<sup>(1)</sup>. وبعد أن ساد الفساد والرذيلة بفعل اليهود بعث الله رسولا من بينهم هو عيسى ابن مريم ليعيد للإنسانية كرامتها وليردّ بني قومه إلى جادة الصواب وترويضهم على حب الخير ونبذ الشر والحقد وعبادة الدّهب، فجاءهم بتعاليم سامية تتعارض مع أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم وطبائعهم، فبدأ الصراع مع النّبي عيسى ولكن دون جدوى، ليتمكن الغرور من أنفسهم، ولأن الرّسول ظهر في الناصرة ولم يظهر في أورشليم رغم أنّه يهودي مثلهم إلاّ أنّهم عصوه وكفروا بتعاليمه، وتأمروا عليه وقرّر كهنتهم إعدامه بالوشاية به إلى حاكم الرومان "بيلاطس" كي ينفذ فيه عقوبة الصلب جرّاء إدّعائه النّبوة الّتي لم يعترف له بها اليهود، ونتيجة للحياة الشّيقة لهذا الرّسول نستعرض اللّمحات الأولى لميلاده.

### مطلب 1: شخصية المسيح.

#### أ- لمحات من حياة المسيح:

ذهب بعض المؤرخين إلى أن المسيح ولد في السّنة الأولى للميلاد بناء على التّقويم الذي دعى إليه الراهب "دينوسيس الصغير" بدء من سنة 532 م، والذي دعا إلى تأريخ الأيام من السّنة الأولى للميلاد، ولما ثبت الخطأ في التأريخ لجأ المقيّمون له بإضافة أربع سنوات إلى التّقويم القديم الذي يحسبه أصحابه منذ بدء الخليقة، واعتبروا أنّ المسيح ولد في سنة "أربعة آلاف وأربع" بحسب ذلك التّقويم، أما القول الراجح في تقدير المؤرخين الدينيين وغير الدينيين فهو أن ميلاد السيد المسيح متقدم على السنة الأولى بوضع سنوات، وأنه على أصح التقديرات لم يولد في السنة الأولى للميلاد<sup>2</sup>، أي قبلها بأربع سنوات أو سبعا بالتقدير، ويذكر انجيل لوقا أنّ "القيصر أوغسطس" أمر بالإحصاء في الأمبراطورية ليشمل جميع سكانها، وكان القائم بهذه العملية في سورية الوالي الروماني (كيرنيوس): ((فذهب الجميع ليكتبوا كل واحد إلى مدينته، فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة إلى

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد : المصدر نفسه ، ص 85.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد : المصدر السابق ، ص 86.

اليهودية... ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى ، وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد، فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل))<sup>(1)</sup>.

فالإكتتاب بحسب المؤرخ "يوسيفوس" كان بين السنتين السادسة والسابعة للميلاد، ولا يمكن أن يكون قبل ذلك لأن "كيرنيوس" تولى ولاية سورية في السنة السادسة ميلادية، فيكون المسيح قد ولد في السنة ذاتها أو السنة السابعة وتكون دعوته بدأت وهو في سن الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين<sup>(2)</sup>، حيث يقول المؤرخ: ((إنه في ذلك العهد عاش عيسى ذلك الإنسان القديس .. بعد ما أتى به من المعجزات البيئات وعلم الناس وتلقى الحق فاستبشر به، وأتبعه كثير من اليهود والإغريق، وكان هو المسيح))<sup>(3)</sup>. وقد جاء في إنجيل متى: أن المسيح ولد قبل موت هيرود الكبير<sup>(4)</sup> ، وقد مات هيرود قبل السنة الأولى للميلاد بأربع سنوات، وجاء في انجيل لوقا: أن المسيح قام بالدعوة في السنة الخامسة عشرة من حكم القيصر طيبريوس وهو يومئذ يناهز الثلاثين<sup>(5)</sup> ، ومعنى هذا أن السيد المسيح قد بلغ الثلاثين أي قبل السنة الأولى للميلاد بأربع سنوات، وأشار "يوسيفوس" في موضع آخر إلى أن "حنانيا" عقد السنهدين اليهودي، ((وأحضر أمامه "جيمس" أخوا عيسى المسمى بالمسيح ومعه آخرون، ثم أمر بهم أن يرحموا عقابا لهم على عصيان الشريعة))<sup>(6)</sup>.

وفي تعليق "لأبي زهرة" عن الديانة البرهمية الهندية يشير إلى مقارنة اعتقاد الهنود في كرشنة كما يعتقد المسيحيون في المسيح حول ارهاصات الميلاد فيقول: ((ومن الغريب أنهم يذكرون حول "كرشنة" من الأساطير والعجائب ما يشبه ما جاء بالأناجيل عن المسيح، فكرشنة ولد من عذراء مخطوبة، اسمها "ديفاكي" ، ويصفونه بأنه الإله، وأن ولادته أحيطت بعجائب، فالأرض سبحت،

<sup>1</sup> - إنجيل لوقا: 2: 7-7.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق، ص 87. من المأثورات الإسرائيلية أن "الكاهن اللاوي يباشر عمله بعد بلوغ الثلاثين، وكان الأحرار المجتهدون عندهم يبلغون الخمسين قبل الجلوس للتفسير والإفتاء في مسائل الفقه الكبرى، لهذا قالوا عن المسيح أنه لم يبلغ الخمسين".

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر نفسه ، ص 91.

<sup>4</sup> - ينظر إنجيل متى: 2: 1 ((ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك))، وفيه أيضا 2: 19 ((فلما مان هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلا: قم وخذ الصبي وأمه واهب إلى أرض إسرائيل، لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي)).

<sup>5</sup> - ينظر إنجيل لوقا: 3: 1-4 (( وفي السنة الخامسة عشر من سلطنة طيباريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطي واليا على اليهودية وهيرودوس رئيس ربح على الجليل... صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة)).

<sup>6</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر نفسه ، ص 91.

وظهر نجمه في السماء، وترنمت الأرواح فرحا وطربا؛ ورتل السحاب بأنغام مطربة، وقد ولدته أمه في غار فأضاء عند ولادته بنور عظيم، وصار وجه أمه يرسل أشعة ونور ومجد، ويزعمون أنه كان لأمه قبيل ولادته خطيب قد خطبها لتكون زوجا له، كما اعتقد النصارى أن مريم أم المسيح كان لها خطيب اسمه يوسف النجار. والقول الجملي أن الهنود يعتقدون في كرشنه ما يعتقد المسيحيون في المسيح.. وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم<sup>(1)</sup>. وقد أدى ببعض الباحثين في المقابلة بين الأديان إلى إنكار شخصية المسيح في التاريخ، وإنكار الدعوة المسيحية بحجة التشابه بين القصص المروية عن السيد المسيح والقصص المروية عن الأرباب في العبادات الشرقية القديمة.

وقد عقد "محمد طاهر التنير" في كتابه (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) موازنة بين أقوال الهنود في كرشنه وأقوال المسيحيين في المسيح، فتقارب الاعتقادان حتى أوشكا أن يتطابقا<sup>(2)</sup>. مما دفع بعلماء المقابلة بين الأديان في القرن الثامن عشر إلى تحميل المشابهات والمقارنات فوق طاقتها، فيقول "العقاد": ((فإننا نرى أمامنا في هذه العصر أن هذه المشابهات لا تنفي ولا تثبت، بل لعلها إلى الإثبات أقرب منها إلى النفي على الإجمال))<sup>(3)</sup>، وأن أخبار المسيح بقية من بقايا الديانات الشمسية، يدل عليها عدد [إثني عشر] الذي يشير إلى البروج، ويشير إلى عدد التلاميذ، ويدل عليها الإحتفال بالميلاد في يوم الاعتدال الخريفي.. والإحتفال بيوم الأحد الذي اعتقدوا قديما أنه يوم الشمس.. وفي اسم الأم والولادة في المذود وركوب حمار ابن الأتان، وغير ذلك من الشعائر والمعجزات<sup>(4)</sup>. فيورد المؤرخون معلومات شحيحة عن شخصية المسيح ورسالته بل راحوا يشككون في رسالة المسيح في نبوءات كتب التوراة، فقد شاع في القرن الثامن عشر فلسفة الشك في كل مقررات التعلم القديم ووقائع التاريخ المتواتر، فشكّ الكتاب في وجود الأنبياء والمرسلين وكاد الشكّ يتناول كل نبي وكل صاحب دين... وسرى الشك إلى الأدب كما سرى إلى الدين، فشكّوا في شخصية "هوميروس" وفي شخصية شكسبير، ويستدلون في إنكارهم إلى كون الفيلسوف اليهودي "فيلون" الذي عاش في عصر

<sup>1</sup> - محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان (الديانات القديمة )، ص 29.

<sup>2</sup> - ينظر : محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، ص120، وقد تم طبع هذا الكتاب سنة 1912م، وكانت وفاة المؤلف: محمد طاهر التنير سنة 1933م في دمشق، وأين كان ميلاده بيروت. - ( عن لجنة المحققين) ص 8. وينظر محمد أبو زهرة: المرجع

السابق، ص 30 وما يليها حتى ص 43، حيث نقل بعضا من الموازنة على سبيل المثال .

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد :المصدر السابق ، ص 95.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه ، ص 93.

المسيح ، الذي عاش في الجليل أيام الدعوة المسيحية وكتب تاريخ قومه من عهد موسى إلى نهاية القرن الأول للميلاد، ولم يرد في تاريخه إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى الدعوة المسيحية<sup>(1)</sup>.

## ب- تاريخ ميلاد المسيح:

مضت ثلاثة قرون عن ميلاد المسيح قبل أن تحتفل كنيسة من الكنائس المعتمدة بعيد الميلاد في تاريخ من التواريخ، ثم اختلفت الكنائس. فاحتفلت الكنيسة الشرقية بالميلاد في السادس من شهر يناير ، واحتفلت به الكنيسة الغربية في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر، ويرجع أنّها اختارت هذا اليوم لتصرف المسيحيين عن حضور المحفل الوثنية التي كانت تتخذه عيداً للشمس، وتعلن فيه الأفراح بانتصار النور على الظلام، لأن الاعتدال الخريفي هو الموعد الذي يقصر فيه الليل ويطول النهار<sup>(2)</sup>.

وحتى تسمية المسيحيين والمسيحية لم تذكر باسم خاص في الأناجيل جميعاً غير ثلاث مرات، فذكر أتباع المسيح باسم المسيحيين لأول مرة في مدينة أنطاكية<sup>(3)</sup>، وأورد بولس على لسان الملك (أغريباس) أنه قال محتجاً: ((بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً))<sup>(4)</sup>، فيفهم من سياق نصوص العهد الجديد أنّ كلمة مسيحي كانت نسبة إزدراء وتعبير على السنة أعداء المسيحيين، فكانوا يستصغرون شأنها لأنّ طائفة المسيحيين طائفة مغضوب عليها، فالهيكل ينكرها والحكومة الرومانية تترفع عنها، فجمعت هذه الطائفة بين غضب السلطتين، فيقول "أحمد ديدات": ((وصار اسم مسيحي سيئ السمعة بين اليهود لأنه اسم من كَفَّر في زعمهم في الديانة اليهودية وبين النصارى لأنه أصبح الإسم العلم لإلهمم؛ إلهمم المتجسد))<sup>(5)</sup>.

إنّ التقاد الذين شكّوا في وجود السيد المسيح ، قد شكوا كذلك في وجود يوشع بن نون " حيث وجد منقوشاً على حجر عند (نوميديا) يوشع بن نون، بشمال إفريقيا حيث أقام الفينيقيون مستعمرتهم التي تعرفت باسم قرطاجنة، وعلى ذلك الحجر الذي كشف سنة 540 ميلادية كتابة بالفينيقية يقول كاتبوها: (( اننا خرجنا من ديارنا لننجو بأنفسنا من قاطع الطريق يوشع بن

<sup>1</sup> - المصدر نفسه ، ص 93.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق ، ص 95-96.

<sup>3</sup> - ينظر : أعمال الرسل 11: 26.

<sup>4</sup> - أعمال الرسل 26: 28.

<sup>5</sup> - أحمد ديدات : المسيح في الإسلام ، ترجمة : محمد مختار ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 1991م، ص 20.

نون))<sup>(1)</sup> وظنوا فيه كما ظنوا في السيد المسيح أنه رمز من رموز العبادات الشمسية لأنه يسيّر الشمس ويوقفها عن مسيرها<sup>(2)</sup>، فتداول المسيحيون في القرن الرابع للميلاد رواية لـ: (بيلوس لنتيوس) صديق بيلاطس حاكم الجليل من قبل الدولة الرومانية ، رفعها إلى مجلس الشيوخ الروماني في عصر الميلاد ، وجاء فيها: (( إنّه في هذا الزمن ظهر رجل له قوى خارقة يسمى يسوع ويدعوه تلاميذه بابن الله وكان للرجل سمّت ( الهيئة) نبيل وقوام بين الاعتدال، يفيض وجهه بالحنان والهيبة معا، فيحبّه من يراه ويخشاه... شعره كلون الخمر منسرح غير مصقول، ولكنّه في جانب الأذن أجدهمّاع، وجبينه صلت (واسع وواضح)، وليس في وجهه شيّة(كل لون يخالف لون الفرس وغيره، غير أنّه مشرب بنضرة متورّدة، وسيماه كلها صدق ورحمة، وليس في فمه ولا أنفه ما يعاب، وعيناه زرقوان تلمعان.. مخيف إذا لام أو أنّب، وديع محبّب إذا دعا وعلم، لم يره أحد يضحك، وراه الكثيرون يبكي، وهو طويل له يدان جميلتان مستقيمتان، وكلامه متزن رصين لا يميل إلى الإطناب، وملاحظته في مرآه تفوق المعهود في أكثر الرجال))<sup>(3)</sup>. إلا أن هذه الرواية مشكوك فيها وفي اسنادها التاريخية ، وأنّ هناك روايات غير معقولة قد يظن أنّها مدسوسة من أعداء المسيحية في العصور الأولى كقول بعضهم عن وصف المسيح أنه: (كان قميئا [ قبيحا] أحذب دميم الصورة)<sup>(4)</sup>. وفي وصف دميم للمسيح نقله "كارل ياسبرس" أن يسوع يوصف بأنه كان قصير القامة، يبلغ طوله ثلاثة أذرع تقريبا، وكان أحذب ، داكن اللون. وكان حاجباه متقاربين، ووجهه مستطيلا، وشعره خفيفا ، يشطره إلى شطرين، على طريقة ( الناصريين)، وله لحية صغيرة. وهذا الوصف المشين حتما وصف قدم.. يتعرض إلى أكثر من الشك من الناحية التاريخية<sup>(5)</sup>. ورغم التشكيك في هذه الرواية فإن الشريعة الموسوية كانت تشترط في تقلد منصب الكاهن أن يكون سوي الخلق وجسمه سليم من العيوب، ومن غير المعقول أن يتصدى للرسالة من يعاب بالحدب والدمامة .

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد : المصدر نفسه ، ص 97.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد : المصدر نفسه، ص 96. نقلا عن الفصل الرابع من المجلد الثالث من صحائف شميرز: chamber's papers

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد : المصدر السابق، ص 100.

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر نفسه.

<sup>5</sup> - كارل ياسبرس : فلاسفة انسانيون، (سقراط، بوذا، كنفوشيوس، يسوع) ترجمة: عادل العوّا، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1980م، ص 221.

أما في المصادر الإسلامية فحفلت صفات المسيح عيسى عليه السلام بشمائل وفضائل كثيرة عددها ابن كثير ووثقتها من خلال النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة<sup>(1)</sup>.

### ت- صفات المسيح:

وليس في الأناجيل إشارة إلى سمات المسيح تصريحاً وتلميحا يفهم من بين السطور ، غير أنه يفهم من كلام المسيح أنه كان مانوس الطلعة يتكلم فيوحي الثقة إلى مستمعيه، وذلك الذي قيل عنه غير مرة أنه أخذتهم كلماته، لأنه يتكلم بسلطان وليس يتكلم كالكهان: (( لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة))<sup>(2)</sup>. لقد كان فصيح اللسان سريع الخاطر، سريع الإستشهاد بالحجج الكتابية التي يستند إليها في حديث الساعة كلما فوجئ باعتراض أو مكابرة، وكانت له القدرة على وزن العبارة المرتجلة. جميل الشعور البادي في تعبيره وتفكيره ، وإلتفاته الدائم إلى الزهور والكروم والحدايق التي يكثر من التشبيه بها في أمثاله لِمَا طُبِعَ عليه من ذوق الجمال والإعجاب بمحاسن الطبيعة، وكثيرا ما كان يرتاد المروج ، والحدايق بتلاميذه ، ويتخذ من السفينة على البحيرة بطرية منبرا يخطب منه على المستمعين ويفعل الإعاجيب ويأتي المعجزات<sup>(3)</sup>. كان تأثيره في حياته قويا في الجماهير التي إلتفت حوله: الفرّيسيون، الحاكم الروماني، الخصوم، الأتباع، كلهم كانوا متأثرين به، (( فبهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة ))<sup>(4)</sup>، كان عظيم الأثر في نفوس النساء، يتبعه حيث سار ويصغين إليه في محبة، فيجتذب إليه قلوبهن فيشيع فيها الطمأنينة وهو الذي وصف نفسه بالوداعة وتواضع الفؤاد، وأشار إلى أنّ مفتاح دخول السماء لا يكون إلا للودعاء أصحاب القلوب الرحيمة بالخاطئين والعائرين، وكان يعرف الغضب حين تضعي الوداعة والرحمة، شيمته شيمة الرّسل جميعا حين تتقدم حقوق الهداية على حقوق الآباء والأمهات<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - بن كثير اسماعيل بن عمر: المسيح عيسى ابن مريم، تحقيق: عبد الرحمان حسن محمود، مكتبة الآداب ، الحلمية الجديدة، مصر، ط: 1986م، ص 137 وما بعدها.

<sup>2</sup> - إنجيل مرقس 1: 22.

<sup>3</sup> - ميشال الحايك: المسيح في الإسلام ، بيروت ، ط2، 1961م ، ص 67.

<sup>4</sup> - إنجيل مرقس 1: 22.

<sup>5</sup> - جاء على لسان المسيح عبارات فيها من أساليب المجاز والكناية تحمل شروطا صارمة على مريديه تحث على التجرد من أواصر المنافع

والشهوات، فجاء في إنجيل متى 12: 46 - 50: (( وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه، فقال له واحد هو ذا أمك وإخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك، فأجاب وقال للقائل له: من هي أمي ومن هم اخوتي؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي وإخوتي لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي)).

وكان المسيح يحث على الحذر من ركوب المخاطر في سبيل الحق والهداية جاعلا الخطر على الروح أولى بالإتقاء من الخطر على الجسد، وهو القائل لأصحابه: ((ها أنا أرسلكم في وسط ذئاب، فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام))<sup>(1)</sup>. ومن المواقف التي سجّلت للمسيح في هذا الشأن أنّه نجح بنفسه إلى جانب البحر حين علم أن الفريسيين والهيروديين يأتمرون به لاهلاكه: ((ثم أرسلوا إليه قوما من الفريسيين والهيروديسيين لكي يصطادوه بكلمة))<sup>(2)</sup>. وجاء عنه أنّه كان يشكو حزنه وغمّه حين أحرق به الخطر، وأنه كان يدعو الله أن يجنّب الكأس التي هو وشيك أن يتجرّعها، وأنّه كان يقول لتلاميذه: ((نفسى حزينة جدّا حتى الموت. امكثوا هنا واسهروا معي))<sup>(3)</sup>، وأنّه كان يعتب عليهم حين يراهم نياما على مقربة منه وهو يعاني شدة الأذى والمشقة ويقول لهم: ((ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟!.. ثم قال لهم آخر الأمر وقد تمّ القبض عليه [ ناموا الآن واستريحوا! هو ذا السّاعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة))<sup>(4)</sup>. فكان المسيح يخشى الخطر على الجسد حيث تجب الخشية على الروح. وتواترت الروايات على أن المسيح كان يبتهل إلى الله قائلا: ((يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد بل كما تريد أنت))<sup>(5)</sup>، فهو لم يتجنب الكأس، بل طلب من الله أن يجنّب إيّاه، ليكون التسليم هو طريق الأمان إلى الإيمان، بل هو القاعدة الأساسية في طبيعة الرسل.

### ث- تعاليم المسيح:

يقول "كارل ياسبرس": ليس من المناسب أن نعتبر يسوع إنسانا متسامحا وديعا محبا، ولا أن نعتبره بالأحرى امرا عصبيا يعجز عن المقاومة<sup>(6)</sup>. لقد كان يخاطب جميع الذين لقيهم لا يطردهم أحدا ميّالا إلى الفقراء والخطاة لأنّ روحهم ليّنة متأهبة لقبول الاعتقاد الجديد. إنّ الدعوة المسيحية جاءت في وقتها وفاقا لمطالب زمانها، نظرا لتجّز الأشكال والأوضاع في الدّين وفي المجتمع وسوء العلاقة بين الأمم والطوائف مع اضطرارها إلى المعيشة المشتركة في بقعة

وفي إنجيل متى 12: 30 يقول المسيح: ((من ليس معي فهو عليّ ومن لا يجمع معي فهو يفرق)).

<sup>1</sup> - إنجيل متى 10: 16.

<sup>2</sup> - إنجيل مرقس 12: 13.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 26: 38.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 26: 40-45.

<sup>5</sup> - إنجيل متى 26: 39.

<sup>6</sup> - كارل ياسبرس: فلاسفة انسانيون، ص 220.

واحدة من العالم المعمور، وعلى الخصوص تلك الأقاليم التي تسمى بالشرق الأدنى، فقد غلبت المظاهر على كل شيء، وتهافت الناس على حياة القشور دون حياة اللباب، وانتقلت الحضارة من النفس إلى الجسد، وأخذت تفقد من قوة النفس والضمير بمقدار ما تكسب من مظاهر المادة والمال. تجمعت الثروة والكسل في ناحية وتجمعت الفاقة والجهد المرهق في ناحية أخرى، فغرق السادة في الترف، وغرق العبيد والأرقاء في الشقاء، وفسدت حياة هؤلاء وهؤلاء، وتحجّر نظام المجتمع وأصبح أشكالا ومراسم لا معنى لها ولا غاية، وتحجّرت الشرائع والقوانين والعقائد الوثنية في الدولة الرومانية وتحجّرت العقائد الكتابية بين بني إسرائيل، وساءت العلاقة بين الأمة والأمة وبين الطائفة والطائفة، آفتها مظاهر الترف ومظاهر العقيدة، ومن وراء ذلك باطن هواء، وضمير خواء، لا تضيق بخلاف كما تضيق بالخلاف على النصوص والحروف، عقيدة قوامها أن الإنسان خاسر إذا ملك العالم بأسره وفقد نفسه، وأن ملكوت السماء في الضمير وليس في القصور والعروش، وتقطّعت الأسباب بين الأمم وبين الطوائف واتّسم العصر كله بالعصبية في السائد والمسود والحاكم والمحكوم. فالروماني يرى نفسه سيد العالم بحقه، والإسرائيلي يرى نفسه سيّد العالم بحق إلهه، والعبد يمقت السيد مقت الموت، أو يفضل الموت على الرّق الذي يجلب له الذلّ والألم والجوع. وشاع بين أبناء الطائفة الواحدة البغضاء والتهم، إلى هؤلاء يأتي بشير نذير يقول للجميع إنّ الحب أفضل الفضائل وأفضل الحب حبّ الأعداء، وإنّ الكرم أن تعطي من يسألك، وإكرامه أن تعطي فوق ما تسأل وأن تعطي بغير سؤال، وأنّ ملكوت السماوات لا تفتحها الأموال، وأن ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. يأتي هذا البشير و أبناء قومه موعودون به في ذلك الزمن، وأنّ حالهم لا بد لها من تحويل لإفلاس العبادات، فما قام به قيصر روما من إبعاد للأسفار المقدسة وما تعلق بالنبوءات، وتركه لما له علاقة بالأوثان من فن ضمّه في محراب "أبولون" إله الفنون.

فجاءت الدعوة المسيحية على يد المسيح في وقتها وأوانها، ولم تتأخر ولم تتقدم، فجاء الرجاء ليصلح البلاء، تلك هي دعوة المسيح التي ساقها الغيب وترقّبها العالم الذي سيقته إليه، ولقيت هذه الدعوة أشد ما يلقاه دين من مقاومة، لكن المسيح قبل الدعوة وهو يعلم أنّها أخطر الدعوات، لأنها تدعو إلى الإخاء واقتلاع جذور البغضاء، وداعيا إلى السلام و إلى تحطيم سلاح

الأقوياء ؛ مدركا أن اقتلاع جذور البعضاء ليس بالأمر الهين لهذا كان يقول المسيح : (( جئت لألقي نارا على الأرض .فماذا أريد لو اضطرمت ))<sup>(1)</sup> ، وكان يسأل سامعيه :  
(( أتخسونني أتيت لأمنح الأرض سلاما؟، ثم يبادر فيقول: كلاً!.. وإنما هو الصدام والإنقسام، خمسة في البيت ينقسم ثلاثة منهم على إثنين، وإثنان على ثلاثة: ينقسم الأب على ابنه والإبن على أبيه، وتنقسم البنت على أمها، وتنقسم الحماة على الكنة والكنة على الحماة ))<sup>(2)</sup>. وجاء في سفر "ميخا" كلاما كهذا : ((وليس مستقيم بين الناس ، جميعهم يكمنون للدماء يصطادون بعضهم بعضا بشبكة ، اليدان إلى الشرّ مجتهدتان، ...لاتأمنوا صاحباً، لا تثقوا بصديق. احفظ أبواب فمك عن المضطجعة في حضنك ، لأنّ الإبن مستهين بالأب ، والبنت قائمة على أمها ، والكنة على حماها وأعداء الإنسان أهل بيته))<sup>(3)</sup>.

وكانت لغة دعوته إلى السلم و المحبة التي لم يكن الشعب ينتظرها، بل كان يتربص الدعوة إلى الصراع المسلح وإعلان الجهاد، ولم يطلب من الناس العمل والكفاح بل رجاهم في الصبر وإن كان فيه قسوة النفس<sup>(4)</sup>. ولم يكن المسيح في دعوته متعصبا لجنسه وعرقه وقومه بل كان يدعو إلى العدل والسلام، ويتحدث عن التوكل والصبر، ولم يلمح يوما إلى ترويج فكرة قرب انتصار شعب الله المختار ، فكان يستوي في نظره الرجل الروماني المؤمن والمرأة الكنعانية المخلصة، باليهودي الذي يأتي مصدقا بكلامه ؛ فكلاهما سواء عنده.

وهو يرى أن الفضائل الشخصية وحدها تدخل في الحساب، ولا مجال للتمييز الإجتماعي، وأن العبيد الأرقاء والفلاحين سواسية مع الشيوخ والأمباطور نفسه، وأنّ الناس إخوة ويجب أن يحب بعضهم بعضا، وأن يعفوا عن الذنب ويقابلوا السيئة بالحسنة، وأنّ الذين يتكيفون مع القواعد الأخلاقية التي هي أعلى من الناموس نفسه، ستكون لهم الحياة الأبدية<sup>(5)</sup>.

ويسجل لنا التاريخ أنّ اليهود راحوا يجرجون المسيح بأسئلتهم له خوفا من انعكاسات دعوته على عامتهم، فرموه بالتمرد والعصيان وأنّه مثير للفتن كي لا تنكشف عيوب طبقة رجال الدين

<sup>1</sup> - إنجيل لوقا 12 : 49.

<sup>2</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 12 : 51- 53.

<sup>3</sup> - سفر ميخا 7 : 2- 6 .

<sup>4</sup> - شارل جنبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص31 عن كتاب: E. Aegerter, les grandes religions. Pp. 99 /100.

<sup>5</sup> - الموسوعة التاريخية الحديثة (تاريخ العصر الوسيط في أوربة) تعريب : نور الدين حاطوم، دار الفكر الحديث، لبنان، 1967م، ص 63.

أمام الطبقات الدنيا من الناس ، خصوصا لما تعضدت دعوته بمعجزات إلهية جلبت الإنتباه إلى رسالته، فاتَّهمه اليهود بالسحر والتعامل مع الشيطان ، وتوسَّطوا لدى السلطان الروماني كي يجعل حدا للمسيح بتهمة الإخلال بالنظام العام<sup>(1)</sup>، فأصدر الحاكم " بيلاطس " أمرا بالقبض عليه ، ومن ثمَّ محاكمته بحسب روايات الأناجيل التي حاولت تبرير ذمَّة الرومان وإلقاء تبعه جريمة الصلب على اليهود رغبة في عدم إثارة السلطات الرومانية. ولم تعبر الأناجيل اهتماما كبيرا لسيرة المسيح إلا في فترة موته التي جعلت نهايته ارتضاها كئمن لإحياء وتخليص البشرية من إرث الخطيئة، فتوسَّعت في سرد الروايات التي تتحدث عن تعذيبه وصلبه مبيّنة أن المسيح جاء لإتمام رسالته الإلهية على الصليب الذي كان ينتظره فيها ((ونظرا للغموض الذي اكتنف المسيحية وشمل شخص المسيح من خلال نصوص المنظومة اللاهوتية المسيحية أدى ببعض الباحثين في تاريخ الديانات إلى إنكار وجود شخصية المسيح أصلا، غير مدركين أن الحركة المسيحية التي نشأت بأرض فلسطين لها دلالة قوية على وجود عيسى ضمن التاريخ البشري، وأنه تنسب إليه أقوال وأحاديث وتعاليم مدونة في وثائق لا تخلو من صعوبة تحقيقها في إطار ميزان التوثيق ، وأن البحث الموضوعي لتاريخ نصوص العهد الجديد يكشف أنّها ليست لعيسى وإمّا هي شهادات لأناس لهم اعتقادات حول حياة هذا النبي وقد مرّ عليها قرابة الثلاثين سنة من انتهاء دعوته على وجه الأرض))<sup>(2)</sup>.

وقد صحت نبوة السيد المسيح في قومه، غير أن منهم من ناصبه العداء لأنّه بسط الدعوة إلى الإخاء، وكان يؤثر قومه بالخير، ولما ظهرت الدعوة المسيحية كان على السالك أن يختار وجهته ، فليس في مقدوره أن يعبد ربين ، وأن يدين بالخدمة والإخلاص لسيدّين، وقد قال المسيح: (( الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس... تأملوا الزنابق كيف تنمو. ولا تتعب ولا تغزل، ولكن أقول لكم إنّه ولا سليمان في كلّ مجده كان يلبس كواحدة منها، فان كان العشب الذي يوجد اليوم في الحقل ويُطرح غدا في التّور يُلبسه الله هكذا فكم بالحريّ يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان))<sup>(3)</sup>. وقال: (( لكي أقول لكم أيّها السّامعون، أحبّوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا لأعينكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ، من ضربك على خدّك فاعرض له الآخر أيضا ، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضا، وكلّ من سألك فأعطه. ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه ، وكما

<sup>1</sup> - كارل ياسبريس: المرجع السابق، ص 210.

<sup>2</sup> - شارل جنبير: المصدر السابق ، ص 45.

<sup>3</sup> - إنجيل لوقا 12: 23-28.

تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضا بهم هكذا، وإن أحببتم الذين يحبونكم فأبى فضل لكم. فإن الخطاة أيضا يحبون الذين يحبونهم، وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأبى فضل لكم. فإن الخطاة أيضا يفعلون هكذا. وإن أقرضوا أن تستردوا منهم فأبى فضل لكم ، فإن الخطاة أيضا يقرضون الخطاة لكي يستردوا منهم المثل ، بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئا فيكون أجركم عظيما<sup>(1)</sup>. ولقد كان المستمعون للمسيح من تلاميذ وأتباع يعجبون منه لأمرين؛ ترحيبه بالأطفال الصغار ، وخطابه للمنبوذيين المحتقرين، فانتهرهم حين رأهم يبعدون عنه أطفال القرى ، وقال لهم: ((دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم .. لأن مثل هؤلاء ملكوت الله ، الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولدٍ فلن يدخله))<sup>(2)</sup>. وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرارا ويحتقرون الآخرين المشهورين بالذنوب: (( أئبى لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشار، أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه، وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء ، بل قرع صدره قائلا: اللهم ارحمني أنا الخاطيء، أقول لكم إن هذا نزل إلى بيته مبررا دون ذلك))<sup>(3)</sup>. وتكررت هذه الأمثلة فتكرر معها المعجبون بالمسيح فآمنوا به وأحبوه؛ ومنهم من كفر به، فكانت الدعوة الجديدة ككل دعوة جديدة مريبة مناقضة لما حولها، ولكنها تنفض عنها كل غرائبها ونقائضها من خلال مواضع المسيح.<sup>(4)</sup>

### ج- شريعة المسيح:

امتدت دعوة المسيح ثلاث سنوات ،وهي فترة قصيرة لكنّها كانت كافية، لأن "يوحنا المعمدان" كان قد جاء من قبل يدعو الناس إلى ما دعى إليه المسيح فيما بعد ، فالمعمدان المغتسل الناسك العابد كان صارما لا يجابي ولا يتردد، ينذر كثيرا ويبشر قليلا، ويضع الفأس على أصل الشجرة ،ولد لشيخين كبيرين بعد يأس ، كلاهما من سلالة الكهانة أبناء هارون: وهما زكريا وإليصابات ،ليولد لهما ولد حصور لا إربة له في النساء حيث نشأ منذورا للبتولة<sup>(5)</sup>. مما دفع بالكنيسة

<sup>1</sup> - انجيل لوقا 6: 27 - 35.

<sup>2</sup> - إنجيل مرقس 10: 14 - 16.

<sup>3</sup> - إنجيل لوقا 18: 11 - 14.

<sup>4</sup> - ينظر: ميشال الحايك: المرجع السابق ، ص 138 وما بعدها ،في عرضه لمواضع المسيح من خلال النصوص الإسلامية.

<sup>5</sup> - أورد إنجيل لوقا 1: 5 - 25، شرحا لقصة يحيى المولود لشيخين: الأب زكريا والأم إليصابات، وكيف بشر الله زكريا بهذا المولود.

كما ذكرت قصة زكريا في سورة آل عمران ، وفي سورة مريم من القرآن الكريم .

الشرقية إلى جعل يوم السادس من شهر يناير (جانفي) كيوم تم فيه تعميد المسيح، وهذا اليوم كان عيد الإله "ديونيسيس" عند اليونان، وهو عيد "أوزيريس" عند المصريين.

كما يحتفل المسيحيون بيوم الخامس والعشرين من شهر مارس كيوم لآلام المسيح قبل الصلب وهونفسه يوم آلام الإله الروماني "أتيس" إله الرعاة المولود من (نانا) العذراء بغير ملامسة بشرية، واسم العذراء مريم كان يأتي بصيغه المختلفة، كاسم مختار لأمهات كثير من الآلهة والقديسين مثل: أدونيس ابن ميرة، وهرمز ابن مايا، وفيروس ابن مريانا، وبوذا ابن مايا، وكرشنا ابن مارتالا، وهكذا بحيث يظن أن هذا الاسم شائع لا يدل على ذات معينة. ، وما تلك الصور للعذراء الحاملة لابنها في الكنائس هي محاكاة لتمثيل ( إيزيس ) ، وهي تحمل إبنها ( حورس )<sup>(1)</sup>.

وفكرة ميلاد آلهة وأبطال من أمهات عذراء كانت موجودة قبل ظهور المسيح ، فقد اعتقد الفرس أن ( زرادشت ) ولد من أم عذراء واعتقد الرومان أن ( أتيس ) كذلك ولد من عذراء حاله كحال الإله (رع) عند المصريين.

## مطلب 2: أمثولات المسيح:

**الأمثولات:** وبرزت حكمة تعاليم الديانة المسيحية من خلال الأمثولات الواردة في الأناجيل في أسلوب بياني يرمي إلى مغزى سام يهدف إلى غاية دينية ، ومن هذه الأمثولات<sup>(2)</sup>:

- **البيت المبني على الرمل ينهار في حين أن البيت المبني على الصخر يصمد**، وهو أشبه بالرجل الذي يسمع كلام المسيح ويعمل به وبالرجل الذي لا يعمل بما قاله المسيح<sup>(3)</sup>.

- **ضيف الزفاف الذي لا يصوم حين الوليمة**، وأنّ أهل العريس لا ينوحون لما يكون العريس معهم<sup>(4)</sup>.

- **الرقعة الجديدة على الخرق القديم** فلا توضع رقعة ثياب جديدة على ثوب عتيق<sup>(5)</sup>.

- **الخمرة الجديدة في الزقاق العتيقة**<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: الله. جل جلاله ، ص 153.

<sup>2</sup> - حول الأمثولات في الأناجيل ينظر: جوزيف كاير: حكمة الأديان الحية ، ص 57 ومايليها. وحول الأمثولات في انجيل متى ينظر:

Jean-Claud Barreau: L,aujourd'hui des évangiles; aux éditions du seuil; paris 1970 ,(les paraboles dans L,évangile de Matthieu) pp105\_110.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 7: 24-27، وإنجيل لوقا 6: 46-49.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 9: 14-18، وإنجيل مرقس 2: 18-20، وإنجيل لوقا 5: 33-35.

<sup>5</sup> - إنجيل متى 9: 16، وإنجيل مرقس 2: 21 ، وإنجيل لوقا 9: 16.

– الأولاد الجالسون في الأسواق : ((ينادون إلى أصحابهم ويقولون زمّنا لكم فلم ترقصوا، نحنّا لكم فلم تلمطوا، لأنّه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فيقولون فيه شيطان جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فيقولون هو ذا إنسان أكل وشرب خمراً، محبّ للعشارين والخطاة))<sup>(2)</sup>.

– أمثولة الزارع: الذي خرج ليزرع فسقط بعض منه على الطريق فجاءت الطيور وأكلته، وسقط بعضه على أماكن محجرة فنبت بسرعة لأن ليس له عمق أحرقته الشمس لما نبت، وبعضه سقط على شوكة فخنقه الشوك لما نبت، وسقط بعضه على أرض خصبة فأعطى ثمراً<sup>(3)</sup>.

– الزوان والحنطة: حيث يشبه ملكوت السماوات بإنسان زرع ثماراً جيدة في حقل له، وفي غفلة منه جاء عدوّ وزرع له وسط ثماره زواناً في وسط الحنطة، فلما أثمر الحقل ظهر الزوان حيث تركه ينمو مع الحنطة إلى غاية الحصاد فجمعه لوحده وأحرقه ولم يقلعه مع الحنطة كي لا يلحق بها ضرراً<sup>(4)</sup>.

– أمثولة حبة الخردل: وهي أصغر البذور زرعها صاحبها لتصبح بعد ذلك شجرة كبيرة تفوق الكل وتأوى إليها الطيور، فهذه الحبة بمثابة ملكوت السماوات<sup>(5)</sup>.

– أمثولة الخميرة التي أخذتها امرأة وخبّتها في ثلاثة أكياس دقيق حتى اختمر الجميع، هكذا يشبه ملكوت السماوات<sup>(6)</sup>.

– الكنز المخفي: الذي يشبه ملكوت الله هو كنز مخفي في حقل وجدّه إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى وباع كلّ ما كان له واشترى ذلك الحقل<sup>(7)</sup>.

– اللؤلؤة كثيرة الثمن: وهي التي وجدها التاجر فباع كلّ ما يملك واشتراها<sup>(8)</sup>.

– أمثولة الشبكة: وهي التي نصبت وجمعت كل شيء فجاء أصحابها وقاموا بتنقيتها وطرح الرديء الموجود بها خارجاً وأبقوا على الجيد فقط وهكذا يخرج الملائكة في انقضاء العالم ويفرزون الأشرار من بين الأخيار<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> – إنجيل متى 9: 17، وإنجيل مرقس 2: 22، وإنجيل لوقا 5: 37.

<sup>2</sup> – إنجيل متى 11: 16-19، وإنجيل لوقا 7: 31-35.

<sup>3</sup> – إنجيل متى 13: 3-8، وإنجيل مرقس 4: 2-8، وإنجيل لوقا 8: 64.

<sup>4</sup> – إنجيل متى 13: 24-30.

<sup>5</sup> – إنجيل متى 13: 31-32، وإنجيل مرقس 4: 3-22، وإنجيل لوقا 8: 11-18.

<sup>6</sup> – إنجيل متى 13: 33.

<sup>7</sup> – إنجيل متى 13: 44.

<sup>8</sup> – متى 13: 45-46.

– الشاة المفقودة: ((وَأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَاءَ لِيَخْلُصَ مَا قَدْ هَلَكَ، ماذا تظنون. إن كان لإنسان مئة خروف وضلّ واحدٌ منها أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب يطلب الضالَّ، وإن اتَّفَقَ أن يجده فالحقُّ أقول لكم إنّه يفرح به أكثر من التسعة والتسعين التي لم تضلَّ))<sup>(2)</sup>.

– العبد غير العادل: وهو ذلك الإنسان الملك الذي أراد أن يحاسب عبيده فلما وجد أحدهم له دين كبير امره ببيعه وأسرته جميعا ، لكنه تحنن عليه وتركه وحاسب عبد مدين بالسجن لأجل مئة دينار<sup>(3)</sup>.

– الفعلة في الكرم: ويشبهه هذا المثل برجل اتفق مع الخدام أن يقبضوا دينارا مقابل العمل واستقدم أولون ثم آخرون وسط النهار ثم آخرون في المساء وسوى بينهم في الأجر فتذمر الذين جاءوا في حرّ النهار كيف يأخذون نفس المقابل<sup>(4)</sup>؟

– اختبار الأعمال: وفي هذا المثل يشبه بالرجل الذي له إبنان حيث طلب من الأول أن يذهب يتعهّد الكرم، فقال لا أريد، ولكنّ ندم وفعل ما أمره أبوه ، والثاني قال: ها أنا ولم يمض، فكَذلك فاعلي الإثم سيفوزون بملكوت الله لأنهم تابوا أما الذين عرفوا الحقّ ولم يقبلوه فهم الخاسرون.<sup>(5)</sup>

– الكرامون الغادرون ( المتاجر الغادر ): وقصة هذا المثل أنّ رجلا له حقل الكرم سلّمه لكّرامين ولّما حان القطف أرسل عبيده ، فقتل الكّرامون بعض العبيد وجلدوا آخرين، فأرسل لهم عبيدا آخرين فكان نفس مصير الأولين فأرسل ابنه فقتلوه ليأخذوا ميراثه من أبيه ، فقال المسيح بعد هذا المثل : (( الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية .. لذلك أقول لكم إنّ ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره))<sup>(6)</sup>.

– زواج ابن الملك: حيث صنع الملك عرسا لإبنه وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا فأرسل عبيدا آخرين فلم يأتي أحد فغضب الملك وأرسل جنوده ليحرق أهل المدينة وأمرهم أن يقبضوا على كل فرد في مفترق الطريق ويقودونه إلى العرس ، ففعلوا حتى امتلأ ، وجاء الملك

<sup>1</sup> – إنجيل متى 13 : 47- 48.

<sup>2</sup> – إنجيل متى 18 : 11- 13، إنجيل لوقا 15 : 3- 7.

<sup>3</sup> – إنجيل متى 18 : 23- 25.

<sup>4</sup> – إنجيل متى 20 : 1- 16.

<sup>5</sup> – إنجيل متى 21 : 28- 32.

<sup>6</sup> – إنجيل متى 21 : 33- 45، إنجيل مرقس 12 : 1- 11، وإنجيل لوقا 20 : 9- 18.

فرأى رجلا غير لابس لباس العرس فأمر أن يطرح خارجا في الظلمة، ((هناك يكون البكاء وصرير الإنسان، لأن كثيرين يُدعون، وقليلين يُنتخبون))<sup>(1)</sup>.

- العذارى العشر: وكان العذارى في عشر منهن خمس حكيما اتخذن مصابيحهن ومعهن الزيت كزاد أما الخمسة الجاهلات فلم يأخذن معهن زيتا خرجن كلهن للقاء العريس في الليل، فبقي الجاهلات خارج المنزل ولم يفتح لهن الباب<sup>(2)</sup>.

- صاحب الوزنات: وهذا المثل ضربه المسيح في سيّد مسافر أعطى عبيده مالا فاعطى أحدهم خمس وزنات فتاجر فيها فكسب خمسا اخرى وأعطى آخر وزنيتين ففعل مثل الأول وأعطى ثالثا وزنة فظمرها في الأرض لأنه كان يظن بسيدة أنه يحصد من غير أن يزرع ويجمع من حيث لا يبذر ، فلما عاد السيد من سفره وبّخ صاحب الوزنة لأنه عبد بطّال يستحق أن يطرح خارجا إلى الظلمة<sup>(3)</sup>.

- الدينونة الأخيرة: حيث يجتمع أمامه جميع الشعوب ويميّزهم كما يميّز الرّاعي الخراف من الجداء<sup>(4)</sup>

- أولئك الذين يحتاجون الطيب: وهو قول المسيح لمن لاموه على الجلوس مع العشّارين والخطاة من قبل الكتبة والفريسيين، فقال: ((لا يحتاج الأصحاء إلى طيب بل المرضى. لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة))<sup>(5)</sup>.

- البذرة النامية: وهو أن الإنسان يلقي بذورا، وينام و يقوم ليلا ونهارا والبذر يطلع وينمو حتى يصير سنبلًا، ثم قمحا ملآن في السنبل، فيرسل الإنسان منجلا فيحصده لأنّ الحصاد قد حضر<sup>(6)</sup>.

- المدينان: وهي قصة امرأة ارتكبت خطأ جات بقارورة طيب تطلب التوبة وتبكي عند قدمي المسيح وتمسح رجله بدموعها ، فقال المسيح لفريسي اسمه سمعان أنه كان لمداين مدينان أحدهما بخمسمائة دينار والآخر بخمسين ، وسأحمها على الدّين ، فأيّهما يكون أكثر حبّ له؟ سؤال سأله المسيح - فقال سمعان: الذي له أكثر دين . فقال المسيح له : دَخَلْتُ بَيْتَكَ ولم تأتني بماء، والمرأة

<sup>1</sup> - إنجيل متى 22: 14-2.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 25: 1-13.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 25: 14-20، وإنجيل لوقا 19: 12-28.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 25: 31-46.

<sup>5</sup> - إنجيل مرقس 2: 17-18.

<sup>6</sup> - إنجيل مرقس 4: 26-29.

غسلت رجلاي بدموعها ومسحتهما بشعرها ، فهي قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأَنَّها أَحَبَّت كثيرا<sup>(1)</sup>.  
- **السامريّ الصالح**: وهذا المثل ضربه المسيح لناموسي جاء يجربه سائلا إِيّاه كيف يعمل ليرث الحياة البدية فقال له المسيح عليك بما هو مكتوب في الناموس. ثم سأله أيّ النَّاس يكون قريبا مِنِّي ؟ فقال له هذا المثل : رجلا وقع بين يد لصوص أثناء أخذه طريقا فأشبعوه ضربا وعزّوه وجرحوه ومضوا وتركوه، ومَرَّ به كاهن وراه وجاز مقابله، وكذلك جاز أمامه لاوي ولم يفعل شيئا، ولما جاز أمامه سامري تقدّم منه وضمّد جراحه ونقله إلى فندق واعتنى به وسأل المسيح: أيّ الثلاثة ترى صار قريبا للذي وقع بين اللصوص؟ فقال الذي صنع معه الرّحمة<sup>(2)</sup>.

- **أصدقاء في منتصف الليل**: وهذا المثل كالذي له صديق جاء يقترض أغرفة لصديق له جاء مسافرا ، فقال له الصديق لاتزعجني ، الباب مغلق والأولاد في الفراش قائلا لأقدر أن أقوم وأعطيك ، ولكن للجاجة صديقه يقوم ويعطيه ، وأنا أقول لكم: يقول المسيح: اسألوا تعطوا ، أطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم لأنّ من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له<sup>(3)</sup>.

- **الغني الغبي**: وهو ذلك الرجل الذي فكّر في هدم مخازنه ليبنى مخزنا عظيما يجمع فيه غلّة أرضه ليدخرها لسنين طويلة. (( فقال له الله يا غبيّ هذه الليلة تُطلب نفسك منك. فهذه التي أعددتها لمن تكون؟ هكذا الذي يكثر لنفسه وليس هو غنيا لله<sup>(4)</sup>)).

- **شجرة التين العقيمة**: وهي شجرة أحجمت عن الإثمار مدّة ثلاث سنين فأمر بقطعها فقال له الكرام: (( أتركها هذه السنة وأضع حولها زبلا فإن صنعت ثمرا وإلاّ ففيما بعد تقطعها<sup>(5)</sup>)).

- **العشاء العظيم**: وقصة ذلك أنّ رجلا دعى النَّاس إلى عشاء، فاعتذروا له بمشاغل تشغلهم عن الجيئ ، فأمر بأن يؤتى بالمساكين والجُدّع والعرج والعمي ، ثم أمر بالعنف أن يؤتى بالنّاس قائلا: ((لأنّّه ليس واحد من أولئك الرّجال المدعوين يذوق عشاءي<sup>(6)</sup>)).

- **قتال الملك المتهور**: وقصة ذلك أنه لا يوجد ملك يخرج للحرب ولا يتشاور هل يستطيع أن يلاقي الملك الآخر بعشرة آلاف والآخر يأتي عليه بعشرين ألفا<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - إنجيل لوقا 7: 36-50.

<sup>2</sup> - إنجيل لوقا 10: 25-37.

<sup>3</sup> - إنجيل لوقا 11: 5-13.

<sup>4</sup> - إنجيل لوقا 12: 16-21.

<sup>5</sup> - إنجيل لوقا 13: 6-9.

<sup>6</sup> - إنجيل لوقا 14: 16-24.

-**الدرهم الضائع**: وقصة هذا المثل أن امرأة لها عشرة دراهم وضاع منها درهما ليلًا ((فهي توقد سراجًا وتكنس البيت لتفتش عنه .. هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطيء واحد يتوب))<sup>(2)</sup>.

-**الإبن الضال**: حيث كان لرجل إبنان فطلب الصغير حصته من أبيه فأعطاه إياها فسافر إلى كورة بعيدة وهناك بذّر ماله وأصبح يرعى الخنازير ومنع حتى من أكل طعام الخنازير فرجع إلى أبيه يطلب الصفح فقبل الأب توبته وفرح به ، غير أن الإبن الكبير لم يستقبل أخاه وراح يلوم أباه على الإستقبال لأخيه الذي بذّر ماله فقال له الأب: (( يا إبنى أنت معي في كلّ حين وكلّ مالي فهو لك، ولكن كان ينبغي أن نفرح ونُسّر لأنّ أخاك كان ميّتا فعاش وكان ضالاً فوجد ))<sup>(3)</sup>.

- **الغنيّ والعازر**: كان غنيّ يلبس الأرجوان ولعازر طريح الفراش مضروبا بالقروح ، يشتهي أن يشبع من فُتاة الغنيّ ، ((ومات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم ، و مات الغنيّ فرفع عينه في الهاوية وهو في العذاب وطلب من إبراهيم أن يرسل إليه بلعازر ليبلّ أصبعه بماء ويبرّد له لسانه ، فقال له ابراهيم قد استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا والآن هو يتعزّى وأنت تتعدّب))<sup>(4)</sup>.

- **الرجلان اللذان صليّا**: وتدور قصة المثل حول التواضع والثقة بالنفس حيث أن رجلا صعدا على الهيكل ليصليا واحد فرّيسي والآخر عشّار، أمّا الفرّيسي فوقف يصلي في نفسه شاكرًا الله على أنه خير من الخطاة والعشّارين وإنّه يصوم مرّتين في الأسبوع . وأمّا العشّار فوقف طالبا الرّحمة خافضا عينيه لم يشأ أن يرفعهما إلى السماء فقال المسيح : (( لأنّ كلّ من يرفع نفسه يتّضع ومن يضع نفسه يرتفع))<sup>(5)</sup>.

كانت شخصيات هذه الأمثولات تنبض بالحياة بتفاصيلها الكثيرة وأكثرها مقارنات، وفيها استعارات تشير إلى العبرة وكيفية معالجة الأمور الجديدة والقديمة، النفاق والإخلاص، وكذلك

<sup>1</sup> - إنجيل لوقا 14: 31-33.

<sup>2</sup> - إنجيل لوقا 15: 8-10.

<sup>3</sup> - إنجيل لوقا 15: 11-32.

<sup>4</sup> - لوقا 16: 19-31.

<sup>5</sup> - لوقا 18: 10-14.

التمثيل على عظمة الرحمة والتضحية، وزخرت وحفلت الأناجيل إلى جانب الأمثولات بكثير من المأثورات الطيبة عددها (جوزيف كاير) بـ164 مأثورة<sup>(1)</sup>.

### مطلب 3: طقوس المسيح والمسيحية:

#### أ- العشاء الرباني:

والعشاء الرباني كان معروفا في العبادة المثرية عرفها المسيحيون عن هذه الديانة، حيث كان الخبز يصنع على شكل الصليب، وقصة تحويل الماء خمرا كان معروفا أيضا في عبادة (ديونيس) إله الخمر وإله الشمس الذي يحب الحيوانات المقدسة مثل الحمل والحمار، فجاء خلط بين المسيح و"ديونيس" في ركوب الأتان وتحويل الماء خمرا. وما ذهب إليه المسيحيون من الاحتفال بالأعياد الوثنية وتمجيدها لاعتقاد آباء الكنائس أن إكرام المسيح فيها أجدر من إكرام الشمس والكواكب وسائر الأرباب الوثنية، وتمجيد المسيح بديلا من تمجيد الأوثان، وعلى هذه العادة خصصوا يوم الأحد للعبادة، لأنه كان يوم "الشمس" في ديانة عبدها الأقدمون. فالعشاء الرباني من الشعائر المسيحية التي يجب القيام بها ولا يصح التخلي عنه، لأنه من الفرائض المقدسة التي وضعها المسيح، وهو بمثابة أعمال حسية تشير إلى بركات روحية<sup>(2)</sup>.

وعن فكرة المسيح المرتقب الواردة في قصة العشاء الرباني إذ جاء في نصوص سفر "أعمال الرسل" توحى بأنها نصوص كتبها شخص ذا أصل يوناني، أو شخص متشبع بالثقافة اليونانية ولا علاقة له بتعاليم المسيح فجاء في هذا السفر: (( يسوع هذا أقامه الله ونحن شهداء لذلك... وهو نفسه يقول قال الرب لربي أجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك، فليعلم يقينا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربنا ومسيحا))<sup>(3)</sup>.

وما تعلق بجوانب حياة المسيح في الروايات الإنجيلية هي نوع من الإنشاءات التي لا تنسجم عناصرها، وهي عبارة عن حكايات قديمة تعود إلى العالم الشرقي في الغالب وأساس رواياتها احتمالات على الأرجح، فتحكي عن ميلاد المسيح بأن شعاعا سماويا هبط على العذراء فحملت بالمسيح الذي وضعته بالمدود عند الولادة أيام الإحصاء، حيث جاء في إنجيل متى أن يوسف النجار

<sup>1</sup> - ينظر: حكمة الأديان الحية، من ص 75 إلى ص 85.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص 139.

<sup>3</sup> - ينظر: أعمال الرسل 2: 32 - 36.

رأى في المنام أنّ هيرودس سيقتل كلّ طفل يولد في بيت لحم لذلك العام، عام الإحصاء<sup>(1)</sup>، مع أن هيرود مات في السنّة الرابعة قبل الميلاد<sup>(2)</sup>.

وتحكى عن دعوته التي قاوم فيها عن أصناف الضغط الاجتماعي الذي مارسه سلطة الهيكل من خلال فرقها السياسية والدينية من أتباع الفريسيين والكتبة والصدوقيين<sup>(3)</sup>.

وكان يتجنب الإصطدامات مع هؤلاء ملبيّيا الدعوى إلى موآئدهم ويتحدث إليهم ناصحا ومرشدا ضاربا لهم الأمثال، فكانت طبيعة رسالته تدعو إلى توحيد إسرائيل تحت راية التوحيد الخالص، معييا على الفرق الدينية إدعائها لنفسها التأهيل والقدرة على تفسير شريعة موسى - عليه السلام، منبّها لما يقوم بها رجال الهيكل من أكلهم السّحت وظلم الناس.

كما قام بطرد الصيارفة من الهيكل الذين يوفرون للحجيج النقود الخالية من الصّور البشرية حتى يتمكّنوا من أداء الضريبة للهيكل، وجابه التّجار الذين يعرضون على المؤمنين الحيوانات الصالحة للقربان.

فتوصيات المسيح تدل دلالة واضحة على رغبته في التخفيف من واجبات الشريعة اليهودية، ولم يدع أنّه جاء بشريعة جديدة باعتبار أنّه هو النّبي ابن الإنسان الذي ظلّ انتظاره آخر الزّمان وكان دينه هو دين موسى نفسه، كما كان يتصوره عمّة النّاس المعاصرين له، الذين وردت على ألسنتهم هذا الموقف: (( قائلين يا معلّم نعلم أنّك صادق وتعلّم طريق الله بالحقّ ولا تبالي بأحد لأنّك لا تنظر إلى وجوه النّاس))<sup>(4)</sup>، مما أدت هذه المواقف والسلوكيات من المسيح إلى التعجيل بنهايته ونهاية دعوته وتكالب الأعداء عليه وعلى أصحابه من بعده.

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد : عبقرية المسيح، ص 154. ويعلّق على قصة الميلاد أيام الإحصاء، بأنها رواية مستهدفة للملاحظة من عدة جهات:

- لم يعرف أن السلطة الرومانية كلّفت النّاس بالسفر من بلادهم إلى البلاد التي عاش فيها أجدادهم ليكتبوا أسماءهم هناك.

- لم يتم فيها الاتفاق على المكان والزّمان الذي ولد فيه المسيح، فمن قائل أنه ولد في الناصرة، أو في بيت لحم، والقائلين بميلاده

= ببيت لحم لتأييد النبوة التي تنبئ بظهور المسيح من نسل داود، وهو بيت لحم لا في الناصرة.

<sup>2</sup> - إنجيل متى: 2: 7-15، ويذكر عباس محمود العقاد: عبقرية المسيح، ص 154، أن يوسفوس المؤرخ اليهودي لم يذكر خبر هذه

المذبحة للأطفال بالرغم من عدّه لآثام هيرود.

<sup>3</sup> - أشارت الأناجيل إلى الصراع الذي واجهه المسيح مع الفرق الدينية اليهودية في كل من: - إنجيل متى 12: 46-50 حول من هم

اخوته وأمه؟ - ونفسه في إنجيل مرقس 3: 31-35، - وفي إنجيل لوقا 14: 26-28 أيضا.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 22: 16.

## ب- المسيح و الكنيسة:

تكاد تنعدم الأسانيد التاريخية التي تشير إلى أنّ المسيح أنشأ كنيسة<sup>(1)</sup>، فمن المعطيات التي تعضد هذا الرأي أن عيسى كان يهوديا خاضعا لشريعة قومه، فلم يكن ليعمل فكره في رسم خطوط إنشاء كنيسة، وأيضا كانت دعوته تتمثل في التبشير بالتوبة وبحلول ملكوت الله، وحتى أصحابه لم يفكروا في إنشاء كنيسة لاستمرار إخلاصهم للدين اليهودي، ولم يكن منهم قساوسة كما كان الحال بعد الجيلين الأولين من تاريخ المسيحية، وتكاد تخلو الأناجيل من التعبير عن الكنيسة، إلا في مناسبة واحدة نقرأ قول المسيح لبطرس: ((وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيسة، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه في الأرض يكون مربوطا في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السموات))<sup>(2)</sup>.

وهذا من شأنه أن ينفي كل فكرة تتعلق بالتنظيم الدنيوي الكنسي لأنّ المسيح كان يتربح حلول مملكة الله السماوية وليس الدنيوية، ولا يمكن الاعتماد على صحة هذا النص وأنّ المسيح أراد أن تكون له كنيسة، والمسيح نفسه في نص أشار إلى بطرس أنه سينكره ويتنكر بأنه يعرفه أمام الجنود الرومانيين ليلة القبض عليه<sup>(3)</sup>.

## ت- المسيح وطقوس التعميد:

عندما انفصلت المسيحية عن اليهودية في بداية القرن الثاني كانت المجتمعات الوثنية من الرومان واليونان تميل إلى الديانات الحافلة بالطقوس والاحتفالات، من مثل مراسم التعميد ذات الأصول اليهودية التي تنهاها المسيحيون فيما بعد، لإعتبار أنّ "نوحا" المولود الأول في خلق جديد، صورة للمسيح الذي حقق ما كان نوح قد رمز إليه، فنوح الذي أبحاه خشب الفلك، والماء الذي جعله يعوم من ناحية، وبين ماء العمادة من ناحية أخرى، ماء الطوفان الذي ولدت منه انسانية جديدة وخشب الصليب، لتظهر ثروة سر الطوفان الروحية التعليمية<sup>(4)</sup>، حيث تدور فكرة التعميد حول إتمام عملية التحوّل إلى المسيحية كعمل إيماني يكفي المعتمد أن يشهد بأنّ المصلوب هو المسيح

<sup>1</sup> - الموسوعة التاريخية الحديثة: تاريخ العصر الوسيط، تعريب: نور الدين حاطوم، ص 60. الكنيسة وتعني المجلس والجماعة أي الكنيسة المرئية، كما تعني مكان العبادة، لذا فهي تطلق على جماعة المؤمنين بالدين المسيحي الذي أنزله الله على المسيح عيسى بن مريم والكنيسة في الإصطلاح تعني: جسد المسيح الصوفي، أي الكنيسة غير المرئية والتي لا يمكن فهمها بالعقل البشري .

<sup>2</sup> - إنجيل متى 16: 18 - 19.

<sup>3</sup> - ينظر: إنجيل متى 26: 34 - 35.

<sup>4</sup> - موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص 48.

الذي وعد الله به أمته، وأنه مات من أجل خطاياها، وأن عودته قريبة بين الأحياء والأموات لينشئ مملكة الله حيث السعادة بعد أن تبعث أجسادهم ، فإذا ما كان هذا الإيمان ، أقيمت مراسم التعميد<sup>(1)</sup>.

وحول المعمودية وكيفيةها أنّ المسيحيين وعلى اختلاف فرقهم يتفقون على القول بماء المعمودية وصفة التعميد للدخول في دينهم أن يتمتع من يريد الدخول في الدين عن اللحم والخمر أيّاما ، ثم يتعلّم قواعد الإيمان ، ثم يغتسل في ماء يغمره ثلاث مرات ، وتأييلا لتلك الغطسات هو مدة مكوث المسيح في قبره ثلاثة أيام ، والخروج من الماء هو الخروج من القبر أو هي إشارة إلى التثليث، وبعدها يقوم الأسقف ويدعو للمتغسل بالبركة بعد خروجه من الماء ويضع يده على رأسه<sup>(2)</sup> ، وتطور هذا الإيمان لتضاف إليه إضافات تصوّرها بولس : كالإيمان بأن عيسى سبقت عناصره الروحية في الوجود عناصره الجسدية، فعيسى هو الروح أو هو إنسان سماوي، وعيسى هو صورة الله الخفية ، وهو أول الخلق وكل الكائنات خلقت به وفيه، وهو آدم الإنسانية جاء يحزرها من الخطايا بأن يموت ميتة الأثم المشينة، وبعثه وتمجيده هو انتصار على الموت، وأنّ عيسى هو إنسان ظاهريا، فهو لم يمتحن ولم يمت إلا في الظاهر. فكل هذه المحاولات في تصوّر بولس حول شخص المسيح هي محاولات الخروج بالمسيح من إطار إنسانيته وبشريته إلى تأليهه، وفتح باب واسع أمام الحركات الغنوصية لتأليف أطروحاتها من هذه التصورات، مقيمة لنظام سرّي يهدف إلى تعليم وتعريف الداخل والمنخرط في المسيحية حيث لا يصل إلى السر إلا في مرحلة متأخرة من التدريب على الطقوس الممهدة للتعميد، الذي يقام غالبا في ذكرى الأعياد الكبرى مثل: عيدي الفصح والقيامة<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - احسان حقي: منو سمرتي، كتاب الهندوس المقدس ، ص 53. حيث يقول احسان حقي : أنّ المعمودية في المسيحية يوجد ما يشابهها عند الهندوكية من تعليق " الجينو" وهو خيط يوضع في الفتق باحتفال خاص ولا يتم ايمان الرجل إلا به، ولا تمارس الأعمال الدينية ؛ إلا بعد وضعه في الفتق ، وهو يشبه النفاذ التي يبضعها اليهود في رقابهم للصلاة.

<sup>2</sup> - شهاب الدين (القرافي): الأجوبة الفاخرة ، ص 154، والرد على اعتقاد النصارى بأن ماء المعمودية مقدس فقد يكون نجسا فيقول:(ماء معموديتكم مقدس أو لا؟ فإن قلتم: مقدس. فمن قدسه؟ فإن قلتم الله قدسه فما الدليل عليه؟ فلعله نجس). المرجع نفسه، ص 155.

<sup>3</sup> - عيد الفصح: ويعرف أيضا بعيد الفطير، أنشئ في مصر تذكارا لحادث خلاص بني إسرائيل، ويبدأ في الرابع عشر من شهر نيسان ، يرمز بالفطير للدم المسفوك إلى الطهارة ، وأكل الأعشاب المرة إلى مرارة العبودية -أنظر: قاموس الكتاب المقدس: مجموعة من المؤلفين ، ص ص 678-679. وعيد القيامة: هو عيد كان يقيم فيه المسيحيون الأوّلون من أصل يهودي في اليوم الأول من الأسبوع العبادة وكسر الخبز ، كتعبير لقيامة المسيح التي تمّت يوم الأحد. - المرجع نفسه، ص 750.

ويكون التعميد بمثابة إبرام عقد بين المسيح وبين المؤمن به أو المرید، فيتم ربط الأواصر الخفية غسلا بالماء ثلاثا واللمس باليد الذي يصاحبه المسح بالزيت المقدس، مما حدا ببعض المسيحيين إلى الامتناع عن التعميد ولا يطلبونه إلا وهم على فراش الموت، حرصا منهم وحذرا من الارتباطات التي يتعهد المسيحي بالوفاء بها، والتي قد تؤدي به أحيانا إلى التهلكة خصوصا من جانب الطبقات الرفيعة من المسيحيين التي تعمل على التملص منه.

ولما انتقل الأمل المسيحي من فلسطين إلى أطراف العالم اليوناني وملاحقة اليهود لأتباع المسيح وطردهم من معابدهم، مع دخول الوثنيين واتفاقهم حول تمجيد المسيح، أطلقوا بداية على أنفسهم كلمة (إخوة) وتسمى بعضهم بالقدسين بمثابة إخوة المسيح، رغم تباعد ديارهم فهم أعضاء في كنيسة الله فهم الصفوة المختارة لدى الله.

### ث \_ الهيكلة الادارية للكنيسة:

تطابقت وحدات الكنيسة المسيحية مع وحدات الإدارة الإمبراطورية خصوصا في المعابد والكهنة حيث يوجد طبقتين من رجال الدين<sup>(1)</sup> :

(أ) - أولئك الذين يكلفون باشراف عام على ديانة الدولة. وتضم كبار رجال الدين والعرافون الذي كان واجبهم معرفة مشيئة الآلهة بشأن أي عمل تريد الدولة القيام به.

(ب) - كهنة الآلهة وهم الذين يوقدون شعلة جوبيتر ومارس وكويرينوس، وهمهم تقديم القرابين. وكانت الجماعات المسيحية متلاحمة مع بعضها في نسيج الأبراطورية الرومانية على هيئة اتحادات دينية، عملها خيري يتمثل في الحث على التقوى، وكان لكل جماعة مدير منتخب وصندوق مالي توضع فيه اشتراكات ويشرف عليه مندوب خاص. وحل محل الوظائف الإدارية من مثل: (بريسيتريوس) أي الشيخ، و(ايسكوبوس)، أي مشرف و(دياكونوس)، أي خادم، فتطورت معاني هذه الوظائف إلى: (قس وأسقف وشماس)<sup>(2)</sup>، وتسمى كرسي الأسقف (الكاتدرا)، وأطلق لفظ (كرسي بولس) ويعنون به سلطة أسقف روما التي تعينه الهيئتين: (البريسيتريوس، والدياكونوس)، وهما هيئتان يعملان على جمع المعلومات وتدعيم الأسقف<sup>(3)</sup>، وتعود نشأت الأولى إلى نظام محلي كان يعرف "بالسنهدين" في المعبد اليهودي ومجاله التربية الروحية، أما الهيئة الثانية فتقوم بالأعمال المادية

<sup>1</sup> - آ. بترى: مدخل إلى تاريخ الرومان وآدابهم وآثارهم، ص 96.

<sup>2</sup> - شارل جنبير: المسيحية نشأتها وتطورها، ص 134، ص 136.

<sup>3</sup> - شارل جنبير: المصدر نفسه، ص 141، وأنظر في هذه الصفحة حول وظائف الأسقف.

والإدارية ، وهكذا انتظمت الكنيسة بعدما كانت على هيئة مجتمعات مصغرة على غرار جماعات اليهود في بلاد الوثنية، فكان مطلع القرن الرابع هو عصر اعتراف المجتمع بهذه الهيكلة الكنسية. وفي منتصف القرن الرابع صارت للكراسي الرسولية الأربعة ، الزعامة في الكنيسة وهي:

كنيسة روما، والإسكندرية ، وانطاكية، والقسطنطينية على الرغم من ظهور منافسين في كنيسة بيت المقدس، وكنيسة ميلان ، وتضمّنت دعوى كنيسة روما أن المسيح نصّب القديس بطرس رئيساً للكنيسة ، وأن الباباوات ليسوا إلا خلفاء القديس بطرس، الذي عهد إلى القديس مرقس بإنشاء كنيسة الإسكندرية، مقرّ القديس " اثناسيوس " وحاضرة الفكر والثقافة في العالم الهلينستي<sup>(1)</sup>.

وجاء في "الموسوعة التاريخية الحديثة" أنّه مع الزمن تشكّل نظام التسلسل في السلطات الكنسية وأسّس حسب التقسيمات الإدارية في الأمبراطورية الرومانية: أسقف في المدينة، رئيس أساقفة في عاصمة كل إقليم، بطريك في أنطاكية والإسكندرية والقدس والقسطنطينية. وكان أسقف روما كغيره من الأساقفة، إلّا أنّه أخذ يتمتّع بسلطة تفوق سلطة الأساقفة الآخرين باعتباره خليفة القديس بطرس، وهكذا نشأت سلطة الباباوات، أساقفة روما.

وابتداء من القرن الرابع كانت الجامع المسكونية تضم الأساقفة الآتين من جميع البلاد المسيحية، و كان من حسنات هذا التنظيم أن قوى الكنيسة المسيحية وسهّل توسّعها في الأمبراطورية الرومانية<sup>(2)</sup>، حيث يقول "توينبي": ((إنّ المسيحية أخذت من الإمبراطورية الرومانية تنظيمها إلى حدّ أنّها أخضعت هذه الخلايا المحلية (الجماعات المحلية) إلى تدرج إداري كهنوتي على مستوى امبراطوري؛ وهذا الإنجاز التنظيمي كان فريداً من نوعه))<sup>(3)</sup>.

وينقل "عبد الغني عبود" عن "ول ديورانت" أنّه قبيل ظهور المسيحية ، كان الأباطرة قد بدءوا يجدون لهم مكاناً في الفكر الديني الروماني، ففي الإحتفالات الدينية، كان الأمبراطور الذي يرأس هذه الإحتفالات، هو الكاهن الأكبر لدين الدولة<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - السيد الباز العريني: تاريخ أوروبا (العصور الوسطى) ، ص 159.

<sup>2</sup> - الموسوعة التاريخية الحديثة : تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، ص 66-67.

<sup>3</sup> - أرنولد توينبي: تاريخ البشرية ، ج 1، ص 377.

<sup>4</sup> - المسيح والمسيحية والإسلام ، ص 35 عن ول ديورانت: قصة الحضارة ، (قصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) -ترجمة محمد بدران- الإدارة الثقافية، في جامعة الدول العربية - لجنة التأليف والترجمة والنشر، مج 3 ، ج 2 ، 1964م ، ص 353.

## ج- المسيح وعقيدة البنوة:

وسجل العهد الجديد سيرة المسيح وأبرز ملامح شخصيته المشتركة بين البشر المتصف بالصفات الإنسانية، على الرغم من وجود نصوص يشوبها كثير من الغموض حول أصل المسيح ومكان ولادته، وكيف قضى طفولته وشبابه وكهولته؟ وهل كان ينتمي إلى فرقة من الفرق اليهودية المعروفة آنذاك في عصره، ويرجح الكاتب "ميخائيل نعيمة" كالتسابه إلى الفرقة اليهودية المعروفة بالأسينيين والذين قد يطلق على هذه الفرقة أيضا اسم الغيورين لاشتهارها بالتغطيس والتعميد بماء نهر الأردن.

فالمسيح وفق النصوص السليمة لا تذكر أنه ابنا لله أو أن المسيح إدّعا ذلك ، وما ورد من نصوص في الأناجيل في شأن البنوة يعتبر ضربا من السّفه مثله القول بالصلب ، إذ لم يعتبر المسيح أن هذه القضية ضرورية لإتمام رسالته ، ولا يوجد شيء يدل على ذلك، بل أنّ نصوص الأناجيل تذكر صراحة أنّ المسيح لما يتكلّم عن نفسه يقول: أنا ابن الإنسان، أنا نور العالم، أنا خبز الحياة، أنا الطريق والحق والحياة، أنا القيامة والحياة، أنا الرّاعي الصّالح، أنا المعلّم والسّيد ، أنا الكرمة الحقيقية ، ولا يوجد نصّ ذكر فيه عيسى أنّ اسمه المسيح ، ما عدا ما فعله من مباركة بطرس لكلامه حين سمّاه بهذا اللّقب<sup>(1)</sup>.

ونسجل رأي "توينبي" في المسألة قوله: (( إنّ أقدم ما وصل إلينا من أخبار يسوع هي الأعمال التي دوّنها أتباعه المتحمّسون الذين كانوا قد قبلوا العقيدة بأنّ يسوع، مثل الفراعنة، لم يكن له أب إنسان، بل إنّه ولد لأمه من إله.. وبحسب ما ورد في الكتب المقدسة المسيحية فقد رفض يسوع نفسه فكرة الأوهية بالنسبة إليه في أيّ معنى كانت. وعلى الأقل في قولين له مدونين يرمي يسوع إلى القول بأنه لا يستوي مع الله في الهويّة. إلاّ أنّه يمكن أن يكون إلها بالمعنى الهندوكي، في كونه إنسانا قضى نحائيا على ذاته .. ولعلّه (أي المسيح) كان أسوة بغيره من أحبار اليهود، يدعوا نفسه " ابن الله" إلاّ أنّه من حيث التعبير اليهودي، تصبح بنوّته لله هذا تعبيرا مجازيا القصد منها التنويه بعلاقة ودّ وثقة خاصّة به))<sup>(2)</sup>. ومّا يدلّ على بشرية المسيح سلسلة التّسب المشار إليها في إنجيل متى:

<sup>1</sup> - مما يوحي بأنّ الأناجيل الحالية ليست هي إنجيل المسيح فلو كانت من الوحي لذكرت لقب عيسى بكثرة وهي الديانة التي تعرف باسمه المسيحية ، وقد ذكر القرآن لقب عيسى صراحة في أكثر من موضع باسم المسيح.

<sup>2</sup> - أرنولد توينبي: المرجع السابق ، ج1، ص 372.

((كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم))<sup>(1)</sup>، والإشارة إلى البلدة التي نشأ فيها، حيث قال متى: ((وُلِدَ يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيروُدس الملك))<sup>(2)</sup>. وما جاء في إنجيل لوقا: ((ولما تمَّت ثمانية أيام ليختنوا الصبيّ سُمِّيَ يسوع))<sup>(3)</sup>، وقوله على لسان المرأة التي أشادت بكلمات المسيح: ((وفيما هو يتكلّم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجميع وقالت له: طوبى للبطن الذي حملك والتّديين اللّذين رضعتهما))<sup>(4)</sup>.

لقد بدأ تأليه المسيح لما كان ثمة جماعة من المسيحيين يعتقدون بألوهية المسيح ولم يكن للمسيح أب، فقد حملت به أمه البشرية بروح الله، وبموجب ما جاء في الإنجيلين ، الأول والثالث ، وبموجب الإنجيل الرابع فالمسيح هو كلمة الله المتجسّدة ، لقد نصّ هذا الإنجيل على أنّ المسيح تحدث عن نفسه على أنّه ( ابن الله). ويمكن تفسير الإنجيل الثاني مجازا بحيث يفهم منه أنّ الله أعلن للمسيح أنّه اعتبره ابنه بالتبني. إلاّ أنّ الأناجيل الثلاثة الأخرى كانت تتضمن أنّ المسيح هو ابن الله بالمعنى الحرفي للكلمة: أي أنّ الأبوة كانت على نحو ما كانت عليه الحال بالنسبة للفراغنة من حيث اضعاء الأبوة الإلهية . وسواء أكان المسيح إلها في واحد من هذين المعنيين المحتملين أو الآخر، فالأمر الذي لا شبهة فيه هو أنّه كان بشرا سويا. وإذا كان ابن الله بالمعنى الحرفي، فهذه الحقيقة أثارت قضيتين:

الأولى : علاقة الإبن بالأب، والثانية: العلاقة بين الطبيعتين الإلهية والبشرية للإبن نفسه، كما أنّها أثارت قضية ثالثة هي منزلة أمّ المسيح مريم العذراء، فقد كانت بشرا، ولم تكن إلهة، فهل من الممكن أن يطلق عليها اسم ( أم الله )، (ثيوتوكوس) باعتبار الطبيعة الإلهية لإبنها<sup>(5)</sup> ؟ فاللاهوتيون المسيحيون الذين كانوا يتكلّمون ويكتبون باليونانية يتعاملون مع الكلمات كما لو كانت الكلمات حقائق .

ولقد وضع "جبران خليل جبران" كتابا كاملا في "يسوع ابن الإنسان" صدر سنة 1928م يتناول سيرة المسيح وتعاليمه، ويصف "يهودا الأسخريوطي" بصاحب المطامع الصغيرة ، الذي يخون صديقه ليحقق ما يطمح ؛ كما يمثل "قيافا" الرئيس الذي لا يتورع عن القتل ليحافظ على سلطته

<sup>1</sup> - إنجيل متى 1: 1.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 2: 1.

<sup>3</sup> - إنجيل لوقا 2: 21.

<sup>4</sup> - إنجيل لوقا 11: 27.

<sup>5</sup> - أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ج2، ص 59.

الدينية والدينيوية، فيما يرمز "ببيلاطس النبطي" إلى الحاكم الإنتهازي الضعيف<sup>(1)</sup>. ويصور المسيح بذلك الإنسان المتميز بعواطفه وأقواله وأفكاره وروحه، فيه ماضي الإنسان وحاضره ومستقبله، وحين الإنسان وأشواقه<sup>(2)</sup>، فيسوع جبران لم يكن إلها بل كان إنسانا مثلنا، فهو الرجل البسيط الوحيد الذي جاء بغير الجيوش والسفن، ليؤلف مملكة في القلب وامبراطورية في حرية فضاء النفس.. هذا الرجل الذي لم يكن محاربا ولكنه جاء بقوة الأثير القدير<sup>(3)</sup>. فيقول "جبران خليل جبران" على لسان أحد الشخصيات التي تصوّرها في كتابه "يسوع ابن الإنسان": (( في عقيدتي أنّه لا اليهود ولا الرومانيون فهموا يسوع، حتى ولا تلاميذه أنفسهم الذين ييشرون اليوم باسمه، فالرومانيون قتلوه، وهذه كانت زلّة لهم. والجليليون أحبّوا أن يصنعوا منه إلها، وهذه كانت غلطة لهم ))<sup>(4)</sup>.

ومن النصوص الدالة على بشرية المسيح، ما جاء في إنجيل لوقا: (( وكان الصبيّ ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة ))<sup>(5)</sup>، وقوله: (( وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والتّعمة عند الله والنّاس ))<sup>(6)</sup>.

## ح\_ المسيحية الحالية :

وجاءت رسالة المسيح تتحدث عن الله مختلفة تماما عمّا عرفته الديانات الكتابية من قبل أو حتى الديانات غير الكتابية التي تناولت العلاقة بين الله والإنسان كما هو الحال في الهندية والمجوسية، أو تلك المتعلقة بعقائد الفلسفة، إذ جاءت العلاقة بين الإنسان والله في بشارة المسيح هي العلاقة بين الروح ومصدرها، في حين أنّ الطقوس التّعبدية المسيحية كانت معروفة في كثير من الديانات السابقة حتى تاريخ الميلاد وقصة الآلام والصلب، فجاء اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر الموافق لميلاد المسيح هو يوم الاحتفال بمولد الشمس في العبادة (المثرية) وهو مبدأ الانقلاب الشمسي بدلا من اليوم الحادي والعشرين في الحساب الحديث.

جاءت رسالة المسيح في ظل وجود شخصية متمتعة بعوارض التّبوة الإلهية ممثلة في شخص يحي ابن زكريا عليهما السلام، وكان يحي عليهما بالكتب الدينية يسمعها من والديه، وكان

<sup>1</sup> - جبران خليل جبران: يسوع ابن الإنسان، ص ص 314 - 315.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 316 - 317.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ص 182 - 183.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 187.

<sup>5</sup> - إنجيل لوقا 2: 40.

<sup>6</sup> - إنجيل لوقا 2: 52.

شديدا على نفسه في تهجده وتنسكه كثير العزلة، ولما ظهر بالدعوة رآه الناس يلبس الثوب الخشن من الوبر، يصوم أكثر الأيام ويقنتات من الجراد والعسل البرّي ، وكان غير مبالي في كلامه عن ذي خطيئة أو دنس<sup>(1)</sup>. فراح يعلن ما قام به "هيروود" من زواجه بإبنة أخته "هيروودية" هو عمل من الفواحش وزوجها لا يزال ب قيد الحياة، ولما اعتقله الملك ظلّ يندّد بذلك العمل طالبا تطليق الفتاة فرارا من غضب الله، وفي سهرة لهو ومجون لهيروود تمّ تقديم رأس يوحنا في طبق بطلب من البنت الفاجرة، وتقبّل الكهّان والفقهاء تلك الجريمة بغير تشهير أو اعتراض، وقد تنكّر الكهّان والفقهاء للرّسول الثائر قبل أن يتنكّر لهم، كما يفعل الدينيون (المحترفون) عادة بالوعاظ الذين لا ينتسبون إليهم ولا يعيشون في زمرة<sup>(2)</sup>. فكان يوحنا المعمدان يصيح بهم: ((يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا ، لأني أقول لكم إنّ الله قادرٌ أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم))<sup>(3)</sup>.

إنّ مكانة "يوحنا المعمدان" كانت عظيمة في النفوس، حتى أنّ المسيح لما أراد أن يتحدّى أسئلة الكتبة والتّاموسيين بأن سألهم عن رسالة يوحنا ، هل كانت من السّماء أم من الناس؟ فلم يستطيعوا جوابا لأنّهم لو أنكروها لغضب عليهم الشعب ، ولو اعترفوا بها لأنّهم أنفسهم بالتّقصير، وكانت هذه أول صيحة من الرّسول الثائر يوحنا، وفيها سمع النّاس أنّ الخلاص نعمة يسبغها الله على من يشاء ولا يخصّ بها أبناء سلالة دون سائر السلالات البشرية ، ومن علاماته على قبول المسيحيين لدعوته أن يذكر اسم الله، ويرشّهم بالماء ويمسح على رؤوسهم فهم بعد ذلك أهل للدّخول في زمرة التائبين وطلاب الخلاص، ولو لم يكن لهم نسب في آل يعقوب وإبراهيم<sup>(4)</sup>. علما أنّه ((كانت غالبية المسيحيين لا تعرف من الأناجيل سوى مختارات تقرأ عند الصّلوات، أو مشروحة عند الوعظ.. والنصّ الكامل لم يكن متداولاً أبدا))<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: عبقرية المسيح ص 121. أثنى يوسيفوس المؤرخ الكبير على يوحنا، وهو المؤرخ الذي كان شديد الحذر من غضب ذوي الرأى والسلطان، فقد قال عنه: ((إنّه كان انسانا صالحا أوصى اليهود أن يبرّ بعضهم ببعض وأن يتقوا الله)).

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 120.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 3: 7-9.

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد : المصدر نفسه ، ص 120.

<sup>5</sup> - موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص 52. ويقول المؤلف: ((وفي مجرى دراساتي الثانوية في معهد كاثوليكي، وضعت بين يديّ كتب (فيرجيل، وأفلاطون) ولكن لم يوضع بين يديّ العهد الجديد مطلقا، رغم أن النّص اليوناني له كان مفيدا جدّا. وقد أدركت متأخرا لم تكلف بترجمة الكتب المقدسة المسيحية، فقد كان يمكن أن تسوقنا إلى طرح أسئلة على أساتذتنا تحيّرهم الإجابة عليها)) ص 52.

#### مطلب 4: شريعة المسيح الحقّة:

#### أ- شريعة اعتزال السلطة الدينية والمدنية:

ولما بدأ المسيح بالتبشير برسالته أخذ على نفسه أن يعتزل السلطة ويتنحّى لها عن ميدانها، فلا يتصدّى لها بإبطال أو إنقاذ، إلا أنّه بهذه الحيدة عن طريق السّلطة قد ترك ميدانها فلم تترك له ميدانه، وسرعان ما أقبلت عليه الجموع حتى أحستّ السلطة الدينية التابعة للهيكل والمدنية ممثلة في السلطة الرومانية بالخطر المقبل من ذلك الداعية المحبوب، لعلمهم أنّ كلّ داعية محبوب خطر على سلطة التقاليد والجمود، فوقع الإشتباك بين سلطة شعارها المبالغة في الإتهام والبحث عن المخالفات والعقوبات، وبين دعوة شعارها تيسير التّوبة للخطّائين، وتمهيد سبيل الرجاء في الغفران، أين كان التبشير بالتّوبة والغفران من أكبر ذنوب الدّاعي الجديد، لأنّ الخطايا والعقوبات بضاعة السلطان القائم، وهي على كونها مصلحة مربحة، باب للفخر والكبرياء. فكانت السلطة تجرّه إلى الإفتاء فيما يخالف الشّريعة أو القوانين السياسية ليفتي بما يخالف آداب الرّحمة ووصايا السّماحة والصّلاح، غير أنّه لم يساق إلى ما أرادوا أن يسوقونه إليه، فجاء في أحد نصوص الأناجيل أنّ واحدا من جموع السامعين قال للمسيح: (( يا معلّم، قل لأخي أن يقاسمني الميراث))<sup>(1)</sup>، وظن أنّه يتولّى سلطة التقسيم بحق الكرامة على تلاميذه ومستمعيه، فما زاد على أن قال: (( يا إنسان، من أقامني عليكما قاضيا أو مقسّمًا))<sup>(2)</sup>؟ ووردت قصة المرأة المذنبه وأنّه لما كان المسيح يعلم في الهيكل اقتحم مجلسه الكتبة والفريسيون ومعهم امرأة ارتكبت الزنا طالبين منه القصاص فيها وأخبروه أنّ حدّها بحسب وصيّة موسى هو الرجم، فماذا يقول هو؟ مدركين أنّ أي وجه من الفتوى يوقعه في المأزق، حيث لو أفتى برجمها فهو يدّعي حقّ الولاية، وإن أفتى بتركها فتلك مخالفة لشريعة موسى بل ينكرها داخل الهيكل. غير أنّه قام قائلا: ((من كان منكم بلا خطيّة فليرمها أولا بحجر))<sup>(3)</sup>.

وأخرج المسيح أهل السّياسة من اليهود حول اعطاء الجزية أو عصيان الدولة، فأراهم أنّهم يتعاملون بنقود قيصر ويكنزون منها الثروة، فلماذا لا يعطون ما لقيصر لقيصر وما لله لله<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - إنجيل لوقا 12: 13.

<sup>2</sup> - إنجيل لوقا: 12: 14.

<sup>3</sup> - إنجيل يوحنا 8: 1-7.

<sup>4</sup> - ينظر إنجيل متى 22: 17-21. ((فقل لنا ما تظنّ. أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا فعلم يسوع خبثهم وقال... يا مراؤون. أروني

ويجب الصدوقيون منكموا عقيدة البعث بالآخرة، والفريسيون المؤمنون به جسديا وروحيا حول الزواج بزوجة الأخ المتوفى لمن تؤول في يوم القيامة بعد أن يتم زواجها من سبعة إخوة؛؟ ليجيبهم المسيح أن الأحياء في العالم الآخر لا يتزوجن زواج هذا العالم ولا يتناسلون بل يكونون كملائكة الله في السماء<sup>(1)</sup>.

## ب- شريعة الزهد والحب و الغفران.

جاء المسيح بدعوته في ظل وضع تراكم فيه ضحايا البذخ والرياء، فقد بلغوا فيه من كثرة العدد حدًا يفوق احتمال عصر واحد، حيث كان البذخ ضربا من الرياء الإجتماعي لأنه معلق في جميع أحواله بفخفخة الظهور، ولما بدأت الآداب الإنسانية تتفشى في الناس بدأ ضحايا الرياء يتلقفون تلك الآداب التي حملتها الدعوة الجديدة التي جاء بها الرسول المبشر بالخلاص والنّجاة. واستجاب ضحايا الرياء إلى صيحة الرسول الكريم على قدر شوقهم إلى العزاء، وعلى قدر ما يحملونه من وقار الشريعة العمياء، والتقوى المزيفة، وكان الأمل في التوبة على قدر الكرم في المحبة، فقد علم الرسول الكريم صورة التوبة الماثلة في شخص فتاة جاثية على قدميه، تسكب عليهما الدمع والطيب وتمسحهما بصفائر رأسها<sup>(2)</sup>، فعلمها من دروس الحبّ القدسي ما لم تتعلمه من دروس العقاب في شريعة المنافقين وموازن المقسطين<sup>(3)</sup>، لقد تابت المرأة، وفتح الرسول بابا للتوبة ولم يبالي للأبواب التي فتحت للنّعمة والعقاب وتسأل المتسائلون: كيف يزعم أنه نبيّ ويجهل أنّها امرأة خاطئة، فقال المسيح: ((قد عُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبّت كثيرا. والذي يُغفر له قليل يحبّ قليلا، ثم قال لها مغفورة لك خطاياك))<sup>(4)</sup>.

إنّ المسيح نقض شريعة الأشكال والظواهر وجاء بشريعة الحب، أو شريعة الضمير، وشريعة الحب لا تبقي حرفا من شريعة الأشكال والظواهر، ولكنها لا تنقض حرفا واحدا من شريعة التاموس بل تزيد عليه، فقد قال: ((لا تظنّوا أنّي جئت لأنقض التاموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمّل))<sup>(5)</sup>، إن التاموس الذي هو القوام الذي يقوم به كل شيء، هو ناموس العقيدة الذي يظلّ

معاملة الجزية فقدّموا له دينارا فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة. قالوا له لقيصر. فقال لهم اعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)).

<sup>1</sup> - ينظر: القصة في إنجيل متى 22: 23-30.

<sup>2</sup> - ينظر: في إنجيل لوقا 7: 37-38 قصة تلك المرأة التي طلبت التوبة من المسيح.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق، ص 125.

<sup>4</sup> - إنجيل لوقا 7: 47-48.

<sup>5</sup> - إنجيل متى 5: 17.

قائما ما قامت الأرض والسّماوات، وبشريعة الحب قضى المسيح على شريعة الكبرياء والرّياء، وعلمّ النّاس محاسبة أنفسهم قبل محاسبة غيرهم، وحثّ على العطف والرحمة والمعدرة للنّاس، وليس إقتناص الزلّات التي يرتكبونها أو الإستطلاع عن عيوبهم، فقال: (( ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك وأمّا الخشبة التي في عينك فلا تفتن لها ، أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك، يا مرائي أخرج أوّلا الخشبة من عينك. وحينئذ تبصر جيّدا أن تخرج القذى من عين أخيك ))<sup>(1)</sup>. وألزم في شريعته أن يتمّ نهي النّاس عن صلاة الرّياء، لأنّ المرأؤون كانوا يحبّون الصلاة قائمين في الجامع ، وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للنّاس<sup>(2)</sup> ، ونهى أيضا عن صيام الرّياء<sup>(3)</sup>. فقال المسيح: (( ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين، فإنهم يغيّرون وجوههم لكي يظهروا للنّاس صائمين. الحقّ أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. وأمّا أنت فمتى صمت فأدهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا تظهر للنّاس صائما بل لأبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية ))<sup>(4)</sup>.

وفي شريعة المسيح أن تستر أعمال المحسنين فلا تعلم الشّمال ما تنفق اليمين ، فلا فخر بالعطاء ولا استطالة على الفقراء قال المسيح: (( فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تنفق يمينك، لكي تكون صدقتك في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية ))<sup>(5)</sup>. و قامت شريعة الحب والضمير عند المسيح على: (( من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمّي ))<sup>(6)</sup>. وقول المسيح: (( إنّ كثيرين سيأتون من المشارق والمغرب ويتكثرون مع إبراهيم واسحاق ويعقوب في ملكوت السّماوات. وأمّا بنوا الملوك فيطرحون إلى الظّلمة الخارجيّة. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ))<sup>(7)</sup>. وضرب المسيح مثلا للرحمة بأنّها عمل وليست حرفا مثل الإنسان الذي كاد اللّصوص أن يهلكوه فمرّ به كاهن وتركه يصارع الموت حتى جاء السامري المنبوذ فأشفق

<sup>1</sup> - إنجيل متى: 7 : 3-5.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 6 : 5.

<sup>3</sup> - ينظر إنجيل متى 6 : 16-17.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 6 : 16-18

<sup>5</sup> - إنجيل متى 3: 4-6.

<sup>6</sup> - إنجيل متى 12 : 50.

<sup>7</sup> - إنجيل متى 8 : 11-12.

على الجريح وخدمه، فهو أحقّ بالقرب من الله من الكاهن الذي أهمله ، واللاوي الذي لم يلتفت إليه<sup>(1)</sup>.

والدين عند المسيح هو بما تعمل لا بما تعلم، والدين ليس بإطالة أهداب الثياب وجعل عصائب الرأس عريضة، وإستئثار المتكأ الأول في الولايم ، والمجالس الأولى في المجامع، وتلقّي التحيات في الأسواق<sup>(2)</sup>، ومحاسبة الناس على بعوضة وابتلاع جمل بأكملة<sup>(3)</sup>، وتنقية ظاهر الكأس وباطنها به نجس كالقبور المبيضة خارجها طلاء جميل وداخلها عظام نخرة<sup>(4)</sup>. وقال: (( قد سمعتم أنّه قيل للقدماء لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأمّا أنا فأقول لكم إنّ كلّ من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم.. فإنّ قدّمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكّرت أنّ لأخيك شيئا عليك، فترك هناك قربانك قدّام المذبح واذهب أوّلا اصطح مع أخيك..)) (قد سمعتم أنّه قيل للقدماء لا تزن. وأمّا أنا فأقول لكم إنّ من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه، فإن كانت عينك اليمنى تعثر فأقلعها وألقها عنك، لأنّه خير لك أن يهلك أحد أعضاءك ولا يُلقى جسدك كلّ في جهنّم..)) (وقيل للقدماء لا تحنث بل أوف للربّ أقسامك. وأمّا أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتّة.. بل ليكن كلامكم: نعم نعم ، لا لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير..)) (سمعتم أنّه قيل عين بعين، وسن بسن. وأمّا أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشرّ ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا ... ومن سخّرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين..)) (سمعتم أنّه قيل تحبّ قريبك وتبغض عدوك. وأمّا أنا فأقول لكم أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السّموات، فإنّه يشرق شمس على الأشرار والصّالحين ويمطر على الأبرار والظّالمين. لأنّه إن أحببتم الذين يحبّونكم فأيّ أجر لكم ؟ أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك؟.. وأيّ فضل تصنعون ؟ أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا! فكونوا أنتم كاملين كما أنّ أباكم الذي في السّموات هو كامل))<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: قصة المثل في إنجيل لوقا 10: 30 - 37.

<sup>2</sup> - ينظر: إنجيل متى 23: 5 - 7. (( وكأعمالهم يعملونها لكي تنظّروهم الناس. فيُعَرّضون عصائبهم ويُعظّمون أهداب ثيابهم، ويحبّون المتكأ الأوّل في الولايم والمجالس الأولى في المجامع.))

<sup>3</sup> - ينظر: إنجيل متى 23: 24. ((الذين يُصَفّون عن البعوضة ويتلعون الجمّل.))

<sup>4</sup> - ينظر: إنجيل متى 23: 27-30. ((تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من الداخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة.))

<sup>5</sup> - أنجيل متى 5: 21-48.

إن شريعة الحبّ والغفران التي جاء بها المسيح تخدم كل عرف قائم وتعصف بكل شكل ظاهر ، ولكنّها لا تخدم الناموس ولا تعصف بركن من أركانه، وقد تزيد فرائضه ولا تنقص حرفاً منها ، لأن الإنسان يحاسب نفسه إذا أحب ، حساباً لا تدركه الشرائع ولا يطلع عليه القضاء. وعلى حد تعبير المسيح :ليس من الإنصاف والحسن وضع الخمرة الجديدة في الزقاق القديم أو وضع الرقعة الجديدة على الثوب القديم المرقع البالي<sup>(1)</sup>.

وقد قصد المسيح المعاني الواردة في الشريعة الجديدة من وصايا وتعاليم ، ولم يقصد الحروف حين أوصى بكفّ الأعضاء عن نزعات الجسد ، فلم يعن بفقء العين إلا ما نعنيه بقطع اللسان حيث نريد به السكوت أو الإسكات ، ولم يعن بقمع الجسد إلا ما نعنيه بقمع الرياضة والتربية .  
فقد عدل " أوريجين " عن خطئه لما أيقن أنّ المسيح قصد المعاني ولم يقصد الحروف لما قال حول العقّة والطهارة: (( لآثّه يوجد خصيان وُلدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم النَّاس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السّموات ))<sup>(2)</sup> ، فحمّله على معناه الحرفي ففعل بنفسه ما ورد حرفياً ليكون آمناً على تعليم النّساء، لكنّه أدرك خطأه بعد مرحلة شبابه، وهو الفيلسوف صاحب المكانة العالية في تاريخ الديانة المسيحية ؛ بل هو من أكبر المفكرين الدينيين الذين نبغوا بين القرن الثاني والثالث للميلاد، وجاء (أوغسطين ) بعد ذلك فنفى أنّ الدّين يوجب الزهد على كل أحد، مع استحسانه الزهد لمن يقدر عليه، وأن السيد المسيح لا يعني بنبذ المال أن نرفضه بتاتا في جميع الأحوال ، وإلاّ لم يكن الإحسان فضيلة من أكبر الفضائل في الوصايا المسيحية. فمن يملك أموال الدّنيا غير عابد للمال فلا جناح عليه، ومن يعبد الله ويستبعد المال فلا جناح عليه، فأراد المسيح أن يعبد الإنسان سيّدا واحداً، ولا يعبد سيدين ، فبيّن ما هو مباح وما هو محظور في طلب الدنيا ومتاعها وزينتها، فلا حرج على إنسان يملك المال وهو لا يعبد المال ولا يقدم نفسه قربانا على هيكله، فقصد المسيح في وصاياه تهذيب آداب الإنسانية ليعتصم بها ضمير الفرد وضمير الأمة جاعلاً الجسد أفضل من اللباس والحياة أفضل من الطّعام<sup>(3)</sup>، والإنسان أفضل من السّبب فقال: ((إنّ ابن الإنسان هو ربّ السّبب أيضا ))<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - إنجيل متى 9: 17. ((ليس أحدٌ يجعل رقعةً من قطعةٍ جديدةً على ثوب عتيق.. خمرًا جديدةً في زقاق عتيق)).

<sup>2</sup> - إنجيل متى 19: 12.

<sup>3</sup> - ينظر: أنجيل متى 6: 25.

<sup>4</sup> - إنجيل لوقا 6: 5. و نفس العبارة في إنجيل متى 12: 8.

وقوله للفريسيين عن العمل يوم السبت: ((السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لِأَجْلِ الْإِنْسَانِ لَا الْإِنْسَانُ لِأَجْلِ السَّبْتِ، إذ ابن الإنسان هو ربّ السَّبْتِ أيضا))<sup>(1)</sup>. وغنيمة النَّفس أربح من غنيمة العالم خصوصا إذا اتسمت بالسَّماحة والإيثار والقناعة وحبّ الصّدق، ولهذا كانت رسالة المسيح نموذجا للرّسالات، ولم تكن آخر الرّسالات في الحياة الإنسانيّة، فهي رسالة كاملة وافية أضافت قيم جديدة إلى حساب الإنسانيّة، منها الترويج لفكرة ملكوت السَّماء أو ملكوت الله بحسب ما يذكره كل من مرقس ولوقا ومتّى، فيذكره باسم ملكوت السَّماءات، كما يذكر في جميع الأناجيل أيضا باسم ملكوت ابن الإنسان، فجاء قول المسيح: ((الحقّ أقول لكم إنّ من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتّى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته))<sup>(2)</sup>.

### ت - شريعة ملكوت السَّماء:

ويذكر المسيح أنّه سيأتي كثيرون باسم المسحاء الكذبة متلبّسين باسم المسيح فيضلّ بهم كثير ، وسوف يسمع النَّاس بحروب وأنباء، ((وتقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن ، ولكنّ هذه كلّها مبتدأ الأوجاع ، حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي ... ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ، ويكرزُ ببشارة الملكوت هذه في كلّ المسكونة))<sup>(3)</sup>. كما يشار إلى الملكوت بمعنى مشيئة الله وأوامره وفرائضه كقول المسيح: ((لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبرّه وهذه كلّها تزداد لكم، فلا تهتمّوا للغد))<sup>(4)</sup>، وقوله: ((لأنّه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السَّماءات))<sup>(5)</sup>.

وتطلق الملكوت أحيانا على الرسالة التي يتعلّمها التلاميذ من المسيح، فجاء في انجيل لوقا أن التلاميذ والأتباع : (( كانوا يظنّون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال))<sup>(6)</sup>. ورغم تنوع التعابير حول الملكوت، فإن المسيح قد أشار إلى الملكوت الذي يفهم كل سامع أنّه العالم الآخر، وأنّه يأتي في نهاية هذا العالم الذي له علاماته التي تحدثت عنها النبوءات السابقة ((لأنّه يكون في تلك

<sup>1</sup> - إنجيل مرقس 2: 27.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 16: 28.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 24: 5-14.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 6: 33.

<sup>5</sup> - إنجيل متى 13: 11.

<sup>6</sup> - إنجيل لوقا 19: 11.

الأيام ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التي خلقها الله إلى الآن ولن يكون ))<sup>(1)</sup>، وطبيعي من المسيح أن يتكلم عن ملكوت السماوات بهذا المعنى وأن يرجع السامعون إلى تلك النبوءات في ظل زمن تتطّلع فيه الأنظار إلى النهاية وإلى تحقيق النذر والبشائر والعلامات (( فالشمس تظلم، والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط والقوات التي في السماوات تنزعزع ))<sup>(2)</sup>.

لقد كان من العسير أن يتمنخض العالم الوثني عن رسول يجمع الأقوام إلى دين واحد، لأن تاريخ الوثنية لم يعهد فيه أن يخرج للدنيا رسلا تملؤهم الحماسة الروحية وتفيض منهم على من حولهم فضلا عن البعيدين عنهم، ولم يعرف التاريخ قط داعية وثنيا تجرد للتبشير والإنذار غير حافل بالموت ولا مرتعد بما يلقاه من زواجر الإرهاب والوعيد، وكل ما يحدث في الأديان الوثنية أن تتغلب الدولة التي تدين بها على الشعوب المقهورة، فتحملها على طاعة أربابها كما تحملها على طاعة قوانينها وأحكامها، وتفرض عليها العبادات التي تتصل بالشعائر العامة والمحافل الرسمية ثم تترك لها بعد ذلك ما يروقها أن تعبد من الأرباب، أما الحماسة الروحية التي كانت لازمة لتوحيد العقيدة في العالم الإنساني فلم تعهد قط في غير الأديان الكتابية، ولم يكن لها رسل قط غير الرسل المؤمنين بإله أعظم من الدنيا، ولحكمة خالدة وجد هذا الرسول في تلك الفترة. ولكن المسيح تبنى مفهوم الملكوت وعنده أن نهاية العالم وشيكة في الواقع: (( الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله ))<sup>(3)</sup>، وقال: (( الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوما لا يدوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته ))<sup>(4)</sup>. ويعلق (كارل ياسبرس) بقوله: لم تحدث نهاية العالم بعد، ولا القيامة، ولكن حدوثهما ممكن في أية لحظة. وأتت سيقعان وقوع صاعقة تجتاز السماء من الشرق إلى الغرب، أو كلك في الليل، أو أيضا كالسيد الذي يرجع عندما لا يترقب الخدم أوبته<sup>(5)</sup>.

### المبحث الثاني: دعوة المسيح:

أ- قدرة المسيح على الدعوة: إن العالم في عصر الميلاد كان محتاجا إلى الدعوة المسيحية، مستعدا لسماعتها سواء من طرف عالم إسرائيل أو من العالم أجمع، فعالم إسرائيل كان يؤمن بالمسيح المنتظر

<sup>1</sup> - إنجيل مرقس 13 : 19.

<sup>2</sup> - إنجيل مرقس 13 : 24.

<sup>3</sup> - إنجيل مرقس 13 : 30.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 16 : 28.

<sup>5</sup> - فلاسفة انسانيون، ص 193.

وبموعده في تلك الحقبة من الزمن، والعالم المعمور كان يؤمن بافلاس الوثنية ، وكان عامته في بؤس وبأس، وخاصته مستسلمين للمتاع أو مستسلمين للتصوّف، من كان منهم دان بالأبيقورية أو دان بالرّواقية ، ومن كان مطبوعا على التدنّين والبحث في شؤون الغيب ، دان بنحلة خاصة من النحل السريّة التي تحلّ فيها المراسم والشعائر محلّ الفرائض والعبادات. ولم يكن احتياج العالم للعقيدة ولا استعداده لسماعها معينا للعقيدة عن أدوات الفلاح والنّجاح، وأجلّها قدرة الداعي على كسب النفوس واجتذاب السّماع والغلبة على ما يقاومه من المكابرة والعناد، وقد كانت هذه القدرة موفورة في معلّم المسيحية ، ويرى "العقاد" أنّ المسيح سمّي بالمعلّم ، ونودي به في مختلف الجماع والمحافل ، لأن مهمته الكبرى كانت مهمة تعليم وإيحاء روحي حيوي من طريق التعليم ، نودي المسيح بالمعلّم فيما روته الأناجيل مرات، ناداه بهذا اللّقب تلاميذه كما ناداه خصومه ومن يستمعون له غير متعلمين وغير مختصمين، وكان نداؤهم له بهذا اللّقب لأنهم يجدون في كلامه علما واسعا بالكتب والأسفار، وبديهة حاضرة في الاستشهاد بها والتعقيب عليها، ويكفي ما بين أيدينا من الأناجيل للحزم بأنّه كان يرثّل المزامير وكان يحفظ كتب أرميا وأشعيا وحزقيال فضلا عن الكتب الخمسة التي نسبت إلى موسى عليه السلام<sup>(1)</sup>.

والذي يرجح أنّ المسيح كان يعرف اللّغة اليونانية لحديثه مع بيلاطس، وأنّ هذه اللّغة كانت شائعة في عصره بين أبناء الجليل، وكثيرا من اليهود خارج الجليل لا يفهمون العبرية ولا الآرامية ويحتاجون إلى ترجمة الكتب المقدسة باللّغة اليونانية، ومنهم من كان يحج إلى بيت المقدس في الأعياد، ومن يهود الجليل من كان يسافر إلى الإسكندرية وبلاد الإغريق ولا يتفاهمون بغير اليونانية مع أبناء جلدتهم هناك. إن معرفة المسيح باليونانية ليس بالأمر الغريب مثله مثل أبناء الجليل الذين كانوا يعرفونها، غير أنّ من المؤكد معرفته للغة العبرية الفصحى التي تدرس بها كتب موسى والأنبياء، كما كان يعرف الآرامية التي كان يتكلّم بها البلغاء فيها، وإنّه إذا عرف اليونانية فإنّما كانت معرفته بها معرفة خطاب ولم تكن معرفة دراسة ، لأنّ أقواله خلت من الإشارة إلى مصدر واحد من مصادر الثقافة المكتوبة بتلك اللّغة ولأنّ العبارات التي جاءت في الأناجيل اليونانية منسوبة إلى المسيح تشف عن أصلها الآرامي بما فيها من الجناس أو قواعد البلاغة وإيقاع الألفاظ<sup>(2)</sup>. فكانت اللّغة التي حملت

<sup>1</sup> - عبقرية المسيح ، ص 157.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق، ص 158.

بشائر الدعوة الأولى لغة صاحبها فذة في طابعا الذي لا يشبه طابع آخر في الكلام المسموع أو المكتوب، لغة فذة في تركيب كلماتها ومفرداتها، وفي بلاغتها وتصريف معانيها، ولولا ذلك لما أخذ السامعون بها ذلك المأخذ المحبوب، مع غلبته القوية على الأذهان والقلوب فيقول "العقاد": كانت في تركيبها نمطا بين النثر المرسل والشعر المنظوم ، فكانت فناً خاصا ملائما لدروس التعليم والتشويق وحفز الذاكرة والخيال، وهو نمط من النظم لا يشبه نظم الأعراب والتفعيلات التي تعرفها في اللغة العربية، لأن هذا النمط من النظم غير معروف في اللغة الآرامية ولا في اللغة العبرية، ولكنه أشبه ما يكون بأسلوب الفواصل المتقابلة والتصريعات المرددة التي ينتظرها السامع انتظاره للقافية، وإن كانت لا تتكرر بلفظها المعاد كما في هذا المثال: ((سألوا تعطوا، من يُقرع يفتح له ))<sup>(1)</sup>، ((أيّ إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزا يعطيه حجرا، وإن سأله سمكة يعطيه حية)).<sup>(2)</sup> (أوإذا سأله بيضة فيعطيه عقربا))<sup>(3)</sup>، ((لأنه حيثما تكون الجثة فهناك تجتمع النسور ))<sup>(4)</sup>، (( يا أورشليم ، يا أورشليم! ياقاتلة الأنبياء والمرسلين ))<sup>(5)</sup>. هذه النماذج فيها بعض الدلالات على أسلوبه في تركيب اللفظ وسليق التذير والتذكير ))<sup>(6)</sup>. فجاء أسلوب المعنى في لغة المسيح يغلب عليه نمط الأمثال في كلّ قالب من قوالب الأمثال كالرموز والحكمة والقياس والتشبيهات، فمن نماذج المثل الذي يعول على الرمز مثل الزارع والبذور<sup>(7)</sup>، ومثل فتيات العرس<sup>(8)</sup>. ومن نماذج المثل الذي يعول على الحكمة كمثل وضع الخير في

<sup>1</sup> - إنجيل لوقا 11 : 9 .

<sup>2</sup> - إنجيل متى 7 : 7 - 10 .

<sup>3</sup> - إنجيل لوقا 11 : 12 .

<sup>4</sup> - إنجيل متى 24 : 28 .

<sup>5</sup> - إنجيل متى 23 : 37 .

<sup>6</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق ، ص ص 159 - 160 .

<sup>7</sup> - مرّ بنا ذكر مثل الزارع والبذور الوارد في كل من: إنجيل متى 13 : 3-8 ، وإنجيل مرقس 4 : 2-8 ، وإنجيل لوقا 8 : 64 وهذا المثلّ الزارع والبذور " كما يلي : (( زارع خرج ليزرع وفيما هو في الطريق سقط بعض البذور فجاءت طيور السماء وأكلته، وسقط بعضها في مكان محجر خفيف التربة فنبتت على الأثر ثم لم يلبث أن أشرقت عليه الشمس فاحترق، واذ لم يكن له عمق في جوف الرض ، وسقط بعض البذور بين الشوك فطلع الشوك وخنقه فلم يثمر، وسقط غيرها في الأرض الجيدة فأعطى ثمرا يصعد وينمو، فأتى واحد بثلاثين وآخر بستين وآخر بمئة. من له أذنان للسمع فليسمع)).

<sup>8</sup> - مثل فتيات العرس وقد مرّ بنا ذكره والوارد في إنجيل متى 25 : 1-13 : (( يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس: خمس منهن فطنات وخمس غافلات. أما الغافلات فقد أخذن المصابيح ولم يأخذن معها زيتا، وأما الفطنات فأخذن الزيت في آنيتهن مع المصابيح، وأبطأ مقدم العريس فغلبهن النعاس جميعا ، ثم علت الصيحة عند منتصف الليل: ها هو ذا العريس قد اقبل فاخرجن للقاءه.. فالتفتت الغافلات إلى مصابيحهن تنطفئ وسألن زميلاتهن قليلا من زيتهن فاجبنهن: لعله لا يكفينا فاذهبن واشترين حيث يباع. وفيما هن ذاهبات قدم العريس.. وصحبته الحاضرات المستعدات إلى محفل الزفاف، ثم جاءت الغائبات وقد أغلق

في أهله<sup>(1)</sup> ومثل الخبز: ((أنا هو خبز الحياة، من يقبل إليّ فلا يجوع))<sup>(2)</sup>، ومثل كما تدين تدان (أي المقابلة بالمثل)<sup>(3)</sup>، ومعرفة الفرد تكون من أصله<sup>(4)</sup>، وقيّمته الإجتماعية تكون خارج وطنه بعيدا عن أهله<sup>(5)</sup>.

ومن نماذج المثل الذي يعول على القياس كمحبة من تحب ولا تحب من يبغضك، ولا تصاحب الخاطئين<sup>(6)</sup>.

ومن نماذج المثل الذي يعول على التشبيهات خطاب المسيح لتلاميذه ووصفهم بملح الأرض وبنور العالم وبالمصباح الذي يرفع على المنار ليضيئ به في أرجاء المنزل<sup>(7)</sup>.

لقد كانت سرعة البديهة عند المسيح تسعفه في كل الأحوال فتجري كلماته في مجراها المألوف على نسق سهل من غير تحضير ومنتظم غير مرسل في غير تكلف، وهو الذي ترى منذ طفولته على التلاوة في كتب الأنبياء والأمثال المرددة، وإستقامة فطرته على الوحي، ((ولا سبيل إلى قيام المسيحية بغير مسيح، فإن مصدر الرسالة الروحية هو زبدتها وجوهرها وهو الأصل الأصيل في قوتها ونفاذها، وكل ما عداه فروع وزيادات، لقد كان لبّ الرسالة المسيحية في لبّ رسولها المسيح... لقد كان يوحنا هو الأولى بالسبق في الميدان لأنه صاحب السبق في الدعوة وصاحب السبق في الشّهادة، ولكنها دعوة كانت تنتظر صاحبها، وصاحبها هو المسيح.. القادر عليها.. والصالح لاقامتها، لأن صاحب الحاجة لا يملك بالبداهة ما هو محتاج إليه))<sup>(8)</sup>.

= الباب وطفقن ينادين: افتح لنا يا سيد.. افتح لنا يا سيد.. فأجابهن: من أنتم؟.. إني لا أعرفكن!! .

<sup>1</sup> - منه هذا المثل الذي ورد في إنجيل متى 7: 6. و يعود على الحكمة: ((ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير)).

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 6: 35.

<sup>3</sup> - ونص هذا المثل في إنجيل متى 7: 2. هو: ((وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم)).

<sup>4</sup> - ونص المثل في إنجيل متى 7: 16: ((من ثمارهم تعرفونهم)).

<sup>5</sup> - ونص المثل في إنجيل يوحنا 4: 44: ((لا كرامة لنيّ في وطنه))، وفي إنجيل مرقس 6: 4 قول المسيح: ((ليس نبيّ بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقرائه وفي بيته)).

<sup>6</sup> - نص المثل بالقياس الوارد في إنجيل متى 5: 46: ((إن أحببتهم الذين يحبونكم فأجر لكم؟ أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك؟))

وفي إنجيل متى 9: 12 رد المسيح على من أعاب عليه صحة الخاطئين لما قال: ((لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى)).

<sup>7</sup> - من الأمثلة على مثل التشبيهات ما ورد في إنجيل متى 5: 13-16. قول المسيح لتلاميذه: ((أنتم ملح الأرض، ولكن إن فسد الملح

= فيماذا يملح؟ لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس. أنتم نور العالم، لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على

جبل، ولا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيئ لجميع الذين في البيت)). وفي إنجيل متى 6: 19-21.

قوله: ((لا تكنوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنوا لكم كنوزا في السماء

حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون لأنه حيث يكون كنز هناك يكون قلبك أيضا)).

<sup>8</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق، ص 165.

## ب- اخلاص المسيح في الدعوة :

انتدب المسيح لدعوته أتباع عرفوا في التاريخ الكنسي باسم التلاميذ حيث قام بتعليمهم وتدريبهم على التضحية والصبر والجلادة ينادون معلّمهم بعبارة (ربي) الدالة على الاحترام والمرادفة للقول (سيدي) وعرفهم بشخصه ورسالته فأدرك التلاميذ أن المعلم صاحب معجزة ونبوة، وكان الفضل الأول لهؤلاء في مشاركة المسيح في نشر دعوته، فكانوا بحق أمة المسيح الصغرى التي كبرت مع الزمن لتصبح أمة كبيرة، فهم الصف الأول في الجيش الواحد، كانوا نموذج الأمة المسيحية في أول الرسالة، ومضى على الأمة المسيحية عدّة أجيال وهي لا تخالف هذا النموذج في التكوين ولا في الطراز، فلم يكن التلاميذ دعاة فرضوا عقيدتهم على أناس غيرهم ، ولكنّهم وغيرهم جميعا مستجيبون للدعوة فوجا بعد فوج ، ولم يكونوا قادة لغيرهم ، بل كانوا هم السباقين من صفوف تلاحقت وتعاقبت، وليس في سيرتهم الأولى ما يفهم منه أنّهم مميّزون بصفة القيادة، فهم جميعا من بيئة واحدة، وربما كانوا من سلالة متقاربة أو بيوت متجاورة ، فامتازوا بالتعليم والتدريب على يدي السيد المسيح، وقد وقع عليهم الإختيار وكان عدد هم إثني عشرة شخصا وكلف خمسة منهم بالإلتحام مع الناس وجلب المؤمنين إلى حظيرة ملكوت الله التي بشر بها أنجيل المعلّم ، وهؤلاء الخمسة هم: (شمعون ، بطرس، يوحنا، يعقوب ، أندراوس<sup>(1)</sup> .

كان المسيح يعرف عيوبهم ، وكانت في أمانتهم واخلاصهم لا يغالطون أنفسهم في تلك العيوب، كان يخاطبهم فلا يفهمونه فيسألونه مزيدا من التوضيح، وكان يخامرهم الشك فيحسّه منهم فلا ينكرونه، ويعلمهم كيف يتقون أمثال هذه الشكوك. لم يكن المسيح يقصد من إعداد التلاميذ ليخرجهم طرازا معصوما لا عيب فيه ، ولكن قصد إعدادهم ليحسنوا القدوة ويجمعوا حولهم من يسلك مسلكهم، ويكلّفوا أنفسهم غاية ما يستطيعون، ومشى المسيح شوطا في دعوته ولم يقل لهم أنّه هو المسيح المنتظر حتى شاع ذكره في القرى خلال دعوته التي استمرت مدة سنتين أو ما يقارب

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر السابق، ص 171-172. من هؤلاء متى العشار الذي ينسب إليه الإنجيل المعروف باسمه، ومنهم يوحنا صاحب الإنجيل الرابع، وهو ابن خالة المسيح أو من بني خؤولته، وكان تاجر سمك شاركه فيه أخوه يعقوب بحسب انجيل مرقس 1: 19-20، وانجيل متى 4: 20-22، وأنّ المسيح لما كان عند بحر الجليل رأى يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه وهما في السفينة يصلحان الشباك: (( فدعهما للوقت فتركا أباهما زبدي في السفينة مع الأجرى وذهبا وراءه)). ومن التلاميذ منهم أيضا جيمس [أي يعقوب] قريب المسيح، ويوحنا أو (ابن الزعد) كما سمّاه المسيح لقوّته في الإنذار ، ومنهم بطرس. أنظر إنجيل مرقس 3: 13-19. وإنجيل متى 10: 1-4. أوردت هذه النصوص أسماء التلاميذ الإثني عشر إسماء إسماء.

ثلاث سنوات<sup>(1)</sup>. فالمسيح مضى في دعوته زمنا ولم يذكر لتلاميذه أنه هو المسيح الموعود، وأنه كان يعلم ممن يطلبون التلمذ عليه أنهم لا يدركون ما يقول ، ولا يفرقون بين لغة الحس ولغة الروح أو لغة المجاز، لقد نظم المسيح التلاميذ وروضهم على الطاعة وانكار الذات ، واختار أولا اثني عشر تلميذا ثم إختار بعدهم سبعين وأوصاهم أن ينطلقوا بالدعوة اثنين اثنين في كل اتجاه، محذرا الجميع من فتنة التنافس على الرئاسة، حاثا إياهم على إنكار الذات ، فعلمهم أن يعملوا ولا ينتظروا جزاء، يقبلوا ضيافة البيوت التي يدخلونها لدعوة أهلها قائلا: ((لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم، ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا.. وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق. وأقيموا هناك حتى تخرجوا ، وحين تدخلون البيت سلّموا عليه.. ولكن إن لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم إليكم، ومن لم يقبلوكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجا من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم))<sup>(2)</sup>.

أثرت دعوة المسيح وفق شريعة الحب التي جاء بها في تدريب الجند الروحاني الذي خرج يؤدي الأمانة على وجه الصدق والإخلاص، وانتشر الجند في الأرض و خرج إلى كل وجهة في كل مكان معمور بعد النهاية المؤلمة للسيد المسيح، لولا فضل الله ورحمته بعبده لوقع ما وقع بشبيهه من صلب، صوّرتة نصوص الأناجيل في كثير من التفصيل. إذ تمّ اتّهام المسيح أمام العدالة الرومانية بالتشويش والإخلال بالأمن العام، وقدّم للمحاكمة في ثلاثين ميلادية تحت طائلة قانون الجزاء بالصلب، الذي كان يعدّ لعنة كبرى في تلك البيئة اليهودية، هذه البيئة التي كانت ترى في عيسى نبيا من الأنبياء الكذبة الذي جاء معلنا قرب حلول ملكوت الله، متجاوزا آراء علماء الهيكل، كما وجد رجال الدين والكهنة الفرصة في إثبات التهمة، ورأت السلطة السياسية الرومانية من المصلحة بمكان أن تنفّذ الحكم في شخص من غير مواطنيها تحقيقا لمصلحتها العليا دون المغامرة قي سبيل نجاة نفس

<sup>1</sup> - وتساءل الناس عن المسيح: من يكون؟.. فمنهم من يقول: أنه يوحنا المعمدان قد بعث من الموتى، ومنهم من يقول: أنه نبي مبعوث. أنظر انجيل مرقس 6: 14-15. وفي رواية إنجيل متى 16: 13-20 ، أن المسيح سأل تلاميذه قائلا: (( من يقول الناس أنني أنا ابن الإنسان. فقالوا. قوم يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء، قال لهم وأنتم من تقولون أنني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح بن الله الحي، فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك ياسمعان بن يونا، إنّ لحما ودما لم يُعلن لك لكنّ أبي الذي في السماوات، وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكلّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماوات. وكلّ ما تحله على الأرض يكون محلولا في السماوات)).

<sup>2</sup> - إنجيل متى 10: 9-14.

بريئة من عائلة يهودية. دفع هذا الهاجس الأمني إلى تحقّي المسيح وأتباعه عن أنظار شرطة الهيكل والسلطة الرومانية حتى لا يقع البطش به ومن معه من طرف الأعداء الدينيين والسياسيين على حدّ السواء. وروت الأناجيل قصّة القبض على المسيح، وقصة صلبه وموته، وتحدّثت عن قيامته من بين الأموات، ويظهر أمام التلاميذ يوصيهم بوصايا ويحثّهم على مواصلة الدّعوة مبيناً لهم انتصاره على الموت وأنّه إرتقى إلى مصاف الآلهة متجاوزاً طاقاته البشرية<sup>(1)</sup>، معلناً إشارة الإنطلاق في بناء المسيحية التي سوف تحدد معالمها المنظومة اللاهوتية فيما بعد.

### المبحث الثالث: كتاب المسيح.

#### مطلب 1: العهد الجديد:

يشكل العهد الجديد مع العهد القديم الكتاب المقدس الخاص بالمسيحيين لأنهم يؤمنون بالتّوراة إيمانهم بالأناجيل ورسائل الرّسل، فيطلقون على الكتابين العهد القديم والعهد الجديد معا اسم الكتاب المقدس، ويطلق مجازاً اسم الأناجيل على الأسفار الأربعة الأولى من العهد الجديد والمنسوبة إلى متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، مع طائفة من أقوال الرّسل<sup>(2)</sup>. وترجع أسفار العهد الجديد إلى ثلاث مجموعات وسفرين وهي:

1- مجموعة الأناجيل<sup>(3)</sup> وعددها أربعة.

2- ومجموعة رسائل بولس، وعددها أربع عشرة رسالة.

3- ومجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل.

<sup>1</sup> - ورد نص في سفر رؤيا يوحنا 1: 17-18. يبيّن كيف أضفى المسيح على نفسه صفات الله بحسب ما جاء في رؤيا يوحنا (... فلمّا رأيته سقطت عند رجليه كميت، فوضع يده اليمنى عليّ قائلاً لي: لا تخف أنا هو الأوّل والآخر والحيّ، وكنت مَيّتاً وها أنا حيّ إلى أبد الأبدين ولي مفاتيح الهاوية والموت)).

<sup>2</sup> - يقول عبد الغني عبود: المسيح والمسيحية والإسلام، ص 114: ((وقد صدر العهد الجديد في الطبعة العربية بهذه العبارة: " كتاب العهد الجديد، لرنا ومخلصنا، يسوع المسيح"، وقد ترجم من اللغة اليونانية، بينما كتب على الكتاب المقدس كله، أنه ترجم من اللغات الأصلية، وهي اللّغة العبرانية واللّغة الكلدانية، واللغة اليونانية. كما صدر العهد الجديد بنفس العبارة في أشهر الطبعات الإنجليزية للكتاب المقدس، وهي الطبعة الموافقة للنص المعتمد سنة 1611م والمعروف بنسخة الملك جيمس)) في حالته لنا على:

**THE HOLY BIBLE. Containing the Old and New Testaments, Set Forth in 1611, and commonly known as the King James Version: American Bible Society, New-York. p.489.**

وقد كانت آخر طبعات الكتاب المقدس الطبعة اليهودية التي صدرت في اورشليم سنة 1970م بعد أربع سنوات فقط من فضيحة تبرئة اليهود من دم المسيح سنة 1966م - عبد الغني عبود: نفس المرجع، ص 115.

<sup>3</sup> - علي زيعور: أوغسطينوس، دار إقرأ، بيروت، لبنان، ط 1983، ص 10. ويعرّف علي زيعور الإنجيل بأنّه: كلمة يونانية، بمعنى الخبر السعيد أو البشارة، وهو مجموعة ما قاله وما فعله المسيح لتخليص البشر.

وأما السفيرين: سفر أعمال الرسل للوقا، وسفر رؤيا يوحنا أو (الأبوكاليس) ليوحنا<sup>(1)</sup>. والأناجيل من جملة عشرات الأسفار التي كانت متداولة في العصر المسيحي الأول حيث أبطل المجمع المسكوني الأول العشرات منها ، علما أنّ هذه الكتب والرّسائل أيضا لم تكن تعتبر كتباً مقدّسة أو وحيا سماويّاً<sup>(2)</sup>، ودليل ذلك ما قاله لوقا في مقدّمة إنجيله: ((إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصّة في الأمور المتيقّنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخذّاما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبّعت كلّ شَيْءٍ من الأوّل بتدقيق أن أكتب على التّوالي إليك أيّها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحّة الكلام الذي علّمت به))<sup>(3)</sup>.

فوجّه المحقّقون للكتب التّاريخية المقدّسة طعنا في سند ومتن الأناجيل الموجودة اليوم، مشيرين إلى أنّها لم تكتب في حياة المسيح ولا عقب رفعه مباشرة، ولو بعد بضع سنين ، بل كتبت بعده بمدة طويلة، فيقول ابن خلدون: (( وافترق الحواريون شيعا ودخل أكثرهم على بلاد الروم داعين إلى دين النصرانية. وكان بطرس كبيرهم فنزل بروما دار ملك القيصرية. ثم كتبوا الإنجيل الذي نزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم: فكتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم إلى اللسان اللّطيني [ اللّاتيني]. وكتب لوقا منهم إنجيله باللّطيني لبعض أكابر الروم. وكتب يوحنا بن زبدي منهم إنجيله برومة. وكتب بطرس إنجيله باللّطيني ونسبه إلى مرقاس تلميذه. واختلفت هذه النسخ الأربع من الإنجيل؛ مع أنّها ليست كلها وحيا صرفا بل مشوبة بكلام عيسى صلوات الله عليه وبكلام الحواريين، وكلها مواعظ وقصص ، والأحكام فيها قليلة جدّاً))<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص 75 .

<sup>2</sup> - حول حقيقة الإنجيل عند النصارى في زمن المسيح وبعد رفع المسيح وتدوين الأناجيل إبان المحتل ، ينظر : مجلة منار الإسلام (اسلامية ، ثقافية، شهرية) ، العدد الأول ، السنة الرابعة عشر ، غرة محرم: 1409 هـ الموافق لـ 16 أغسطس 1988م، تصدرها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف ف دولة الإمارات العربية المتحدة ، مقال : عبد الوهاب عبد السلام طويلة .

<sup>3</sup> - إنجيل لوقا 1: 1-4.

<sup>4</sup> - ابن خلدون : المقدمة،( كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ج 1، ص 288-289.

ومن الأناجيل التي ألفت حديثاً كتاب إنجيل مرمون<sup>(1)</sup> الذي كتب لفرقة يهودية يعتقد أنه ظهر فيها النبي مرمون والذي سلّم سجله لإبنه "موروني" ليظهر هذا الخبر سنة 1823م كشخص ممجد قائم من الأموات إلى النبي جوزيف سميث يخبره بالسجل القديم<sup>(2)</sup>.

وحول تاريخ نصوص العهد الجديد الأساسية تشير سلسلة ماذا اعرف؟ أنها ليست نصوص أصلية بل هي نسخ يعود تاريخها لأكثر من ثلاثمائة سنة بعد المسيح :

**nous n,avons pas de document original du Nouveau Testament,mais seulement den copies.les manuscrits complets les plus anciens que nous possédions ne romentent pas au –delà du iv siècle : des fragments plus anciens mis à part, trois cents ans environ séparent donc la rédaction originale du texte conservé.<sup>(3)</sup>**

[ ليس لدينا الوثيقة الأصلية للعهد الجديد. ولكن توجد نسخ لهذه الوثيقة. واقدام نسخ نملكها (مخطوطات كاملة) تعود إلى القرن الرابع ، وأجزاء منها القديمة تعود إلى القرن الثالث الميلادي لم يستطيع النص الصلي الإحتفاظ بها ].

ومن الأسباب الأخرى في تدوين الأناجيل وكتابتها، تفشي فكرة الجيء الثاني للمسيح<sup>(4)</sup>، وتعرض الحواريون للإضطهاد من قبل اليهود والرّومان، وهو ما عجل بضياع الأناجيل وعدم الإعتناء بالتدوين من فم المسيح مباشرة، حيث عمد المدوّنون إلى ما كتب من الذاكرة بعد فترة زمنية طويلة، فكانت النتيجة عدم الدقة والنسيان ؛طبقاً لما ورد في قول الله عزّ وجل: {فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به، ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلاّ قليلاً منهم }<sup>(5)</sup>.

وسبينوزا في كلام عن النبي و الحواري يركّز في دراسته على هذا الموضوع الجوهرى ، وهو الفرق بين النبي و الحواري ويسجلّ الفرق الذي أغفله المسيحيون في الخلط بين الوحي والإلهام، فمن

<sup>1</sup> - ينظر: أليكس إتكلي: مقدمة في علم الاجتماع، ص 149 ، المرمون طائفة دينية أمريكية أنشأها جوزيف سميث.

<sup>2</sup> - جوزيف سميث: كتاب مرمون، شهادة ثانية ليسوع المسيح، ترجمه جوزيف سميث إلى الإنكليزية ، نشرته كنيسة يسوع المسيح لقديس الأيام الأخيرة: سولت ليك سيتي، يوطا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط: 1985، ص 74.

<sup>3</sup> - Que sais-je ? le Nouveau Testament ; oscar cullmann de l,nstitut, amprimerie des presses universitaires de France ; 1991, p 7.

<sup>4</sup> - عبد الودود شلبي: النزوير المقدس ، ط2 ، دار الشروق ، بيروت ، 1986م ، ص 80.

<sup>5</sup> - سورة المائدة الآية 13.

ناحية الأسلوب يؤكد أنّ النبي يتحدث بناء على تفويض من الله، أما الحوارية فإنه يتحدث باسمه ويعبّر عن تفكيره وآرائه الشخصية، والنبوة من عند الله أمّا الرسالة فإنّها من عنده هو، النبوة توقيف من الله واختيار إلهي للنبي، ورسالة الحوارية تطوّر من لدنه ومن أي فرد يشعر بأنّ لديه القدرة على نشر الدعوة، النبوة لا تخطئ فهي يقينية، أمّا الحوارية فيخطئ ويعيب، ورسالته ظنيّة يمكن الشكّ فيها باعتزاف الحوارية نفسه. ومن حيث طريقة التعبير، نجد النبي لا يستدل، بل يتحدث معتمدا على السّلطة الإلهية، أما الحوارية فإنّه يستدل ويناقش، يجادل ويحاجّ. يبلغ النبي حقائق النبوة التي عرفها من الوحي، أما الحوارية فإنّه يفكر ويعتمد على العقل<sup>(1)</sup>. ويأخذ "سبينوزا" بولس كشخصية بين الحواريين، كمثال للمقارنة بين النبي والحواري.

ومن الباحثين من توصّل إلى وجود سفر ينسب إلى المسيح وهو سفر غير قصصي أطلقوا عليه اسم "سفر الأقوال"<sup>(2)</sup> وهو عبارة عن أقوال المسيح مشتملا على مجموعة من أحاديث تكلم بها المسيح، ولا توجد نسخة أصلية لهذا السفر، غير أنّ التطابق الذي وُجد بينه وبين سفر "توما" الذي عثر عليه في اكتشافات نجع حمادي بمصر سنة 1945م عزّز فرضية وجوده. فيقول "محمد فاروق الزين": (( وأنه كان متداولاً بين النصارى في وقت مبكر حوالي العام 50م، أي قبل ظهور بولس ونشاطاته المسيحية على مسرح الأحداث، وعلى افتراض أنّ نصارى القدس هم الذين قاموا بجمع سفر الأقوال فيلزم أن تكون محتوياته أقرب إلى أقوال عيسى المسيح الصحيحة إذ لم يتأثر بمبتدعات بولس اللاهوتية، ومن ذلك أن سفر "الأقوال" لا يعزو صفة الألوهية إلى عيسى المسيح، وإنما يعتبره رسولا بشرا أرسل ليدعو قومه إلى التوبة قبل فوات الأوان، وليس في هذا السفر أيّ إشارة إلى قصّة الصلب التي كان أوّل من روجّها مرقس حوالي أربعين عاما من وفاة المسيح، وليس فيه قصص الآلام الخاصة بالصلب التي ركّزت عليها الأسفار الأربعة<sup>(3)</sup>). فالكتب التي دوّنها (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) وحتى الكتب التي رفضتها الكنيسة، كل هؤلاء لم يسمعو من المسيح مباشرة،

<sup>1</sup> - سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، من ص 327 وما بعدها، في الفصل الحادي عشر: [مبحث فيما إذا كان الحواريون قد كتبوا رسالتهم بوصفهم حواريين وأنبياء أم بوصفهم معلمين، ثم في دور الحواريين].

<sup>2</sup> - محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والإستشراق، ص 60. الذي يقول عن سفر الأقوال بأنّه: ((يشبه (سفر النصارى) الذي وجد لدى نصارى القدس مدوّن بالعبرية في مطابقته هو أيضا لسفر توما المكتشف بنجع حمادي، والذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي مترجم عن مخطوطات يونانية يعود تاريخها إلى الربع الأخير من القرن الأول بعد الميلاد، ويشتمل على 411 من الأحاديث المنسوبة إلى عيسى المسيح، ويختلف عن الأسفار الأربعة المعتمدة بأنّه ليس سفرا قصصيا)).

<sup>3</sup> - محمد فاروق الزين: المرجع السابق، ص 59-60.

ولم يكن جميعهم من التلاميذ للمسيح ، ولم يذكروا سندا للسمع فهو منقطع عن المسيح ، وأقدم مخطوطات الأسفار الموجودة اليوم هي مخطوطات باللغة اليونانية ، بمعنى ليست اللغة التي تكلم بها المسيح والحواريين، ومن المعروف أنّ المسيح تكلم اللغة التي كانت دارجة في فلسطين وقت بعثته وهي الآرامية<sup>(1)</sup>.

وهناك صعوبة عند العلماء تكمن في الكيفية التي ترجمت بها أقوال المسيح من الآرامية إلى اليونانية<sup>(2)</sup>، ولهذا فإنّ كلّ ما تمّ تدوينه على لسان المسيح إنّما هو من فعل التلاميذ، والأمر الذي لا خلاف حوله أن الأناجيل كلّها منقطة السند ولا توجد نسخة واحدة منها بخط تلميذ من تلاميذ ذلك المؤلف ولا ما يضمن شبهة صحة فيها<sup>(3)</sup>.

وبحسب رأي الجويني: ((أنّ هناك اقتباسات كثيرة لكتاب الأناجيل من التوراة لكي يقنعوا العالم بصحة الدين النصراني قالوا: إنّ عيسى بن مريم هو النبي العظيم الذي تنبأ عن مجيئه أنبياء بني اسرائيل منذ أزمان بعيدة، وأشاروا إليه في أسفارهم بالرمز والإشارة))<sup>(4)</sup>، وتبقى الشكوك والريبة حول القضية التاريخية للوثائق اليهودية المسيحية، لما وقع للعهد القديم ( التوراة) والعهد الجديد (الأناجيل) من تحريف إذ لم تعترف له بالصحة الدراسة النقدية للشرح المحدثين ، وقد ألغى مجمع أساقفة (نيقية) كثيرا من أخبار الإنجيل، مما زرع الشك حول ما تبقى منه (( ولا تعتبر من الصحاح: لأنّ التقد أثبت أنّها قد وضعت بعد المسيح بأكثر من قرن، أي بعد عصر الحواريين الذين تنسب إليهم التعاليم المسيحية))<sup>(5)</sup>. فكان لدى المسيحيين في القرنين الأول والثاني الميلاديين أناجيل كثيرة غير الأناجيل الأربعة ، وكان لكل فرقة من فرقهم إنجيلها أو أناجيلها الخاصة التي تعتمد عليها وتغفل ما عداها من الأناجيل ، أو تحكم بزيفها وبطلانها . فكان ثمة إنجيل ينسب لمثي غير إنجيله ، وإنجيل ينسب لبرنابا، وإنجيل ينسب للحواري يعقوب، وإنجيل ينسب للحواري توماس ( ويقصّ هذان الإنجيلان أمورا أغفلتهما الأناجيل الأربعة عن تاريخ مريم وطفولة المسيح)، وإنجيل ينسب للقيس "نيقوديمس" (أحد رؤساء اليهود في عهد المسيح .. أظهر إيمانه بعد رفع المسيح).. وإنجيل يقال له :إنجيل السبعين

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، ص ص 54 - 55.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 58.

<sup>3</sup> - صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، ( دراسة جوانب الاعتقادية في اليهودية والمسيحية) ، ص 235.

<sup>4</sup> - عبد الملك ( الجويني) : شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، ص 25.

<sup>5</sup> - مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية ، ص 111.

وإنجيل يقال له :الإثني عشر، وإنجيل اشتهر باسم : التذكرة وإنجيل كان يسمّى : إنجيل العبريين أو الناصريين ، وإنجيل كان يسمّى : إنجيل المصريين ،وكان لكلّ من أتباع :ديصان وأتباع ماني وأتباع مرقيون أو مرسيون وأتباع أبيون إنجيل خاص يختلف عن إنجيل من عداهم<sup>(1)</sup>.

فيقول موريس بوكاي:((من الخطأ الاعتقاد، بأنّ الأناجيل منذ أُلّفت كوّنت الكتابات المقدسة الأساسية للمسيحية الناشئة. وأنّه قد رجع إليها كما كان يرجع إلى العهد القديم.فالسّلطة آنذاك كانت للعرف الشفوي الذي كان يحمل كلمات عيسى وتعاليم الرسل.و الكتابات الأولى التي كانت متداولة وسيطرت قبل الأناجيل كانت رسائل بولس.ألم تكن قد حرّرت قبل بضع عشرات من السنين؟لقد رأينا أنّه قبل سنة 140م لم تكن قد وجدت بعد أية شهادة تثبت معرفة مجموعة من الكتابات..ولم تكتسب الأناجيل الأربعة وصفها القانوني إلّا بعد سنة 170م))<sup>(2)</sup>.

## مطلب 2: الأناجيل الأربعة.

لقد كانت الأناجيل كثيرة اشتهر منها أربعة بعد مضي القرون الأولى على عهد المسيح والتي قرّرتها المجامع المسكونية بدعوى نزول الإلهام على أصحابها بنزول روح القدس عليهم وإرشادهم إلى تدوينها لتثبيت الإيمان في قلوب أهل اللّدين منهم<sup>(3)</sup>.

ويرجّح المؤرخون المختصّون بالمباحث حول الأناجيل أنّ جميعها تعتمد على نسخة آرامية مفقودة يشيرون إليها بحرف: [ك] مختزلة من كلمة كويل quelle بمعنى الأصل، ومنهم من يسمّي هذه النسخة: [لوجيا]logia بمعنى الأقوال، ويريدون بها الأقوال الشفوية التي سمعت ثم كتبت على القول الرّاجح عندهم باللّغة الآرامية<sup>(4)</sup>.

وتتفق الآراء على أنّ الأناجيل الحالية لا تحتوي كلّ ما قاله المسيح ، إذ جاء في نص من نصوص العهد الجديد كلمة للمسيح لم يرد ذكرها في الأناجيل وهي: (( في كل شيء أريتكم أنّه هكذا ينبغي أنكم تتعبون وتعضّدون الضّعفاء متذكّرين كلمات الربّ يسوع أنّه قال: مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ))<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص 93.

<sup>2</sup> - موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص 78.

<sup>3</sup> - عبد العزيز الثعالبي : محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان ، ص 126.

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد:عبقريّة المسيح ،ص 178.ويعلّل إتفاق متى ولوقا في بعض النصوص باعتمادهما معا على تلك النسخة

المفقودة،أما الأناجيل الموجودة الآن فقد كتبت باليونانية العامّة،وترجمتها تعتمد على نصوص آرامية.

<sup>5</sup> - أعمال الرسل 20: 35.

وهناك نسختين من الأناجيل كتبهما مسيحيان لم يجتمعا بالمسيح ولم يسمعا منه، وهما :  
 أ- نسخة مرقس التي دوّن فيها ما سمعه من بطرس بغير ترتيب وعلى غير قصد منه أن تجمع في كتاب، وكتبها في روما بعد مقتل بولس، ويتراوح تاريخ كتابتها بين سنتي سبع وستين وسبعين.  
 ب- والنسخة الأخرى هي نسخة لوقا صاحب بولس، دوّن فيها ما سمعه منه، ولعله أضاف عليها جزء من نسخة مرقس بعد اطلاعه عليه<sup>(1)</sup>، وكانت كتابتها على الأرجح سنة ثمانين.  
 أمّا إنجيل يوحنا فهو آخر الأناجيل كتابة ومراجعة. وآخرون يعتقدون أنّه كتب بقلم يوحنا آخر كان في أفسس ولم ير المسيح، لأنّ يوحنا تلميذ المسيح هو صاحب سفر الرؤيا الذي كتبه في سنة ست وتسعين للميلاد، ولا يظن أن يكتب مؤلف واحد كتابين في وقت واحد لما بينهما من تفاوت وتباين في المنهج والفحوى<sup>(2)</sup>. وتُرتب الأناجيل بدءاً بإنجيل مرقس وهو أقدمها، ثم يليه إنجيل متى، فإنجيل لوقا، وكتبت عن سماع بعيد ولم تكتب من سماع قريب في الزمان والمكان، هذه الأناجيل كتبت مرسلّة بغير أقسام وبغير مواضع للوقف والإلحاق، ولم تقسّم إلى إصحاحات قبل القرن الثالث عشر للميلاد<sup>(3)</sup>.

وفي هذا المضمار يقول "محمد فاروق الزين": ((كافة أسفار العهد الجديد كتبت بعد المسيح- عليه السلام بوقت طويل، مع العلم أن ترتيب مواد العهد الجديد بوضعه الحالي لا يطابق الترتيب الزمني لتأليفها، إذ كان أول ما تم تأليفه من مواد العهد الجديد هو رسائل بولس، كتبها خلال الفترة (50م-60م)، ثم تبعها تأليف السفر المنسوب إلى مرقس خلال الفترة (70م-80م)، وبعده الأسفار المنسوبة إلى متى ولوقا، كتبت في منتصف الثمانينات من القرن الأوّل، ثم تأليف السفر المنسوب إلى يوحنا خلال الفترة (110م-130م)، ثم بعض الرسائل التي أضيفت خلال الفترة

<sup>1</sup> - إنجيل لوقا : هو الجزء الأول من الرسالة الموجهة إلى عزيزه ثاوفيلس، وأمّا الجزء الباقي من تلك الرسالة فقد عرف باسم ( أعمال الرسل) إذ أنّه يحكي حال تلاميذ المسيح ومن إنضمّ إليهم بعد رفعه إلى السماء وفي هذا يقول لوقا: ((الكلام الأوّل أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم)). أعمال الرسل 1: 1-2.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: عبقرية المسيح، ص 179، يرّد العقاد على الآب (فرار فنتون) مترجم الإنجيل [طبعة أكسفورد] الذي يتصور أن إنجيل يوحنا هو أقدم الأناجيل، وأنه كتبه أولاً بالعبرية بين سنة ثلاثين وسنة أربعين ثم نقله إلى اليونانية، ولكن تأخر الزمن الذي كتب فيه هذا الإنجيل ثابت من تفصيله لعض ما أجملته الأناجيل، وزيادته في التعبيرات الفلسفية، وتوسّعه في شرح العقائد التي أثرت عن بولس الرسول. وينظر أيضا صابر طعيمة: الأسفار المقدّسة قبل الإسلام، ص 262. في اضطراب نسبة الإنجيل إلى يوحنا ومخالفة هذا الإنجيل للأناجيل الأخرى في التفاصيل والصورة العامة التي يرسمها للمسيح.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد : المصدر السابق، ص 179.

(140م-150م). وقيل أيضا أنّ لوقا كتب أعمال الرسل وسفره في مطلع القرن الثاني، أي بعد وفاة المسيح بحوالي خمسة وسبعين عاما<sup>(1)</sup>.

وتعتبر الأناجيل المصدر الذي يعتمد عليها في دراسة تاريخ المسيح رغم تعدّد النّقل والنّسخ، حيث روت من أخبار الحوادث ما لم يذكره أحد من المؤرخين؛ كخوارق انشقاق القبور وبعث الموتى، كما تضمّنت الأناجيل أقوالا في مناسباتها لايسهل القول باختلافها رغم وجود مواطن الاختلاف بينها، فهي أوفى المراجع في دراسة حياة المسيح والإحاطة بأطوار دعوته وبالمعجزة التي حملتها الرّسالة التاريخية التي بقيت عبر الزمن، ولم تنقض بانقضاء أيّامها في عصر الميلاد، ميلاد: (( رجل ينشأ في بيت نجار في قرية خاملة بين شعب مقهور، يفتح بالكلمة دولا تضيع في أطوائها دولة الرومان ولا يتقصي عليه من الزمن في انجاز هذه الفتوح ما قضاه الجبابرة في ضم إقليم واحد، قد يخضع إلى حين ثم يتمرد ويخلع النير، ولا يخضع كما خضع النّاس للكلمة بالقلوب والأجسام ..))<sup>(2)</sup>.

#### أ - إنجيل متى:

قيل إنّ متى هو أحد تلاميذ المسيح، وقيل غير ذلك، ويذكر النّقاد نسبة الإنجيل إلى متى الحواري وينسبونه إلى أحد أتباعه الذي وضع عليه اسم متى تلميذ المسيح ليطمئن النّاس إليه، ويذكر المحقّقون أنّ الإنجيل ليس من تأليف متى الحواري، إذ لو كان هو مؤلّف هذا الإنجيل لظهر من كلامه في موضع من المواضع أنّه يكتب الأحوال التي رآها، ولعبّر عن نفسه بصيغة المتكلم كما جرى به العادة سلفا وخلفا، وهذه العادة ما كانت مهجورة في عهد الحواريين أيضا. فيقرر كاتب الإنجيل أنّ ما كتبه هو: ((كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم.. أمّا ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا: ((لما كانت مريم أمّه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبل من الروح القدس))<sup>(3)</sup>، وليس في هذا الكلام ما ينصّ على أنّه وحي من الله. وكتب متى إنجيله حوالي سنة 41م وقال البعض أنّه كتب إنجيله سنة 60 م، وكانت لغة تدوينه العبرية وقيل الآرامية<sup>(4)</sup>، ومهما كانت لغة الأصل فإنّ الأصل مفقود والموجود هو الترجمة اليونانية، الأصل المزعوم مفقود، والمترجم مجهول وتاريخ الترجمة مجهول أيضا ممّا يصعب التّثبت من تطابق الترجمة مع الأصل إن كان هناك أصل للإنجيل، وأن

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 52.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: المصدر نفسه، ص 182.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 1: 18 - 18.

<sup>4</sup> - رحمة الله الهندي: إظهار الحق، ج1، ص 74.

المصادر المسيحية تقول عن متى أنه ((كتب إنجيله باللغة السريانية بأرض فلسطين ، بعد المسيح بثمانين سنة، وقد ضاعت النسخة لأصلية، ولم يبق إلا ترجمتها اليونانية))<sup>(1)</sup>. فهناك إضطرابات حول كتابة هذا الإنجيل ولغة تدوينه وتاريخ التدوين ، فهذا الإنجيل به عدة نقاط غامضة وأنه كتب بدافع شخصي<sup>(2)</sup>. وقد توجه متى بإنجيله إلى يهود فلسطين ليظهر أنّ بشارات العهد القديم قد تحققت في المسيح وكنيستته<sup>(3)</sup>. ويشغل انجيل متى المرتبة الأولى بين الأناجيل الأربعة من حيث الترتيب في العهد الجديد، وكأنه امتداد للعهد القديم ، وكأن عيسى يكمل تاريخ اسرائيل، ولكثرة اقتباساته من العهد القديم ليظهر أن عيسى هو مسيح اليهود المنتظر<sup>(4)</sup>، وأكثر ما يبرزه هذا الإنجيل موقف عيسى من القانون اليهودي المرتكز أساسا على أسس كبرى: كالصلاة والصوم والصدقات، فالإنجيل يهودي ، وكتب لليهود.

#### ب- إنجيل مرقس:

يذكر الدارسون في الشأن المسيحي أنّ مرقس كان تلميذا للمسيح، أو واحدا من السبعين رسولا الذين أرسلهم للتبشير بالدين الجديد في المدن، وكتب إنجيله عام 61 م باليونانية بعد صعود المسيح بنحو ثلاثين سنة<sup>(5)</sup>. فكان نموذجا للثقافة الهلنستية<sup>(6)</sup> لما قام بدمج شخصية لمسيح التاريخية ضمن العقيدة الهلنستية الخاصة بالآلهة التي تموت وتنهض من الموت على الرغم من أن هذه الفكرة قد سبقه إليها بولس من قبل وقام مرقس بتوثيقها لكونه شخصا من دعاة المؤمنين بها<sup>(7)</sup>. وتتفق جميع الأسفار على أنّ مرقس لم يكن من الحواريين الإثني عشر ولا من السبعين ولا من المائة والعشرين الذين خطب فيهم بطرس. والبعض يقول أنّ مرقس تلميذ بطرس لم يجتمع بالمسيح ، ولم يذكر مرقس أنه سمع من المسيح ولا ذكر من أين استقى معلوماته، إهتم مرقس بإيراد العجائب على يد المسيح دون الإكثار من خطب وكلام المسيح، لذا جاء إنجيله أقصر الأناجيل

<sup>1</sup> - عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص 86.

<sup>2</sup> - رؤف شلبي: أضواء على المسيحية (دراسات في أصول المسيحية) ، ص 39-40، و ص 41.

<sup>3</sup> - Que sais-je ? le Nouveau Testament ,l'évangile selon Matthieu p21

<sup>4</sup> - موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص 63.

<sup>5</sup> - عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق، ص 86. وينظر: رؤف شلبي: أضواء على المسيحية ، ص 42.

<sup>6</sup> - ينظر: لويس غردية ، جورج فنواي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ج 2، ص 88، عن الهلنستية.

<sup>7</sup> - محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والإشتراق ، ص 61.

الأربعة وأوفرها ذكرا للتفاصيل<sup>(1)</sup>. بل إنه أقدم الأناجيل الأربعة، إلا أن كاتب انجيل مرقس قرّر أن يسمّي كتابه إنجيلا فقال: (( بدء انجيل يسوع المسيح ))<sup>(2)</sup> . ويرجح الدارسون للمسيحية أن مرقس كتب إنجيله في روما<sup>(3)</sup> ، إنه يوجه الحديث إلى مسيحيين لا يعيشون في فلسطين، ويهتم بأن يشرح لهم التعبيرات الآرامية التي يستعملها، ومن الدارسين لهذا الإنجيل من يعتبر بطرس صاحب اليد الطولى فيه لرسالته التي يقول فيها: ((تسلّم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقس إني ، سلّموا بعضكم على بعض))<sup>(4)</sup> ، وبابل تعني افتراضا روما.

### ت-إنجيل لوقا:

لم يقل أحد بأن لوقا من تلاميذ المسيح، بل زعموا أنه تلميذ لبولس الذي هو رسول عند المسيحيين<sup>(5)</sup>، ولوقا هو وثني أصلا فقد كتب إنجيله للوثنيين اليونانيين<sup>(6)</sup>، وفي إنجيله الكثير من الأقسام الأقسام الأصلية والتي هي إضافات خاصّة به، على الرّغم من إدّعاء البعض أنه كانت كتابة إنجيله بطريق الإلهام ، وبمعاونة الرّوح القدس الذي امتلأ منه بولس وهو الذي لم ير المسيح أصلا ، ولم يقل لوقا أنّ ما كتبه هو كلام الله، ولم يذكر مصدر رواياته وسندها، وقد كتب إنجيله عام 63 م باللغة اليونانية، كتبه بحسب مقدمته إلى هداية الكفرة من غير اليهود لكونه ليس منهم<sup>(7)</sup>، وليس من الحواريين الإثني عشر، وإّما هو من السّبعين ، كتب إنجيله بعد صعود المسيح بثمانية وعشرين سنة<sup>(8)</sup>، غير أنّ الدراسات الحالية تحدّد تحريره بأنّه كان على الغالب، ما بين سنتي 80م و 90م وإن كان كان كثيرون ينسبونه إلى تاريخ أقدم<sup>(9)</sup>. ويشهد الأسلوب واللّغة أنّ كاتب انجيل لوقا هو بعينه كاتب

<sup>1</sup> - علي زيعور : أوغسطينوس ، ص 11 .

<sup>2</sup> - انجيل مرقس 1: 1 .

<sup>3</sup> - موريس بوكاي: المرجع السابق ، ص 66. وينظر:

QUE Sais-je ? Le nouveau testament, p 26.

- وحول العقائد الواردة في إنجيل مرقس، ينظر بالتفصيل:

Jean-Claud Barreau: L'aujourd'hui des évangiles; aux éditions du seuil ;paris 1970 , (les Matériaux de l'évangile selon saint marc) pp 15-16.

<sup>4</sup> - رسالة بطرس الرسول الأولى 5: 14 ، حيث تظهر مرقس كرفيق لبطرس بروما، هذا إذا كان بطرس هو كاتبها.

<sup>5</sup> - يسمي العهد الجديد بولس بـ ( الرسول) على الرغم من أنّه ليس من الحواريين ولا من الرسل السبعين .

<sup>6</sup> - ينظر: رؤف شلبي: أضواء على المسيحية ، ص 45.

<sup>7</sup> - QUE Sais-je ? Le nouveau testament, p 31

<sup>8</sup> - ينظر: عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص 87.

<sup>9</sup> - موريس بوكاي: المرجع السابق ، ص 70.

(أعمال الرسل) المنسوب للوقا ، وأنه كتبه في سنة 64م، وقد كتبه إلى "ثاوفيلس" بعينه الذي كتب إليه إنجيله أولاً<sup>(1)</sup>. ومن مميزات إنجيل لوقا أنه اقتبس نصوصاً كثيرة من كتابات مرقس ومن كتابات متى متى ، فإنك تجد 330 فقرة مشتركة بين الأناجيل الثلاثة الأولى ، بحيث يوجد 178 فقرة مشتركة بين مرقس ومتى، و100 فقرة بين مرقس ولوقا، و230 فقرة بين متى ولوقا<sup>(2)</sup>. ويشمل إنجيل لوقا على عدة أمور نذكر منها :

— أن كثيرين قد أخذوا في تأليف قصص عن المسيح وبشارته، وهم قد كتبوا أناجيل كثيرة .  
— أن لوقا كتب ما كتب كرسالة شخصية إلى عزيزه "ثاوفيلس" أحد أثرياء الإسكندرية<sup>(3)</sup>.  
— أن لوقا كتب رسالته (أعمال الرسل) إلى ثاوفيلس بدافع من نفسه.  
— لم يكن لوقا يدري أن ما كتبه سوف يكون سفراً مقدساً يستخرج منه العقائد، لأن ما كتبه رسالة شخصية لصديقه بحسب تعبيره: ( لتعرف صحة الكلام الذي علّمت به)<sup>(4)</sup> .  
— أن لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح ، فكلامه ليس بوحى بحسب الاعتقاد السائد وأن روح القدس نزل على التلاميذ ، ولوقا لم يكن من التلاميذ فكيف يكون كلامه وحياً ؟  
وجاء في مقدمة الإنجيل للقديس لوقا قول القديس "أمبروسوس" — أسقف "ميلان" في افتتاحية كتابه: (دراسة لإنجيل القديس لوقا): (( أن يسوع المسيح يُصوّر في أربعة الأناجيل برموز أربعة حيوانات ، فهو الإنسان وهو الأسد ، وهو الثور، وهو النسر. هو الإنسان لأنه ولد من مريم. وهو الأسد لأنه قويّ. وهو الثور لأنه ضحية. وهو النسر لأنه القيامة))<sup>(5)</sup> .  
ومن مميزات إنجيل لوقا أنه أورد عدداً من الأمثال التي قالها المسيح ولم يرد في غيره من الأناجيل كمثل السامري الصالح و الصديق اللّحوح ، والغني الغنيّ، وشجرة التين غير المثمرة والدّرهم المفقود وغيرها من الأمثولات، كما انفرد بذكر بعض المعجزات المنسوبة لفعل المسيح: كمعجزت الصيد الوفير من

<sup>1</sup> - قارن إنجيل لوقا 1: 3 مع أعمال الرسل 1: 1 الذي جاء فيه (( الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويُعلّم به إلى اليوم)).

<sup>2</sup> - ينظر: موريس بوكاي: نفس المرجع ، ص 74.

<sup>3</sup> - الإنجيل للقديس لوقا: ترجمة لجنة البابا كيرلس السادس برئاسة نيافة الأنبا غريغوريوس وعضوية: زكي شنودة ، ومراد كامل ، باهور لبيب، حلمي مراد، وصدر في عهد البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية ، الناشر: دار المعارف ، القاهرة، بدون تاريخ، ص (مقدمة).

<sup>4</sup> - إنجيل لوقا 1: 4.

<sup>5</sup> - الإنجيل للقديس لوقا ، ص (مقدمة) عن الإفتتاحية فقرة : 8.

السّمك، واقامة الشّاب ابن أرملة "نايين" من الموت، وشفاء المرأة المنحنية الظّهر لمدة ثمانية عشر سنة، وشفاء الرّجل المصاب بداء الإستسقاء، ومعجزة ابراء أذن عبد رئيس الكهنة المقطوعة<sup>(1)</sup>.

### ث- إنجيل يوحنا.

إنّ يوحنا هو أحد الحواريين الإثني عشر حسب اعتقاد المسيحيين، غير أنّ الذي كتب إنجيل يوحنا ليس الحواري، وإنّما الذي كتب هذا الإنجيل أراد مضادة بين اثنين من الحواريين "يوحنا" و متى" وقد ادّعى هذا الكاتب المزور أنّه من الحواريين وهو الذي كان المسيح يجبه فأخذت الكنيسة جملة ( الذي كان يسوع يجبه<sup>(2)</sup>) على علائها وجزمت بأنّ الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب مع أنّ صاحبه غير يوحنا يقينا<sup>(3)</sup>، لما عرضه حول المسيح بوصفه كلمة الله وخالق العالم ومنقذ البشرية، مناقضا الأناجيل الأخرى في تفاصيل عدّة، وفي الصورة التي يرسمها للمسيح من وجهة نظر لاهوتية. يقول "رحمة الله الهندي": (( ولم يثبت بالسند الكامل أنّ الإنجيل المنسوب إلى يوحنا من تصنيفه، بل ههنا أمور تدل على خلافه ومنه ماجاء في الإنجيل: (( هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا، ونعلم أنّ شهادته حق))<sup>(4)</sup>. فقال كاتبه في حقّ يوحنا هذه الألفاظ: ( هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا) وشهادته بضمائر الغائب، وقال في حقّه ( نعلم) على صيغة المتكلم، فعلم أنّ كاتبه غير يوحنا))<sup>(5)</sup>. وفي هذا الإنجيل المنسوب إلى يوحنا جعلت المسيحية من (الكلمة) قاعدة لاهوتية رئيسة، مركزها وحدة الثالوث الإلهي: الآب والإبن والروح القدس، بشكل جعلها أحد أهم المصادر للأفلاطونية المستحدثة، لا سيما للمثلث الأفلاطوني الموحّد الأحد، والعقل، والنفس<sup>(6)</sup>، فاستهلّ إنجيل يوحنا بفصل يتمييز بالأداء الفلسفي، وبالتجريد الفكري في الحديث عن بدء الوجود فجاء فيه: (( في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيئ في الظلمة والظلمة لم تدركه))<sup>(7)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: إنجيل لوقا الإصحاحات: 5، 7، 14، 17، 22.

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 20: 2.

<sup>3</sup> - رؤف شلبي: المرجع السابق ص 47.

<sup>4</sup> - إنجيل يوحنا 21: 24.

<sup>5</sup> - رحمة الله الهندي: إظهار الحق، ج 1، ص 76.

<sup>6</sup> - غسان خالد: أفلوطين رائد الوجودانية ومنهل فلاسفة العرب، ص 99.

<sup>7</sup> - إنجيل يوحنا 1: 1-5.

فالمفهوم الإنجيلي لكلمة (اللّوغوس) كائن أقنومي وهو إله، وهو ثالث ثلاثة في وحدة، فيتبين صحة تأثر يوحنا بفلسفة "فيلون" الذي راح يوفق بين الكتابات الدينية اليهودية القديمة، والفلسفة التي مهّدت للمسيحية بعد المسيح، وجمع تعاليم هذه الفلسفة الإنجيليون الأربعة ولاسيما إنجيل يوحنا الذي اشتمل على أساطير الصّراع بين النور والظلام، وتعريف المسيح بأنّه الكلمة (اللّوغوس)، وكلّها أفكار هلنستية محضّة، منبثقة في أصلها من عبادة ميثراس<sup>(1)</sup>.

ويعود تاريخ كتابة إنجيل يوحنا إلى عام 98م وهو تاريخ متأخّر عن رفع المسيح إلى السّماء، وقد أضيف متأخرا الإصحاح الواحد والعشرين من الإنجيل<sup>(2)</sup>. ويبرز هذا الإنجيل دعوى ألوهية المسيح وبنوّته لله في قالب فلسفي، ولا يختلف كثيرا في موضوعاته عن باقي الأناجيل، فهو يفترض أنّ ما قالته الأناجيل أضحى معروفا، فلم يرده وإّما هو يذكر ما لم تذكره تلك الأناجيل من كلام أو مشاهد من حياة المسيح، وهو الكلمة التي تجسّدت، يدخل في حياة الله أولئك النّاس الذين يؤمنون برسالته<sup>(3)</sup>! ويختلف هذا الإنجيل عن الثلاثة الأولى بنزعتة الفلسفية، ليقرّر ما حدّده الكاتب من غرض كان مسبقا، وهو الإعتقاد بأنّ المسيح هو ابن الله، فيقول: ((وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدّام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أنّ يسوع هو المسيح ابن الله))<sup>(4)</sup>.

ويختتم الكاتب كتابه فيقول: (( هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا. ونعلم أنّ شهادته حقّ. وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع أن كُتبت واحدة واحدة فلسفُ أظنّ أنّ العالم نفسه يسعُ الكتب المكتوبة. أمين))<sup>(5)</sup>. ويغفل انجيل يوحنا عن حادث جوهرى بالنسبة لحياة المسيحية بل هو عمود طقوسها الدينية، وهو [القدّاس] أو ما يعرف بـ [الأفخارستيا]، فيلاحظ غياب رواية تأسيسها وسرّها خلال عشاء المسيح الأخير مع الرّسل وتقديسه للخبز والخمر اللّذين يستحيلان جسد المسيح ودمه، فيوحنا لا يذكر عن هذا الطقس المقدس أيّة كلمة، بل يذكر إضافات في قصّة العشاء الرّبّاني الذي سبق الآلام وغسيل أقدام التلاميذ، وخبر خيانة يهوذا، وانكار بطرس له.

<sup>1</sup> -- محمد فاروق الزين : المرجع السابق ، ص 60.

<sup>2</sup> - موريس بوكاي : المرجع السابق ، ص 72.

<sup>3</sup> - علي زيعور : المرجع السابق ، ص 11 - 12.

<sup>4</sup> - إنجيل يوحنا 20 : 30 - 31.

<sup>5</sup> - إنجيل يوحنا 21 : 24 - 25.

فهناك روايات خاصة بيوحنا ، وهي غير موجودة في الأناجيل الثلاثة الأخرى كرواية ظهور عيسى القائم من القبر لتلاميذه على شاطئ بحر طبرية<sup>(1)</sup>، والخلاف حول مدة مكوث عيسى في الدعوة بين سنة وستين ، جعلت "موريس بوكاي" يعلق بقوله: ((فمن يجب علينا أن نصدّق اذن، مرقس أو متى أو لوقا أو يوحنا))<sup>(2)</sup>؟ هذه هي الأناجيل الأربعة التي أقامت المسيحية في صياغة عقيدتها عليها ، رغم عدم القطع بنسبتها إلى التلاميذ والرسل ناهيك عن نسبتها للمسيح -عليه السلام لما فيها ما يناقض العقل والواقع ، ولم تكن منقولة من مصدر واحد فكان الاختلاف والتباين بينها<sup>(3)</sup>. ووقوعها في كثير من الأخطاء كخطأ الإستشهاد بالعهد القديم، ووقوعها في خطأ تقرير صلب المسيح، ووقوعها في خطأ تقرير قيامته<sup>(4)</sup>. ولعبت هذه الأناجيل دورا مهما في نقل ما كانت تعرفه الطوائف المسيحية الأولى عن حياة ورسالة عيسى، كما نقلت اعتقاداتهم وأفكارهم اللاهوتية، وتبرز هذه النصوص الإنجيلية التطور الذي لحق بها في عدّة مراحل بالتوازي مع تطور العرف، ((حيث أنّ أشكال الكلمات أو الروايات المستخلصة من تطور مديد للعرف ليس لها نفس الصّحة التي كانت لتلك التي هي في الأصل. وأن بعض قراء هذا الكتاب سيندهشون أو سينزعجون عندما يعلمون أنّ كلمة المسيح تلك أو أن ذلك الرمز، أو ذلك الخبر عن مصيره لم تكن ملفوظة كما نقرأها نحن. بل إنّها قد نقحت، ثم كيّفت من الذين نقلوها إلينا))<sup>(5)</sup>.

فنتوصّل إلى أنّ أسفار العهد الجديد قد مرّت بمراحل في تطورها بدءا بسفر "أقوال المسيح" المشتمل على أحاديث عيسى النبي والرّسول ، ثم تليه كتابات بولس المتشبع بالفكر الهلنستي الميثولوجي ، فأدخل الفكر الهلنستي وجعله محلّ سفر الأقوال. وفي المرحلة التالية لرسائل بولس الرسول تأتي الأسفار القصصية التي صارت فيما بعد معتمدة قانونية التي دججت شخصية المسيح التاريخية في شخصية المسيح الأسطورية التي ابتدعها بولس ،الذي اقتدى في عمله هذا بما قام به مترجموا العهد القديم بالعمل المعروف بالترجمة السبعينية، فقام أصحاب الأسفار القصصية باقتباس نصوص من

<sup>1</sup> - ينظر: إنجيل يوحنا 21: 1-14.

<sup>2</sup> - موريس بوكاي : المرجع السابق ، ص 73.

<sup>3</sup> - عبد الودود شلبي : التزوير المقدس ، دار الشروق ، بيروت ، ط2، 1986م، من ص 78-86 ينظر فيها الدراسة المختصرة لأوجه الاختلاف والتناقض بين الأناجيل الأربعة .

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 80.

<sup>5</sup> - موريس بوكاي : المرجع نفسه ، ص 76.

العهد القديم ثم إعادة كتابتها وصياغتها وتفسيرها على نحو مغاير للأصل تماما، كي تطابق أحداث عصرهم ولكي يبدو العهد الجديد محققا لنبؤات العهد القديم<sup>(1)</sup>.

### مطلب 3: أوجه الإتفاق في بعض روايات الأناجيل.

قام مؤلفوا الأناجيل بترتيب الحوادث في سيرة السيد المسيح ، ولكنهم لم يصلوا إلى ترتيب متفق عليه ، لأنّ سياق الحوادث مختلف في الأناجيل الأربعة ، وبعض الأناجيل قد سجّلت ما سمعه كاتبها في أوقات متفرقة حسبما عرض لهم من مناسبات الرواية ، لا بحسب تسلسل الأزمنة التي وقعت فيها الحوادث، على أن حوادث السيرة فيها ما يظهر منه أنّه مقدمات وما يظهر منه أنّه نتائج لاحقة لتلك المقدمات. فتذكر أخبار النشأة لقاء المسيح ببوحنا المعمدان مفرق الطريق في السيرة المسيحية ، ولم تذكر لنا الأناجيل من أخبار نشأة المسيح قبل ذلك اللقاء غير حادثتين:

أحدهما حادثة السفر إلى مصر وهو رضيع ، حيث جاء في إنجيل متى : (( إذا ملاك الربّ قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً: قم وخذ الصبّي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتّى أقول لك. لأنّ هيرودس مزعّم أن يطلب الصبّي ليهلكه، فقام وأخذ الصبّي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر، وكان هناك إلى وفاة هيرودس ))<sup>2</sup>، ثم قال أن هيرودس لما رأى أن المجوس قد سخروا به غضب وأرسل: (( وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم و في كلّ تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزّمان الذي تحقّقهُ من المجوس ))<sup>(3)</sup>. ولم يذكر خبر هذه المذبحة في غير إنجيل متى ، ولا يعرف سبب وجود أسرة المسيح في بيت لحم، وأسرتة في الناصرة؟

وتوسع إنجيل لوقا في وصف طفولة المسيح فروى أخبار ختانه وتسميته والسفر إلى بيت المقدس : (( ولما تمّت ثمانية أيّام ليختنوا الصبّي سمي يسوع كما تسمّى من الملاك قبل أن حُبل به في البطن، ولما تمّت أيّام تطهيرها حسب شريعة موسى صعّدوا به إلى أورشليم ليقدموه للربّ.. ولكي يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الربّ: زوج يمام أو فرخي حمام - وهي القربان المقبول من الفقراء ))<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - محمد فاروق الزين : المرجع السابق ، ص 62.

<sup>2</sup> - انجيل متى 2: 13-15.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 2: 16.

<sup>4</sup> - إنجيل لوقا 2: 21-24.

والأخرى حادثة السفر إلى بيت المقدس وهو في الثانية عشر من عمره<sup>(1)</sup>. ثم لا يذكر شيئاً عن نشأة الصبي بعد ذلك إلى أن بلغ الثلاثين وظهر يوحنا المعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، وحينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن ليتعمد منه<sup>(2)</sup>. وليس في الأناجيل ولا في غيرها خبر تعليم المسيح في طفولته قبل الثانية عشرة من عمره وبعدها، وكانت كل أسرة يهودية في ذلك العصر تتمنى لو يخرج منها المسيح المنتظر، وقد سُمِّيَ الطفل يسوع أو (يهوشع) على هذا الأمل، لأن الإسم مركب من كلمتين تفيدان معنى سعي (يهواه) أو نجدة (يهوه) أو خلاص (يهوه) فترى الطفل تربية دينية خالصة، ليرحل مع أسرته إلى بيت لحم حيث تتحقق النبوات الدالة على مولد المسيح الموعود لأنها موطن داود-عليه السلام. فلا يستبعد أن الصبي وعى الدروس التي تعلّمها في صغره واستمع إلى فقهاء الهيكل وأحباره، ويغلب على الظن أن المسيح كان على صلة وثيقة بالمعمدان الذي كان يعدّ رسالة التعميد وهي بطبيعتها رسالة إعداد وتمهيد. لتساهم أيضاً خلوة البرية، خلوة التجربة والإمتحان والتساؤل والإستيقاظ التي عاجلها كل نبي قبل أن يصدع بما أمر به، وقبل أن يستيقن أن ما أمر به من عند الله<sup>(3)</sup>.

كان لقاء يوحنا المعمدان مفرق الطريق في السيرة المسيحية، فكانت سيرة المسيح من قبل ذلك اللقاء تأهباً واستعداداً وأملاً، وكانت سيرته بعد اللقاء رياضة وامتحاناً وعزيمة، ليتحقق رجاء الناس من المسيح الذي انتظروه لكي يعمّ الخير ويُبطل العناء في طلب الأرزاق. ويتحدث القرآن عن كلام المسيح في المهدي في أكثر من موضع، حيث يشير في بشارة منه أن مريم تلقت وعداً من السماء يكشف فيه

<sup>1</sup> - روى لوقا: 2: 41-53 : (( وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى اورشليم في عيد الفصح، ولما كانت له اثنا عشرة سنة صعدوا إلى اورشليم إعادة العيد، وعندما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في اورشليم ويوسف وأمه لم يعلماه. وإذ ظناه بين الرفقة ذهاباً مسيراً يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف، ولما لم يجدها رجعا إلى اورشليم يطلبانه، وبعد ثلاثة أيام وجدها في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعونهم ويسألهم، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته، فلما أبصره اندهشا . وقالت له أمه: يا بني. لماذا فعلت بنا هكذا؟ هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذيين. فقال لهما: لماذا كنتما تطلباني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي. فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما، ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعا لهما. وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها، وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والتعمية عند الله والناس)).

<sup>2</sup> - أورد إنجيل متى: 3: 14-17، معمودية التوبة ليقوم يوحنا بمنع تعميد المسيح قائلا له: ((أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ؟ فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر. حينئذ سمح له، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذ السماءات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه، وصوت من السماءات قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت)).

<sup>3</sup> - أورد إنجيل متى: 4: 1-17، وصفا تفصيلا لقصة التجربة التي صام فيها المسيح أربعين يوما وليلته يقوم فيها ابليس بامتحان إيمان المسيح لما أخذ يجربه بأن طلب منه أن يحول الحجارة إلى خبز، أو يلقي بنفسه من أعلى بناء الهيكل هل يتضرر أم لا، وطلب منه أن يسجد له فيعطيه ملك العالم، لينتهي الفصل بخبر سماع يسوع أن يوحنا أُسليم لهيرونس، فانصرف إلى الجليل وترك الناصرة وسكن كفرناحوم، وابتدأ رسالته داعيا إلى التوبة، لأنه قد اقترب ملكوت السماوات.

الوحي عن ملامح الغلام الذي ستلده العذراء ولادة عجيبة<sup>(1)</sup>، والبشارة الأخرى أنّ المولود سيتكلّم في المهد كلاما واضحا مفهوما وكهلا أيضا حيث لا اختلاف بينهما فكلامه في المهد وكلامه في كهولته على سواء<sup>(2)</sup>، إذ أن دور الكهولة هو الدور الذي يبلغ فيه الإنسان تمام نضجه الجسدي والعقلي، فيقول "عبد الكريم الخطيب" حول السؤال المتعلق بكلام المسيح في المهد: ((أنّه لم يكن إلاّ في هذا الموقف الذي واجه به تلك الوجوه المحدقة في أمّه، والمنكرة لما أتت به، ولمن أتت به! ثم عاد بعدها إلى الطفولة في صمتها ونطقها! وهذا ما لم نقطع به وإن كانت دلائل الحال تشهد له وتظاهره))<sup>(3)</sup>. فالقرآن ذكر كلام المسيح في المهد فهو المحدث والمخبر عن هذه الحقيقة، والأناجيل لم تذكر الخبر من أمر السيد المسيح هذا بل أسقطه الذين كتبوها من حساباتهم، وقد يعود الأمر إلى الإضطهاد الذي لاحق أتباع السيد المسيح من قبل اليهود الذين كانوا يلاحقونهم ويصفون أمّ المسيح بأبشع الصفات ويطعنون في معجزات المسيح ممّا جعل كتّاب الأناجيل يفرون من فتح جبهات جديدة للحرب بينهم وبين اليهود، فلمّا كان وقت كتابة الأناجيل كانت الحادثة قد ضاعت في تراكم الأحداث التي اتّصلت بحياة المسيح، والتي انتهت بالحدث المتعلق بصلبه وقيامته من الأموات.

وحتى الميلاد العجيب من العذراء لم يتطرق إليه مرقس ويوحنا في كتاباتهما، وأيضا بولس في رسائله، ماعدا إنجيلي متى ولوقا تحدّثا عن هذا الأمر في شيء من الخلط، إذ يرجعان نسب المسيح إلى داود عن طريق يوسف النّجار .

ربط المسيح دعوته بقوة المعجزات التي أيده الله بها فكان هذا الرّسول العظيم إذا أقدم على أمر حاسم أطلّ التفكير فيه، مقلّبا وجوه الرويّة والمراجعة حتى يخطر له أن العمل مرهون بانتظار آية يستوثق بها من إرادة الله، وعندئذ يبادر إلى تنفيذ هذا الخاطر بغير هوادة، فخرج المسيح من عزلة الهيكل إلى رسالة إصطبغت أولا في الجليل بصبغة مميزة، وهي صبغة الرسالة القومية الإسرائيلية، وحرص ألاّ يثير الناس على السّلطان الحاكم ولا يثير السّلطان الحاكم عليه، فكان يؤثّر المباحدة والتقيّة ما استطاع، حتى بلغ الكتاب أجله، ثم انتقل من العزلة إلى الدعوة بين بني إسرائيل وأنّه نور العالم وخبز الحياة، والكرمة الحقيقية، وهو ابن الله على وجه المجاز وابن الإنسان<sup>(4)</sup>، وقد أعدّ عدّته

<sup>1</sup> - لقد سكنت الأناجيل عن كلام المسيح في المهد وتحديث عنها القرآن وذلك ليكون آية على طهر أمّه وعفافها .

<sup>2</sup> - ينظر: سورة آل عمران، الآية 45 حيث قال تعالى: {ويكلّم الناس في المهد وكهلا، ومن الصالحين}.

<sup>3</sup> - عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق، ص 512.

<sup>4</sup> - ورد لفظ الأبوة الإلهية في مواضع متعدّدة من كتب الأنبياء فجاء في:

لمواجهة أعدائه، وأعدّ العدة لاستبقاء عزيمة تلاميذه، فهيّا أذهانهم لاحتمال ما يلاقونه من بلاء. فتروي الأناجيل دخول المسيح إلى بيت المقدس على ظهر أتان في موكب مهيب تهتف الجموع بالتّصير، ويفهم من وصايا المسيح أنّه ظل في بيت المقدس يرمي للكّهان والفقهاء مكانتهم على ما هم حريصون عليه من حقوق. فقد خاطب قائلاً: ((على كرسيّ موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكلّ ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون))<sup>(1)</sup>. وأخبر عن نفسه أنّه من غير هذا العالم، ولا شأن له بسطان التّيجان والعروش، فهو الدّاعي إلى ملكوت الله، مدركاً للمؤامرة التي تحاك ضدّه في بيت المقدس، عرفها من خلال الأسئلة التي كانت تنهال عليه وأن القوم يأمرون به لإهلاكه، حيث كان الأعداء يستدرجونه إلى كلمة تثبت العصيان والتمرد على الدولة أو كلمة تثبت الكفر بالشرعية ونقضها فكانت أجوبته تستند إلى الحجّة وتهتك ما ستر من حجب الرّياء، إلى أن حدثت المناوشات بالهيكل لما أقلب موائد الصيّارة وصاح بهم وبسماسة الهيكل يذكرهم أنّهم في بيت الله وأنهم نقلوه من معبد صلاة إلى مغارة لصوص<sup>(2)</sup>، فتحرك الكّهان للبطش والنكاية به. وتبدأ فصول الإعتقال والمحاكمة على الرّغم من إعلان الحاكم الروماني براءة المحكوم عليه، فيقول إنجيل يوحنا: أن تسليمه للتنفيذ كان في نحو السّاعة السادسة<sup>(3)</sup>، ويقول مرقس: أنّها كانت الساعة الثالثة حيث صلبوه<sup>(4)</sup>، ليصاحب ذلك زلزال بالأرض، وأنّ القبور تفتّحت وخرج منها قديسون يمشون بين النّاس<sup>(5)</sup>، وفي اليوم التّالي من الدفن يُفتح

= أ- سفر التكوين 6: 1-2، أن الملائكة أبناء الله. ((وحدث لما ابتداء النّاس يكثرون على الأرض ووُلد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات النّاس أنّهنّ حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كلّ ما اختاروا)).

ب- وفي سفر التثنية 14: 1-2، قول موسى لبني إسرائيل: (أنتم أبناء الله) فقال: ((أنتم أولاد الرّب إليكم. لا تخمّشوا أجسامكم ولا تجعلوا قرعةً بين أعينكم لأجل ميت، لأنك شعب مقدّس للرّب وقد اختارك الرّب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض)).

ت- وفي سفر التثنية 32: 5، وأنّ الشعب كلّهم أبناء الله. ((أفسد له الذين ليسوا أولادُهُ جيلاً أعوج ملتو)).

ث- وفي العهد الجديد: جاء في إنجيل متى 6: 9 كلام على لسان المسيح (فصلّوا أنتم هكذا. أبانا الذي في السّماوات، ليتقدّس اسمك)، وفيه أيضاً 6: 32: ((لأنّ أباكم السّماويّ يعلم أنّكم تحتاجون إلى هذه كلّها)).

<sup>1</sup> - إنجيل متى 23: 1-3.

<sup>2</sup> - ينظر: متى 21: 13 ((ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيّارة وكراسي = باعة الحمام، وقال لهم . مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص)).

<sup>3</sup> - جاء في إنجيل يوحنا 19: 14-15: (( ونحو الساعة السادسة ، فقال لليهود هوذا ملككم. فصرخوا خذ خذ أصلبه)).

<sup>4</sup> - إنجيل مرقس 15: 25: ((وكانت الساعة الثالثة فصلبوه)).

<sup>5</sup> - إنجيل متى 27: 51-53: ((وإذا حجاب الهيكل قد انشقّ إلى اثنين من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت والصّخور تشققت، والقبور = تفتّحت وقام كثيرٌ من أجساد القديسين الرّافدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدّسة وظهروا لكثيرين)).

القبر ولا توجد به الجثة ، وأن المسيح ظهر للتلاميذ مرات<sup>(1)</sup>، لتنتهي السيرة المسيحية في موعدها الذي سلّمها التاريخ إلينا، لينتهي عندها آخر جيل قامت فيه دولة العصبية الدينية التي تحتكر هداية الله ورحمته لسلالة واحدة من أبناء آدم وحواء، وينشأ أول جيل تعمّ فيه الدّعوة إلى هداية إلهية تحيط بكل من يهتدي من بني الإنسان، ولم تمض أربعين سنة حتّى هوت ديانة الأثرة العصبية وبتداعى الهيكل الذي اعتصمت به ، ثم يقوم للضمير الإنساني دعوة تبسط نفوذها على العالم كبسط نور الشمس لكل ناظر .

#### مطلب 4: أوجه الاختلاف والتناقض في بعض روايات الأناجيل.

كلّما مرّت عشرات السنين ظهرت نفس الأناجيل بنصوص مختلفة لما عرفت من قبل، وقد تناول "عبد الله الترجمان" بابا في اختلاف الأناجيل ، ويبيّن كذبهم<sup>(2)</sup> ومن هذه الاختلافات: أ- الاختلاف في أول جملة من الإنجيل، حيث جاء: في إنجيل متى: ((كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم))<sup>(3)</sup>. وفي إنجيل مرقس: ((بدء إنجيل المسيح ابن الله))<sup>(4)</sup>. وفي إنجيل لوقا: ((إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقّنة عندنا))<sup>(5)</sup>. وفي إنجيل يوحنا: ((في البدء كان الكلمة))<sup>(6)</sup>.

ب- الاختلاف حول موقف المسيح من الأنبياء ، فالمسيح يصف الأنبياء لصوص مع أنّ العهد القديم هو من كلام أنبياء الله السابقين كما يعتقد المسيحيون.

فجاء على لسان المسيح في إنجيل يوحنا: ((أقول لكم إنّني أنا باب الخراف، جميع الذين أتوا قبلي هم سرّاق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم ، أنا هو الباب . إن دخل بي أحدٌ فيخلص ويدخل ويجد مرعى، السارق لا يأتي إلّا ليسرق ويذبح ويهلك، وأمّا أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل ، أنا هو الراعي الصالح والرّاعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف))<sup>(7)</sup>، وهذا يناقض ما جاء

<sup>1</sup> - ينظر: إنجيل مرقس 16: 6-14 . و إنجيل متى 28: 6-10 .

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الله الترجمان : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، من ص 57 إلى ص 62. حول إختلافات الأناجيل الأربعة. ويذكر

رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج1، ص 93 وما بعدها، ستة إختلافات عند مقابلة بيان نسب المسيح في إنجيل متى بالبيان في

إنجيل لوقا ، ونفس الإختلافات عند الجويني: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، ص 41 وما بعدها.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 1: 1.

<sup>4</sup> - إنجيل مرقس 1: 1.

<sup>5</sup> - إنجيل لوقا 1: 1.

<sup>6</sup> - إنجيل يوحنا 1: 1.

<sup>7</sup> - إنجيل يوحنا 10: 8-11.

في قول المسيح: ((لا تظنّوا أنّي جئت لأنقض النّاموس أو الأنبياء . ماجئت لأنقض بل لأكمّل))<sup>(1)</sup>  
 ت-الإختلاف حول شهادة المسيح: جاء قول المسيح في إنجيل يوحنا: ((إن كنت أشهد لنفسي  
 فشهادتي ليست حقًا، الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهد بها لي هي  
 حقٌّ))<sup>(2)</sup>، وفي موضع آخر يقول: ((وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حقٌّ، لأنّي أعلم من أين أتيت  
 وإلى أين أذهب))<sup>(3)</sup>.

ث- الاختلاف في موقف المسيح من الحوار بطرس: حيث وصف المسيح بطرس بالصخرة الصلبة  
 التي تصلح لبناء الكنيسة عليها وأنّه يعطيه ملكوت السّماء - كما جاء في إنجيل متى<sup>(4)</sup>. وفي رواية  
 بعدها مباشرة وبنفس الإصحاح يصف السيد المسيح بطرس بالشيطان وبالمعثرة لأنّه لا يهتمّ بما لله  
 وإنّما يهتمّ بما للنّاس<sup>(5)</sup>.

ج- الاختلاف في أسماء تلاميذ المسيح رغم قلة عددهم :

في إنجيل لوقا<sup>(7)</sup>:

في إنجيل متى<sup>(6)</sup>:

- سمعان الذي سمي أيضا بطرس.

- الأول سمعان الذي يقال له بطرس

- وأندراوس أخوه

- أندراوس أخوه

- يعقوب

- ويعقوب بن زبدي

- يوحنا

- ويوحنا أخوه

-فليس

- فليس

- برثوليماس

- برثوليماس

- توما

- توما

- متى

- ومتى العشار

<sup>1</sup> - إنجيل متى 5: 17.

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 5: 31.

<sup>3</sup> - إنجيل يوحنا 8: 14

<sup>4</sup> - إنجيل متى 16: 18-20.

<sup>5</sup> - إنجيل متى 16: 21-23.

<sup>6</sup> - إنجيل متى 10: 2-4.

<sup>7</sup> - إنجيل لوقا 6: 13-16.

- ويعقوب بن حلفي

- يعقوب بن حلفي

- ولِّبَاوس الملقب "تداوس"

- يهوذا أخو يعقوب

- سمعان القانوني

- سمعان الذي يدعى الغيور

- يهوذا الأسخريوطي

- يهوذا الأسخريوطي

ح-الاختلاف في نسب المسيح:

عند متى أنّ المسيح ابن يوسف بن يعقوب، وفي لوقا هو ابن يوسف بن هالي، وعند متى المسيح من أولاد سليمان بن داود، وفي لوقا فإنه من أولاد ناثان بن داود، وعند متى ما بين المسيح إلى داود ثمانية وعشرون جيلا وفي لوقا أربعون جيلا<sup>(1)</sup>. إنّ الأناجيل تعج بالتناقض والاختلاف، فالجديد يناقض القديم، والسابق يناقض الأسبق<sup>(2)</sup> بشهادة بعض علماء المسيحية المنصفين الذين توصلوا إلى مايلي:

1- الأناجيل غير متجانسة: فالعهد الجديد كتاب غير متجانس ويمثّل وجهات نظر مختلفة.

2- الأناجيل ناقصة: ((فالحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة ناقصة وغير معيَّنة، لا توصلنا إلى أمر معين))<sup>(3)</sup> كما تمّت إضافة باب كامل في إنجيل يوحنا، فيقول "كروتيس" ((إنّ هذا الإنجيل كان عشرين بابا فألحقت كنيسة أفسس الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا))<sup>(4)</sup>.

3- اختلاف إنجيل يوحنا عن الأناجيل الثلاثة الأخرى: وذلك من حيث الأسلوب والمضمون، والقول بأنّ الأناجيل كلام الله هي دعوى بعيدة عن الصواب، والإنجيل الذي نزل على المسيح ليس الذي بين أيدي المسيحيين يقينا.

4- افتقار الأناجيل للوحي: فالذين كتبوها لم يكتبوا عن طريق الوحي أو الإلهام الإلهي، وقد أشار إلى هذا لوقا في إنجيله بقوله: (( إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصّة في الأمور المتيقّنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخذّاما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كلّ شيء من

<sup>1</sup> - ينظر: إنجيل متى: 1: 17 (( من داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلا . ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا)). وفي انجيل

لوقا: 3: 23-31. يقدر العلماء عدد الجيال بحسب سلسلة التّسب إلى أربعين جيلا.

<sup>2</sup> - رحمة الله الهندي: إظهار الحق، ج 1 من ص 95 إلى ص 117. ومن ص 137 إلى ص 158. أحصى "رحمة الله الهندي" أوجه

الاختلاف والتناقض في نصوص الأناجيل في نفسها وفيما بينها وبين نصوص العهد القديم مع بين الاغلاط التي وقعت فيها .

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ج 1، ص 134.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ج 1، ص 134.

الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحّة الكلام الذي علّمت به<sup>(1)</sup>، إنّ لوقا لم يذكر أنّه أوحى إليه ، ولم يكتب هذه الرسالة التي سميت فيما بعد إنجيلا ، لم يكتبها للعالم ، بل إلى صديقه العزيز الذي يدعى "ثاوفيلس".

#### 5- الإصابة بالتحريف:

تكهن أحد مؤلفي الأناجيل باحتمال التحريف لكتابه وأنّه لا ينجو من ذلك لا محالة وهذا بحسب النصّ الوارد في سفر رؤيا يوحنا: (( لأنيّ أشهد لكلّ من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب إن أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب ، وإن كان أحد يحدف من أقوال كتاب هذه النبوة يحدف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدّسة ومن المكتوب في هذا الكتاب))<sup>(2)</sup>. وما يعضد هذا الموقف من إمكانية حدوث التحريف ما جاء في "أرميا": ((كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرّب معنا، حقّا إنّه إلى الكذب حوّها قلم الكتبة الكاذب، خزّي الحكماء ارتاعوا وأخذوا.ها قد رفضوا كلمة الرّب فأية حكمة لهم))<sup>(3)</sup>.

#### 6- التآثر بالأساطير :

مثل أسطورة قيامة المسيح الواردة في إنجيل مرقس أقدم الأناجيل كتابة ،والتي يعتبرها المحققون قصّة ملقّقة رغم أهميتها في أصول العقيدة المسيحية، وفيها كثير من التخيلات والمخالفات للواقع والعقل<sup>(4)</sup>.

ولهذه الملاحظات إنهم المسيحيون بعضهم بعضا بالتحريف للأناجيل، هذا التحريف الذي وقع في بداية القرون الأولى، ولعلّ اضطهاد اليهود لأتباع المسيح كان له الأثر في ضياع إنجيل المسيح وإن بقي قدر منه في صدورهم من وصايا وحكم وأمثال، ولما هدأ الإضطهاد رجع الأتباع إلى ما في صدورهم يسترجعون ذكريات الحياة التي لازمها مع المسيح فدوّنوها وتحدّثوا عنها للناس، وهي التي تأسست على إثرها الأناجيل الأربعة بالخصوص.

إنّ كثرة الأناجيل وتناقضاتها التي سجّلها التاريخ قد أثارت الشكوك فيها وفتحت المجال واسعا في التحقيق في مصادرها وفي مؤلّفها، فتمّ الشك في صحّة الأناجيل، حيث لم يكن هناك

<sup>1</sup> - إنجيل لوقا 1: 4 - 1.

<sup>2</sup> - سفر رؤيا يوحنا 22 : 18-19.

<sup>3</sup> - سفر أرميا 8 : 8 - 9.

<sup>4</sup> - ينظر: إنجيل مرقس 16 : 9-20. حول ظهور المسيح لمريم المجدلية وللتلاميذ بعدما قام من القبر.

مصدر معروف واحد يلقي فيه أتباع المسيح إنجيل نبيهم ،((بل لقد ذهب كل من عنده علم من أمر المسيح، وخبر مروى من أخباره ذهب يسجل ذلك، ويصوغه الصياغة التي ترضي مشاعره، وتصور أحاسيسه لهذه الهزة العنيفة المنزللة، التي أحدثها ظهور المسيح، والنهاية التي انتهى إليها))<sup>(1)</sup> .

وقد أحصى الشيخ "رحمت الله الهندي" من هذه الاختلافات:

أ- مائة وأربعة وعشرون إختلافا في التوراة والأنجيل المتداولة الآن.

ب- ثمانية وثلاثون غلطاً في التوراة.

ج- مائة وعشرة غلطاً في الأنجيل .

وقال بعد هذا الإحصاء الدقيق ((...لا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كل سفر من أسفار العهد العتيق والجديد كُتب بالإلهام، أي إلهام للرسل بهذه الكتب، بسبب التحريف القصدي أو بسبب سهو الكاتب<sup>(2)</sup> ؟ وهناك إنجيل تذكره الأنجيل الأربعة وأنه غير هذه الأنجيل ، لأنها ما كانت موجودة وقت أن قال المسيح العبارات التي ورد فيها ذكر هذه الأنجيل ، والتي يأتي ذكرها مضافاً مرة إلى المسيح بوصف: (ابن الله)، ومرة مضافاً إلى الله، وثالثاً مضافاً إلى ملكوت الله، ومنها ماجاء في إنجيل متى: ((وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم في مجامعها، ويكرز ببشارة الملكوت))<sup>(3)</sup> .

وفي انجيل مرقس: ((جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل))<sup>(4)</sup> .

**مطلب 5: خلاصة لمحتويات الأناجيل:**

يلخص علماء الأديان محتويات الأناجيل بحسب نصوصها إلى خمسة موضوعات وهي:

القصص والعقيدة والشريعة والأخلاق والزواج<sup>(5)</sup>، وأولها جاء في ذكر نسب المسيح وولادته وطلب الرحمة للمساكين والجائعين وصانعي السلام. وأن عيسى جاء لإكمال التاموس لا لنقضه. كما جاءت دعوته منكبّة على النهي عن الزنا وعدم النظر إلى النساء بشهوة، والحث على الصبح والتسامح والزهد في الدنيا. وعضد المسيح دعوته بشفاء المرضى من خلال معجزاته. وفي باب الشؤون الأسرية

<sup>1</sup> - عبد الكريم الخطيب : المسيح في القرآن والتوراة والانجيل ، ص 84.

<sup>2</sup> - رحمة الله الهندي : المرجع السابق ، ج1، من ص 55 إلى ص 159 الباب الأول: في بيان كتب العهد العتيق والجديد.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 9: 35.

<sup>4</sup> - إنجيل مرقس 1: 14.

<sup>5</sup> - ينظر: علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص 79 وما بعدها.

دعا إلى منع الطلاق إلاّ بسبب الزّنا ،ومنع الزواج بمطلقة<sup>(1)</sup>. وتحتّم الأناجيل نصوصها بقصّة القبض على المسيح والتحقيق معه وصلبه ودفنه وقيامته ورفع<sup>(2)</sup>.

فتحدّث الأناجيل عن الإرهاصات التي وقعت بين يدي القبض على المسيح ،وتحدّث عن عملية القبض وكيف تمت؟ ،وتتفق روايتي مرقس ومتى حول هذه الواقعة ،وهو ما يؤكّد ما ذهب إليه بعض الباحثين من أنّ إنجيل متى قد نقل عن مرقس ولهذا شكّ كثير من النّقاد في نسبة هذا الإنجيل إلى متى ونسبوه إلى أحد تلاميذه<sup>(3)</sup>. حيث نرى إختلاف الروايات في الموقف الذي وقفه "يهوذا الأسخريوطي" من المسيح ،وموقف المسيح منه ساعة القبض عليه،ففي متى ومرقس:يهوذا يقبّل المسيح،بينما في لوقا يريد أن يقبّله،وترى الأناجيل أنّ المسيح ليلة القبض عليه كان معه تلاميذه ولم يكن يهوذا غائبا،أفتركهم يهوذا في هذه اللّيلة ولا يسأل عنه أحد حول هذا الغياب؟فتسكت الأناجيل عن هذا الأمر مخافة فتح طرق للجدل عن غيبة الأسخريوطي عن مجلس المسيح!

وتستمر الروايات الإنجيلية في الإختلاف أيضا حول محاكمة المسيح وما دار في المحاكمة التي سجّلت شهادة شهود الزّور على المسيح بنقضه للهيكل وبنائه في ثلاثة أيام<sup>(4)</sup>. وفي هذه الواقعة ينفرد يوحنا من بين أصحاب الأناجيل بأنّه الشاهد الحقيقي لمحاكمة المسيح منذ أن قبض عليه إلى أن صلب ودفن، ويتحدّث عن نفسه أنّه التلميذ الذي كان يسوع يحبّه، وأنّه كان معروفا عند رئيس الكهنة ، في حين ترى الأناجيل الثلاثة عند مرقس ومتى ولوقا أنّ الذي كان معروفا هو بطرس الذي كان يتتبع أثر المسيح ومراقبة ما يحدث له في بيت رئيس الكهنة حيث استوقفه الخدم ونادوا بالقبض عليه وإلحاقه بصاحبه المسيح.

<sup>1</sup> - ينظر:إنجيل متى:1 :2، متى:3، متى:5 :17، متى:5 :27، متى:5 :38-43، متى:8 :9، متى:19 :19.

<sup>2</sup> - ينظر: متى من الإصحاح 16 إلى الإصحاح 28،وهو آخر إصحاح من هذا الإنجيل ، حيث ما أورده متى في إنجيله ينطبق على الأناجيل الثلاثة الأخرى مع وجود كثير من التناقضات، كما أنّ هناك مواضيع مشتركة بين الأناجيل كالمواعظ ومقابلة التسامح وعدم مقاومة الشر ، وبغض أو كره الأب والأم والأولاد إذا كانوا عشرة لك في الإيمان، ومواضيع الطلاق لغير الزّنا ،غير أنّ هذه المواظ التي وردت في النّصوص المقدّسة لدى المسيحيين يعترف الكثيرون بأنّها صعبة التطبيق ، فهي مواظ ووصايا مثالية لا صلة لها بالحياة في أرض الواقع.

<sup>3</sup> - عبد الكريم الخطيب:المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص 409 نقلا عن: قصة الحضارة ، ج 11، ص 208.

<sup>4</sup> - قول المسيح في انجيل متى: 26: 61 (( إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه))، يؤوّله اللاهوتيون أنّ المسيح كان يشير بهذا الهيكل إلى جسده ، وأنّه سيهدمه وفي ثلاثة أيام يقيمه من بين الأموات! ورواية مرقس التي تقول عن الهيكل لا تسمح بهذا التأويل إذ هي نص صريح في أنّ المراد بالهيكل هو هيكل سليمان ، وهو المعبد الذي يتعبد فيه اليهود.فجاء في مرقس 15: 29-30 : (( يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام ، خلّص نفسك وأنزل عن الصّليب)).

وحول الخاتمة المساوية المرّوعة للمسيح وهو على الصّليب تتجلى روايات الأناجيل في كثير من الخلاف حول حمل الصليب، وحول الحوار الذي جرى بين اللّصين والمسيح وهم جميعا على خشبة الموت معلّقين، وحديث الأناجيل عن الظلمة التي وقعت في جميع أنحاء العالم من الساعة السادسة إلى التاسعة، والمسيح على الصّليب، وما صاحب ذلك من الزلزلة وانشقاق الهيكل<sup>(1)</sup> ! ويعلق " ول ديورانت" على ما ورد في الأناجيل عن حادثة الصلب فيقول: (( ولا يسع الإنسان إلا أن يشكّ في هذه التفاصيل التي تناقلها النّاس مشافهة في أغلب الظنّ ثم دوّنوها بعد وقوعها بزمن طويل ))<sup>(2)</sup>.

وما يزيد الغرابة ذهولا حديث القيامة في الروايات التي تتحدث عن طلب اليهود من بيلاطس حراسة القبر مخافة سرقة من طرف التلاميذ حتى لا يذيعوا بين النّاس أنّه قام من بين الأموات فتحدث بذلك فتنة ، ولو فرضا صحّة الرّواية ما أمكن القول بقيامة المسيح ، ولتوقفت حياة المسيح عند الصّلب ، وهو موقف مخرج يقيم المسيحية على خواء لا تثبت لها فيه قدم، ولكن المسيح قام، وقبره وُجد فارغا فأين كان الحرس الذين أقامهم اليهود على القبر؟ وكيف نفذ التلاميذ إلى القبر؟ بل ويدخلون داخله ويفتشون محتوياته؟ ويختفي المسيح ليظهر بعد ثلاثة أيام أمام قلة من الأفراد، ثم يتم صعوده بعد أربعين يوما بحسب ما كان يعتقد المصرون الوثنيون القدامى من أن أرواح الموتى تظل تحوم حول أهلها وفي المنازل التي إعتادتها مدة أربعين يوما. ثم تصعد إلى السّماء<sup>(3)</sup>.

وحول الأناجيل الأربعة التي هي المصدر التاريخي للمسيحية فإنّها ليست من إملاء المسيح ولم يشهدّها، ومدوّنها لهم رغبات خاصّة أملتّها عدة بيئات مختلفة. مما يدفعنا السّؤال دائما إلى طرحه: أين انجيل المسيح الأصلي؟ بالرغم من أنّه (( يعتقد غالبية المسيحيين أنّ الأناجيل الأربعة كتبت من الشهود المعاشين حياة المسيح الذين ربّوا من هذا الواقع شهادات لا ريب فيها عن الأحداث التي شغلت وجوده ووعظه ))<sup>(4)</sup>، والغريب أنّ الكنيسة جعلت كتابات بولس والأسفار المتضمنة عقائده أساسا لدين جديد نسبته ليس لبولس وإنما لعيسى المسيح نفسه، وأطلقت عل جميع

<sup>1</sup> - لم يذكر يوحنا شاهد الرؤية شيئا من هذه الأحداث التي أوردتها إنجيل متى 27: 51-54.

<sup>2</sup> - عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق ، ص 446.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 452.

<sup>4</sup> - موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص 55.

الكتب التي يؤمن بها المسيحيون اسم الكتاب المقدس<sup>(1)</sup>، الذي ظلت طبعاته محلّ خلاف بين الطوائف التي أصدرته<sup>(2)</sup>. إلى جانب الخلاف حول أصل لغة تأليفه فقد تمّ باللّغة اليونانية التي لم تكن لغة المسيح ولا حواريه بل كانت لغته الآرامية ، والنسخة التي وجدت بلغة المسيح كتبت باللّهجة السريانية التي ترجمت عن اليونانية خلال الفترة 411م\_433م ،وقام جيروم في سنة 382م بترجمة العهد الجديد من اليونانية إلى اللاتينية التي اشتهرت باسم " فالجيت " -بمعنى الشعبية أو الشائعة- والتي أصبحت النسخة الرسمية للكنيسة اللاتينية<sup>(3)</sup>.

فمن ناحية الكتب المقدسة يقول "ابن حزم": (( إنّ النصارى لا يدعون أنّ الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح، ولا أنّ المسيح أتاهم بها، بل كلّهم لا يختلفون في أنّها أربعة تواريخ ألّفها أربعة رجال معروفين في أزمنة مختلفة...أولها تاريخ ألفه متى اللاوي بالعبرانية بعد تسع سنين من رفع المسيح ، في نحو ثمانين وعشرين ورقة فقط بخط متوسّط ، والآخر تاريخ ألفه ماركس الماروني بعد اثنين وعشرين عاما من رفع المسيح -عليه السلام، وكتبه باليونانية في أنطاكية، والثالث تاريخ ألفه لوقا الطيب تلميذ شمعون باطرة (بطرس)، كتبه باليونانية بعد تأليف مرقس المذكور في حجم إنجيل متى، والرابع تاريخ ألفه باليونانية يوحنا بن سيداي بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة في أربع وعشرين ورقة، ثم ليس للنصارى كتاب يعظّمونه سوى " الأفركسيس " (أعمال الرسل) الذي ألفه لوقا ، وكتاب "الوحي والإعلان" ( رؤيا يوحنا) ليوحنا و" الرسائل القانونية" ورسالتين لباطرة شمعون (بطرس)، ورسالة ليعقوب ابن يوسف النجار، وأخرى لأخيه يهوذا ، ورسائل بولس تلميذ شمعون ))<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - محمد فاروق الزين : المسيحية والإسلام والإستشراق ، من ص 63 إلى ص 66 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 62. (طبعة الروم الكاثوليك تشمل على سبعة أسفار إضافية لا يعترف بهاها البروتستانت إذ يصفونها بالخرافية أو الأسطورية، وبالمقابل يرد الكاثوليك بأن هذه الكتب السبعة ليست سوى مجموعة ثانية متأخرة من الكتب القانونية ، وهكذا فان طبعة الروم الكاثوليك تشتمل على ثلاثة وسبعين سفرا في حين طبعة البروتستانت تشتمل على ستة وستين سفرا).

<sup>3</sup> - محمد فاروق الزين : المسيحية والإسلام والإستشراق ، ص 63.

<sup>4</sup> - عبد الحلیم عويس : العقل المسلم في مرحلة الصّراع الفكري ، ص ص 21-22 .

## الباب الثالث

### مراحل تشكيل وتطور اللاهوت المسيحي

الفصل الأول: مراحل تشكيل اللاهوت المسيحي.

المبحث الأول: مرحلة نشأة العقائد وتطورها (التأسيس) (وتبدأ من 30 م إلى 70 م).

مطلب 1: بداية انفصال المسيحية وتطورها عن اليهودية.

مطلب 2: عوامل وأسباب الانفصال. أ- العوامل، ب- الأسباب.

مطلب 3: دور بولس في عملية الانفصال وتطورها:

أ- ثقافة بولس، ب- تطور العقيدة المسيحية عنده، ت- تفسيره لحادثة الصلب، ث- كنيسته.

المبحث الثاني: مرحلة التدوين للعقائد المسيحية: (وتبدأ من سنة 70 م إلى 125 م)

مطلب 1: بدايات الإضطهاد للديانة المسيحية.

مطلب 2: أسباب الإضطهاد وفتراته .

مطلب 3: نتائج الإضطهاد وأثره في تطور العقائد .

المبحث الثالث: مرحلة التثبيت للعقائد المسيحية: (وتبدأ من 125 م إلى 325 م)

مطلب 1: تطور العقائد المسيحية بحسب مصدرها.

مطلب 2: -تطور العقائد بحسب رجال الدين.

مطلب 3: تطور العقائد بحسب المجامع الكنسية ك

أ- نظرة على المجامع المسيحية.

ب- أعمال المجامع وقراراتها.

مطلب 4: العقائد المسيحية وتطورها في ظل الآباء.

مطلب 5: العقائد المسيحية وتطورها في ظل الفرق والمذاهب الكنسية.

أ-الدوناتية، ب-البيلاجيانية، ت- الأوغسطينية.

مطلب 6: قانون الإيمان الكنسي ودوره في صياغة العقائد.

## الفصل الأول : مراحل تشكيل الأمور المسيحية:

في ظل الفوضى العقائدية الموروثة منذ ظهور دعوة المسيح ، والتي دفعت مجمع نيقية للإنعقاد برئاسة الإمبراطور قسطنطين أخذت تلوح معالم الانشقاقات بين المناصرين لقرارات المجمع المنتمين إلى أساقفة الغرب اللاتيني ومن معهم من وفود كنيسة مصر، وبين أساقفة الشرق اليوناني الذين لم تعجبهم ولم يطمئنونوا لمقولة تساوي الابن مع الآب في الذات والجوهر، لتنتقل الأمور بين الفريقين إلى صراع عقائدي عنيف دفع بقسطنطين إلى التراجع عن رأيه بقبول دعوة الأريوسيين والدعوة إلى ما دعوه إليه، كما راح الأريوسيون يعتقدون بجماع محلّية هدفها خلع كل من ينتسبون فيه لمنصرة مجمع نيقية أو التشييع لمقولات أثناسيوس الأسكندري، الذي تمّ خلعه في مجمع "صور" بالقدس المنعقد بين جويلية وسبتمبر من سنة 335م<sup>(1)</sup> ، والذي أطلق عليه أتباع مجمع نيقية بمجمع (ملصقة صور) ، ولما مات الإمبراطور سنة 337م<sup>(2)</sup> ظل أبناء الإمبراطور يتدخلون في الأمور الدينية لدى الكنيسة بغية تغليب فرقة على أخرى خدمة لأهوائهم ومصالحهم السياسية والاقتصادية ناشدين الاستقرار لسلطانهم بإتباع خطة مناصرة كل حاكم لنزعة يجلبها لصفه أو يرغمها على ذلك، فكان "قسطنطوس" يؤيد مريدو مجمع نيقية في الغرب و"قسطنطوس الثاني" يؤيد الأريوسيين في الشرق، والذين ظل سعيهم يقدمون سبع صيغ الواحدة تلوى الأخرى لتعويض الصيغة المنبثقة عن مجمع نيقية، هذا الأخير الذي سجّل بكل جدارة إنقياده إلى الرغبة الأمبراطورية شأنه في ذلك شأن مجمع (آرل) المنعقد سنة 353م ، ومجمع (ميلانو) سنة 355م، ومجمع (بيزير) سنة 356م بعدما انتهى أريوس سنة 335م وأوزيبوس القيصري سنة 340 م وأوزيبوس النيقوميدي سنة 341م<sup>(3)</sup> .

وكان من دواعي تأليه المسيح في مجمع نيقية والمجامع التي تلتها كونه جاء من غير أب، وأن أمّه لم يمسه بشر وهو ما أشار إليه القرآن الكريم فيما بعد مجيء الرسالة المحمدية حيث قال الله تعالى :

{ إِنَّ مَثَل عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَل آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }<sup>(4)</sup> ، وقال أيضا: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

<sup>1</sup> - لويس غردية، ج. قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ج 2 ، ص ص 363-364.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 364.

<sup>3</sup> - عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، الدار التونسية للنشر،

تونس، بدون تاريخ ، ص 90.

<sup>4</sup> - سورة آل عمران ، الآية 59.

اعبدوا الله ربّي وربكم ، إنّه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار ، لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ، ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرّسل ، وأمه صدّيقة ، كآنا يأكلان الطّعام ، أنظر كيف نبّين لهم الآيات ثم أنظر أنى يوفّكون {<sup>(1)</sup> .

ومن دواعي تأليه المسيح عند المسيحيين أنّه جاء بأفعال خارج نطاق العقل حيث أنّه أحيى الموتى وأبرأ المرضى فيقولون أنّ فيه جانب إلهي ، فهو إله أو ابن إله أو أن الله ثالث ثلاثة وهم : الآب والابن والروح القدس ، أو أنّه وأمه إلهان من دون الله ، ونظرا لمعصية آدم وارتكابه للخطيئة تمّ صلب المسيح تكفيرا عن خطايا البشر وتخليصهم من آثارها ، هذه الحادثة التي خالف وقوعها القرآن الكريم الذي قال : { وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً وقولهم إنّنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ، ما لهم به من علم ، إلا اتّباع الظنّ وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً ، وإنّ من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً }<sup>(2)</sup> . فيعتبر القرآن مسألة القول بالصلب وقتل المسيح واتّهام مريم بالفاحشة من طرف اليهود هو من باب الكفر ، في حين ظل المسيحيون يقيمون طقوسها والطقوس الإيمانية الأخرى التي تهدف إلى ترسيخ العقيدة والحفاظ عليها طقوس : التعميد والعشاء الرباني ، حيث ينظر القرآن الكريم إلى مسألة العشاء الرباني على أنّها مطلب الحواريين من المسيح بأن ينزل عليهم مائدة طعام من السماء لتطمئن قلوبهم بالإيمان وتكون شاهدة عليهم ، فحدثت قصة المائدة التي روتها سورة من القرآن وسمّيت باسمها ، حيث قال الله تعالى : { إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ، قال اتّقوا الله إنّ كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئنّ قلوبنا ونعلم أن قد صدّقنا ونكون عليهما من الشّاهدين ، قال عيسى ابن مريم اللهم ربّنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأؤلّنا وءاخرنا وآية منك ، وارزقنا ، وأنت خير الرّازقين ، قال الله إنّني منزلها عليكم فمن يكفر بعد

<sup>1</sup> - سورة المائدة ، الآيات 71 - 75 .

<sup>2</sup> - سورة النساء ، الآيات 156 - 159 .

منكم فإتيي أعذبهُ محذابا لا أعذبهُ أحدا من العالمين<sup>(1)</sup>. ونظرا لعدم الاتفاق على الصيغ التي حدّدت الأريوسية كان مدعاة إلى استمرار الإنقسامات في صفّها إلى مذاهب ثانوية متفرعة عن بعضها البعض فظهر منهم :

- من أنكر ألوهية المسيح بصفة قطعية، وأنّ المسيح ليس كلمة الله وليس شبيها به، والمسيح يختلف عن الله ولا يشبّهه ، مستعملين دلالة العبارة اليونانية : ( أنوميوس ) أي نفي التشبيه، فجاءت تسمية نزعتهم ب ( الأنومية).

وأحيانا لعبت اللغة دورا هاما في بروز الاختلافات في كون الكنيسة الشرقية كانت على لسان يوناني وجهل كبير للسان اللاتيني ، كما كان اللاتينيون لا يحسنون اليونانية ، فكان التعبير عن الثالوث عند المشاركة بأنّه ذات ثلاثة أقانيم ، ويبدو للغربيين ميلا للأريوسية، أو يقولون بثلاثة آلهة حيث كان استعمال هؤلاء لعبارة جوهر وثلاثة أشخاص يبدو ميلا إلى السابليانية<sup>(2)</sup> .

**المبحث الأول: مرحلة نشأة العقائد وتطورها: (التأسيس) (وتبدأ من 30 م إلى غاية 70 م).**

إننا نجد أنفسنا أمام قضية متشعبة في تناولنا لموضوع نشأة العقائد المسيحية وتطورها، نظرا لبروز مواقف متناقضة سواء من خلال علماء الإسلام أو من علماء وآباء المسيحية الذين اعتبروا أنّ المسيح أعلن عن العقيدة الحقّة من خلال دعوته إلى الدّخول في ملكوت الله ، ثم إعلان الخلاص الموعود به في العهد القديم من خلال موته ثم قيامته التي شهدها أتباعه ، الذين راحوا يبشرون العالم بالخلاص الذي جاء به بواسطة تأييد روح القدس لهم، فبشروا بما سمعوا ورأوا، مشكّلين زمرا وجماعات يترأسهم أساقفة يسهرون على التراث العقائدي الذي عرف باسم (التّعليم)، نشره الرّسل بعد المسيح في أنحاء العالم وإن لم يكتب شيء كثير منه في أسفار العهد الجديد، فقام بهذه المهمة أساقفة قدوةً بسابقيهم حتّى نصل إلى المسيح نفسه. فالكنيسة الكاثوليكية سمّت نفسها بالرّسولية لأن جميع باباواتها يعتبرون خلفاء القديس بطرس رئيس الرّسل ، فكان كل تعليمها مقتبس من تعاليم الرسل<sup>(3)</sup> .

<sup>1</sup> - سورة المائدة ، الآيات من 112 - 115 .

<sup>2</sup> - عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق ، ص 40 الهامش ، نقلا عن الأب: رفيل نخلة اليسوعي في كتابه: أربعة آلاف مثل للوعاظ وأساتذة التّعليم المسيحي وللعائلات ، ج 1، ص 156 .

<sup>3</sup> - الموسوعة التاريخية الحديثة : تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، ص 63 وحديثه عن الرسل وانتشار المسيحية. وينظر أيضا: أحمد شلبي: المسيحية ، ص 200 وحديثه عن الطوائف المسيحية ، ومنها الكاثوليكية.

ويمكن تقسيم مراحل تطور العقيدة المسيحية إلى ثلاث مراحل متميِّزة تختلف من حيث الفترات التاريخية، ومن حيث خصائص كل مرحلة، وعلاقة السابقة باللاحقة بدءًا من مرحلة التأسيس إلى مرحلة التدوين ثم مرحلة التثبيت التي شهدها أول مجمع كنسي انعقد في تاريخ الديانة المسيحية والذي عرف باسم مجمع نيقية سنة 325م.

بدأ عهد التأسيس للعقائد المسيحية من نحو 30م إلى حوالي 70م بما يقارب نصف القرن من الزمن، وكانت هذه الفترة حاسمة في حياة الديانة المسيحية من حيث نشأة عقائدها وتطورها، على الرغم من ندرة المعلومات والوثائق التاريخية عن هذه المرحلة، لولا وجود "سفر أعمال الرسل" المنسوب للوقا الذي أدّى الدور الكافي في عرض العقائد خلال السنوات الثلاثين الأولى وأفادنا بالمعلومات عن بداية كنيسة القدس. كما ساهمت الرسائل المنسوبة إلى بولس والأنجيل الثلاثة الأولى في إخبارنا على الأوساط التي تمّ تدوين النصوص المسيحية المقدّسة فيها، فكتب لوقا إنجيله ليونانيين، وكتب متى روايته لليهود، أمّا مرقس فقد كتب إنجيله للمسيحيين الرومانيين. وتشخّ المعلومات عن خبر التلاميذ وما فعلوه في الأسابيع التي تلت صلب المسيح، فرمّا تجمّعوا في شكل فرقة يهودية على غرار الفرق الأخرى، أطلقوا على أنفسهم اسم فرقة الناصريين التي تضمّ كلّ من فرق اليهودية المتمثلة في: الصدوقيين والفريسيين والأسينيين<sup>(1)</sup>.

استقبل دعوة المسيح أشخاص بسطاء من العائلة اليهودية والذين سعوا مع المسيح إلى استقطاب وجلب الخراف الضّالة إلى بيت إسرائيل، ولم يكن لهؤلاء فكرة عن جلب غير اليهود من الوثنيين أو اليهود الوثنيون الذين يعيشون في بلاد المهجر خارج فلسطين منذ أربعة قرون سابقة للميلاد إلى حظيرة الديانة المسيحية. ولقد هاجر اليهود خارج فلسطين نتيجة حروب خاضها المصريون والسوريون إذ خضع المصريون لمملكة البطالمة والسوريون لمملكة السلوقية كما حارب المكابيون ملوك سوريا، فحدثت نتيجة هذه الحروب هجرات بشرية يهودية نحو دلتا النيل وفي ليبيا طلبا للأمن والرّزق، ووصل منهم روما حوالي اثنا عشر ألفا من اليهود أقاموا فيها في عهد الإمبراطور

<sup>1</sup> - أطلق لوقا في نصّه أعمال الرسل 5: 17 ، للدلالة على الصدوقيين: ((فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقيين))، وفي أعمال الرسل 5: 15 للدلالة على الفريسيين: ((ولكن قام أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين)). وفي أعمال الرسل 2: 44 للدلالة على الأسينيين من خلال هذا النص: ((وجميع الذين آمنوا كانوا معا وكان عندهم كلّ شيء مشتركاً))، ممّا يوحي بالقول أنّ فرقة الأسينيين كان لها الدور في توجيه تفكير الجيل الأول من المؤمنين بالمسيح وأنها وفّرت لهم إطارا ينسجون عليه، وهي التي عرفت بخصائص اشتراك أفرادها في الحياة اليومية بحسب نصّ أعمال الرسل 4: 32 : ((وكان لجمهور الذين آمنوا قلبٌ واحد ونفس واحدة. ولم يكن أحد يقول إنّ شيئا من أمواله له بل كان عندهم كلّ شيء مشتركاً)).

(أغسطس) منتظمين على هيئة جماعات لها شريعتها وقضاؤها وتقاليدها ومعابدها وطقوسها، وتساحت معهم السلطات الوثنية مما دفع بعامة الناس بالغضب عليهم ومعاداتهم لمبالغة السلطات في حمايتهم، ولما تعرفه شريعة اليهود من وجوب الختان وتحريم أنواع المأكولات، وما تنصّ عليه إحدى طقوسهم بسفك الدّم الآدمي كقربان للإله، وهذا الكره لم يستغرب بأن يتحوّل إلى المسيحية وأتباعها باعتبارهم امتدادا للعنصر اليهودي وديانتهم امتدادا للديانة الموسوية، ولكن المسيحيين وقفوا في وجه هذه التّهمة حيث راح التلاميذ يعملون على إستمالة يهود اليونان الوافدين إلى القدس حين موسم الحج وما يصاحبه من احتفالات وطقوس تعبدية. ومنهم من خرج إلى فينيقيا وقبرص وإنطاكية يبيّن في المعابد اليهودية، وكان من هؤلاء ( برنابا) الذي كرّس جهده في التبشير بالمسيح ورحل إلى طرسوس حيث كان يقيم بولس ليعود به إلى إنطاكية ويشاركه في عمله. ولم يلق التلاميذ في دعوتهم النّجاح في القدس سوى القدر اليسير من تأييد النّاس لهم، لكونهم كانوا متشدّدين في التّمسك بالتّقاليد اليهودية ومواظبتهم على زيارة المعبد أو الهيكل مما أثاروا على أنفسهم عداوة الكهنة والكهنة، ولولا جنحهم للسّلم لكان القتل مثواهم، وقد لحق بعضهم ذلك، ولم تترعرع المسيحية في مهد اليهودية بل تنقّست هواء حياتها في موقع جديد بأرض اليونان<sup>(1)</sup>. وظلّت دعوة التلاميذ محصورة في القدس تبشر بعودة المسيح التي يوشك وقوعها بدل التبشير بقدوم حلول مملكة الله، واجتمع هؤلاء التّلاميذ حول رئيسهم بطرس الذي قتل مع يعقوب الأكبر ويعقوب الأصغر، وحنّا، وأنّ بعض الأساطير تذكر أن ( أندريا) قد ارتحل إلى بلاد السّيخ بينما توجه يعقوب الأكبر إلى إسبانيا، وأخوه حنّا إلى آسيا الصغرى، وتوماس إلى الهند والصين، وبطرس إلى كورينثيا وروما<sup>(2)</sup>. لقد خلصت المسيحية الأولى بعد موت المسيح من كل أنواع المشاهدة التاريخية. وأنّ بولس هو أوّل من أدخل المسيحية نطاق التاريخ، فالمسيحية لم تبدأ بالمسيح كشخص تاريخي بل بشخص بولس الذي نقل الديانة من بيئتها الشرقية إلى البيئة الفكرية في أوروبا الرومانية الجرمانية حيث أصبحت مسيحية غربية.

### مطلب 1: بداية انفصال المسيحية وتطورها عن اليهودية.

شكّلت مجموعة الرّسل بعد المسيح مذهبا يهوديا أمينا على الممارسات ومراسم المعبد، وفي المقابل تشكّلت مجموعات من الوثنيين الذين انقلبوا إلى المسيحية على يد بولس الذي طالب في مجمع

<sup>1</sup> - شارل جنبير: المسيحية نشأتها وتطورها، ص 57.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 66. وينظر: أعمال الرسل 6: 9، 7: 57، 11: 19.

القدس سنة 49م اعفاءهم من الختان ومن ممارسات اليهود في مراسم المعبد، فحقّق تحرر المسيحية من انتمائها السياسي الديني إلى اليهودية، أما اليهود المسيحيون فبقوا إسرائيليين أمناء تحت قيادة يعقوب الذي كان معه في البداية بطرس ويوحنا، يصفون بولس بالخيانة وبالعدواة وبالإزدواجية والمداهنة، وظلّت اليهودية المسيحية في مواجهة المسيحية البوليسية، وظلّت المسيحية اليهودية تمثل غالبية الكنيسة حتى سنة 70م وظلّ بولس معزولاً<sup>(1)</sup>.

والحقيقة أنّ المسيح وحوارييه لم يهدفوا الانفصال عن الديانة اليهودية؛ لأنّهم كانوا حركة إصلاحية ضمّنها، ولكن بسبب انكار أكثرية اليهود لعيسى ولنبوّته ومهمّته وإعلانهم أنّ النّصارى انشقوا عن اليهودية وصاروا هراطقة، هؤلاء النّصارى الذين يعود إليهم الفضل في انتشار الدّيانة المسيحية في العالم على يدي المعلّمين ( بطرس الحواري) و( بولس) الرسول، هذا الأخير الذي لم يكن من تلاميذ المسيح الذين لم يكونوا من الرّاعبين الأوائل في الانفصال، بل الذي سعى إلى هذه الخطوة الجريئة والخطيرة هوشخص بولس الذي لا هو من يحسبون من أصحاب المسيح ولم يلتق بالمسيح البتّة، وهو الذي مهّد لانفصال المسيحية عن اليهودية وفق عقيدة مناسبة تقبل الخروج على إطار ديانة موسى - عليه السلام، وتستهوي أصحاب الثقافة الفلسفية الهيلينية المتجسّدة علناً في السّفر الرابع من العهد الجديد، الذي تذكر مقدّمته أنّ عيسى المسيح ظهر على الأرض ممثلاً (اللّوغوس) التي تعني كلمة الله: ((في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله، كلّ شيء به كان وبغيره لم يكن شيئاً ممّا كان، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور النّاس))<sup>(2)</sup>، هذه الكلمة التي هي مبدأ الفعل لدى الإله (يهوه)، والكلمة اليونانية لها تتّرجم (بالفعل) أو (الكلمة)<sup>(3)</sup>.

لقد أخذ التبشير بالمسيحية يتضاءل بين اليهود لينتشر بسرعة وبنجاح باهر بين صفوف الوثنيين لتبدأ مرحلة الانفصال الفعلي بين الديانتين، ويبدأ الهجوم من المسيحيين المنحدرين من الوثنية ضدّ المسيحيين الذين كانوا تبعاً للتلاميذ أو الحواريين ذوي الأصول اليهودية، والذين كانوا يعملون على المحافظة على التّعاليم التي تلقوها من المسيح وصحبه. وكان المسيح أثناء دعوته يصرّح بوضوح أنّه ما جاء ليبدّل حرفاً من الشريعة اليهودية، فإن الجماعة المسيحية خلال القرن الثاني للميلاد راحت تبرز خصوصيات الدين الجديد المستقل عن ديانة الهيكل التوراتي، وأصبحت هذه الجماعة تتوجه بالدعوة

<sup>1</sup> - موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص 56.

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 1: 4.

<sup>3</sup> - شارل جنبير: المصدر السابق، ص 113.

للمسيحية إلى جميع الناس دون تفرقة داعية إياهم إلى حياة الخلود ، لتلقى هذه الدّعوة قبولاً وعلى مراحل ، إذ توجهت إلى العالم الروماني واليوناني خلال القرن الأول لتمكن من الإنتشار الكاسح في القرن الثاني للميلاد ، ويزداد نفوذها واستقطابها للناس في القرن الثالث محدثة التغيير في المجتمع عقيدة وسلوكاً وشريعة وفقاً لمصالحها ، وتُبرز الفصول الخمسة الأولى من سفر "أعمال الرسل" دعوة التلاميذ التي كانت أساساً موجهة إلى يهود القدس، ويهود الحجاج الوافدين من المهجر ، حيث راح هؤلاء الدّعاة يتحدثون عن مفهوم السيد المسيح الوارد ذكره في نصوص العهد القديم ليسقطوه على شخص عيسى المسيح ، وأنه الموعود على اعتبار أنه الأساس الأول في العقيدة المسيحية، وأن الاعتقاد بأن عيسى هو المسيح المنتظر هو اعتقاد يراه اليهود قاهراً لا مقهوراً بخلاف ما يراه المسيحيون من أن المسيح بعد الصلب أصبح مقهوراً.

ونشأت في العهد الأول للمسيحية طقوس إيمانية من مثل العماد المنسوبة إلى يوحنا المعمدان للإيمان بالمسيح، وكذا إضفاء صبغة القداسة على العشاء الرباني الذي تناوله المسيح مع تلاميذه هذان الطقسان ساهما في استقرار المسيحية رغم كل التغييرات التي لحقت بها عبر التاريخ<sup>(1)</sup>. وكي تزداد المسيحية ثباتاً أنشأ المسيحيون الأوّلون طريقة في تفسير نبؤات العهد القديم، فاختاروا نصوصاً منه ، وخاصة كتاب " أشعيا" ليستدلّوا بها على الوضع الذي يعيشونه مكوّنين من هذه النصوص والتفسيرات المتعلقة بها منظومة لاهوتية تستعمل في التبشير والتعليم والمناظرة، وهي عبارة عن مزيج من ذكريات تاريخية مستقاة من خبر محنة عيسى المسيح وقيامته إضافة إلى التأمّلات المستوحاة والمستقاة من الكتاب المقدس ككل ، ومنها تلك التعاليم التي توجّه بها المسيح لتلاميذه<sup>(2)</sup>. ومن العناصر المساهمة في نشأة العقيدة المسيحية ذلك الاعتقاد في سلطة التلاميذ الاثني عشر باعتبارهم الممثلون الشرعيون لشخص المسيح فهم الأجدر بالطاعة والإتباع.

إنّ المسيح لم يقصد تأسيس دين جديد خارج الديانة الإسرائيلية فلم يأتي لينقض بل جاء ليكمّل شريعة موسى الذي جاء قبله إلى اليهود ، غير أنّ ديانة المسيح تتحول فيما بعده إلى ديانة تجعل منه عقيدة مرتكزة عليه، تقوم بترويج إعلان قرب ملكوت الله وتحوّل نظرة التلاميذ

<sup>1</sup> - ينظر: علي زيعور: أوغسطينوس ، ص 24 وما بعدها وحديثه عن أسرار البيعة أو الأسرار الكنسية: التعميد، القربان، التوبة ، الكهنوت .

<sup>2</sup> - ينظر نبؤات سفر أشعيا عند مرادكامل: الكتب التاريخية في العهد القديم ، ص 56 وما بعدها. وينظر أيضاً: فؤاد حسنين علي: التوراة الهيروغليفية، ص 82 .

للمسيح بأنه قاهر الموت ويعيش بالقرب من الله في مجده، ولم تكن مسألة الصلب سوى وسيلة لرفع المصلوب إلى درجة التآليه خصوصاً بعد بعث المسيح من بين الأموات كما يعتقدون. لقد ازدادت الهوة بين رجال الدين اليهودي والتلاميذ لما أخذ هؤلاء يعلنون الأمل في انتظار عودة المسيح بعد صلبه وموته، ليعلنوا على أساسها استقلال المسيحية عن اليهودية دون رجعة. ولما لم تتحقق العودة لجأ الأتباع إلى جعل الإيمان بالمسيح ورسالته بالمرتكز الذي لا يتزحزون عنه، بل اعتبروا هذا الإيمان أساس المسيحية ومحورها لأنه هو الموعود به.

وينظم إلى هذه الدعوة يهود المهجر المقيمين في القدس أو القادمين إليها من العالم الإغريقي أثناء مواسم الحج الحاملين معهم العادات والأفكار السائدة في أوساطهم ذات التأثير بالفكر اليوناني الذي يميل إلى الأساطير والعقائد المختلفة<sup>(1)</sup>. واستطاع التلاميذ الانفصال عن اليهودية مؤسسين مسيحية قائمة على الإيمان بشخص المسيح متحررين من القومية اليهودية ذات البعد الضيق، وأصبح عندهم المسيح هو المخلص ورب العالم ولم يعد المسيح ذاك النبي التاريخي، إذ رفعوه إلى درجة الألوهية مما ولد استياءً من اليهود الذين يرون في المسيح أنه دجال ضال<sup>(2)</sup>.

## مطلب 2: عوامل وأسباب الانفصال:

### أ- العوامل :

ومن العوامل المساهمة في انفصال المسيحية عن اليهودية اعتماد طقوس التعميد والقربان على أساس أهما أسرار الخلاص من الوثنية، لكوتهما عند المؤمن برهان عن طريق التجربة الغامضة للتناول من طبيعة الإله الأبدي على أن الروح خالدة<sup>(3)</sup>. وساهم التلاميذ في تحاشي التصادم مع سلطة الهيكل إذ سمحت لهم الظروف بالتعبير عن رأيهم، على طرف النقيض فإن المسيحيين اليونانيين ألحوا على ضرورة مقاومة رجال دين الهيكل وعلى رأسهم الحبر الأعظم وقاموا بنشر الإنجيل للجميع في كل مكان دون خوف من السلطة القائمة، مما ولد حركة عنيفة ضدهم عملت على تهجيرهم من القدس، ولم يبق فيها سوى التلاميذ الرسل وبعض الأتباع على أساس أنهم فرقة يهودية كباقي الفرق الأخرى المتواجدة آنذاك بفلسطين، وقد جسّد سفر "أعمال الرسل" كثير من صور معارضة المسيحيين

<sup>1</sup> - سيد عويس : الخلود في التراث الثقافي المصري ، ص 55.

<sup>2</sup> - ينظر إنجيل متى 27: 63 : ((اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: ياسيد قد تدكرنا أن ذلك المضلّ قال وهو حيّ إنّي بعد ثلاثة أيام أقوم)).

<sup>3</sup> - سيد عويس: المرجع نفسه ، ص 55.

للهيكل<sup>(1)</sup>. أما اليونانيون الذين تم طردهم خارج فلسطين فقد لجؤوا إلى مناطق آمنة بناوحي فلسطين، ومنهم من ذهب إلى المدن الساحلية ذات الثقافة الهيلينية، وعاد البعض منهم إلى موطنه الذي هاجر منه في كل من فينيقية وقبرص والشام<sup>(2)</sup>. وفي ظل هذا الانقسام حدثت عمليتين متباينتين: أولاهما : دخول نفر من المسيحيين إلى الديانة الرومانية الوثنية، ولكنهم ظلوا يعقولهم وعواطفهم مع الديانة المسيحية.

ثانيهما : دخول نفر من الوثنيين إلى المسيحية، ولكنهم ظلوا بعقل وقلب وعاطفة وثنية، إضافة إلى الحياة الاجتماعية التي لم تساعد على أن يأخذ السلطان الديني محله من النفوس نظرا للتباين بين طبقات المجتمع في المعيشة، وإستفحال ظلم السلطة وانحراف رجال الدين ، فهناك ضياع بالمعنى التام مجسدا في الظلم الاجتماعي والانحراف الإداري ، والضياع الديني. ولما باتت الصدور خاوية من الدين أراد الفلاسفة أن يملأوا هذا الفراغ، فقامت التعاليم الفلسفية مقام الدين في السلوك وإلتحم الشعور الديني بالتذوق الفلسفي، فالتقت المسيحية مع الفلسفة ((من حيث أنّ مفهوم الدين أنّه عقيدة موحاة تقتضي الإيمان، ومفهوم الفلسفة أنّها نظر عقلي يعتمد على البرهان))<sup>(3)</sup>، وإلتقت المسيحية مع الطقوس الوثنية، فيقول "رؤوف شلي": ((وكان الشعب خليطا في أفراده يضم يهودا ومسيحيين ووثنيين وخليطا في ثقافته يجمع المسيحية والوثنية واليهودية، فوجدت الفلسفة المتديّنة، أو الدين المتفلسف جوّا بشريا بعناصره البيولوجية والسيكولوجية يتلائم معها، فكانت المسيحية التي امتزجت بالفلسفة، والأفكار الوثنية، أو الوثنية التي صارت مسيحية وانصهرتا معا في بوتقة تسمى الفلسفة))<sup>(4)</sup>، بمعنى أنّه نتج عن الخليط بيتا فلسفيا يضم أفكارا دينية عكست الإنطباع العقائدي الكنسي.

<sup>1</sup> - ينظر مثلا: أعمال الرسل 4: 1 (( وبينما هما يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب وندائهما في يسوع بالقيامة من الأموات)). و أعمال الرسل 8: 1: (( وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في اورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل)). ينظر أيضا: إنجيل مرقس 1: 22: (( ثم دخلوا كفرناحوم ولقت دخل المجمع في السبت وصار يعلم، فبهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة)).

<sup>2</sup> - عن الأصول اليهودية للمسيحية ينظر:

Ernest Renan : *Judaisme et Christianisme ; Textes présentés par Jean Gaulmier*, -  
Vol.2 , 1977 , Copernic ;(identite originelle et separation graduelle du judaisme et du christianisme) .p123

<sup>3</sup> - يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1946م، ص 8 (المقدمة).

<sup>4</sup> - رؤوف شلي : أضواء على المسيحية ، ص 29.

## ب- الأسباب :

كان دعاة المسيحية الأولين متحمسين لعقيدهم ينشرونها بين اليهود والوثنيين المتهودين والسامريين، وبدءوا في تأسيس كنائس ذات نزعة يونانية امتدت آثارها إلى فلسطين وسواحل فينيقية تحت زعامة (فيلبس)<sup>(1)</sup> بعد ربع قرن من استشهاد (استفانس)<sup>(2)</sup>، أحد زعماء اليونانيين الذين عبروا في خطاباتهم عن فكرة عودة المسيح القريية بأنها: (مغارة لصوص) مما أدى الأمر إلى إيقافه وقتله سنة 30-31م، فجاء في سفر أعمال الرسل (( أما الذين تشتتوا من جزاء الضيق الذي حصل بسبب إستفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأنطاكية وهم لا يكلمون أحدا بالكلمة إلا اليهود فقط، ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرسيون وقيروانيون الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرّب يسوع))<sup>(3)</sup>.

لقد خرجت دعوة المسيحيين إلى غير اليهود من الوثنيين وقامت الكنيسة بفتح أبوابها على مصراعها لدخول المهتدين وإنسب لها أعداد كبيرة من اليونانيين ، ونظرا لتزايد عدد القادمين من الوثنيين دفع بكنيسة القدس إلى إرسال تلميذ من أصل يهودي إلى أنطاكية للمشاركة في الحياة الكنسية الجديدة ، ويلتقى لأول مرة اسم المسيحيين بأنطاكية على التلاميذ، والتي تعني التسمية أتباع المسيح بمفهومه السائد حينئذ في الأوساط اليهودية<sup>(4)</sup>، ويقوم أحد الأتباع بالمحافظة على نظام الكنيسة وانسجامها المدعو (برنابا) الذي خرج إلى طرسوس طالبا شاول الملقب (بولس) ليعمل معه على إبقاء الوافدين إلى المسيحية ضمن الطريق القويم.

**مطلب 3: دور بولس في عملية الانفصال وتطورها:** بولس هو شاول ابن "كيساي" من سبط "بنيامين"، كان يعمل في صناعة الخيام في مدينة "طرسوس" بتركيا القديمة وهي (تابعة لسورية الآن)

<sup>1</sup> - ينظر: أعمال الرسل 8: 26: ((ثم إن ملاك الرب كلم فيلبس قائلا قم واذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من اورشليم إلى غزة التي هي بريّة)).

<sup>2</sup> - يكاد يكون التتابع بين خبر إيقاف (استفانس) وقتله بين خبر إيقاف المسيح ومحاكمته وبين الخبر الذي روته الأناجيل ، فجاء في سفر أعمال الرسل 7: 58 - 59: ((فصاحوا بصوت عظيم وسدوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة، وأخرجوه خارج المدينة ورموه ، والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلي شابّ يقال له شاول، فكنوا يرمون إستفانوس وهو يدعو ويقول أيها الرب يسوع أقبل روحي، ثم حثا على ركبته وصرخ بصوت عظيم يارب لا تقم لهم هذه الخطية)).

<sup>3</sup> - أعمال الرسل 11: 19 - 20.

<sup>4</sup> - ينظر: أعمال الرسل 11: 26. ((ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول، ولما وجدته جاء به إلى أنطاكية، فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعا كثيرا، ودُعِيَ التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا)).

، وفي هذه المدينة<sup>(1)</sup> ولد شاول الذي تسمى باسم بولس فيما بعد، ففي بداية القرن الميلادي الأول ولد بولس بمقاطعة قيليقية (كيليكية) بطرسوس<sup>(2)</sup> ذات الموقع الجغرافي الذي أهلها إلى إحتلال مفترق طرق تجارية وثقافية هامة. وينتسب بولس إلى أسرة يهودية من سلالة بنيامين التي يعود إليها ملكا يدعى "شاول" والذي تسمى به بولس صاحب الاسم الروماني حسب العادة الشائعة في ذلك العهد بين يهود الشتات، وتمتع بولس بلسان يوناني تربي عليه في القدس على يد مؤدبه غملائيل<sup>(3)</sup>، فنشأ نشأة يهودية فريسية تبغض المسيح وصحبه، وكان من المضطهدين المباشرين لليونانيين<sup>(4)</sup>، ومن بين السبعة والعشرين سفرا من كتاب العهد الجديد نجد أنّ القديس بولس (4م-64م)، قد أُلّف أربعة عشر سفرا<sup>(5)</sup>. كما كان على غراره "استفانوس" من المضطهدين للمسيحيين، الذي وُكِّلت له مهمة الملاحقة لكل مسيحي خارج فلسطين وداخلها بصحبة بولس، الذي تذكر الأخبار التاريخية المسيحية تعرضه لأزمة دينية وهو في طريقه إلى دمشق ليتحول من منتقم إلى مدافع عن المسيح<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: رسالته إلى أهل فيليبي 3: 5 : حيث قال بولس عن نفسه أنه: (( من جنس إسرائيل من سبط بنيامين)).

<sup>2</sup> - تقع مدينة طرسوس إلى نهاية حدود إقليم (سيلقيا) أو (كيليكيا) شرقي آسيا الصغرى وهي مدينة تركية، وتعد طرسوس بمثابة حلقة اتصال بين آسيا الصغرى والشام، بل تعتبر مفترق طرق تجارية هامة يمزّ منها اليونان وإيطاليا وفريجيا وكبادوسيا، والشام وقبرص وفينيقيا ومصر. جعلها أغسطس مدينة رومانية، - ينظر: السيد الباز العربي: تاريخ أوربا/ العصور الوسطى، ص 69. و مدينة طرسوس هي مسقط رأس بولس الرسول بحسب سفر أعمال الرسل 21: 39 : ((فقال بولس أنا رجل يهودي طرسوسي من أهل مدينة غير ذبّية من كيليكية)).

<sup>3</sup> - أعمال الرسل 22: 3. ((فقال [بولس] أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ولكن ربّيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلّي غملائيل على تحقيق التّمسوس الأبوي)). ويسلّط سفر أعمال الرسل الضوء على بيئة بولس التي نشأ فيها بجوار "غملائيل" أو "جمائيل" الذي يعدّ من ألمع مدرّسي المدارس اليهودية آنذاك، إذ تلقى بولس بها علم أصول اليهودية متدرجا في دراستها الدينية متمكنا من اللسان اليوناني وحاملا لقب المواطن الروماني الذي ورثه عن أبيه.

<sup>4</sup> - ينظر: رسالة بولس إلى أهل غلاطية الأولى 1: 13-14: ((فإنكم سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية التي كنت أضطهد كنيسة الله بافراطٍ وأتلفها، وكنت أتقدّم في الديانة اليهودية على كثيرين من اترايي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آباي)). وفي رسالته إلى أهل فيليبي 3: 5: (( من جهة الختان محتون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين، من جهة التّاموس فريسي، من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة)). وفي سفر أعمال الرسل 8: 3: ((وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجرّ رجالا ونساءً ويسلمهم إلى السّجن)). وفي أعمال الرسل 22: 19 - 20 : جاء على لسان بولس: (( فقلّث ياربّ هم يعلمون أنّي كنت أحبس وأضرب في كلّ مجمع الذين يؤمنون بك، وحين سُفِكَ دم إستيفانوس شهيدك كنت أنا واقفا وراضيا بقتله وحافظا ثياب الذين قتلوه)).

<sup>5</sup> - أنيس منصور: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله- صلى الله عليه وسلم، ص 35.

<sup>6</sup> - ينظر: أعمال الرسل 9: 1-2 : ((أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ الربّ، فتقدّم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتّى إذا وجد أناسا من الطّريق رجالا أو نساء يسوقهم مؤثّقين إلى أورشليم)).

رأى بولس المسيح في رؤيا يلومه على ما يفعله من بطش بالمسيحيين، فينقلب لهذه الرؤيا من مضطهد إلى تلميذ المسيح بل إلى رسول للأمم مبشرا، ومنتقلدا نفس رتبة ومكانة بطرس الذي دعا إلى نفسه المبادرة إلى دعوة الأمم<sup>(1)</sup>. وتعود حادثة الانقلاب في شخصية بولس سنة ثلاثين ميلادية، ويرجعها بعض مؤرخي الكنيسة إلى سنة ثمانية وثلاثين للميلاد، أو بين هذه السنوات. يرث بولس العداء للمسيحيين ثم يتحول إلى المسيحية إثر حادثة دمشق لرؤيا تحيلها وأن المسيح ظهر له وكلمه وأمره أن يكون من تلاميذه، فبولس لم يلتق بالمسيح، لذلك جاءت تأملاته عن شخص المسيح وتعاليمه محدودة إضافة إلى ذلك تعتبر الكنيسة رسائل بولس الأسس الأولى في تاريخ العقائد المسيحية<sup>(2)</sup>. ليبرر بولس شرعية مهمته بالتأكيد على أنّ المسيح قد ظهر له بعد قيامته لَمَا كان بولس لم يعرف المسيح حيًا. وعبثا يحاول "ميشال الحايك" أن يقوم بتأويل النصّ الوارد في أعمال الرسل عن خطة بولس في دخوله من اليهودية إلى المسيحية بأنه ليس هو بل جمليل [غمالائيل] الذي قال لبني إسرائيل حين سجنوا رسل المسيح: (( أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف يَنْتَقِضُ، وإن كان من الله فلا تقدرُونَ أن تنقضوه، لئلاّ تجدوا محاربيين الله أيضا، فانقادوا إليه. ودعوا الرّسلَ وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلّموا باسم يسوع ثم أطلقوهم))<sup>(3)</sup>. وفي النصّ الذي ذكره "ميشال الحايك" على أنّه من تخمين المفسّرين المسلمين فقال: (( وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس وكان قتل جملة من أصحاب عيسى -عليه السلام، فقال يوما لليهود: إن كان الحقّ مع عيسى فكفرنا به فالتار مصيرنا فنحن مغبونون إن دخلوا الجنّة ودخلنا النار ولكن سأحتال وأضللهم حتى يدخلوا النار))<sup>(4)</sup>.

= - وفي أعمال الرسل 22: 4-5 : ((واضطهدتُ هذا الطريق حتّى الموت مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا ونساء، كما يشهد لي أيضا الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخذتُ منهم رسائل للإخوة إلى دمشق ذهبْتُ لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا)).  
- وفي أعمال الرسل 26: 12-18 تحدث بولس عن أزمته تلميحا، ولم يتحدث عنها كما تحدّثت الروايات الثلاثة في أعمال الرسل الإصحاحات 8، 9، و22، بطرق مختلفة.

<sup>1</sup> - ينظر: أعمال الرسل 15: 7-8: قال بطرس: ((أيها الإخوة أنتم تعلمون أنّه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنّه بغمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون، والله العارف القلوب شهّد لهم معطيا لهم الرّوح القدس كما لنا أيضا)).

<sup>2</sup> - شارل جنبير: المسيحية نشأتها وتطورها، ص 69.

<sup>3</sup> - أعمال الرسل 5: 38-40.

<sup>4</sup> - ميشال الحايك: المسيح في الإسلام، ص 119، ويشير أنّها في تفسير الكلي بدون أن يوثقها.

## أ-ثقافة بولس:

تعد طرسوس مفترق الطرق التجارية كما هي مفترق الطرق الثقافية والعقائدية المختلفة ، حيث انتشرت بها مدارس فلسفية يونانية ذات المذهب الرواقي المتفق مع تفكير الجماهير، وهو ما مكّن بولس من هذه الفلسفة وأساليبها الخطابية لدى المفكرين اليونانيين. كانت الحياة الدينية لبولس متأثرة بما كان سائدا في بيئته بطرسوس من انتشار لعبادة آلهة الخصوبة تتشابه مع آلهة الفريجييين من مثل " أئيس " و " تموز " بين أهل بابل و " أدونيس " بالشام و "أوزيريس" بمصر ، وغيرهم من الآلهة في ذلك العصر. حيث كانت آلهة الخصوبة الخاصة بالزراعة تموت ثم تبعث ، فهم يموتون في موسم معين من السنة ثم يبعثون في موسم آخر، فتتهزّ المشاعر في نفوس المؤمنين بهم حزنا لموتهم وفرحا لعودة بعثهم، فمنهم من يموت في الشتاء ثم يبعث إلى أبواب الربيع فيتم الاحتفال بهذا البعث، كما هو الحال في عبادة "ميثرا" إله الشمس الذي يحتفل بمولده في الخامس والعشرين من ديسمبر أي مولد الانقلاب الشتوي فكان لمسألة بعث الإله من جديد بعد موته، لها مدلول النجاة القائمة على شفاعاة أو وساطة إله يموت ثم يبعث<sup>(1)</sup>.

ولعبت الفلسفة الرواقية دورها كجامعة في طرسوس في عهد الإمبراطور ( أغسطس ) في ترويج خطابها بين المسيحيين ، فكانت لها ثمارا تجسّدت في فكر بولس الذي كان له الفضل في نشرها، وكان لهذه المعتقدات الأثر على العقيدة المسيحية خصوصا بمسقط رأس بولس وبسبب موقع مدينته هذه ، وبسبب قوّته الثقافية التي مكّنته من مزج مسيحية المسيح بعقائد وثنية دخيلة على الفكر المسيحي الخالص والنقي.

اتّصل بولس بالمجموعة اليهودية التي كانت تدعو إلى تطوير الأمل القومي حول قرب حلول مملكة الله نحو مذهب ( النجاة )، كما أنّ بولس قد تشرّب من بيئة تسودها الروح الإغريقية بلسانه اليوناني ممّا جعله يملك أداة قويّة للفكر والعمل والتعبير عن الرّأي والدّفاع عنه مستخدما كلمات مثل: (الله، العقل، منقذ، منطوق، روح، ضمير)<sup>(2)</sup>.

كما أنّه تدرّج في الثّقافة اليهودية حتى بلغ مبلغه في دراسة النّصوص المقدّسة، كما تشهد له بذلك رسائله التي توحى بأخذه الكثير من أفكار الفريسيين في تكوين الفكر الديني لديه وطرق وأساليب

<sup>1</sup> - ينظر: أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ج1، ص 365 وحديثه عن: تفاعل الأديان والفلسفات في أوكومين العالم القديم الذي بدأ كلامه بـ: ( إن الأمل هو ثمن التعلم ) ، ص 359.

<sup>2</sup> - Que sais-je. Le nouveau testament ; le corpuse paulinien, chronologie paulinienne pp 49-50

تعليمه ،ومنها الجدل وتقديم البراهين أو هدمها بقوله: (( وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم))<sup>(1)</sup>. فقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليحذب له العامة من اليهود، كما أدخل صورا من فلسفة الإغريق ليحذب أتباعا له من اليونان، فبدأ يذيع أنّ عيسى منقذ ومخلص وسيّد إستطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النّجاة، ولكي يرضي المثقفين اليونان استعار من فلسفتهم فكرة اتّصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة أو ابن الله أو الرّوح القدس<sup>(2)</sup>. فوضع بولس بذلك أساس اللاهوت المسيحي، والأخلاق المسيحية، وفكرة الحياة الأخرى، وما هو أكثر أهمية من ذلك أنّه أقام أسس الكنيسة العالمية (الكاثوليكية)<sup>(3)</sup>، فاكسب لنفسه المكانة الثّانية التي يحسد عليها ضمن أكثر الرّجال قدرة على التّأثير عبر التّاريخ وفي تقويم "مايكل هارت" العالم الفلكي الرياضي الذي يعمل في هيئة الفضاء الأمريكية وصاحب كتاب "المائة" لأعظم النّاس أثرا في التّاريخ يسجّل تفوّق بولس على عيسى -عليه السلام تفوّقا عظيما ، لأنّه وفقا "لمايكل هارت" فإنّ بولس كان المؤسّس الحقيقي لمسيحية الزمن لحاضر. فبولس صنّف أسفارا من الكتاب المقدس أكثر من أيّ مؤلّف آخر بمفرده، في حين أنّ عيسى لم يكتب كلمة واحدة<sup>(4)</sup>.

#### ب- تطور العقيدة المسيحية عند بولس.

يعود بولس إلى أبوين يهوديين فريسيين ،نسبة إلى فرقة الفريسيين أكثر الفرق عداءً للمسيح، ولّما عجز عن التّنكيل بالمسيحيين عمد إلى إفساد تعاليم الدين بالتحريف والتّبديل، بعدما أعلن فجأة تحوّله إلى المسيحية حيث جاء في سفر "أعمال الرسل" قصة تحوّله: (( أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديدا وقتلا على التلاميذ الرّبّ فتقدّم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتّى إذا وجد أناسا من الطّريق رجالا أو نساء يسوقهم مؤثّقين إلى أورشليم، وفي ذهابه حدث أنّه اقترب إلى دمشق فبغته أبرق حوله نور من السّماء، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له: شاول ، شاول لماذا تضطهدني؟ فقال : من أنت يا سيّد؟ فقال الرّبّ: أنا يسوع الذي أنت

<sup>1</sup> - ينظر أعمال الرسل 22: 3.

<sup>2</sup> - أحمد شلبي : المسيحية ، (الكتاب الثاني)، مقارنة الأديان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط3، 1967م، ص 90.

<sup>3</sup> - السيد الباز العريني: تاريخ أوروبا، العصور الوسطى ، ص 28.

<sup>4</sup> - أنيس منصور: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ، ص 23. حيث رتب "مايكل هارت" عيسى عليه السلام في المرتبة الثالثة ، وبولس رتبّه في المرتبة السابعة مبرّرا قوله بعدم وضع المسيح في المرتبة الأولى على أساس الديانة المسيحية تختلف عن الإسلام، فالمسيحية لم يؤسّسها شخص واحد. وإنّما أقامها إثنان: المسيح عليه السلام ،والقدّيس بولس ، ولذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذان الرّجلان .وينظر: أحمد ديدات : المسيح في الإسلام ، ص ص 90-91.

تضطهده، صعب عليك أن ترفس مناخس، فقال وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وأدخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل؟ وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً<sup>(1)</sup>.

وفي هذا النص يتضح أن كلمة (الرب) تعني (السيد) وليس لها علاقة بالألوهية البتة ككلمة تلاميذ الرب، أو قول بولس لما سمع الصوت: من أنت يا سيد؟ فقال الرب أنا يسوع. والقصة لا دليل عليها ولا شاهد كما يتبين من خلال سردها، فلماذا لم ترد على لسان بولس شخصياً، فيقول حدث لي وأنا ذاهب إلى دمشق.. فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لي: كذا وكذا؟. وحتى المسافرين معه سمعوا الصوت ولم ينظروا أحداً، ولم ينظروا النور، بل في نفس السفر: نظروا النور ولم يسمعوا الصوت فقال بولس: ((والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني))<sup>(2)</sup>. إن بولس نفسه يشهد بعدم تقبل تعاليمه الباطلة. فجاء في رسلته الثانية إلى "ثيموثاوس" (( أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني ))<sup>(3)</sup>. وهذا يعني أن دعوته رفضت بين الموحدين ولقت انتشاراً بين الوثنيين نظراً لتأليه المسيح وجعل سلطته الروحية مستمدة من السماء مباشرة، وبولس هذا لم يلتق بالحواريين ولم يلتق بالمسيح ولا مرة واحدة، فلم يشاهده ولم يسمع منه، وعند هروبه من دمشق إلى أورشليم (القدس) التقى بـ (برنابا) أحد تلاميذ المسيح، وروى له أنه آمن بالمسيح فقره وقدمه إلى باقي التلاميذ، لكن بولس اختلف مع برنابا ثم مع بطرس وباقي التلاميذ بسبب مقولته من أن المسيح "ابن الله" أرسله الله فدية للبشرية عن خطيئة آدم حيث قدم المسيح نفسه طواعية لليهود كي يصلبوه ليتحقق الفداء. هذه الدعوى الضالة نفر منها أتباع المسيح؛ غير أن العامة من الناس خاصة الوثنيين منهم راحوا يتقبلونها ملأئمتها للأفكار السائدة آنذاك حول الآلهة المتجسدة المنتشرة بين الرومان واليونان والمصريين والفرس والهنود والصينيين، وهكذا دخلت الوثنية إلى المسيحية وتم قبول المسيح "إلهاً" في مجمع نيقية، أين تمت المصادقة على تلك الأفكار، كالقول بأن

<sup>1</sup> - أعمال الرسل 9: 1-7. (عليك أن ترفس مناخس) يرجح أن معناها: ألا يمكن أن يكون هؤلاء الناس صادقين مخلصين، ألا يكون أن

يكون المصلوب هو المسيا؟ - قاموس الكتاب المقدس، ص 197.

<sup>2</sup> - أعمال الرسل 22: 9.

<sup>3</sup> - رسالة بولس الثانية إلى ثيموثاوس 1: 15.

المسيح ابن الله، وتحوّلت المسيحية من دين محليّ إلى دين عالمي لأنّ المسيح صُلب تكفيرا لخطايا البشر جميعا، والمسيح لما صُلب وقُبر قام من الأموات وصعد إلى السّماء وجلس عن يمين الله<sup>(1)</sup>. فالمسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعته في العالم الوثني القديم، أمّا لم تقض على الوثنية بل تبنتها في عقيدتها وفي كثير من طقوسها. إنّ أهمّ المسائل التي أثارها بولس في فكره العقائدي الفلسفي مسألة طبيعة الإنسان، وفكرة الإثم، والعلاقة بين الإثم والموت، التي استخلصها من دراسته للتّوراة السبعينية ذات الترجمة اليونانية بالرغم أنّ بولس كان يجيد قراءة النّص العبري الأصلي الموجود بالمهجر بانطاكيا القريبة من طرسوس، وكان النّص التوراتي السبعيني بالمهجر بمنزلة النّص العبري، فجمع بولس بين اليهودية واليونانية وتجنّسه بالرّومانية أكسبته تأهيدا لإنشاء مؤسسة دينية مسيحية جديدة يمكن تسميتها بالمسيحية البوليسية كطرف نقيض لمسيحية المسيح الرّثانية المبنية على الوحي والنبوة، ((فالمسيح هو صاحب الرّسالة الروحية، ولكن القديس بولس أضاف إليها عبادة المسيح. كما أن القديس بولس هو الذي ألّف جانبا كبيرا من "العهد الجديد" وكان المبشّر الأوّل للمسيحية في القرن الأوّل للميلاد))<sup>(2)</sup>. وينقل "أنيس منصور" عن "مايكل هارت" قوله: ((وليس من المنطق في شيء أن يكون السيّد المسيح نفسه مسؤولا عن الذي أضافته الكنيسة أو رجالها إلى الدّيانة المسيحية. فكثير ممّا أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه. فالحروب بين المسيحيين وذبح المسيحيين لليهود، تناقض تماما كلّ الذي دعا إليه السيّد المسيح، ويستحيل أنّ السيّد المسيح هو الذي أوصى بهذا كلّ))<sup>(3)</sup>. فبولس اتصل بأشخاص معيّنين أعطوا له صورة معيّنة لشخص عيسى ولم يتّصل بالحواريين، فكان اتصاله بدعوة المسيح عن طريق الجاليات اليهودية بالمهجر التي كانت تعيش بفينيقيا، وقبرص وأنطاكيا، حيث هناك العقيدة اليهودية الموروثة عن عقيدة أهل فلسطين، وهي عقيدة أكثر اتّصالا بالدّيانات الأخرى التي تسمّيها مجموعة (أعمال الرسل) ب: (المهلينستيين)<sup>(4)</sup> وهم من اليهود الذين أقاموا

<sup>1</sup> - ينظر: إنجيل مرقس 16: 19: ((ثم إنّ الرّب بعدما كلّمهم ارتفع إلى السّماء وجلس عن يمين الله)). وفي سفر أعمال الرسل 7: 55 (( يسوع قائما عن يمين الله)).

<sup>2</sup> - أنيس منصور: المرجع السابق، ص 24.

<sup>3</sup> - أنيس منصور: المرجع نفسه، ص 24.

<sup>4</sup> - شارل جنبير: المسيحية نشأتها وتطورها، ص 90. ينظر: أعمال الرسل 11: 19. ((أما الذين تشتتوا من جزاء الضيق الذي حصل بسبب إستفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية وهم لا يكلمون أحدا بالكلمة إلا اليهود فقط. ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرسيون وقبروايون الذين لما دخلوا أنطاكية وكانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرّب يسوع)). يسوع كلّ ركة ممّن في السّماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كلّ لسان أنّ يسوع المسيح هو ربّ لمجد الله الأب)).

زمنًا طويلًا بمختلف البلاد اليونانية ثم عادوا إلى وطنهم ، ومنهم يهود المهجر الذين يتوافدون إلى القدس في الأعياد والمواسم الإحتفالية، وهؤلاء قد يكونوا آمنوا بعيسى ولكنهم لم يتخلّوا عن معتقداتهم السابقة التي راحوا يبشّرون بها في بلاد الوثنيين بدءًا بقبرص وفينيقيا. ويرجع الباحثون في الشؤون المسيحية أنّ مجموعة ( الهلنستيين ) قد خرجت من القدس لتتحلّ إلى أنطاكية ، وهناك تمّ الإعلان عن البشارة الطيبة في شخص المسيح، متحدّثين إلى اليهود أولاً ثمّ الإغريق ، وأقبل يهود المهجر على الدّعوة الجديدة، حتّى كثر عددهم وأخذوا يتميّزون عن الطوائف اليهودية الأصلية ، وتسمّوا كما قلنا بالمسيحيين، التي أطلقت لأول مرة على أعضاء الكنيسة الجديدة. وسعت هذه الجماعة المسيحية إلى جعل شخصية المسيح المحور الأول من الدّين وفق عقيدة الأمل التي ساعدت على التطور السريع نحو تأليه المسيح ، وفي المقابل إرتاب التلاميذ في تصفّحهم للنصوص المقدّسة التي تلعن كل شخص مات على الصّليب. ليبروا موت عيسى بأن الموت هو الطريق الذي أراده الله ليرفع عيسى من مستواه البشري، والذي يسمّيه بولس ابن الله أو لقب السيد (خريستوس)<sup>(1)</sup>.

و يذكر "ول ديورانت " أنّ بولس أثرت فيه المبادئ الدينية والأخلاقية الرواقية التي انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس ، وكان في طرسوس أتباع الأرفية ذات العقائد الخفية التي كانت تعتقد أنّ الذي يعبدونه قد مات من أجلهم، ثم قام من قبره، وهذه الأديان الغامضة هي التي أعدت اليونان لإستقبال بولس، وأعدت بولس لدعوة اليونان، وبدت المسيحية لليونانيين صورة أخرى من الأديان الخفية التي طالما حدّثتهم عن المنقذين الذين يعثون موتهم ، فحين تلقّوها مزجوها بتلك العقائد القديمة وأثروا في بولس وجعلوه يفسّر المسيحية تفسيرًا يقبله العقل الهلنستي<sup>(2)</sup>. وهذا اللقب هو نفسه الكلمة التي كان يستخدمها العبيد اليونانيين لبيان ولائهم لأصحابهم، وهي توضح العلاقة بين سيد المسيح والمسيح نفسه، ويتجلّى الخلاف بين مفهوم بولس عن مفهوم التلاميذ وكون عيسى مات

<sup>1</sup> - يلاحظ في نصوص العهد الجديد إيراد لقب [ السيد ] ( خريستوس ) دلالة على أنّ هذا اللقب يعود إلى الأصل الهلنستي، وهذا اللقب لم تختص به رسائل بولس وحدها بل تجده في باقي النصوص ومنها مثلاً: الرسالة الموجهة إلى فيليبي 2: 9-11: ((لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كلّ اسم، لكي تجتوا باسم يسوع كلّ ركبة ممّن في السّماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أنّ يسوع المسيح هو ربّ لمجد الله الأب)).

<sup>2</sup> - قصة الحضارة، ج 1 ، ترجمة محمد بدران: الناشر: المنظمة العالمة للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية ، ط 2 : 1964م،

بالتضحية التكفيرية ما لم يقل به الإثني عشر تلميذا، ويذهب بولس إلى جعل المسيح مات من أجل خطايا البشر وينعته بأنه ( ابن الله ) وهو لقبه ، في حين اكتفى التلاميذ بنعته بتعبير ( خادم الله )<sup>(1)</sup>. ظلّ بولس متوجّساً من المجتمع الحواري بالقدس واستطاع أن يدخله بمساعدة برنابا<sup>(2)</sup> الذي أعجب كثيرا بحماس بولس فسار به إلى بطرس ويعقوب أين نال رضاها عمّا يدعو إليه ، غير أنّه بدأ في الانحراف عمّا كان يعتقد هؤلأء، مظهرها ميله إلى المسيحية التي رسمها الهيلينستيون ، فثارت ضجّة دفعت ببولس إلى مغادرة القدس والارتحال إلى الشّام ثم إلى سيليقيا ( أنطاكيا ) ثم إلى طرسوس التي لحقه بها برنابا ليتّم تنصيبه كمبشر في آسيا الصغرى وفي اليونان، ولم يتوقف عن دعوته حتى جاءت الأوامر من السّلطة الرومانية في القدس بمنعه وملاحقته فراح يتنقل بين الجاليات اليهودية بالمهجر داعيا أثريائها وكرام القوم ، وتيسير الحال على الوثنيين في دخول المسيحية بإسقاط عملية الختان عنهم وعن أبنائهم. كما كان بولس يدعو إلى كون تعاليم المسيح نسخت الشريعة اليهودية ، بل أنّ المسيح جاء بعهد جديد لينسخ العهد القديم. وعلى حدّ تعبير "شارل جنبير" : (( كان المعنى الضّمني لهذا الإجراء : التفرقة بين المسيحية واليهودية ودفع الأولى إلى أن تصبح ديناً متميزاً ))<sup>(3)</sup>.

ولّما رأى بولس أن فكرة البعث وفكرة حلول مملكة الله لا تمّ الإغريق راح يوسّع مداها ويقرّبها من المفاهيم المعتادة في تعاليم (الأسرار الوثنية)، فقدّم المسيح على أنّه مبعوث الله أرسله الله ليعمل للنّاس جميعاً : ( الخلاص ) أو ( النّجاة ). ولما رأى أنّ الصليب فضيحة لا يقبلها الوثنيون ، راح يصوّر شخصية المسيح كشخصية إلهية سبقت العالم نفسه إلى الوجود، إذ هو روح الله احتفظ به الله إلى جانبه لفترة طويلة حتى نزل إلى الأرض لينشئ فيها حقّاً بشرية جديدة يكون هو آدمها. وصورّ بولس عيسى بأنّه (ابن الله) بالرّغم من أنّ فكرة الله بالتّسبة إليه تدخل ضمن ميراثه من العقيدة اليهودية، هذه العقيدة التي تطلق عبارة خادم (يهوه) وهو كل إنسان لديه إلهاما من الله، وكلمة ( خادم ) تعني ( الطّفّل ) أي ( الإبن )، وهذا أمر في غاية البساطة، أما المعقد فهو في الخلط بين كلمة (السيد) وبين كلمة (الله)

<sup>1</sup> - شارل جنبير: المصدر السابق، ص 91. ويقول: أنّ كلمة (السيد) هي مرادفة للكلمة اللاتينية (دومينوس) التي كانت تطلق خاصة على

الآلهة المنقذين في آسيا الصغرى ومصر والشام، فوظّفها بولس كلقب للمسيح لرفعه إلى درجة الألوهية بين المجتمع اليهودي الهليني.

<sup>2</sup> - جاء في سفر أعمال الرسل 4: 36: ((ويوسف الذي دُعي من الرّسل برنابا الذي يُترجم ابن الوعظ وهو لاويّ قبرسيّ الجنس، إذ كان له

حقلاً باعه وأتى بالدرّاهم ووضعها عند أرجل الرّسل)). وفي أعمال الرسل 9: 26 - 27: ((ولمّا جاء شاول إلى أورشليم حاول أن

يلتصق بالتلاميذ. وكان الجميع يخافونه غير مصدّقين أنّه تلميذ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرّسل وحدّثهم كيف أبصر الرّب في الطريق

وأنه كلّمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع)).

<sup>3</sup> - شارل جنبير: المصدر السابق ، ص 104.

على سبيل ما ورد في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس: (( ومتى أخضع له الكلُّ فحينئذ الإبن نفسه أيضا سيخضع للذي أخضع له الكلُّ كي يكون الله الكلُّ في الكلِّ ))<sup>(1)</sup>.

وفي نفس الرسالة قوله : (( لكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له . وربُّ واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به ))<sup>(2)</sup>.

نظر بولس إلى ( السيد ) أنه صنف من أصناف الآلهة ، وأنه حمل آثام البشر وكفّر عنها بعذابه وموته ، فوجب على البشر أن يتحدوا به بالحبّ وينالوا الرحمة يوم القيامة . فكانت أفكاره ضربا من الغنوصية الممزوجة بأساطير الشفاعة والخلاص بواسطة طقوس الطّهارة المقترنة بمفهوم التضحية ، وأصبح قبول التعميد في الكنائس المقامة في ديار الوثنية علامة على اعتناق المسيحية ، وأصبح تناول الخبز جماعةً رمزًا للوحدة بين الجماعة وبين المسيح ، فجعل بولس منه غاية لسرّ عظيم يتعلّق بتذكرة حيّة لما لقيه عيسى من عذاب الصليب ، حيث أخبر المسيح في الليلة التي علم فيها قدوم الرومان للقبض عليه إذ أخذ خبزا ، وبعد أن شكر الله كسر هذا الخبز وقال: (( والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم ))<sup>(3)</sup> ، وهكذا أيضا تناول الكأس بعد العشاء وقال: (( هذا هو جسدي ، وأخذ الكأس وشرب وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلّكم ، لأنّ هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا ))<sup>(4)</sup> ، وفي رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس قال: (( هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي . اصنعوا هذا كلّما شربتم لذكري ، فإنّكم كلّما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرّبّ إلى أن يجيء ))<sup>(5)</sup>.

إنّ الطقوس الخاصّة بالقرّبان لدى بولس عرفت قبولا من لدن الوثنيين المقبلين على المسيحية بالرغم من أنّها لم تكن نابعة من الدّين اليهودي ، بل أدخلت إلى الكنيسة كقطعة من الوثنية ترتبت عنها عقائد كبرى عديدة ، وأصبحت موضوعا أساسا لتزكييات لاهوتية واسعة<sup>(6)</sup> ، كالتعبير عن التعميد أو

<sup>1</sup> - رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 15 : 28

<sup>2</sup> - رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 8 : 6 .

<sup>3</sup> - إنجيل يوحنا 6 : 51 .

<sup>4</sup> - إنجيل متى 26 : 26 - 28 . ونفسه في إنجيل مرقس 14 : 22 - 25 .

<sup>5</sup> - رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 11 : 25 - 26 .

<sup>6</sup> - شارل جنبير : المصدر السابق ، ص 111 . والمؤلف هو الباحث والمتخصص في المسيحية يرى أن بولس ليس هو المؤسس الحقيقي

للمسيحية بل هم رجال دين كنيسة أنطاكية ، و أسماءهم طواها النسيان .

الإغتسال، فهو بمثابة الإتحاد بالمسيح، وينزل المؤمن المسيحي رمزياً إلى عالم الأموات بغطسه في النهر أو في إناء التعميد، وبعد غطسات ثلاث يخرج كما خرج المسيح من القبر بعد ثلاثة أيام.

إنّ بولس عند بعض الباحثين المنصفين للمسيحية هو من جاء بفكرة الصليب في حين يعتبره آخرون من الدارسين أنّ بولس لم يؤسس شيئاً ولم يأت بدين جديد ولم يأت بطقوس العبادة ، وإمّا أتى بتصوّر شخصي فريد للتقوى في إطار الديانة اليهودية ، تلك الديانة التي لم يزعم قط أنّه ينبغي التغيير من معتقداتها أو من شرعها وشعائرها ، واعتمدت تعاليمه على فكرة حلول مملكة الله التي آمن بها هو كما آمن بها سائر مواطنيه إلاّ أنّه فهمها وعبر عنها بطريقته الخاصّة بل لعلّه أخذها عن غيره من سابقه. أما أن تنسب إليه إرادة تأسيس كنيسة، فهذا قول لا يقره واقع الأحداث ولا صريح التسلسل التاريخي<sup>(1)</sup>. لما نال بولس لقب رسول الأمم الذي لم يكن يعترف له به جميع المسيحيين، اعتبر نفسه الناطق الرسمي والمعصوم باسم المسيح، بل والمعبر عن إرادة المسيح الموجبة للطاعة والإيمان ، فكان يدعو المبشّرين إلى ضرورة الاعتراف بسلطته الإستثنائية كرسول شأنه شأن التلاميذ ، وظلّ تفكيره يهودياً في جوانب كثيرة كالقول بأنّ بنو إسرائيل شعب الله المختار، ومفهومه للكتاب المقدس مفهوم يهودي كذلك كالتأويل الذي يستخرج به المعنى الباطن. ونفس النظرة اليهودية عنده حول منزلة الإنسان في الكون، ومفهوم الخطيئة وخضوعه لوصايا موسى كلّما سمحت الظروف<sup>(2)</sup>. والحقيقة أنّ بولس ابتعد عن الفكر اليهودي في جوانب عديدة كاستخدامه لمفاهيم يونانية مثل (الضمير) و (الطبيعة) و (النفع) وراح يطلق على المسيح ألقاب لم تكن من قبل فأطلق عليه لقب الرّب أو السيّد الدالة على الإله الشخصي عند اليونان مما جعل الأمر سهلاً في تعويض لقب (الرّب) الدالة على الله في الترجمة اليونانية للعهد القديم.

وعمل بولس على اعتبار أن عيسى هو الذي يأتي إلى إنقاذ هذا الانتظار بالاعتقاد في قيامته وعودته طبقاً لتأويلات نصوص الكتاب المقدس، وغيّر بولس الدعوة إلى ملكوت الله التي كانت المحور الأساسي في الإيمان عند عيسى ليوجهها إلى الإيمان بمفهوم (الخلاص) للإنسان للاستفادة من العدل الإلهي عن طريق المحبة الإلهية وحدها دون أي دور للأعمال مهما كانت وهكذا استطاع بولس أن يشكل ما يعرف بعلم اللاهوت البوليسي<sup>(3)</sup>. قدم بولس إلى انطاكية ذات الأغلبية غير اليهودية سنة

<sup>1</sup> - شارل جنبير: المصدر السابق ، ص 48.

<sup>2</sup> - ينظر مثلاً : أعمال الرسل 21: 26.

<sup>3</sup> - عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص 52.

41 م، حيث قام بزيارة إلى القدس بعد حادثة طريق دمشق ((فأقام عند بطرس خمسة عشر يوماً ولم ير غيره من الرسل سوى يعقوب أخي الرب))<sup>(1)</sup>. فقام على إثرها بالتبشير في بلاد العرب ثم في سورية وقيليقية بآسيا الصغرى<sup>(2)</sup> ويظل الغموض يكتنف نوع الإنجيل الذي كان بولس يبشّر به في الأوساط الشعبية ، هل هو إنجيل حواري القدس أو إنجيلاً قريباً من إنجيل اليونانيين أو أي إنجيل آخر من الذي يتداوله المسيحيون اليوم<sup>(3)</sup>. ويعتقد أن بولس تشبّع بآراء كنيسة دمشق أولاً ذات التأثير بالفكر اليوناني والفكر اليهودي الأسيني<sup>(4)</sup> على اعتبار أن دمشق كانت ملجأً لمجموعات وأفراد مختلفي المشارب أقاموا بها عبر العصور. وبعدها كان بولس يشترط على الوثنيين الختان قبل تعميدهم وجد نفسه أمام وضعية يمكن تجاوزها في التحلي عن الختان ، والإيمان بالمسيح دون المرور باليهودية، فاستحسن الأمر وذهب يبشّر بين بني إسرائيل وبين الوثنيين ليدخلهم في المسيحية دون أن يختنوا<sup>(5)</sup>. ولما كانت كنيسة القدس تدعو إلى وضع حد للاشتراك في تناول القربان بين المسيحيين من أصل يهودي، والمسيحيين من أصل وثني للحفاظ على طهارة اليهود الطقسية دعا بولس إلى حل وسط يقتضي امتناع المسيحيين من أصل وثني عن كل ما ذبح للأصنام ومن الدّم المنخوق والزنا كشرط للإشتراك في تناول القربان<sup>(6)</sup>. وهو الذي تخلى عن هذه الشروط معلناً انفصاله عن (برنابا) ومناوئاً للجاليات اليهودية والسلطات الرومانية ومبعوثي كنيسة القدس، مؤسساً كنائس احتفظت بعد موته بعدد من كتبه<sup>(7)</sup>.

### ت- تفسير بولس لحادثة الصلب:

يقدم بولس عرضاً لحياة المسيح في شكل مقتضب فلم يحتفظ من كلّ حياته إلاّ بما وقع في آخرها من حادثة صلب وقيامة، ليعطي تفسيرات شخصية خاصة به ، إذ يرى أنّ الصلب لم يكن عقاباً لشخص بريء ، وأنّ الله أراد به في حقيقة الأمر أن يوقف تسلسل انتقال الخطيئة البشرية

<sup>1</sup> - رسالة بولس إلى أهل غلاطية 1: 18 - 19.

<sup>2</sup> - رسالة بولس إلى أهل غلاطية 1: 17، وينظر : أعمال الرسل 9: 30.

<sup>3</sup> - عبد المجيد الشرفي: المصدر نفسه ، ص 50.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه ، ص 50 حيث يشير المؤلف إلى إمكانية تفسير الآثار الآسينية في فكر بولس وفي تطور العقائد المسيحية بصفة عامة.

<sup>5</sup> - ينظر رسالة بولس إلى أهل غلاطية 2: 8. ((فإنّ الذي عمل بطرس لرسالة الختان عمل فيّ أيضاً للأمم)).

<sup>6</sup> - ينظر أعمال الرسل 15: 28 - 29. (( أن تمتنعوا عمّا ذُبح للأصنام وعن الدّم والمنخوق والزنا التي إنحفظتم أنفسكم منها فعمّا تفعلون)).

<sup>7</sup> - عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق، ص 51.

الأولى في البشر ، فأوقع الصّلب على أعدل النّاس وأكثرهم بُرا، فكان فداءً وتكفيراً عن هذه الخطيئة ، وغمرت المحبّة المسيح القائم من الأموات لتشمل كلّ الذين يقبلون العماد كرمز للموت مع المسيح والإنصهار في مجموعة المعمّدين حيث يعمل الرّوح القدس عمله ويصبح الروح القدس هو القوّة المحرّكة لحياة المسيحيين شريطة تمسّكهم بهيكل الرّوح القدس الذي هو الكنيسة، فيقول بولس الرسول: ((لأنّ اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة، ولكننا نحن نركز بالمسيح مصلوبا لليهود عشرة ولليونانيين جهالة. وأمّا للمدعوّين يهودا ويونانيين فبالمسيح قوّة الله وحكمة الله، لأنّ جهالة الله أحكم من النّاس. وضعف الله أقوى من النّاس))<sup>(1)</sup>.

هذه الآراء المنسوبة لبولس لم تجد لها الصّدق الواسع في حياة صاحبها وإنما عرفت انتشارا بفضل رسائله في أواخر القرن الأوّل بعدما خرجت من عند الأشخاص الذين أرسلها إليهم، فلم تكن أفكار بولس قوية في حياته بل كانت محدودة لعدم ثقة المسيحيين فيه وبالخصوص المقدسيين إذ شنّ اليهود عليه حملة عنيفة انتهت بإيقافه ثم عرضه على روما.

والغريب أنّ رسائل بولس التي كانت أول ما دوّن من العهد الجديد لم تذكر سوى أقلّ القليل عن حياة عيسى وتعاليمه ورسالته السّماوية، ومن أسباب ذلك أنّ بولس لم يكن من حوارى المسيح ولا من صحبته ، ولم يلتق به في حياته، ولم يكن شاهدا على الأحداث عند وقوعها.

لقد تبجّى بولس فكرة سفك دم المسيح كفّارة عن خطايا البشر، وروّج لها في رسائله، وكان الصّلب وسفك الدّم هو ما عزم بولس على ألاّ يُعرف من المسيحية شيئا غيره<sup>(2)</sup>، فجاء في قوله: ((وأعرّفكم أيّها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه... ما قبلته أنا أيضا أنّ المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب))<sup>(3)</sup>، فالقاتل هو القتل، وهو سرّ ما قاله أحد المفكرين: ((خلاصة المسيحية، أن الله قتل الله لإرضاء الله))<sup>(4)</sup>.

### ث - كنيسة بولس:

في أقلّ من ثلاثين سنة انتشرت في فلسطين كنائس كلّها تابعة للكنيسة الأمّ في القدس بينما ظلّت الكنائس ذات التّزعة اليونانية المكوّنة من اليهود ومن الوثنيين بنسب متفاوتة في بعض

<sup>1</sup> - رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس 1: 22-25.

<sup>2</sup> - محمد عبد الله الشرفاوي : في مقارنة الأديان بحوث ودراسات ، دار الجيل، بيروت ، ط2، 1990م، ص 158.

<sup>3</sup> - رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس 15: 1-3.

<sup>4</sup> - محمد الغزالي: قذائف الحق ، منشورات عويدات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1393هـ، ص 41.

مدن الشام وقبرص وقيليقية ، أسس هذه الكنائس بولس في المناطق المحيطة بالبحر الإيجي وكنائس في بلاد الأناضول وفي شمال ما بين النهرين وشمال مصر وبالإسكندرية وفي روما<sup>(1)</sup>. فالكنائس التي أسسها لم تكن تضم أعدادا كبيرة من المؤمنين، ولم تكن منظمة على منوال الكنائس الأخرى، فكانت كل كنيسة عبارة عن ملحقة بالبيعة أو مكان يلتقي فيه المسيحيون.

فالرسل الذين تولوا التبشير بالمسيحية ، صاروا يدعون إلى الدين أثناء رحيلهم وطوافهم، فأقاموا الكنائس وأنشأوا الجماعات المسيحية في مدن عديدة بالأمبراطورية الرومانية، أمثال: كورينثه، وأفيسوس، وسالونيك، وروما<sup>(2)</sup>، على أن التبشير الذي قام به الرسل أثناء طوافهم ورحيلهم انقطع في مستهل القرن الثاني الميلادي، وقامت بالعالم المسيحي كنائس محلية يخضع كل منها لأحد الأساقفة الذي كان يتولى الشؤون الدينية ، وبنيت الكنائس خلفا للأديرة اليهودية التي هدمت خلال الاضطهاد مع السّلطة الرومانية أعقبته فوضى كبيرة وحرب أهلية دامت سنة ونصف (68م - 69م) خلال حكم (نيرون) ، كما قامت ثورات على روما سنة 66م انتهت بتهدم الهيكل اليهودي سنة 70 م، فسقطت القدس وخرّب الهيكل، فانطوى اليهود على أنفسهم رافضين أيّ تيّار هامشي نابع عن اليهودية خصوصا بعد قتل رئيس كنيسة القدس (يعقوب أخ عيسى سنة 62م) وإبعاد بولس إلى روما<sup>(3)</sup>.

وتظهر رسائل بولس ما كان من علاقة بين الكنائس ومؤسسيها، وأحس بولس بأنّه المسؤول عن الكنائس التي أنشأها، وبموته تمّ تقليص التيّار المسيحي اليهودي في الكنيسة خصوصا بعد مغادرة الأعداد الكثيرة للقدس قبل حصارها ، فأخذت المسيحية تفقد مركزها الروحي والجغرافي معا بعدما

<sup>1</sup> - ينظر: قاموس الكتاب المقدس: مجموعة من المؤلفين ، ص 198 - 199 عن ملخص حياة بولس وتواريخ حوادثها .

<sup>2</sup> - السيد الباز العربي : تاريخ أوربا، (العصور الوسطى) ، ص 154. لقد تسمت رسائل بولس إلى هذه المناطق باسم: رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى والثانية، وإلى أفسس، وإلى تسالونيكى الأولى والثانية، وإلى أهل رومية. أنظر الكتاب المقدس ومنه الجزء الخاص بالعهد الجديد وأسماء أسفاره وترتيبها وعدد إصحاحاتها.

<sup>3</sup> - شارل جنير: المصدر السابق، ص 12، ص 29. وأشار إلى أنّ ما أورده بعض نصوص العهد الجديد أنّ للمسيح إخوة ومنهم: يعقوب ويوسي، وسمعان ، ويهوذا ، يستلزم تنافي عذرية مريم . ومن هذه النصوص ما ورد في إنجيل متى 12: 46 - 48 : (( وفيما هو يكلم الجموع إذا أمّه وإخوته قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه)). وفي إنجيل متى 13: 55 - 56 : (( أليست أمّه وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا)). وفي مرقس 3: 31 - 33 : (( فجاءت حينئذ إخوته وأمّه ووقفوا خارجا وأرسلوا إليه يدعوه)). وفي لوقا 8: 19 - 20 : (( وجاء إليه أمّه وإخوته . ولم يقدر أن يصلوا إليه لسبب الجمع . فأخبروه قائلين أمك وإخوتك واقفين خارجا يريدون أن يروك)). وفي يوحنا 7: 3 - 5 : (( فقال له إخوته انتقل من هنا واذهب إلى اليهودية لكي يرى تلاميذك أيضا أعمالك التي تعمل)). وفي أعمال الرسل 12: 17 : (( وقال أخبروا يعقوب والإخوة بهذا، ثم خرج وذهب إلى موضع آخر)).

مات زعيمها بعد يعقوب وهما : بطرس وبولس سنة 64 للميلاد إثر حريق روما الذي أهما فيه بإشعاله من طرف السلطنة الرومانية .

يقول " أحمد عبد الوهاب " عن كتابات بولس وحقيقة أمرها: (( لقد كانت رسائله شخصية في شكلها العام، فقد كانت تبدأ بالتعريف بنفسه والتأكيد على أنه رسول للمسيح، ثم يتبع ذلك بالسلام والتحيات، وأخيرا يختتمها بالحديث عن الأشواق والقبالات إلى النساء والرجال على السواء))<sup>(1)</sup>، فكانت كتابات بولس رسائل شخصية بما إحتوته من مطالب وشكاوي وأمور شخصية صرفة إذ اعترف فيها صراحة أنه كتبها من نفسه وأبرز فيها اجتهاداته وآراءه الشخصية التي تتفق وتعاليم المسيح أو لا تتفق<sup>(2)</sup>.

وتمثل رسائل بولس الوثائق الأولى للمسيحية قبل أناجيل مرقس ومتى ولوقا ويوحنا، حيث ظهرت قبل 50 م ومنها رسالته إلى أهل تسالونيكى<sup>(3)</sup>.

إن صراعا ضخما قام بين بولس وأنصاره وبين المسيحيين الحقيقيين امتدّ قرونا بعد وفاة بولس، وكان في جانب بولس قلة محدودة من المثقفين المسيحيين وكثرة ساحقة من الجماهير، وكان جانب المسيحيين الحقيقيين جماهير المثقفين وقلة قليلة من العامة<sup>(4)</sup>، إن أفكار بولس انتشرت في الغرب بين الوثنيين واليونان أكثر من انتشارها في الشرق الذي هو مشرق النبؤات السماوية التي كانت الوحداية

<sup>1</sup> - دراسات في الاديان: (الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام)، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1979م، ص 58. أنظر رسائل التسليم في: رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 1: 1-7: (( نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح)). و رسالته إلى أهل رومية 16: 1-21: ((سلموا على برسكلاً وأكيلاً العاملين معي في المسيح يسوع، اللذين وضعنا عنقبيهما من أجل حياتي اللذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضا جميع كنائس الأمم)).

<sup>2</sup> - ينظر: رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 7: 1-4: (( وأما من جهة الأمور التي كتبتكم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة. ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحد رجلاً. ليوفي الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضا الرجل. ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل. وكذلك الرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة. لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكي تتفرغوا للصوم والصلاة)). و7: 8-9: ((ولكن اقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا. ولكن إن لم تضبطوا أنفسكم فليتزوجوا. لأن الزواج أصلح من التخرق، وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلاً)). و9: 1: ((ألسنت أنا رسولا. ألسنت أنا حزاً. أما رأيت يسوع المسيح ربنا. ألسنتم أنتم عملي في الرب)). ورسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس 3: 14. (( هذا أكتبه إليك راجيا أن آتي إليك عن قريب)).

<sup>3</sup> - موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص 57.

<sup>4</sup> - أحمد شلبي: المسيحية ، ص 93.

في قمة تعاليمها. وقد وضّح بولس نفور الشرق من تعاليمه بكلمات صريحة حيث قال لتلميذه تيموثاوس: ((أنت تعلم هذا أنّ جميع الذين في آسيا ارتدّوا عني))<sup>(1)</sup>.

ومهما يكن من أمر الفكر المسيحي فقد نكص على عقبيه ولم يكد يقوم على قدميه حين عارضته فكرة مؤدّاه أنّ الخلاص يكون بالإيمان لا بالعمل. فقد حدث بعد انتهاء رسالة المسيح أن قام بولس بدور كبير في التبشير بها، وخاصة بين غير اليهود من الأمم، وإذ كان مشرباً بالثقافة الهيلينية بكل ما فيها من خليط.. وربما كان شفيحاً لهذا الفكر في الظهور أن دّعاة الرسالة المسيحية اهتموا كثيراً بأن يؤمن الناس بالسيّد المسيح، ومن ثمّ ألحوا في دعوة الإيمان على حساب الأعمال، وأهدروا النّاموس في سبيل الذبوع<sup>(2)</sup>.

**المبحث الثاني: مرحلة التّدوين للعقائد المسيحية:** (وتبدأ من 70م إلى غاية 125م):

حفل تاريخ المسيحية بأحداث مؤلّة تمثلت في الاضطهاد الذي تعرّضت له من جهة كونها فرقة يهودية من جملة الفرق المتمرّدة على السلطة الرومانية، ومن جهة أخرى كونها فرقة مستقلة عن اليهودية ليس لها من الامتيازات كالفرق اليهودية المتمركزة في البيع المناشدة للسلام مع الرومان. يقول "تويني": ((فقد تعرّضت الكنيسة لإضطهادات في السّنوات (250م و257م و303-311م) كانت أكثر انتظاماً وأعنف من الإضطهادات القصيرة الحادّة المحلية التي عرفتها في القرنين الأوّلين من تاريخها.. وكان الباعث لفاليريوس على اضطهاد الكنيسة، مثل الباعث لقسطنطين في كرمه نحوها))<sup>(3)</sup>.

**مطلب 1: بدايات الإضطهاد للديانة المسيحية:**

كانت عهد الإضطهاد الديني الذي منيت به المسيحية بدءاً من تلك المواقف العدائية التي اتّخذتها السّلطة الرومانية الوثنية ضد رعيها الأوّل الذي كان يتطلع إلى تحقيق مملكة القدس السماوية، ولا يعير اهتماماً للواجبات والهجوم المتعلقة بالحياة الدنيوية، وبفضل هذه الحياة الروحية أصبح بعضهم بصورة واضحة للخدمة العسكرية وكل فروض الوثنية، وكانوا يتمردون ويرفضون المساهمة في كل مظاهر التأييد للسلطة الرومانية من خلال أداء القسم العلني بالولاء للإمبراطورية والمشاركة في القرابين المقدسة، وفسّرت هذه الأعمال منهم تقويضاً لقواعد الوحدة الإمبراطورية وتمرد على النّظم السائدة. ولذا حذفوا من المجتمع الروماني واعتبروا خطراً عامّاً على سلامة الدولة وحقّ بهم

<sup>1</sup> - رسالة بولس إلى تيموثاوس الثانية 1: 15 وأنظر: تيموثاوس الثانية 4: 9-16. حيث ذكر أسماء اشخاص كانوا ضدّه وأظهروا له شجوراً.

<sup>2</sup> - محمد سعيد العشماوي: تاريخ الوجودية في الفكر البشري، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، بدون تاريخ، ص 58.

<sup>3</sup> - أرنولد تويني: تاريخ البشرية، ج 2، ص 55.

الإضطهاد من كلّ جانب، ولم تتّضح الأسباب المشروعة لما حدث من الإضطهاد الديني<sup>(1)</sup>. ولعلّها ترجع إلى ما كان من إصرار المسيحيين على رفض الإشتراك فيما يجري في سائر أنحاء الأمبراطورية من عبادة الحاكم، واعتباره بطلاً ومخلّصاً بالدرجة الأولى، كما اتخذ الرومان مواقف عدائية من المسيحية على اعتبار أنّها ديانة شرقية صوفية غريبة عن دياناتهم وما اعتادوه من معابد للأصنام، وفي المقابل كان المسيحيون يعارضون ما تطلبه السلطة الرومانية من إلتزامات بالقوانين والواجبات، كما كان أغنياء الرومان ومنتقفيهم يعتبرون تصريحات المسيحيين خطراً عليهم وأنّ عقيدتهم لا تستحقّ تحمّل مشقّة دراستها، وفي المقابل كان المسيحيون يرون كلّ من يسعى إلى إقامة الشعائر باسم ألوهية الإمبراطور عمل منكر. ونتيجة هذا الموقف من المسيحيين صدرت قرارات من الأمبراطورية تحتم على الأفراد ممارسة العبادات الوثنية بتقديم أضحيات للآلهة، وأمام هذه الحملة الظّالمة تزعزع ثبات بعض المسيحيين، فشاركوا في التضحيات الوثنية اتقاء للعذاب المرير من ضرب بالعصى وسمل للعين وجرّ فوق حصى الشوارع إلى خارج المدينة<sup>(2)</sup>. وتعود أسباب الإضطهاد ضد المسيحيين بحسب رأي "هارولد آيدرس بل" أنّه: ((كان المسيحيون في نظر السّلاطات مواطنين أشرارا وعنصراً خطراً في المجتمع لأنّهم كانوا يترفّعون عن ممارسة شعائر الديانة الرّسمية، ولا يقدّسون صور الأباطرة، ولا يشتركون في عبادة روما المؤلّهة أو "الروح الحارسة" للأمبراطور. وكان في تضامنهم وخلوتهم وقت التّعبّد ما يوحي بأنّهم جماعة سرية. وقد اتّهموا بممارسة أبشع العادات كالزّواج المحرّم والشعائر المخلّة بالأداب وإرهاق الدّماء البشرية طبقاً للطقوس، هذه هي التّهم التي كالمها الوثنيون للمسيحيين، وهي نفس التّهم التي كالمها المسيحيون لليهود في القرون التّالية))<sup>(3)</sup>.

لقد بدأ إذاً اضطهاد المسيحيين منذ عهد مبكّر، وكان المسيح ضحيّة هذا الإضطهاد وقد نزل باتباعه في عهده وبعده مثل ما نزل به، ولكن ما لحق بالمسيحيين من شطط عندما كانوا مغلوبين على أمرهم، ونزلت بهم آنذاك ألوان من الضيم والوحشية فإنّه لَمَّا آل لهم السّلاطان، أنزلوا بمخالفهم ألوان العذاب بنفس الوحشية التي عوملوا بها<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - الموسوعة التاريخية الحديثة : تاريخ العصر الوسيط في أوربة ، ج 1 ، ص 68.

<sup>2</sup> - مصطفى العبادي : الأمبراطورية الرومانية ، ص 238.

<sup>3</sup> - هارولد آيدرس بل: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ترجمة : عبد اللطيف أحمد علي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 3 ، 1973م ، ص ص 128-129.

<sup>4</sup> - أحمد شلبي : المصدر السابق ، ص 59.

لقد شهد القرن الأول للديانة المسيحية تطورا بطيئا بسبب عدم اعتراف الدولة الرومانية بهذه الديانة الجديدة، ولأسباب مختلفة نشأ الاضطهاد الروماني للمسيحيين بداية القرن الثاني الميلادي في غير انتظام حيث أخذ الإضطهاد العنيف مع السلطة الرومانية في هذه الفترة، ونجم عنه سقوط قتلى من المسيحيين وخاصة في آسيا الصغرى في عهد " تراجان " (98م\_117م) الذي جسّد القانون الذي يميز الإضطهاد بكل صرامة<sup>(1)</sup>، وبسببه وقعت مجازر رهيبة في مدينة ليون، التي كانت تحت حكم "مارك أوريل" سنة 176م، كما شهد عصر "نيرون" من قبل اضطهادات كبرى بسبب تهمة إحراق روما عام 64م من طرف أتباع المسيحية<sup>(2)</sup>. فقد وجد "نيرون" وأهالي روما البهجة في استعراض وحشيتهم الشرسة ضد المسيحيين، من حرق ونهش لأجسادهم بأياب الكلاب، ((وقد فتح نيرون حدائقه للعرض واختلط مع الناس وأحيانا كان يقف في عربة سباق تجرّها الخيل مرتديا بزّة المتسابق))<sup>(3)</sup>. ولم تكن اضطهادات "نيرون" متوحشة إذا قورنت باضطهادات من جاءوا بعده خلال القرنين التاليين من فترة حكمه، ونفسه مارسته الكنيسة لما انتصرت ضد مخالفين الذين وصفتهم بالهرطقة، حيث تمت تصنيفتهم بالإستئصال<sup>(4)</sup>.

## مطلب 2: أسباب الإضطهاد وفتراته:

وقامت المحاكم القضائية في عهد هذا الإمبراطور بسنّ قوانين تعاقب بالقتل كلّ معتنق للمسيحية، وكان للقضاة الحكم التقديري في إصدار نوع العقاب باسم التأمّر ضد الحاكم ويعتبر القرن الثالث؛ وهو عصر الإضطراب السياسي والديني سببا في إحداث أزمة حادّة في نمو الديانة المسيحية، إذ ارتد الكثير من المسيحيين عن دينهم ومنهم من زاد تعنتا في تشبّته بعقيدته حتّى ولو لقي حتفه، وكان أولئك المتنصّرة يستقبلون الخطوب بإيمان قوي وعقيدة راسخة ويقدمون نفوسهم العزيزة بسخاء ثمنا للإحتفاظ بدينهم الجديد<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر السيد الباز العريني: تاريخ أوروبا، العصور الوسطى، ص 28.

<sup>2</sup> - شارل جنير: المصدر السابق، ص 169. كانت عهود الإضطهاد بعد عيسى أربعة: في عهد نيرون 64م، وفي عهد تراجان 106م، وفي عهد ديسيوس 249-251م، وفي عهد دقلديانوس 284م. وينظر: رؤوف شلي: أضواء على المسيحية، من ص 24 إلى ص 26.

<sup>3</sup> - محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والإستشراق، ص 254.

<sup>4</sup> - محمد فاروق الزين: المرجع نفسه، ص 255 وما بعدها. مشيرا إلى أنه شهدت الحملة الصليبية الأولى التي دعا إليها البابا "أوربان الثاني" مسيحيو أوروبا إلى دخول القدس عام 1099م وقتلوا عشرات الألوف من السكّان غير المحاربين. ثم بعد ذلك بقرن من الزمن نفذ البابا "إرنوست الثالث" حملة صليبية ضد حركة الهرطقة الألبية في جنوب فرنسا (1209م\_1213م) انتهت بقتل مئات الألوف الأبرياء من السكّان لأنهم رفضوا الطّقوس ورفضوا سلطة الكنيسة وطبقاتها الكهنوتية.

<sup>5</sup> - عبد العزيز الثعالبي: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، ص 130.

وفي أثناء القرن الثالث الميلادي كان الحاكم الروماني دقلديانوس (284\_305م) على الديانة الرسمية الوثنية يتولّى بنفسه تقديم القرابين للآلهة المتعددة ومع ذلك اختصّ بعبادة الآلهة جوبيتر<sup>(1)</sup>، وعُرف عنه شدة كرهه للمعتقدات الجديدة، فأنكر المانوية التي كان الفرس يدينون بها ، وأنكر المسيحية ، وأجاز تدمير كنائسها وإحراق كتبها المقدّسة محاولا إضعاف سلطة رجال الدّين ، فجاءته مقاومة عنيفة من الكنيسة التي لم تتهاون مطلقا في ممارسة نشاطها فزاد نفوذ المسيحية في دوائر البلاط ، غير أنّه وبانتصاره على الفرس الذي حدث حوالي 302م دفع بسياسة "دقلديانوس" إلى إقرار طرد جماعة المسيحيين من البلاط ونفيهم ، وكذلك جرى إخراج جماعات من العساكر من الجيش في عهده، بعد أن أصرّوا على اعتناق المسيحية، وزاد في التّكليف بالمسيحيين سنة 304م حتى تخلّى كثير منهم عن عقيدتهم، فضعفت وحدة الكنيسة نتيجة هذا الإضطهاد<sup>(2)</sup>.

ونتيجة هذا الصّبر وحب الإستشهاد أخذت أصناف الاضطهاد تقلّ شيئا فشيئا خصوصا في القرن الرابع، أين أصبح المسيحيون في كثرة ، وتيقّن "ديوكليسيان" أن لا جدوى من العنف والقضاء عليه لكثرة الأتباع فيها من مختلف المستويات الاجتماعية، وقبل المسيحيون الخدمة في الجيش وتقلّد المراتب الإدارية دون معارضة رجال الدين ، ليعلن الإمبراطور " جاليريوس " فشله عام 311 م معلنا التّسامح<sup>(3)</sup>، وبعد مماته أعلن " قسطنطين " مرسوم التّسامح سنة 313 م بعد ميل الكنيسة في مناصرته لاعتلائه عرش الإمبراطورية باعتباره الموثوق به لما قام به أبوه من تقريب لقساوسة الكنيسة في عهده إليه<sup>(4)</sup> ، كما أدرك قسطنطين قوة الكنيسة وخطرها على الحياة العامة، فراح يروج لفكرة انتصاره على أعدائه باسم المسيح كإله من بين آلهة إمبراطوريته. ((وأقام أسقف روما رسميا في قصر

<sup>1</sup> - ينظر: مصطفى العبادي : المرجع السابق ، ص 247 ، حيث أطلق دقلديانوس على نفسه لقب ( جيوفيوس ) ومعناها ممثل جوبيتر، كبير الآلهة ، على الأرض.

<sup>2</sup> - السيد الباز العربي : المرجع السابق ، ص 42.

<sup>3</sup> - السيد الباز العربي المرجع نفسه ، ص 45. اعتقد جاليريوس أن ما أصابه من مرض يرجع إلى سخط المسيحيين، وإلهم نظرا لشدة ما أنزله بهم من اضطهاد ، فأصدر قرارا يجيز حرية العبادة سنة 311م غير أنه لم يلبث أن مات. فصار يحكم الإمبراطورية في الشرق ليسيوس ومكسيمين. وفي الغرب قسطنطين وماكسينتوس.

<sup>4</sup> - ينظر السيد الباز العربي : المرجع نفسه، ص 50\_51، النص الكامل لمرسوم ميلان سنة 313م في: ولا يوجد في هذا المرسوم إطلاقا الإشارة إلى أن المسيحية تؤلّه المسيح، وهذا هو النّص: (( ولذا فإنّه حينما اجتمعنا سويا في ميلان، أنا الإمبراطور قسطنطين ، وأنا الإمبراطور ليسيوس، وتناقشنا في كلّ ما يتعلّق بمصلحة الدولة وأمنها. واعتقدنا أنّ هذين الأمرين، وسائر الأمور التي تنطوي على عبادة الله، والتي رأينا أنّها تفيد معظم النّاس لابدّ من معالجتها أول الأمر، حتى يتسنّى لنا أن نبذل للمسيحيين ولسائر النّاس، الحق في أن يكونوا أحرارا في أن يتبع كل منهم ما شاء من الديانة، وبذلك فإنّ أيّا كان الإله على عرشه بالسّماء، ليجونا، نحن وسائر أولئك الذين يخضعون لسلطاننا، بالعطف والسّلام.. حتّى ينعم الله الأكبر، الذي نبذل له الطاعة ، علينا في كل الأمور بفضله وعطفه)).

"لاتران" وهو ملك قديم لأسرة آل لاتيراني، في جنوب مدينة روما. وشيّدت الكنائس على مخطط معبد روما، ككنيسة القديس بطرس في الفاتيكان عم 326م وكنيسة القديس بولس خارج الأسوار<sup>(1)</sup>.

إنّ الانتصار الذي حقّقه المسيحية في وجه الاضطهاد الذي سلّط عليها والذي توجّه هذا الانتصار بإعلان مرسوم ميلانو، أخذت المسيحية في القرن الخامس تميل إلى حياة الزهد والرهبة لإنتشار روح التصوّف الذي تغلغل في العنصر النّسوي من طبقة النّبلاء فتميّز بالحماس المرهف لدى الرّاهبات: (ميلاني، و ياولا، وبناتها)، كلّهنّ اندفعن إلى حياة الزهد فنظّمن رحلات إلى فلسطين برفقة الرّاهب " روفين" والرّاهب " جيروم"<sup>(2)</sup>.

ومن الإضطهادات ما قام به الإمبراطور "جوليان" ابن أخ الإمبراطور قسطنطين في عام 361م بحيث أعاد العبادات الوثنية القديمة كتأليه الشمس، باعتبارها مركز الكون، وكان معجبا بالثقافة الإغريقية اللاتينية ومتحمّسا لقرأة "هوميروس"، فأراد ارجاع الوثنية التي صنعت عظمة روما وحضارتها واعتمد على الوثنيين الذين اضطهدهم قسطنطين وعلى الأرستقراطية الرومانية القديمة المتعلّقة بعبادة الأوثان، وطرد المسيحيين من الإدارات العامة، وأسس المدارس الوثنية<sup>(3)</sup>، لكنّه لم ينجح، بحيث وجد معارضة من الكنيسة فراح يضايقها وهي تصارعه وتهدم كل فلسفة كان يدعو إليها في الأديرة والمدن والأرياف مروجين لعبادة القديسين كبديل لحل الشخصيات الإلهية الصغيرة التي اعتاد عليها البسطاء الوثنيين في عبادتها، لاعتقادهم أنّها تقدم لهم الخدمات التي يطلبونها منها في الإمبراطورية.<sup>(4)</sup>

### مطلب 3: نتائج الإضطهاد وأثره في تطور العقائد:

بعدهما أفل حكم "جوليان" سنة 363م في حروبه مع الفرس تم طيّ دور السلالة القسطنطينية واستولى على الإمبراطورية أناس جدد مثل: فالانتينيان وأخيه " فالانس"، ثم آخرون

<sup>1</sup> - الموسوعة التاريخية الحديثة: تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص 69.

<sup>2</sup> - الموسوعة التاريخية الحديثة، ص 71، تناولت الموسوعة تاريخ الرهبة ومسألة الرهبانية.

<sup>3</sup> - الموسوعة التاريخية الحديثة: المرجع السابق، ص 69.

<sup>4</sup> - وسام عبد العزيز فرج: دراسات في التاريخ الاجتماعي والإقتصادي في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، المنصورة، مصر ط:

1985، ص 8. يقول المؤلف: ((من بين ثمانية وثمانين إمبراطورا، لقي ثلاثون حتفهم قتلا، وتوفي ثلاثة في حوادث، وسقط خمسة في

المعارك الحربية، وتوفي ثلاث عشرة في الأديرة)).

أقل هيبة<sup>(1)</sup>، تمكّن المسيحيون في ظلّهم ترسيخ قواعد الطّقوس الدينية والعبادة من الجمع بين الرّوحانيات والشعائر العملية ، فكانت الكنيسة تعتمد في دعوتها على الوعد بالخلاص والخلود عن طريق شفيع ينشد المحبة والفضيلة ، ولّما رأت عدم إقبال النّاس عليها بشكل فعال طورت من تأليفها الدينية لتشكّل مجمع ديني تنصهر فيه العقائد والشعائر النّابعة من العاطفة الدينية الوثنية موظّفة طرق وعناصر الانسجام ترتيباً وتركيباً للشعائر والمعتقدات ، وأطلق على الكنيسة وصف " كاثوليكية" أي عامة. واستطاعت أن تكسب عطفاً قوياً ونشطاً في العالم اليوناني والروماني باستعارتها للثقافة اليونانية وتنظيمها وفقاً لفروضها. وفي الوقت ذاته ظهر شكل جديد للحياة الدينية وهي " الرهبنة". وكان ل : "أورجين" الدور في تطوير العقائد المسيحية إلى فلسفة ملهمة وكاملة في لون من ألوان (الغنوصية)<sup>(2)</sup> خلال القرن الثاني للميلاد، شأنها شأن ظهور بدع مختلفة كان لها حقّ الظهور آنذاك كظهور الطّقوس الوثنية في المعابد المسيحية خصوصاً بعد أن هجر بعض النّاس المعابد اليهودية، ومن هذه الشعائر : التعميد، وكسر الخبز، ووضع الأيدي على الرّأس، والصّلاة والصّيام.

كما أضيفت حركات شائعة لدى الوثنيين إلى الطّقوس المسيحية، وبدأ التفاعل والانصهار للعقائد في بوتقة واحدة منذ انتقال الإيمان المسيحي على يد الحواريين أو التلاميذ من فلسطين إلى العالم اليوناني. فيظهر تأثر المسيحية بالوثنية في العبادات بعد زوال المجتمع الحواري تحديداً في مقبل القرن الرابع للميلاد، فيقول "شارل جنير": (( ولعلّه من العسير أحيانا أن أرجع في كل تأكيد لونا من ألوان الطّقوس المسيحية إلى الأصل الوثني الذي نبع منه، إلّا أنّه لا مجال للشك في أنّ الرّوح الوثنية فيما يختص بمظهر العبادة العملية ، قد فرضت على المسيحية شيئاً فشيئاً حتّى أصبحنا نجدها كاملة في احتفالاتها<sup>(3)</sup>).

وتمكّنت المسيحية من الإمتزاج بالرّومانية، وتحدّث المفاجأة التاريخية عندما امتزجت عقائد السّاميين بعقائد الآريين حيث أنّ الروح السّامية تنكر أن يوجد من البشر إله عكس الروح الآرية التي تؤمن بوجود الآلهة وأنصاف الآلهة، فالأولى لا تستطيع أن تؤمن بالمسيح ما لم يكن إنساناً معلّماً وهادياً. أمّا

<sup>1</sup> - الموسوعة التاريخية الحديثة: المرجع السابق ، ص 70.

<sup>2</sup> - عبد العزيز النعالي: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان ص 133. ويعرف المؤلف الغنوصية بأنّها: نسبة إلى اغناطيوس أسقف أنطاكية، وهي كلمة يونانية معناها ( المعرفة) ظهر هذا المذهب في عهد المسيحية الأولى، أيام الرّسل، في أواسط القرن الأول بعد صعود المسيح، أي حين كانت الفلسفة اليونانية الباحثة في ما وراء الطبيعة متسلّطة على أفكار وآداب الشرق .

<sup>3</sup> - شارل جنير : المصدر السابق ص126.

الأخرى فلا سبيل لإيمانها به ما لم يكن لها أو نصف إليه، لهذا وأمثاله انقسمت تعاليم النصرانية إلى أصليين متقابلين: أحدهما الإيمان بوجود إله منزه عن النقائص والحدوث والمادة، والآخر يجزم بالانبثاق والإتحاد والحلول ويعتقد بظهور الطبيعتين في مشيئة واحدة<sup>(1)</sup>.

إن كثيرا من العقائد والطقوس لم يأت بها المسيح ولم يدع إليها، غير أن القرون الموالية لميلاده كانت مجالا لصراعات بين الموحدين للربوبية وبين من أرادوا أن يضيفوا على المسيح صفة الألوهية، لذلك جاءت العقائد بعد حياة المسيح لا تمت بصلة لدعوته. ونظرا لهذه الهوة والفجوة في تاريخ العقائد المسيحية قسّم الباحثون مراحل تطورها إلى مرحلتين:

**مرحلة أولى :** وتبدأ من مبعث المسيح إلى نهاية القرن الثالث للميلاد.

**مرحلة ثانية :** وتبدأ من أوائل القرن الرابع للميلاد بدءًا بمجمع نيقية إلى يومنا هذا.

ولبيان خصائص كل مرحلة يتّضح أنّ المرحلة الأولى تتميز بعقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح النبي كغيره من الأنبياء والرسل الذين جاءوا من قبله، فهو يماثلهم في دعوته، وأظهر الله على يديه معجزات تأييدا له وتصديقا لما دعا إليه من قول الحق، غير أنّ بوادر الشرك طغت على التوحيد فلم يسلم المسيح من دعاة ألصقوا به صفات الإلوهية وأنه ابن الله، ولقيت هذه الأفكار قبولا لدى نفوس كثيرين لما فيها من مشابهة بعقائدهم القديمة الوثنية<sup>(2)</sup>. وقد تصدى لهذه الوثنيات " آريوس " ضد القائلين بألوهية عيسى ليظلّ الصّراع قائما بين التوحيد والشرك حتى انعقاد مجمع نيقية ليدخل إمبراطور روما مناصرا للقول بألوهية المسيح وأمال كفة الوثنية على عقيدة التوحيد الخالصة رغم أنّ الغلبة لم تكن مع قرارات هذا المجمع.

ويبرز "تويني" الخلافات الدينية التي عرفها القرنان الرابع والخامس أنّ هناك سبب عملي كان يدعو إلى أن تشتبك المشكلات المسيحية الدينية مع المشكلات المدنية الإمبراطورية بعضها ببعض الآخر فيقول: (( فالخصومة بين المسيحيين الكاثوليك والمسيحيين الدوناتيين، أصبحت خصومة بين نوميديا وقرطاجنة. كما أصبحت خصومة بين الفلاحين ومالكي الأرضين. ولاهوت آريوس، الذي هزم أخيرا في نطاق الأمبراطورية، أصبح الإشارة المميّزة للبرابرة الذين كانوا يهاجمون الأمبراطورية. وهؤلاء البرابرة اعتنقوا المذهب الأريوسي في وقت كان هذا المذهب في

<sup>1</sup> - عبد العزيز الثعالبي : المرجع السابق ، ص 132.

<sup>2</sup> - ينظر : أحمد شلبي : المسيحية ، ص 49 وما بعدها في حديثه عن المسيحية في نظر المسلمين.

صعود داخل الأمبراطورية. والجدل الذي قام فيما بعد حول العلاقة بين الطَّبيعة البشرية والطَّبيعة الإلهية للإقنوم الثَّاني (أي الإبن) آل أيضا إلى خصومة بين الحكومة الرومانية الإمبراطورية ورعاياها النَّاطقين بالسريانية ( في بلاد الشام) والنَّاطقين بالقبطية ( في مصر)<sup>(1)</sup>.

فقد تحدَّى هؤلاء أن تقوى اللُّغة اليونانية التي فرضها عليهم الإسكندر الأكبر والتي حافظت على وجودها بسبب السلطة الرومانية، فيما كانت الحكومة ا تجهد في الحفاظ على سيطرتها عليهم.

وبهذه المناسبة فإنَّ المجمعين المسكونيين الثَّاني والرابع يسَّرا لبطريركية القسطنطينية الفرصة لتثبيت وجودها. فالمجمع الثَّاني (381م) اعترف بأنَّ كرسي القسطنطينية يأتي الثَّاني بعد الكرسي الروماني والمجمع الرابع (451م) منح بطريرك القسطنطينية سلطانا قضائيا دينيا على آسية الصغرى ( إلى الشَّمال الغربي من سلسلة جبال طوروس) وعلى الطرف الشرقي من شبه جزيرة البلقان)<sup>(2)</sup>.

هذه القرارات التي ترتَّب عنها مستقبلا وجود فرق موحدة وفرق مؤلَّهة للمسيح حيث يعدد الدارسون للمسيحية الفرق الموحَّدة والمؤلَّهة للمسيح ومعتقداتها ، فمن الفرق الموحَّدة والقائلة ببشرية المسيح عيسى ابن مريم: ( الأيونية، الشمشاطية، الأريوسية )، أمَّا الفرق القائلة بالتعدُّد والشُّرك فهي: (المرقيونية، البربرانية، الألبانية، وفرق التثليث) ، وهذه الفرق ظهرت في الفترة الأولى للمسيحية واستمر وجود بعضها حتى بعد مجمع نيقية<sup>(3)</sup> ، يمكن حصرها في فرق مسيحية كبرى تفرعت عنها بعد ذلك فرق أخرى، وهذه الفرق هي : الملكانية واليعقوبية والنسطورية، والتي كانت أغلب مسائلها العقائدية تدور حول كيفية نزول عيسى بعد رفعه واتصاله بأُمَّه وتجنُّد الكلمة، وكيف تم صعود المسيح واتصاله بالملائكة. كما يعود اختلاف الفرق الثَّلاث الكبرى إلى تصوُّر كل فرقة حول طبيعة المسيح، مع الإشارة أنّ هذه الفرق لم تنشأ في زمن واحد، فأقدمها فرقة الملكانية ثم اليعقوبية، وأحدثها زمنا النسطورية<sup>(4)</sup>.

إنَّ المسيحية في بدايتها كانت تقوم على عقيدة الإيمان بأنَّ المسيح عبد الله ورسوله، ثم أخذت منحى آخر إلى الاعتقاد بأنَّ للمسيح طبيعة مزدوجة إلهية وبشرية ، لينشأ عن هذا الاعتقاد

<sup>1</sup> - أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ج2، ص 56.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ج 2، ص 57.

<sup>3</sup> - محمد إبراهيم الجيوشي: دراسات في النصرانية، دار الهدى للطباعة، القاهرة، ط1، 1988م، ص 47، وينظر هذه الفرق

ص ص 47 - 57.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 57.

فرق ومذاهب فيما بعد ممثلة أيضا في: المذهب الكاثوليكي والأرثوذكسي والبروتستنتي الذي ظهر خلال القرن السادس عشر للميلاد بأوروبا<sup>(1)</sup>.

ومن نتائج الإضطهاد البدء في صياغة الأناجيل والوثائق المتعلقة بالدعوة المسيحية وبالمسيح نفسه من خلال الروايات التي تناقلها الأتباع والمؤمنون شفاهة ، فكانت السمة الغالبة على العهد التأسيسي الأول المعروف بعهد "النشأة" والذي امتد حتى سنة 70م حيث عرفت السنة المسيحية ذات الصبغة الشفوية طريقها إلى التدوين مع ملاحظة ندرة المعلومات التاريخية عنها وعن الكنائس المقامة، فما وصل سوى إنتاج فكري أدبي مكتوب باللغة اليونانية مضطرب التاريخ والإنتساب. ومن التطورات التي عرفت في هذه الحقبة انتشار المسيحية بين الوثنيين وتقهر بعض الفرق اليهودية أمام المجموعة المسيحية الفلسطينية التي رأت في عدم تحقيق عودة المسيح غضبا من الله على بني إسرائيل لعدم استجابتهم للدعوة، وشمل هذا الغضب اليهود المسيحيون الممثلون التاريخيون للمجموعة المقدسية الأولى ، والذين وصفهم غيرهم بالهرطقة أو الهرطقيون ، بعد أن ضاعت الوثائق المقدسة من بين أيديهم، والمكتوبة بالآرامية، خلاف الكنائس اليونانية اللسان التي أسسها بولس.

وكان سبب إصاق تهمة الهرطقة للجيل الأول المقدسي لإنكاره القول بالوهية المسيح ولتمسكه بالطقوس اليهودية، فلهذا الموقف لم يعجب الكنائس المنتسبة لبولس ولا رجال الدين المنتمين للهيكل بفرقه المتعددة من فريسيين وصدوقيين وكتبة وغيريين، فقامت مجموعة من اليهود لها علاقة بالسلطة الرومانية في عهد (تراجان 98م- 117م) في حثه على قتل " سمعان" أسقف القدس والذي خلفه " يعقوب" بتهمة القيام بدور سياسي ضد الرومان لّما كان مقيما في المنفى شرقي الأردن، وأنّه كان منتميا إلى المسيحيين ذوو النزعة اليونانية، وبالتالي فهم مارقون من الدين. ممّا جعل التعاون اليهودي الصّرف مع السلطة الرومانية يعجّل بافتراق الكنيسة وانفصالها عن الهيكل دون رجعة، خصوصا بعد الضربات التي تلقتها المجموعة المسيحية في فلسطين وروما إبان فترات الاضطهاد<sup>(2)</sup>. وتطالعنا رؤيا

<sup>1</sup> - ينظر: محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والإشتراق، ص 275.

<sup>2</sup> - ينظر: الرسالتين ليوحنا (الثانية و الثالثة) من العهد الجديد حول احتراز المبشرين في آسيا وحشيتهم من ردود أفعال الوثنيين في مقاطعات انتشرت فيها عبادة الإمبراطور. حيث جاء في الرسالة الثانية ليوحنا المنفردة عن نصوص العهد الجديد بدون إصحاحات ورد في فقرة 7: ((لأنّه قد دخل إلى العالم مضلّون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتيا في الجسد. هذا هو المضلّ والضدّ للمسيح)). وفي الرسالة الثالثة ليوحنا التي هي بدون أي إصحاح ، الفقرة 9: ((كتبْتُ إلى الكنيسة ولكنّ ديوتربفسن الذي يحبّ أن يكون الأوّل بينهم لا يقبلنا ، من أجل ذلك إذا جئت فسأذكره بأعماله التي يعملها هاذرا علينا بأقوال خبيثة. وإذ هو غير مكتفٍ بهذه لا يقبل الإخوة ويمنع أيضا الذين يريدون ويطردهم من الكنيسة)).

يوحنا عن دعوة الكنائس لاتباعها إلى النشاط والحماسة بغية إعادة الأمل إلى المسيحيين بعد الاضطهاد الذي عرفوه ، فحثهم على الحذر والحيلة في نشر الدعوة ، ويظهر من صياغة هذه الرؤيا ذات الصبغة اليهودية أنها اتخذت شكلها النهائي في أواخر القرن الأول على أيدي اللاهوتيين الفلسطينيين الذين أقاموا في مقاطعة آسيا وذلك سنة 70 للميلاد. وقد انتشرت رؤيا يوحنا في الأوساط (الألفانية) التي كانت تنتظر نهاية العالم أو عودة المسيح قريبا لإرساء مملكته العالمية انطلاقا من القدس<sup>(1)</sup>.

في ظل الاضطهاد يتم تدوين الأناجيل التي كانت تعتبر المشكل الرئيسي في العلاقات بين المسيحية واليهودية خلال الربع الأخير من القرن الأول والتي دفعت باحتلال مجموعة من الكتب والرسائل مكانة خاصة في ظل هذا الصراع من مثل: رسالة يعقوب ورسالة بولس إلى العبرانيين وإنجيل متى<sup>(2)</sup>. إن هذه المؤلفات الثلاثة اهتمت بالعلاقات اليهودية المسيحية رغم اختلاف الحلول والتصورات، ولم تكن المسائل العقدية تشغل الأتباع بالدرجة الأولى. وإنما عمل رعييل الجيل الأول من المشاهدين المباشرين لحياة المسيح على ضرورة تسجيل الذكريات المتوارثة شفاهيا على أنها روايات صحيحة الأخبار، فتم تسجيل مراحل حياة عيسى لما فيها من عبر ووصف لآيات قام بها في سبيل إقناع الناس برسالته ، غير أن هذه الروايات التي وصلتنا تفتقر إلى روح النقد والتحقيق التاريخي، الذي يعتمد على المنهج الذي يفترض الشك، والذي يتنافى مع دوافع الإيمان المطلق لدى هؤلاء

<sup>1</sup> - عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق ص58. ويقول المؤلف في نفس الصفحة: أن الألفانية جاءت من العدد ( ألف )، إذ كان يعتقد أن الملك المسيحاني يدوم انتظاره ألف عام، وكان لانتشار هذه الرؤيا في هذا الوسط بنفس حجم انتشار إنجيل مرقس في الأوساط (الغنوصية) بداية من آخر القرن الأول.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص 84.

أ - تدوين رسالة يعقوب: صاحب الرسالة يهوديا ومسيحيا أصيلا يبين من متن رسالته أنه كان يهدف إلى جمع شمل اليهود المشتتين ، وألف رسالته سنة 61م، وهي موجهة بالخصوص إلى المسيحيين ويهود الشتات على حد سواء ، يصور فيها المسيحية وأنها ديانة يهودية تحررية ذات مثل عليا تختلف عن مسيحية بولس ذات المستوى المنحط أخلاقا ودينا ، وكان لشهرته بالطهارة يعرف يعقوب البار، وقد اغتاط منه رؤساء اليهود، فحكموا عليه بالموت في مجيعهم، فمات رجما سنة 62م.

ب - تدوين رسالة بولس إلى العبرانيين: وهذه الرسالة موجهة إلى بعض المثقفين المسيحيين الذين اعتنقوا اليهودية بالإسكندرية ، فحملت إليهم جملة من النصائح ذات الصبغة الأخلاقية مبرزة أن المسيح هو الحبر الأعظم وهو خادم القديس ومقدم الذبائح، وكانت تهدف هذه الرسالة إلى بيان أن المسيح يسمو على جميع الكائنات السماوية والأرضية، وأن العبادات المسيحية هي الأفضل، وتستدل هذه الرسالة كثيرا بنصوص العهد القديم.

ج - تدوين إنجيل متى: ويرجح أنه تم تأليفه في الشام حوالي 85م-95م ، وفيه يسجل تعاليم المسيح التي احتفظت بها الكنائس الفلسطينية، وترتبه صاحبه بحسب الخطب الخمسة الأساسية التي ألقاها عيسى في زمن بشارته ، كما لم يغفل صاحبه على نسجه على منوال مؤلف إنجيل مرقس، مثبتا أن عيسى هو الميسر به .

الكتاب<sup>(1)</sup>. فهي عبارة عن أحاديث تضم عناصر مختلفة مشوّشة عن حياة عيسى، فبعد انقراض الجيل الأول حاول المحررون للأناجيل خلال الثلث الأخير من القرن الأول المسيحي أن يؤلّفوا روايات يصعب التمييز فيها بين الأحداث التاريخية وبين تلك التي فرضها الإيمان وقوعها من أجل أن تكتمل كلمة الكتاب (أي بين الذكريات الحقيقية وبين وحي الروح)<sup>(2)</sup>. فجاءت هذه الروايات غير مترابطة مختلفة التفاصيل تحكي فصولا ومقتطفات عن حياة المسيح متعارضة في نفس الأحداث والأحاديث، فراح كل مؤلّف يتبع هواه يضع خطة وينسّق ويرتب مؤلفه في غير تسلسل وترابط لوقائع تسمح له بوضع صورة واضحة لحياة المسيح، فلا تكاد تجد وحدة حقيقية لعناصر النص، بل تجد نقصا كبيرا وفجوات خطيرة، كإهمال إنجيل "مرقس" وتحاشيه الحديث عن مولد عيسى وطفولته، خلافا لإنجيل متى ولوقا ويوحنا، حيث حاول كل واحد على طريقته أن يسدّ هذا النقص بالرغم من التشابه في تعليقاتها عن المعجزات ورغبتها في الوعظ والإرشاد، وأصبح من الصعب التمييز حول الجوانب التاريخية لشخصية عيسى لعدم وجود المراجع اللازمة لتحديد أحداث حياته بكل دقة وموضوعية. فمثلا لوقا الطبيب صاحب الإنجيل وصاحب سفر "أعمال الرسل" لم يكن تلميذ المسيح ولا تلميذ بولس المباشر، وإنما كان من المنتمين إلى أحد كنائس بولس حول البحر الإيحي، وقد وضع إنجيله بين 80 م - 90 م مبينا الجذور أو أصول المسيحية من اليهودية الفلسطينية القديمة، وجعل كل همه حول فكرة الخلاص، وأن كنيسة القدس هي منبع العقائد المسيحية الموجبة للإيمان والتدبر<sup>(3)</sup>.

وفي أواخر القرن الأوّل انتشرت أيضا رسائل منحولة نسبت إلى بولس وخاصة رسالته إلى "أهل أفسس" والرسالتين إلى "تيموثاوس" وإلى "تيطس"، وقد نسجت الرسالة إلى أفسس على منوال الرسالة إلى "أهل كولوسي"، تضم تصورات بولس حول شخص المسيح وخول الكنيسة غير أنّ باقي الرسائل فإنّها لا تعبر أهمية للعقائد بقدر ما أولت الاهتمام بالتنظيم الكنسي، وكان لقلّة نشاط التبشير خلال هذه الفترة مدعاة إلى تحمّس المؤمنين إلى جمع رسائل بولس وإيداعها في الكنائس التي وُجّهت إليها<sup>(4)</sup>. وشهد نهاية القرن الأول المسيحي أيضا ظهور رسالة ليوحنا المعروفة بـ (الرؤيا، أو رؤيا يوحنا)، ثم إنجيل يوحنا، حيث وضعت الرسالة ردّا على من يدّعي معرفة الحقيقة خارج الإيمان

<sup>1</sup> - شارل جنبير: المصدر السابق، ص 27.

<sup>2</sup> - شارل جنبير: المصدر نفسه، ص 28.

<sup>3</sup> - محمد فاروق الزين: المرجع السابق، ص 113.

<sup>4</sup> - ينظر رسائل بولس الموجهة إلى كل من: رومية وكورنثوس وغلاطية وتسالونيكى وأفسس وكولوسي.

التقليدي ، فيزعم صاحبها أنّ النبؤات التي تحققت في شخص المسيح عيسى (ابن الله) في حاجة أن يفهمها المؤمن. والإنجيل المنسوب إليه يبيّن انشغاله بالانقسامات الموجودة بين المسيحيين في عصره ، ويبيّن انشغاله بفكرة (التجسد)، مما دفع ببعض المؤرخين إلى اعتبار ( رؤيا يوحنا) وإنجيله صدراتا عن الأوساط المسيحية اليهودية في آسيا ، حيث هناك التيارات الآسينية ، وأنّ الكتاب الأوّل متأثر بالانقلاب الذي حدث إثر تهديم الهيكل ، حيث يرى فيه عقابا لإسرائيل، أما الإنجيل فإنّه يركّز على شخص الكلمة الذي صار جسدا، فالمؤلف قام بالعدول عن افتتاح كتابه بذكر كيفية ميلاد المسيح من العذراء مريم ، فأقبل على ذكر ميلاده الإلهي: ((في البدء كان الكلمة والكلمة عند الله وكان الكلمة لله))<sup>(1)</sup>. فجاءت خصائص الكلمة عند هذا المؤلف لها صلة بالمادة لأتمّها، أي الكلمة (( صارت جسدا))<sup>(2)</sup>. خلافا ما اعتقده الفيلسوف اليهودي "فيلون" من أنّ الكلمة تشمل الكون كلّه وبجوار الله دون صلة بالمادة. فيقول "عبد المجيد الشرفي" : ((ويبدو جليّا بحسب افتتاح إنجيل يوحنا تأثر صاحب هذا السّفر بالفيلسوف اليهودي فيلون، ففي فلسفته حول مفهوم الكلمة وخصائصها هي نفس الاستعمال عند يوحنا ، غير أنّ الكلمة عند فيلون هي ذلك الإنسان السّماوي وهي عند يوحنا المسيح الأرضي ابن الإنسان الذي نزل من السّماء، وهو نفسه المسيح الموعود والنّبي وابن الإنسان والعبد المتألّم الذي ورد ذكره في سفر أشعيا، غير أنّ يوحنا لجأ إلى مقولات فيلون ليضفي تفسيرات عن شخص عيسى ودعوته التي جاء بها ليعلن نفسه أنّه ابن الله وأن يطلب الإيمان (بشخصه))<sup>(3)</sup>. ويلاحظ أنّ كل ما تنكّر له اليهود من تعاليم لفيلون تبنته المسيحية وأصبحت بعض المعلومات المأخوذة من اليهودية الهيلينية مطعّمة بعدد من أقوال عيسى من مثل رسالة يهوذا ؛ التي هي من ضمن أسفار العهد الجديد يعتبرها بعض الباحثين من الرسائل المنحولة مثلها مثل الرسالة المنسوبة لبرنابا<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - إنجيل يوحنا 1 : 1 .

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 1 : 14 .

<sup>3</sup> - عبد المجيد الشرفي : المرجع السابق ، ص 61.

<sup>4</sup> - ينظر رسالة يهوذا الفقرات من 1- 6. حيث جاء فيها: (( يهوذا عبدُ المسيح وأخو يعقوب إلى المدعوّين في الله الآب والمحفوظين ليسوع المسيح، لتكثر لكم الرّحمة والسّلام والمحبّة. أيّها الأحبّاء إذ كنت أصنع كلّ الجهد لأكتب إليكم عن الخلاص المشترك اضطررتُ أن أكتب إليكم واعظا أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلّم مرّة للقديسين. لأنّه دخل خُلُسةً أناسٌ قد كُتِبُوا منذ القديم لهذه الدّيونونة فجارّ يحولون نعمة إلها إلى العارة وينكرون السيّد الوحيد الله ربنا يسوع المسيح . فأريد أن أذكركم ولو علمتم هذا مرّة أنّ الرّب بعدما خلّص الشعب من أرض مصر أهلك أيضا الذين لم يؤمنوا)).

ورسائل منحولة أخرى من مثل رسالة "أكليمونضس الروماني الأولى" التي راحت تعني بتنظيم الكهنوت في "الأكليروس" المسيحي بالاعتماد على النظام الكهنوتي اليهودي ، وقد تمّ تأليف هذه الرسالة في أواخر سنة 96م. ومن الرسائل المنحولة أيضا رسائل "أغناطيوس" التي تتحدث عن المكانة العالية للأساقفة التي تستوجب الوقار والاحترام لسلطتهم المطلقة في الكنيسة باعتبارهم الضّامنين الوحيدين للاعتقاد القويم والمستقيم. وعمّت هذه الفكرة الكنائس المسيحية في أواخر القرن الثاني ، بعدما كان من قبل لكلّ كنيسة أسقفا يعضّده القدامى والشمامسة في الإشراف على طقوس القربان الذي كان يجري في بداية الأمر في نطاق عشاء جماعي، ثم استقل تدريجيا ليصبح عشاء رمزيا مثل التعميد، وهو من العبادات السّرية يضمن الخلود بصفة شبه سحرية. فيعود تأليف هذه الرسائل المنحولة إلى حوالي 110 م، وكان أغناطيوس أسقفا لأنطاكية، وقد تعرّض للقتل لما نُقل إلى روما<sup>(1)</sup>. بدأ المسيحيون في أوّل الأمر بإقامة اجتماعاتهم الطقسية في دار أحدهم توضع على ذمتهم في غرفة أو أكثر ، وما يتلوّنهُ من كتب يهودية يراد بها التبرك ، وغالبا ما كانوا يجتهدون في تأويل الشريعة والأنبياء ليثبتوا أنّها تتعلق بالمسيح وكنيسته، فأدّى بهم ذلك إلى الإفراط والتعسف تحت تشكيلة فرقة قويّة تسعى إلى تخلص الكنيسة من قبضة العهد القديم<sup>(2)</sup>.

شهد القرن الثاني إنتاجا مسيحيا صرفا ، وأعتبر هذا الإنتاج التألفي تكملة للتقليد بالرغم من أنّ الأناجيل لم تخلو من التأثير بالأهواء الخاصّة، ولم تكن كلّها معترف بها لدى الجميع، وأنّ الصّيغة النهائية التي وصلت فيها تستند إلى أربعة مصادر شفوية مختلفة وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل ولوقا، والمنسوب إلى يوحنا.

تميّزت فترة 70 م إلى غاية 125م بجملة من الصّفات تمثّلت أساسا في صورة التضامن بين أفراد المجموعات المسيحية في مختلف المناطق التي تمّ بها التبشير من تقديم لإعانات وأخذ بيد المعوزين واليتامى والهائمين على وجه الأرض ، وحضي المسيحيون بتسامح نسبي من قبل الرّومان جعلت إقبال الكثيرين على المسيحية بالرغم من حصول بعض الاضطهاد قى عهد الإمبراطور (دوميشيانوس 81م - 96 م) لتعلقه بدينه الروماني القديم<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - عبد المجيد الشرفي : المرجع نفسه ، ص 63 .

<sup>2</sup> - ينظر: محمد ابو زهرة : المرجع السابق ، ص 36 .

<sup>3</sup> - عبد المجيد الشرفي : المصدر السابق ، ص 56 وما بعدها.

كما أدى الحكم بالإعدام على " أغناطيوس " سنة 110م ، وقيام حملة ( بليبي الأصغر) والى مقاطعة ( بيثينية) في الشمال الغربي من آسيا الصغرى سنتي 112م-113م ضد المسيحيين كان من نتيجتها ارتداد البعض منهم وثبات الآخرين رغم السجن والعذاب، وكانت الغاية من هذا الاضطهاد الحد من انتشار الدين الجديد وتخويف أتباعه أكثر مما كانت ترمي إلى القضاء عليهم وقد تكاثر عددهم<sup>(1)</sup>.

**المبحث الثالث: مرحلة تثبيت العقائد المسيحية:** (وتبدأ من 125م - 325 م).

في القرن الثاني للميلاد انتقلت المسيحية من فترة الفرقة إلى التنظيم في شكل مؤسسة عرفت باسم الكنيسة، فانتقلت من جو الصراع إلى جو الاستقرار، وصاحب هذه التحوّلات نشوء مؤسسة اكتسبت بعدا سياسيا واجتماعيا من خلال استفادتها من وجود تيارات فكرية مختلفة داخلها، أفرزتها مدرسة الشام ومدرسة أنطاكية ومدرسة الإسكندرية، مع ظهور اتجاهات منتمية إلى المسيحية، كل هذه التيارات راحت تُعرّف بعقائدها وتدفعُ بها إلى أحضان الكنيسة، مشكّلة منظومة لاهوتية مسيحية مختلفة تماما عن اليهودية التي راحت ترميها بالهرطقة وبخاصة في القرنين الرابع والخامس للميلاد<sup>(2)</sup>، وبذلك انفصلت المسيحية عن أصولها اليهودية بتدعيم من الفكر اليوناني الروماني، وحتى الوثنيون لم يسلم منهم المسيحيون، حيث نظروا إليهم أنّهم كتلة واحدة لا فرق بين مسيحي ويهودي فجميعهم محلّ شبهة واحدة في ممارسة الطقوس، وأنهم جماعة من السذج ينساقون وراء أدنى دجال بل أنّهم مجرمون، وأنّ المسيحية ما هي إلا بدعة يهودية<sup>(3)</sup>، وأن عقيدة التجسد التي يؤمن بها المسيحيون هي أمر منافي للعقل ولا يمكن للمسيح أن يتجسد فيه الله، ومجيء الله إلى العالم يصاحبه تغييرا في الإله، ويعلم العاقل أن الله لا يتغير. هذه جملة من المآخذ صدرت من الوثنيين خلال القرن الثاني للميلاد والتي انبرى لها مدافعون تسمّوا بحماة الإيمان، راحوا يعرضون العقيدة مبينين فساد الأخلاق والأساطير الفكرية عند الوثنيين، وأنّ المسيحية مطابقة للمثل الأعلى الهيليني كوسيلة لإقناع المثقفين بالثقافة اليونانية، التي كان لها دور في صياغة العقائد المسيحية خلال القرن الأول و الثاني للميلاد، وكان أكثر الأشخاص تأثيرا في تصوّر المسيحية في القرن الأول هو الفيلسوف "أوريجين

<sup>1</sup> - المصدر نفسه ، ص 65.

<sup>2</sup> - ينظر: اميل برهيه: تاريخ الفلسفة، العصر الوسيط والنهضة، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ج3، ط1، 1983، ص 8.

<sup>3</sup> - عبد المجيد الشرفي: المصدر نفسه ، ص 66. وينسب إلى الفيلسوف (سلسيوس) ( نحو سنة 178م) في كتابه ( الخطاب الحقيقي): مهاجما المسيحيين ويصفهم بأنهم يزنون بذوي القربى إثر مأدبة في أيام الأعياد و، وأنهم ملحدون، وأنهم يذبحون طفلا ويأكلونه في الحفلات التي يقيمونها لإطلاع المنضمين إليهم على أسرار دينهم .

الإسكندري" المولود سنة 185م، والذي تعلّم على يد الفيلسوف "آمون ساكاس" معلّم "أفلوطين" بل هو إمام الأفلاطونية الحديثة ، وكان "أوريجين" من التّسّاك المطلّعين على الفلسفة اليونانية أدّت به إلى التوفيق بينها وبين الكتب الدينية ، ومنها تلك النّصوص التي تشير إلى بنوّة المسيح ، ودلالة الثالوث والتوحيد فقال : (( إن البنوّة كناية عن القربى ))<sup>(1)</sup> ، وحول الكلمة التي كانت في البدء يشير إلى أنّها تفهم كما يفهم الرجل الذي إطلّع على مذهب "هيرقليطس" ومذهب أفلاطون ، حيث يقول أفلاطون بسبق الصّور المعقولة على الأجسام المحسوسة، فجاء "أوريجين" بعدهما ليقول أنّ المسيح هو مظهر العقل الخالد تجسّد بالنّاسوت ، وإنّ ظهوره في الدّنيا حادث طبيعي من الحوادث التي يتجلّى بها الإله في خلقه<sup>(2)</sup>.

### مطلب 1: تطور العقائد المسيحية بحسب مصدرها:

بدأت العقيدة المسيحية في القرن الثاني للميلاد في التشكّل من خلال النّصوص الإنجيلية التي دوّنها الحواريون بعد المسيح ، ومن الجامع المسكونية التي عقدتها طوائف المسيحية سواء لتقرير العقائد أو لرفع الخلافات أو لتحقيق الرغبات السياسية<sup>(3)</sup>، وتشكّلت أيضا من خلال الرّوافد الفكرية الثقافية والفلسفية الوافدة من بلاد اليونان والرومان ومن حضارات سوريا وآسيا لصغرى ومصر وبلاد ما بين النهرين ، فهذه البيئات ساهمت في إيجاد الأسس الأولى للمعتقد المسيحي ومن ثمة انتشاره، ولاسيما بعد تحرّرها وتخلّصها من الشعائر العملية التي كانت تفرضها الشريعة اليهودية ، فاعتمدت في مجموعة عقائدها على شخصية المسيح التي نمت حولها التّطبيقات المنبثقة عن المذاهب الفلسفية والدينية التي وجدت في البيئة اليونانية والرومانية والتي سمّيت بـ (شروط الإيمان)<sup>(4)</sup> التي عمل علماء اللاهوت على توسيع أبعادها ومفاهيمها وتنظيمها وترتيبها بشكل محكم وفي انسجام كامل، وترتّب

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: الله .جل جلاله ، ص 172 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 172 .

<sup>3</sup> - عبد العزيز النعالي : محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان ، ص 125 .

<sup>4</sup> - محمد عبده : الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م. جاء عن أصول المسيحية وأنها ستة :

الأصل الأول:- ص 20.(الخوارق) خوارق العادات التي شهدت على صدق المسيح بحسب روايات الأناجيل.

الأصل الثاني: - ص 21. سلطة الرّؤساء، أي السلطة الدينية التي منحت للرّؤساء على المرءوسين في عقائدهم.

الأصل الثالث: - ص 22 ترك الدنيا والتجرد منها والإنقطاع إلى الآخرة : أي الإنقطاع إلى الملكوت بوجوب حياة الرهبنة وترك الزواج.

الأصل الرابع:- ص 23 الإيمان بغير المعقول، أي أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها وفي الدين ماهو فوق العقل ومع ذلك يجب الإيمان به

الأصل الخامس: - ص 23 تطبيق الكتاب المقدس ، فهو حاوية لكل ما يحتاجه البشر في المعاش والمعاد.

الأصل السادس: - ص 24، المسيح جاء ليلقي نار على الأرض.

عن الأصول التي وضعتها المسيحية لنفسها آثار ، منها تقديم الإيمان على العمل وتأسيس لقاعدة: إنّ الجهالة أمّ التقوى، ومصادرة الآراء التي تخالف ما في الكتاب المقدس، وانتظمت الكنائس في هيئات منتظمة على شاكلة المعابد اليهودية أو الجماعات الوثنية يشرف على الطقوس الكنسية طبقة من "الإكليروس" أخذت من كل دين خيرَه وألبسته ثياب المسيحية. وراحت الكنيسة تقرّر أنّ الكتب المقدسة لم تذكر كلّ شيء ، لذا يمكن للبابا أن يقرّر قضايا دينية وعقائدية وتعتبر يقينية غير قابلة للتحويل والتبديل إلى جانب كونه معصوماً من الخطأ في كلّ ما يتعلق بالأحكام الدينية ، كما يمكن للبابا أن ينشر تعليماً دينياً يكون لزاماً على أتباعه أن يحفظوه ، وقد ورد عن بعض قساوسة إفريقيا تمردهم عن تعاليم بابا الفاتيكان سنة 1948م لما أذيع أنّ مريم أم المسيح هي أيضاً صعدت إلى السماء، ولما هدّدوا بالحرمان أولئك القساوسة إلتمزوا الصمت. كما أنّ بعض سگان "الإسكيمو" لما وصلتهم نصوص الإنجيل تذكر عبارة ( خبزنا كفافنا) امتنعوا عن الطعام ، وكاد العياء يقضي عليهم ، سُحبت هذه الأناجيل ، وعوّضت بعبارات أشمل من الخبز حتّى لا يموتوا جوعاً<sup>(1)</sup>.

فالكنيسة تضيف ما تريد فتعتبر إنجيلاً مفتوحاً يدوّن فيه البابا ما يشاء من تشريعات مختلفة ؛ من صلاة أو صوم أو رهبنة، فيعتقد الباباوات أنّ الكتب المقدسة لم تذكر كلّ شيء وهم يعرفون كلّ شيء نزل من السماء ، وأنّ ما نزل غير كاف، ولهذا تجب إضافة ما كان ناقصاً.

## مطلب 2: تطور العقائد المسيحية بحسب رجال الدين.

لقد حضى رجال الدين والفلسفة برضى الكنيسة بسبب قداسة أعمالهم وخدماتهم، لا سيما في القرون الأولى للميلاد، الذين دافعوا عن العقيدة والدين داعين أباطرة الرومان للإعتراف بالحقّ الشرعي للمسيحيين داخل الإمبراطورية الوثنية، وهناك مواقف كانت رافضة لآراء الفلاسفة بحجة أنّ الدين المسيحي يكفي العقول والضمائر وأنّه لا حاجة لغيره، وبالتالي فإنّ العقائد المسيحية التي تطورت عبر تاريخ القرون الثلاثة الأولى كانت على يد علماء اللاهوت من أبرزهم :

أ- القديس جوستين (يوستينيانوس):

أورد هذا القديس قصة تطوره الفلسفي الديني الذي قاده نحو الله، بعدما عرف أنّ الفلسفة الرواقية لم تصل إلى معرفة الله ، وهم الذين كانوا يقولون لا حاجة لنا لمعرفته، لذا تركهم وانتقل إلى المشائين باحثاً عن الفلسفة لديهم، ثم تركهم ليلتحق بالفيثاغوريين الذين طلبوا منه أولاً علم الموسيقى والفلك

<sup>1</sup> - محمد الغزالي : صيحة تحذير من دعاة التنصير ، دار نهضة مصر ، ط1، بدون تاريخ ، ص 68.

والهندسة، وهو ما لم يرقه ذلك فتركهم أيضا لتحضنه المسيحية التي وجد فيها الفلسفة الوحيدة التي هي يقينية تحلّ المشاكل على أفضل وجه مما هو عند الفلاسفة<sup>(1)</sup>، فالطبيعة عنده هي : جسم ، ونفس ، وعقل ، فهي على وجهٍ مثلث ، فرأى في المسيحية الحقيقة وأنها الأكمل كما رأى : ((وأنّ الله واحد، وهو أب وخالق ورب. ورأى أنّ الكلمة هو المخلوق الأول من الله، والعلاقة بينهما تشبه بالعلاقة بين نار ونار أخرى تضاء منها دون أن تنقص هذه النّار الأولى ، وكان ذلك قبل خلق العالم ولكن في سبيل خلق العالم. الآب الخالق هو في المرتبة الأولى. والكلمة التي أصدرها عنه بإرادته، هي الله أيضا لكن في المرتبة الثانية. أما الروح القدس، الأقوم الثالث، فهو في المكان الثالث ))<sup>(2)</sup>.

### ب- تاتيانوس:

هو تلميذ "جوستين" في روما ومن أصحاب الرأي القائل بأنّ الفلاسفة اليونان أخذوا فلسفتهم وأفكارهم من الكتاب المقدس كما قال بذلك من قبل "فيلون" الذي قال أنّ التّوراة كانت موجودة قبل الفلسفة، أعلن "تاتيانوس" معارضته الشديدة للأديان الوثنية والأساطير اليونانية معلنا أنّ الإنسان هو سيّد نفسه وأعماله، ومعتنقا للمذهب الغنوصي لمؤسّسه (فالانتن) أو المدعو (فالتينوس) ويتلخّص مذهبه في الألوهية: أنّ الله لا يبلغ بالعقل لأنّ العقل عاجز، والله علّة كلّ شيء، ولا علّة له... ويكرر قول القديس بولس عن أنّنا نعرف الله من خلقه، وندرك قدرته اللامنظورة في مخلوقاته<sup>(3)</sup>.

### ت- إيريناوس:

أسقف (ليون) الذي توفّي سنة 202م ، مفكر شرقي فرض نفسه في الغرب ، حيث عرض العقائد المسيحية على أساس أنّ إله العهدين القديم والجديد واحد خالق وفادي، واعتبر أنّ العهد الجديد تلخيصا وإجمالا لما ورد في العهد القديم، ويمتنع عن تفسير كيفية تولّد الإبن من الآب ولكنه يظنّ من العلماء الذين مهّدوا الطّريق لتصور علم اللاهوت في فترة لاحقة. وفي كتابه في الرّد على الهرطقيات أكّد فيه أنّ الله الأوحّد يحقّق عن طريق ابنه الوحيد مخطّطا كونيا واحدا للخلاص<sup>(4)</sup>. وهو الذي أدرك أنّه لا بد من وضع مقياس للإيمان، وتحديد ما يعتبر منه مسيحيا أو غير مسيحي. ولتحقيق مستوى

<sup>1</sup> - لويس غرديه، ج. قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ج2، ط2، ترجمة: صبحي الصالح، وفريد جبر، دار العلم

للملايين ، بيروت، 1979م، ص 92 وما بعدها.

<sup>2</sup> - علي زيعور : أوغسطينوس ، ص ص 88-89.

<sup>3</sup> - علي زيعور : أوغسطينوس ، ص 90.

<sup>4</sup> - عبد المجيد الشرفي: المصدر السابق ، ص 75.

الإيمان استخلص "ايريناوس" من تعاليم الرسل قاعدة للكتابات التي يصحّ أن ترجع إلى أصل رسولي، واعتبر أنّ الأساقفة أصدق المفسّرين لهذه الكتابات، لأنّهم هم الذين خلفوا الرّسل في الكنائس. ولذا ينتمي الأساقفة عن طريق الرّسل إلى المسيح الذي يعتبر مؤسس الكنيسة<sup>(1)</sup>.

### ث- أكليمنضس :

أكليمنضس السكندري المولود سنة 150م والمتوفّى سنة 215 م وهو من معاصري إيريناوس وعلى نقيضه، حيث يرى أنّ المسيح جاء ليحي الحكمة التي أبلغها الله إلى البشر عن طريق رسل يأتيهم الوحي من الملائكة ، والورث الروحي لهذه الحكمة هو المسيحي العارف الكامل ، هو ذلك الغنوصي. ولما كانت لأكليمنضس الاهتمامات الخلفية فهو يدافع عن الزواج ويرفض ما يدعيه اليهود من نجاسة إثر كل اتّصال جنسي، ويرى أنّ المسيح لم يتزوّج لأن زوجته هي الكنيسة، ولم يكن في حاجة إلى أبناء لأنّه ابن الله الباقي إلى الأبد<sup>(2)</sup>. كان أكليمنضس أو كليمنيس (clémens) أحد ألمع مدرسة المسيحية الكبرى بعدما كان وثنيا ثم اعتنق المسيحية ليساهم بنصيب كبير في التوفيق بين الديانة المسيحية والثقافة الإغريقية، فهو يحلّل شرب النبيذ وبيزّره، ولا يحرم تحريما باتّاء الإستمتاع بما في الحياة من جمال ومباهج، وقد ظلّ حريصا على قراءة الأدب الإغريقي، وعلى إجلاله لأفلاطون<sup>(3)</sup>.

### ج - أوريجينوس :

عالم لاهوتي مسيحي ولد سنة 185م وتوفي في 254 م في الإسكندرية<sup>(4)</sup>، وهو تلميذ "أمونيوس سكاس"، أستاذ (أفلوطين) ، حيث انبرى هذا العالم اللاهوتي في المدرسة الأفلاطونية الحديثة فشكّلت منه ثقافته الشخصية الفدّة في الدّفاع والجدل التي عكسته مؤلّفاته التي دفعت به في كثير من الأحيان إلى اضطهاده خصوصا في مواقفه التوفيقية بين مقولات الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، وما ورد في نصوص الكتاب المقدس حول التولّد الأزلي للإبن عن الأب، ودور الكلمة بين الله وبين العالم ، وحول الرّوح القدس الوارد ذكرها في الكتاب المقدّس، وحول النّفس البشرية التي تنشأ العلى نحو الخير فتصعد إلى العالم العلوي في حين أنّها لو اختارت الشرّ فإنّها تنحدر إلى المستوى الحيواني ، وأنّ

<sup>1</sup> - السيد الباز العربي: تاريخ أوروبا، العصور الوسطى ، ص 156.

<sup>2</sup> - لويس غردية، ج. فنواتي: المصدر السابق، ج2، ص 357.

<sup>3</sup> - هارولد. آيدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ص 135.

<sup>4</sup> - لويس غردية، ج. فنواتي: المصدر السابق، ج2، ص 359.

الله يدلّ النَّفس على فعل الخير بواسطة الكلمة<sup>(1)</sup>. ويعتبر أنّ الأنبياء والفلاسفة هم أعوان للواسطة بين النَّفس البشرية والعالم السّماوي وأنّ نفس عيسى هي الصّلة بين جسده وبين الكلمة، وعن طريق القيامة تخلّصت النَّفس من الجسد واتّحدت بالكلمة وعلى أساسه فلا عبرة لحادثة الصّلب ولا لها أيّ قيمة في الفداء، وإنّما الصّلب هو علامة الانتصار لقوى الخير على قوى الشّر. ونظرا لهذه التّصوّرات كثرت تفسيراته وشروحاته للكتاب المقدّس وعلى وجه الخصوص إنجيل يوحنا حيث اعتمد فيه على المنهج التّأويلي محاولا إيجاد الصّلة بين مختلف المعاني التي يكتشفها في النّصوص وبين نظامه اللاهوتي ، ممّا حدا به إلى الاعتقاد أنّ هناك نصوص من العهد القديم منافية للعقل والأخلاق، ومخالفة أحيانا للقوانين البشرية، فيذهب إلى الاعتقاد أنّ لها معنى باطني روحي<sup>(2)</sup>. ومن هذه النّصوص المخالفة للعقل والأخلاق والقوانين ما ورد حول زنى يهوذا بثامار كُنْتُهُ وقد ظنّها زانية<sup>(3)</sup> ؟ وتعدّد الزوجات عند الآباء ، من أمثال يعقوب وداود وسليمان. وما ورد في خلق العالم ، لا يوجد صباح ومساء في الأيام الأولى قبل خلق الشمس والقمر والنجوم<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - غسان خالد: أفلوطين، رائد الوجودانية ومنهل فلاسفة العرب ، ص 25.

<sup>2</sup> - عبد المجيد الشرفي : المصدر السابق، ص 76.

<sup>3</sup> - سفر التكوين 38: 12 - 26. جاءت الرواية هكذا: (( ولما طال الزمان ماتت ابنة شوخ امرأة يهوذا . ثم تعرّى يهوذا فصعد إلى جُزّاز غنمه. فأخبرت ثمار وقيل لها هو ذا حموك صاعدٌ إلى تَمَنّة ليجزّ غنمه، فخلعت عنها ثياب ترمّلها وتغطّت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عيناييم التي على طريق تمنة، لأنها رأت أنّ شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجة. فنظرها يهوذا وحسبها زانية. لأنها كانت قد غطّت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليك. لأنه لم يعلم أنّها كُنْتُهُ. فقالت ماذا تعطيني لكي تدخل عليّ، فقال إنّي أرسلُ جديّ معزى من الغنم، فقالت هل تعطيني رهنا حتّى ترسله، فقال ما الرهن الذي أعطيك. فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك، فأعطاها ودخل عليها ، فحبلت منه، ثم قامت وخلعت عنها برقعها وليست ثياب ترمّلها)).

<sup>4</sup> - سفر التكوين 1: 1 - 31. (( في البدء خلق الله السماوات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمّر ظلمة وروح الله يرفّ على وجه المياه، وقال الله ليكون نور فكان نور.. ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا.. وقال الله ليكون جلدّ في وسط المياه.. وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد.. ودعا الله الجلد سماء وكان مساءً وكان صباحٌ يوما ثانيا. وقال الله لتجتمع المياه تحت السّماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك ودعا الله اليابسة أرضا.. وقال الله لتنبث الأرض عشيا ويقلا وشجرا إذا ثمر يعمل ثمرًا كجنسه.. وكان مساءً وكان صباحٌ يوما ثالثا. وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين... النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم وجعلها الله في جلد السّماء لتسير على الأرض ولتتحكم على النهار =والليل ولتفصل بين النور والظلمة.. وكان مساءً وكان صباحٌ يوما رابعا. وقال الله لنفّض المياه زحافات ذات نفس حيّة وليطر طيرٌ فوق الأرض على وجه جلد السماء فخلق الله الثنائين العظام وكل ذوات الأنفس الحيّة الدّبابية التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه.. وكان مساءً وكان صباحٌ يوما خامسا. وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حيّة كجنسها بهائم ودبابات ووحوش أرضي كأجناسها.. وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السّماء وعلى البهائم وعلى كلّ الأرض وعلى جميع الدّبابات التي تدبّ على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم الله... وكان مساءً وكان صباحٌ يوما سادسا)).

إنّ أوريجينوس يرى إيمان العوام بدون معرفة ذوقية صحيحة ولكنه ضعيفا، ويبين أنّ كلّ مسيحي يستطيع أن ينتقل من الإيمان إلى العلم بواسطة الإشارات الباطنة<sup>(1)</sup>.

### ح- بردصان :

هو من علماء اللاهوت والمتوفى سنة 222 م، حيث برز خلال هذه المرحلة، وكان ذا لسان آرامي كتب به مؤلفاته كما دوّن به أناشيد الكنيسة، خلاف غيره من العلماء المسيحيين الذين اقتصر لغتهم على اللغة اليونانية، واهتم "بردصان" بالفكر الغنوصي رغم معارضته للمريونية وتسمي مذهبه بالديصانية في المصادر العربية<sup>(2)</sup>.

### خ- ترتوليانوس :

من علمائها أيضا ( ترتوليانوس 165م- 220م) وهو من أهل قرطاجنة، اعتنق المسيحية وسمي كاهنا فانصرف إلى التأليف في الدين ومن المتضلّعين في اليونانية ، واللاتينية بالخصوص<sup>(3)</sup>، وكان من المتشيعين بقوة للمونتانية المنتشرة بإفريقيا، والتي كان لها الدور الفعّال والبارز في تطور العقائد المسيحية بإدخاله المفاهيم والمصطلحات القضائية الغربية في علم اللاهوت ،لكونه محاميا لامعا في حين ظلّ اللاهوت المشرقي غارقا في التأمل والتّمسك والرهينة.

ومن تصوراته اللاهوتية أنّ الله مشرّع يضع التّاموس، ونفس الوقت هو قاضي يطبّقه، وكلّ خطيئة هي حرق لشريعته، وبالعمل الصّالح يتمّ تنفيذ أوامر الله ونصائحه. ويرى ترتوليان أنّ النفس تنزع بطبيعتها ومن صميمها إلى الدّين، وبخاصة في أوقات الشدّة، فتبدي العواطف الدّينية التي فطرها الله عليها<sup>(4)</sup>. وينظر ترتوليان إلى الإلهية على أنّها تتنوع إلى ثلاثة أشخاص متميّزين من حيث العدد ولا ينال شيء من هذه الوحدة ، وكون كل شخص من هذا الثالوث إله لأنّه من نفس الجوهر، فهذه البساطة في عرض العقيدة دون إلتفاتة لمنطق العقل يقول : (( قد صلب ابن الله وليس في ذلك مدعاة إلى الخجل بما أنّه شيء مخجل، وقد مات ابن الله وهذا أمر يمكن اعتقاده بما أنّه جنون، وقد قبر وقام وهذا أكيد

<sup>1</sup> - لويس غردييه، ج.قنواطي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج2، ص 102.

<sup>2</sup> - أبو الفتح الشهرستاني: الملل والنحل ، تحقيق: أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج2، ط2، سنة النشر 1413 هـ - 1992 م، ص ص 55 - 56.

<sup>3</sup> - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص16. وينظر: مادلين هورس ميادان : تاريخ قرطاج، ترجمة: إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1981م، ص ص 126-127.

<sup>4</sup> - يوسف كرم : المرجع نفسه ، ص 17.

بما أنّه مستحيل<sup>(1)</sup>، وقد كان ترتوليان عدوّا لدودا للفلسفة؛ فهي عنده سبب تعدّد البدع الغنوصية.. وأنّ الإيمان يكفي نفسه بنفسه<sup>(2)</sup>.

إنّقل ترتوليانوس إلى مذهب المنتانية ثم لم يلبث أن أصبح رئيسا لهذا المذهب مؤسساً كنيسة خاصّة به في قرطاجة إبّان حياة القديس أوغسطين الذي أعادها إلى حضيرة الكاثوليكية فيما بعد، نظرا لما تحمله هذه الكنيسة من احتقار شديد للفلسفة الوثنية ، مدّعا أنّ الإنجيل كافي للمسيحيين كي يستغنوا عن الحكمة الوثنية ، وكان الدّاعي إلى الطّاعة العمياء للدين.

#### د- سيريانوس:

من علماء إفريقيا اللاهوتيين الذي ولد في النّصف الأول من القرن الثالث والمتوفى سنة 258م عمل أسقفا لمدينة قرطاج وكان من رجال كنيستها المعارض العنيد لأسقف روما ( نوفاتيانوس) فكان أسقف قرطاج هذا يرى أنّ الكنيسة تجمع كل المسيحيين مهما كانت درجات إيمانهم، إذ لا خلاص خارج الكنيسة ولا مشكلة في تعميد الهراطقة وقبول توبتهم وتوبة من أنكروا الإيمان تحت ضغط الاضطهاد حتّى عدّ مذهبه أكثر قربا من ( السابليانية) نسبة إلى (سايليلوس) المتوفى نحو 257 م، وهذا المذهب متفرع عن الملوكانية<sup>(3)</sup>.

#### ذ- بولس السميصاطي:

وفي القرن الثالث تبرز شخصية عاصرت أزمة سياسية عاشتها الإمبراطورية الرومانية في المشرق في نزاعها مع الفرس ومع القوميات المحلية، هي شخصية بولس السميصاطي المتوفى سنة 272م أسقف أنطاكية ووزير زنوبيا ملكة تدمر، حيث كان يرى في مسألة الألوهية أنّ الله لا يأخذ شكلا ثالثا إلا في صلاته بالعالم، فطبيعة الله واحدة وشخصه واحد له ثلاثة أسماء مختلفة<sup>(4)</sup>.

#### و- ماني:

من الشّخصيات التي عاصرت القرن الثالث وهندست لعقيدة انتشرت بسرعة في كلّ من بلاد الهند والصين وامتدّت جذورها إلى أوربا هي شخصية ( ماني ) المتوفى سنة 277 م الذي تعتبر ديانته وريثة

<sup>1</sup> - عبد المجيد الشرفي: المصدر السابق ، ص78.

<sup>2</sup> - علي زيعور: أوغسطينوس ، ص 84. وينظر: لويس غرديه، ج. قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ج 2 ص 96.

<sup>3</sup> - عبد المجيد الشرفي : المرجع نفسه، ص 79.

<sup>4</sup> - لويس غارديّة ، وجورج قنواتي: المرجع السابق ج2 ، ص 283.

للأديان السابقة والمتّمة لرسالة زرادشت وبوذا وعيسى<sup>(1)</sup>، وهي من الديانات التأليفية غنّوصية ثنوية، ترفض العالم المادّي وتمجّد حياة الزّهد، وتدعو إلى الرهبنة المتشددة مما جعل المؤرخون ينظرون إليها عل أنّها أحد الديانات التي شكّلت خطراً على الكنيسة لكثرة الأتباع لها، ومن جراء التيارات المتطرّفة المتواجدة في صلبها إلى جانب الأخطار المحدقة ضدّ الكنيسة من طرف سلطة الأباطورية في منتصف القرن الثالث بالخصوص.

والمناوية من أكثر الفرق الدّاعية إلى عقيدة تناسخ الأرواح<sup>(2)</sup>، وذلك أنّ ماني قال في بعض كتبه: إنّ الأرواح التي تفارق الأجسام نوعان: أرواح الصّديقين، وأرواح أهل الضلالة، فأرواح الصّديقين إذا فارقت أجسادها سرّت في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك، فبقيت في ذلك العالم على السّرور الدائم، وأرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت اللّحوق بالنور الأعلى رُذّت منعكسة إلى الأسفل، فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفّو من شوائب الظلمة، ثمّ تلتحق بالنور العالِي<sup>(3)</sup>.

لقد ترتب عن كثرة المذاهب وكثرت التّأويلات للنصوص المقدّسة في النّصف الثاني من القرن الثالث وجود زخم من العقائد شكّلت اهتمامات المفكرين المباشرين أو غير المباشرين من أمثال: ديونيزيوس الإسكندري المتوفّي سنة 264م وغريغوريوس المتوفّي سنة 270م ولوقيانوس الإنطاكي المتوفّي سنة 312م، حيث كانت عند هؤلاء عقيدة الثالوث محور اهتمامهم حول سر الثالوث، وحول المصطلحات المستخدمة من مثل (متساوي) واحد في الذات والجوهر، الدال على تمايز الأقانيم الثلاثة، وأنّ الأقانيم الثلاثة ليسوا فقط ذات أو جوهرًا واحدًا بل أنّ كلّاً منهم يختلف عن الأقبوليين الآخرين بالذات والجوهر ممّا أدّى بهؤلاء المفكرين إلى ترتيب الأقانيم بجعل أقبول الآب أولاً، ثمّ أقبول الابن، ثمّ أقبول الرّوح القدس، وهذا الاعتقاد كان قد عرف عن "أوريجينوس" في مذهبه الذي يميز بين المسيح الإنسان والمسيح الإله، أي إنكار كون المسيح إله متأنّس.

<sup>1</sup> - ينظر: ابن النديم: الفهرست، ص ص 391-401، و ينظر أيضا: الشهرستاني: الملل والنحل، ص ص 49 - 54.

<sup>2</sup> - ينظر: سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري، ص 24. حول نظرية تناسخ الأرواح: وهي نظرية ارتبطت بالمصريين القدماء لممارستهم لعملية التحنيط لمنع أو تأخير عملية التجسيد مرة ثانية. أي ولادة الروح مرة أخرى في جسم آخر. كما ارتبطت هذه النظرية بفلسفة فيثاغورس وبوذا.

<sup>3</sup> - البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ص 271.

إنّ محاولات التعبير عن الإيمان بهذه الطريقة كانت يائسة وناقصة عن التعبير الصحيح عن الإيمان القويم الموروث عن عقيدة التوحيد في اليهودية حيث أخذت العقيدة شكل الإيمان بأنّ المسيح إله وأنّ الروح القدس إله أيضا، وهذا ما جعل الباب مفتوحا للمناقشات في أواخر القرن الثالث عن طريق عقد مجامع كنسية والتي قامت بتحديد العقيدة أو ما يمكن تسميتها بالمنظومة اللاهوتية المسيحية تحديدا شبه ثابت تماما. ومن الثابت أيضا أنّ الفلسفة المسيحية قدّمت أفكارا جديدة ومنها فكرة اللامتناهي ، وفكرة خلق العالم من عدم، وفكرة الزمن وعلاقات الإنسان بالتاريخ، فقد كان يعتقد قديما في الفلسفة اليونانية: (( أن للزمن زمنا دوريا يدور ويدور على نفسه، دون أن يكون هناك ما هو قبل وما هو بعد ، والإنسان بذلك لا مبال إزاء التاريخ الذي لا يقدم له ولا يغير فيه شيئا. أدخلت المسيحية على هذه النظرة مفاهيم الخطيئة والسقوط والصعود ، كما أضفت مفاهيم الخلاص والنعمة وعقائد إيمانية متعددة))<sup>(1)</sup>.

لقد اتّصل الدّين المسيحي بالفلسفة منذ القرن الثاني للميلاد، عندما أخذ يدخل في الدين أناس من ذوي الثقافة اليونانية، بل أنّ هناك بعض المفاهيم ذات الأصل الفلسفي موجودة في أسفار العهد الجديد كالإنجيل الرابع ، وفي رسائل بولس مثلا. إلّا أنّ الفلسفة لم تظهر في المسيحية ، ظهورا ساطعا، إلّا عندما اتّخذ بعضهم موقفا إزاءها، لا سيما وأنّهم كانوا يدعونها (( الحكمة الوثنية)) وهو الإسم الذي استمرت تحمله طيلة قرون، لما حملته الفلسفة من مفاهيم جديدة حول خطيئة الإنسان وخلاصه<sup>(2)</sup>. وتلقّى آباء الكنيسة التّحدي العقلي اليوناني فتحركوا في اتجاهات فكرية متعدّدة ، فمنهم من هضم الحكمة اليونانية ومنهم من طالب برفضها، ومنهم من أبقي ووازي بين ما في الإيمان وما لدى الوثنيين من نقاط اتفاق فبحثها وعمّقها ، فكان جهد الآباء الأوائل عملا فكريا رائدا تمّ نضجه على يد أوغسطين .

### مطلب 3: تطور العقائد المسيحية بحسب المجامع الكنسية.

#### أ- نظرة على المجامع المسيحية:

بعد مرور حوالي اثنين وعشرين عاما من رفع المسيح انعقد أول مجمع لاهوتي مسيحي بالقدس ليتناول أمور الشريعة دون أمور العقيدة<sup>(3)</sup>، فقرّر هذا المجمع عدم التمسك بشرائع التوراة وأسفار العهد القديم

<sup>1</sup>-علي زيعور : المرجع السابق ، ص 68 نقلا عن . PP .23\_30 (paris ,p.u.f ,1954)bréhier ,les.thèmesactueles

<sup>2</sup>-علي زيعور :المرجع السابق ، ص 86.

<sup>3</sup>- عبد المجيد الشرفي: المصدر السابق ص 91. - ورؤوف شلي: أضواء على المسيحية ، ص 94.

،ومنه عدم التمسك بشريعة الختان ولم يحرم من شريعة التوراة إلا الزنا وأكل ذبائح الوثنيين<sup>(1)</sup>. توالى  
المجامع بعد هذا المجمع في شكل مجامع عامة، ومجامع خاصة حيث يحضر في المجامع العامة ممثلون عن  
جميع الكنائس من مختلف الأماكن التي انتشرت فيها الديانة المسيحية، وفي المجامع الخاصة يقتصر  
الأمر على أعضاء مذهب الكنيسة الواحدة أو الدولة الواحدة ، وتنعقد المجامع إما لإقرار عقيدة  
جديدة أو رفض عقيدة أخرى<sup>(2)</sup>، وغالبا ما يطلق على المجامع العامة باسم المجامع المسكونية، وعلى  
الخاصة بالمجامع المحليّة لخصوصها لطائفة دون أخرى ،فالمجامع المحليّة أو الخاصة تنعقد بين أساقفة  
كنائس إقليم معين للنظر في الشؤون المحلية الخاصة، وقراراتها لا تلزم إلا الأفراد الذين يتبعون كنائس  
هذا الإقليم ، وهذا خلافا للمجامع العامة المسكونية التي تضم كل مطارنة الكنائس المسيحية ويلزم  
بأحكامها كافة أتباع الديانة المسيحية<sup>(3)</sup>. وقد ساهمت المجامع الأولى المسيحية في وضع الأسس  
للعقيدة التي اعتنقتها الكنائس حتى اليوم<sup>(4)</sup>، ويعد من أخطر المجامع الكنسية في تاريخ تطور العقائد  
مجمع نيقية الذي انقلبت فيه المسيحية على عقيدة التوحيد واستبدلتها بعقيدة التثليث أو التعدد  
بعدها مهد لهذه العقيدة الدخيلة على الوحي كل من بولس ولفيف من الفلاسفة المتشبعين بالثقافة  
اليونانية الهيلينية، والمتشبعين بالفكر الديني الوثني، والمتشبعين بالأفلاطونية الحديثة.

فكل الروافد الفكرية التي زحفت على فلسطين كان لها الأثر في العقيدة الجديدة وحل محل عقيدة  
التوحيد عقيدة بولس الوثنية التي بينت أهمية دراسة المجامع لترويجها لتوجهات بولس من جهة ومن  
جهة أخرى لإصالتها بعقيدة التثليث في العقيدة المسيحية ، التي لم تكن من تعاليم المسيح بل ولا من  
تعاليم الإنجيل، ولكنّه كان من تفسيرات القساوسة والأساقفة في المجامع التي انعقدت لهذه التاويلات  
في العقيدة الدينية من مثل مفهوم الأقانيم.

## ب - أعمال المجامع وقراراتها:

تعدّ أعمال وقرارات المجامع بمثابة مصادر للتشريع المسيحي على غرار ما جاء في  
الأنجيل ليوحي حقيقة أنّ إنجيل عيسى قد فقد فعلا ، فراح كل فرد يجتهد في تصوّر شخص المسيح

<sup>1</sup> - محمد ابراهيم الجيوشي: دراسات في النصرانية ، ص 61.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ، ص 147.

<sup>3</sup> - رؤوف شليبي : المرجع نفسه ، ص 94- 95.

<sup>4</sup> - ينظر: لويس غرديه، ج.قنواني: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ج2، ص274، 275، 276. عن المجامع المسيحية  
المسكونية الأولى تناولها لويس غرديه بالترتيب التاريخي الذي كان عليه انعقادها .

بحسب ما تهيأ له تحت تأثير ما تلقاه من ثقافة ترعرع وعاش في ظلها ، كما هو الحال عند بولس الذي جاء بعقائد مختلفة عمّا دعا إليه المسيح بن مريم فمن أهم أفكاره: أنّ يسوع المسيح لم يكن فقط نبياً بشرا بل كان إلهاً حقاً وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر.. والقديس بولس أعلن أنّه لا داعي للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية في الطعام والطهارة. ولا التمسك بتعاليم موسى - عليه السلام. لأنّ تطبيق هذه الشعائر، ليس كافياً لخلاص الإنسان، وإثما الإيمان الحقّ هو الذي يحقق للإنسان خلاص روحه وجسده<sup>(1)</sup>.

كما قامت كنيسة الإسكندرية ذات التأثير بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة بالدعوة إلى ألوهية المسيح بدلا من بشريته التي دعا إليها آريوس ومن معه<sup>(2)</sup>، حيث تتلخص عقيدته في أنّ إله الوجود دائم ولا يمكن إدراكه، وأنّ الإبن لا يمكن أن يكون إلها بنفس المعنى، ولذلك يلزم منطقيا أنّ وجوده كان لاحقا لوجود الإله، وأنّ الإبن له بداية ، في حين أنّ الإله الأب قدم دائما، وأخيرا بما أنّ الإله الأب لا يقبل الإنقسام فلا بد أنّ الإبن خلق من العدم<sup>(3)</sup>.

وظلّ الخلاف سجالا بين القائلين بازدواجية شخص المسيح والقائلين بالوهيته حتى عهد قسطنطين ( 270م- 337م ) الذي ولد في قرية " نيسي " بيوغسلافيا<sup>(4)</sup> والذي اعتنق المسيحية ولا يزال يطن الوثنية الرومانية، فيقول "أرنولد توينبي": (( اعتناق قسطنطين للمسيحية كان واضحا وصادقا، لكن الرجل لم يتخلّ عن اعتقاده بإله "أورليان" و"قسطنطينوس الأول" أي " الشمس التي لا تقهر" ولو أنّه مع الوقت اعتبر " الشمس" هو المسيح ؛ وهو الأمر الذي كانت الكنيسة المسيحية قد قبلت به ضمينا. ولم يتخل قسطنطين عن منصب الكاهن الأعلى؛ وهي كهانة غير مسيحية ، كان قسطنطين يتولّاها حكما لأنّه رئيس الدولة الرومانية . ومن الناحية الفنية الدقيقة كان تولي الكهانة العليا يتعارض مع كون المرء مسيحيا ، لكن أتباع قسطنطين في السلطات الكهنوتية المسيحية لم يثيروا هذه القضية، وقسطنطين نفسه لم يصبح رسميا عضوا في الكنيسة المسيحية إلاّ حين عمّد وهو على فراش الموت سنة 337م. يضاف إلى ذلك أن قسطنطين كان يجهل أسس المعتقد المسيحي ؛ وهذا لم

<sup>1</sup> - أنيس منصور: الخالون مائة أعظمهم محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ص 36.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد العزيز النعالي: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان ، ص 139- 140. ووص 142 حول الأريوسية وانتشار مذهبها في الشرق الأدنى .

<sup>3</sup> - مصطفى العبادي: الأمباطورية الرومانية ، ص 249 .

<sup>4</sup> - أنيس منصور: المرجع نفسه ، ص 107.

يكن فقط عند اعتناق المسيحية سنة 312م ، بل استمر الأمر فيما تبقى من حياته، ومداخلات قسطنطين في المسائل الكهنوتية المسيحية أظهرت قطعاً أنه لم يكن يحسن السباحة في هذه المياه ، هذا مع العلم أنه في الشؤون المدنية كان سياسياً محنكاً<sup>(1)</sup>، فحاول قسطنطين عقد وفاق بين ما دعا إليه أريوس وبين دعوة الكنيسة الإسكندرية، فانعقد أول مجمع كنسي مسكوني الذي عرف بمجمع نيقية<sup>(2)</sup>. ولعل السبب في انعقاد هذا المجمع الذي اتخذ فيه قسطنطين المسيحية ديناً رسمياً إنما هو ما رآه فيها من التعصب الذي لا يوجد في غيرها من الأديان التي كانت منتشرة إذ ذاك في روما، ورأى أن هذا التعصب نفسه هو الذي سيربط الأباطورية برباط من حديد، فيكون ذلك مقاوماً لعوامل التفكك التي تسري في شرايين الأباطورية<sup>(3)</sup>، بعدما رأى الإنحلال يتغلغل في إمبراطوريته، ولم يكن نظره للأديان المتصارعة للهداية والنجاة في العالم الأخرى وإنما كان ينظر إليها أكثر تعصباً واستعداداً للتكامل بالمخالف، فوجد في المسيحية العناصر التي يريدونها.

#### - مجمع نيقية: 325م:

انعقد سنة 325 في نيقية (أزنيق التركية حالياً) بآسيا الصغرى، ضم ألفان وثمانية وأربعون من الأساقفة ، انفرد منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا بالقول بألوهية المسيح<sup>(4)</sup>، ميلاً إلى اعتقاد الإمبراطور قسطنطين، في حين ناصر الآخرون رأي أريوس<sup>(5)</sup> القائل ببشرية عيسى لينهي المجمع أشغاله بقرار جعل المسيح إله من جوهر الله، قديم بقدمه لا يعتره تغيير ، خلاف قول أريوس وأن المسيح مخلوق من الآب، وبالتالي ليس أزلياً ولا مساوياً في الجوهر<sup>(6)</sup>. أي أن أريوس لم ينف أن الإبن هو الله ، ففي حياته كانت العقيدة بألوهية المسيح قد انتشرت في الكنيسة المسيحية، وأصر أريوس على

<sup>1</sup> - أرنولد توينبي: تاريخ البشرية ، ج2، ص 22.

<sup>2</sup> - عبد العزيز النعالي: المرجع السابق ، ص127.

<sup>3</sup> - عبد الحليم محمود : أوروبا والإسلام ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص 24.

<sup>4</sup> - رؤوف شليبي: أضواء على المسيحية ، ص 97.

<sup>5</sup> - لويس غردية، ج. قنواطي : المرجع السابق ، ج2، ص 286. أريوس الذي تنسب إليه الآريانية، ولد سنة 256م وتوفي سنة 336م كان ليبي الأصل، ولكنه أخذ العلم عن لوقيانوس الأنطاكي يعود ظهور أريوس في أوائل القرن الرابع بمصر حيث عين كاهناً وأخذ ينشر آراءه التي كانت تتصل بمذهب بولس السميصاطي في القول بالتبني على حين أن أريوس كان يدعي أنه أخذها من القديس لوقيانوس الأنطاكي، ولما تم تكفيره في مجمع عقد في الإسكندرية لجأ إلى فلسطين ، ولما عقد مجمع نيقية تم أيضاً تكفير المجمع له بل طالب المجمع بنفيه. غير أن الإمبراطور عفى عنه وأمر بعودته في سنة 336م ويتم نفي عدوه القديس أثناسيوس ، ويعود أريوس إلى القسطنطينية منتصراً غير أنه يفاجأ بموت شنيع جعل أعداءه يذكرون ما ورد في الكتاب المقدس عن موت يهوذا الأسخريوطي.

<sup>6</sup> - محمد شكري سرور: نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية ص 48. وينظر: عبد الكريم الخطيب : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص 148. النص كاملاً لقرار المجمع .

القول بأنّ الإبن خلقه الآب ومن ثمّ فالإبن لا يستوي والآب زنيا ، وليس هو كفؤا له<sup>(1)</sup>. وحتى لا يكون في مجمع نيقية اعتراض عارض أو مخالف ، إلزم المقررون نصوص الأناجيل والرّسائل ملتقطين بعض الكلمات من العهد القديم للتأكيد على الإيمان بالأب والإبن فقط دون أن يكون للتثليث المسيحي الصورة الكاملة<sup>(2)</sup>.

ومن الأسباب الخاصّة في انعقاد مجمع نيقية ماقاله " آريوس " وما اتخذه من مقاومة ضد كنيسة الأسكندرية فيما تبثّه بين المسيحيين من ألوهية المسيح وتدعو إليه ، فقام محاربا ذلك، مقرّرا بوحدانية الله ، منكر ما جاء في الأناجيل ممّا يوهم تلك الألوهية، وكان لرأي آريوس إنتشارا واسعا، وشايح رأيه الكثيرون في الإسكندرية وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية<sup>(3)</sup>، وصدمت آراء آريوس كثيرين من رجال الكنيسة في الإسكندرية الذين كانوا يعتقدون أنّ الإبن مثل الآب قديم دائم وأهمّما من طبيعة واحدة<sup>(4)</sup>. وقام بطريك الإسكندرية بعقد مجمع بكنيستته ليتمّ لعن آريوس وحكم عليه بالحرمان<sup>(5)</sup>، ليتدخل قسطنطين إمبراطور الرومان في الأمر ويعقد المجمع، ولم يكن مسيحيا بعد، ويعلن انخيازه لرأي مؤهّي المسيح مع أنّهم ليسوا الكثرة، ويفرض عقيدة المجمع ويقيّد المسيحيين بها رغم مخالفة العدد الهائل من الأساقفة لتلك العقيدة التي قرّرت أنّ المسيح من جوهر الله وأنّه قديم بقدمه ، وأنّه لا يعتريه تغيير ولا تحوّل.

فالمسيحية إلى ما بعد منتصف القرن الرابع لم تستكمل عقيدتها وما زال الموقف من المسيح متذبذبا بين الإله والإنسان، ممّا عجل بعقد مجمع مقدّس في مدينة القسطنطينية للردّ على مقولة إعتبار الروح القدس مخلوق كباقي وسائر المخلوقات، إلى جانب المسائل الفلسفية واللاهوتية

<sup>1</sup> - أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ج 2 ، ص 61.

<sup>2</sup> - عبد الكريم الخطيب : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص 249 - 250. فقرات من وثيقة مجمع نيقية ، والمصدر الذي جلبت منه من نصوص الأناجيل ورسائل الرسل ومن العهد القديم. ومن أهم النصوص ما جاء في: متى 3: 17: ((وصوتٌ من السماوات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت)). وفي متى 26: 63: (( وقال له استحلّك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع أنت قلت. وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوّة وآتيا على سحاب السماء)). وأورد الشهرستاني نص الوثيقة في: الملل والنحل ج 1، ص 203.

<sup>3</sup> - محمد أبو زهرة: المرجع السابق ، ص 151.

<sup>4</sup> - مصطفى العبادي: المرجع السابق ، ص 249.

<sup>5</sup> - محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام ، محمد الغزالي ، ص 83 في إجابته عن السؤال رقم 19 ( لماذا حمل الرسول السيف ولم يكتف بالإنقاذ؟ ) . آريوس : هو البطريق الذي قاد حركة الموحدين في التاريخ الكنسي (الأريوسيون ) ، ورفض بقوة جعل عيسى إلها أو ابن إله، وهذا القس الموحّد لقي مع أتباعه اضطهادا شديدا ، وتضافرت قوى الدولة الرومانية على مطاردة دعوته، وورثت الحكومات الأخرى هذا الترويع حتى انقرضت كنيستته أو كادت.

الأخرى التي ثار حولها الجدل! ومنها سر الثالوث: أنّ الله واحد في ثلاثة أقانيم، وتتلخص قرارات مجمع نيقية فيما يلي<sup>(1)</sup>:

(أ) أنّ المسيح إله.

(ب) وأنه من جوهر الله.

(ت) وأنه قديم بقدمه.

(ث) وأنه لا يعترّيه تغيير ولا تحول.

### – مجمع قسطنطينية الأول: 381م.

انعقد سنة 381 م، وكان للكنيسة الإسكندرية الدور في إثارة مسائل اللاهوت المقتبسة من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، فكانت السبب في عقد المجمع النيقية ضد آراء "آريوس" بتوريط السلطة في الأمر، وكان لها أيضا ذراع الطول في القول بألوهية المسيح، فكانت نظريتها تتلخص في كون العالم يسيطر عليه قوى ثلاثة تؤثر فيه، وتسيطر عليه وتمثل في قوّة المكوّن الأوّل، وقوّة العقل: أي الابن، وقوّة النفس العاملة: أيّ الروح القدس<sup>(2)</sup>. فعقد المجمع لتكفير قوم أنكروا أنّ الروح القدس إله، فحدّد آباء هذا المجمع أنّ الروح القدس هو: الرب المحيي المنبثق من الآب والذي تجب عبادته مع الآب والإبن<sup>(3)</sup>. ورغم التّحامل على عقيدة التوحيد فإنّ المناصرين لها ظلّوا على وفاء منذ المجمع الأوّل حيث راحوا ينشطون في المجال التبشيري لبيان حقيقة عيسى وأمه. وحمل راية التوحيد في القرن الرابع الميلادي "مقدونيوس" بعد آريوس ونادى بأنّ روح القدس ليس بإله، بل مخلوق حادث، مما كان سببا لدعوته في عقد هذا المجمع الذي حضره مائة وخمسون أسقفا ليقرّروا ما قرّره مجمع نيقية من قبل مع إضافة تأليه روح القدس ليصبح الإيمان يضمّ الإله الآب والابن والروح القدس. كما تمّ التطرق في هذا المجمع إلى طبيعة المسيح الإنسانية واللاهوتية وكيف لهما أن يجتمعا؟ وهل الأقنوم هو نفسه الطبيعة؟ وهل مصدرهما واحد؟ أم أهما أمران مختلفان؟ وترأس هذا المجمع أسقف القسطنطينية "نسطور" الذي كان أتباعه ينكرون ألوهية المسيح فكانوا مناوئين لأسقف الإسكندرية صاحب

<sup>1</sup> – محمد إبراهيم الجيوشي: المرجع السابق، ص 64.

<sup>2</sup> – عبد الكريم الخطيب: المصدر السابق ص 251. عقد مجمع القسطنطينية للنظر في مقولة ((مقدونيوس)) بطريرك القسطنطينية من سنة (342\_346، ثم 351\_360) التي كان ينادي بها في محيط كنيسته ويذيعها في أتباعه، وهي أنّ ((الروح القدس)) مخلوق كسائر المخلوقات!

<sup>3</sup> – لويس غردية، ج. فتواتي: المصدر السابق، ج 2، ص 289.

الأطروحات التي تمت مناقشتها بالمجمع، هذه المناقشات التي قادها أسقف الإسكندرية في إثبات ألوهية الروح القدس وأنه إله ولكن مخلوق مصنوع ، وهو روح الله وحياته<sup>(1)</sup>، ونشأ عن هذا الخلاف الدعوة إلى عقد مجمع آخر هو مجمع أفسس الأول.

#### – مجمع أفسس الأول: 431م.

نما الخلاف بين الطوائف المسيحية حول مسألة طبيعة المسيح كرد فعل على دعوة نسطور بطريك القسطنطينية الذي أنكر بنوة المسيح لله الحقيقية، مثبتا أنّ العذراء لم تلد إلهًا متأنسا، بل ولدت إنسانا عاديا، ثم حلّ فيه الإله بإرادته و بالإتحاد ، فهو لهذا ذو طبيعتين وأقنومين فكتب أسقف الإسكندرية إلى أسقف روما وأسقف إنطاكية وأسقف بيت المقدس لعقد مجمع يتم فيه إبطال ما ذهب إليه نسطور، فانعقد المجمع بأمر من الملك "تاوديوس الصغير" ملك القسطنطينية المعروف بشيودوروس الثاني ، سنة أربعمائة وإحدى وثلاثون للميلاد ليغيب فيه نسطور وأسقف أنطاكية<sup>2</sup>، ويحضره حوالي مائتين من الأساقفة ليقرروا أنّ المسيح إله حق وله طبيعتين متوحدة في الأقنوم ، أي القول بتجسد الكلمة واتحاد الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة! وأضافوا أنّ مريم ما هي إلا والدة الإله، وأن نسطور ملعون هو ومن معه<sup>3</sup>. وكان القديس "كيرلس" من أدار جلسات المجمع كمثل لبابا روما الذي خرج بتوصيات تتعلق بوحدة المسيح الأقنومية وجعل العذراء أمًا للمسيح إلهًا حقًا وإنسانًا حقًا، مع الحكم بخلع نسطور من منصبه، غير أنّ الأمبراطور قام فيما بعد بتوقيف "كيرلس" لمخالفته لأوامره، ثم أطلق سراحه فيما بعد، وعلق مهام نسطور كأسقف ومنع نشر كتاباته ويعود الأمبراطور والبابا ليعقدا صلحا بين نسطور وكيرلس، فتصالحا الفريقان في سنة 433م<sup>(4)</sup>.

#### ث – مجمع أفسس الثاني: 449م.

انعقد بسبب التطورات التي صاحبت لعن نسطور وإقبال أهل المشرق على دعوته، فكثرت أتباعه في العراق بالموصل والفرات والجزيرة، ونظرا لما حدث في الكنيسة الإسكندرية من تطور حول

<sup>1</sup> – محمد ابراهيم الجيوشي: المرجع السابق، ص 66 يورد مقالة بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج 3 ، ص 32. بقوله: ( فإذا قلنا أنّ روح القدس مخلوق فقد قلنا إنّ حياته مخلوقة ، وإذا قلنا إنّ حياته مخلوقة فقد زعمنا أنّه غير حي، وإذا علمنا أنّه غير حي فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللّعن ).

<sup>2</sup> – لويس غرديه، ج. فتواتي: المصدر السابق ، ج 2، ص 313.

<sup>3</sup> – علي زيعور: المرجع السابق، ص 22.

<sup>4</sup> – لويس غرديه، ج. فتواتي: المصدر نفسه ، ج 2، ص 314.

إعادة نظرها في القول بالطبيعة الواحدة للمسيح التي تجمع بين اللاهوت والناسوت، قامت هذه الأخيرة بالدعوة لعقد مجمع أفسس الثاني تحت رعاية بطيركها "ديسكورس"، وحضره بطيرك القسطنطينية الذي انسحب منه وكاد انسحابه أن يكلفه حياته، حتى أنّ الكنيسة الكاثوليكية أطلقت عليه اسم مجمع اللّصوص<sup>(1)</sup> وظلّ الخلاف حول طبيعة المسيح هل له طبيعة واحدة أو طبيعتان؟ لتكون مدعاة إلى عقد مجمع خلقدونية .

### - مجمع خلقدونية: 451م.

انعقد سنة 452م أو 451م وعقد هذا المجمع لما مالت الآراء إلى القول بأن للمسيح طبيعتين، غير مندجتين، ولا متغيرتين ولا منقسمتين ولا منفصلتين، فقامت الإمبراطورة الرومانية إلى هذا المجمع وجعلت إشرافه تحت رئاسة زوجها ليحضره خمسمائة وعشرون أسقفا<sup>(2)</sup>. ولما طرد وعزل "ديسكورس" ونفيه وإبعاده من هذا المجمع ثار رجال الكنيسة المصرية لما لحق برئيسهم فأصروا على رأيهم متحدين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية معلنين انفصالهم متحدين اللغة القبطية لغة العبادة بدلا من اليونانية، وعرفت كنيستهم بالقبطية الأرثوذكسية بمعنى صاحبة الرأي المستقيم وتبعتها طوائف الأرمن والسريان بسورية<sup>(3)</sup>.

تعد المجامع المصدر الأول للتشريع العقائدي المسيحي بعد الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، هذه المجامع العامة والخاصة والعرف المسيحي ومراسيم الرؤساء الدينين وفقهاء آباء الكنيسة، لكن في هذه المجامع اختلافات كثيرة حول التصور الخاص في طبيعة المسيح وفي مفهوم الكلمة وتجسدها، ومسألة الصلب على ما وقع من حيث الطبيعة. فاختلقت الآراء حول الكلمة وتجسدها في شخص المسيح، ومنهم من قال أنّها تعني الله، كما اختلفوا في التعبير عن الإتحاد والتجسد، فمن قال أنّ الكلمة أشرقت على الجسد كإشراق النور على الجسم المشف، أو أنّها انطبعت في الجسم كأنطباع النقش في الشمعة، ومنهم من قال أنّ الكلمة مازجت جسد المسيح بمزجة اللبن للماء، وكل هذه التفسيرات ما هي إلا إضفاء صفة الإلهية على المسيح. وفي التعبير عن

<sup>1</sup> - مصطفى العبادي : المرجع السابق، ص 258\_259. يشير المؤلف إلى أنه أطلق على هذا المجمع بهذا الاسم كان من قبل

أسقف القسطنطينية (فلايانوس) المناصر لرأي نسطور، فلما انتزع (ديسكورس) الانتصار في هذا المجمع بأساليب غير مشروعة مثل الرشوة والتهديد، أطلق على هذا المجمع بمجمع اللّصوص. وينظر أيضا: لويس غرديه، جورج قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج2، ص 319.

<sup>2</sup> - مصطفى العبادي : المرجع نفسه، ص 259.

<sup>3</sup> - محمد شكري سرور : نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، ص 20 - 21.

صلة صفة الألوهية بالطبيعة البشرية يحدث الخلاف، فمنهم من يقول: أنّ الله جوهر واحد له أقانيم ثلاثة؛ فالله واحد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية، ويعنونون بالأقانيم الثلاثة صفات ثلاثة وهي: الوجود والحياة والعلم، أي الآب والابن وروح القدس.

ولما يأتي الحديث عن مسألة الصّلب يقولون: أنّ المسيح ذا طبيعتين، وأنّ الصّلب وقع على الجانب البشري دون الجانب اللاهوتي، وأنّ المسيح بعد الصّلب تكون عودته قبل القيامة، أو أنّه ينزل ويعود يوم الحساب وهم بذلك على خلاف. فاختلفت الفرق المسيحية حول هذه المسائل العقائدية لتنشأ فرق ثلاث في التاريخ المسيحي وهذه الفرق هي: الملكانية، والنسطورية واليعقوبية، وهذه الفرق لم تنشأ في زمن واحد بل كانت أقدمها الملكانية ثم تلتها اليعقوبية وأحدثها النسطورية<sup>(1)</sup>.

### -مجمع القسطنطينية الثاني: 553م.

يعود سبب انعقاد هذا المجمع إلى فكرة اعتناق بعض الأساقفة لفكرة تناسخ الأرواح حتى زعم منهم أنّ المسيح ليس حقيقة بل هو نموذج خيالي، فعقد المجمع وحضره ما يقارب مائة وأربعون أسقفا قرّروا حرمان القائلين بهذه الأفكار، ومقرّرين احترام جميع قرارات المجمع السابقة منكرين القول بالطبيعة الواحدة للمسيح<sup>(2)</sup>.

### -مجمع القسطنطينية الثالث: 680م

ظهر رجل يسمى "يوحنا مارون" سنة 667م يدعو إلى القول بأنّ للمسيح طبيعتين، ولكن له مشيئة واحدة، فانزعج القساوسة والأساقفة والحكّام فدعوا إلى هذا المجمع مقرّرين أنّ للمسيح طبيعتان وله مشيئتان، وتمّ لعن وطرّد من يقول بالطبيعة والمشيئة الواحدة<sup>(3)</sup>.

وحدث وانعقد مجعما بأمر الملك "قسطنطين الخامس" سنة 754م ليقرّر تحريم اتخاذ الصّور والتماثيل في العبادة مع تحريم طلب الشفاعة من مريم العذراء، لتقوم الملكة (إيريني) سنة 787م بعقد مجمع للنظر في قرارات المجمع السّابق الذي عقده الملك قسطنطين الخامس، ليجتمع في هذا المجمع ثلاثمائة وسبعة وسبعون أسقفا يقرّرون تقديس صور المسيح والقديسين بل ووضعها في الكنائس والأبنية المقدّسة وفي البيوت. ومن المشكلات التي طفت على سطح القرن الرابع حول مسألة التّالوث ظهرت

<sup>1</sup> - محمد إبراهيم الجيوشيا المرجع السابق، ص 55-57 جاء فيه عن الفرق المسيحية ومعتقداتها. وجاء نفسه بالتفصيل عند ابن حزم:

الفصل في الملل والأهواء والتحل، ج1، ص 110-111.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص 175.

<sup>3</sup> - محمد أبو زهرة: المرجع نفسه، ص 175.

مشكلة لا تقل أهمية في العقيدة المسيحية وهي ( التجسد)، الذي عبّرت عنه المنظومة اللاهوتية (بالتأسس)<sup>(1)</sup> بحسب تعليم (أبوليناريوس) اللاذقي (310م - 390م) حول طبيعة المسيح التي استخلصها من مجمع نيقية، ومدخلا عليها بعض التعديلات تمثلت في أنّ الكلمة ذات الطابع الإلهي اتخذ لنفسه جسدا بشريا ونفسا حيوانية، وقام في المسيح مقام الروح أو النفس الناطقة، فليس للمسيح إلا طبيعة واحدة هي طبيعة الطبيعة الإلهية وإليها ترد أفعاله بما أنّ الإنسان مركّب من أصول ثلاثة هي: الجسد والنفس والحيوانية والروح وأنّ الجسد وحده ليس الطبيعة الإنسانية، وكان يهدف إلى وحدة المسيح الأقنومية فأداه ذلك إلى تصور طبيعة المسيح الإنسانية البتراء<sup>(2)</sup>، والتي كانت الدافع الأساسي في عقد مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م، للردّ عليه ووصفه بالهرطقة، وبعد ما كان قد انبرى لتعليمه أسقف الإسكندرية "أثناسيوس" سنة 362م في مجمع له عقده لدحض تعاليم "أبوليناريوس".

لقد تمّ الإعلان في مجمع القسطنطينية الأول بأنّ الروح القدس هو الأقنوم الثالث بعدما كان أقنومين في المجمع المسكوبي نيقية، وأصبح الروح القدس هو أيضا إله حقّ، والمنبثق من الآب تجب عبادته مع الآب والابن. وتفرّع عن قرارات هذا المجمع وجوب الاعتراف بالمرتبة الأولى لأسقف القسطنطينية بعد أسقف روما، ويتمّ استبدال أسقفها الأريوسي الذي احتلّه مدة أربعين عاما ليحلّ محله الأسقف الأرثوذكسي الكاثوليكي (غريغوريوس النازيانزي المتوفى سنة 390م)، والذي عينه الإمبراطور الحاكم آنذاك "ثيودوسيوس الأول" ذي الأصل الإسباني المناصر لتعاليم وقرارات مجمع نيقية والملاحق للأريوسيين والملاحق لأبوليناريوس، واللذان قد توغّلا في الشعوب الجرمانية وتمكّن منهما لتصبح في آخر عهد هذا الإمبراطور التّزعة الكاثوليكية النيقية هي السائدة بل الدين الرسمي للعالم الروماني، ويتمّ بذلك غلق المعابد الوثنية سنة 391م.

ونظرا لملاحقة الإمبراطور للأريوسيين ولأتباع أبوليناريوس، إلّجأ هؤلاء إلى التّبشير والتّخفي من الاضطهاد الذي قد يلاقونه لينظموا تحت قيادة المدرسة الأنطاكية المؤيّدّة لطبيعة المسيح البشرية وأنّه ابن مريم وعن طريقها ابن داود، وروّج لهذه النظرية "ديودورس الطرسوسي" المتوفى نحو 394م ليخلفه تلميذه "ثيودورس المصيبي" المتوفى نحو 428م والذي تتلمذ على يده نسطور المتوفى

<sup>1</sup> - عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق، ص 91 مشيرا إلى مرجع في شأن تطور العقيدة المسيحية الخاصة بالمسيح إلى منتصف القرن الخامس وهو: A, Grillmeier. le christ dans la tradition chrétienne de l'âge apostolique à Chalcedoine p 451

<sup>2</sup> - عبد المجيد الشرفي: المصدر نفسه، ص 91.

نحو 450 م، ويحكم عليه فيما بعد بالهرطقة سنة 553م لما كان يقوله من أنّ طبيعة الله (الكلمة) طبيعة كاملة، والطبيعة البشرية في المسيح هي أيضا كاملة، والاتحاد بين الطبيعتين تمّ بالاتصال أو الحلول: أي حلول الكلمة الإلهي في الإنسان عيسى الذي ينتج عنه نفي اشتراك الأسماء والصفات في المسيح بين الكلمة ابن الله وبين الإنسان، معتبرا الذي تمّت ولادته وموته ليس ابن الله بل هو ابن الإنسان داود، فعيسى ليس ابن الله حقًا وإنما هو أهل لهذه البنوة تشريفًا وتعظيمًا.

وهكذا كانت نتيجة المجامع الكنسية انشطار العالم المسيحي إلى كنيسة غربية وكنيسة شرقية، ومما يلفت النظر بحسب رأي "عبد الغني عبود" في هذا المجال أنّ الأرثوذكسية التي أخذ بها المسيحيون في الشرق تعني الطريق المستقيم ممّا يعني أنّ الكاثوليكية (أي الجامعة) التي أخذ بها الغربيون طريق غير مستقيم، وأنّ الكاثوليكية تنظر على الأرثوذكسية على أنّها طريق غير مستقيم أيضا وأنّها واجبة الحرب. وأنّ البروتستانتية \_ التي انتشرت إثر الإصلاح الديني في الغرب سنة 1515م كانت تعتبر الكثلثة وثنية هي الأخرى<sup>(1)</sup>.

وكان نسطور يرى ما يراه أستاذه "ديودوروس المصيبي" بإثنية الأقنومية في المسيح، وبأنّ الوحدة بين الطبيعتين المتباينتين هي نتيجة الاتحاد، لينظم إلى هذا الرأي "كيرلس" المتوفى سنة 444م المترأس للمدرسة الإسكندرية التي كانت تقول بوحدة الأقنوم.

وتختلف المدرسة النسطورية عن المدرسة الإسكندرية في خصوصيات عقائدية كقول نسطور أسقف القسطنطينية بأنّ مريم أم الله، والقول به يدل على التعبّد لها على علم أنّ هذا القول كان شائعا في أواخر القرن الثالث بين الأوساط الشعبية، في حين سعى "كيرلس" إلى إثبات أنّ أم الله هي مريم كما أثبت وحدة الأقنوم في المسيح من قبل لينتهي هذا الخلاف إلى الدّعوة لعقد مجمع أفسس سنة 431م تمّ بموجبه نفي نسطور إلى صحراء مصر<sup>(2)</sup>.

وفي المجمع الرابع بخلقذونية عام 451 تقرّر أنّ الطبيعتين منفصلتين؛ أحدهما لاهوتية والأخرى ناسوتية يلتقي بهما المسيح مع الله، ومع الناس، وذلك في مواجهة رأي "ديسقورس" بطريرك الإسكندرية القائل بالطبيعة الواحدة، وأنّ اللاهوت والناسوت إجتمعا في السيّد المسيح، وبالتالي اجتمعت عقيدة التثليث، واستمرت الخلافات واستمرت المجامع في الإنعقاد.

<sup>1</sup> - عبد الغني عبود: المسيح والمسيحية والإسلام، ص 91.

<sup>2</sup> - ينظر: لويس غردية، ج. فتاوي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج 2، ص 275.

#### مطلب 4: العقائد المسيحية وتطورها في ظل الآباء:

من خلال تتبع تطور فكر الآباء المسيحيين يذهب البعض من الدارسين للديانة المسيحية إلى تقسيم فكر الآباء إلى فترتين متباينتين: فترة القرن الرابع الميلادي ، والفترة التي تليها إلى القرن السابع، حيث تمتد الأولى من سنة 313م إلى غاية 461م مستغرقة قرنا ونصف قرن، حيث تعرف هذه الفترة في تاريخ الآباء بالعصر الذهبي؛ لهيمنت هؤلاء الآباء بشخصياتهم على المجامع الكنسية المسكونية الكبرى في القرن الرابع .

فيقول " لويس غردية " أنّ في هذا القرن: (( يمكننا أنّ نميّز فيه مراحل ثلاثا، يمكن تحديدها بما عولج أثناءها من المسائل في ضوء الوحي المقدّس والإيمان:

-أما المرحلة الأولى ( 313م\_381م) فهي مرحلة المناظرات حول سرّ الثالوث، والتي أثارها شخصية المسيح إلهًا وإنسانًا في آن واحد. فكان المجمعان المسكونيان الأولان، مجمع نيقية (325م) والقسطنطينية (381م). واشترك فيهما أساقفة الكنيسة شرقا وغربا تحت رئاسة بابا روما.

-وأما المرحلة الثانية (341م\_381م) فهي فترة الآباء الشراخ الذين أقبلوا على الكتب المقدّسة ولا سيما رسائل القديس بولس، ليستنتجوا منها التّعاليم الصحيحة عن المسيح كيف يستقر ثابتا في النفوس ليحييها بحياته فيقدسها. وكان هذا عمل القديس "أمبروزيوس" في الغرب (333م\_397م)، والقديس يوحنا الذهبي الفم في الشرق (345م\_405م). وهو عمل أدّى إلى نتائج ونظريات أتقن إبانها وتنظيمها القديس أغسطينوس (354م\_430م)، فما برح حتّى يومنا هذا، المعين الأول للكنيسة في توجيهها وإرشادها في هذا الصدد.

-وأما المرحلة الثالثة والأخيرة (430م\_461م) فهي قصيرة المدّة ولكنها مهمّة، لأنّها كانت المرحلة التي فيها ظهرت المناقشات حول شخصية المسيح " أقنوما " واحدا في كمال الطبيعتين، الإلهية والبشرية. وهو الحلّ الذي أجمع عليه الآباء في مجعني أفسس (431م) وخلقدونية (451م) المسكونيين<sup>(1)</sup>. ففي ظلّ التيارات المذهبية كان لمقررات المجامع وصياغتها مسؤولين كنسيين لعبوا دورا أساسا في توجيه الفكر العقائدي خصوصا في القرن الرابع وبداية القرن الخامس للميلاد، وقد أطلق على هؤلاء اسم آباء الكنيسة<sup>(2)</sup>، وعرف عصرهم بالعصر الذهبي وكان معترفا لبعضهم دون الآخرين

<sup>1</sup> - لويس غردية، ج. قنواتي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 279-280.

<sup>2</sup> - مصطفى العبادي :المرجع السابق، ص 33. كان اللفظ المستخدم بالنسبة لأعضاء مجلس الشيوخ في روما هو لفظ ( الآباء ) بحكم أنّهم آباء المجتمع ورؤساء بيوته وعشائره كانوا هم أيضا أولي الأمر فيه ويدهم مجمع مقاليد الأمور.

كما كان الحال مع اعتراف ببعض المؤلفات التي ضمّها العهد الجديد دون الأخرى التي أطلق عليها اسم الكتب المنحولة تحت الإسم اليوناني(الأبوكريفا). ومن الآباء الذين لم يعترف بحجّيتهم في زمنهم رغم باعهم الواسع في العلم والمعرفة من أمثال "أوريجينوس" و"كليمنضس الإسكندري"، بينما يتم الاعتراف بأشخاص تميّزوا بالسلوك السيئ والآراء الفاسدة من مثل "كيرلس الإسكندري"<sup>(1)</sup>.

لعب آباء الكنيسة اليونانية وآباء الكنيسة اللاتينية<sup>(2)</sup> دورا مهمّا في البحث عن التعبير الملائم للعقائد من خلال نصوص الكتاب المقدس، وذهب بعضهم إلى عقد مقارنات بين آراء العلماء حول المفاهيم الوثنية للدين ممثلة في "لاكتانسيوس" في القرن الرابع، وبين النظام اللاهوتي الذي وضعه "أوغسطينوس" في أوائل القرن الخامس، والذي أصبح مرجعا للكنيسة الكاثوليكية<sup>(3)</sup>.

وهذا ما يؤكده "لويس غارديه" بقوله: (( ولقد أشرنا إلى أنّ المسيحية، منذ أوائلها، كانت قد اختمرت وتطوّرت في البيئة الإغريقية - الرومانية، حول حوض البحر المتوسط. فسرعان ما اضطّر العلم المسيحي أثناء نشأته إلى أن يقيم للتراث الإغريقي الروماني حسابا. وبكلام أقرب إلى الواقع، في ما يتعلق بالمشكلة التي نحن بصدددها، اضطّر على الفور إلى أن يهتم بحلقة الصناعات الحرّة وبالفلسفة التي تكتنفها، ليدرج في ثناياها رسالة الإنجيل، وبوجه أوسع مدى رسالة الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد))<sup>(4)</sup>.

ومن الآراء المتعلقة بالمفاهيم الوثنية التي احتفظ بها "لاكتانسيوس" أنّ عبادة المسيحيين لإلهين لا يثير اضطرابا، لأنّ الآب و الابن ما هما إلّا واحدا بينهما اتفاق كامل باستمرار، ولم يتطرق إلى مكانة ودور روح القدس داخل الثالوث، والتي تجنّبها أيضا "بازيليوس" المتوفى سنة 379م، عن روح القدس. والحال كذلك عند أوغسطينوس في تعبيره عن الإيمان المسيحي الشائع عند الكنيسة

<sup>1</sup> - عبد المجيد الشرفي: الفكر الاسلامي في الرد على النصارى، ص 93.

<sup>2</sup> - لويس غرديه، ج. المصدر السابق، ج2، ص ص271-272. ينظر المصدر نفسه، ص273:

أ- قائمة آباء الكنيسة اليونانية: أثناسيوس الإسكندري توفي سنة 373م، (القبادوقيون الثلاثة وهم: بازيليوس القيصري توفي 379م وأخوه غريغوريوس النسبي توفي 394م، وغريغوريوس النازيانزي توفي 390م)، ويوحنا فم الذهب توفي سنة 407م، وكيرلس الأسكندري توفي 444م.

ب - قائمة آباء الكنيسة اللاتينية: هيلاريوس أسقف بواتي توفي سنة 367م، البابا داماسيوس الروماني توفي سنة 384م، وأمبروزيوس أسقف ميلانو توفي سنة 397م، وهيرونيموس توفي سنة 416م، ومارتينس الثوري توفي سنة 397م، وأخيرا أوغسطينوس توفي 430م.

<sup>3</sup> - عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق، ص 97.

<sup>4</sup> - لويس غاردي، وج. قنواطي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج1، ص ص218\_219.

الكاثوليكية والمتعلق بالتالوث أو التوحيد أو الخطيئة الأولى أو الفداء أو غيرها من الأسرار والطقوس التي تقوم عليها المسيحية<sup>(1)</sup>.

توسّط أسقف روما بين الفريقين لحل النزاع العقائدي ليقتراح قاعدة إيمانية يعدل فيها "كيرلس" عن القول بالطبيعة الواحدة، و عن القول بالإتحاد الطبيعي في المسيح، وفي المقابل تم عدول أحد أنصار التسطورية وهو "يوحنا الأنطاكي" أو يوحنا ذو الفم الذهبي (345م - 441م<sup>(2)</sup>)، عن لفظة (اتصال) الدالة على مجرد وحدة عرضية في المسيح ليقبل لفظة (إتحاد) الدالة على الوحدة الأقنومية بين الطبيعتين الإلهية والبشرية. وتستمر الخصومات رغم محاولات التوفيق لتزداد الهوة والانشقاقات في صفوف الكنيسة الشرقية نظرا لآراء كيرلس الإسكندري<sup>(3)</sup>، فاندلعت من حين لآخر اختلافات عقائدية وخصومات حول المسيح، إذ أعلن الراهب "أوتيوخيس" أنّ المسيح قبل التجسد كان ذا طبيعتين، وبعد التجسد صار طبيعة واحدة، وكلفت الراهب هذه المقولة العزل من رئاسة دير، رغم مناصرة "ديسقورس" أسقف الإسكندرية له، من خلال عقد مجمع محلي دعا إليه أسقف القسطنطينية "فلافيانوس" والذي انقلب عليه الدور ليعزل بعد سنة موائية لتتحي "أوتيوخيس" ويتهم ومن معه من مدرسة إنطاكية أنّهم نسطوريون في مجمع عقد لهم بأمر من بابا "ليون"، وقد عرف هذا المجمع عند الكاثوليك (بملصة أفسس). ويليه عقد مجمع آخر تختلط فيه الأمور السياسية والدينية والتي صاحبت موت الإمبراطور "تيودوسيوس الثاني" سنة 450م وتولى مكانه "مرقيانوس" الذي أعلن رغبته في عقد مجمع يوافق عليه البابا ليتم له ذلك تملقا من الأساقفة ويعقد على ضفاف البوسفور سنة 451م تحت اسم مجمع خلقدونية<sup>(4)</sup>. وكان من أهم قراراته:

أنّ المسيح ابن الله الوحيد، وأنّ المسيح هو ربّ واحد في طبيعتين دون امتزاج ولا تغير، وخرج هذا المجمع بمخالفة القائلين بالطبيعة الواحدة وهم (المونوفيزيون) وضد (النسطوريون) القائلون بالإتحاد

<sup>1</sup> - علي زيعور: أوغستينوس، ص 84. يشير المؤلف إلى أنّ أوغستين يرى ضرورة الإنتفاع من الوثنيات فينتقى منها ما هو موافق للدين ويناسبه ما دامت حقائق الإيمان لا تمس، بناء على وصية الرب لموسى في سفر الخروج 11: 2 بسلب أمتعة المصريين، وهكذا يجب التصرف. فقال الرب لموسى: (( تكلم في مسامع الشعب أن يطلّب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها أمتعة فضة وأمتعة ذهب، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين)).

<sup>2</sup> - ينظر عنه لويس غرديه، ج. قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج2، ص 365.

<sup>3</sup> - ينظر عنه لويس غرديه، ج. قنواتي: المصدر نفسه، ج2، ص 369.

<sup>4</sup> - رؤف شلبي: أضواء على المسيحية، ص 104.

دون تقسّم أو تفرق. إذ الإتحاد في مفهوم هذا المجمع هو إتحاد لا يلغي التمايز بين الطبيعتين، إذ تبقى خواص كل من الطبيعتين على حالها<sup>1</sup>.

إنّ هذا المجمع الرابع المسكوني الخلقدوني المنعقد في القرن الخامس عرفت المسيحية الشرقية من خلاله انقسامات كبيرة مثّلتها ثلاث فرق عظمي وهي:النسطورية في بلاد العراق وفارس، واليعقوبية التي كانت تسمى المونوفيزية أو السريان،واليعقوبية نسبة إلى يعقوب البرادعي أسقف "الرها" المتوفى في 578م وكان انتشارها في مصر والشّام ، والملكانية أو الخلقدونية أو الرّوم أتباع دين الملك ؛أي الإمبراطور البيزنطي والمنتشرة في الشرق الأدنى وآسيا<sup>(2)</sup>.

انتظمت كل فرقة من هذه الفرق الثلاث تحت كنيسة لها خصوصياتها تختلف تماما الواحدة عن الأخرى، ولم تتمكن أي جهة من ترميم التصدّعات التي لحقت بها حتى ظهور الإسلام أين استقبلت هذه الفرق الفاتحين المسلمين كمحرّرين لهم من طغيان أهل ملّتهم من الرّوم.

فقد كان الوضع العام للسلطة الدينية والمدنية ووضع الكنيسة بالخصوص من خلال القرن الرابع من تاريخ الكنيسة حيث أصبح للأباطرة الرّومان الحقّ في فضّ النزاعات العقائدية وترجيح كفة نزعة على أخرى من خلال الدّعوة إلى عقد مجامع تضيء أفعاله طابع الشرعية في تحديد خياراتهم السياسية والدينية أو هما معا.

فسجّل التاريخ تدخل "تيودوسيوس" في إعطاء مائة وخمسون قرارا يؤيّد فيه ما ذهبت إليه الأرثوذكسية وما اتخذته من جزئيات في نظامها الكنسي، ووصل به الأمر إلى إصدار قرار سنة 390م بمنع النّساء المحلّقات لشعورهن من دخول الكنائس باعتبارهن مخالفات للقوانين الإلهية وللقوانين البشرية أيضا<sup>(3)</sup>.

وكتعبير للخضوع للسلطة الدينية الروحية للكنيسة أمر "أمبروزيوس" الإمبراطور بإعلان توبته عن المذبح التي ذهب ضحيّتها ما يقارب سبعة آلاف شخص في "تسالونيكى" وهذا الأمر نفسه أمر به البابا "غريغوريوس السّابع" الإمبراطور الجرمانى "هنري الرابع" سنة 1077م ليعلن توبته<sup>(4)</sup>.

وتبيّن أنّ الكنيسة لما تريد فرض إيمانها على من تعتبرهم هراطقة تستعين بالسلطة الحاكمة، وأحيانا قد تلجأ إلى القتل عند الضّرورة التي تراها، كما فعلت بالشّخص (بريسكيليانوس الإسباني) الذي قتله

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، ص 105.

<sup>2</sup> - ينظر: ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والتحل ، ج1، ص ص 110 - 111.

<sup>3</sup> - عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص 98.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 99.

الإمبراطور المغتصب " مكسيموس " سنة 385م بدعوى أنه هرطقي أي كافر. ووبرر القديس أوغسطينوس استعمال العنف ضد (الدوناتيين) في رسالته إلى ( فنان)، وهي الرسالة نفسها التي تم الاستدلال بها سنة 1573م لتبرير مذبحه السان برتلمي (saint Barthélémy) ليلة الرابع والعشرين من شهر أوت<sup>(1)</sup>. وبهذه الفتوى مكّنت الكنيسة رجال السّلطة من إعطائها تبريرات مجّانية لأفعالهم بارتكابهم اضطهادات وآثام عجلت بسقوطهم. إنّ المسيحية في عهد الآباء لم تميّز بين الفلسفة وعلم اللاهوت إلاّ ما كان منها منتميا إلى الفلسفة الوثنية، (( إنهم لا يقيمون بين الفلسفة وعلم اللاهوت تمييزا معنويا يعترف به أصلا، فضلا على أنّهم لا يسوّغون تطبيقه في الواقع))<sup>(2)</sup> فالفكر المسيحي في عهد الآباء شكّل منهجية مكتملة مستقلة، أو علما مستقلا بذاته، والبحث عن الحقّ على الصعيد العقلي لم يشكلّ مقاومة بين العقل والإيمان بل هو يجمع بينهما، بل جعل الإيمان شرط للعمل العقلي.

تلك هي الأطوار التي مرّ بها فكر الآباء إبان نشأته قبل القرن الرابع الميلادي إلى أن أدرك نضجه في القرون التي جاءت بعده، فقد عرف هذا الفكر تطورا في خطّه البياني المتواصل المراحل المتلاحم الحلقات، فتبيّن ممّا سلف أنّ هذا الفكر انطلق أساسا من وحي صريح يدعو إلى الإيمان بالله ثم انتقل الإيمان إلى سرّ الثالوث واحدا في ثلاثة هم: الآب والإبن والروح القدس، على أنّ الإبن تجسّد وصار إنسانا، ثم جاء " آريوس " ونفى اللاهوت عن المسيح " الإبن المتجسّد " فقابله الآباء بصيغة مجمع نيقية المسكوني (325م) مثبتين أنّ المسيح " ابن الله المتجسّد " إله حقا، مساو للآب في الدّات والجوهر، ولم يلبثوا أن توجهوا بالنّظر إلى الروح القدس، فأعلنوا لإيمانهم بأنّه (( المنبثق من الآب والإبن إلها حقا هو أيضا، مساو للآب والإبن في الدّات والجوهر)). ولقد أدركوا إجماعهم العفوي على هذا القول في مجمع القسطنطينية المسكوني (381م) فاستقامت لديهم بعدئذ عقيدة الثالوث في صيغتها النّهائية الشاملة، وهي الإيمان بغيب الله وسرّه على أنّه " إله واحد في ثلاثة أقانيم"، وظلّ حال فكر الآباء على ما سبق حتى جاء نسطور وجزّأ المسيح الواحد مصرحا بالفصل فيه بين الله والإنسان، فكفّر آباء مجمع أفسس الثالث سنة (431م) لقول نسطور بالوحدة بين اللاهوت والنّاسوت وهو ما أنكره الآباء عليه وأنّ الإيمان يقتضي الوحدة الحقيقية بين ابن مريم البشرية والإلهية

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 99. وأشار المؤلف إلى إعادة نشر هذه الرسالة سنة 1686م.

<sup>2</sup> - لويس غرديه، ج. فتواتي: المصدر السابق، ج 2، ص 117.

لأنّ مريم تسمّى أمّ الله. ثم يأتي المونوفيزية بقيادة أوتيوخوس للرد على نسطور نافيا بشرية ابن الله المتجسد، ويأتي مجمع خلقدونية المسكوني الرابع المنعقد سنة (451م)، ليتمّ تكفير نسطور والمونوفيزيون ليخرج المجمع بالصيغة العقديّة في المسيح، وهي أنّه ((أقنوم واحد قي طبيعته الكاملتين، البشرية والإلهية))<sup>(1)</sup> ليؤكد هذا التوجّه كل من المجمعين المسكونيين الخامس والسادس (553م، 680م). مع تكفير المنتانية في هذين المجمعين لقولها بالمشيئة الواحدة في المسيح. إنّ ما دل عليه فكر الآباء هو تصور ناسوت المسيح كاملا في أصوله وعناصره الجسدية والحسية والروحية ليثبتوا ألوهيته<sup>(2)</sup>.

### مطلب 5: العقائد المسيحية وتطورها في ظل الفرق والمذاهب الكنسية:

لم تنتشر المسيحية بالسلم والمحبة كما يتصور بل أصبحت دينا رسميا بفضل القهر وحدة السلاح، وأصبحت خاضعة لكرسي رسولي يلقب بالبابا في عهد ( داماسيوس ) ليخلفه في نفس الرتبة ( سيريسيوس 384 - 399م )، وفي المقابل يسمى أسقف ليون الأول ( 440م - 461م )، نفسه بالحبر الأعظم، قدوة باللّقب الوثني الذي تخلّى عنه الأباطرة، وهكذا ملأ البابوية الفراغ الذي تركه الإمبراطور الروماني الغربي ( ثيودوسيوس ) بعد سقوطه ولم تستطع البطريركية بناء مجدها في أحياء الأمبراطورية الشرقية على شاكلة بابوية الغرب، لتصبح الكنيسة خاضعة للدولة تأتمر بأمرها في وضعية سير بطيئة. وتفرعت في الغرب اللاتيني فرق مسيحية انشقت عن الكنيسة الأمّ وهي:

### أ-الدوناتية :

ينتمي الدوناتيون إلى "دوناتس النحوي"، ومنه اتخذت الحركة الدوناتية إسمها ومبادئها القائمة على وجوب تقديس الشهداء، وانزال اللعنة على المرتدين عن المسيحية زمن الإضطهادات السابقة لعهد قسطنطين، ثم اختلطت هذه الحركة التي ترجع إلى أوائل القرن الرابع بروح الانفصالية عن الإمبراطورية، فأضحت نقمة الأباطرة منذ قسطنطين حتى القرن الخامس<sup>(3)</sup>، فكانت بمثابة أكبر حزب معارض في إفريقيا لكل من الكنيسة والسلطة الرومانية خلال القرن الرابع، فلم يلبثوا أن تساءلوا سنة (316م) ما الذي يحمل الأمبراطورية على التدخل في أمر الكنيسة؟ وعندئذ رد قسطنطين بأن أمر بنفي

<sup>1</sup> - ينظر: لويس غرديه، ج. فنواطي: المصدر السابق، ج 2، ص 352.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد المجيد الشرفي: الفكر الاسلامي في الرد على النصارى، ص 105.

<sup>3</sup> - السيد الباز العريبي: تاريخ أوروبا، العصور الوسطى، ص 70.

زعمائهم ومصادرة كنائسهم ، ويواصل مجابتهها من طرف الإمبراطور " هونوريوس " وينتهيها سنة 411م بعدما رأت النور في إفريقيا وبقيت إلى حدّ بعيد محصورة بها<sup>(1)</sup>.

ومع ذلك فإنه لم يكن من الممكن إخماد الحركة الدونانية ، لأنّ أتباعها كانوا قد تمثّلوا حركة إفريقية محلية التي لم تكن دينية بل كانت اجتماعية سياسية،<sup>(2)</sup> وازداد نشاط الأريوسية التي ظهرت في سنة 323م وكانت بالغة الأهمية في العالم المسيحي بأسره، نظرا لإهتماماتها بالعميقة المسيحية والقول بخلق الإبن وخلق الروح القدس وإنكارها بذلك ألوهية المسيح، من باب القول أنّ المسيح ابن الله فلا بد أن يكون أصغر من الله فهو أقلّ شأنًا من الله ، وإذا كان من صفات الله الخلود الذي لا أول له ولا آخره، فليس المسيح خالدا، لأنّ له بداية ، ولذا فليس إلها.

وتتمّ مجابهة دعوة "أريوس" هذه من طرف أسقف الإسكندرية " اثناسيوس " ويتمّ الدّعوة لعقد مجمع مسيحي يبيّن في أمر عقيدة أريوس: وحدة الجوهر في الله واختلاف الأقانيم، وهي الصيغة التي اعتمدها كيرلس الإسكندري ومجمع أفسس ( سنة 431م) لإدانة نسطور القائل : بأنّ ثنائية الطبيعتين، البشرية والإلهية، في المسيح لا تحوّل دون أن تكون مريم أمّ الله<sup>(3)</sup>.

#### ب- البيلاجيانية:

يقوم الوندال سنة 429م بإتّهاء التواجد الروماني بإفريقيا وتظهر فرقة أخرى بين سنتي 410م-412م تعرف بالبيلاجيانية<sup>(4)</sup>، نسبة إلى بيلاجيوس المتوفى سنة 430م وهو راهب كان أكثر أتباعه يدعون إلى مثل أعلى من الكمال الإنجيلي، ويدعون إلى الخضوع للشريعة الإلهية، مقلّدين من شأن مفهوم الخطيئة الأولى، ويعتبرون قضية الصّليب فضيحة، معتبرين أنّ المسيح قدوة يحتدا به أكثر ممّا هو فاد، ويمكن الحصول على الخلاص الروحي بدون (النعمة) وبدون وساطة المسيح. فيرون أنّ من أسباب حرمان الإنسان من السّعادة الأبدية الجزم بسرّيان الخطيئة الأولى إلى نسل آدم فيري "بلاجيوس" أنّ خطيئة آدم ليست وراثية ، وأنّ الإنسان يستطيع أن يتحرر من الخطيئة هذه بأعماله الخيرة، ولأجل إبطال تعاليم هذه الفرقة انعقد مجمع ( قرطاجنة) سنة 412 م بعدما نشبت مناظرة تزعمها القديس

<sup>1</sup> - اميل برهيه: تاريخ الفلسفة، العصر الوسيط والنهضة ، ج3، ص 10.

<sup>2</sup> - أرنولد توينبي : تاريخ البشرية ، ج2، ص 49.

<sup>3</sup> - اميل برهيه: المرجع السابق ، ج3، ص 10.

<sup>4</sup> - عبدالعزيز النعالي: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان ص 145. البيلاجيانية أصحاب ( بلاجيوس) البريطاني الذي كان راهبا في روما ومذهبه مبني على : إنكار سرّيان الخطيئة الأولى في أولاد آدم . ينظر: الموسوعة الفلسفية الحديثة : تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص 136. وتسمى هذه الموسوعة التاريخية الحديثة، هذه الفرقة التي تنكر نفاذ العفو والذنب الأصلي ب- (البيلاجية) .

أوغسطينوس ضد البلاجيانية والتي ظلّ يكافحها طوال حياته بسبب مقولاتها التي دعى إليها بيلاجيوس<sup>(1)</sup> الذي كان يكرز، في حملته على من يتذرع من المسيحيين بضعف الجسد، كما يمتنع عن تنفيذ الشريعة الإلهية بأن للإنسان القدرة على فعل الخير إذا شاء، ويبيّن ما تنطوي عليه الطبيعة البشرية من طاقات وقدرات.. وفي هذا نغيا للخطيئة الأصلية المتناقلة بالوراثة، إذ لا يسع الله أن يلقي على كواهلنا بخطيئة الغير<sup>(2)</sup> ويتم رفض جميع تعاليمها في مجمع أفسس المنعقد سنة 431م<sup>(3)</sup>.

### ت- الأوغسطينية:

وهم أتباع أوغسطينوس (354م- 430م)<sup>(4)</sup> بعدما أعلن حربا بقلمه على مذهب المانوية وعلى الحركة الدوناتيّة، كما سخر قلمه في الأخير ضد البلاجيانية<sup>(5)</sup>. غير أنّ الظروف لم تكن في صالحه بعدما أخذت تعرف الأباطورية الرومانية الإضمحلال في القرن الخامس أمام ضربات الغزوات الجرمانية، وبالتالي اضمحلال الكثير من الحركات الفكرية ومنها حركة أوغسطينوس، الذي نصح المسيحيين بأن يتحمّلوا حكم المتبررين، طالما قضت إرادة الله بغزوهم للأباطورية<sup>(6)</sup>، ومن ثمّة أخذت الكنيسة اللاتينية تعزف عن إنتاج شخصيات مرموقة في الجانب اللاهوتي، ولجأت إلى بذل كل طاقتها في التنظيم الإداري لها، مع السعي أحيانا إلى إحياء مذهب الأريوسيين، وإحياء المذاهب الوثنية أيضا<sup>(7)</sup>. تمثّلت تجربته الأولى في بداية بحثه عن الحقيقة والتحول إلى الإيمان المسيحي كان بعد قراءته للكتاب المقدّس الذي وجد فيه أوّلا الأسلوب الغامض مقارنة مع قراءته لبلاغة لفيلسوف شيشرون<sup>(8)</sup>. وصدمته المفاهيم المشبّهة في العهد القديم، والتي تنسب إلى الله الغضب، والحزن

<sup>1</sup> - أنيس منصور: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ص 216.

<sup>2</sup> - اميل برهيه: المرجع السابق، ج 3، ص 10-11.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد العزيز العالبي: المرجع نفسه، ص 146.

<sup>4</sup> - علي زيعور: أوغسطينوس، ص 100. أوغسطين أو أوغسطينوس ولد في (تاغشطا) بلدة بنوميديا، وتعرف اليوم بسوق أهراس سنة 354م،.. كان أبوه، باتريكيوس، وثنيا متوسط الحال تزوج مونيكا(القديسة مونيكا فيما بعد)، وكانت فتاة تصغره بأعوام كثيرة.. لم يمنعها زواجها من ممارسة دينها وتعليم أولادها الديانة المسيحية، التي ما لبث هو أيضا، أن اعتنقها.

- وينظر أنيس منصور: المرجع السابق، ص 215 حول حياة القديس أوغسطين ذي الرتبة 53 من تقويم لأعظم الناس أثرا في التاريخ.

<sup>5</sup> - علي زيعور: المرجع نفسه، ص 101، وينظر: أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ج 2، ص 49.

<sup>6</sup> - روجيه غارودي: ماركسية القرن العشرين، ص 146. في تبرير لقبول الخنوع والعبودية دفعت بالمذهب الماركسي تبني مقولة (الدين آفيون الشعوب) ما جاء عن القديس أوغسطين في " ملكوت الله" قوله: (( إن الله قد أدخل الرق في العالم كعقاب على الخطيئة. وسيكون تمرّدا على إرادته أن يُحاول إلغاء هذا الرق)).

<sup>7</sup> - السيد الباز العريني: تاريخ أوربا، العصور الوسطى، الفصل الرابع: (الممالك الجرمانية)، ص 111.

<sup>8</sup> - عباس محمود العقاد: فلاسفة الحكم في العصر الحديث، ص 15. شيشرون (106- 43 ق م) وهو الخطيب الأكبر في روما.

والتسيان، والحسد والغيرة والتدم والسكر، كما رأى في الكنيسة السذاجة وبساطة العقل، وتعاليمها تشبه قصص امرأة عجوز، وفوق ذلك فهي سلطوية<sup>(1)</sup>. فلم يكن مقبولا لدى القديس أوغسطين أن يجوي نص مقدس خطأ ما، وأمام مقطع بدا أنه يناقض الحقيقة، كان يواجه البحث عن سبب، ولم يكن يستبعد افتراض الخطأ من مصدر انساني<sup>(2)</sup>، (( معتبرا أن الله لا يمكن أن يعلم الناس ما لا يتفق مع الحقيقة، وضع في الأصل قاعدة استحالة الأصل الإلهي لما يصاد الحق. لقد كان مستعدا لأن يحذف من كل نص مقدس ما كان يبدو له واجب الحذف لهذا السبب))<sup>(3)</sup>، يقول عنه " روجيه غارودي: (( لقد كان أوغسطين أمينا على الولاء للتقليد الإغريقي كما رسمته الأفلاطونية الجديدة، يقول بالقضاء والقدر وبالإذعان للإرادة الربانية))<sup>(4)</sup>. فدفعه إيمانه بالإعتقاد بالمانوية<sup>(5)</sup> التي كان أتباعها ينتقدون بقوة الكتاب المقدس، ويسخرون من قصصه، فسأيرهم حتى عرف مذهبهم حتى تبين له أن نظريات ماني العلمية غير قائمة على أسس، وأنها خيالية كرايها في مسألة الخير والشر وأن الشر أبدي كالخير، ويشكل الأول مملكة الظلمات، والثاني يشكل مملكة النور، وأن الله جسم مضيئ وأن النفس جسم غير مرئي ولطيف رقيق، إلا أنه مادّي ومتمد. فوصف أوغسطين فلسفة ماني بأنها لا عقلية ومباحثها النظرية صبيانية الطابع، لينتقل إلى الفلسفة الروحية متبنيًا مذهب الشك حيث أخذ يشك في كل شيء للوصول إلى إدراك الحقائق فوقع في أزمة الشك الحادة، غير أن هذا الشك لم يتناول وجود الله وعنايته بالمخلوقات<sup>(6)</sup>، فجاء على لسان " تويني" قوله: ((وهناك تحلّى على المانوية واعتنق المسيحية. وهكذا شقّ لنفسه طريقا استطاع فيه أن يجنّد مواهبه في مجال ديني في بلاده))<sup>(7)</sup>، وعند إلتقائه بأسقف ميلانو (أمبرواز) أثر هذا الأخير في حياة أوغسطين بحججه في الدفاع عن المسيحية ليحسّ أوغسطين بشعور مفاجئ حول حكمه الخاطئ الأول على الكتاب المقدس، ليجد السعادة التي قال إنها هدف كل إنسان، وهي الله، الذي عرفه أوغسطين بالإيمان قبل العقل من

<sup>1</sup> - علي زيعور : المرجع السابق، ص 124.

<sup>2</sup> - موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص 48.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 51.

<sup>4</sup> - روجيه غارودي : المرجع نفسه، ص 149.

<sup>5</sup> - غسان خالد: المرجع السابق، ص 21 بالهامش. ادعى ماني أنه رابع ثلاثة تقدموه: زرادشت، بوذا، والمسيح، وأنه الروح القدس. وبنظره

للعالم مبدآن أزليان: النور والظلمة، أو الخير والشر، أو الروح والمادة.

<sup>6</sup> - يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص 20.

<sup>7</sup> - أرنولد تويني : المرجع السابق، ج 2، ص 48.

خلال اعترافه بسلطة الكنيسة قبل أن يقرّ بها عقله لتشبعه بالأبحاث التي قام بها على رسائل بولس التي أثرت فيه إلى أبعد مدى<sup>(1)</sup>. فجعلته يرى أنّ الإيمان أسبق من العقل. يقول توينبي : (( كان أوغسطين يرى أنّ أهلية الإنسان لن تبلغ الدرجة التي تؤدّي به إلى نيل الخلاص بجهوده وحده. ولن ينال الإنسان ( الخلاص ) إلاّ إذا شملته ( نعمة ) الله ))<sup>(2)</sup>.

وحول مسألة التثليث يرى أوغسطين أنّ الثالوث واحد والواحد هو الثالوث ، والأقانيم الثلاثة غير منفصلة وهي متساوية وكاملة، موجودة معا منذ الأزل وتقوم سويا بكل عمل. وأنّ المسيح هو الرّبّ المنبثق عن الآب منذ الأزل والمخلوق كالإنسان، إنّهُ الكلمة في أقنوم مساو للرّبّ، وهو الرّبّ في الوقت نفسه، تجسّد وولده العذراء<sup>(3)</sup>.

وهو إنسان كامل له جسم ونفس ذات ملكات ثلاث: عقل وذاكرة وإرادة، أي أنّ فيه طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية إلاّ أنّ له أقنوما واحدا فقط. لقد إنطلق أوغسطين في فكره الفلسفي بشكل خاصّ من القدّيس بولس ونظرياته في الله والصفّات الإلهية ، وفي السعادة ، وفي السياسة ، وفي الأخلاق، وفي مشكلة الشرّ ، وفي خلق العالم ، وهناك من يرى أنّ الأوغسطينية ((تختلف عمّا يسمّى عادة بالفلسفة. فمنهجها إيماني، وليس عقليا صرفا أو نظريا، وطرائقها في مجابهة المعاضل تنطلق من نقطة ما ورائية، وفكرة مسبقة وقبولية عن الإنسان والعقل والعالم، وتقول بعجز العقل وعدم أهلية الفلسفة. وهي بالتالي، إلحاح على أنّ الإنسان بحاجة للنّعمة كي يبلغ اليقين ويتحرّر من الشكّ ويحظى بالسعادة))<sup>(4)</sup>، فأوغسطين كان يتكلم كفيلسوف وكلاهوتي وكأخلاقي في آن واحد، فكان منهجه يقوم على الإيمان والحب، لا على الفلسفة والعقل. مما يبيّن تأثير فلسفة أفلوطين على أوغسطين عند استعراضنا للمذاهب الفلسفية خلال القرون الوسطى، يثبت وضوح هذا الأثر<sup>(5)</sup>، لقد لعب أوغسطين أوغسطين دورا مهمّا في تكوين اللاهوت الكاثوليكي استطاع أن يستخلص من الطّقوس التقليدية اعتقادات روحانية جعلته يربط علاقة الحب بين الإنسان والله، معتقدا أنّ الله نفسه تجسّد وتعذب

<sup>1</sup> - ينظر: علي زيعور: المرجع السابق، ص 133.

<sup>2</sup> - أرنولد توينبي: المرجع نفسه ، ج 2، ص 49.

<sup>3</sup> - علي زيعور: المرجع نفسه ، ص 153، نقلا عن: كتاب الإعترافات لأغسطينوس ، ص 480 - 481.

<sup>4</sup> - علي زيعور: المرجع السابق ، ص 265.

<sup>5</sup> - غسان خالد المرجع السابق، ص 8. حالته على: Etienne gilson\_ la philosophie au moyen âge

p : 7, 109, 121, 125, 174, 302, 354, 379.

- وينظر يوسف كرم: المرجع السابق ، ص 21.

لخلاص الإنسان ، وعلى الإنسان مقابل هذه التضحية أن يلبي نداء الحبّ إليه من الله ، وقيمة الإنسان تأتيه من كونه غرضاً لهذا الحب. وأوغسطين أبعد الآباء تأثيراً في الغرب، على الإطلاق، وطالما تشيّع له المفكّرون، مستقّمي الرأي كانوا أو هراطقة<sup>(1)</sup>.

وعلى منوال أفلوطين، يعتقد القديس أوغسطينوس أنّه: ((متى فرغت النفس إلى نفسها وانتظمت وتناغمت، وجمّلت، فستجترئ عندئذ على أن ترى الله، المنبع الذي منه تصدر كل حقيقة، بل والد كل حقيقة))<sup>(2)</sup>، فالنفس الإنسانية عند أوغسطين هي صورة الله: روحانيّتها تجعلها واحدة غير منقسمة كما أنّ الله واحد؛ والعقل والإرادة والذاكرة تجعلها ثلاثية في وحدتها ، كما أنّ الله ثالث. وليس في النفس قوى متميزة منها، وإنما هناك أفعال لها مختلفة<sup>3</sup>. وكان من دواعي تأليف أوغسطين لكتاب " مدينة الله " تنفيذاً لقول القائلين إنّ روما آمنت بالأرباب الوثنية فعاشت في القوّة والرّخاء عدة قرون، وآمنت بإله الدّين المسيحي فعجل إليها البوار بعد قرن أو قرنين<sup>(4)</sup>. وتحدث أوغسطين عن مدينة الله كأثما مدينتان إحداهما في السّماء والأخرى على الأرض، وهو لا يعني بمدينة السّماء سلطان الكنيسة ولا يعني بمدينة الأرض سلطان الملوك والأمرء، ولكنّه يعني بهما مدينتين مثاليتين بناهما الله والصّالحون من عباده بالتّقوى وعمل الخير والزّهد في الملذّات والشّهوات وقضاء الحياة في رعاية أوامر الله واجتناب نواهيه.. وأنّ النّاس في مدينة الأرض حجاج إلى مدينة السّماء أقربهم إليها من هانت عليه النّعمة الأرضية في سبيل النّعمة السّماوية الأبدية<sup>(5)</sup>. فكانت خلاصة فلسفة أوغسطين فلسفة مسيحية مسيحية متفرّعة المسائل كالمعرفة والنفس والعالم والله فنظر في هذه المسائل باعتبار بعضها أساساً للإيمان، وبعضها الآخر جوّءاً منه، فوضع منهجاً للانتقال من التّفكير في النفس إلى الإيمان، ومن الإيمان إلى التّعقل لا يتم بدون تطهير القلب بمعونة النعمة الإلهية ، أي أنّه عمل يشترك فيه العقل والإرادة<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - ميخائيل ضومط : توما الأكويني ، قادة الفكر ، ص ص 28-29.

<sup>2</sup> - اميل برهيه: المرجع السابق ، ج 3، ص 21 نقلاً عن : بوايه (في فكرة الحقيقة لدى القديس أوغسطينوس ص 190، و ص 199 ،

باريس 1920. de L'Idée vérité chez saint Augustin.

<sup>3</sup> - يوسف كرم : المرجع السابق ، ص 32. وما بعدها حول أصل ومصير النفس .

<sup>4</sup> - عباس محمود العقاد : فلاسفة الحكم في العصر الحديث ، ص 17.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه ، ص 18-19.

<sup>6</sup> - يوسف كرم : المرجع نفسه ، ص 50.

هذه هي أهم التيارات العقائدية والمذهبية التي عرفتها المسيحية في القرون الثلاثة الموالية لمجمع نيقية وخاصة القرنين الرابع والخامس للميلاد، كما أمكننا الإطلاع على بعض الظواهر التي تميّزت بها الكنيسة في هذه الفترة التاريخية وما عرفته من تطورات وما عرفته من خصومات ومفارقات حول مواضيع حسّاسة حول الثالوث والتجسّد والصّلب والفداء، تكفيرا للخطيئة البشرية وغيرها من العقائد المتعلقة بطبيعة المسيح وأمه، وبالروح القدس.

فالمسيحية لم تتعرض للتشريع ولا للسياسة الاجتماعية، لأنّها نشأت في بيئة ترجع بشرائعها المدنية إلى الدولة الرومانية التي قيل عنها أنّها أمّ الشرائع في الزّمن القديم، وترجع بشرائعها الدينية إلى الهيكل اليهودي الذي يطلق اسم الشريعة على الدّين كلّه، لأنّ الإعتقاد عنده قائم على التشريع، ومع هذا ظهرت في المسيحية دعوى الملوك الدّين أقاموا حكمهم على الحقّ الإلهي، وظهرت فيها مراسم للسلطة الدّينية أعمّ من سلطة الدين في غيرها<sup>(1)</sup>.

## مطلب 6: قانون الإيمان الكنسي ودوره في صياغة العقائد:

كان للإيمان المسيحي دور في تغذية العقيدة وتطورها وتنميتها داخل الوسط الوثني واليهودي المتشرب بالمذاهب والنظريات الدينية، وكان للفلاسفة دور في إنشاء مسائل الإيمان، وأصبحوا باحثين في علم اللاهوت متناولين قضايا التثليث، وتحوّل الخبز والخمر في طقوس القربان إلى لحم ودم المسيح. وكان أيضا لعلماء المسيحية دعم للفلسفة اليونانية وتفسير الإيمان وفق معطيات الفلسفة اليونانية، ومن هؤلاء العلماء "ترتوليان" و "لاكتانس" و "أوريجين" الذي عاش في القرن الثالث الميلادي، كرروا ما في المسيحية عما قام به "أفلوطين" قديما من تفسير لليهودية على أساس من الأفلاطونية و الرواقية<sup>(2)</sup>. حيث أن الإيمان هو الذي طور العقائد وهو الذي زودها بالإضافات التي أخذها من البيئات الدينية السابقة، فشكل عناصر صاغها في الدين الجديد، وهو ما حصل في الإيمان المسيحي، فقد قبل في عقيدته الانتقال من التوحيد إلى التعدد، وقبل الإضافات الإيمانية المتعلقة بشخصية المسيح ودوره في الحياة الدينية الإسرائيلية في محاولة من الأتباع في تقريبه من الله، وتدرجت الألفاظ التالية: الآب، والابن، والروح القدس، في شخصيات ثلاث راحت تحدد معالمها يوما بعد يوم تسير نحو التثليث والتخلي عن عقيدة التوحيد، وتفسير هذه الشخصيات على أنّها

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ص 130-131.

<sup>2</sup> - شارل جنبير: المصدر السابق، ص 155.

جانب جوهرى من جوانب الذات الإلهية الواحدة. نشأت عن هذا الإيمان مناقشات ترتب عنها صعوبات سببت صراعات داخل الكنيسة التي ظلت مضطربة حتى القرن الخامس الميلادي، حينها دخلت الكنيسة في متاهات من التعبيرات والنظريات اللاهوتية صعب على المنطق إدراك معالمها، كالقول بأن عيسى ابن الله ، فمنذ القرن الثاني للميلاد أصبحت هذه التصورات الإيمانية من المبادئ المعتمدة في المسيحية. والتي ترى بأن عيسى تبناه الله في نوع من التقمص ل: (اللوغوس)، على اعتبار) أنّ المسيح هو الله المنظم للعالم بإرادة الآب وبمعونة الروح لقدس<sup>(1)</sup>.

إنّ عناصر الإيمان المسيحي كان أكثرها نابعا من الميتافيزيقا الهيلينية لاستخدامها مصطلحاتها في التعبير عن العقيدة، وهذا التطور لقي معارضة من قبل المتشبتين بإيمان الحواريين، ومن المتبعين للمسيحية الأولى ذات الأصول اليهودية من أهل فلسطين وشمال نهر الأردن، والذين عيرتهم الكنائس الهيلينية بالفقراء تحقيرا لهم. وكما وقع من تطور للعقائد، صحبه تطور في الطقوس، فعرفت المسيحية في بدايتها طقوس القربان وتمثّلت في إطعام الخبز جماعة في دار أحد الإخوة من الحواريين الإثني عشر، غير أنّ هذه العادة أصبحت منذ القرن الثاني للميلاد تعرف ( القّداس) وهي تلك القراءات والصلوات الجماعية والدروس والتراتيل التي تقام حول تقديس الأصناف الإلهية التي وضعها بولس، ويكون القربان مشكّلا من خبز وخمر على أنّهما طعام معجز يعدّ له الفرد إعدادا نفسيا قبل تناوله، لأنّ فيه ذكرى موت الإله، فتشارك النفس في الذات الإلهية بتسرّب الإله أملا في عودة المسيح لإنشاء مملكة الله، ولم يعد الأمر يتعلّق بذكرى التضحية الأولى من أجل أنقاص البشر ، تلك التي تمّت على طريق الآلام، بل إنّ فكرة التضحية في المسيحية هو قطعة وثنية تعود إلى العبادات الشرقية الخاصّة بالآلهة الذين يموتون ثمّ يبعثون فيحتفل النّاس بموت المنقذ ويحتفلون بتمجيد بعثه<sup>(2)</sup>.

لقد تطوّر الإيمان في أمل عودة المسيح بعدما طال الأمد، إلى إمكانية بعث المسيح للإشراف على بعث المؤمنين يوم القيامة<sup>(3)</sup>، ويكون له الفضل على الجماعة التي تحتف باسمه حين القربان بل تكون على اتصال مباشر به بفضل تحوّل الخبز والخمر عن طريق الطقوس إلى لحم ودم عيسى<sup>(4)</sup>، وهذا ليس

<sup>1</sup> - شارل جنير: المصدر السابق، ص 157.

<sup>2</sup> - شارل جنير: المصدر السابق، ص 161.

<sup>3</sup> - ينظر: رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 15: 12: ((ولكن إن كان المسيح يكرزُ به أنّه قام من الأموات يقول قوم بينكم إن ليس قيامة أموات. فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم)).

<sup>4</sup> - جاء في نص لبولس أن المسيح أثناء طقوس القربان يتجسد ماديا وروحيا ، فجاء في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس 11: 23 قوله: ((لأنّي تسلّمت من الرّب ما سلّمتمكم أيضا إنّ الرّب يسوع في اللّيلة التي أُسليم فيها أخذ خبزا وشكر فكسّر وقال خذوا كلوا هذا هو

من اختراع بولس، بل الفكرة تعود إلى تراث المجتمع الهيليني حيث نشأت العقائد والمراسم والتنظيمات من تأليف عبادات الشرق من يهودية ومن أديان ذات أسرار، ومن فكر يوناني، كل ذلك شكّل فكرة التّحول للخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح.

وفي القرن الرابع للميلاد ساهمت الأبراطورية الرومانية في حثّ الناس على اعتناق المسيحية التي يترأسها (الأكليروس) الكنسي، الذي اتّجه فيما بعد إلى نظام الملكية البابوية، وتمكّن (قسطنطين) من مسك زمام القوتين السياسية والدينية ممكّنًا الكنيسة من تنظيم إدارتها على غرار تنظيمات الدولة نفسها من أساقفة وبطارقة وشمامسة، وتدرّجت الكنيسة في التدخل في التدابير السياسية ومشاعل الحياة الدنيوية حتى وصل بها الأمر إلى حد إهمالها لرسالتها وأسباب وجودها، وظلّت الفلسفة اليونانية تؤثر على الإيمان وعلى العادات والتقاليد في الكنيسة، وعرف أتباع المسيحية من الأفكار الميتافيزيقية المبنوثة في كتب الفلاسفة الأفلاطونيين وكتب (أوريجين).

وظفت إلى السطح الصّراعات والنزاعات خلال القرن الرابع والخامس العديد من المسائل منها: مسألة تحديد العلاقة بين الابن والأب في نطاق الثالوث، ومسألة الصورة التي بها تنسجم الخصائص الإلهية مع الخصائص البشرية في شخص المسيح، ومسألة أحقية مريم في لقب أم الله. واتسعت رقعة الصّراع وزاد عنفه خلال القرن الخامس والسادس بالشرق تمخّضت عنه مناقشات عقائدية، أمّا الغرب فلم يهتم بهذه المسائل إلّا عندما بدت وكأنّها تهدّد الوحدة الكاثوليكية من طرف فرق المانوية الفارسية، التي كان لها الدور في تطور الرّهبة المسيحية وفي نشر الفكر الغنوصي<sup>(1)</sup>. ومال عمّة النّاس إلى البساطة في التفكير دون إعمال للفكر والمنطق وعدم المبالاة بأوجه التعارض، فسيطرت عليهم الإحساسات والعواطف، ونزع إيمانهم الفطري إلى قبول الإضافات والخرافات، كما كانت معيشتهم لا تزال مشبّعة بالوثنية وبتقاليد الأجداد من طقوس قديمة ومعتقدات

= جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري، كذلك الكأس أيضا بعدما تعشّوا قائلًا هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلّمًا شربتم لذكري، فإنكم كلّمًا أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرّب إلى أن يجيء).<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: فرانسوا غريغوار: المذاهب الأخلاقية الكبرى، ص 64، وأنظر ص 66 إلى ص 67 كل من:

- المانوية نسبة إلى ماني الذي جاء في القرن الثالث الميلادي، والمانوية تشكّل تركيبة من الأفكار المزدكية والمسيحية. والمانوية يطلق اسمها على مذهب يقوم على مبدأين متعارضين وخالدين معًا: مفهوم الروح كمبدأ حيوي، بديل للجسد قادر على العيش زمنًا طويلًا مستقلًا عنه، ومبدأ قائم على أنّ كل كائن في الطبيعة يمتلك روحًا يمكن توجيه هذه الروح عن طريق الطقوس المناسبة (السحر).  
- أمّا المزدكية أو الزرادشتية التي ظهرت بين القرن العاشر قبل الميلاد، والسادس منه والتي تنسب إلى زرادشت فهي مذهب ثنوي ينصّ على وجود مبدأ للخير هو (مزدا) أو أهورامزدا والثاني (أهريمان) صاحب مبدأ الشر الذي يفسد كل شيء في الملة كما في الروح.

وثنية لم يستطيعوا التمييز بينها وبين الدين الخالص ، فقبلوا أن يكون عيسى هو (الله)، ونسجوا عن مولده وحياته أكثر المعجزات وشاركوا عبادة مريم إلى جانب عبادة القديسين، فأصبح الأمر أشبه شيء بالدين المتعدد الآلهة تغذيه أساطير أبطال الوثنية في كثير من الأحوال<sup>(1)</sup>. وسجل التاريخ في القرن الخامس كثرة الزهبان وانتشارهم في الأمصار وميلهم إلى تجنّب ملذّات الحياة، واتخاذ المواقف العنيفة حول عقائدهم، ومنها تلك العبادات الخاصة بالعدراء وتقديس القديسين المتخصّصين.

اختلفت مسيحية الجيل الأول التي أقيمت بإقليم الجليل - التي اتّصفت بالتواضع والدعوة والتبشير بالنبأ الطيب ، نبأ حلول مملكة الله - عن مسيحية القرون الوسطى التي جاءت ومعها الحياة الوثنية في ميدان الفلسفة والدين بكل التناقضات الموجودة فيها من انتصار على روح الحقّ الذي بشر به المسيح، فانهمز إيمان الحواريين خلال القرن الرابع أمام إيمان الكنيسة المتلبّس بالحياة اليونانية الرومانية، وقويت الكنيسة ونما سلطانها في القرن الخامس حتى أصبحت وريثة الأباطورية في السياسة والدين، مشاركة ديانات عالمية راحت تفسر الوجود والحياة بعقل متماثلة، وتزعم إخراج الإنسان من ظروف حياته الوضيعة إلى الخلاص الخالد في الله، وهذه الديانات هي الأفلاطونية الحديثة والمانوية<sup>(2)</sup>. كما ساد الاعتقاد بأن الكتب الدينية لها تفسيرين: أحدهما صوفي مخصّص لخاصّة الناس، والآخر حربي معدّ لسائر الناس، وكلا التفسيرين يهدفان إلى التبشير بالخلاص للجميع حتى لخلاص الشياطين في نهاية الأمر<sup>(3)</sup>. كما حاول بعض منظري المسيحية التوفيق والتأويل بين النصوص والمعاني في شكل وجهات نظر مختلفة أدّت إلى إطلاق الحكم بالكفر لإحدى الوجهات على الأخرى خصوصا في مسألة طبيعة المسيح ، حيث نشر "آريوس" في الإسكندرية أنّ المسيح إنسان حادث، ونشر "نسطور" في سورية القول بالطبيعة الإلهية في المسيح. وبعد آريوس ونسطور اللذان تعارضا وتناقضا في أطروحاتهما اللاهوتية، واللذان يعدّان من التلاميذ الأقوياء اللذان جاءا بعد "أوريجين" ، يخلفهما في القرن الرابع للميلاد شخصية قوية أخرى تزيد في هوة الصراع والاختلاف بين الكنائس حول تفسير المقصود بكلمات: الآب، والابن ، والرّوح القدس، وحول مسألة (الكلمة) ، وغيرها من

<sup>1</sup> - شارل جنير: المسيحية نشأتها وتطورها ، ص 189.

<sup>2</sup> - شارل جنير المصدر نفسه، ص 200. ويقول المؤلف في ص 201 عن المانوية أنّها: تنسب إلى ماني الذي ولد في بابل سنة 215 م أو 216 م ، ومات ببلاد فارس ما بين 275 م وعام 277 م ، وكانت عقيدته تستند إلى الثنائية الكلدانية، وهب الصراع بين النور والظلام، وبين الخير والشر، وبين الروح والمادة، وقد ساهمت الغنوصية في تشكيل دعائمها الكبرى.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد: الله . جل جلاله ، ص 172. يشير العقاد إلى أن صاحب هذا التفسير هو "أوريجين".

الأوصاف الإلهية التي وردت في الأناجيل وهي: هل الابن مساو للآب؟ وهل هو ذو طبيعة واحدة أو ذا طبيعتين إلهية وإنسانية؟ وهل هو إله أو إنسان مفضّل على سائر البشر؟ وهل يصدر الرّوح القدس من الآب وحده أو من الآب والابن معا؟ وهل المسيح هو الكلمة أو هو الابن فقط؟ أو أنّ الكلمة والابن مترادفان؟ أو أنّ الكلمة هي الآب والإله؟ هذا الشخص هو القديس "أوغسطين".

وتكاد تتفق المذاهب المسيحية التي ظهرت عبر التاريخ قبل انقضاء القرن الرابع والخامس أنّها متّفقة على الوجدانية ولكنّها مختلفة في أقانيم الثالوث، الذي تتفق آراء كثيرة عليه أنّه جوهر واحد، وأنّ للكلمة والآب وجود واحد، والقول بالآب لا تدلّ على ذات منفصلة عن الابن وعن الرّوح القدس لأنّه لا انفصال ولا تركيب في الذات الإلهية. وكأنّ الشّبه في تعدّد الأقانيم كالشأن في تعدّد الصّفات، ولم تفصل المجامع الكنسية في موضوع التفسيرات حول أقانيم الثالوث حتى حلول القرن السادس عشر<sup>(1)</sup>. وبقي الخلاف بين الكنيسة الشرقية والغربية حول مسألة الرّوح القدس وحول علاقته بالابن والآب، فرأت الكنيسة الشرقية أنّه يصدر من الآب وحده، بينما رأت الغربية أنّ روح القدس يصدر من الآب والابن معا على حدّ لسواء<sup>(2)</sup>. وتزداد بحوث الفكر اللاهوتي المسيحي عند "أوغسطين" في القرن الرابع حول حقيقة الله والنفس والعبادة، بعدما اطّلع على المانوية في مرحلة شبابه والتي لم يعجبه منها تسليمها بقوة الشر، نافية أنّ يكون الله صانعا للشر، وإنّما يبطل الله الخير ولا يصنع الشر.

وفي مسألة تحكيم العقل في القضايا الدينية ذهب إلى أنّ العقل وحده لا يهدي إلى الله في غياب الإيمان، فعلى المؤمن أن يصدّق مالا يراه. ويقرر أنّ خلق الله للعالم في ستّة أيام لا تفهم على الظاهر بل على المعنى، لأنّ اليوم من أيّام الخلق غير اليوم الذي نحسبه من تعاقب الليل والنهار<sup>(3)</sup>، التي خلقت في اليوم الرابع.

وفي مسألة الثالوث يذهب إلى أنّ الجوهر الواحد يضم الآب والابن وروح القدس بالرغم أنّ كل واحد من الأقانيم هو ذات بنفسه، ولكنّهم هم متّحدون كاتحاد نور النّار ولهبها.

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: المرجع السابق، ص 173. في هذه الفترة التاريخية راح علماء اللاهوت المسيحي يعيدون النّظر حول التعبيرات القديمة في مسألة الطبيعة الإلهية فتمّ نفي عن المسيح كل صفة إلهية وظهرت مذاهب موحدة مقرّرة أنّ الإله لا يحل في البشر وأنّ المسيح إنسان كسائر النّاس، ومن مذاهب ذلك العصر مذهب (سوسينس البولوني).

<sup>2</sup> - ينظر: محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص 197 وتناوله لأساس إنقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية حول طبيعة روح القدس.

<sup>3</sup> - ينظر: سفر التكوين 1: 14-19

## الباب الثالث

الفصل الثاني : مظاهر التطور في العقائد المسيحية.

المبحث الأول: ظهور المجامع والفرق العقائدية

مطلب 1: ظهور المجامع الكنسية.

مطلب 2: ظهور الكنائس الأرثوذكسية.

مطلب 3: ظهور الفرق العقائدية وهي:

أ- الغنوصية.

ب- المرقيونية.

ت- المونتانية.

المبحث الثاني: مظاهر التطور:

مطلب 1: تعدد الأناجيل.

مطلب 2: انتشار الرهبنة.

مطلب 3: تغلغل العادات الشعبية في الكنيسة.

المبحث الثالث: نتائج التطور في العقائد المسيحية.

مطلب 1: القول بعقيدة الفداء.

مطلب 2: - القول بعقيدة الصلب.

مطلب 3: القول بعقيدة القيامة.

المبحث الرابع: أركان العقيدة المسيحية بعد تطورها.

مطلب 1- القول بعقيدة التثليث.

مطلب 2- القول بعقيدة التجسد.

أ- من هو المتجسد؟

ب- كيف تم الإتحاد والتجسد؟

ت- طبيعة الإتحاد والتجسد.

**مطلب 3-** تطور القول بطبيعة المسيح عند الفرق.

أ- عند فرقة الملكانية.

ب- عند فرقة النسطورية.

ت- عند فرقة اليعقوبية.

**مطلب 4-** صور التجسد عند الفرق المسيحية.

أ- التجسد عند الملكانية.

ب- التجسد عند النسطورية.

ت- التجسد عند اليعقوبية.

ث- التجسد عند الأريوسية.

ج- التجسد عند المارونية.

**مطلب 5-** مبررات الإعتقاد في التجسد عند المسيحيين.

**مطلب 6-** معنى الأقانيم والثالوث.

**المبحث الخامس: تطور عقيدة تأليه المسيح.**

**مطلب 1-** منشأ القول بتأليه المسيح وتطوره.

**مطلب 2-** منشأ القول بتأليه الروح القدس وتطوره.

**مطلب 3-** أدلة بطلان العقائد المسيحية .

**المبحث السادس: عوائق فهم العقائد المسيحية.**

**مطلب 1:** القول بتطور العقيدة.

**مطلب 2-** مسألة القضاء والقدر والحياة بعد الموت.

**مطلب 3:** مسألة التحريف والتأويل.

**مطلب 4-** عرض مسألة الفداء:

أ- مسألة الفداء.

ب- مسألة الصلب.

ت- مسألة الخلاص وموت الإله.

## الفصل الثاني: مظاهر التطور في العقائد المسيحية.

المبحث الأول: ظهور المجامع والفرق العقائدية:

مطلب 1: ظهور المجامع الكنسية:

لما اشتدّ الصّراع بين المسيحيين وكثرت اختلافاتهم في العقيدة أراد "قسطنطين" حسمه بأن عقد مجمع "نيقية" سنة 325م ضمّ 2048 أسقفا من جميع أنحاء العالم لتحديد من هو المسيح؟ ويخرج المجمع بقرار يؤيّد 317 أسقفا بأنّ المسيح -عليه السّلام "إنسان" وعلى رأسهم "أريوس"، غير أنّ إدراك "أثناسيوس" الشّماس بكنيسة الإسكندرية بالأفكار الوثنية عند "قسطنطين" الذي عبد إله الشّمس الذي لا يقهر<sup>(1)</sup>، راح يشيع بأنّ المسيح هو "الإله المتجسد"، وزاد المجمع عن ذلك منع تداول الكتاب المقدس، وأنّ الدّين يقوم بتلقيه سوى القساوسة فقط، وبهذه القرارات ضاع الإنجيل المقدّس بلغته الآرامية الأصلية وبدأ التّثبيت لعقيدة التّثليث<sup>(2)</sup>.

وفي مجمع القسطنطينية المنعقد سنة 381م والذي حضره 150 أسقفا راح يبحث في أنّ الروح القدس هو إله من جوهر الله، فكان بحقّ هذا المجمع هو المكمل لعقيدة التّثليث التي بدأت بمجمع نيقية، وأنّ الآب والإبن إلهان، ليدخل الروح القدس كإله ثالث في مجمع القسطنطينية 381م. وكانت قرارات المجمعين وما بعدهما في أغلبها تحت التهديد والوعيد، وحتى لا يحدث شرح كبير في التّصورات ذهب البعض إلى حلّ الوسط بين الموحّدين والوثنيين بالقول أنّ التّثليث هو واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد، فهو واحد لمن أراد أو هو ثلاثة لمن أراد أيضا.

وما نستخلصه من قرارات هذين المجمعين أنّ هذه الأفكار والتفسيرات لم يقل بها عيسى -عليه السّلام وليست وحيا من الله بل هي من اختراع الإمبراطور ومن معه من المتملّقين القساوسة والشمامسة، فتشكّلت عقيدة التّثليث وتمّ وضع قانون الإيمان المسيحي الذي نال رضا الإمبراطور لقربه من أفكاره الوثنية، ولقرب هذا التّصوّر أيضا من عقيدة الهنود في الشّمس فجاء نص الإيمان: ((نؤمن بإله واحد، وآب ضابط الكل، خالق السماوات والأرض كل ما يرى ولا يرى، ووبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء الذي من أصلنا نحن البشر، ومن أجل

<sup>1</sup> - هارولد. آيدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ص 160.

<sup>2</sup> - أرنولد توينبي: تاريخ البشرية ، ج2، ص 60 وما يليها أنظر في حديثه عن المجامع الكنسية وموقفها من طبيعة المسيح .

خلاص نفوسنا نزل من السماء، وتجدد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس (صار إنساناً) وصلب في عهد "بيلاطس النبطي" وتآلم وقبر وأيضاً أتى في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس ملكه انقضاء<sup>(1)</sup>.

وجاء عن "شريف هاشم" قوله عن اتفاق قانون الإيمان مع قانون الإيمان في عقيدة الهنود: ((نؤمن بـ "سافستري": أي (الشمس) إله واحد ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، والابن الوحيد آتي) أي التّار نور من نور، مولود غير مخلوق، تجسد من (فايو) أي (الروح) في بطن مايا أي (العذراء) ونؤمن (بفايو) الروح الحي، المنبثق من الأب والابن الذي هو مع الأب والابن يسجد له ويمجد<sup>(2)</sup>)).

## مطلب 2: ظهور الكنائس ومنها: الأرثوذكسية:

ظهور الكنائس الأرثوذكسية ومنها بالأخص القبطية المصرية، والتي عرفت بالكنيسة "المرقسية"، أو كنيسة الإسكندرية، وأسّسها مرقس الرسول عام 45م وانفصلت عن الكنيسة القسطنطينية لما أعلن بطريك الإسكندرية "كيرلس" عام 412م التمرد على إمبراطور القسطنطينية. وقد كانت بوادر الانفصال منذ عام 381م لما أعلن الإمبراطور "ثيودوسيوس" كنيسة القسطنطينية ككنيسة رسمية للإمبراطورية الشرقية، ومّا زاد الأمر تدهوراً بين الكنيسة القبطية والقسطنطينية لما أعلن "نسطور" أسقف القسطنطينية مقالته التي هاجمها "كيرلس" بطريك الإسكندرية في مجمع أفسس سنة 431م، مما استطاع أن يجمع حوله الآراء التي أصدرت في حقّ نسطور اللعن والطرده، لأنّ نسطور بطريك القسطنطينية كان قد أصرّ على النّاحية البشرية في الإبن، بأن رفض تسمية العذراء أمّ الله. ومن ثمّ فقد وصمّ التّساطرة بأنهم أصحاب الطبيعتين: أي المؤمنون بأنّ الإبن كانت له طبيعتان غير متحدتين<sup>(3)</sup>، وحدث أيضاً أن أعيد إثارة مقالة "نسطور" من طرف بطريك القسطنطينية "فلافيانوس" في مجمع أفسس عام 449م وتصدّى لها أيضاً بطريك الإسكندرية "ديسقورس"، هذا الأخير الذي عقد مجمع من أجله سنة 451م ويعرف بمجمع خلقدونية والذي

<sup>1</sup> - ينظر نص قانون الإيمان عند: القاضي عبد الجبار: تبييت دلائل النبوة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 94، وص ص 162-163. صحيفة (الأمانة) أو (تسيحة الإيمان) أو (شريعة الإيمان) هذه هي تسمياتها.

<sup>2</sup> - شريف محمد هاشم: الإسلام والمسيحية في الميزان، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط1: 1988 ص 259.

<sup>3</sup> - أرنولد توينبي: المرجع السابق، ج 2، ص 61.

يلعن ويطرد فيه "ديسقورس" بل ألغى أعمال أو قرارات المجمع المنعقد في أفسس سنة 449م ، وأعلن أنّ للمسيح طبيعتين : الإلهية والبشرية اتّحدتا في شخص واحد، ((فأصحاب الطبيعة الواحدة وصف الخلقيدونيين بأنهم من أصحاب الطبيعتين القريبتين من النّاسطرة ، وملكيين ، أي أتباع الحكم الروماني الأمبراطوري ))<sup>(1)</sup>، ويبدأ الاضطهاد لكنيسة الإسكندرية المصرية القبطية من طرف أتباع كنيسة القسطنطينية ، وظل الحال على حاله حتى سنة 482م أين تم تعيين أسقف للكنيسة المصرية مستقلا عن تدخلات الإمبراطور بالقسطنطينية ، ولما تولى " هرقل المقوقس " حكم مصر بعد استردادها من الفرس عام 628م عاد الاضطهاد لكنيسة مصر ويتم تثبيت عقيدة الإيمان بمذهب الطبيعتين والمشيئتين للمسيح، وهذا ما دفع ببطريك الإسكندرية " بنيامين " بالهروب إلى الصّحراء ومعه الأساقفة لاجئين إلى الجبال والبراري فرارا بعقيدتهم. وأصبحت فيما بعد تضم هذه الكنيسة كنائس الحبشة والسودان وساد اعتقادها اعتقاد كنائس الأرمن واليعقوبية التي تنسب إلى يعقوب البردعي ، القائلتين بالطبيعة الواحدة<sup>(2)</sup>.

والأرثوذكسية وهي أحد الكنائس الثلاث الرئيسية في المسيحية والتي انفصلت عن الكنيسة الغربية الكاثوليكية بشكل نهائي سنة 1054 م، وكنيسة الأرثوذكس لا تعترف بسلطة بابا روما، ولا تعتقد بعصمته. وقد سمّت بالكنيسة الأرثوذكسية القسطنطينية أو الكنيسة الشرقية، بمعنى مستقيمة المعتقد، وأنّ لا سلطة لبابا روما عليها وتذهب الكنيسة الأرثوذكسية إلى القول بأنّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين، وبالقول أنّ روح القدس منبثق عن الآب الواحد، مما تتفق بذلك مع الكنيسة الغربية الكاثوليكية، وبعد مجمع القسطنطينية سنة 879م أصبحت هذه الكنيسة كنيستان رئيسيتان. فالكنائس الأرثوذكسية الشرقية، وهي على خلاف مع ما تعتقده الكنيسة المصرية القبطية الإسكندرية حول طبيعة المسيح ومتّفقة مع الكنيسة الغربية من أنّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين وتشارك مع القبطية في القول بأنّ الروح القدس منبثق من الآب .

وما إن لاحت الفتوحات الإسلامية بآفاقها انطلقا من الجزيرة العربية فإنّ الكنيسة القبطية الإسكندرية المصرية رحّبت بهذا الفتح فرارا من ظلم واضطهاد إخوانهم المسيحيين من الإمبراطورية البيزنطية، ولما وصل الإسلام إلى مصر بقيادة " عمر بن العاص " رضي الله عنه حتى قام بإعادة

<sup>1</sup> - أرنولد توينبي : المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 62.

<sup>2</sup> - أرنولد توينبي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 62. لقد عين يعقوب البردعي اسقفا لاديسا (543م) بناء على رغبة ملحّة من الحارث الأمير الغساني الذي كان المشرف على المناطق الشرقية للمبراطورية الرومانية .

"بنيامين" على رأس الكنيسة ولاحظ المسيحيون المصريون ما جاء به الإسلام من عدل وسماحة، بل شاركهم المسلمون في بعض وظائف الدولة مما فتح قلوبهم لقبول الإسلام والدخول فيه، بل عمد المسيحيون على الإقبال الكبير على اللغة العربية. وتمثلت شرع الكنيسة الأرثوذكسية فيما يلي:

1- الصلاة: ويعتقد الأرثوذكس بوجود سبع صلوات وهي: صلاة باكر والتي يسمونها صلاة السحر، وتقام في الفجر، وصلاتها: ((تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح إلهنا أيها الربّ خروف الله ارحمنا أنت وحدك القدوس))<sup>(1)</sup>.

والصلاة الثالثة وتقام التاسعة صباحا، وصلاة السادسة وتقام ظهرا، وصلاة التاسعة وتقام حوالي الثالثة بعد الظهر، وصلاة الغروب، وصلاة النوم، وصلاة نصف الليل وتقام على دفعات<sup>(2)</sup>.

والصلاة إما تكون فردية أو جماعية وهي عبارة عن دعاء بهيئة معينة، ولا تستخدم الآلات الموسيقية في الترانيم الكنسية، ولا يقام فيها القداس يوميا.

2- الصوم: وهو الإمتناع عن الأكل حتى الغروب، ويعفى منه خمس: المرضى، الشيخ والمرأة العجوز، والأطفال أقل من 12 سنة، والمرأة الحامل، والمرضع، ويمتنعون عن أكل اللحوم وأنواعها ومستخرجاتها ويقتصر على ما تنبت الأرض. وأنواع الصوم هي: الصوم الكبير السابق لعيد القيامة، والصوم السابق لعيد الميلاد، صوم يونان، صوم الرّسل، صوم السيّدة العذراء.

3- الأعياد في الأرثوذكسية:

أ- أعياد سيديّة كبرى.

ب- أعياد سيديّة صغرى وكنيسة الأقباط.

ت- أعياد القديسين والشهداء.

ج- عيد ميلاد المسيح في اليوم السادس من يناير.

4- درجات الكهنوت في الكنيسة الأرثوذكسية: يقوم على رأسها، البابا، البطريك، ثم المطارنة، ثم الأساقفة، ثم القمامصة، ثم القساوسة، ثم الشماسة.

5- الرهبنة في الأرثوذكسية:

<sup>1</sup> - القرافي: الأجابة الفاخرة، ص 137، ويقول: ( فسموه أولا الربّ، ثم جعلوه خروف الله، وليت شعري ما مناسبة الخروف للربوبية حتى يسمي له العالم خروفا، ثم جعلوه وحده هو القدوس المتعالي، وهو هذا الخروف الذي لله تعالى) - نفس المرجع والصفحة.

<sup>2</sup> - ينظر: القرافي: المرجع نفسه، من ص 138 - 140 بدءا بالسؤال السابع والستون حتى السؤال الرابع والسبعون وفيها صيغ كل صلاة في الكنيسة المسيحية.

وهي سبع مقامات روحية وهي على نوعين: رهبنة فردية ورهبنة ديرية، فالكنيسة الأرثوذكسية تقبل زواج الكهنة إذا تزوجوا قبل دخولهم في الرتب الكنسية ولا تسمح بزواج الكهنة بعد وفاة الزوجة الثانية. وفي حديث "لعلي عبد الواحد وافي" عن وحدة الزوج والزوجة كليهما، وهو النظام الذي لا يصح بمقتضاه أن يكون للرجل أكثر من زوجة واحدة في وقت واحد ولا للمرأة أكثر من زوج واحد كذلك، بقول: ((وقد جعلته المسيحية المثل الأعلى للزواج، وإن لم يرد في الإنجيل نص صريح يدل على تحريم تعدد الزوجات. وإذا كان قدامى المسيحيين قد ساروا على نظام وحدة الزوجة فما ذاك إلا لأن معظم الأمم الأوروبية التي انتشرت فيها المسيحية في أول الأمر، وهم اليونانيون والرومان ومن إليهم، كانت تقاليدها تحرم تعدد الزوجات، وقد سارت بعد اعتناقها المسيحية على ما وجدت عليه آباءها من قبل))<sup>(1)</sup>.

فلم تكن وحدة الزوجة الواحدة نظاما جديدا جاءت به المسيحية وإنما كان نظاما قديما في الشعوب الوثنية، غير أن الأوضاع الكنسية المسيحية الكاثوليكية قد استقرت الآن على تحريم التعدد واعتبرته من تعاليم الدين يجب التمسك به. إن ترك الزواج في المسيحية بدعوى التسك والقربات يعرض النساء والرجال للزنا والفساد في بيوت العبادات، حتى الإنجيل يجعل على لسان المسيح من طلق زوجته باطلا فقد عرضها للزنا فقد نهي عن الطلاق بغير سبب يوجبه، وأمر بدوام الزوجية عند عدم سبب الفراق<sup>(2)</sup>.

#### 6- مواقع انتشار الكنيسة الأرثوذكسية:

- أ- الكنائس الأرثوذكسية اليونانية: تركيا، اليونان، روسيا، دول البلقان، المجر، رومانيا، بيت المقدس.
- ب- كنيسة مصر ونفوذها في مصر ويتبعها نصارى الحبشة، والسودان، وفي العصر الحديث أنشأت لها كنائس بكل من كينيا وليبيا والجزائر والكويت والعراق والإمارات والبحرين بلاد الشام، فلسطين، الأردن، لبنان، أمريكا الشمالية في كل من استراليا ودول أوروبا كالنمسا وفرنسا.
- ت- الأرمن وتتفق كنيستهم مع الأرثوذكس المصرية في الأفكار والمعتقدات وإن كان لها خصوصياتها.
- ث- اليعقوبية وتتفق مع الأرثوذكس وأن للمسيح طبيعة واحدة وهم بالعراق وبطريقهم يقيم في حمص بسوريا.

<sup>1</sup> - الأسرة والمجتمع ، ط6 ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، 1966م ، ص 87.

<sup>2</sup> - القرافي : المرجع السابق ، ص 132-133.

## 7 - علاقة الكنيسة بنظام الإقطاع:

ظل المجتمع المسيحي في العصور الوسطى يسوده نظام الإقطاع الذي تتحكم فيه طبقة من النبلاء الذين يتولون الحكم ويمتلكون الإقطاعات الكبيرة، أما طبقة عامة الشعب فيشتغلون في الحقول ، وهناك طبقة ثالثة هي طبقة رجال الدين ، فالكنيسة في مجتمع العصور الوسطى لم يكن لها وظيفة دفاعية أو إنتاجية وإنما وظيفتها كانت مرتبطة فقط بالجوانب الدينية.

ويذهب "جون هارمان راندال": أنّ المجتمع الإقطاعي كان يشكّل من الناحية النظرية هرما منسّقاً متناسقاً ، كل صاحب أرض فيه يدين بولائه لمالك أعلى منه، وهذا بدوره يخضع لسياد فوقه، وهؤلاء يرتبطون بسيد فوقهم إلى أن نصل إلى القمة حيث يوجد الملك الذي تحدّرت حقوقه إليه من الله برعاية الكنيسة<sup>(1)</sup>، فكان مجتمع العصور الوسطى قد تشكّل من ثلاث طبقات ، طبقة النبلاء وطبقة رجال الدين، وطبقة عامة الشعب، وفي مجتمع العصور الوسطى كانت الكنيسة هي المؤسسة المركزية المؤثّرة داخل المجتمع، وذلك باعتبارها مؤسسة دينية تهتمّ بالأهداف والقيم ، هذا بالإضافة أنّها كانت تتمتع بمكانة عالية ترتبط بثقافة العصور القديمة، وكان رجال الدين هم فقط الفئة المتعلّمة في المجتمع لذلك كانت للكنيسة سطوة وسيطرة ثقافية وأخلاقية، واحتلّت القيم الدينية صدارة الثقافة الأوروبية، وكانت الكنيسة في مجتمع العصور الوسطى مؤسسة ذات تدرّج داخلي فهي تضم كبار رجال الدين وهم العنصر الفعّال ثم صغار رجال الدين، وهم يشكّلون الأغلبية غير الفعّالة.

فالتبقة العليا من رجال الدين التي تضمّ الأساقفة ورؤساء الأديرة ورجال الدين ينتمون إلى الطبقات العليا في المجتمع كما أنّهم أعضاء في الأديرة الرهبانية التي كانت من أهم الجماعات الدينية في ذلك الوقت ، فتول سامية الخشاب : ((إنّ كبار رجال الدين كانوا أصحاب روابط دموية قوية بطبقة النبلاء))<sup>(2)</sup> ، والأكثر من ذلك أنّ الكنيسة حققت ثروات كبيرة نتيجة الهدايا والهبات التي كانت تمنح لها ، ومن هنا دخلت الكنيسة في علاقة قوية مع الإقطاع ، ولهذا ارتبط كبار رجال الدين بالطبقات العليا في المجتمع بروابط المصالح المتبادلة، أما صغار رجال الدين فقد ارتبطوا بالطبقات الدنيا في المجتمع.

<sup>1</sup> - جون هارمان راندال : تكوين العقل الحديث، ترجمة: جورج طعمة، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ ، ص 189.

<sup>2</sup> - سامية مصطفى الخشاب : دراسات في الاجتماع الديني ، ص 106-107.

### مطلب 3: ظهور الفرق العقائدية:

أ- الغنوصية<sup>(1)</sup>: وهي تسمية يونانية gnosis معناه " معرفة أو أدرية" والغنوصية مذهب لشيعة كالفلسفة، ومبدؤها أنّ العرفان الحقّ ليس العلم بواسطة المعاني المجردة والإستدلال كالفلسفة، وإنما هو العرفان الحدسي التجريبي الحاصل عن اتّحاد العارف بالمعروف . وأما غايتها فهي الوصول إلى عرفان الله على هذا التّحو، بكل ما في النفس من قوة حدس وعاطفة خيال. وهي من أقدم النّحل الفلسفية التي راجت أطروحاتها بعد اليهودية والمسيحية، فمذهب الغنوصية تشرب من العقائد الجوسية واليهودية والوثنية الإغريقية<sup>(2)</sup>، كما أخذت الغنوصية عقائدها من الفكر الفلسفي اليوناني، ((فأخذت من فلسفة فيلون وأفلوطين الجانب التصوفي في الوصول إلى المعرفة الإلهية أي معرفة الإله والكون معا هبة من الله ، ولكن لا بد للوصول إليها من رياضة خاصة وتأمّل في الذات الإلهية ))<sup>(3)</sup>. وبمجرد انتشار الدّعوة المسيحية أدخل الغنوصيون في مذهبهم عقيدة البنوة الإلهية، وعقيدة الخلاص بالتوافق بين الفلسفة والدين. وقد أعطى الدفع القويّ لهذه النّحلة بعد المسيحية هو الفيلسوف "فالنتينوس" الإغريقي الذي عاش في مصر ، وأحد مؤسسي مدارس التعليم الخاصّة بالمذهب في روما ، والتي كانت تدرس الفلسفة المعرفية نسبة إلى المذهب، وتتلخص عقيدتها في أنّ عالم الغيب أو العالم غير المرئي وجد فيه منذ الأزل الأب السرمدي ومعه الصّمت المطلق والحقيقة الأبدية، وأنّ الأب السرمدي أودع العقل في الصمت. ومن ثم كانت أصول القدم أربعة كما في مذهب قيثاغورس وهي: الأب والصمت والحقيقة والعقل أو ( الكلمة) .وأخذت الغنوصية من الجوسية إيمانها بعنصري النور والظلام، وأن حجاب الظلام تحول بين الإنسان وبين رؤية الله، وأنها سبعة آلاف حجاب تمر بها الروح الإنسانية في هبوطها من العالم الأعلى إلى عالم الفساد. كما أخذت من البوذية فكرة (التيرفانا) القائمة على التركيز والتأمل لتحقيق النّجاة أو الخلاص، عن طريق الأفعال الصالحة، وعدم الإعتداء أو سلب شيئاً في حياته، وأنّ يمتنع عن تعاطي المسكرات ، ويتجنب الكذب والسرقة، وأنّ يتعد عن

<sup>1</sup> - هارولد. آيدرس بل: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، الهامش ص 131.

<sup>2</sup> - عبد العزيز النعالي : محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، ص 133 وقد أعطى تعريفاً دقيقاً للغنوصية .

<sup>3</sup> - مصطفى العبادي: الأمبراطورية الرومانية ، ص 234. وقد أحالنا المؤلف عن عرض قيم للبيئة الدينية في مصر قبل المسيحية عن هذا

المذهب الغنوصي وعند ظهوره، في كتاب: H.I.Bell . Cults and Greeds in Greco\_Roman Egypt(1953).

النحاسة، وإذا كان يأمل في بلوغ ( التيرفانا ) يجب عليه أن يعي جيّدا ما يطلق عليه : الحقائق الأربع النبيلة<sup>(1)</sup>:

الحقيقة الأولى: الحياة بأسرها كثيية.

الحقيقة الثانية: تعزى الكآبة للإشتهاء.

الحقيقة الثالثة: إمكان القضاء على الكآبة ، إن أمكن ضد الاشتهاء.

الحقيقة الرابعة: يتيسر صد الاشتهاء بترويض النفس وقمع النزعات عن طريق حياة طابعها العزلة والتأمل. وهذه الحقائق الأربع: جزء مما يعرف (بالكارما) وهي كلمة سنسكريتية تعني حرفيا تشريع المذهب<sup>(2)</sup>. وعملها وهي في ثوب الجسد أن تشقّ هذه الحجب وترتفع إلى نور الله من جديد، ونشأ الشر بخروج روح من الأرواح العلوية من عالم النور إلى عالم الظلام، وهذه هي الخطيئة الأصلية ولا سبيل للخلاص منها إلا بالمعرفة، فهي السبيل إلى الخلاص والرجعة إلى الله.

وتؤمن الغنوصية كغيرها بتعدد الأرباب في ظل وجود إله أكبر هو الآب السرمدي ، مع وجود آلهة بمثابة أرواح نورانية أو أرواح ظلامية ومعهم إله العهد القديم. وفي القرن الثاني الميلادي تطوّرت التيارات الفكرية السائدة في فلسطين وفي البيئات المحيطة بها لتندرج جميعا تحت اسم الغنوصية التي تعني باليونانية (المعرفة) (GNOSIS) والتي كانت معروفة قبل ظهور المسيح، وزاد نشاطها بعده لما كانت تؤمن به من فكر ثنوي ينشد الفرد فيها الخلاص بالفرار من هذا العالم ولا يجب التقيّد بنصوص العهد القديم ، وتنظر إلى المسيح أنّه كائن سماوي وليس بشري، وما رسالته إلا دعوة للروح البشرية تدعوها للالتحاق بموطنها الحقيقي السرمدي.

إنّ المعتقدات التي نشرتها الغنوصية في القرن الثاني كانت خطيرة بمكان، كذهابها إلى التشكيك في الرسل ، معتبرة أنّ المسيح لما جاء بأسرار لم يكشفها للناس، وأنّ رسالته قد حرّفت عن قصد، وأنّه لم يصلب ولم يتألّم في رأي بعض أفرادها، فلا يجب الإيمان بالمسيح المصلوب بقدر ما

<sup>1</sup> - فؤاد محمد شبل : حكمة الصين ، دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور، ص 331. ويعرّف المؤلف الترفانا

بالإستنارة ، وتتمّ عن طريق ثلاث مراحل :

الأولى: اعتناق آراء قويمية عن طبيعة الوجود.

الثانية: تطبيق نظام محكم للسلوك الخلفي.

الثالثة: التركيز والتأمل . وتعني كلمة " نيرفانا" - حرفيا- الإطفاء بالنفخ ( مثلما تطفئ القناديل) وفي التيرفانا تمّحي فكرة وجود فرد

أو شخصية أو ذات، ولا شيء يتجدد ، فالترفانا هي الملائشة والإفناء للفرد.

<sup>2</sup> - فؤاد محمد شبل: المرجع نفسه ، ص 328.

يجب الإيمان بعيسى مبعوث الآب، وأنّ المسيح هو إله المسيحيين الأوحد<sup>1</sup>، فراح الغنوصيون خلال القرن الثاني يرشحون أنفسهم كممثلين للنفوس المتعطّشة للزاد الروحي مدّعين المعرفة الكاملة في ظل فقدان الكنيسة لأدوات الدفاع والإقناع والتنظيم ، ممّا جعلها في وضع لا تحسد عليه بين تطاحن آراء الفرق الأخرى من مثل المرقيونية والمونثانية.

والغنوصيون المسيحيون يقيمون الثنائية على ما يزعمون من تعارض بين التوراة والإنجيل، إذ يقولون أنّ التوراة تصوّر إلهًا قاسيًا جبارًا، بينما الإنجيل يكشف لنا عن إله وديع حلیم.. فإله العهد الجديد هو الإله الأعلى، الإله الآب، خالق العالم المعقول، أبو المسيحية وإله المسيحيين ، وإله العهد القديم صانع العالم المحسوس وإله اليهود<sup>(2)</sup>.

## ب - المرقيونية:

وتنسب إلى صاحبها مرقيون المتوفى نحو 160م الذي تشيّع لآراء بولس ، ثم أعلن انفصاله عن كنيسة روما من خلال نشره للمقولة التي تذهب إلى وجود إلهين اثنين في الوجود ، وهما إله التاموس، وإله الإنجيل ، وبعبارة أخرى إله موسى وإلى عيسى ، حيث الأول مشرّع تجب طاعته والثاني طيب يحبّ البشر<sup>(3)</sup>. ويقول مرقيون: ثلاثة أشياء قديمة نور وظلمة وثالث معدّل بينهما يُخلق من هذا ومن هذا ليس من جنسهما ولولاه لم يكُ من طبعهما إلاّ التنافر<sup>(4)</sup>، ((ولعل هذه النحلة من آثار المجوس، لأنهم هم الذين يقولون بإله الخير وإله الشر))<sup>(5)</sup>، وعرف عن حبّه بإرسال ابنه يطلع الناس بذلك ، وعرفت هذه المقولات انتشارا عظيما في القرن الثاني واستمرت حتى القرن الرابع<sup>(6)</sup>. ويعرض "الشهرستاني" أفكار هذه الفرقة وأنها تعتقد بأنّ الإله الشديد يتسبب في موت عيسى فيحقق صلبه

<sup>1</sup> - عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى 69. ويخبرنا المؤلف أنّه: قد وجد الباحثون وثائق هامة عن فرقة ومذهب (الغنوصية) ، بنجع حمادي بمصر سنة 1945م، أزاحت اللثام عن كثير من الحقائق التي تبتتها المسيحية ونسبتها إليها.

<sup>2</sup> - هارولد آيدرس بل: المرجع السابق ، هامش الكتاب، ص 131.

<sup>3</sup> - محمد ابراهيم الجيوشي: دراسات في النصرانية ، ص 50 ويعدد المؤلف فرق التعدد في المسيحية إلى جانب المرقيونية، فرقة البربرانية القائلة بألوهية المسيح وأمه مريم ، وفرقة الألبانية التي تؤله المسيح وترى أنّ ما وقع من صلب وآلام وقع في العين كالخيال والصورة في المرأة. ينظر: نفس المرجع، ص 51. وفي مقابل فرق التعدد هناك فرق التوحيد وهي: الأبيونية أتباع أبيون، والشمشاطية أتباع بولس الشمشاطي أسقف انطاكية سنة 360م. ينظر: نفس المرجع ، ص 47.

<sup>4</sup> - مطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، المنسوب إلى البلخي، مكتبة الأسد، طهران ، ج 4، ط 2، ، 1962 ، ص ص 24-25.

<sup>5</sup> - محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص 187.

<sup>6</sup> - ابن التديم : الفهرست ، ص 402.

فداء البشر رغم بقائهم تحت هيمنة الخالق، لذا يكون نصيب المؤمنين في هذه الدّنيا الأمل والاضطهاد وحين تحين السّاعة يحقّق الإله الطيّب ملكوته فيدخل أتباعه فيه ويمحق الآخرين<sup>(1)</sup>.

هذه التشنوية المشابهة للغنوصية في المعتقد تميّزت في سلوكها بالزهد والامتناع عن الزواج والاستعداد للاستشهاد والتضامن بين الأفراد في الأوقات الصّعبة ، وتحظى بالكتاب الذي وضعه مرقيون ويسمى (النقائض) حيث يقابل المعنى الظاهر لكتاب العهد القديم ويعارضه بالكتب المسيحية التي تتمتع في نظره بسلطان خاص، وهي معتمدة عندهم وهي إنجيل لوقا ورسائل بولس<sup>(2)</sup>. فهو يعتبر العهد القديم وحي الخالق إلى اليهود وأنكر أنه كتب بإلهام، أما العهد الجديد فلم يعترف منه إلاّ بإنجيل لوقا عدا الإصحاحين الأوّلين منه، وأنكر كذلك بعض رسائل بولس ولم يسلم إلا بفقرات منها<sup>(3)</sup>.

### ت - المونتانية:

ترجم المونتانية أنّ " مونتاس" أو ( مونتanos) الذي تنتسب إليه يزعم أنّه وجد لإكمال الآداب التي جاء بها المسيح عليه السّلام للنّاس ، والذي يدّعي أيضا لنفسه التنبؤ بالغيب نتيجة تأثير روح القدس فيه وتأثير روح " البارقليط" الذي بشرّ به المسيح في إنجيل يوحنا، وبناء على إمتلاكه لصفة التنبؤ أعلن قرب نهاية العالم<sup>(4)</sup>. ونظرا لما اتصفت هذه الفرقة من استعدادات غريبة في قبول التضحية بالنفس والاستشهاد من أجل معتقداتها شكلت نوعا من المواجهة مع سلطة الكنيسة التي لم تكن تريد التصادم مع السلطة الرومانية خوفا من حدوث عواقب وخيمة، ولما لم تعتبرها الكنيسة فرقة مارقة أو خارجة عن التعاليم فقد انتشرت بقوة بين التجمعات المسيحية وخاصة في آسيا وإفريقيا<sup>(5)</sup>.

إنّ التطورات المختلفة التي عرفتها التيارات المسيحية في القرن الثاني وصل امتدادها حتى القرن الثالث وما بعده أحيانا ينم عن تطور عميق في المسيحية الأصلية، خصوصا بعد تعلقها بفكرة قرب نهاية العالم ،والذي دلّت عليه تلك المؤلفات الضخمة التي ألفها أتباع المسيحية واحتوت على عقائد رفضتها الكنائس الكبرى على اعتبار أنّ تلك الوثائق منحولة .و من المسائل التي عرفت تطورا عند فرقة المونتانية مسألة التّبوة، فقد تكون في النّساء ، مع تعظيم فضيلة البتولة التي وردت في أعمال

<sup>1</sup> - الشهرستاني : الملل والنحل ج2، ص ص 57 - 58.

<sup>2</sup> - عبد المجيد الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص 70.

<sup>3</sup> - عبد العزيز النعالي : محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان ، ص 135.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ، ص 137.

<sup>5</sup> - عبد المجيد الشرفي : المرجع نفسه ، ص 71.

بولس، ومسألة القربان الذي كان يقدم بالخبز والخمر صار في أعمال بطرس يقدم بواسطة الخبز والماء. وأنّ الروح القدس هو جبريل وليس شيئاً آخر. كما عملت هذه الفرقة على محاربة الزواج الروحي المتمثل في معاشرة ناسك وعذراء تحت سقف واحد كرمز لاتحاد المسيح مع الكنيسة للتعبير عن التبتّل في أبعد حدوده، وقد استمر هذا السلوك حتى القرن الرابع، وقد صاحب هذا السلوك تجاوزات قاومتها الكنيسة بشدّة<sup>(1)</sup>.

لقد استفادت الكنيسة من تجاذب التيارات الفكرية والعقائدية وتطاحنها فيما بينها في قطف ثمار كل فرقة، فاستفادت المرقيونية في تنظيمها الكنسي لترفع من مكانة الأسقف حيث صار لكل منها أسقفاً واحداً يترأسها، ودعم الأساقفة سلطتهم منذ أواخر القرن الثاني بعقد المجمع للتنسيق والتّصدي لأيّ تحديات قد تظهر أو تطرأ على السّاحة الدينية. بل صار بعضهم يظهر بمظهر البطريرك كما في الغرب، حيث مارس سلطته الأدبية على كنائس إسبانيا وإفريقيا وروما معتبراً نفسه ممثلاً لبطرس وبولس اللذين اعتبرا مؤسسي كنيستهم، ونفس الحال كان عند الكنائس الشرقية إذ هناك قائمة للأساقفة لا تقلّ قيمة عن التي عند عاصمة الإمبراطورية بروما.

### المبحث الثاني: مظاهر التطور.

شكّلت مظاهر التطور في الديانة المسيحية عدّة صورتمثّلت في النصوص المقدّسة والطقوس الشعائرية، والعادات الإجتماعية، ومن هذه الصور الآتي:

#### مطلب 1: تعدد الأناجيل:

انعكس عن الصّراعات الدينية عند الفرق المسيحية ظهور انتاجات فكرية شفوية ومدوّنة خلال نهاية القرن الأوّل حتّى القرن الثالث، ظهور كتب كثيرة يدّعي أصحابها بأنّها مقدّسة في حين يرفضها آخرون، إلى جانب وجود تناقضات واختلافات واضحة حول لبّ العقيدة المسيحية ممّا اضطرت الكنيسة إلى تحديد الكتب المعترف بها واعتمادها تحت اسم العهد الجديد، حيث تمّت عملية جمع الكتب عبر مراحل، أوّلها تدوين تعليم المسيح والرسل، ثمّ عقبها قبول هذه التّعاليم

<sup>1</sup> - عبد المجيد الشرفي : المرجع السابق، ص 72. وهذا النوع من الزواج الروحي أشار إليه بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس 7: 36-38. ((إن كان أحد يظنّ أنّه يعمل بدون لياقة نحو عذارته إذا تجاوزت الوقت وهكذا لزم أن يصير فليفعل ما يريد. إنّه لا يخطئ. فليتزوجها. وأما من أقام راسخاً في قلبه وليس له اضطراب بل له سلطان على ارادته وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذارته فحسنا يفعل. إذ آمن زوّج فحسنا يفعل ومن لا يزوّج فحسناً أحسن. المرأة مرتبطة بالتاموس ما دام رجلها حيّاً. ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوّج بمن تريد في الرّب فقط)).

حسب روايات معيّنة وطرح سواها، واعتبرت هذه الروايات في البداية مفتاح العهد القديم، ثم أصبحت حجة مساوية له وأخيرا احتلت مكانة (الكتاب الملهم من الله)<sup>(1)</sup> والمؤلفة من الأناجيل المنسوبة لكل من: متى ومرقس ولوقا ويوحنا، مع عدد من الرسائل المنسوبة لبولس، ومن الكنائس اعترفت بكتب منسوبة للوقا من مثل: أعمال الرسل وكتاب رؤيا يوحنا ورسالته الأولى، وكتاب رؤيا بطرس ورسالته الأولى، ورفضت في وقت لاحق لهذه الاعترافات مجموعة من الكتب أهمها: رسالتا أكليمنطس ورسالة برنابا وتعليمات الرسل ورسائل الراعي هرماس، وتم حصر الكتب القانونية المشكّلة للعهد الجديد بعدد: سبعة وعشرون سفرا بحلول القرن السادس للميلاد، علما أن انطلاق عمليات الترجمة لهذه الأسفار من اليونانية إلى اللاتينية والقبطية والسريانية قد بدأت منذ القرن الثالث للميلاد.

والأناجيل يطلق عليها التقليد المسيحي بالعهد الجديد، وتعدّ هذه الكتب من المصادر الأساسية في استنباط العقائد، بل هي المرجع الأكبر لدى الكنائس التي تقسم هذه المدونات إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي: الأناجيل، وأقوال الرسل، وأقوال المتصلون بالرسل.

ويعتقد علماء اللاهوت المسيحي أن الأناجيل هي وحي إلهي غير مصحوبة بتفسير وأن أقوال الرسل هي وحي إلهي وتفسّر، وأما أتباع الرسل فإن أقوالهم هي تفسير بغير وحي إلهي. وتدور هذه النصوص حول فكرة رئيسية هي خطيئة آدم، وكيفية التكفير عن هذه الخطيئة، ولولا غواية الشيطان ما سقط آدم وما كانت الحاجة إلى الخلاص من طريق الفداء<sup>(2)</sup>.

وبتعدد الاتجاهات الفكرية والتي نجم عنها تعدد الكتب والمؤلفات الكنسية، عرفت العقائد المسيحية تطورات استجابةً لمقتضيات التعليم والطقوس والرّد على الوثنيين والمارقين، فبعدها كانت تقتصر أولا على الإيمان بأن عيسى هو المسيح أو الرّب عند التعميد<sup>(3)</sup>، راح يأخذ الشكل

<sup>1</sup> - عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق، ص 73.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: إبليس، ص 108. ويشير المؤلف إلى أن القرآن الكريم يحمل كل من آدم وحواء تبعه الخطيئة على علمهما بغواية الشيطان الذي ليس عليهما من سلطان وأن لا عذر لمن ضلّه بوساوسه فالشيطان ينكره ويبرأ منه، فليست الخطيئة أصلا كونيا يعاند الإرادة الإلهية بإرادة مثلها.

<sup>3</sup> - إنجيل مرقس 8: 29: ((فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح)). وفي رسالة يوحنا الأولى 2: 22: ((من هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح)). وفي رسالة بولس إلى أهل رومية 10: 9: ((إن اعترفتَ بضمك بالرّب يسوع وآمنتَ بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلّصت)). وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 12: 3: ((وليس أحدٌ يقدر أن يقول يسوع ربّاً إلا بالروح القدس)).

الثلاثي في آخر القرن الثاني بأن يؤمن المعمد عند دخوله في المسيحية بالله الآب القدير وبعيسى المسيح بأنه الوحيد، وبالروح القدس. ولم تظهر عبارة الثالث قبل نهاية القرن الثاني لأنّ أوائل علماء اللاهوت لم يظهروا قبل أواخر هذا القرن، وهم الذين قاموا لأوّل مرة بتقديم عرض شامل للعقائد، بينما كانت المحاولات التي سبقتهم جزئية وذات أغراض محدودة.

فقانون الإيمان الرّسولي أو الذي سمي (بتسيحة الإيمان) لم تضبط قبل القرن السادس، حيث كانت الاختلافات في شأنه بين الكنائس الغربية والشرقية، إذ اعتبرت الأولى صياغته ثابتة لا تتغير بينما رأت الكنائس الشرقية في إمكانية التصرف فيه بمقتضى الظروف الملائمة. وأصل الأسباب في هذا الاختلاف يعود إلى طبيعة اهتمامات كل كنيسة حيث كانت الكنيسة الغربية منشغلة بأمور تنظيمية فيما كانت الشرقية تميل إلى المجادلات اللاهوتية .

## مطلب 2: انتشار الرّهبة:

كانت الرّهبة المسيحية عميقة الجذور في تقاليد الماضي وفي حياة القرون الوسطى، نشأت في الأصل في ظل النّزعات الهيلينية تأثراً بالصوفية الشرقية التي ظهرت في صحراء مصر حيث عاشت فئات من الرهبان تقوي حاجتها الرّوحية عن طريق التدريب الرياضي والتكشف في المعيشة، فالتزم العدد الكبير من المسيحيين البسطاء بحرفية الأوامر النسكية القديمة مع ممارسة الرياضة الفردية في الصحراء ممّا كان له شأن جليّ في ظهور مؤسسة منّظمة لعمليات الزّهد والانقطاع عن الزواج المعروف بالتبتّل وهي ( الرهبة)، وكان المنتسك القديس "أنطونيوس" حوالي 251-356م أبعد شهرة وأكثر احتراماً غير أنّ " باخوم" 290م-345م يعتبر المؤسس لأوّل أخوة مسيحية من الزّهاد التي عاشت معاً كجماعة منتظمة ومنظمة<sup>(1)</sup> .

يقول "جون هرمان راندال" ((ولكي يتمكّن الرّهبان من خدمة الله والإنسان خدمةً مثلى كان عليهم أن يتحرّروا من جميع الرّوابط الخاصّة وأن يقيّدوا أنفسهم بقيود المحبّة الإنسانية الشاملة وهي تقوم على ندور ثلاثة : الفقر، والطّهارة، والخضوع ))<sup>(2)</sup>. ولكن إلى جانب الإلتزام الذي فرضته الكنيسة على المؤمنين انتشر الفساد الخلقي من قبل الباباوات الذين انصرفوا إلى الشّؤون الدنيوية فتأثرت الكنيسة بأسرها من مساوئ راعيها الأكبر، حتى أنّ الأديرة التي نشأت في قمع الشّهوات

<sup>1</sup> - أرنولد توينبي: تاريخ البشرية ، ج2، ص 63.

<sup>2</sup> - جون هرمان راندال : تكوين العقل الحديث ، ص 116.

الدنيوية ونشر الهدى والصّلاح قد تحوّلت إلى بؤر للفساد والجهل، كما انتشرت العلاقات الجنسية خارج إطار العلاقة الزوجية بكثرة من قبل النساء الداهيات إلى الحجّ ، فيستزقن نفقة الطريق ببيع أجسادهن، وأباححت بعض المدن الدّعارة قانونا ووضعتها تحت إشراف البلديات بحجة أنّه بغير هذا الدّنس لا تستطيع النساء الصّالحات أن يخرجن إلى الشّوارع وهنّ آمنات على أنفسهن<sup>(1)</sup>. وهناك نظرة أخرى لدور الرّهينة المسيحية وأثما ساهمت في انحطاط المستوى الأخلاقي والمعرفي والاحتفاظ بالأخلاق والعادات الوثنية عند سالكيها كالعيش بين الحشرات والجلوس في القدر و الوسخ، وتناول الطّعام الكريه، واعتبار الجمال عدوّا للقداسة، كل ذلك يعتبر بعيدا عن مستوى معقول للفضائل في الحياة، فالرّاهب يدع جسده دون تعهّد أو عناية، فالرهبانية ابتدعت المنهج الذي مشت فيه، واشتبكت مع أعتى الغرائز في عراق باهظ التكاليف تافه النتائج<sup>(2)</sup>، رغم كون الرّهينة حركة رد فعل للتدهور الرّوحي وإنشاد الحياة المثالية والفرار بالدين حال البطش والاضطهاد من السّلطة السياسية الرومانية التي لم تكن تميز في اضطهادها بين اليهود والمسيحيين في العهد الأول للكنيسة، هذه التّقوى القاسية أحرزت انتصارات أحسنّ بحلاوتها المنتصرون ، ولّما رأّت الأمبراطورية دخول الأفواج من النّاس إلى المسيحية راحت تضايق المؤمنين والمسؤولين الكنسيين بتهمة الإنتماء إلى دين ممنوع ، ففرّ الكثير من المؤمنين إلى حياة العزلة حيث يتحدث "الشاطبي" عن فرقة الرهبنة بقوله: (( فرقة آذت الملوك وقتلتهم على دين الله، ودين عيسى ابن مريم \_عليهما السلام فساخوا في الجبال وترهبوا فيها<sup>(3)</sup>، وهم الذين قال الله عز وجلّ فيهم: } ورهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله، فما رعوها حقّ رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون {<sup>(4)</sup> ، فمالت فرق الرهبنة إلى الإنعزال خصوصا في النّصف الثاني من القرن الثالث بعد الاضطهاد في عهد "كاراكالا" 211م- 217م في إفريقيا والإسكندر "سفيرس" 222م-235م في روما، وفي الإسكندرية

<sup>1</sup> - عبد الغني عبود: المسيح والمسيحية والإسلام ، ص 128، ص 129 في إحالته لنا على ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج 5 ، ص 3، (عصر الإيمان) ص ص 180-181.

<sup>2</sup> - محمد الغزالي : دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المششرقين، ط3، دار الكتب الحديثة، مصر، 1964م، ص 215. وينظر: أنجاس جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام (تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية ) ترجمة: محمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، وعلي حسن عبد القادر، مطبعة مصورة عن طبعة دار الكتاب المصري، 1946م، ص 127. وقد تناول هذا المستشرق المجري موضوع (الرّهد والتصوّف في الإسلام) وأدعائه بأنّ نبيّ الإسلام يحارب الرهبانية.

<sup>3</sup> - أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي: الإعتصام ، ج1، ص2، دار اشرفية ، بدون تاريخ ، ص 211.

<sup>4</sup> - سورة الحديد ، الآية 28.

سنة 249م، واضطهاد "مكسيمس" 235-238م ضد المساهمين في التخلي عن الدفاع عن الإمبراطورية. فيعتبر القرن الثالث من أعصب فترات التاريخ، كثرت فيها المحن والمؤامرات والإنقسامات السياسية والحروب الأهلية في معظم أجزاء الإمبراطورية الرومانية<sup>(1)</sup>.

وبدأت المعاناة الحقيقية للكنيسة سنة 250 م في حكم ( داقينوس 250م-251م) ثم في حكم (فالرياس 257م-259م) هذان الإمبراطوريان دعيا إلى العودة إلى الوثنية الدينية القديمة باعتبارها الكفيلة بإحياء مجد روما، متّهمان أتباع الكنيسة بتقويض هذه العقيدة ، فامتدت الإتهامات إلى الكنيسة باعتبارها المسؤولة الأولى عن ترك هذه التقاليد<sup>(2)</sup> ، ومنها تقديم القرابين لآلهة الإمبراطورية والتي كانت سببا في مصادرت أموال المخالفين للديانة الوثنية الرومانية ، كما شكّل قبول توبة المرتدين تحت الضغط والاضطهاد مشاكل عديدة في حياة الكنيسة والتي إنجّرت عنها ظهور اختلافات وفرق أشهرها (المونتانية والدوناتية) في القرن الرابع.

وانكشفت فترات الاضطهاد لتنعم الكنيسة بالسّلام ويكثر أتباعها بعدما وقع "فالرياس" تحت قبضة الفرس سنة 259م ، واستمر الحال على عهد ( دقلديانوس 284م-305م). لينقلب هذا الإمبراطور على المسيحيين في آخر سنوات حكمه (303م-305م) ليصدر أوامره بهدم الكنائس ومصادرة الكتب المقدسة ومنع المسيحيين من شغل المناصب في الدولة ونفي وتعذيب كل من يمتنع عن تقديم القرابين للآلهة الرومانية<sup>(3)</sup> ، ولم يهدأ الأمر ولم يستقر إلّا بعد أن أصدر "فاليريوس" سنة 311م مرسوم (البراءة) أو مرسوم حرّية العبادة باسم الأباطرة الأربعة وهم: (فاليريوس نفسه، ولوقيانوس، ومكسيمس ، وقسطنطين)<sup>(4)</sup>.

وتم إعلان مرسوم ميلانو سنة 313م الذي بموجبه كان السّلم بصفة نهائية ، أصدره كل من لوقيانوس وقسطنطين بأنّ الحرية للجميع في الاعتقاد عبر كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية. وبعدها كان "لوقيانوس" الحامل لآمال المسيحيين تُوجّه له تهمة الاضطهاد ليحاكم ويقتل سنة 324م، ويظهر قسطنطين كشخص اختاره الله لنشر السّلم في الكنيسة بناء على ما قام به من مجهودات تمثّلت في مد أسقف قرطاج بالدعم المادّي والمعنوي ، وبناء المعابد ومنها كنيسة

<sup>1</sup> - مصطفى العبادي : الإمبراطورية الرومانية ( النظام الإمبراطوري ومصر الفرعونية ) ، ص 151 .

<sup>2</sup> - أور لند تويني : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 359 .

<sup>3</sup> - السيد الباز العريني : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص 42 .

<sup>4</sup> - ينظر : المرجع نفسه ، ص 45 .

(اللاطران) وكنيسة القديس بطرس، وحث المسيحيين على شغل مناصب هامة في مفاصل الدولة واعترف بالمحاكم الأسقفية التي تديرها الكنائس، ملزما الجميع بجعل يوم الأحد عطلة أسبوعية وذلك سنة 320م، بعدما قام بنقش الرموز المسيحية على النقود بعدما اختفت آخر النقوش الوثنية سنة 323م ليتوج أعماله الجليلة لفائدة المسيحيين بعقد مجمع لهم يتأسسه بنفسه بنيقية سنة 325م يضم حوالي 2018 مشاركا منهم 318 أسقفا أو عالما للدين.

تعتبر سنة 313م الحد الفاصل بين عهد الاضطهاد وعهد السلم بين الكنيسة والسلطة الرومانية، ليفتح عهد الصلح بينهما، بل وصل الأمر إلى طلب الكنيسة من الإمبراطور كي يتدخل في شؤونها، وفعلا قام قسطنطين بهذا الدور في مجمع نيقية وقبله لما تدخل في إفريقيا لحل النزاع بين الكنيسة والمذهب الدوناتي سنة 303م، هذا المذهب الذي كان يتزعمه "دوناتس" رغم التمرد على أسقف قرطاج (سيسيليانس) الذي تم انتخابه<sup>(1)</sup>.

وعندما عقد مجمع بروما سنة 313م الذي دعا إليه أسقف الأبراطورية تم تأييد انتخاب "سيسيلوس" ليعيد الدوناتيون المعارضة بشدة له، فيقوم قسطنطين بالدعوة لعقد مجمع [ آرل ] والذي لم يكن في صالح "دوناتس" ليعلم الإمبراطور اضطهاده لهم سنة 316م تحت تدعيم جناح مسيحي آخر، ويتم التراجع عن الملاحقات سنة 320م لتتال الدوناتية بعض الاستقرار مكنها الاستمرار بالكامل حتى القرن الرابع<sup>(2)</sup>.

ولم يمنع تدخل السلطة الرومانية في توجيه الدوناتية من محاولة التغلغل داخل الأريوسية ومعرفة أزماتها الداخلية والتي نشأت في ظل الاستقرار سنة 318م-320م في منطقة الإسكندرية يقودها الأسقف (أريوس 256م-336م) الذي تتميز عقيدة مذهبه: بأن الله واحد غير مخلوق وأن كل ما سواه فهو مخلوق، وحديثه عن طبيعة الابن: أن الكلمة الله مخلوق وهو ليس من جوهر الآب ولا ينتمي إلى الألوهية وهو ابن من حيث التبني نظرا لمزاياه السامية وأن الكلمة لم يكن موجودا في زمن ما، والله لم يكن أبا في ذلك الزمن<sup>(3)</sup>.

وفي مسألة الثالث يرى أريوس أن الله خلق كائنا كاملا هو الكلمة، ثم خلف الكلمة الابن كائنا كاملا هو الروح القدس. فأريوس لا يرفض الثالث ويعتبرهم أشخاصا مختلفين من حيث الطبيعة

<sup>1</sup> - ينظر: السيد الباز العريني: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ص 70.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 70-71.

<sup>3</sup> - ينظر: رؤف شلبي: أضواء على المسيحية، ص 96.

والجوهر تربط بينهم علاقات الخلق ونتيجة لمقولات أريوس كان الاجتماع الكهنوتي المنعقد حوالي 320م - 321م ليعلن حرمانه وطرده من الإسكندرية، والتي لم يعد إليها إلا بعد أن تمكن قسطنطين من ليّ ذراع " لوقيانوس" رغبة منه في توحيد الأبراطورية<sup>(1)</sup>.

ولما زاد نشاط الحركة الأريوسية في الوسط المسيحي من خلال المسائل التي أثارها "أريوس" أمر قسطنطين بدعوة أساقفة مختلف جهات الأبراطورية لعقد مجمع نيقية بآسيا الصغرى المعروفة اليوم باسم ( أزيق) التركية وذلك في 20 ماي عام 325م ليخضره 2048 أسقفا تحت رئاسة الإمبراطور يضم الكنائس الشرقية من آسيا الصغرى ومصر والشام وفلسطين، ومن أساقفة كنائس الغرب بعدد قليل حتى أن أسقف روما أرسل مكانه ممثلين له برتبة كاهنين، وينعقد المجمع ويخرج بقرارات منها إدانة آراء أريوس وإقرار قانون الإيمان، الذي وضع على النحو التالي: (( نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل خالق ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود من الأب قبل الدهور، نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسّد وصلب عنا وتأمّ وقبر وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء ليدين الأحياء والأموات وبالروح القدس... إنّه كان زمن لم يكن فيه... وأنه لم يكن قبل أن يولد... وأنه مخلوق من عدم... وأنه من غير أقتوم أبيه أو من غير جوهره، وأنه ابن الله مخلوق وأنه قابل للتغيير والتقلب))<sup>(2)</sup>. ينتهي هذا المجمع في 19 جوان 325م ويعطي الصبغة القانونية في جعل المجمع مصدرا من مصادر المسيحية، وأصبحت الكنائس المحلية فاقدة لحريتها ملزمة بإتباع قانون الإيمان الذي أخذ الصيغة القضائية لتدخل السلطة الحاكمة في فرضه وإلزامه على الجميع<sup>(3)</sup>. إن مجمع نيقية الذي يعد من أخطر حدث على الإطلاق في تاريخ المسيحية لم يكن فيه إجماع كلي حيث وافق على قراراته سوى 318 أسقفا من عدد الحضور 2048 أسقفا<sup>(4)</sup>. إن الظروف التي حفت بالمسيحية في القرون الثلاثة الأولى فسرت كل ما آلت إليه الكنيسة في القرون الموالية حتى القرن السابع، حيث نشطت حركة الشرح والتوضيح للعقائد في نطاق التنظيم الكنسي المتنامي في إطار علاقات متينة بين السلطتين المدنية والدينية.

<sup>1</sup> - السيد الباز العريني : المرجع نفسه ، ص 75.

<sup>2</sup> - عبد الله الترجمان: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، ص 38.

<sup>3</sup> - السيد الباز العريني: المرجع السابق، ص 74.

<sup>4</sup> - عبد المجيد الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص 86 .

إن الفترة الممتدة من تاريخ عقد مجمع نيقية إلى القرن السابع للميلاد تظهر لنا تيارات متنازعة في تاريخ المسيحية عملت على فتح مجالاً واسعاً للردود على المنظومة اللاهوتية المسيحية بكل فروعها وأصولها وحيثياتها الصغيرة والكبيرة على السواء بغية معرفة نشأة العقيدة المسيحية وتطورها عبر المد التاريخي لها<sup>(1)</sup>.

### مطلب 3: تغلغل العادات الشعبية في الكنيسة:

كان للعادات الشعبية والتقاليد الاجتماعية من المظاهر البارزة في حياة الكنيسة خلال القرن الرابع نظراً لتغلغل عقيدتها وأخلاقها وسلوكياتها في مختلف الفئات، فكانت لطقوس التعميد الأثر في النفوس من همة الشخص المراد تعميده لقبول أسرار المسيحية، لذا كان التعميد يمارس في سن متقدمة، وأحياناً يوجد من رجال الكنيسة من لم يعمد أصلاً أو يعمد في سن متأخرة كما هو الحال مع أسقف ميلانو عندما ترأس الكنيسة في سنة 374م وعمره خمس وثلاثون سنة ولم يعمد بعد، وحتى (سينيزيوس القيرواني) الذي توفي سنة 413م لم يعمد وتم انتخابه من قبل أسقفاً.

لقد أدخلت الكنيسة عادات اجتماعية لم يكن لها شأن من قبل من مثل: مباركة المقبولين على الزواج لتمتد هذه المباركة أيضاً للعذارى المقبلات على الرهبنة على حد زعم أنهن زوجات المسيح<sup>(2)</sup>. وأخذت الكنيسة في تنظيمها الإداري على نظام (الأبرشية) الذي كان يدل هذا الاسم على الدائرة المدنية التي تضم منطقة جغرافية معينة، فأصبح لكل أسقف سلطة الإشراف على أبرشيته يسيّرهما أحياناً وهو فاقد للثقافة العالية، فمنهم من كان جاهلاً لا يعرف من العلم إلا القدر اليسير<sup>(3)</sup>. ونظراً لاندماج حياة الكنيسة مع حياة الفئات الاجتماعية العريضة إزداد شوق العامة إلى الحياة المسيحية وازداد بعض أفرادها في الشوق إلى حياة الرهبنة وممارسة الرياضات الفردية لبلوغ حياة الكمال، وبدأت تظهر في القرن الرابع هذه القواعد المنظمة لمجموعات الرهبان وحركاتهم من مثل حركة (أنطونيوس)<sup>(4)</sup>. وبدأت في هذه الفترة أيضاً تنشط العقائد الشعبية الممزوجة بالوثنيات وراحت تأخذ مظهرها في الإيمان بالحوارق والمعجزات والتعبد للشهداء وبقايا القديسين وتقدیس الأيقونات أو

<sup>1</sup> - ينظر: عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 103 في حديثه عن المسيحية القروسطية، من ظهور الإسلام إلى آخر القرن الرابع/ العاشر.

<sup>2</sup> - عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق، ص 100، نقلاً عن: Nouvelle Histoire de L'église.

<sup>3</sup> - الموسوعة التاريخية الحديثة: تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص 137 وما بعدها، عن (الأديرة وأصل الحياة الديرية في المسيحية).

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 71.

الصور المقدسة والتعبّد لها ، إلى حين اندلاع حملة شاملة ضد عبادة الأيقونات حين منع التعبّد للصور في الكنائس في مجمع ألبيرة ( Elvire ) لّمّا رفضها ( أوزيبوس القيصري) المتوفى سنة 340م ، وقام مطران قبرص ( أيفانس المتوفى سنة 304م) بتمزيق الستار المطرّز بالصور في الكنيسة، وقام الأسقف (إكسناياس المونوفيزي) سنة 428م بحملة على التعبّد للصور، كما قامت انتفاضة عارمة على العبادة للصور خلال القرن السادس وبالخصوص في القرن الثامن الميلادي<sup>(1)</sup> .

ومن الأزمات التي عرفتھا المسيحية بعد القرن السابع الميلادي انقسام الكنيسة البيزنطية إلى قسمين ، كل قسم له وجهة نظر حول التعبّد للصور فمنهم من يرى معارضة للتعبّد للأيقونات المقدّسة ومنها صورة المسيح ، خصوصا بعد إعلان الإمبراطور "ليون الثالث" المتوفى سنة 741م معارضة لذلك سنة 726م ليعلن ابنه قسطنطين الخامس سنة 741م-775م مواصلة مشوار أبيه في متابعة المتعبّدين للصور معلنا عقد مجمع سنة 754م بمشاركة 333 أسقفا والذين خرجوا بقرار تكفير كل من عبد أو أيّد عبادة الأيقونات ،ليشمل تكفيرهم لآخر آباء الكنيسة " يوحنا الدمشقي" المتوفى سنة 749م<sup>(2)</sup> .

وبمجيء قسطنطين السادس 771م-805م ليعقد مجمع مضاد لمجمع 754م ويشارك فيه 350 أسقفا ليتم بموجبه إصدار قرارات بإعادة الإعتبار للأيقونات وعبادتها في مجمع مسكوني سابع يجعل العودة سريعا لعبادة الصور، مع استمرار مواصلة ملاحقة عبّادها بالاضطهاد وخاصة في عهد "ليون الخامس" 813م-820م وفي عهد "ثيوفيلس" 829م-842م ، ولما أخذت معارضة تعبّد الصور تفشل شيئا فشيئا بالكنائس ،وأخذت تفقد قوّتها تدريجيا راح الإمبراطور " ثيودور" بعقد مجمع محلي سنة 843م يعيد المكانة المقدسة لعبادة الصور، معلنا بذلك بداية تاريخ الكنيسة البيزنطية.وعلى خلاف الكنيسة البيزنطية التي شغلتها عبادة الأيقونات ، تتعرض الكنيسة الغربية إلى الركود السياسي والفكري نظرا للقطيعة التي حصلت بين روما وبيزنطة منذ سنة 604م بعد موت البابا "غريغوريوس الأكبر" الذي توالى على كرسه باباوات خلال القرن السابع بدء من 604م إلى 701م<sup>(3)</sup> .

<sup>1</sup> - عبد المجيد الشرفي : المرجع السابق ، ص 101 .

<sup>2</sup> - السيد الباز العربي: المرجع السابق ،ص 190 .

<sup>3</sup> - عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق، ص 107 تقلا عن : NOUVELLES HISTOIREDEL'Église 2 /73 تم

تنصيب عشرون بابا بين 604م -701م وعشرون بابا بين 816م و 900م وثلاثون بابا من 900م إلى 1003م بمعدل يقل عن الخمس سنوات بالنسبة إلى المدة التي يمارسون فيها سلطتهم في مجموع هذه القرون الثلاثة .

وبإتمام دحر آخر معقل للبيزنطيين بإيطاليا سنة 751م على يد ( اللومبرديين ) تجدد الكنيسة الغربية نفسها في أحضان الفرنجة وفق معاهدة أبرمت بين البابا ( استيفنس الأول ) وملك الفرنجة ( بيّان ) سنة 754م<sup>(1)</sup>. وعندما توج شارلمان بالحكم سنة 800م كان الإعلان النهائي عن فك الارتباط بالبيزنطيين والارتباط بالقيصرية البابوية التي كان فيها للكنيسة السلطة والنفوذ القوي، ولم يعد يشغلها في المجال العقائدي سوى موضوعات لاهوتية، ثار الجدل حولها بعض الشيء ومنها ما تعلّق بطبيعة حضور المسيح في الخبز والخمر عند تناول القربان المقدس، ومنها ما تعلّق بجوانب فلسفية حول موضوع الجبر والاختيار، ويتمّ الإعلان النهائي عن القطيعة النهائية بين الكنيسة الرومانية الغربية والكنيسة البيزنطية الشرقية سنة 1054م لخلاف حول عبارة: (ومن الابن) الوارد ذكره في قانون الإيمان المنبثق عن مجمع القسطنطينية سنة 381م لتعني أنّ الروح القدس لا يصدر عن الآب فقط وإنما عن الآب والابن معا وهو ما يخالف توجه الكنيسة البيزنطية التي اتخذت من موقفها هذا شارلمان العداً ضدّ اليونان جاعلا منها بؤرة صراع وتوتر.

لقد حاصرت الفتوحات الإسلامية المد المسيحي في أوروبا في كل من مقاطعة وسط وبلاد اليونان التابعتين لبيزنطة وفي ممر بين إيطاليا و إنجلترا عبر البلاد الإفرنجية ، وكان لتأثر غزو الصقالبة على البيزنطيين في جزيرة البلقان الدور في انكماش الدعوة المسيحية بالتخلّص من السلطة السياسية وذلك خلال القرنين السابع والثامن، غير أن المبشرين المسيحيين خلال القرن التاسع أعادوا الكثرة في تنصير شعوب أوروبا الشرقية بدء بالحكام ثم النزول إلى الشّعب، وفي أوروبا الغربية وخلال القرن السابع يتم القضاء على الأريوسية في بلاد الغال ، ليستمر النشاط التبشيري في أوساط الشعوب الجرمانية بإرغامهم على التعميد قهرا كما حصل للسكسونيين بأمر من شارلمان لتتوجّ أوروبا الغربية بأكملها بالديانة المسيحية مغلّفة بطقوس وعقائد وتصورات ذات صبغة وثنية موروثه عن روافد فكرية مختلفة لشعوب متنوعة العرق والعرق ، ثم تمّ وضع الإخراج النهائي لها في القرن العاشر الميلادي وأصبح لبس الرّداء في الوظيفة الرهبانية وأصبحت مظاهر التقوى في تناول القربان بادية ، وأصبح لحضور القدّاس واجبا اجتماعيا مفروضا وبالخصوص يوم الأحد، ثم أصبح للاعتراف بالخطيئة عند ارتكابها بالمكانة لدى القديسين.

<sup>1</sup> - السيد الباز العربي : المرجع السابق ، ص ص 197 - 198.

### المبحث الثالث: نتائج التطور في العقائد المسيحية.

قامت العقيدة الإسلامية التي جاء بها محمد - صلى الله عليه وسلم تقوم على أساس الإيمان بوجود إله حي واحد ليس كمثلته شيء وله الأسماء الحسنى، أدركه الناس بالعقل وبواسطة الوحي المنزل على الأنبياء والمرسلين الذين كان آخرهم هذا النبي، الذي نزل عليه القرآن الكريم المكمل لكتب الأنبياء السابقين والتاسخ لها ، جاء بالدين المتوسط والمعتدل بين الغلو والتفريط، ذلك الدين الذي دعا إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، دين تميّزت أركانه بالشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج ليوفر للناس أحسن الظروف للنشاط الروحي والجسدي في كل ميادين الحياة وللجميع، دين بنى حقائقه على عدم إمكانية أن يكون الله إله وإنسان في نفس الوقت، والقائل بذلك مشرك، فقال تعالى : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ }<sup>(1)</sup>، وقوله تعالى : { وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمُ وَرَهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ }<sup>(2)</sup>، وقوله تعالى: { إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ }<sup>(3)</sup>. إنَّ محمدا -صلى الله عليه وسلم كان مثالا للإنسان الكامل في أقواله وأفعاله وصفاته أيده الله بالمعجزات كباقي الرسل من قبله، ودعا إلى التوحيد كسائر الرسل من قبله، وهذا الرسول النبي قد مدحه الله على أنه على خلق كريم. وجاء في القرآن آيات حاثّة على التوحيد وتصديق الرسل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وترغيب في الجنة وترهيب من النار، ما جعله يتفوق على غيره من الكتب السماوية السابقة له، واستقطاب الإسلام لأفواج من الناس ألوانا وأجناسا نشدت فيه النجاة في الآخرة والسعادة في الدنيا ، خلافا لكتب سماوية طالتها يد التحريف بحسب ما نستعرضه من المسائل التالية:

**مطلب 1: القول بعقيدة الفداء:**

لقد كان للفداء والتضحية بالحيوان عملا مالوفا عند كثير من الشعوب الغابرة إعتقادا منها تكفيرا للذنوب وغفرانا للخطايا ، وعرف المجتمع اليهودي قديما في شريعته إتخاذ القران بتقديم

<sup>1</sup> - سورة المائدة الآية 72.

<sup>2</sup> - سورة التوبة الآية 30-31.

<sup>3</sup> - سورة الزخرف الآية 59.

(حملا) مذبوحا وتُرش دمه على عتبة كل بيت تعبيرا عن النّجاة من غضب الله، وبالتالي النّجاة من عبودية المصريين والخلّاص من اضطهاد فرعون لهم<sup>(1)</sup>، وارتباط فعل الفداء بقصة الخروج<sup>(2)</sup>.

فتطلّع المسيحيون إلى شريعة القربان هذه محاولين جعل اسقاط لها على حادثة الصلب معتبرين المسيح هو نفسه الفادي ، هو الذبيحة، هو (حمل الله) الذي يذبح لرفع الخطايا، خطايا الشعب اليهودي ، أو الجنس البشري كلّه. فراح المسيحيون يطلقون اسم "عقيدة الفداء" على أنّ الله اتخذ جسد الإنسان ليتّحد فيه ، أي إتحاد (اللاهوت بالنّاسوت) أي يكون الجسد إلها وبشرا في الوقت نفسه، اتّحاد اللاهوت والنّاسوت في بطن مريم الذي نتج عنه "إنسانا كاملا" من حيث هو ولدها، وكان الله في الجسد إلها كاملا ، وقد تمثّل هذا كلّه في المسيح الذي أتى ليكون فدية لخلقه، وكان ذلك هو الفداء، وقدم هذا الإله كذبيحة إعفاء البشر من جريمة الخطيئة التي ارتكبتها أبو البشر، ومن أجلها مات المسيح على الصليب، وهذا هو الصّلب، ولما كان البشر كلّهم خطاة بخطيئة أبيهم آدم وأمّهم حواء فهم هالكون، ولا ينجيهم منه سوى إيمانهم بالمسيح الفادي، وهذا هو الخلاص، الذي تمّ بموت وصلب المسيح فيكون قد حمل خطايا البشر، وكفّر عنهم سيئاتهم، وكان وفاء المسيح الذي قدمه كذبيحة عن خطايا النّاس مساويا لشّرّ الخطيئة<sup>(3)</sup>. وقد استدل المسيحيون على عقيدة الفداء بنصوص من الأناجيل منها ما جاء في إنجيل يوحنا قول المسيح: ((أنا هو الرّاعي الصّالح ، والرّاعي الصّالح يبذل نفسه عن الخراف ))<sup>(4)</sup> ، وهذا النص يناقضه نص آخر في إنجيل لوقا لما يقول فيه المسيح لرجل يؤتبه لما قال له: أنت المعلم الصّالح، ((فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا، ليس أحد صالحا إلّا واحد وهو الله))<sup>(5)</sup>. وفي إنجيل يوحنا أيضا: ((لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية))<sup>(6)</sup>، وهذا النص هو الوحيد الذي

<sup>1</sup> - سفر الخروج 1: 13: ((فاستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف. ومزروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل)). وفي 1: 22: ((ثم أمر فرعون جميع شعبه قاتلا كل ابن يولد تطرحونه في النهر. لكن كل بنت تستحيونها)).

<sup>2</sup> - ينظر: قصة الخروج في سفر الخروج الإصحاح 14 كاملا والإصحاح 15 أيضا، ثم قصة التيه بسيناء الذي تمّ ذكره في الإصحاح 16 من نفس السفر.

<sup>3</sup> - عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص 353-354.

<sup>4</sup> - إنجيل يوحنا 10: 11.

<sup>5</sup> - إنجيل لوقا 18: 19.

<sup>6</sup> - إنجيل يوحنا 3: 16.

أورده يوحنا دون باقي الأناجيل مع أنه عقيدة ضرورية في المسيحية؟ وفي إنجيل مرقس جاءت العبارة التالية: (( لأنّ ابن الإنسان أيضا لم يأت ليُخدَم بل ليُخدِم وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين ))<sup>(1)</sup>. إن هذه النصوص هي ادعاء غير صحيح لتبرير قضية الفداء التي اعتنقها المسيحيون وآمنوا بها ، واعتبروها الهدف الأسمى في رسالة المسيح، وأقاموا مفاهيم على تصورات ذهنية أسلمتهم إلى مبالغات انتهت بالمسيح إلى مقام الألوهية بعدما قدّم دمه كفارة للذنوب ومغفرة للخطايا التي أسقطت الإنسان من الحياة الأبدية وهشمت كيانه ، ولكن محبة الله لم تترك الإنسان وشأنه . لقد رفض الإنسان الله ، ولكن الله لم يرفض الإنسان، سوف يخرج الله من السماء لإفتقاد الإنسان خارج جنة عدن : وهذا هو التجسد<sup>(2)</sup>.

## مطلب 2: القول بعقيدة الصلب:

لقد كان لخاتمة حياة المسيح منطلق لدعوة بولس الرسول ولفحوى رسالاته التي بشر بها أتباعه الناس على غرار باقي الأناجيل التي أوردت قصّة الصلب جاعلة مطيبتها حادثة الخائن الذي دلّ على المسيح، وجاءت هذه النصوص متضاربة ومتّفقة أحيانا حول هذه القصّة، التي يوجد ما يماثلها في ثقافات شعوب وثنية هندية وفارسية، فمسألة الإله المصلوب تعدّ انتصارا للعقلية الوثنية في العالم الروماني الإغريقي القديم، على العقيدة اليهودية التوحيدية<sup>(3)</sup>. وتنطلق نصوص الأناجيل في رواية مسألة الصلب حيث يذكر إنجيل متى قول المسيح في العشاء الأخير للتلاميذ: (( الذي يغمس يده معي في الصحنه هو يسلمني.. فأجابه يهوذا مسلّمه<sup>(4)</sup>، وقال له: هل أنا هو يا سيد؟ قال أنت قلت ))<sup>(5)</sup>. وفي إنجيل مرقس أشار المسيح إلى الخائن بقوله: (( هو واحد من الإثني عشر الذي يغمس معي في الصحنه ))<sup>(6)</sup>. وجاء في لوقا قول المسيح: (( هو ذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة ))<sup>(7)</sup>. وفي يوحنا قال المسيح: (( هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه، فغمس اللقمة

<sup>1</sup> - إنجيل مرقس 10 : 45.

<sup>2</sup> - علي زيعور : أوغسطينوس، ص 16.

<sup>3</sup> - محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والإشتقاق ، ص 101.

<sup>4</sup> - ينظر كلمة " مسلمه" تدل دلالة قاطعة على أن الإنجيل كتب بعد رفع المسيح، وأنه ليس من كلام المسيح البتة.

<sup>5</sup> - إنجيل متى 26: 23-25.

<sup>6</sup> - إنجيل مرقس 14: 20

<sup>7</sup> - إنجيل لوقا 22: 21.

وأعطاهما ليهودا سمعان الأسخريوطي<sup>(1)</sup>، وذكر الخائن باسمه! ففي هذه النصوص لم يحدد اسم الخائن في إنجيل متى لوقا ومرقس في حين حدد المسيح الخائن في إنجيل يوحنا، وتوعده بالويل: ((ويل لذلك الرجل الذي به يُسلّم ابن الإنسان، كان خيرا لذلك الرجل لو لم يُولد))<sup>(2)</sup>؟ وجاء في إنجيل مرقس قصة محاولة إلقاء القبض على المسيح في حديقة أو ضيعة إسمها "جثيماني" وأن المسيح قال لتلاميذه أجلسوا هنا حتى أصلي. وأخذ معه بطرس ويعقوب، وأنّ المسيح أصابه حزن وكآبة حتى أنه قال: نفسي حزينة حتى الموت، وراح يصلي حتى تعبر عنه الساعة، وراح يدعو ولما عاد وجد التلاميذ نيام. وهذا النص الذي أورده إنجيل مرقس<sup>(3)</sup> يبطل دعوى التأليه فالمسيح يصلي لله وله أتباع أتباع ذكرت أسماءهم وهو بشر يتألم ويجزن وينتظر نهايته كباقي المخلوقات؟ فكيف يعقل لإله يصلي ، ولمن يصلي؟ ولمن يدعو؟ ولماذا كان خائفا مادام الصلب هو حتفه ومصيره حتى يتخلص البشر من الخطيئة التي يحملونها؟ وكيف لحواريين وأتباع يعول عليهم يتكون صاحبهم يعاني الخوف والهلع؟ وكيف أنّ المسيح يصفهم بالجن والخذلان والخيانة؟ فهذا يهوذا يوشي به وبطرس ينكره والتلاميذ نياما يخذلونه؟ وما دام الحواريون نياما هل كان مرقس معهم أيضا أم كان لوحده يشاهد الأحداث، وكيف عرف التلاميذ ما حدث بعد القبض على المسيح؟ فكيف رويت هذه القصة بلا شاهد؟ مع العلم أنّ إنجيل مرقس لم يكتب إلاّ بعد رفع المسيح بحوالي خمسة وثلاثون عاما.

ومن الأدلة على نفي عقيدة الصلب وتصادمها مع العقل والمنطق ما أورده إنجيل لوقا من زيادة عبارة: (( وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض))<sup>(4)</sup>. فلو كان هدفه حقا الصلب لما حزن حزن ولما اكتأب ولما صار عرقه كقطرات الدم. وتروي الأناجيل خبر المداهمة والقبض على المسيح كما يلي:

في إنجيل مرقس أن يهوذا أقبل مع جمع كثير بسيف وعصي من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، و كان قد أعطى علامة أنّه يقبل المسيح، ولما قدم قبله أمسكوا به، واستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه. فقال المسيح: (( كأنّه على لصّ خرجتم بسيف وعصي لتأخذوني، كلّ يوم كنت معكم في الهيكل أعلم ولم تمسكوني ، ولكن لكي تُكمل الكتُب،

<sup>1</sup> - إنجيل يوحنا 13 : 26.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 26 : 24.

<sup>3</sup> - ينظر : القصة كاملة في إنجيل مرقس 14 : 32-44.

<sup>4</sup> - إنجيل لوقا 22 : 44.

فتركه الجميع وهربوا))<sup>(1)</sup>. وفي إنجيل متى يذكر أن يهوذا جاء مع الجند وقال له يسوع: ((يا صاحب لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيدي على يسوع وأمسكوه وإذا واحد من الذين مع يسوع مدّ يده واستلّ سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه. فقال له يسوع ردّ سيفك إلى مكانه. لأنّ كلّ الذين يأخذون السيّف بالسيف يهلكون))<sup>(2)</sup>. وينفرد إنجيل متى بذكر استفسار المسيح عن سبب قدوم يهوذا وأيضا خبر إمكانية المسيح من طلب المساعدة من الله. وتتفق روايات متى ومرقس ولوقا حول القبلة التي كانت أداة التعريف بالمسيح، ولا يذكر يوحنا شيء من هذا الأمر، بل يذهب إلى أن يهوذا أخذ الجند وخدام من رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء بهم ومعهم مشاعل ومصاييح وسلاح، وخرج المسيح إليهم يسألهم عما يبحثون، فيقولون يسوع الناصري، ويجيبهم أنا هو، ويهوذا واقفا معهم فرجعوا إلى الورا وسقطوا على الأرض<sup>(3)</sup>. وهذا النص في إنجيل يوحنا يدل على استجابة الله لدعاء المسيح الذي لم يكن إلهاً كما يعتقد المسيحيون وأنه رفع كما رفع إلياس<sup>(4)</sup>، وكما سار أخنوخ مع الله<sup>(5)</sup>. وحول محاكمة المسيح تذكر الأناجيل أن الجنود أخذوه موثقا إلى "قيافا" رئيس الكهنة ليتم استجوابه حول الشكوى التي قدّمها اليهود ضدّه<sup>(6)</sup>، فيذكر متى ومرقس ولوقا أن بطرس وحده كان كان يتبع الجنود من بعيد يراقب ماذا سيفعل بالمسيح<sup>(7)</sup>؟ أما في إنجيل يوحنا فإنّ بطرس كان معه تلميذ آخر يراقبان عملية المحاكمة<sup>(8)</sup>. وعند متى ومرقس يذكران أثناء المحاكمة قدوم شهود زور<sup>(9)</sup> وهو وهو ما لم يذكره لوقا ويوحنا. وعند متى ومرقس أنّ تهمة المسيح أنه أخبر بإمكانية هدم الهيكل وبناءه

<sup>1</sup> - إنجيل مرقس 14: 48-50.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 26: 50-52.

<sup>3</sup> - إنجيل يوحنا 18: 3-8.

<sup>4</sup> - سفر الملوك الثاني 2: 11. ((وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء)).

<sup>5</sup> - سفر التكوين 5: 24. ((وسار أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالحو... وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأنّ الله أخذه)).

<sup>6</sup> - ينظر: حيثيات المحاكمة في إنجيل متى 26: 57، مرقس 14: 53، لوقا 22: 54-71، يوحنا 18: 15-27.

<sup>7</sup> - ينظر: إنجيل مرقس 14: 54. ((وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالسا بين الخدام يستدفئ عند النار)).

<sup>8</sup> - إنجيل يوحنا 18: 15. ((وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع وكان ذلك التلميذ معروفا عند رئيس الكهنة فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة. وأما بطرس فكان واقفا عند الباب خارجا)).

<sup>9</sup> - متى 26: 60. ((وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كلّ يطلبون شهادة زور علي يسوع لكي يقتلوه)). وإنجيل مرقس 14: 57:

(( وكان رؤساء الكهنة والمجمع كلّ يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا، لأنّ كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم، ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا)).

في ثلاثة أيام<sup>(1)</sup> ويسكت لوقا ويوحنا عن هذا الأمر. ويتفق مرقس ومتى عندما سأل رئيس الكهنة الحاضرين عن رأيهم وحكمهم في الذي ألقى عليه القبض فيقولون: (( مستوجب الموت ))<sup>(2)</sup> ، ولم يذكر شيء عن هذا في لوقا ويوحنا. كما أنكر بطرس معرفته بالمسيح أو أنه من تلاميذه لما تم القبض على المسيح ، وكان الإنكار لثلاث مرات أوردتها مرقس ولوقا في حين يذكر يوحنا أنه أنكره مرة واحدة قبل الاستجواب ومرتين بعد الاستجواب<sup>3</sup>. هذه الاختلافات في النصوص عند المحاكمة الأولى الأولى أمام رئيس الكهنة "قيافا" أما الاستجواب الثاني أمام " بيلاطس " الحاكم الروماني فإنّ هناك اختلافات أخرى نوردتها كما يلي:

يذكر متى أنّ بيلاطوس طلب من المسيح الدفاع عن نفسه غير أن الكهنة صدّوه عن ذلك<sup>(4)</sup>، ونفسه عند مرقس<sup>(5)</sup>، وعند يوحنا المسيح أجاب جوابا مسهبا<sup>(6)</sup>.

قبل الصلب سلّم بيلاطس المسيح لليهود، ويذكر متى أنّ سمعان القيرواني حمل صليب المسيح<sup>7</sup>، وما ذكره مرقس نفسه حدث متى ولوقا<sup>(8)</sup>. أما يوحنا فيذكر أنّ المسيح هو الذي حمل الصليب<sup>(9)</sup>، وينفرد وينفرد لوقا بإلقاء المسيح لخطبة وهو في طريقه إلى الصلب<sup>(10)</sup>. وفي أثناء مراسيم الصلب يذكر متى<sup>(11)</sup> أنّ لسان استهزأ بالمسيح بنفس الرواية التي ذكرها مرقس<sup>(12)</sup>، وعند لوقا<sup>(13)</sup> أحد اللّصين استهزأ بالمسيح والآخر راح يدافع عنه، فوعده المسيح بحسن العاقبة، ويسكت إنجيل يوحنا عن شأن اللّسان. ونسجل ردود "الخزرجي" على قس طليطلة بهذه الأقوال ، وهي: إدعاء القس أنّ الصلب

<sup>1</sup> - إنجيل متى 26: 61: (( هذا قال إنّي أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه)). وفي إنجيل مرقس 14: 58. ((يقول إنّي أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع بأيادي)).

<sup>2</sup> - إنجيل متى 26: 66.

<sup>3</sup> - ينظر: إنجيل متى 26: 70، والفقرة 75: (( فنذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرّات)).

<sup>4</sup> - ينظر: إنجيل متى 27: 14.

<sup>5</sup> - ينظر: إنجيل مرقس 15: 5.

<sup>6</sup> - ينظر: إنجيل يوحنا 18: 36-40 .

<sup>7</sup> - ينظر: إنجيل متى 27: 32.

<sup>8</sup> - ينظر: إنجيل متى 15: 21. وأنظر: إنجيل لوقا 22: 26.

<sup>9</sup> - ينظر: إنجيل يوحنا 19: 17.

<sup>10</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 23: 32.

<sup>11</sup> - ينظر: إنجيل متى 27: 44.

<sup>12</sup> - ينظر: إنجيل مرقس 15: 32.

<sup>13</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 23: 41.

لحق بجسم المسيح ولم يقع على النصف اللاهوتي منه، والأمر لا يستقيم كمثل الرجل يعاقب ابن خادمه الذي انتظره حتى يولد من أبيه فيقتله ويزيد من كرب والديه، والقول بتناسل الخطيئة حتى مجيء الفداء على خشبة الصليب ونزولا لمسيح إلى الجحيم لينجي الجميع ماعد الذي سلّمه للصلب، فما كان مصير النبي موسى ولماذا لم تتحدث عن هذا الفداء التوراة؟ بل لم يرد شيئا من كلام داود - عليه السلام يثبت تنبؤ لصلب المسيح، وحتى لو صلب المسيح وهو مربوط على الخشبة من كان يمسك السماوات والأرض؟ أم أنه استخلف على تديرهما غيره وهبط هو؟ (( عجا له أنه المنتقم والمنتقم منه، والحاقد والمحقود عليه وأنه الظالم بأخذه نفسا بذنب غيرها ، وهو المظلوم لأنه صلب بذنب غيره، وعجبا لتفاوت غائلته وحقده ، كيف لم يقنع من المعاقب وليس هو عندكم غيره حتى سمرت يداه ورجلاه ، ولا قنع من آدم صاحب الذنب حتى غرست الخشبة في ظهره لما كان قد سلم في الجنة))<sup>(1)</sup>. وتروي الأناجيل حدوث خوارق صاحبت عملية الصلب، كانشقاق حجاب الهيكل بحسب رواية متى<sup>(2)</sup> وتشقق الصخور وتفتح القبور وقيام كثير من الراقدين ودخولهم أورشليم<sup>(3)</sup>.

إن حديث اللاهوت المسيحي عن هذا المصلوب لم يكن إلاّ الله - بحسب اعتقاد المسيحيين - وقد تجسد في تلك الصورة البشرية التي عرفت باسم المسيح وعاشت بينهم ، وتحدثت إليهم ، وأكلت وشربت مما يأكلون ويشربون، وأنّ هذا المصلوب الذي رأوه بأعينهم يصرخ ويتألم ، ويستسقي فيسقى المر المذاب، لم يكن هو عيسى بن مريم ولكنّه كان هو (( الله )) ذاته، قد إنّخذ له جسدا بشريا وحلّ في إهابه، وظهر به في الناس... أهذا إله يعبد؟ أهذا رب يدان له بالإحترام والولاء<sup>(4)</sup>؟ وقد عثر المنقبون على الآثار بإحدى الهياكل الخربة في الاسكندرية على صليب فوفه صورة صورة الاله المخلص المصري ( سيرابيس )<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد بن عبد الصمد الخزرجي: مقامع الصليبان، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، الشركة التونسية للرسم، تونس، ط1، 1975م، ص82.

<sup>2</sup> - ينظر: إنجيل متى 27: 53.

<sup>3</sup> - لم يذكر أي مؤرخ منصف لهذه الحوادث وذكرتها الأناجيل من باب التهويل والتأكيد لعملية الصلب التي تنفيها آيات القرآن الكريم في

قوله تعالى : { وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم } - سورة النساء الآية 157.

<sup>4</sup> - عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص 345.

<sup>5</sup> - عبد العزيز الثعالبي: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان ، ص 54.

إنَّ أم المسيح لم تكن تعلم من إبنها سوى أنَّه إنسان على حظ عظيم من النعمة السماوية ، التي بشرها ملاك الله بها، وقد حملته في بطنها جنينا ، وأرضعته من ثديها وليدا، وضمته إلى صدرها واحتوته بين ذراعيها طفلا، وخالطت أنفاسه أنفاسها، وروحه روحها، وعالجت من شؤونه ما تعالج الأمهات من شؤون أطفالهن ، ممَّا تفرضه ضرورات الحياة عليهم، أفما كان ذلك كله كافيا ليكشف لأمه سرا من هذا الإله الذي يسكن في بطنها زمنا، وترى على يديها أياما وسنين ؟ ولكن اللاهوت المسيحي لا يرى في المسيح إلَّا الله حقيقة لا مجازا فهو الله في جميع المراحل التي تنقل بها المسيح في حياته وأنه صلب ومات على الصليب.

ويتفق اليهود والمسيحيون أنَّ المسيح صلب ومات على الصليب ويختلفون حول دوافع الصلب وما ترتب عنه من نتائج ، فالصلب عند اليهود هو العقوبة الطبيعية العادلة التي كان يستحقها يسوع المسيح الذي ادعى أنه ابن الله تجديفا والذي تكون عقوبة التجديف بحسب الشريعة الموسوية الموت صلبا كما جاء في سفر التثنية: ((وإذا كان على إنسان خطيئة حَقُّها الموت فقتلْ وعلَّقْته على خشبةٍ فلا تَبَّتْ جثَّتُه على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم. لأنَّ المعلق ملعون من الله. فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرَّبُّ إلهك نصيبا))<sup>(1)</sup>.

أما عند المسيحيين فإن الصلب يمثل بذرة العقيدة التي نمت منها شجرة المسيحية، فعقيدة الصلب هي المحور الذي تدور عليه ، فحادثة الصلب هي التي أحدثت الانقلاب العظيم في تاريخ المسيح وفي نظرة الناظرين إليه. وتظل رسالة القديس أثناسيوس الرسولي<sup>(2)</sup> حول تجسد الكلمة الرسالة التي تشرح عقيدة المسيحية كلها في ميلاد المسيح وتجسده وصلبه واعتبار أنه ( الله ) ذاته، تجسد وصلب لكي يخلص البشرية من خطيئتها ويعيد إليها الحياة الأبدية التي سلبها الشيطان إياها<sup>(3)</sup>.

**مطلب 3: القول بعقيدة القيامة :**

وبعيدا عن التحقيقات العلمية لمقولات للأناجيل الأربعة والرسائل التي حفل بها العهد الجديد حول حادثي الصلب والقيامة يجد الكثير من وجوه الخلاف بينها في مواقف متعدّدة ومعها قصص مثيرة في عالم الواقع وحتى عالم الخيال<sup>(4)</sup> ، حيث يعتقد المسيحيون أن المسيح بعد صلبه قام

<sup>1</sup> - سفر التثنية 21: 23.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الكريم الخطيب: المصدر السابق، ص 363. ولد القديس أثناسيوس الرسولي سنة 297 م بمدينة الإسكندرية .

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 365 في إحواله على كتاب: تجسد الكلمة، للقديس أثناسيوس الرسولي، ترجمة القس مرقس داود ص 19-20.

<sup>4</sup> - ينظر: رحمة الله الهندي : إظهار الحق، ج 1 ، ص 142 ، و ص 152 الأغلاط والتناقضات في نصوص العهد الجديد حول قيامة

من بين الأموات في اليوم الثالث ، وقد تناولت الأناجيل مسألة قيامة المسيح من القبر بعد الصلب في مساء يوم الجمعة مستفتحة بالخلاف الأول المتمثل في مجيئ رجل اسمه " يوسف " ليستلم جثة المصلوب بحسب متى ، وعند يوحنا جاء رجلان لاستلامها<sup>(1)</sup>. ويروي مرقس القصة أنه : ((وبعدما مضى السبب اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب<sup>(2)</sup> وسالومة حنوطا ليأتين ويدهننه، وباكرا جدا في أول الأسبوع أتتا إلى القبر إذ طلعت الشمس، وكنّ يقلن فيما بينهما من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ فتطلعن ورأين أنّ الحجر قد دُحرج. لأنّه كان عظيما جدا، ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهشن ! فقال لهن: لا تندهشن. أنتنّ تطلبن يسوع الناصريّ المصلوب. قد قام. ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه ، ولكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس، إنّّه يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه كما قال لكم . فخرجن سريعا وهربن من القبر لأنّ الرّعدة والحيرة أخذتاهاّن ولم يقلن لأحد شيئا لأنّهنّ كنّ خائفات))<sup>(3)</sup>.

وما يلفت النظر إلى هذه القصة كيف يمكن لنسوة أن يذهبن لدهن جسم إنسان انقضى على موته يوم وليلتان؟ ألا يكون قد بدأ في الانحلال خصوصا بعد التمثيل بالجثة وتعليقها على خشبة الصليب لمدة طويلة؟ أما الاختلافات في الروايات حول الزائرات للقبر فهو واضح فمتى يقول أنّهنّ: مريم المجدلية ومريم الأخرى ، ويزيد مرقس إليهما سالومة ، أما لوقا فيقول: أن الزائرين مجموعة من الناس ، وينفرد يوحنا بذكر مريم المجدلية فقط كما ينفرد متى بحدوث زلزال عظيم وقت الزيارة وأن من دحرج الحجر عن فوهة القبر هو ملاك الرب نزل وفعل ذلك وجلس عليه<sup>(4)</sup>. وعند مرقس لا يعرف الفاعل ، متّفقا مع لوقا ويوحنا ، وتتفق الروايات حول من أخبر أنّ الميت قام وخرج من القبر هو الملاك الذي كان واقفا<sup>(5)</sup>. أما يوحنا فيقول أنّ مريم المجدلية رأت المسيح واقفا بجانبها<sup>(6)</sup>، ليظل الخلاف

المسيح من الاموات .

<sup>1</sup> - ينظر: إنجيل يوحنا 19 : 40 .

<sup>2</sup> - هي أم المسيح فقد تحدثت الاناجيل عن أحد إخوة المسيح من أمه وهو يعقوب ابنها من زوجها يوسف ، وأنه كان من اليهود الذين خالفوا المسيح، ولم يستمعوا له، وأنه كان فاتر الحماس في الاستجابة له بعد أن دخل في زمرة أتباعه، وبعد موته.

<sup>3</sup> - إنجيل مرقس 16 : 1-8.

<sup>4</sup> - ينظر: متى 28 : 2.

<sup>5</sup> - ينظر إنجيل متى 26 : 6 ، وإنجيل مرقس 16 : 6 ، وهذه القصة أكيد أنها من نسج الخيال .

<sup>6</sup> - ينظر: إنجيل يوحنا 20 : 11-18.

باديا في روايات الأناجيل حول ظهور المسيح للحواريين بعد صلبه وقبره وقيامته، فهو قد ظهر مرتين بحسب متى<sup>(1)</sup> ولوقا<sup>(2)</sup>،

وثلاث مرات بحسب مرقس<sup>(3)</sup> وأربع مرات بحسب إنجيل يوحنا<sup>(4)</sup>.

وفي موقف الحواريين عندما رأوا المسيح أول مرة يروي إنجيل متى أنّ الحواريين لما رأوا المسيح أول مرة بعد قيامته من القبر سجدوا له والبعض شكّ فيه<sup>(5)</sup>، في حين لم يذكر مرقس في إنجيله قضية السجود، وعند لوقا<sup>(6)</sup> أن الحواريين فزعوا وظنّوا أنّهم رأوا روحا (شبحا)، وعند يوحنا: ((فرحوا بعدما أراهم يديه ورجليه))<sup>(7)</sup>.

ونلاحظ الاضطراب في هذا النص من أنّ الشخص يعرف من وجهه وليس ممّا أشار إليه هذا الإنجيل. وينفرد مرقس بذكر قول المسيح: ((من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يُدان))<sup>(8)</sup>، ويسكت متى ولوقا ويوحنا ولم يذكروا شيئا من هذا. كما ينفرد لوقا بأنّ عيسى أكل مع تلاميذه السمك المشوي والعسل بعد قيامته من بين الأموات<sup>(9)</sup>، وهو ما لم يذكره متى ومرقس ويوحنا. وينفرد يوحنا بأنّ عيسى لما ألقى السلام على على التلاميذ، ولما قال هذا ((نفخ وقال لهم: أقبّلوا الرّوح القدس، من غفرتم خطاياهم تغفر له، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت))<sup>(10)</sup>، كما ينفرد بذكر اشتراط الحواري "توما" أن يرى أثر المسامير في جسم عيسى ليؤمن<sup>(11)</sup>، ولماذا يطلب "توما" ذلك لكي يؤمن بشيء ليس صحيحا؟ وفي فقرات إنجيل متى يدل على أنّ المصلوب ليس المسيح، فلو كان هو ما دلّ الكلام على عدم الرضا بالقضاء والتسليم لأمر الله، ((إيلي إياي لما شبقنتي: أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟))<sup>(12)</sup>، ولماذا المقاومة بالسيف لما علم بقرب حلول المؤامرة ضده؟ فلو كان ينوي أن يقدم نفسه

<sup>1</sup> - ينظر: إنجيل متى 28: 9، وإنجيل متى 28: 16.

<sup>2</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 24: 13، وإنجيل لوقا 24: 26.

<sup>3</sup> - ينظر: إنجيل مرقس 9: 16، و12: 16، و14: 16.

<sup>4</sup> - ينظر: إنجيل يوحنا 17: 20، و20: 24، و20: 26.

<sup>5</sup> - ينظر: إنجيل متى 28: 17.

<sup>6</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 24: 37.

<sup>7</sup> - ينظر: إنجيل يوحنا 20: 20.

<sup>8</sup> - إنجيل: مرقس 16: 16.

<sup>9</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 24: 41-42.

<sup>10</sup> - إنجيل: يوحنا 20: 22.

<sup>11</sup> - ينظر: إنجيل يوحنا 20: 25.

<sup>12</sup> - إنجيل متى 27: 46.

للصلب ما طلب من تلاميذه المقاومة كما في إنجيل لوقا: (( ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً))<sup>(1)</sup>. فخوف المسيح وجزعه ينفيان عقيدة الصلب للخلاص، فهو لم يقدم نفسه فداءً بل سيق قسراً إلى الصلب، وما دام الخلاص ركن في المسيحية لم يذكره سوى يوحنا: ((كل من يؤمن به تكون له الحياة الأبدية))<sup>(2)</sup>، ويشهد المسيح للإثني عشر بالسعادة وشهادته حق، فيقتضي أن يهوذا لم يسلم المسيح ولم يدل عليه<sup>(3)</sup>؟ لماذا المسيح في ليلة القبض عليه كان يقول: إن نفسي حزينة حتى الموت؟ لماذا قضى الليل كله في الصلاة والدعاء والاستغاثة لإنقاذه ممن طالبوا صلبه<sup>(4)</sup>؟ فالمسيح كان يستنكر إرادة اليهود قتله فيقول: ((لماذا تطلبون أن تقتلوني))<sup>(5)</sup>، ويخبر أن اليهود لن يستطيعوا قتله: ((فقال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني. ستطلبوني ولا تجدوني، وحيث أكون أنا لا تقدرُونَ أنتم أن تأتيوا))<sup>(6)</sup>، ويتحدّى المسيح اليهود بقوله أن هناك جمع غفير كان ينادي قائلاً: ((مبارك الآتي باسم الرب))<sup>(7)</sup>، وهذا خلاف الواقع الذي ذكره التاريخ المسيحي الكنسي من أن المصلوب رآه اليهود مقبوضاً عليه مصلوباً يرفس ويضرب ويصق عليه، ألا يدل هذا على أن الذي قبض عليه وصلب هو شخص آخر غير المسيح؟ وكيف يتنبأ بنجاته ثم يحدث العكس؟

فهناك إذاً نصوص من الأناجيل تؤيد عدم وقوع الصلب على المسيح، نحاول استعراضها في كثير من التّأويل والترجيح حتى يتبين الحق من الزيف. فجاء في رواية لوقا أن الله استجاب لدعاء المسيح وأرسل له ملاكاً من السماء يقوّيه<sup>(8)</sup>.

وفي إنجيل برنابا أن الذي قُتل وصلب هو يهوذا الإسخربوطي<sup>(1)</sup>. إن سؤال المسيح للجند عمّا تبحثون؟ ويقولون يسوع الناصري، ويقول أنا هو، فيتراجعون ويسقطون على الأرض، هو دليل على

<sup>1</sup> - إنجيل لوقا 22: 36.

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 3: 16.

<sup>3</sup> - ينظر: إنجيل متى 20: 19: ((وفيما كان يسوع صاعداً إلى أورشليم أخذ الإثني عشر تلميذاً على أفراد في الطريق وقال لهم ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يُسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم)).

<sup>4</sup> - ينظر: إنجيل متى 26: 38.

<sup>5</sup> - إنجيل يوحنا 7: 19.

<sup>6</sup> - إنجيل يوحنا 7: 33-34.

<sup>7</sup> - إنجيل يوحنا 12: 13.

<sup>8</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 22: 43: (( وظهر له ملاك من السماء يقوّيه)).

وقوع الشبه فلم يصدقوه للشبه، وبالتالي لماذا رجعوا إلى الوراء وسقطوا؟ ماذا حدث لهم؟ لا بدّ أنّه حدث شيئا عظيما جعلهم يتراجعون ويستقنون.

وفي رواية لوقا لما سألوا المقبوض عليه، أهو المسيح؟ أجابهم قائلا: ((إن قلت لكم لا تصدقون. وإن سألتُ لا تجيبوني ولا تطلقوني))<sup>(2)</sup> ما معنى هذا الجواب؟ ألا يؤكد أنّه ليس هو المسيح؟ وعندما ظهر المسيح لمريم المجدلية اعتقدت أنّه " البستاني " لماذا تعتقد مريم أنّه البستاني؟ ولماذا تنكر المسيح في حياة البستاني<sup>3</sup>؟ أليس لخوفه من اليهود؟ لأنّه لم يمت ، فلو كان قد مات لما كان ثمة داع للخوف. ولم يقل المسيح لتلاميذه أنّه بعث من بين الأموات، فلماذا لم يصرّح بذلك؟ و أنّ الحوار الذي جرى بين المسيح وتلاميذه وأنّه أخبرهم بقيامته لم يحدث إطلاقا، وإنما هو إضافات أدخلت إلى الأناجيل، فيترتب عن دراسة هذه النصوص الإنجيلية أنّ هناك ردود كثيرة على نفي الصلب وعقيدة الصلب نقلا و عقلا.

ونفس الردود القوية على مسألة محاسبة المسيح للناس يوم القيامة اعتقادا من المسيحيين أنّ المسيح هو الذي يدين الناس يوم القيامة ، لكونه يحمل شيئا من البشر يعينه على محاسبة الناس على أعمالهم ، كما جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتوس: ((لأنّه لا بد أنّا جميعا نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا))<sup>(4)</sup>. ويعتقدون أن الجنة لا طعام فيها ولا شراب ولا نكاح، ولكن المتعة فيها برؤية الله فقط لأن الأجساد ستكون روحانية .

وإذا قارنا مسألة الحساب بما في الديانة المسيحية عما هو في الديانة الاسلامية فان الله في القرآن يقول: { **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** }<sup>(5)</sup>، فالله هو الذي يحاسب البشر لعلمه بسرهم ونجواهم وما يكسبون، وتحدّث القرآن عن أهل النار فقال: { **وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُونَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا** }<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص 66.

<sup>2</sup> - إنجيل لوقا 22: 67.

<sup>3</sup> - ينظر : إنجيل يوحنا 20: 15 (( فظننتُ تلك [ مريم المجدلية ] أنّه البستاني )) الذي أخذ المسيح من قبره؟

<sup>4</sup> - رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتوس 5: 10.

<sup>5</sup> - سورة الملك الآية 14.

<sup>6</sup> - سورة فاطر الآية 36.

لقد انتهت المسيحية إلى الإعتقاد الذي شرد بالعقل وأذهله، وأنّ المسيح هو الله في جميع أحواله، فهو الله في تجسده، وهو الله الذي صلب، وهو الله الذي قام من القبر بعد ثلاثة أيام من دفنه.

#### المبحث الرابع: أركان العقيدة المسيحية بعد تطورها:

تقوم العقيدة المسيحية بحسب قانون الإيمان الذي أقرّه مجمع نيقية على أساسين مهمين ، وهما: عقيدة التثليث، وعقيدة التجسد .

#### مطلب 1: القول بعقيدة التثليث:

ما كانت عقيدة التثليث في أمة من الأمم السابقة من عهد آدم إلى عهد المسيح - عليهما السلام، ويحي - عليه السلام كان إلى آخر عمره شاكا في المسيح عليه السلام بأنّه المسيح الموعود به أم لا<sup>(1)</sup>؟ فلو كان عيسى إلهًا يلزم كفره، إذ الشك في الإله كفر. وكيف يتصوّر أنّه لا يعرف إلهه وهو نبيّه؟.. فلو كان التثليث حقًا لكان الواجب على موسى - عليه السلام وأنبياء بني إسرائيل أن يبيّنوه حقّ التبيين، فالتثليث عقيدة لم تكن تعرفها ديانة موسى ولا ديانة المسيح، وأما عرفتها ديانات وثنية قديمة كالديانة المصرية، فيشير "محمد أبو زهرة" وأنّ المصريين الأقدمين كانوا يعتقدون حلول الآلهة في الأجسام ، فالروح لا بد لها من جثمان تحلّ فيه، ولا تفارق الجسم عند الموت إلاّ على عودة سريعة إليه، فيعتقد المصريون الأقدمون : أنّ روح الإله "حوروس" ذات ثلاث شعب:

**أولها :** الروح الدنيا وهي التي تحل في فرعون الزمان، ثم تنتقل إلى من يليه، وتفيض عليه بقدسيته .

**والثانية :** الروح العليا الحاكمة في السماوات والأرضين.

**والثالثة :** روح تبقى في جسد فرعون الميت، وتقوم بالنصح لفرعون الحي. ولا تبقى هذه الروح إلا إذا بقي الجسم متماسكا، ولذا عملوا الحيلة لذلك، وبنوا الأهرام وشيّدوها لتكون حفاظا للجسم<sup>(2)</sup>. فالعقيدة المصرية كانت قائمة على تقديس ثلوث مكون من أوزيريس الأب، وحوروس الابن، وإيزيس الأم ، والجميع يرجع إلى واحد<sup>(3)</sup>، غير أنّ بذور التثليث الأولى في المسيحية عُرفت عند ظهور فكرة تأليه المسيح التي روج لها جنود الرومان بحسب انجيل برنابا نظرا للولادة العجيبة للمسيح من غير

<sup>1</sup> - ينظر: إنجيل متى 11: 3: ((أرسل [ أي المعمدان] اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتي أم ننتظر آخر)).

<sup>2</sup> - رحمة الله الهندي: إظهار الحق ، ج1، ص 345.

<sup>3</sup> - محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان(الديانات القديمة) ، ص 12.

أب<sup>(1)</sup>، ومّا زادها انتشارا مقام به من دعاية لهذا الغرض بطريك الأسكندرية المتشبع بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة التي قالت بفكرة الأقانيم الثلاثة والمؤهلة للطبيعة البشرية والتي استصاغها الإمبراطور وأعجب لهذه الأفكار لإقترابها من أفكاره الوثنية فعدّد مجمعا لحل النزاع بين الموحدين والمؤهّنين. وبهذا المجمع التّيقّي الذي دعى إليه ثبتّ فكرة ألوهية المسيح التي مهّدت إلى مرحلة الأقانيم الثلاثة ، لأنّ مجمع نيقية لم يكتمل فيه التثليث تماما لأنّ فيه تمّ تأليه الآب<sup>(2)</sup> والإبن فقط ، أما روح القدس فتمّ تأليهه في مجمع لاحق هو مجمع القسطنطينية ، إذ تمّ بقرارات المجمعين اكتملت عقيدة التثليث المناقضة لعقيدة التوحيد التي دعى إليها المسيح عيسى -عليه السلام.

فأصبحت المسيحية بعد أن افتقدت المسيح وكتابه السماوي وتلاميذه المخلصين في ضياع تام تلعب بها الأفكار والفلسفات من نقيض إلى نقيض آخر، وأصبح التغيير والتبديل في العقيدة جائزا على يد بولس الرسول الذي دخلها بعد أن كان من ألدّ أعدائها، فتحوّلت المسيحية من دين توحيد إلى دين تعدد وشرك ، وظهر التثليث كأساس عقائدي للمسيحية. وقد تشابحت عقيدة التثليث عند المسيحيين بما هو عند الوثنيين كالهنود الذين يقولون بأنّ إله ذو أقانيم ثلاثة<sup>(3)</sup> تسمّى : (تري موري)، وهي كلمة مركبة من كلمتين : سنسكريتين، أما : (تري) فمعناها ثلاثة و(موري) ومعناها أقانيم، أو هيئات وهي: (برهما - فشنو - سيفا)<sup>(4)</sup>. حيث أطلق الهنود الذين جمعوا الآلهة في إله واحد وقالوا : هو (براهما) ( من حيث هو موجد، وهو (فشنو) من حيث هو حافظ، وهو (سيفا) من حيث هو مهلك.<sup>(5)</sup> ويعبر البوذيون في الصين عن الإله (فو) أي الثالوث، ويصوّر في المعابد بشكل الأصنام والمصريون القدامى يعبدون إلهامثلث الأقانيم ، يسمّى الأقتوم الثّاني بالكلمة - ذي الأصل الوثني

<sup>1</sup> - إنجيل برنابا: دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، تحقيق: سيف الله أحمد فاضل، ط2، دار القلم،

الكويت، : 1983، ص41. أنظر إنجيل برنابا الفصل الثالث: (ولادة المسيح العجيبة وظهور الملائكة ممجدين الله) .

<sup>2</sup> - الآب : بمد الهمزة في اللغة السريانية معناه الله ، ولكن النصارى عندما ترجموا العهد الجديد للغة العربية أبقوا المدة، مع أن مقصودهم يقابل الإبن، فتصححها أن تكتب من غير مدّ. ينظر أحمد شليبي: المسيحية ، ص 105، عن : الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود ، ص 8 الهامش) .

<sup>3</sup> - محمد طاهر التنير : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية من ص 180 الى ص 193 جاء في الكتاب: في الفصل السابع عشر مقابلة النص الصريح بين كرشنا ويسوع المسيح وهو مقابلة ما يقوله الهنود الوثنيون عن كرشنا بما يقوله المسيحيون عن يسوع المسيح في حوالي 46 حالة ، ومقابلة النص الصريح بين بوذا والمسيح وهو مقابلة ما يقوله الهنود الوثنيون عن بوذا بما يقوله المسيحيون عن المسيح في 48 حالة عقدها في: ص 196 الى ص 213 . من نفس الكتاب.

<sup>4</sup> - أحمد شليبي : المصدر نفسه، ص 110. وأينظر محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص 27 - 28 ، في حديثه عن منشأ الوثنية في الديانة البرهمية حيث يقول: (وهذه الآلهة الثلاثة أقانيم لإله واحد في زعمهم، والإله الواحد هو الروح الأعظم واسمه بلغتهم آتما). .

<sup>5</sup> - أحمد شليبي : أديان الهند الكبرى ( الهندوسية، الجينية، البوذية) ، ص 48.

المصري - الذي دخل المسيحية الذي نجد نص رسالة يوحنا الأولى تشير إليه: (( فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الآبُ وَالْكَلِمَةُ وَرُوحُ الْقُدُسِ، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ فِي وَاحِدٍ ))<sup>(1)</sup>.

ويعالج القرآن زيف المسيحيين مبيناً الكلمة التي يصفون بها المسيح بقوله: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ }<sup>(2)</sup>. والمسيحيون يسمون المسيح "الكلمة" بحيث يؤهّون هذه الكلمة ويعبدونها، وهي مشاركة لبعض الوثنيين المصريين القدامى، وقولهم بلاهوت "الكلمة" وأنّ كل شيء صار بواسطتها وأنها منبثقة من الله وأنها الله ذاته. وقد كان أفلاطون وأرسطو عارفاً بهذه العقيدة الوثنية قبل التاريخ المسيحي بسنين طويلة. وكان الأشوريون يدعون مردوخ بالكلمة ويقولون عنه أنه ابن الله البكر<sup>(3)</sup>.

فالتثليث عقيدة طارئة على المسيحية ولم يكن التثليث أصلاً فيها منذ بدايتها، وإنما هو نتاج للأفكار الوثنية السائدة في ذلك الوقت، حيث أذاع جند الرومان خبر ولادة المسيح من غير أب وأنه إله أو ابن إله، ونمت الفكرة وترعرعت بعد ذلك وراجت فكري التأييد والتثليث على يد "أثناسيوس" الراهب المصري السكندري الذي نالت فكرته الموافقة من قبل المجامع المسكونة وخاصة منها المجمعين الأول والثاني. فالمسيحيون الأوائل موحدون منكرون لألوهية المسيح، ولكن بولس الذي أدخل إلى المسيحية معظم العقائد الباطلة كان نداؤه أولاً بألوهية المسيح معارضا تلاميذ المسيح، لتنال حركته النصر في أفكارها المؤهّمة، وبذر بولس البذور التي نقل بها المسيحية من الوحدانية إلى التثليث، ووافقت فكرة التثليث الجماهير، هذه الجماهير التي كانت تنفر من العصبية اليهودية ومن الوثنية البدائية، ووجدت في الدين الجديد ملجأ لها وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفهم السابقة التي ألفوها وورثوها عن آبائهم وأجدادهم<sup>(4)</sup>. فالقرون الأولى للمسيحية ترينا أنها كانت بين شقي الرّحى بين اضطهاد اليهود واضطهاد الوثنية الرومانية حتى سنة 325م لما كانت القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية وكان أغلب رعايا الإمبراطور قسطنطين من المسيحيين، وأغلب الوثنيين في حوزة روما في الغرب، فقرب الإمبراطور المسيحيين إليه، ولما رأى هذا الإمبراطور الخلاف بينهم دعا إلى

<sup>1</sup> - رسالة يوحنا الأولى 5: 7.

<sup>2</sup> - سورة النساء 171.

<sup>3</sup> - غسان خالد: أفلوطين رائد الوحدانية، ص 142 في حديثه عن المثلث الأفلوطيني امتداد لإرث تاريخي.

<sup>4</sup> - أحمد شلبي: المصدر السابق، ص 112.

عقد مجمع لحسم تلك الخلافات العقائدية وهو مجمع نيقية 325م الذي حضره 2048 أسقفا والذي انبثق منه قانون الإيمان المسيحي<sup>(1)</sup>، الذي يعتبر الأساس في التثليث الذي لم يكتمل تماما في مجمع نيقية لأن هذا المجمع آله الآب والإبن، أما الروح القدس فقد آله في مجمع القسطنطينية المنعقد سنة 381م. وقد أخذت أغلب أفكار المجمعين من الوثنية الهندية القديمة ومن وثنيات العالم الأخرى ، لتنتقل فكرة ألوهية المسيح إلى مرحلة الأقانيم الثلاثة. فليس التثليث وحده من أصول المسيحية وثنيا ، فأكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار من الوثنية ، والدارس لها اليوم يدهشه التماثل الواضح بين الشعائر والطقوس والأركان المسيحية والوثنية، حيث هناك ثالوث عند قدماء المصريين أشهرهم "أوزوريس" وهو الإله الأب و"إيزيس" الإله الأم ، و"حورس" الإله الابن عُبد هذا الثالوث في عين شمس بمصر. وفي الهند هناك الثالوث البرهمني ممثلا في (برهمنه، فشنو، سيفنا) ثلاثة أقانيم في واحد حيث برهمنه الخالق، وفشنو المخلص، وسيفنا المهلك، وهناك ثالوث بوذي انتشر في الهند والصين واليابان يسمى (فو)، كما كان للرومان ثالوثا كان للفرس أيضا ثالوثهم<sup>(2)</sup>. فالتثليث عقيدة وثنية عرفته البشرية منذ العصور الغابرة، فيقول "محمد مجدي مرجان": ((والمتبع لتاريخ الأديان الوثنية ، يجد أنّ الثالوث المقدس يعتبر أصلا من أصولها ومعتقداتها وقد قال بهذا الثالوث قدماء المصريين ، وقال به الهنود، وقال به غيرهم من الأمم الوثنية))<sup>(3)</sup>. فالتثليث كجملة ظهر أولاً عند المسيحيين، أخذوه من الثقافات المحيطة بهم، تلك الثقافات التي أثرت على المسيحية ونقلتها إلى عبادة ثالوث مقدس ، وأصبحت هذه الحقيقة مسلما بها، وأصبح الإتجاه العام وبخاصة بين الجماهير هو الإيمان بثالوث مقدس قريب الشبه بالثالوث الذي كانوا يؤمنون به قبل أن يدخلوا المسيحية<sup>(4)</sup>، أما المسيحية الحقيقية التي جاء بها المسيح فهي خالية من التثليث ، وهو ما دلّت عليه نصوص تنسب إلى أصحاب الأناجيل أنفسهم على أنّ المسيح لم يقل بهذه العقيدة الدخيلة من الشعوب الوثنية السابقة لتاريخ المسيحية، ومن هذه الأدلة ما ورد في النصوص الصريحة من الأناجيل والرسائل التي يضمها العهد الجديد تثبت بطلان التثليث والقول به، فجاء في إنجيل يوحنا: ((لأنّه هكذا أحبّ الله العالم حتى

1- أسد جبرائيل رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج1، ط1، المكتبة البولسية، بيروت، سنة 2000م، ص 1.

2- أحمد شلبي: المصدر السابق ، ص 153 ومن هذه الصفحة حتى ص 159. عقد أحمد شلبي، مقارنة بين العقائد الوثنية وعقائد المسيحية الحالية . وينظر: المرجع السابق، كتب عن علاقة النصرانية بالعقائد الوثنية السابقة في ثمانية عشر فصلا .

3- محمد مجدي مرجان : الله واحد أم ثالوث، ص 78، وقد كان المؤلف مسيحي يعمل شماسا في إحدى الكاتدرائيات ثم داعيا للثالوث ثم أسلم ، ينظر : مقدمة كتابه هذا ، ص 6.

4- أحمد شلبي: المصدر نفسه، ص 108.

بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلُّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية لأنَّه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم<sup>(1)</sup>، فالمسيح رسول وليس إله، إذ لا إله إلا الله وحده كما جاء في مرقس في سؤال من أحد الكتبة للمسيح عن أعظم الوصايا؟: (( فأجاب يسوع إنَّ أولَّ كلِّ الوصايا هي اسمع يا إسرائيل. الرَّبَّ إلهنا ربَّ واحد))<sup>(2)</sup>، وهذه وصية الرسل عامة. وجاء في إنجيل متى: ((وإذا واحد تقدّم وقال له أيُّها المعلّم الصّالح أيّ صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية. فقال له لماذا تدعوني صالحاً، ليس أحدٌ صالحاً إلاّ واحدٌ وهو الله))<sup>(3)</sup>. فالذين يحاجّون في أنّ المسيح هو الله وأنّه هو الذي ادّعى الألوهية بنفسه، يجب عليهم أن يواجهوا هذه الفقرة ، وليتصفّحوها جيداً ليدركوا أن التثليث والقول بلاهوت عيسى: (( هو في الحقيقة عين الخلاف بين العقيدة النصرانية الحاضرة والعقيدة الإسلامية))<sup>(4)</sup>. فقد أظهر المسيح تواضعه فهو إنسان وليس إله، وأن المسيح قال عن نفسه أنّه ليس إله، وبالتالي يبطل التثليث كما يبطل القول بأنّه مات وقبر لثلاثة أيام فماذا حدث للتثليث أثناء هذه الفترة؟ كما يبطل التثليث عند القول بأنّ إله في السماء، والثاني تولد من بطن مريم والثالث نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعد ما صار ابن ثلاثين سنة. فالمسيحيون قالوا بألوهية المسيح ليصبح ثاني الآلهة ، ثم قالوا بألوهية الروح القدس لأنهم يريدون أن يدعوا الصّلة بالله وتلقي العلم منه، وأنّ روح القدس ينزل عليهم ويمتلئون به ويعرفون بواسطته ما لا يعرفه الناس ، وتمّ بذلك التثليث الذي كانوا يريدونه، والموافق لما كانت تقول به الفلسفة الأفرطونية الحديثة.

فجاء في كتاب أفلوطين رائد الوجدانية "الغسان خالد" قوله: ((فالشّبه قائم التثليث المسيحي والمثلث الفيضي الأفلاطوني. فالوحدة الثلاثية قائمة عند الإثنين، كما أنّ الله في المسيحية هو ونور على غرار ما هو آب ونور عند أفلوطين. ثم إنّ كلا من الأقانيم الثلاثة هو نور كما أنّ كلا من المثلث الفيضي هو علّة نورانية. والأقانيم الثلاثة هي الوحدة الماورائية الجذرية للوجود نظير ما هو المثلث الفيضي الوحدة الماورائية الجذرية للوجود. فضلا عن أنّ أحد الأقانيم الثلاثة، أي الإبن شكّل الوساطة الإبداعية للكون، كما أنّ أحد درجات المثلث الفيضي وهي النّفس، شكّلت الوساطة الإبداعية للكون، فتزمن الإبن كما تزمنت النفس، لتصنع النفس التاريخ وتنزل إلى خضمّه، كما صنع

<sup>1</sup> - إنجيل يوحنا 3: 17.

<sup>2</sup> - إنجيل مرقس 12: 29-31.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 19: 16-17.

<sup>4</sup> - محمود علي قراءة: الثقافة الروحية في إنجيل برنابا ، ص 11.

الإبن التاريخ ونزل إلى خضمه.. مشارفاً بذلك فكرة التجسد في المسيحية، وهو ما كاد أن يجعل الإنسان محور الكون في مذهبه))<sup>(1)</sup>.

## مطلب 2: القول بعقيدة التجسد:

تعود الجذور التاريخية لعقيدة التجسد إلى ما قبل ظهور المسيحية حيث حاولت العقائد السابقة لها إلى محاولة إنزال تجسيد الله على الأرض حتى يراه الناس خصوصاً في التماثيل التي صنعوها فنسبة البنوة إلى الله ليست غريبة على العقل البشري، ولا هي بالمستحدثة في تفكيره.. فقد كان فراغ مصر يعتقدون أنهم آلهة وأبناء آلهة.. وكذلك الشأن عند قياصرة الرومان وأكاسرة الفرس وغيرهم من أصحاب الملك والسلطان.. إنهم كانوا ينظرون إلى الناس من سماوات عالية، كما كان ينظر إليهم الناس من هذه الأرض، على أنهم آلهة، نزلوا من السماء، فقدسوهم وعبدهم<sup>(2)</sup>! فلما جاءت المسيحية سعى دعاؤها من اليهود إلى إعتبار أنّ الله تجسد في شخص المسيح، لذلك اعتبره المسيحيون إلهاً ومخلصاً وإبناً لله!<sup>(3)</sup>.

وهذا لا يعني أنّ هناك خلاف بين المسيحيين من أنّ المسيح هو عيسى ابن مريم، فالمسيح هو ذلك الرجل الذي عاش بفلسطين يكرز بالإنجيل، وهو المنتظر بحسب نصوص العهد القديم التي تأولوها على خلاف اليهود الذين لم يعترفوا بالمسيح، واعتبروه في مصادرهم المنحولة شخص مجهول النسب شكّل تمرداً على سلطة الهيكل، وسلطة الإمبراطورية واستحق العقاب بعد المحاكمة ونال جزاءه كفرد أراد تأليب الجماهير على السلطة الدينية والمدنية.

ونظراً لتضارب المصادر التاريخية عند المسيحيين واليهود حول شخص المسيح، تنوّعت الآراء حول الجذور التاريخية لعقيدة التجسد، والإلتئاد بحسب الحجج التقليدية والاستدلال بها مع أنّ نص التجسد الوارد في إنجيل يوحنا: (( لا يسلم به إلاّ مع كثير من التجوّز الذي يجرح المنطق، ويختلّ العقل عن وجوده!))<sup>(4)</sup>. تنظر المسيحية إلى عقيدة التجسد بأنّ الإنسان لم يكن بإمكانه أن يرتفع إلى الله، فقد شاء الله في محبته أن ينحدر بنفسه إلى الإنسان ليعيد الشركة بين الإنسان وبينه، فأخذ الله

1- ص 144.

2- عبد الكريم الخطيب: المصدر السابق، ص 137.

3- يعتبر أول نص من انجيل يوحنا أحد الدعائم التي قامت عليها عقيدة التجسد، والتي استند إليها دعاة المسيحية الأولون ففهم الدعاة من النص: أنّ الكلمة هي الله، وأن الله هو الكلمة، وأن الكلمة قد خلق كل شيء، وأنه صار جسداً وحل بيننا في شخص المسيح، الذي رآه الناس في عصره الذي ظهر فيه، في أرض اليهودية، وقام بدعوته في مواجهة اليهود، وطلع عليهم بمعجزات قاهرة.

4- عبد الكريم الخطيب: المصدر السابق، ص 125.

الطبيعة البشرية وضّمها إلى لاهوته، لتسري فيها الحياة الإلهية فتجددها، وبالتجسد اتّحد الله ذاته بالإنسان لتسري في الإنسان حياة الله، وهكذا تأله الإنسان لأته من الله ومنه وحده يستمدّ الإنسان كل موهبة وقوة وحياة، ولا يعني أنّ الإنسان تأله بالتجسد لكن يعني أنّ حياة الله قد أعطيت للبشر فأصبحوا مشاركين لله في محبته وفي مجده وقوته وفي فرحه وفي حكمته، وفي قداسته، وفي خلوده بحسب نص بطرس الرسول: ((كما أنّ قدرته الإلهية قد وهبت لنا كلّ ما هو للحياة والتّقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثّمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية))<sup>(1)</sup>.

أ- من هو المتجسد؟

جاءت الآيات القرآنية متحدثة عن عيسى وولادته ومعجزاته ودعوته ونهايته دون أن تتعرض إلى التفاصيل الدقيقة، لكونها للعبارة والعظة واستنباط للأحكام الشرعية، وللدلالة على الأحداث التاريخية من حيث أنّها واقعة حقيقية، على خلاف ما ورد عن المسيح في النصوص المتداولة في الأوساط المسيحية<sup>(2)</sup> التي لعب الخيال فيها دوره الكبير لعدم مطابقة الواقع لها أو الوقوع في التناقض<sup>(3)</sup>، والجهل بكلام المسيح في المهد، والظن في شرف مريم وأنها كانت مسماة لرجل يقال له يوسف النّجار من ولد داود- عليه السلام، فجاء في الإنجيل: ((لما كانت مريم أمّه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبله من الرّوح القدس، فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يُشهرها أراد تخليتها سرا، ولكن فيما هو متفكّر في هذه الأمور إذا ملاك الرّب قد ظهر له في حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأنّ الذي حبل به فيها هو من الرّوح القدس))<sup>(4)</sup>.

إنّ قضية التجسيد التي هي مركز العقيدة المسيحية كانت تبريرا للعلنة الموت على الصليب فوجدت المنخرج الذي تخرج به المسيح من اللّعة التي علقت به من الصلب على الخشبة، بأن يكون الإله الذي نزل من السّماء مقدّما نفسه فدية لرفع الخطيئة الموروثة عن نسل آدم -عليه السلام، ومنها فتح أبواب المغفرة للنّاس ولمن آمن به .

<sup>1</sup> - رسالة بطرس الثانية 1: 3-4.

<sup>2</sup> - ينظر: على سبيل المثال نصوص إنجيل يوحنا، وخاصة: الاصحاح الاول منه.

<sup>3</sup> - مطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، ج3، ص 120.

<sup>4</sup> - ينظر: إنجيل متى 1: 18-20.

إنّ تبرير التجسّد فتح الباب واسعا للإنتقادات على المسيحية بل فتحت ثغرات واعتراضات كانتساب المعجزات للمسيح، ولم ينف أحد من الدّارسين والمؤرخين للديانة المسيحية بعدم انتساب معجزات للمسيح للدلالة على أنّه رسول ونبي فقد شهدت له بذلك نصوص القرآن والمصادر المسيحية أيضا، فقد حشدت له مجموعة كبيرة من المعجزات، رغم أنّها أغفلت معجزة تعتبر مفارقة عجيبة بين الإسلام والمسيحية، إذ تحدث القرآن عن معجزة كلام عيسى في المهد بقول الله تعالى: ﴿ ويكلّم الناس في المهد ﴾<sup>(1)</sup>، وقول الله تعالى: ﴿ فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصّلاة والزّكاة ما دمت حيا وبرّا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا والسّلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾<sup>(2)</sup>.

وهو ما لم تذكره الأناجيل القانونية، وذكره إنجيل غير قانوني يسمى إنجيل "الطفولة" الذي أشار إلى أنّ عيسى تكلم في المهد صبيا وحين كان له سنة واحدة قال لأمه: ((يا مريم أنا يشوع الذي ولدني كما بشرك جبريل الملك وإني أرسلني لخلاص العالم))<sup>(3)</sup>. وبالرغم من هذه الشهادة التي أوردتها هذا الإنجيل فإن الفرق المسيحية ينكرون ما ذكره القرآن من كلام المسيح في المهد متسائلين عن صدق الرواية القرآنية بما لا يعرفونه عن المسيح، وهو الذي سجّلت له كل شاردة وواردة، وكل ما لها علاقة وأهمية في حياته وسيرته منذ ولادته حتى نهايته<sup>(4)</sup>. مع الإشارة إلى أنّه لم ترد تفاصيل عن ما قام به المسيح من إبراء للأكمه والأبرص وقد ذكرها القرآن الكريم<sup>(5)</sup>، وقبل علماء الإسلام الروايات التي أوردتها الأناجيل بعدما لعبت في نسجها الخيالات الشعبية والأسطورية بشكل ملفت للانتباه كتسجيل مشي المسيح على الماء، ومنه هذا النص: ((ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع، وبعد ما صرف الجموع صعد منفردا ليصلّي. ولما صار المساء كان هناك وحده، وأمّا السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر مُعذّبةً من الأمواج. لأنّ الرّيح

<sup>1</sup> - سورة آل عمران ، الآية 46.

<sup>2</sup> - سورة مريم ، الآيات 29- 33 .

<sup>3</sup> - محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري ( جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، ج1، دار هجر بمصر ، ط: 1422هـ - 2001م ، ص 112.

<sup>4</sup> - المقدسي: البدء والتاريخ ص 134. و تفسير الطبري ، ج1، ص 193. روي عن ابن عباس أنّه ممّن تكلموا في المهد أربعة وهم صغار:

ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم. وجاء عن قصة جريج ما أورده محمد بن اسماعيل

البخاري : صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير ناصر الناصر، ج3 ، دار طوق النجاة، بيروت، ط: 1422هـ ، ص 179.

<sup>5</sup> - ذكرتها سورة آل عمران الآية 49، و سورة المائدة ، الآية 110.

كانت مضادة. وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشيا على البحر. فلما أبصره التلاميذ ماشيا على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال. ومن الخوف صرخوا. فلوقت كلمهم يسوع قائلا تشجعوا. أنا هو. لا تخافوا. فأجاب بطرس وقال يا سيد إن كنت أنت هو فمُرني أن آتي إليك على الماء. فقال تعال. فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع. (1)، وقام المسيح بمعجزة إبراء الأبرص كما جاء في هذا النص: ((وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني، فمدَّ يسوع يده ولمسه قائلا أريد فاطهر. وللوقت طهر برصه)) (2). وحول ابصار الأعمى الذي شفاه المسيح جاء في هذا النص: (( وفيما هو مجتاز رأى إنسانا أعمى منذ ولادته. فسأله تلاميذه قائلين يا معلّم من أخطأ هذا أم أبواه حتى وُلد أعمى؟ أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه. ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهارًا، يأتي ليلٌ حين لا يستطيع أحدٌ أن يعمل، ما دامت في العالم فأنا نور العالم. قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طينا وطلّى بالطين عيني الأعمى. وقال له اذهب اغتسل في بركة سلّوام. الذي تفسيره مرسل. فمضى واغتسل وأتى بصيرا)) (3). وقلبه الماء الذي كان في القدر إلى لحم ومرق وخبز، وأحيا شاة بعد ذبحها وشيها وأكلها دون كسر عظامها وأحيانا عجلا بنفس الطريقة (4).

وفي مواقف عجيبة لنصوص المسيحيين حول علاقة المسيح برئيس الشياطين تورّد هذه النصوص قصص كثيرة عن قيام المسيح بإبراء المرضى والصرعى وشفاء المجانين المصابين بروح ضعف - بحسب تعبير إنجيل لوقا من أنّ امرأة مصابة أو بها مسّ: (( كان بها روحٌ ضَعْفٍ ثمانِي عشرة سنةً وكانت منحنيةً ولم تقدر أن تنتصب البتّة ، فلما رآها يسوع دعاها وقال لها: يا امرأة إنك محلولةٌ من ضَعْفِكَ، ووضَع عليها يديه ففي الحال استقامت ومجّدت الله )) (5).

<sup>1</sup> - إنجيل متى 14 : 22-30. تكاد تكون نفسها في إنجيل مرقس 6 : 45-52. وفي إنجيل يوحنا 6 : 16-21 أيضا.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 8 : 1-4. وأنظر نفس المعجزة في إنجيل مرقس 1 : 40-45، وفي إنجيل لوقا 5 : 12-16.

<sup>3</sup> - إنجيل يوحنا 9 : 1-7.

<sup>4</sup> - ينظر: محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري ج 3، ص 240، وأنظر: ج 3 ص 284-285.

- الثعالبي ابي اسحاق أحمد بن محمد: قصص الأنبياء (المعروف بالعرائس) ، ص 381-401. أشار في كتابه هذا إلى الإنجيل المسمى (بانجيل الطفولة) حيث تحدث عن معجزات عيسى في صيف يعدم الحس النقدي فيها ويطغى الضمير الميبي استغلت لأغراض وعظية وتعليمية .

<sup>5</sup> - إنجيل لوقا 13 : 11.

وتتهم فرقة الفريسيين بأنّ المسيح له تحالفات مع رئيس الشياطين<sup>(1)</sup> ويأمرهم بإسمه وسلطانه فيطيعونه ويخرجون من أجسام صرعاهم ، وله القدرة على غريلة تلاميذ المسيح كما يغربل الحنطة بالتغلغل فيهم بالوسوسة.

وتناولت المصادر الإسلامية معجزات المسيح كما تناولت صفته الخلقية وسنّه وزمنه، وتكاد تتفق الروايات على أنّ زمن حياة المسيح هو ثلاثا وثلاثين سنة والتي انتهت بكيفية تشعبت فواصلها وفروعها ترتبت عنها عقائد وآراء عرفت بعقيدة الصّلب والفداء والتأليه والتجسد . لقد تطورت فكرة تجسّد الكلمة فكانت أولًا فكر الله أو عقله، ثم نمت وتطورت فكانت ابن الله بنوّة روحية أولًا، ثم بنوّة نسبية ثانيا، وهو آخر طور من أطوار تجسّد الكلمة في مجال التفكير المسيحي من الكلمة المتجسّدة في عقل الله أو فكره، إلى الكلمة المتجسّدة في ابن الله، إلى الكلمة المتجسّدة في الله. والمسيح في هذه الأطوار الثلاثة هو الكلمة المتجسّدة لفكر الله ، ثم الكلمة المتجسّدة في ابن الله ، ثم الكلمة المتجسّدة في الله ممّا حدى بالعقل المسيحي إلى القول بالتثليث الذي يفرّق الذات الإلهية في ثلاثة أقانيم، ثم يجمعها في إله واحد<sup>(2)</sup>.

ويرجح المفسّرون أنّ كلمة المسيح التي أصلها سامي مشترك فقيل (مسيح) لكون اليهود كانوا يمسحون ملوكهم وأبناءهم بدهن مقدّس ورد ذكره على لسان يونس- عليه السلام في إنبائه عن المسيح فقال: ((من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك))<sup>(3)</sup>. فرؤية اليهود لهذا المفهوم هو انتظار لشخص يحقق لهم الأمن والعدالة ويخلصهم من رنقة الحاكم الأجنبي، خلاف لرأي الكنيسة في المسيح إذ هو المخلص بناءً على دعوته إلى الإنضمام لملكوت الله. وكان لظاهرة انتشار فكرة انتظار مسيح مخلص مشتركة بين شعوب عدّة، الذين كانوا ينتظرون مجيء مخلص يملأ الأرض عدلا بعدما ملئت ظلما وجورا، فيأتي المخلص فيخفف وطأة العذاب والقهر، فكان هذا التصوّر أمل كل من يرغب في التخلص من أوضاعه المتردية، وأصبح سلوكا تعويظيا عن واقع مرير،

<sup>1</sup> - تسمى المسيحية رئيس الشياطين ب (بعزبول) أطلقه الفريسيون لما رأوا المخبولين والمصروعين الذين شفاهم المسيح ، وقد أورد = إنجيل لوقا قصة عن سلطان إبليس على العالم لما راح يمتحن المسيح في البرية محاولا إغواءه بما يملك من العروض والمغريات. ينظر التفاصيل في إنجيل لوقا 4: 1-13. وفي لوقا 22: 31 قول المسيح لسمعان (( هو ذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة)) وفي إنجيل يوحنا 14: 30 حيث يصف المسيح إبليس برئيس العالم، (( لا أتكلّم معكم كثيرا لأنّ رئيس العالم يأتي وليس له فيّ شيء)).

<sup>2</sup> - عبد الكريم الخطيب : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص 171.

<sup>3</sup> - سفر المزمير ، مزمور 45: 7.

ولولا هذا التصور ما كان للمسيحية ما هي عليه من اعتقاد بأن عيسى ربّ وإله، ولما ظهرت عقيدة التجسّد على الشكل الذي قمنا بدراسته.

وقد أطلق على هذا الواقع اسم: (المسيحانية)، ووصلت أقدم وثيقة عن المسيحانية من خلال التطور التاريخي للخصومات لديها ما نصّت عليه وثيقة مجمع نيقية بشأن طبيعة المسيح التي تفرّق حولها القول بمقولات قارت الثلاث عشرة مقالة، فمنها قول من قال: (( إنّ المسيح وأمه كانا إلهين، ومنها قول من قال إنّ من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، فلم ينقص الأوّل انفصال الثانية، ومنها مقالة من قال بتأليهه، ومنها مقالة من قال بتعبيده، ومنها مقالة من قال إنّ جسده كان خيالا - مثل متى وأصحابه - ومنها مقالة من قال: هو الكلمة، ومنها قول من قال: هو الابن، ومنها مقالة من قال: هو روح قديمة، ومنها مقالة من قال: هو ابن يوسف، ومنها مقالة من قال: نبيّ من الأنبياء، ومنها مقالة من قال: هو لاهوتي وناسوتي))<sup>(1)</sup>. فاجتمع الأساقفة بأمر من قسطنطين لتوحيد كلمة المسيحيين حول القول بأن المسيح ولد من الأب قبل كون الخلائق، ولم يتطرق المجتمعون إلى ذكر روح القدس ولم يثبتوه خالقا ولا مخلوقا. ويرجع بعض المؤرخين أنّ سبب انعقاد مجمع نيقية يعود إلى القول بالتثليث والإتحاد، ضد المقولات التي أظهرها "أريوس" في خلاف في موضوع التثليث، فاجتمع أساقفة المسيحية ليظهروا البراءة من "أريوس" ودوّنوا تقريرا حول الإيمان، حمل الإمبراطور الناس على الالتزام به بمساندة الآباء، ومن لم يقبل به يقتل، فكان ضحيته عدد لا يستهان به من الأوفياء المخلصين لدين المسيح الحق، ولما تولى الحكم "ثيودوسوس الأكبر" دعا إلى عقد مجمع القسطنطينية سنة 381م الذي ضمّ مائة وخمسون أسقفا ومعهم ثلاثة بطارقة دون بطريك روما ليثبتوا أنّ روح القدس إله أيضا، ووضعوا لذلك ما يسمّى بصحيفة الأمانة وهي:

(( أو من بالله الواحد الأب مالك كلّ شيء خالق السّموات والأرض ما يرى وما لا يرى وبالربّ المسيح ابن الله، الذي ولد قبل الدهر، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود ليس بمخلوق، ومن نفس الأب، به كان كلّ شيء من أجل خلاصنا نزل من السّماء وتجسّد بروح القدس ومن مريم العذراء، فصار بشرا وصلب من أجلنا على عهد بيلاطس التّبّطي، وقبر وقام لثلاثة أيام كما هو في الكتب، وصعد إلى السّماء وجلس عن يمين الأب، لذا ليس لملكه فناء وبروح

<sup>1</sup> - أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ج1، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1: 2010م،

القدس الربّ الذي من الأب اشتقّ الذي تكلمّ فيه الأنبياء، وبوحدة القدسية الكنسية للحواريين، أو من بمعمودية واحدة، بمغفرة الخطايا وقيام الأموات<sup>(1)</sup>.

وأتفق حضور المجمع على هذه الصيغة على أن لا يزيد عنها شيء ولا ينقص، غير أنّ دعوات "نسطور" بقوله حول طبيعة المسيح؛ بأنّ له جوهران وكيانان باعتباره إله تام بجوهره وكيانه، فالأب ولد الإله ولم يلد إنسانا، والأم ولدت إنسانا ولم تلد الإله، فعقد مجمع مسكوني للردّ على أطروحات نسطور سنة 431م عرف بمجمع (أفسس) أو (ملصة أفسس) هذا المجمع الذي لم ينفك أن يعقد مجمعا آخر بعده بسنوات سنة 451م والذي عرف بمجمع خلقدونية في عهد "مرقيانوس" للردّ على ما ادّعه "طرسيوس اليعقوبي" صاحب المذهب المناوي للمونوفيزية من أنّ للمسيح جوهر واحد وطبيعة واحدة، وهو ما كانت تنكر مقولاته مجموعات مسيحية كثيرة والتي زادت مجابتهها لمقولات القائلين بأنّ المسيح شخصية غير موجودة وغير حقيقية، وأنّ جسد المسيح كان خيالا مما تطلّب عقد مجمع مسكوني خامس بالقسطنطينية سنة 553م وقالوا إن كان جسد المسيح خيالا ففعله كذلك خيالا<sup>(2)</sup>.

وفي النّهاية الأخيرة من القرن السابع الميلاديّ ينعقد مجمع سادس بالقسطنطينية سنة 681م لمناقشة قول "قورس الإسكندراني" بأنّ للمسيح مشيئة واحدة وفعل واحد طبقا للشّبه بمقولة اليعقوبية<sup>(3)</sup>.

وبقدر اتفاق الفرق المسيحية حول الإيمان بعقيدة التجسّد تختلف في طبيعة هذا التجسّد ومتى حصل؟ وكيف حصل عند كل من الملكية والنسبورية واليعقوبية؟ والذي رفضته الأريوسية.

ويتساءل "سبينوزا" في الشّأن المسيحي حول صعوبة فهم ما يعتقد حول المسيح بقوله: (إنّي لن أتحدث مطلقا عن نظرة بعض الكنائس للمسيح، لا لأنيّ أنكر ما تثبته بل لأنيّ لا أفهمها وأعترف بذلك عن صدق...)<sup>(4)</sup>.

## ب- كيف تمّ الإتحاد و التجسد؟

<sup>1</sup> - ينظر: القاضي عبد الجبار: تثبیت دلایل النبوة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 94، وص ص 162-163. صحيفة (الأمانة) أو (تسيحة الإيمان) أو (شريعة الإيمان) هذه هي تسمياتها.

<sup>2</sup> - رؤف شليبي: أضواء على المسيحية، ص 110.

<sup>3</sup> - تلا هذا المجمع في الانعقاد مجامع أخرى ومنه: مجمع نيقية سنة 787م حيث أعيدت فيه الاعتبارات لعبادة الصور، وعقد مجمع القسطنطينية الرابع سنة 870م تمت فيه دراسة تنصيب كرسي بطريركي بالعاصمة البيزنطية. ولعل إغفال بعض المؤرخين على ذكر هذه المجمع لعدم اهتمامها بمسائل عقائدية رئيسية مثل: التثليث والتجسد والتأليه والقداء.

<sup>4</sup> - سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 134.

حول كيفية اتحاد الكلمة بالإنسان، ولماذا خصّ الإتحاد عيسى -عليه السلام دون غيره، فحصل التجسد؟ يشير التقليد المسيحي الكنسي إلى التجسد بنزول القديم الأزلي واستحاله لحما ودمًا، ونزوله وحلوله في بطن مريم وفي جسم المسيح مرة أخرى، مما جعل هذا التصور عرضة للسخرية عند من رأى أنّ الله نزل ليكون جنينًا في بطن جارية عذراء لشهور عدة، ولما أحست هذه الفتاة به وأتمّت حملت من غير جماع، تملّكها الخوف فخرجت من بلدتها هاربة هائمة على وجهها لتلد ابنها الذي سيصير صبيًا ثم شابًا فكهلًا، فكيف تكون هوية المتّحد مع الإبن وهو إنسان كلي أم إنسان جزئي؟ وكيف يكون الكلي ابن الجزئي (مريم) ويكون الجزئي والدا للكلي، فيجوز أن تكون مريم ابنة عيسى المولود منها، فيكون آدم ونوح ابني مريم التي هي ابنة لهما. إذا حصل التجسد أو الإتحاد واتحدت الكلمة بالإنسان الكلي يستلزم أنّها اتحدت به في مكان ما، هو الجسد المأخوذ من مريم أو غيره من الأجساد، فيجب أن يكون الكلي محصورًا في ذلك المكان الجزئي، وأن يكون الجزئي حاويًا محيطًا بالكلي ومكانًا له، وإن كان جزءًا منه، وهذا عكس ما في العقل، لأنّه لو جاز لجاز اشتغال العدد الكلي على العدد الكثير وزيادته عليه<sup>(1)</sup>. وتبقى الأسئلة حول الإتحاد والتجسد، هل كانت الحادثة قبل الولادة أو حالها أو بعدها؟ فمنهم من قال: أنّ الإتحاد حصل قبل الولادة وقبل الحمل فلزم أن يكون اللاهوت كان حملاً مع النَّاسوت تسعة أشهر، مقيماً معه في الوضع الذي يحمل فيه الجنين ثم ولدا جميعاً، وهناك من قال: إنّ المسيح ولد من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وهناك من قال: أنّ الإتحاد هو الاختلاط والامتزاج. أما إن كان الإتحاد قبل الولادة وفي حال الحمل، لزم أن اللاهوت كان يزيد مع زيادة أجزاء المحمول وينمو نمو أعضائه، وأمّا إن كان الإتحاد حصل حال الولادة وأنّه اشتمل على الكلمة فتكون مريم قد ولدت الكلمة فيلزم أنّه لا فرق بين المنزلة الإلهية والمنزلة البشرية<sup>(2)</sup>.

### ت - طبيعة الإتحاد والتجسد.

وحول طبيعة الإتحاد استعرض النقاد للديانة المسيحية في هذا الموضوع الإتحاد، هل هو اتحاد الابن دون الأب والروح القدس بالإنسان، أم الإتحاد يشمل الأقانيم الثلاثة، وكيف اتحدت الكلمة التي هي الابن بجسد المسيح؟ إنّ المنطق في إنكار الإتحاد هو القول بوجود جوهر جامع

<sup>1</sup> - ينظر: قضية التجسد من أين تبدأ؟ عند: عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ص 134.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 190، وينظر: ما بعدها.

للأقانيم في غير تباين ولا انفصال بينما يقتضي تجسد الابن وحده حدوث تميز وانفصال وهذا يدل على وجود تفكك باطني في البناء اللاهوتي ويحتوي على شرك خفي، إذ لا يعرف من هو الفاعل للإتحاد، هل هو الجوهر الجامع للأقانيم دون الأقانيم، أو هو الأقانيم دون الجوهر، أو هو الجوهر والأقانيم معا؟ ومهما كان الفاعل للإتحاد فلا مبرر من تخصيص الابن به، فأما أن يكون جائزا في الأب والروح كما هو جائز في الابن وإما أنه يبطل<sup>(1)</sup>، وهذا يؤدي إلى الطعن في تماسك النظرية المسيحية حول التجسد، بل اعتبرت بعض الفرق طبيعة تجسد الكلمة في عيسى سر يصعب التعبير عنه محاولين تقريب طبيعته من الفهم بعرض الصيغ والتشبيهات منها:

- أن الإتحاد هو امتزاج الكلمة بالجسد واختلاطها به ومجاورته، كما يصير الرطلان والقدهان اللذان أحدهما خلأ والآخر ماءً إذا اختلطا وامتزجا صارا رطلا واحدا وقدها واحدا.

- أن الإتحاد هو حلول الكلمة في الناسوت من غير مماسه له، فيلزم أن الله عند موت الناسوت يقتضي عدم جواز الحلول إذا ما كان متحدا به.

إن المسيحيين يصرون على أن التجسد لا يمكن إدراك كنهه بالعقل المحدود، وغاية العقل تقريبه من الأفهام، في حين يرفض النقاد كل ما يتعارض والعقل. ثم إن اللاهوت لو جاز أن يتحد بالناسوت ويصير شيئا واحدا لجاز أن يصير الجوهران بالمجاورة جوهرًا واحدًا، ولجاز أن يستحيل الموت على الناسوت، ويستحيل على المسيح بعد الإتحاد أن يتصف بصفة تختص بالإنسان كالأكل والشرب والصلب والحركة، ولوجب أن يكون قد صار بعد ما كان محدثا قديما بإتحاد اللاهوت به، وإذا اتحد اللاهوت بالناسوت أن يكون الواحد بصفة اللاهوت وخرج عن صفة الناسوت أو العكس، فيقول "الخرجي" في مقامع الصلبان: (( فإن قلت إن نصفه هو إله تام والتصف الآخر ليس الإله، يلزمكم إذا دعوتموه أن تقولوا: يا نصف الله ارحمنا، وإذا قيل لكم من إلهكم؟ فقولوا: هو نصف المسيح، فيكون نصفه خالقا ونصفه معبودا لنصفه وليس بإله تام، على أنكم لم تفعلوا شيئا من ذلك بل بدنه لديكم معبود.. فإذا جعلتموه كله إلهًا فأنتم لا محالة تعبدون غير الله، ولا فرق عندكم بين الله وبين مخلوقاته))<sup>(2)</sup>.

### مطلب 3: تطور القول بطبيعة المسيح عند الفرق:

<sup>1</sup> - عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص 357. وتطرق إلى آراء الفرق المسيحية حول طبيعة الإتحاد.

<sup>2</sup> - ص 84-85. في مقولة صاحب الرد على المسيحيين.

سجلّ تاريخ المسيحية عدّت لقاءات بين رجال الدين لتقييم بحوثهم حول طبيعة المسيح كما عقدت مجامع لنفس الغرض، رغم علم الجميع ممّن عاصر المسيح ومن عاش معه، أنّه عاش بين تلاميذه وأنصاره نيّاباً كغيره من الأنبياء والرّسل يأكل الطّعام ويمشي في الأسواق ويصطاد السمك ، يكابد أتعاب الدّنيا في نشر دعوته هو ومن معه من الحواريين، وما كاد أن ينقضي الرّجيل الأوّل بجيله حتّى أخذت المسيحية تنحرف عن خطّها المستقيم لما أرادت أن تندمج بعقيدتها في المحافل الفلسفية المعقّدة، باحثة عن أدوات تبرير لتلك الإضافات في الإيمان التي تتحدث عن عيسى الإنسان السّمائي الذي سبقت عناصره الروحية في الوجود وجوده الجسدي، بمعنى أنّ عيسى جاء إلى الأرض لينشئ إنسانية جديدة هو آدمها ، يحررها من أثقال الخطايا بقبوله أن يعيش هيئة الإنسان ويموت ميتة الإثم المشينة ، إنّ صورة الله الخفية وهو أول الخلق...فشخصه إذاً هو المكان الميتافيزيقي الذي يجتمع فيه الله والخليقة ، بل المسيح هو (اللّوغوس)الذي يكاد أن يكون مرادفاً للقول بأنّ السيد هو الله، أو أنّ السيّد لم يكن إنساناً إلّا ظاهرياً، فكلّ هذه التّصورات في شخص عيسى تهدف إلى نتيجة واحدة : (( هي الخروج بالمسيح عن نطاق البشرية بتقريبه من الله))<sup>(1)</sup>. ومقابل هذه التّصورات نجد معارضين لهذه النظريات ويقولون ببشرية المسيح ويتساءلون: كيف أنّ الآلهة ثلاثة ويتمّ صلب واحد منهم ويبقى إلهان؟ أو أنّه صلب ومات الإله الثاني، فبحكم الإتحاد يموت الجميع، وعلى أساس ذلك يكون الكون بلا إله وهذا لا يصحّ<sup>(2)</sup>! أو أنّ اتّحاد ثلاثة أقانيم مختلفة الأشخاص غير منطقي وغير معقول ، فكيف يتّحد الملاك جبريل مع إنسان هو عيسى مع إله هو الله، ليكونوا الثّالوث<sup>(3)</sup> ؟ فظهرت الفرق المسيحية مع بداية الخلاف حول طبيعة المسيح أهو ذو طبيعتين أم ذو طبيعة واحدة ، وقضية وحدة الأقيوم في المسيح ، حتى قيل: ((لو سألت بعض النصارى وامراته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً وامراته قولاً، وابنه قولاً ثالثاً))<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - شارل جنير: المسيحية نشأتها وتطورها ، ص 150.

<sup>2</sup> - علي زيعور: أوغسطينوس ، ص 22. ويشير المؤلّف أنّه نقل عن نسطوربوس في القرن الخامس قوله في المسيح أن له شخصان أحدهما إلهي والثاني إنساني غير ملازمين بالضرورة أحدهما للآخر، وأنّ المسيح عندما ولد كان إنساناً محضاً، ثم سكنت فيه الألوهية ولازمته إلى حين صلبه وحينئذ فارقتة .

<sup>3</sup> - وهذا ما حدا بانقسام الأرثوذكس عن الكاثوليك لقول الأولى بأن الروح القدس منبثق من الله فقط وأنّ المسيح ذو طبيعتين إلهية وناسوتية معا وجاء من مريم وهي من البشر.

<sup>4</sup> - ابن تيمية ابو العباس أحمد بن عبد الحلیم: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، ج 2 ، دار العاصمة ، الرياض ، ط 1: 1414هـ، ص 155.

وازداد الخلاف شراسة بعد تعدد الآراء حول هذه القضية ، ولم تجتمع كلمة المسيحيين على رأي واحد رغم قرارات المجامع التي عقدت لهذا الشأن حول طبيعة المسيح ، والخلاف بين المسيحيين في القول بألوهيته وبشريته، وكان من الطبيعي أن تقرر الكنيسة القسطنطينية موقفها من هذه المشاكل، وفعلا أصدر نسطور أسقفها رأيه مناديا ببشرية المسيح إلى جانب ألوهيته. وفي الحال انقسمت الكنائس المختلفة إلى فريقين ، مؤيد للدعوة النسطورية أو الملكانية - كما أصبحت تدعى فيما بعد - نظرا لأنها تعبر عن رأي الأباطور أيضا، وفريق معارض يدعو إلى اعتبار المسيح ذا طبيعة إلهية واحدة يمثله مسيحيو سورية الذي أطلق عليهم اسم اليعاقبة نسبة إلى زعيمهم يعقوب<sup>(1)</sup>. فيقول "لويس غردية" في كتابه: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية: (( فنحن إذن أمام ظاهرتين رئيسيتين لا بد من تحليلهما: ظاهرة "المهرطقات" والإنشقاقات التي توزعت في ذلك العهد بين نساطرة ويعاقبة))<sup>(2)</sup>. وعلى هذا الأساس برزت فرق مسيحية عظيمة اشتهرت بأطروحاتها العقديّة حول طبيعة المسيح، وهذه الفرق هي: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية<sup>(3)</sup>.

#### أ- عند فرقة الملكانية:

الملكانية وهي التي يدين بأفكرها العقائدية الكنيسة الكاثوليكية التي اعتبرت امتدادا لها، فترى في طبيعة المسيح: ((أنّ الكلمة اتّحدت بجسد المسيح وتدرّعت بناسوته، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، وبروح القدس أقنوم الحياة))<sup>(4)</sup>. وعن اتّحاد الكلمة بجسد عيسى تقول الملكانية: إن الكلمة مزجت جسد المسيح كما يمزج الخمر اللبن أو الماء. وتقول: أنّ الجوهر غير الأقاليم كما أنّ الموصوف غير الصّفة وهي لهذا تقول بالتثليث، وتقول أنّ المسيح ناسوت كلي لا جزئي، وهو قديم أزلي وأن مريم ولدت لها أزليا، وأن القتل والصلب وقعا على اللاهوت والناسوت معا<sup>(5)</sup>. والملكانية<sup>(6)</sup> التي ينتمي ينتمي إليها الكاثوليك ترى أنّ للمسيح طبيعتين؛ لاهوتية وناسوتية وتعتقد أنّ الآلهة ثلاثة متميّزون ومنفصلون: الآب، والإبن، والروح القدس<sup>(7)</sup>، وهو ما تمّ فهمه من قانون الإيمان والذي يفصل بين

<sup>1</sup> - مصطفى العبادي: الأباطورية الرومانية ، ص 257.

<sup>2</sup> - ج 2، ص 13.

<sup>3</sup> - ينظر المقدسي: البدء والتاريخ ، ص 42 ومايليها ، هذه الفرق المسيحية وعقائدها وآدابها.

<sup>4</sup> - أبو الفتح الشهرستاني: الملل والنحل ، ج 2، ص 62.

<sup>5</sup> - محمد ابراهيم الجيوشي: دراسات في النصرانية ، ص 56.

<sup>6</sup> - ينظر: أبو الفتح الشهرستاني: المصدر نفسه، ج 2، ص 155. فرقة الملكانية يسميها الشهرستاني الملكانية.

<sup>7</sup> - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 1، ص 110 - 111. وقد أشار إلى عقائد الملكانية بقوله على لسانها: (( إن الله

الأقنيم الثلاثة ويجعل كل أقنوم منها متميِّزا عن الآخر، ولهذا كان يطيب للمنشقين أن يسمونها الكنيسة "الخلقدونية" لإعترافها بما قرره المجمع المسكوني الخلقدوني سنة 451م على خلاف النساطرة واليعاقبة<sup>(1)</sup>.

#### ب- عند فرقة النسطورية:

ظلّ فكر الآباء من تاريخ عقد مجمع نيقية إلى تاريخ عقد مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م يدور حول سرّ الثالوث المقدّس، خصوصا سرّ تساوي أقنوم الإبن مع أقنوم الآب في الذات والجوهر، ليتمّ إعلان في المجمع المسكوني الثاني هذا أقنوم روح القدس أنّه إله حقّ هو أيضا، ونال موضوع الإبن جدلا وبجنا واسعا، ولا سيما من حيث كونه إلهًا حقًا. فأصرت النسطورية في القول: ((أنّ للمسيح أقنومان وطبيعتان، جوهر قديم وجوهر محدث، إله تام وإنسان تام، والصّلب وقع من حيث النّاسوت))<sup>(2)</sup>، قاصدين بذلك أنّ مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان، وأنّ الله لم يلد الإنسان وإنما ولد الله<sup>(3)</sup>. وقد ظهر هذا القول على أنّ العذراء هي أم المسيح فقط، بعد انتشار عقيدة التثليث والإعتراف بالخطيئة الأصلية وحلولها محلّ العقائد المسيحية التي جاء بها "أثناسيوس" الذي رأى أنّ المسيح هو كلمة الله المتجسّد وأنّ للمسيح طبيعتين وأقنوما واحدا، مما أثار نسطور ضد هذه التعاليم ليثبت أقنومين للمسيح.

وتحوّل الإهتمام من سرّ الثالوث إلى سرّ التجسّد أو التأنس تحت تأثير تعليم "أبوليناريوس اللاذقي" في المسيح ذي المذهب الفلسفي الأرسطي المتشبع بالفكر الأفلاطوني القائم على أنّ الإنسان مركب من أصول ثلاثة هي: الجسد والنفس الحيوانية والروح، فذهب إلى أنّ المسيح بشر بمعنى أنّ "الكلمة" الإلهي اتخذ له جسدا بشريا ونفسا حيوانية. أمّا الروح أو النفس الناطقة فلقد ناب "الكلمة" مناجها. فلم يكن للمسيح إلاّ طبيعة واحدة هي الطّبيعة الإلهية، إذ أنّ الجسد بحدّ ذاته ليس الطّبيعة الإنسانية. ولم يكن لأفعال المسيح بعد ذلك إلاّ أصل واحد ترد إليه فيتولّاهها. وهذا

---

تعالى - عبارة عن قولهم - ثلاثة اشياء: آب وابن، وروح القدس. وأن عيسى عليه السلام: إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شئ من ذلك وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معا شئ واحد ابن الله)). ينظر ص 111.

<sup>1</sup> - لويس غردية، ج. فنواتي: المصدر السابق، ج 2، ص 14.

<sup>2</sup> - الشهرستاني: المصدر السابق، ج 2، ص 64.

<sup>3</sup> - لويس غردية، ج. فنواتي: المصدر نفسه، ج 2، ص 290.

الأصل هو الطَّبِيعَةُ الإلهية بالذَّات ، بمعنى ((أنَّ مريم لم تلد إله وإمَّا ولدت الإنسان، وأنَّ الله تعالى لم يلد الإنسان وإمَّا ولد الإله))<sup>(1)</sup>.

لقد حاول "أبوليناريوس" أن يثبت للمسيح وحدة أقنومية وعصمته عن الخطيئة بتجسّد الكلمة الإلهية في صورة اتّحاد النَّفس بالجسد لينفي بذلك النَّاحية البشرية في المسيح. هذه الفرقة التي اتخذت من جنوب الكوفة بالحيرة عاصمة النساطرة العرب<sup>(2)</sup> وكانت هذه العاصمة يحكمها اللّخميون الذين خضعوا للفرس وانتهى بهم الأمر إلى اعتناق المسيحية ديناً لهم. وكان من النساطرة عرب نجران الذين تلقوا من النبي محمد -صلى الله عليه وسلم كتاب أمان أصبح المثل لكتب العهد الممنوحة لأهل الذمّة بعد ذلك<sup>(3)</sup>.

### ت - عند فرقة اليعقوبية:

اليعقوبية هي فرقة تنسب إلى يعقوب البرادعي<sup>(4)</sup> في القرن السادس الميلادي قد سبق إلى آرائها بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس<sup>(5)</sup>، وقد قال أتباع اليعقوبية بالأقنوم الثلاثة، وأنّ الكلمة انقلبت لحما ودما، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو، وأنّ مريم ولدت إلها على الجوهر الذي هو من جوهرين، والقتل وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين، جوهر الإله القديم وجوهر الإنسان الحادث<sup>(6)</sup>، وكان سبب انعقاد مجمع خلقيدونية في 451م سبباً هو في اختلاف الآراء حول طبيعة المسيح، ممّا أدّى إلى انفصال الكنيسة القبطية عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وتناصر الكنيسة الأرثوذكسية رأي اليعقوبية. حيث استوطنت هذه الفرقة بالبصرة التي كان يحكمها وال تتولّى بيزنطة تعينه مباشرة أو أمير من أمراء الغساسنة وهم عرب مسيحيون يقولون بالطَّبِيعَةُ الواحدة في المسيح ممّا جرّت عليه مقولتهم هذه اضطهادات من طرف الإغريق حتّى جاء المسلمون فاتحين للديار سنة 634م فزالت عنهم أصناف القهر<sup>(7)</sup>. ويرى الدارسون

<sup>1</sup> - ابن حزم : المصدر السابق ، ج1، ص 111.

<sup>2</sup> - محمد ابراهيم الجيوشي : دراسات في النصرانية ، ص 56 يخطأ لما ينسب النسطورية إلى نسطور الحكيم الذي ظهر أيام المأمون ؟

<sup>3</sup> - لويس غرديه ، وجورج فنواتي : المصدر السابق ، ج2، ص 14.

<sup>4</sup> - ابن حزم : المصدر السابق ج1 ص 110. و يسميها ابن حزم البربرانية، ويبين أن اتباعها يقولون إن عيسى وأمه إلها من دون الله عز وجل. وهذه الفرقة قد بادت. وينظر : محمد ابراهيم الجيوشي: دراسات في النصرانية، ص 58 وما بعدها عن "اليعقوبية" أتباع يعقوب البرادعي.

<sup>5</sup> - محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص 175.

<sup>6</sup> - الشهرستاني: المصدر السابق ، ج2، ص 66-67.

<sup>7</sup> - لويس غرديه، ج. فنواتي: المصدر السابق ، ج2، ص 15.

للفرق المسيحية أنّ قول اليعاقبة بطبيعة واحدة في المسيح لم يكن إلا شكلياً، وأن تفكيرهم في حقيقته كان متلاقياً مع التفكير الكاثوليكي<sup>(1)</sup>.

**مطلب 4: صور التجسد عند الفرق المسيحية:**

**أ - التجسد عند الملكانية:**

يقول "لويس غرديه": (( أمّا أصحاب المذهب الأوّل [أي الملكية] فكانوا يرون أنّ الله واحد بالطبيعة الأَقنومية، وهو أب أو ابن، أو روح القدس، تبعاً لظهور صفاته المختلفة، وليست الأَقنيم في الأساس، إلاّ "وجوها"، عليها نتصور الله من خلال أفعاله. ولقد عرف هذا المذهب بعد تكييفه النهائي، بالفردانية الوجهية "وأنصاره" بالوجهيين". ولكنّ أصحابه كانوا يدعون، قبل ذلك، أنّهم "الملكيون" أي الذين يعترفون بالله الفرد الأَوحَد ملكاً مطلقاً. كما أنّهم كانوا يقولون "بتأمّل الآب" في "صورة" الإبن أو "وجهه" لدى موت المسيح على الصليب، لأنّهم كانوا يتصوِّرون الآب والإبن شيئاً واحداً بالذات والأَقنوم<sup>(2)</sup>.

ويذهب النقاد للفكر العقدي المسيحي بإطلاق لفظ "المسيحانية" على عقيدة الكنيسة حول مقالة التجسد، هذه المقالة التي تذهب فيها الفرقة المسيحية الملكية<sup>(3)</sup> إلى اعتبار المسيح المخلّص المخلّص واحد، وأنّ لطبيعته مشيئتين كاملتين، وأنّ الابن الأزلي هو الله - تعالى الله عن ذلك وتنزّه - وهو الكلمة تجسّد من مريم جسداً كاملاً كسائر أجساد النَّاس وركب في ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم، كسائر أنفس النَّاس، وأنّه صار إنساناً بالنفس والجسد اللذان هما من جوهر النَّاس، وإلهاً بجوهر اللاهوت كمثل أبيه، لم يزل وهو إنسان بجوهر النَّاسوت مثل إبراهيم وداود، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل، وصح له جوهر النَّاسوت الذي لبسه من مريم، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وطبيعتان ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته مشيئة مثل الأب والروح، وله بناسوته مشيئة مثل مشيئة إبراهيم وداود... وأنّ مريم ولدت إلهاً، وأنّ المسيح - وهو اسم يجمع اللاهوت والنَّاسوت - مات.. وأنّ الله لم يموت والذي ولدت مريم

<sup>1</sup> - لويس غرديه، ج. قنواتي: المصدر نفسه، ج2، ص 22 أنظر: الهامش.

<sup>2</sup> - لويس غرديه، ج. قنواتي: المصدر السابق، ج2، ص 283.

<sup>3</sup> - رأي ابن حزم: المصدر السابق، ج1، ص 110 - 111. (فرقة الملكانية وهي مذهب جميع ملوك النصارى وأصل ممالكهم حيث

كانوا حاشا الحبشة والنوبة. ومذهب جميع نصارى إفريقية، وصقلية وجمهور الشام).

قد مات بجوهر ناسوته، فهو إله تام بجوهر لاهوته، وإنسان تام بجوهر ناسوته، وله مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت، وهو شخص واحد، لا نقول شخصان لئلا يلزمنا القول بأربعة أقانيم<sup>(1)</sup>. وحول طبيعة المسيح ترى أنّ الكلمة إنّحدت مع جسد المسيح وترعرت بناسوته، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، وبروح القدس أقنوم الحياة<sup>(2)</sup>.

ويعتبر علماء الأديان أن الكاثوليكية اليوم هي امتداد لفرقة الملكانية أو الملكائية التي يسميها هكذا الشهرستاني<sup>(3)</sup>، وترى هذه الفرقة أنّ عيسى كان إنسانا سماويا سبقت عناصره الرّوحية في الوجود عناصره الجسدية، فعيسى هو الروح جاء إلى الأرض لينشئ إنسانية جديدة هو آدمها، يجرها من أثقال الخطايا بقبوله أن يعيش عيشة الإنسان ويموت ميتة مشيئة، على أنّ المقصود بالكلمة أو اللّوغوس أو السيّد هو مرادف القول بأنّه هو الله كقول يقبله اليونانيون القائلون بتدرّج الآلهة وبالتالي الخروج بالمسيح عن نطاق البشرية بتقريبه من الله<sup>(4)</sup>.

#### ب - التجسّد عند النسطورية:

تذهب النسطورية إلى القول بأنّ المسيح في ولادته وصلبه وقعنا من جانبه النّاسوتي، وأنّ للمسيح أقنومين وطبيعتين لهما إرادة واحدة ومشيئة واحدة، فالمسيح هو إله تام وإنسان تام خلاف الملكية. وتقول عن شخص المسيح أنّه: (( إذا رأيناه يأكل ويشرب ويجيء في الأرض ويذهب وينصب ويشتكى ويضحك ويبكي، جعلنا ذلك كله وما رأيناه منه ومثله من النّاسوت، وإذا نحن رأيناه يجي الموتى ويبرئ المرضى ويمشي على الماء جعلناه ذلك من اللاهوت ))<sup>(5)</sup>، بمعنى أنّ المسيح في نظرها إلهة وإنسانا، وهو إنسان بجوهر قابل للزيادة والنقصان، وأنّ مريم ولدت المسيح بناسوته الذي لم يفارقه اللاهوت منذ أن اتّحد به<sup>(6)</sup>.

#### ت - التجسّد عند اليعقوبية:

<sup>1</sup> - ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ص 315.

<sup>2</sup> - الشهرستاني : المصدر السابق ، ج 2، ص 62.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه ، ج 2، ص 62 .

<sup>4</sup> - شارل جنير : المسيحية نشأتها وتطورها ، ص 150 .

<sup>5</sup> - عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص 289 الهامش. وفي عرض ميخائيل نعيمة للأناجيل يشير أنّها لا تذكر البتّة أنّ عيسى ضحك ولو مرّة واحدة في حياته، بينما تخبر أنّه بكى في ثلاث مناسبات . وينظر الشهرستاني: الملل والنحل ، ج 2، ص 64-65.

<sup>6</sup> - محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص 192.

يطلق الدارسون للمسيحية أنّ فرقة اليعقوبية تسمت أيضا (بالمونوفيزية )، وهي فرقة مبالغة في الشرك، وتتلخص عقيدتها في كون المسيح هو الله وأنّ مريم ولدت الله، وأن للمسيح طبيعة واحدة منبثقة من طبيعتين لاهوتية وناسوتية تركبتا كما تركبت النفس مع البدن فصارتا إنسانا واحدا وجوهرا واحدا وشخصا واحدا، فالطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح وهو إله كامل وإنسان كامل وهو شخص واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين ، وولدت مريم الله ، وأنّ الله مات وتألم وصلب متجسدا ودفن وقام من بين الأموات وصعد إلى السماء، فمريم حبلت بالإله وولدت الإله وقُتل الإله ومات الإله<sup>(1)</sup>.

وتتلخص عقيدة المسيحيين في طبيعة المسيح رأيان ، رأي تنزعه الكنيسة الغربية الكاثوليكية ملخصه أن: الآلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون تسمى بالأقانيم الثلاثة، وهي: الآب والإبن والروح القدس ، بحسب نص قانون الإيمان الذي حث على الإيمان بما كل واحدة على حدة ومع هذا التمييز بين كل أقنوم وآخر، وعلى ذلك يكون للمسيح طبيعتان للآب، وهي طبيعته الإلهية وطبيعة الإبن وهي طبيعة البشرية، ومع ذلك فهما شيء واحد في الطبيعة والذات. ورأي آخر تنزعه الكنيسة الأرثوذكسية ، يقر بهذه الأقانيم الثلاثة إلا أنّه يقول في اتّحادها في طبيعة واحدة، فالمسيح هو الله، وهو ابن الله وهو روح القدس<sup>(2)</sup>.

إنّ النظرية المونوفيزية اليعقوبية في التجسد تمثل نقیض التوحيد والنبوة في آن واحد، وفساد عقيدتها شبيها بفساد عقيدة الملكية في التثليث، ونسجل النتائج التي يمكن الخروج بها من تحليل ما جاء عن ألوهية المسيح والتجسد أنّه لا يمكن أن يكون إلهًا أو ابن إله ، فلا يعدو أن يكون بشرا نبيا وإن كان كلمة الله، وأن عقيدة التجسد ليست سوى جزء من نظام وضعه البشر ولم يستندوا فيه إلى سلطان إلهي ، وكثرة الآراء حول المسيح تبين بشريته .

### ث- التجسد عند الأريوسية:

تنكر فرقة الأريوسية<sup>(3)</sup> عقيدة التجسد وتقول بأن المسيح وروح القدس هما عبدان مخلوقان، وعلى الرغم من الاعتراف بعبوديتها للمسيح فلا تقول شيئا مما تقوله غيرها من تأليه

<sup>1</sup> - ابن تيمية: المصدر السابق، ص ص 314 - 315.

<sup>2</sup> - صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، ص 232.

<sup>3</sup> - عبد العزيز الثعالبي: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان ص 139. الأريوسية هي مذهب أريوس قس الإسكندرية 256م - 336م.

للمسيح وبنوته لله، بل ترى أنّ عيسى هو ابن الله من جهة الإكرام والتبجيل والرفعة<sup>(1)</sup>. فعلمت الأريوسية الناس أن المسيح ليس بإله وليس من ذات الله وأنه مسبوق بالعدم ضرورة لأنه مولود، وأن الحكمة في وجوده أن يكون واسطة في انقاذ العالم من الخطيئة .

### ج- التجسد عند المارونية:

وهذا الزعم في المسيح الذي هو عند الأرسوسية وجد عند بعض الفرق المسيحية الأخرى من مثل فرقة "المارونية" التي تنسب إلى يوحنا مارون الذي ظهر في القرن السابع الميلادي سنة 667م ليقرّ أنّ المسيح ذو طبيعتين وذو مشيئة واحدة أو إرادة واحدة وأقنوم واحد<sup>(2)</sup>، كما يرى بعض أتباعها أنّ المسيح ابتداءً من مريم ابتداءً، وأنّه نبي صالح شرفه الله وكرّمه لطاعته وسمّاه ابنا على طريق التبيّي لا عن طريق الولادة. وقد اضطهدتهم الكنيسة ففرّوا إلى جبل لبنان واحتموا به واستمروا على اعتصامهم حتى قرّبتهم إليها الكنيسة الكاثوليكية وأعلنوا طاعتهم لها ، وكان اتّحادهم بالكنيسة الرومانية سنة 1182م ولها بطريقتها الخاص بها وإن كانت تقر بالرياسة لبطريك روما<sup>(3)</sup>، ومن أتباع المارونية من يرى في عقيدة التجسد ما تراه الملكية في أنّ للمسيح جوهران لأقنوم واحد، وتتفق مع النسطورية في أنّ للمسيح مشيئة واحدة لا مشيئتان ، ومنهم من اعتقد أنّ الكلمة عند الإتحاد مرّت في بطن مريم كما يمرّ السهم في الهواء والماء في الميزاب، ومنهم من اعتقد أنّ الكلمة كانت تداخل المسيح في أوقات فعله للمعجزات وتفارقه في سائر الأفعال<sup>(4)</sup>.

### مطلب 5: مبررات الاعتقاد في التجسد عند المسيحيين:

لما كثرت الردود الإسلامية على مسألة الاعتقاد في التجسد وفق ردود عنيفة من طرف النقاد قام المجادلون من كهنة ومفكرين من الملة المسيحية في الإستدلال على هذه العقيدة بتأويلهم لنصوص القرآن الكريم ومدّعين الاعتراف بها، فهم يقولون: أنّنا نقول في المسيح ما يقوله المسلمون بأنّه روح الله، وأنّ الله حلف يمينا بنفسه وولده في قوله: { **ووالدٍ وما ولد** }<sup>(5)</sup>، وفي قوله: { **إنّها المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** }<sup>(6)</sup>، فالمسيح إذا هو

<sup>1</sup> - ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم: المصدر السابق، ص 314.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص 175، وأنظر أيضا: ص 195.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 196.

<sup>4</sup> - عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق، ص ص 297 - 298.

<sup>5</sup> - سورة البلد الآية 3.

<sup>6</sup> - سورة النساء الآية 171.

من جوهر أبيه ومن جنسه ومثله<sup>(1)</sup>، ويعتقد المسيحيون أنّ المسلمين لم يفهموا المسيحية التي تحدثت عنها نصوص القرآن الكريم.

والحق أنّ هذه الديانة هي من صنع رجال الدين الكهنوتيين الكنسيين المحترفين الذين امتلكوا آلات المنطق في دسّ المفاهيم المجردة الفلسفية التي لم يكن يتمّع بها عامّة الجماعات المسيحية بل تجاوزت مداركهم في زمن لم يكن فيه أيضا للتعليم الديني أي تنظيم على النحو الذي عرفته أوروبا في عصر الإصلاح البروتستانتي والكاثوليكي المضاد له، أي منذ مجمع (ترانت 1545م- 1563م)<sup>(2)</sup>، إذ كان طول الفترات التاريخية للمسيحية مسرحا لتطورات العقيدة المثبتة بمجمع نيقية، ولم يكن اعتناقها عن إقناع جعل الأمر سهلا للمسلمين في نقدها بالاعتماد على نصوص القرآن المنافية لتأليه المسيح التي حاول كثير من علماء المسيحية أن يسوقوا القرآن إلى الغاية التي ساقوا إليها التّوراة والإنجيل للإستدلال على تجسّد الكلمة، مع تأويل نصوص العهد الجديد والقديم الملائمة لنظرة الوحي والنبوة الصادقتين<sup>(3)</sup>.

## مطلب 6:- معنى الأقانيم والثالث:

الأقنوم كلمة معرّبة عن السريانية حيث تطلق على كلّ من يتميز عن سواه، على شرط أن يكون مما شُخصَ وله ظل.. أما القول بأنّ كلمة أقنوم معناها (أصل)، وليس لكلمة أقنوم مرادف في اللّغة العربية أو غيرها من اللغات يؤدي معناها تماما، لأنّ كلمة شخص وما يرادفها في اللغات الأخرى تدل على الذات المنفصلة عن غيرها<sup>(4)</sup>، فقامت المسيحية على الكلمات الثلاثة: الأب، والإبن، والروح القدس مكوّنة من هذه الصور الثلاثة لإلها واحدا هو الله. ويقول "الجويني": (( وأصل الأقنوم: كلمة سريانية تعني " شخص مستقل بذاته عن غيره، ثم هي في أقانيم التجسد: مرحلة من مراحل ثلاث لذات الله تعالى))<sup>(5)</sup>.

ودخلت المسيحية بهذا التصور للإله في صراع عقلي عنيف في مجال المعرفة أو كّلما اتسعت مداركه وازداد علمه. فالمسيحيون يتفلسفون حول التثليث تفلسفا مضطربا، فيقولون: نؤمن بإله

<sup>1</sup> - القاضي عبد الجبار: تثبیت دلائل النبوة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 116.

<sup>2</sup> - عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق، ص 303.

<sup>3</sup> - عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ص 184.

<sup>4</sup> - عبد الكريم الخطيب: المصدر السابق، ص 265.

<sup>5</sup> - الجويني: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، ص 62.

واحد هو الله الأب، الله الابن، الله الروح القدس، ويقولون أنّ الآلهة ثلاثة ولكنّها هي إله واحد حيث يقول "محمد مجدي مرجان": (( فإذا كانت هذه العقيدة لا يفهمها الفلاسفة فكيف يفهمها البسطاء من الناس؟ مادام لا يدركون عقيدة التثليث: (واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد) فهذه العقيدة تصطدم مع العقل البشري ، ولا يساطيع هضمها وإدراكها. ولا تجد لها سندا من الوحي والنصوص الأصلية المنزلة<sup>(1)</sup>، فيذهب البعض إلى التسليم بأنّ هذه المسألة ليس مجالها العقل بل تُقبل بالتسليم من غير جدل ، فهي قضية فوق مستوى العقل، ووراء تطلعاته<sup>(2)</sup>، فتقول الكنيسة في التأليه بأنّ هناك ثلاثة أقانيم (أشخاص) يشرحها "لويس غردية وجورج قنواي" كالآتي: (( يطلق على لفظ الذات أو الجوهر بـ: (أوسيا) ويطلق على الأَقنوم بـ: (هيبوستاس)، وعلى الطبيعة بـ: (فيزيس) و لفظ (بَرُوسُبُون) على الوجه المستعار أو القناع، وهي تفيد معنى قريبا من ( الهيبوستاس)، ولكنها تقابل بالذات اللفظة اللاتينية ( بَرُسونا) ، التي تحولت إلى لفظة ( برسون) في اللغات الأجنبية المعاصرة، ولا سيما الفرنسية، فنصطلح هنا تعريبها بـ : ( الشخص)<sup>(3)</sup>، كل واحد يتميز بميزات ليست في الآخر ، ولكنهم متساوون في بعض الأشياء، ويختلفون في الوظائف والأعمال ، فالله الأب يختص ببعض الأعمال للاختيار والدعوة، والله (الابن) تنسب إليه أعمال محاسبة الناس والفداء، والله (الروح القدس) تنسب إليه أعمال التجديد والتقديس، والثلاثة متساوون مع بعضهم<sup>(4)</sup>.

كما تتصور الكنيسة أنّ القدرة الإلهية كاملة في كل إله، وأن كل إله أزلي، ومحاولتها إقناع العقل والحس بهذه العقيدة راحت تحاول تقريب الثالوث من الأذهان بقولها: أنّ الثالوث كالروح والماء والدم من الإنسان<sup>(5)</sup>، أو هو القدرة والحكمة والمحبة، أو هو الشجرة المتكوّنة من الجذر والساق والورق، أو هو الشمس المكونة من جرم وأثما تنير الأرض وتدفعها. وهناك من شرح الأَقنوم بالأب

<sup>1</sup> - محمد مجدي مرجان: الله واحد أم ثالوث ، ص 71.

<sup>2</sup> - عبد الكريم الخطيب : المصدر نفسه، ص 211.

<sup>3</sup> - لويس غردية، ج. قنواي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ج2، ص 294. وينظر التفسيرات اللغوية حول كل مصطلح عند لويس غردية وج. قنواي: نفس المرجع من ص 295 إلى ص 306.

<sup>4</sup> - ينظر سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في اليهودية والنصرانية ، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1418هـ - 1997م، ص 194.

<sup>5</sup> - شريف محمد هاشم: الإسلام والمسيحية في الميزان ، ص 247.

والابن والروح القدس ثلاثة صفات أساسية في اللاهوت ، وهي القدرة والحكمة والمحبة، أو ثلاث فواعل هي: الخلق والحفظ والضبط<sup>(1)</sup>.

ويحاول فلاسفة العقيدة المسيحية تبرير التثليث بالقول أيضا أنّ الله يتكوّن من ثلاثة أقانيم أي عناصر وأجزاء ثلاثة وهي: الذات، والمنطق ، والحياة ، فالله موجود بذاته ، ناطق بكلمته، وحي بروحه، وكل خاصية من هذه الخواص تعطيه وصفا معينا ، فإذا تجلّى الله بصفته ذاتا سمّي الأب وإذا نطق فهو الابن ، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس<sup>(2)</sup>، فبزعمهم أنّ الإنسان خلق على صورة الله فهو بذلك مكوّن من ثلاثة عناصر فهو بذاته كائن على صورة الله ومثاله، وناطق على صورة الله مثاله، وحيّ على صورة الله ومثاله ، وهم بهذا يحوّلون الأشخاص إلى صفات لجوهر واحد هو الله، وينسون أنّ الصّفات غير الدّات ، فقد يكون لله صفات بالعشرات وحتى الرجل قد يتّصف بصفات عديدة وهي لذات واحدة، فالتثليث فلسفة غريبة عن المسيحية، وقد تم إدخالها إليها بعد رفع المسيح .

وقد حدث في مجمع القسطنطينية سنة 879م الموافق للقرن التاسع الميلادي أن انقسمت الكنائس الغربية الكاثوليكية عن الكنائس الشرقية الأرثوذكسية، فقالت الثانية بانثاق روح القدس من الأب وحده، خلافا للأولى التي قالت بانثاقه من الأب والابن وأنّ الأقانيم ذوات، وهي مراحل انقلب فيها الإله إلى إنسان عند الأرثوذكس، وقد رد القرآن الكريم على القائلين بتأليه المسيح بقوله: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم}<sup>(3)</sup>.

وردّ القرآن أيضا على القائلين بالتثليث، فجاء قول الله تعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة}<sup>(4)</sup> وفي سياق الرد على عقيدة المسيحية الوثنية قال الله في شأن الفرق المدعية لتأليه أم المسيح بقوله تعالى: {ها المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرّسل وأمه صديقة}<sup>(5)</sup>.

أ- أدلة بطلان القول بعقيدة التثليث:

<sup>1</sup> - محمد أحمد الحاج : النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، ص 210.

<sup>2</sup> - محمد أحمد الحاج : المصدر السابق ، ص 210.

<sup>3</sup> - سورة المائدة الآية 72 .

<sup>4</sup> - سورة المائدة الآية 73 .

<sup>5</sup> - سورة المائدة الآية 75 .

وبالرغم من اختلاف علماء المسيحية حول معنى التثليث الذي يؤمنون به، غير أنّ الجامع لإيمانهم هو ما اتفقوا عليه في مجمع نيقية سنة 325م بحسب النص: ((أومن بإله واحد أب ضابط الكل خالق السماوات والأرض كل ما يرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه ، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر الذي كان به كل شيء ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتحدت من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب وتأمّم وقبر، وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب المقدسة، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الربّ ، أيضا سيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء ملكه، وبروح القدس الربّ المحيّي المنبثق من الأب ، الذي هو مع الآب الابن المسجود له))<sup>(1)</sup>. فالمذاهب المسيحية من كاثوليك وأرثوذكس كلّهم متفقون على القول بإله واحد مثلث الأقانيم ذي ثلاث ذوات منفصلة اتّحدت وهي: الآب والابن والروح القدس. ويختلفون في عدة قضايا عقائدية وهي<sup>(2)</sup>:

— أنّ كنيسة القسطنطينية ومن والها اعتقدوا أنّ الروح القدس من الآب وحده، لا من الآب والابن، وكنيسة روما ومن والها قدا اعتقدوا أنّ الروح القدس منبثق من الآب والابن معا.

— رئيس كنيسة روما هو الخبر الأعظم والرئيس الروحي الكهنوتي لجميع الكنائس.

— أقرّت الكنيسة الغربية استعمال الفطير في العشاء الربّاني بدل الخبز وهو ما لم تعترف به الكنيسة الشرقية.

— أباحة الكنيسة الغربية أكل الدّم المخنوق وهو مخالف لمجمع الرسل في أورشليم الذي انعقد بعد رفع المسيح بنحو إثنين وعشرين سنة.

— أباحت الكنيسة الغربية الكاثوليكية أكل الرهبان دهن الخنازير وهو ما حرّمته الكنيسة الشرقية.

<sup>1</sup> - عبد الله الترجمان: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص 38. رد في حديثه عن الإيمان بالتثليث أن ماجرى من أمر المسيح

أنه كان رجلا مصدقا من الله في مقاله، وفعاله عند الله ، ليس بخالق ، ولا بإله ولا بابتن إله ، تعالى الله عما يقوله الكافرون علوا كبيرا.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ، ص 197 وما بعدها. وتطرّق إلى أساس انفصال الكنيسة الشرقية التي ترأسها كنيسة

القسطنطينية عن الكنيسة الغربية التي ترأسها كنيسة روما أو يمكن تقسيمهما إلى شرقية يونانية، وغربية لاتينية، رئيس هذه الكنيسة

الغربية البابا وهو مساق لسياستها وله سلطان على كل الطوائف المنقادة إلى تعاليمها ، وقد تسمّى الكنيسة البطرسيّة لمؤسسها الأول

بطرس الرسول في زعمهم والبابوات خلفاؤه من بعده، أما اليونانية فتسمّى أيضا كنيسة الروم الأرثوذكسية التي لاتعترف لبابا روما

بالسيادة والرياسة .

— يوجد بالكنيسة الشرقية نظام البطارقة وهو لقب تشريفي فقط، فليس له تسلط على غيره من البطارقة والاساقفة، في حين لا يوجد نص في أي سفر من الكتاب المقدس يبيّن فيه دعوة أيّ نبيّ من أنبياء الله إلى هذه العقيدة ، ولم تتحدث الأناجيل عن الله أنّه مثلث الأقانيم ولا يوجد فيها إشارة إلى ما يعرف بالأقنوم أو الأقانيم التي لم تثبتها الأناجيل المعتمدة ولم يقل بها المسيح، فما ورد فيها هو حديث المسيح عن الله بأنّه الواحد وليس ذو مفاهيم ثلاثة، فالقول بالتثليث مخالف للعقل لأن كمال الله لا يمكن أن ننظر إليه كإله مجزأ إلى ثلاثة ، كل جزء يحتاج للآخر، والقول بالتثليث فيه اضطراب وتناقض ، فالأقانيم ليست الصّفات والقول بها يعني أنّ الصّفات متعددة أكثر من ثلاثة، كصفة العلم والقدرة والرحمة ". إنّ القول بالتثليث لم يقل به نبي من الأنبياء ، ولا يوجد نص في أسفار العهد القديم من دعوة نبي إلى عبادة إله مثلث الأقانيم أو تلفظ بلفظ التثليث، ولا يمكن لعيسى وحده يأتي بهذه العقيدة ويخالف غيره.

كما أنّ القول بحلول الله في المسيح ينفرد به إنجيل يوحنا عن الجميع حيث جاء فيه: (( الكلام الذي أكلمكم به أتكلّم به من نفسي لكنّ الأب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال ))<sup>(1)</sup>، وقوله: (( أنا والأب واحد ))<sup>(2)</sup>. وهونفسه الذي خاطب به إبراهيم -عليه السلام قومه به وخاطب الله إبراهيم بقوله: (( وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً. لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك ))<sup>(3)</sup>. ويقول الله لموسى في سفر الخروج: (( وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم ))<sup>(4)</sup>. وقول الله لموسى: (( الرب إله آبائهم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ))<sup>(5)</sup> ، ونفس الفقرات ترد في إنجيل لوقا في خطاب الله لموسى -عليه السلام ، وأنّ الموتى يقومون فقد دلّ عليه موسى أيضاً في أمر العليقة كما يقول الرّبّ إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، (( وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأنّ الجميع عنده أحياء ))<sup>(6)</sup>، أمّا "إشعيا" فيذكر في سفره قول الله: (( هكذا يقول الرّبّ ملك إسرائيل وفاديه ربّ

<sup>1</sup> - إنجيل يوحنا 14 : 10 .

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 10 : 30 .

<sup>3</sup> - سفر التكوين 17 : 7 .

<sup>4</sup> - سفر الخروج 3 : 15 .

<sup>5</sup> - سفر الخروج 4 : 5 .

<sup>6</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 20 : 37 .

الجنود : أنا الأوّل وأنا الآخر ولا إله غيري ، ومَنْ مثلي ينادي فليُخبر به ويعرضه لي منذ وضعت الشعب القديم))<sup>(1)</sup> .

إنّ المسيح -عليه السلام لم يرد على لسانه إله مثلث الأقانيم ولم يشر إلى ذلك أيّ إنجيل من الأناجيل المنسوبة إليه، ويشير "محمد فاروق الزّين" إلى أنّ هناك حركات مسيحية توحيدية رفضت عقيدة التثليث ورفضت تأليه المسيح وأصرّت على استخدام العقل والمنطق في الدين ومنها الجمعية التوحيدية الأمريكية التي تأسست سنة 1825م وتبنّت سياسة التسامح والاعتراف بأنّه ثمة حقيقة في الأديان غير المسيحية، وفي عام 1961م أصبح اسمها (الجمعية العالمية التوحيدية) وهي ترفض العقائد المتوارثة عن طريق الكنائس وتؤكد على وحدانية الخالق وإنسانية المسيح، ومسؤولية الناس عن أعمالهم، ويمكن تحقيق النجاة بأديان أخرى غير المسيحية<sup>(2)</sup>.

إنّ ما ورد في إنجيل متى: (( فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب و الابن والروح القدس))<sup>(3)</sup> ، انفرد به لوحده وهو نص لا يتفق مع ما جاء به يوحنا في إنجيله قول المسيح: ((وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته))<sup>(4)</sup>، فالمسيح لم يأت ليخالف الأنبياء وهو الذي قال: (( لا تظنّوا أنّي جئت لأنقض النّاموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل))<sup>(5)</sup>.

يطلق التثليث على إيمان المسيحيين بثلاثة آلهة أو كما هو عندهم ثلاثة أقانيم، وهو ما يتصوره المسلمون حول العقيدة المسيحية رغم تسجيلهم لعدد من الفرق الموحّدة أبرزها "الأريوسية" التي ظلت على إخلاص للتوحيد اليهودي المسيحي الأصلي حتى غلبتها الفرق المثلثة فاحتوتها وتحول بعض أفرادها إلى الإسلام ممّا يوحي بما لا شك فيه أنّ هناك من المسيحيين الأوّلين آمنوا بعيسى نبيا وأنكروا أن يكون ابنا لله ، أو يكون أحد الأقانيم الثلاثة ممّا يدلّ دلالة قاطعة على فساد عقيدة المسيحيين الذين انضوا تحت فرق كبرى، ومنها الملكانية والتسبورية واليعقوبية، وذلك نظرا لعدم وفائهم لرسالة المسيح . وتجلت العقيدة المسيحية في الثالوث حول صيغته، والأمثلة التي ضربت حوله

<sup>1</sup> - سفر إشعيا 44: 6-7.

<sup>2</sup> - محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والإشتراق. ص 122-123.

<sup>3</sup> - إنجيل متى 28: 19.

<sup>4</sup> - إنجيل يوحنا 17: 3.

<sup>5</sup> - إنجيل متى 5: 17.

مع تعريفات الجوهر والأقانيم وعلاقة الجوهر بالأقانيم، وتأسست دعاوي القول بالتثليث ومنها ما جاء في إنجيل متى ما حكاه عن المسيح قوله لتلاميذه: ((فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس))<sup>(1)</sup> فيفسر المسيحيون هذا النص على أنّ المسيح ذهب إلى أنّ هذه الأسماء عند إضافتها إلى الآب صارت آلهة ثم أقانيم، ولكلّ اسم أقنوم بعينه وهو شخص، وهذا التّأويل فاسد لا يصح لأنّ العبارة ليست فيها بيان أنّها جوهر واحد ولا في الإنجيل لفظة تدل على جوهر ولا أقنومات، وهذه لفظة فلسفية يونانية سقطت إلى القوم فتكلّموا بها.<sup>(2)</sup>

واستدلّ المسيحيون على التثليث لما تأولوه من نصوص العهد القديم في قول الله: ((نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا))<sup>(3)</sup>، فبدل من القول (أعمل) قال (نعمل) للدلالة على أنّ الآلهة جماعة وعلى صور وهيئات كهيئات الناس، كما أنّ مقولة التعميد بإسم الأقانيم الثلاثة التي تضاف إلى المسيح إنّما رويت عنه بعد صلبه وقيامته - في معتقدهم - وإلتقائه بتلاميذه في الجليل! فالعمليات التّأويلية لكلمة أقنوم أدّت إلى وضع تصورات غريبة عن نصوص الكتاب المقدس المنافية لعقيدة التّوحيد التي أدركها المفكّرون من الذين توصلوا إلى أنّ النظرية الثالوثية لا تستند إلى نص إلهي<sup>(4)</sup>.

ومن هذه الأدلّة التي استرعت الإنتباه في نفي عقيدة التثليث ذلك التناقض الصريح في القول بأنّ المسيح إله وإنسان متّحدين، وأنّه صعد إلى السّماء وجلس عن يمين أبيه، فالجالس عن يمين صاحبه منفصلا عنه. ومن المسيحيين من يرى أنّ الثلاثة واحد، وواحد ثلاثة، ليتم الرد عليهم حول مفهوم الواحد، إذا كان هو واحد من جهة العدد، أو واحد من حيث النّوع كقولنا: زيد وعمر واحد بما عمّهما من نوعهما الذي هو الإنسان، أو واحد من حيث الجنس كقولنا: الأسد والإنسان واحد بما عمّهما من جنس الذي هو الحيّ<sup>(5)</sup>، فلا معنى إذن للقول عند المسيحيين بإله واحد، إذا كان الآب إلهًا، والابن إلهًا، وروح القدس إلهًا. ولما تقول المسيحية بأنّ القديم ليس بعرض بل هو جوهر يجب أن يكون القائم بنفسه جوهر والقائم بغيره عرض، ويصح من الجوهر الفعال ولا

<sup>1</sup> - إنجيل متى 28: 19.

<sup>2</sup> - عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص 202.

<sup>3</sup> - سفر التكوين 1: 26.

<sup>4</sup> - أورد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ج 1، ص 196 إشارات بالقول بالتثليث عند الفرق المسيحية وغير المسيحية ومنها الملكانية والنسطورية واليعقوبية، والمرقونية والمانية. هذا الثالث الذي تطرّق إليه الخزرجي: مقامع الصليبان في ص 28، و ص 124.

<sup>5</sup> - عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 209.

يصح من العرض، والجوهر يستغني عن غيره والعرض يحتاج إلى غيره ، وحتى الجوهر يمكن أن يكون على ضربين ؛ جسم وما ليس بجسم، فالجسم يحتل التركيب والتجزئة ، فيجب أن يكون الإله ليس بجسم<sup>(1)</sup>. وعند بعض المفكرين المسلمين على أنّ الله ليس بجوهر إذ لو كان جوهرًا لكان محدثًا وقد ثبت قدمه<sup>(2)</sup>. فقول المسيحيين حول الثالوث بأنّ الأقانيم أشخاص، لكانّ الله أقنوما جوهرًا والإنسان أقنوما جوهرًا فيصير جوهر يخالف جوهر بأنّه جوهرًا. ومن باب اختصاص كل أقنوم لا يمكن تصور اختصاص كل واحد منهما بما يستحيل على الآخر، كاختصاص أحدهم بالأبوة والآخر بالبنوة والآخر بالروحانية ، فالاختصاص يقتضي نتائج فاسدة بحسب النظرية الثالوثية المسيحية التي تجعل الأقانيم مشتركة في الإلهية.

إنّ التناقض الواضح في العقيدة المسيحية من خلال عرضنا للبناء اللاهوتي يلوح لنا مظاهر التوحيد وبطانته الكثير ، يوحى بتملص العقل والمنطق منه لكثرة إسقاط مفاهيم بشرية على ما لا يليق بالمولى عز وجل الواحد الأحد الفرد الصمد ، وليس ثلاثة أقانيم مختلفة فيما بينها بحسب التصوّر المسيحي للعقيدة الذي ذهب إلى الإدلاء بالقول أنّ الروح هي (الحياة) وأن الابن هو (المنطق) وأن الكلمة هو (العلم)، ليتم الرد عليهم أنّهم لم يشاهدوا من له حياة وعلم أحدهما ابنه والآخر روحه ، ولا وجدوا من له حياة وعلم هو علتهما وهما معلولاه بل الحيّ معلول بالحياة لولاها لم يكن حيًا<sup>(3)</sup>.

إنّ تورط المسيحية في الصيغة الثالوثية يدلّ على تشبّثها بالخطأ منذ القول بالتثليث على أنّه يؤدي إلى تعدد الآلهة مع العلم أنّ الدّات لا تتعدد حتى ولو تعددت صفاتها، فشكل الثالوث المسيحي ردود كثيرة لعلماء الإسلام الذين درسوا العقيدة المسيحية وفندوا كل دليل على قائل بالتثليث<sup>(4)</sup>.

## ب- طرق تقريب القول بالتثليث:

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، ص 206 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 217 .

<sup>3</sup> - عبد المجيد الشّرفي : المرجع السابق ، ص 211 .

<sup>4</sup> - Ali bouamama : la littérature polémique musulmane contre le christianisme de puis ses irigines jusqu'au xill siècle.(le problème de la trinité chez les principaux polémistes musulmans, etude thematique : al-kindi - al-warraq- al-qasim b .ibrahim - al-Gahiz- al-hasan b.ayyub. pp 133- 149.

لجاء المسيحيون إلى التعبير عن سر الثالوث عندهم إلى الإكثار من صور التشبيه لتقريبه من الأذهان غير آبهين بالقصور عند إدراكهم لمفهوم الإله الحقيقي ، فراحوا يتهافتون بالاستدلال على عقيدة التثليث باستخدام الأدلة العقلية والنقلية من خلال صور التشبيه التي ضربوها حول اتفاق الأفانيم في الجوهر واختلافها فيه باختلاف الأعراض واتفاقها ، كالقول باتفاق اللون الأسود واللون الأبيض في كونهما لونا، ويختلفان في كون الأسود أسودا والأبيض أبيضاً. ويشبه المسيحيون وحدانية الله وثالوثيته بالشَّمس والإنسان وأنّ الواحد منها هو واحد في الطبيعة وثلاثة أشخاص متفرقة باعتبار أنّ الشَّمس التي يدركها الحسّ هي شمس واحدة في ذاتها أمّا في حالتها وصفاتها فهي ثلاثة متغايرة كل واحد منها غير الآخر في شخصه وصفته، فالشَّمس في عينها كالآب، وفي ضوئها كالإبن، وفي حرّها كالرّوح، وأنّ الشَّمس إذا فارقتها ضوؤها لم تعد شمسا، ونفسه إذا فارقتها حرّها ، وتسمى شمسا إذا كان كلّها فيها مجتمعاً<sup>(1)</sup>.

وهذا الطّرح يخالف ما جاء في قانون الإيمان في مجمع نيقية حين إسقاطه على ما قالته الكنيسة من أنّ المسيح إنّّه إله حق من إله حقّ من جوهر أبيه ، فالمثل يختلف لأنّ ضياء الشمس وصفته تخالف صفته وبعضه غير بعض، فلو كان نورها وحرّها شمس حقّا من شمس حقّ من جوهر الشَّمس لانتطب المثل على ما قالته شريعة المسيحية ، والقياس هنا مع الفارق ، كما قاسوا كلامهم على النّار والدفء الصّادر من لهيها وضوئها ، والقياس نفسه في قولهم عن الرّجل في مهنته وزوجا لزوجته وأبا بالنسبة لبنيه وهو رجل واحد لا ثلاثة رجال، أو تمثيلهم بالدار الواحدة وإن اشتملت على بيوت وأروقة<sup>(2)</sup>.

وعبر المسيحيون عن تولّد الابن من الأب ليس على نحو التولّد التناسلي البشري وإنّما على نحو تولّد الكلمة من العقل، وتولّد حرّ النّار منها وضياء الشَّمس من الشَّمس وهم يدركون أنّهم يقولون بأنّ المسيح ولد من مريم كولادة النّاس المتناسلين كباقي ولادة البشر وإن لم تحمل به من طريق المضاجعة لذلك ينتفي الشّبه، وقد تحصل الكلمة من العاقل ومن غير العاقل.

<sup>1</sup> - ينظر: الذات الإلهية وتصورها عند: عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ص 190 وما بعدها.

<sup>2</sup> - عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق، ص ص 236، 239. نقلا عن كتاب: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ، لابن تيمية، ج 2 ص 330.

والقول بأن الآب إله والابن إله والروح إله مع ذلك واحد، فإنّ هذا القول يدلّ على ثلاثة آلهة ولا معنى لقولهم بإله واحد، هذا الإله الذي يظلّ مبهما في التعرّف إليه ، هل هو الجوهر دون الأقانيم أم هو الأقانيم دون الجوهر؟ أم هو الجوهر والأقانيم ، أم أنّ الجوهر إله والأقانيم إله؟

وعلى أساس الإجابة عن هذه الأسئلة سنصل إلى أنّ الآب والابن يكونا إلهين لإله واحد، ويخرج من الألوهية الروح القدس. كما يقتضي أنّ الجوهر في حد ذاته يصير إلهًا، ومن عبد الآب والابن والروح القدس لم يعبدها إلهًا ما لم يعبد معها الجوهر الذي هو غيرها الروح القدس.

تكالب النقاد للمسيحية حول استمرارها في التعبير عن التثليث وعقيدته معتبرين الاختلاف في هذا التعبير هو نتيجة طبيعية لفساد الأصل الذي بنيت عليه ، كالقول بأنّ الله الوالد ليس هو الابن المولود، وأنّه لا يجوز أن يكون الآب الوالد ابنا مولودا، ولا الابن المولود أبا والدا، وكذا روح القدس.

فحكّم النقاد على المسيحية بأنّها خالفت دين المسيح وخالفت وصاياه وعبدت ثلاثة آلهة وثلاثة أرباب ولا يوجد لها نصّ إلهي يشهد لها بما تعتقده يكون صحيحا متواترا يقبل الخضوع إلى ميزان التوثيق ويخضع لقاعدة الجرح والتعديل، وتيقنوا أنّ صيغة الثالوث اللاهوتي هو من صنع البشر، وقد ورد متأخرا زمنيا عن الإيمان بألوهية المسيح بل هو نتيجة له<sup>(1)</sup>. ويقول "عبد العزيز الثعالبي": ((أنّ عقيدة التثليث من وضع فلاسفة اليونان القائلين: بأنّ الله مثلث الأقانيم، وأدخلوا في عبادتهم وطقوسهم رموز وإشارات التثليث. فإذا شرع كهنتهم بتقديم الذبائح مثلا إلى الآلهة يرشّون المذبح بماء مقدس ثلاث مرات إشارة إلى الثالوث))، وحول عقيدة الفداء والخلّاص يقول: ((أنّ هناك رواية يونانية حول صلب بطل الرواية الإله (كراسيوس) ، هذه الرواية التي كتبها الشاعر (أسبوس) في أثينا 50 ق.م حيث وصف هذا الشاعر آلام الصّلب التي قاساها واحتملها ذلك الإله من أجل خلاصهم))<sup>(2)</sup>. وتوهّم المسيحيون أنّ المسلمين أقرّ دينهم عقيدة التثليث المتكونة من : الله ، ومريم ، وعيسى تفسيراً منهم للآية: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيِ الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ }<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - عبد العزيز الثعالبي: محاضرات في تاريخ الأديان والمذاهب ، ص 82-83.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 83.

<sup>3</sup> - سورة المائدة الآية 116.

وما يجوز أن ينسب للمسيحيين من تأليه لمرمٍ وتعظيمهم لها باعتبارها أمّ المسيح ابن الله ، وأثما والدة الله ، والقرآن لم يدع ذلك عليهم، فجاء قول الله: { ولا تقولوا ثلاثة }<sup>(1)</sup>، حيث أنّ التّهي الذي جاء فيه بأنّه نهي عن القول أن الأرباب ثلاثة أو أنّ الله هو المسيح .

ويردّ صاحب مقامع الصّلبان "الخزرجي" على دعوى التّثليث والتجسّد عند الفرق المسيحية بقوله: (( وقالت اليعقوبية من فرق ملّتكم إنّ الله نزل فدخل في بطن مريم فاتّخذ من لحمها جسدا فكان الله مع ذلك الجسد نفسا واحدة، وقالت التّسطورية ليست التّفس هي الله، وإنما هي نصفه. ومن كلام اليعقوبية أيضا أنّ الله اتّخذ ذلك اللّحم والدم فزادها في نفسه فصار ذلك اللّحم الله. ثم اتفقتم أنّ أقانيم الأب والإبن والرّوح القدس غير مختلفة بل أقنوم واحد. فاذا كان هذا فالأب هو الإبن وهما مع الرّوح القدس الكل شبيء واحد، وهذا توحيد فلم خصصتم المسيح بالإبن ولم تقولوا هو الأب؟ وقد قلت إنّ الأب والإبن والروح القدس شبيء واحد ثم جعلتم جوهر البدن شيئا معبودا وليس من الثلاثة، فهؤلاء إذا أربعة وقد بطل التّثليث وصار تريعا فإن أبيتهم إلّا ثلاثا فقد جعلتم نفي العبد وإثباته سواء وكابرتم العقول))<sup>(2)</sup>.

**المبحث الخامس: تطور عقيدة تأليه المسيح.**

**مطلب 1: منشأ القول بتأليه المسيح وتطوره:**

مع إيمان المسيحيين بالأقانيم الثلاثة إلّا أنّهم يعظّمون الأقنوم الثّاني ، وهو أقنوم الإبن أكثر من الأقنومين الآخرين، ويبنى المسيحيون على الأقنوم الثّاني معظم معتقداتهم، لأنّ فكرة تأليه هذا الأقنوم هي التي بنيت عليها فكرة الأقانيم الثلاثة، معتقدين أنّ الكلمة وهي كلمة الله التي خرجت من الدّات صارت إبنا، وصارت الدّات أبا للكلمة، وصارت كل من الدّات والكلمة أقنوما قائما بذاته يدعى الأوّل الله الآب، ويدعى الثّاني الله الإبن .

فالتصوّر المسيحي لأحد الأقانيم الثلاثة التي تصور حقيقة الدّات الإلهية، وأنّك بحسب المعتقد المسيحي أنّه إذا قلت الأب فمعناه أنّه الأب والإبن وروح القدس، وإنّما سمّيته بالصفة التي نظرت بها إلى الله، وتصورته عليها، وإذا قلت الإبن، كان معناه الإله الذي يجمع الأب والإبن وروح القدس، وكذلك إذا قلت روح القدس، كان معناه الإله المنظور إليه من خلال روح القدس<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - سورة النساء الآية 171.

<sup>2</sup> - ص 86.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ص 314.

ويعود سبب تأليه الابن إلى فكرة الخطيئة الموروثة من أب البشر آدم والذي انتقل ذنب خطيئته في ذريته حتى حان وقت اقتلاعها بمحبة الله الإنسان الذي أرسل ابنه الوحيد فداءً لهذه الخطيئة ليستوفي العدل الإلهي حقه، وتمت ترقية طبيعة الإنسان إلى رتبة الألوهية، بتجسد ابن الله وتمت المصالحة بين الله والإنسان، وأخذ المسيح كل الصفات الإلهية، وأنه يغفر الخطايا ويتوجه إليه العباد بالعبادة، بل تم إطلاق المسيحيين على المسيح ألقاب الله ووصفوه بأوصاف الله معتقدين أن المسيح يعمل أعمال الله، فجاء في إنجيل متى: ((هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عَمَّانُوئِيلَ الذي تفسيره الله معنا))<sup>(1)</sup>، وفي يوحنا: ((في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه))<sup>(2)</sup>.

ومن النصوص الدالة أن المسيح له أوصاف الله ما جاء في رسالة بولس إلى العبرانيين: ((يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم و إلى الأبد))<sup>(3)</sup>. وجاء في إنجيل يوحنا علم المسيح بكل شيء: (( يسوع وهو عالمٌ أن الأب قد دفع كل شيء إلى يديه وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي ))<sup>(4)</sup>. ومن النصوص الدالة أنه يعمل أعمال الله ما جاء في إنجيل يوحنا أيضا: ((كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان))<sup>(5)</sup>. وفي إنجيل مرقس المسيح يغفر الخطايا: ((فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج يا بني مغفورة خطاياك ))<sup>(6)</sup>. وفي إنجيل يوحنا أن المسيح يدين الناس يوم القيامة: (( فقال يسوع لدينونة أتيت إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون ))<sup>(7)</sup>.

رغم نصوص العهد الجديد الصريحة على تأليه المسيح التي استدلت بها المسيحيون فإن أغلبها يوجد في الإنجيل الرابع المنسوب إلى يوحنا ، وفي الرسائل المنسوبة لبولس<sup>(8)</sup>. والإنجيل الرابع إنفرد ببيان ألوهية المسيح بصريح اللفظ والعبارة، وميز بين بنوة المسيح والبنوة التي وردت بمعناها العام

<sup>1</sup> - إنجيل متى: 1: 23.

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 1: 1 - 5.

<sup>3</sup> - رسالة بولس الى العبرانيين 13: 8.

<sup>4</sup> - إنجيل يوحنا 3: 13.

<sup>5</sup> - إنجيل يوحنا 1: 3.

<sup>6</sup> - إنجيل مرقس 2: 5.

<sup>7</sup> - إنجيل يوحنا 2: 25.

<sup>8</sup> - محمد أحمد الحاج : النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، ص 196.

، فأطلق على المسيح ابن الله الوحيد، هذه الكلمة هي القاعدة التي اعتمد عليها مجمع نيقية فأطلق على المسيح: الإبن الوحيد المولود من الأب بحسب نصّ قانون الإيمان الذي جاء في مجمع نيقية .ويُفند "رحمة الله الهندي" ما ذهب إليه المسيحيون من تأليه للمسيح وإطلاق لفظ ابن الله، وأنها في غاية الضعف لأن هذا الإطلاق معارض باطلاق إبن الإنسان، وباطلاق ابن داود، فلا بدّ من التطبيق بحيث لا يثبت المخالفة للبراهين العقلية ولا يلزم منه محال<sup>(1)</sup>.

أما الأناجيل الثلاثة الباقية فإنّها تكاد تخلو من نصّ صريح يدلّ على تأليه المسيح، ولم يؤمن بهذه الفكرة الجيل الأوّل الذي عاش مع المسيح ولا حتّى الجيل الذي جاء بعده، غير أنّ ولادة المسيح من غير أب ساهمت في انحراف المسيحية، حتّى إذا جاء القرن الرابع الميلادي أين وجدت فكرة التّأليه رسوخا في أذهان النّاس، سيما وأنّ اليهودية السابقة للمسيحية قد مهّدت لمجيئ المسيح، وكان مجيئه البرهان على الدعوى السابقة، وأما السبب الرئيسي لتأليه المسيح فيعود إلى معجزة إحياء الموتى<sup>(2)</sup>. والأمر الآخر الذي أُعتمد عليه في بيان تأليه المسيح، القول بأنّه كلمة الله، هذه الكلمة التي كان لها مدلول فكري فلسفي، فإن الكلمة ( اللّوغوس ) لها أهمية سواء كانت مكتوبة أو منطوقة في الإصطلاح الفلسفي اليوناني والتي كان يراد بها القوّة العاقلة التي تمدّ الكون بالحياة، وتدبّر أمره، أو العقل الالهي، الظاهرة آثاره في الكون.. وقد خطت المسيحية بهذا المعتقد فأقامت من كلمة الله أو (اللّوغوس) جسدا إنسانيا أعلن الله فيه ذاته أو مشيئته هو المسيح<sup>(3)</sup>.

إنّ النتيجة لقضية التّأليه أنّ المسيح لم يقل عن نفسه أنّه ابن الله، وإنّما جرى لفظ ابن من باب المجاز اللّغوي لا الحقيقي ، فالكلمة العبرية ( عبد ) كثيرا ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعني خادما و طفلا على حدّ سواء ، وتطور كلمة طفل إلى كلمة (ابن) ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم (ابن الله) نبع من العالم الفكري اليوناني<sup>(4)</sup>. الذي روج له بولس من أنّ عيسى لم يكن المسيح الموعود الموعود فحسب، ولا زعيم اليهود الموعود فقط، بل إنّ ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا

<sup>1</sup> - اظهار الحق ، ج2، ص 16 .

<sup>2</sup> - مديحة خميس: رحلة بين أرجاء الكتاب المقدس، تقديم: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص 16 .

<sup>3</sup> - عبد الكريم الخطيب :المصدر السابق ، ص 322 .

<sup>4</sup> - شارل جنبير: المسيحية نشاتها وتطورها ، ص 39 .

ويصلب تكفيرا عن خطيئة البشر.. وراح بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن عيسى كشأن أوزوريس؛ كان ربًا مات ليعث حياّ وليمنح الناس الخلود<sup>(1)</sup>.

## مطلب 2: منشأ القول بتأليه روح القدس وتطوره:

لم تعرف مسألة تأليه الروح القدس إلا في القرن الرابع حيث لم يتعرّض مجمع نيقية لهذه القضية وبقيت موضع خلاف حتى أقر المسيحيون ألوهية الروح القدس في مجمع القسطنطينية المنعقد سنة 381م، على أساس أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من اللاهوت المقدس، وهو مساو للآب والإبن في الذات والجوهر والطبع، وهو روح الله وحياة الكون ومصدر الحكمة والبركة ومنبع النظام والقوة، ولذلك فهو يستحق العبادة الإلهية<sup>(2)</sup>. ولم يجد المسيحيون ما يستدلّون به على ألوهية الروح القدس من نصوص، وحتى نص إنجيل يوحنا القائل: (( وأنا أطلب من الآب فيعطيك معزّيًا آخر، ليملك معكم إلى الأبد، روح الحقّ الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنّه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنّه ماكن معكم ويكون فيكم ))<sup>(3)</sup>، فلا يشير صراحة أن المقصود به هو روح القدس، فقد يقصد بالمعزّي الذي يكثر تحميده وهو المشار إليه باللّغة اليونانية (بيريكليتوس)<sup>(4)</sup>. وترد عبارة مفقودة في جميع الأناجيل القانونية استدلت بها علماء اللاهوت في هذا الشأن وهي عبارة إنجيل متى التي يقول فيها على المسيح: (( فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب و الإبن والروح القدس ))<sup>(5)</sup>.

إنّ الحجج والأدلة التي استدلت بها المسيحيون على ألوهية الروح القدس ليست أدلة قاطعة على صحّة ما ذهبوا إليه، وهذا ما يدلّ على أنّ العقائد المسيحية لم تحظ بالإتفاق وأكثرها اختلافًا عقيدة التثليث التي رفضتها الأريوسية حتى آخر رمق من أنفاس أتباعها الموحدون.

## مطلب 3: أدلة بطلان العقائد المسيحية:

<sup>1</sup> - أحمد شلبي: المسيحية ، ص 120.

<sup>2</sup> - أحمد شلبي : المصدر السابق، ص 130.

<sup>3</sup> - إنجيل يوحنا 14: 16-17.

<sup>4</sup> - عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغبة، الجزائر، 1987م ، ص 397-

398. و بيريكليتوس= هو معنى لفظ الفارقليط الذي يحاول المسيحيون ترجمته بمعنى المعزي وروح القدس صرفا لهذا اللفظ عن

معناه الحقيقي وهو اسم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم .

<sup>5</sup> - إنجيل متى 28: 19

من الأدلة على بطلان العقائد المسيحية النقلية والعقلية فلا يوجد سند لعقيدة التثليث المسيحي من نصوص العهد القديم ولا العهد الجديد، وما استدلووا به لا يصلح أن يكون حجة ، كون العقيدة جاءت متأخرة عن كتابة الأناجيل، ولم تكن عقيدة التثليث موجودة ومعروفة عند الأجيال الأولى التي عاشت مع المسيح -عليه السلام، أو مع تلاميذه ، كما أنّ العهد القديم لا يحوي أصلا ولا يعرف هذه العقيدة المثلثة للألوهية.

### أ - الأدلة النقلية في الرد على أزلية المسيح وبنوته لله.

كتب علماء الإسلام ردودا كثيرة على عقائد المسيحيين واستعملوا في الرد سلاح العقل والعلم مثبتين أنّ هذه العقائد لا يمكن أن يأتي بها رسول أو نبي مستدلين بنصوص القرآن التي تنفي كل تولّد عن الله أو تأليه المسيح كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾<sup>(1)</sup>. فالمسيح ما هو إلا بشر خلقه الله بفعل الكينونة (كن) ، والقول بألوهيته يعد ضربا من الشرك وقد امتنع مسيحيو نجران من المباحلة التي دعاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إليها ، لعلمهم بفساد عقيدتهم وخوفهم من عذاب الله الأليم ممّا توعدّهم به سبحانه ، ونتيجة علمهم بثبوت نبوة النبي الكريم فرفضوا الدعوة<sup>(2)</sup>.

وأشار التّقاد إلى التّأويل الفاسد للمسيحيين للآية: ﴿إنّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته، ألقيها إلى مريم وروح منه ﴾<sup>(3)</sup> ، وأنّ المسيح هو روح الله وكلمته ، فجعلوا الله ولدا وإلهما، لأنّ روحا كانت في الله وانفصلت منه إلى بدن عيسى في بطن مريم. ولا يصدق هذا الرأي لأنّ الله قال أيضا في جبريل -عليه السلام: (روح الله)، كما سمّاه روح القدس، فهل يعقل أن يقول المسلمون بما يقوله المسيحيون في عيسى -عليه السلام؟ فلا يوجد إقرار بأنّ عيسى هو الله أو

<sup>1</sup> - سورة الإخلاص الآيات 1-4.

<sup>2</sup> - ينظر: المباحلة التي دعا فيها النبي - صلى الله عليه وسلم وفد نجران إليها في سورة آل عمران الآيات 58-68. {إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون، الحقّ من ربّك، فلا تكن من الممترين، فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقلّ تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ونفُسكم ثمّ نبهل فنجعل لعنث الله على الكاذبين، إنّ هذا لهو القصص الحقّ وما من إله إلاّ الله ، وإنّ الله لهو العزيز الحكيم ، فإن تولّوا فإنّ الله عليم بالمفسدين، قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّنا مسلمون، يا اهل الكتاب لمّ تحاجّون في إبراهيم، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده، أفلا تعقلون، هأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلمّ تحاجّون فيما ليس لكم به علم، والله يعلم، وأنتم لا تعلمون، ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانياً ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين}.

<sup>3</sup> - سورة النساء، الآية 171.

ابن الله، فقله تعالى: { فننزلنا فيه من روحنا } ليس المراد به الحقيقة، وفي قصة آدم يقول الله: { فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين }<sup>(1)</sup>. ووردت ( الكلمة ) في الآيات القرآنية من مثل سياق تبشير الله لذكريا يحيى لما قال الله تعالى: { فننادته الملائكة وهو قائم يطلي في المصرايح أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله }<sup>(2)</sup> ، وقول الله: { وكلمته، ألقاها إلى مريم }<sup>(3)</sup>، وحين بشر الله مريم بالمسيح لما قال : { إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمة المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين }<sup>(4)</sup>، فهذه هي المواضع الثلاثة التي قصد بها عيسى بالكلمة في ثلاث آيات، على خلاف مطلق مع مفهومها في المسيحية التي اعتبرت مركز عقيدة التأيله والتجسد لما وردت في إنجيل يوحنا: ((في البدء كان الكلمة، والكلمة كانت لدى الله، وكان الكلمة الله)<sup>(5)</sup>. وفسر العلماء بأن الكلمة التي وصف بها عيسى وأن الناس يهتدون بها كاهتدائهم بالكلمة التي تعد نوراً وشفاء من حيث معرفة الحق وتلمس طريق النجاة، وكذلك كلمة روح الله إذ يحيا الناس بدعوة المسيح كما تحيا الأجساد بالأرواح التي تسكنها، ولا يمكن اعتبار المسيح ابن الله قياساً على هذا المفهوم من أنه ( كلمة الله ) أو ( روح الله ) ولم يكن المسيح كلاماً إلا من باب المجاز في اللغة، لأن الكلام على الحقيقة هو الحروف المنظومة. إن الله خلق المسيح بفعل القول ( كن ) فسماه ( كلمة الله ) كما تسمى بها لأن الله جعله يتكلم في طفولته، وأنه سمي كذلك لأنه جاء ليرشد إلى أسرار إلهية عظيمة أو أن كتب الأنبياء من قبله أشارت إلى مجيئه، فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة أو لأنه تسمى بكلمة الله كما تسمى الإنسان بـ ( فضل الله ) و( لطف الله ). وحتى يكون هذا الاسم خاص بالمسيح وحده، أخبر النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في قول الله تعالى: { وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا }<sup>(6)</sup>، وقال تعالى: { تنزل الملائكة والروح فيها }<sup>(7)</sup>، فسمى القرآن عيسى

<sup>1</sup> - سورة الحجر، الآية 29.

<sup>2</sup> - سورة آل عمران، الآية 43.

<sup>3</sup> - سورة النساء، الآية 171.

<sup>4</sup> - سورة آل عمران، الآية 45.

<sup>5</sup> - إنجيل يوحنا 1: 1.

<sup>6</sup> - سورة الشورى الآية 52.

<sup>7</sup> - سورة القدر الآية 4.

عيسى روحا ، وسمى جبريل روح الله وروح القدس ، ولم يقل أحد من المسلمين من أنّ القرآن أو عيسى أو جبريل أبناء الله ، وقد عبّرت الآية صراحة في قوله تعالى: { **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ** }<sup>(1)</sup>، ويتوهم من يعتقد أنّ الله لّما اتخذ إبراهيم خليلا فلمّا لا يتّخذ المسيح ابناً؟ إذ لو جاز أن يكون أبا لجاز أن يكون جدّاً أو عمّاً أو خالاً، ولجاز أن يكون له صاحباً وصديقاً ، فهذا لا يقبله العقل ولا يصوغه إلا لمن أنكر عظمة الله سبحانه.

ومن الأدلة الثقلية نجد التّصوص الصّريحة في الكتاب المقدس، تنصّ على تأليه المسيح أو تجسّده أو الدعوة إلى عبادته، فكلّ ما في الأمر أنّ هناك تأويلات لنصوص وردت في الأناجيل والرّسائل وهي فقيرة جدّاً في الاستدلال على عقيدة التأليه والتجسّد نظراً لكون هناك تباين في المواقف حول الكتاب المقدس كمصدر في تأليه المسيح لورود ما يخالف العقل ويعارض التوحيد ، فجاء في إنجيل متى سلسلة ميلاد المسيح بن داود، فالمسيح أبوه داود وهو منه مولود<sup>(2)</sup>.

ولّما كان المسيحيون يعتمدون في مرجعيتهم العقائدية على نصوص العهد القديم فإنّ هناك إشارات منه تذكر أن الموصوف يكون مخلوقاً وليس خالقاً وأن الموصوف يكون زنياً وليس أزلياً<sup>(3)</sup>.

ومن الشواهد على عدم إلهية المسيح ما قاله المسيح عن نفسه وما قاله التلاميذ فيه وقول من تنبأ عليه من الأنبياء، وما قاله المخالفون لدعوته عنه من رجال دين الهيكل، وما قالته الفرق اليهودية عنه. كما أقرت الأناجيل ببشرية عيسى وبمشاركته لغيره من الأنبياء وأتّهم أبناء الله من حيث التفضيل، بحسب إنجيل متى: ((وصوت من السّماوات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت))<sup>(4)</sup>، وقول سمعان بطرس للمسيح: ((أنت هو المسيح ابن الله الحي))<sup>(1)</sup>. ولم يعرف عن ملائكة

<sup>1</sup> - سورة المائدة الآية 75.

<sup>2</sup> - ينظر إنجيل متى 1: 1 : ((كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم)).

<sup>3</sup> - ينظر: سفر الخروج 20: 4: (( لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورةً ما مما في السّماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهم ولا تعبدهم. لأنّي أنا الربّ إلهك إله غيور)). وفي سفر المزمير، مزمور لآساف 50: 13 ((إن جعث = فلا أقول لك لأنّ لي المسكونة ومأواها. هل آكل لحم الثيران وأشرب دم الثيوس، أذبح لله حمداً وأوفّ العليّ ندورك)). وفي سفر المزمير ، ترنيمة المصاعد 120: 2-4: (( ياربّ نجّ نفسي من شفاه الكذب من لسان غشّ، ويلي لغربتي في ماشك لسكني في خيام قيذار، طال على نفسي سكنها مع مبغض السّلام)). وسفر المزمير 145: 13: (( ليعرفوا بني آدم قُدرك ومجد جلال ملكك، مُلكك مُلكك كلّ الدّهور وسلطانك في كلّ دورٍ فدور)). وفي إنجيل يوحنا 1: 18. (( أما النعمة والحقّ فيسوع المسيح صارا، الله لم يره قطّ. الإبن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو حَبْر)).

<sup>4</sup> - إنجيل متى 3: 17، إنجيل مرقس 1: 11 (( وكان صوت من السّماء . أنت ابني الحبيب الذي به سسرت)).

ملائكة الله ومن جاء من الرسل والأنبياء أتهمّ سبّحوا المسيح وعبدوه باعتباره إله، ولم يقل ولم يزعم منهم أنّ عيسى ولد من الله عن طريق التناسل، ويورد إنجيل يوحنا قول المسيح : ((الحقّ الحقّ أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن))<sup>(2)</sup>. ليستدل بها المسيحيون على أنّ المسيح جاء قبل إبراهيم من جهة الألوهية ولا يذكرون أنّ سليمان ابن داود يقول في حكمته بحسب سفر الأمثال: ((منذ الأزل مُسِخَتْ منذ البدء منذ أوائل الأرض))<sup>(3)</sup> أي: أنا قبل الدنيا وكنت مع الله حيث بدأ الأرض، فهل يعد قوله بأنه قبل الدنيا بالإلوهية أو أنّه ابن الله؟ فلا يمكن إثبات الربوبية والألوهية لجسد أكل الطعام ومشى في الأسواق وخضع للظروف الطبيعية. ولا يصح أن تبني عقيدة على تأليه بشر من نصوص وردت في العهدين ، وبفرض أنّ المسيح نطق بها ونسب الأبوة والبنوة إلى الله، فهذا لا يعني أن ذلك الكلام حقيقة بل يكون مجازا ، أو لجهل ممّن كتب النصوص أو ممّن ترجمها من لغة إلى أخرى، أو لتأويل مغشوش كقول المسيح: ((إنيّ أضعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم))<sup>(4)</sup> فهذا لفظ مجازي وإلاّ كيف يقول المسيح عند اعتراضه عن السجود للشيطان: ((لأنّه مكتوبٌ للرّبِّ إلهك تسجدُ وإياه وحدهُ تعبدُ))<sup>(5)</sup>، وقوله : (( لأنيّ قد نزلتُ من السّماء ليس لأعملَ مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني))<sup>(6)</sup>. وقوله: (( كما أسمع أديئُ ودينوتي عادلةٌ لأنيّ لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني))<sup>(7)</sup>.

إنّ الدراسات الحديثة أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أنّ نسبة الألوهية للمسيح إنما هي عملية تأويلية قام بها المسيحيون الأوّلون بعد حادثة الصلب المزعومة و القيامة للمسيح من القبر ثم صعوده إلى السّماء ليجلس على يمين أبيه انتظارا ليوم الدينونة يدين فيها النّاس عن أعمالهم وإيمانهم، ولم يتحرّج المسيحيون في تأليه المسيح رغم التناقض الصريح عمّا جاء في إنجيل متى من تجربة الشيطان للمسيح في البرية لما أراد أن يختبره وينقله من مكان إلى مكان<sup>(8)</sup>. وتوجد نصوص يتحدث فيها

<sup>1</sup> - إنجيل متى 16 : 16 .

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 8 : 58 .

<sup>3</sup> - سفر الأمثال 8 : 22 - 23 .

<sup>4</sup> - إنجيل يوحنا 20 : 17 .

<sup>5</sup> - إنجيل متى 4 : 10 .

<sup>6</sup> - إنجيل يوحنا 6 : 38 .

<sup>7</sup> - إنجيل يوحنا 5 : 30 .

<sup>8</sup> - ينظر: إنجيل متى 4 : 11. الذي أورد قصّة تجربة الشيطان للمسيح في البرية.

المسيح على أنه نبي ورسول وعبد من عباد الله من مثل قوله لمن معه: (( ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته ))<sup>(1)</sup>. غير أن ما يحاول المسيحيون من تأويله ليثبتوا ألوهية المسيح ما جاء في إنجيل لوقا: (( فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك . مباركة أنت في النساء .. هكذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ))<sup>(2)</sup>.

وبحسب العبارات فإن الملك لم يقل إن الذي تلدينه هو خالقك وأنه أزلي، فكل ما هنالك فإن المسيح كان مثله مثل باقي الأنبياء دعا إلى الله بالحسنى وتضرع للمولى معترفا له بربوبيته وألوهيته وقدرته، حيث عاش عبدا ساجدا لله، أيده الله بالمعجزات بإذن منه حيث قال تعالى: { ورسولا إلى بني إسرائيل أي قد جئكم بأية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله، وأبرء الأكمه والابرس وأحي الموتى بإذن الله، وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم }<sup>(3)</sup> وقوله: { إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدي والديتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكلملا، وإذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طائرا بإذني وتبرء الأكمه والابرس بإذني، وإذ تخرج الموتى بإذني، وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جنتهم بالبيئات، فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين }<sup>(4)</sup>. فمعجزات المسيح لا تدل على ألوهيته، طبقا لقول الله: { وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله }<sup>(5)</sup>.

ودلت الأناجيل في غير ما موضع أن عيسى بشر ونبي ورسول، فهو بشر لأنه تعثره الأعراض كالأكل والشرب والصوم والجوع والبكاء والنوم والانتقال والركوب ورؤية الناس له، ويعتره الخوف والصغر والنمو والتعميد والتضرع إلى الله كما قال: ((إلهي إلهي لماذا تركتني ))<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - إنجيل متى 13: 57. وفي إنجيل مرقس 6: 4 : (( ليس نبي بلا كرامة في وطنه وبين اقربائه وفي بيته)). وفي إنجيل لوقا 4: 24.

(( الحق أقول لكم إنه ليس نبي مقبولا في وطنه)).

<sup>2</sup> - إنجيل لوقا 1: 28-32.

<sup>3</sup> - ينظر: سورة آل عمران الآية 49.

<sup>4</sup> - سورة المائدة الآية 110.

<sup>5</sup> - سورة الرعد الآية 38، ونفس الآية في سورة غافر الآية 78.

<sup>6</sup> - إنجيل متى 27: 46.

وأخبر المسيح أنّ الخير هو الله وحده ونهى أن يسمى هو خيراً (( ليس أحدٌ صالحاً إلاّ واحدٌ وهو الله ))<sup>(1)</sup>، كما أنّ المسيح في نص إنجيلي اعترف بجهله للسّاعة وعلمه بها ممّا ينفي صفة تأليهه، ف جاء عن المسيح قوله: (( وأما ذلك اليوم وتلك السّاعة فلا يعلم بهما أحدٌ ولا ملائكة السّموات إلاّ أبي وحده ))<sup>(2)</sup>. فالكثير من الشواهد من العهد الجديد صريحة على بشرية المسيح مما يقتضي التخلّي عن قانون نيقية، بل تركه وترك كل التّأويلات التي قبلتها الفرق المسيحية لشخص عيسى فخالفته وخالفت إنجيله، وما هو موجود من أناجيل ما هي إلاّ وثائق لشرح التعاليم الكنسية وليست ملهمة من الله أو هي كلام الله مثلها مثل القرآن، فلا مناص للمسيحيين ولا جدوى لهم سوى ابتغاء الإسلام دينا ومن يبتغي غيره لا يفلح ويكون في الأولى والآخرة من الخاسرين لقول الله تعالى: { ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين }<sup>(3)</sup>.

## ب - الأدلة العقلية:

إنّ الإيمان ببنوّة عيسى الإلهية تعتبر مسأً بوحداية الله على اعتبار أنّ الإبن فرع من الأصل وهما شبيهان في الذات، ولا يكون واحداً من كان له ولد ولا يكون أزلياً من كان والداً أو كان أباً، وعلى اعتبار أن ما جاء في قانون نيقية المرشد لجميع الطوائف المسيحية في الإيمان بالتجسد وبالتالي بألوهية المسيح المنافي لما يليق بالوحدانية راح المفكرون يبيّنون ما احتواه القانون من تناقض بين أجزائه التي تقول: (( نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى، نؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح إله حق من جوهر أبيه ))<sup>(4)</sup>. فنلاحظ التناقض في القول الأول والقول الثاني الذي يدل على أن هناك خالق آخر غير الخالق الأول، كما جاء أنّ يسوع المسيح: (( إله حق من إله حق من جوهر أبيه ))، مع العلم أنّ المسيح أقرّ أنّه لحم ودم وعظم فلو كان إله من جوهر أبيه لكان الله لحماً ودماً وعظماً، كما جاء في قانون نيقية أيضاً أنّ المسيح: ( بكر الخلاق وليس بمصنوع )، كالقول بأنّه مخلوق وغير مخلوق. وما دام بكر الخلاق لا يكون إلاّ من الخلاق فإن بكر الإنسان لا يكون إلاّ منه. ومن النص النيقية يلزم أنّه إذا كان المسيح أزلياً خالقاً فإنّه يلزم أن يجعل

<sup>1</sup> - إنجيل متى 19: 17، و نفس النص في إنجيل مرقس 10: 18، وفي إنجيل لوقا 18: 19.

<sup>2</sup> - إنجيل متى 24: 36، ونفس النص في إنجيل مرقس 13: 32. مع زيادة ((..ولا الإبن إلاّ الآب)).

<sup>3</sup> - سورة آل عمران، الآية 85.

<sup>4</sup> - أحد فقرات قانون الإيمان الذي تمّ تشييته بمجمع نيقية. ينظر: عبد الله الترجمان: تحفة الريب في الرد على أهل الصليب، ص 38.

المسيحيون بعض الرّب خالقا أزليا، وبعضا ميّنا مخلوقا، لأنّ المسيح أقرّ أنّه من لحم ودم، واللّحم و الدّم يتولّدان عن الأغذية والأشربة التي هي من أجزاء الدنيا ، ومن يقع عليه التجزئة والتقطيع يصبح من الأجسام التي يمكن أن تحرقه النار ويغرقه الماء .

وجاء في قانون الإيمان: (( إنّهُ إله حقّ من إله حقّ وإنّهُ خالق كل شيء ))، فلو صحّ هذا لكان الزّمان شيء من الأشياء المخلوقة والزّمان كان قبل يسوع المسيح ، فلا يمكن أن يكون الزّمان قبل خالق الزّمان والمكان محيط بخالق المكان. ومن الأدلة على نفي ألوهية المسيح ما كان يقوم به في شؤون الحياة من قصّ لشعره وتقليم لأضفره وازدياد طوله وعرضه منذ ولادته ومشاهدته، وكيف للذي لا يموت يصير ميّنا، بل إله لا أوّل له ولا آخر، وهو الذي عرف عنه دفع الحاجات وتضرّعه لله.

فعقيدة التجسد الإلهي في عيسى لا تعتبر تفسيراً سليماً لمحبة الله للبشر بل فيها دعوى إلى رفع شخص المسيح التاريخي المادّي إلى منزلة الألوهية نتيجة ما وقع فيه أهل المسيحية من اعتقاد فاسد تمّت وراثته عن أسلاف اعتقدوا به في ظروف تاريخية مشبوهة غيرت عقيدة الإيمان من التّوحيد إلى التّعدد، والتجسد الذي يقتضي حدوث فراغ في إدارة الكون في تلك الحال.

ويتشبّث المسيحيون بدواعي تأليه المسيح كونه وُلد من غير أب وقام بمعجزات وأنّه صعد إلى السّماء ، كل هذه الأمور جعلته إله خالق تجب عبادته ، وقد لفت الانتباه إلى هذا التّوجه في الاعتقاد ما ذكره القرآن أن مثل خلق آدم تمّ خلق عيسى إذ خلق آدم من غير أم ولا أب. وحتى المسيح ليس في مولده أعجب من خلق الملائكة والرّوحانيين الذين لا والد لهم لا من طينة ولا من مادة، ولم يعتبروا آلهة، هم ولا آدم نفسه الذي جعل الله له السّماء داراً والجنة منزلاً، والملائكة خدماً، أمروا بالسّجود له، فولادة آدم لاشك أنّها أعجب وأغرب من ولادة عيسى بن مريم .

وحول إتيان المسيح بالمعجزات الدالة على ألوهيته وجدت هذه القضية ردوداً لها في كون النّبي "أليشع" فعل ما فعله المسيح فسجّل لنا العهد القديم معجزات قام بها "أليشع" أكثر من أي نبي آخر وكانت بعض هذه المعجزات أعمال رحمة ورأفة وشفقة شبيهة بالمعجزات التي قام بها المسيح ، وكانت هذه أعظم بكثير مما قام بها أليشع<sup>(1)</sup>. ولقد عادت بصلاته الحياة إلى ابن المرأة "الشونمية" الوارد ذكرها في سفر الملوك الثاني: ((ثم صعد واضطجع فوق الصّبي ووضع فمه على فمه وعينه على عينيه ويديه على يديه وتمدّد عليه فسخن جسده الولد، ثم عاد وتمشّى في البيت تارةً إلى هنا وتارةً إلى

<sup>1</sup> - قاموس الكتاب المقدس: مجموعة من المؤلفين ، ص 112.

هناك وصعد وتمدد عليه فعطس الصبي سبع مرّات ثم فتح الصبي عينيه<sup>(1)</sup>. وبارك في دقيق العجوز ودهنها ولم ينفذ من جرتها لا دقيقا ولا دهنا بالذي في قارورتها لمدة من الزمن<sup>(2)</sup>.

وحتى لو أنّ المسيح أطعم من الأرغفة القليلة آلافا من الناس<sup>(3)</sup>، فإن موسى سأل الله فأطعم قومه المنّ والسلوى<sup>(4)</sup> وكما سكنت أمواج البحر لأمر من المسيح<sup>(5)</sup>، فإن موسى شق البحر بعصاه وألحق الضرر بعده، كما فجر من الحجر الصّلب اثني عشرة عينا عرف كل سبط مشربه من العين المخصّصة له<sup>(6)</sup>.

إنّ معجزات المسيح لا توجب أنّه إله أو أنه الكلمة متحدة به، وإنما المعجزات يجريها المولى سبحانه وتعالى على يد نبيّه أو رسوله لتدعيم دعوته بين الناس فتفتتح عقولهم لقبولها.

1- سفر الملوك الثاني 4: 34-35.

2- سفر الملوك الثاني 4: 1-7: (( وصرخت إلى أليشع امرأة من نساء بني الأنبياء قائلة إنّ عبدك زوجي قد مات وأنت تعلم أنّ عبدك كان يخاف الرب. فأتى المرابي ليأخذ ولديّ لع عبدني. فقال لها أليشع ماذا أصنع لك. أخبريني ماذا لك في البيت. فقالت ليس لجاريتك شيء في البيت إلاّ دهنّة زيت. فقال اذهبي استعيري لنفسك أوعية من خارج من عند جميع جيرانك أوعية فارغة. لا تُقلّي. ثم أدخلني وأغلقتي الباب على نفسك وعلى بيتك وصبي في جميع هذه الأوعية وما امتلأ انقلبه. فذهبت من عنده وأغلقت الباب على نفسها وعلى بيتها. فكانوا هم يقدّمون لها الأوعية وهي تصبّ. ولما امتلأت الأوعية قالت لابنها قدّم لي أيضا وعاء. فقال لها لا يوجد بعد وعاء. فوقف الزيت فأنت وأخبرت رجل الله فقال اذهبي بيعي الزيت وأوفي دينك وعيشي أنت وبنوك بما بقي)). ومن المعجزات = التي عدّها العهد القديم لأليشع نذكر منها:

- ما ورد في سفر الملوك الثاني 4: 38-41. تريقا السم الذي تناوله بعض الأنبياء في الطعام.

- ما ورد في سفر الملوك الثاني 4: 42-44. اطعام مئة رجل بعشرين رغيف شعير.

- ما ورد في سفر الملوك الثاني 6: 1-7. جعل حديد الفأس الذي سقط في الماء، يطفو إلى السطح.

عن هذا النبي (اليشع) وهو اسم عبراني معناه (( الله خلاص )) نسبة وصفاته ومعجزاته، أنظر: قاموس الكتاب المقدس: مجموعة من المؤلفين، ص 111-112.

3- إنجيل متى 14: 19-21: (( فأمر الجموع أن يتكثروا على العشب. ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسّمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسّر وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع فاكل الجميع وشبعوا. ثم رفعوا ما فضل من الكسّر اثني عشرة قفّة مملوءة، والآكلون نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد)). ونفس القصة المعجزة في إنجيل لوقا 9: 13-17.

4- قال تعالى في سورة البقرة الآية 57: { وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى }. جاء في شرح كلمتي المنّ والسلوى عند سميح عاطف الزين: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة 1984م، ص 823 قوله: (( فقد قيل المنّ شيء كاطلّ فيه حلاوة، يسقط على الشجر. والسلوى: طائر. وقيل: المنّ والسلوى كلاهما إشارة إلى ما أنعم الله به عليهم، وهما بالذات شيء واحد. لكن سماه منا بحيث أنّه امتنّ به عليهم، وسماه سلوى من حيث أنّه كان لهم به التسلّي)).

5- إنجيل لوقا 8: 24: (( فتقدّموا وأيقظوه قائلين يا معلم يامعلم إنّنا نهلك. فقام وانتهر الريح وتموّج الماء فانتهى وصار هدوء)).

6- ينظر: سفر الخروج 15: 27: (( ثمّ جاءوا إلى إيليم وهناك اثنا عشر عين ماءٍ وسبعون نخلة. فنزلوا هناك عند الماء)).

وحول صعود المسيح إلى السماء التي يعتقد أنها حادثة تدل على التآليه يرد عليها بكون "أخنوخ" و"إيليا" صعدا إلى السماء أيضا<sup>(1)</sup>، فكل ما قام به عيسى لم يخرج عن إرادة الله وسلطانه تدعيما لظاهرة النبوة الإلهية وليست تدعيما لظاهرة التجسد أو التآليه.

فالنصوص التي أوردناها حول معجزات الأنبياء ومنها معجزات المسيح تدل دلالة قاطعة على نفي تآليه عيسى المسيح أو القول بأزليته، هذه المقولة الناشئة من القول بأزلية الكلمة التي تؤدي إلى القول بأزلية المسيح لإعتقاد المسيحيين باتحاد الكلمة مع الله، ومن هنا كان قولهم بلاهوت الكلمة، معتمدين على النص الوارد في مقدمة الإنجيل الرابع، بالرغم من تشكيك علماء المقابلة بين الأديان في سند هذا النص ونسبته إلى صاحبه، بل حاول بعضهم تفسير المقدمة بقوله: في البدء؛ أي بدء تنزيل الوحي العتيق على أنبياء الناموس، وكان الكلمة وهو المسيح كان مبشرا به ومنتظرا ومسطورا في الأسفار القديمة باسم الكلمة الصالحة<sup>(2)</sup>، وهو ماجاء في سفر أرميا: ((ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا))<sup>(3)</sup>. فالبدء قد لا تعني الأول كما تصوّره رجال اللاهوت، فقد تعني ابتداء دعوة المسيح في نشر رسالته على حدّ تأويل نص لوقا الذي يقول فيه: ((كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء، معانيين وخدامًا للكلمة))<sup>(4)</sup>. بل يروي يوحنا نصّا صريحا على أنّ المسيح بشر وليس كما ثبتته الكنيسة من شرك وتآليه له، فجاء في إنجيله: ((ولكن منكم قوم لا يؤمنون، لأنّ يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون، ومن هو الذي يُسلّمه))<sup>(5)</sup>. ولم تكن العندية عند الله تقتضي الأزلية في عبارة: ((والكلمة كان عند الله)) فهذا بهذا التعبير من باب المجاز، فهي عندية معنوية وليست حقيقة محسوسة التي قد تعني الإتحاد والاتصال، فذلك يستحيل على العقل تقبّله في حقّ الله سبحانه وتعالى، فقول الله تعالى في وصف

<sup>1</sup> - سفر التكوين 5: 24: ((وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأنّ الله أخذه)). وجاء في قاموس الكتاب المقدس، ص 32 أنّ أخنوخ اسم عبري ومعناه (مكرّس) أو (محتك) وأنّ الله نقل أخنوخ إليه كي لا يرى الموت (بحسب رسالة بولس إلى العبرانيين 11: 5)، ولأخنوخ كتاب وهو سفر من الأسفار غير القانونية ويسمى أيضا (نسخة أخنوخ الأثيوبية) أو (الحيشية) المترجمة عن النسخة اليونانية التي ترجمت بدورها عن الأصل الآرامي الذي يعود إلى حوالي سنة 163، و80 قبل الميلاد، والكتاب مليء بأخبار الرؤى عن المسيا المنتظر والدينونة الأخيرة وملكوت المجد. وقد اقتبس بعض الآباء في العصور المسيحية الأولى بعض أقوال هذا السفر. ومن بين هؤلاء: جاستن الشهيد، وأرينوس الأسكندري وأوريجانوس. ومنهم من رفضه ومن بين هؤلاء يوحنا فم الذهب وأغسطينوس وجيروم.

<sup>2</sup> - محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 247.

<sup>3</sup> - سفر أرميا 33: 14.

<sup>4</sup> - إنجيل لوقا 1: 2.

<sup>5</sup> - إنجيل يوحنا 6: 64.

اسماعيل - عليه السلام: {وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربّه مرضياً} (1)، فلا تعني العندية المكانة الحسية لإسماعيل عند الله، ونفسه ما جاء في حق زوجة فرعون قول الله تعالى: {وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين} (2). فالكلمة لا تعني بأيّ حال الأزلية أو العندية الحسيّة، فقد تعني الكلمة المسيح نفسه، لأنّ الله كلّمنا به على حدّ إحدى تعبيرات رسائل بولس لما قال: ((الله بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديما، بأنواع وطُرُق كثيرة كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثا لكل شيء)) (3) وهذا الإحتمال يقرب تسمية الكلمة بالوحي، ولا يوجد وجه لإختصاص المسيح بإطلاق الكلمة عليه دون غيره، فالكلمة هي كلمة التكوين، لأنّ أمر الخلق والتكوين بيد الله، فتعني الكلمة عند الله بمعنى (كن) كما جاء في قوله تعالى: {إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} (4). وجاء في سفر التكوين: ((وقال الله ليكن نور فكان نور))، فأطلق العهد القديم الفعل: (كن) بواسطة كلمة الله لخلق الأشياء كلّها (5).

#### ت- أدلة الأناجيل على بشرية المسيح:

كان الجيل الأول من المسيحيين يعترفون أنّ المسيح لا يعدو أن يكون بشرا أرسله الله إليهم، مثله مثل الأنبياء الذين جاءوا من قبله، ومكث فيهم فترة محدودة لا تعدوا ثلاث سنوات، لم تشر الأناجيل الثلاثة الأولى لا من بعيد ولا من قريب أنّ المسيح ابن إله أو إله (6)، إلّا ما تمّ تأويله في إنجيل يوحنا الذي يشكّ في نسبة هذا الإنجيل إليه، فيوحنا بن زبدي أحد تلاميذ المسيح أنكر أحد تلاميذه المسمى (بوليكارب) نسبة الإنجيل إلى يوحنا، ولم يرد عليهم بأنّه سمع من أستاذه صحّة هذه النسبة (7).

<sup>1</sup> - سورة مريم ، الآية 55.

<sup>2</sup> - سورة التحريم ، الآية 11.

<sup>3</sup> - رسالة بولس إلى العبرانيين 1: 1-2.

<sup>4</sup> - سورة آل عمران ، الآية 59.

<sup>5</sup> - سفر التكوين 1: 3.

<sup>6</sup> - مديحة خميس: رحلة بين أرجاء الكتاب المقدس، ص 22 ومايليها حيث استدلت بنصوص من انجيل مرقس ولوقا ويوحنا حول طبيعة المسيح الإنسانية.

<sup>7</sup> - محمد أحمد الحاج: المصدر السابق ، ص 261.

ويقول "محمد أبو زهرة": (( إنَّ كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية، ولقد كانت فرقة [الوجين] في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا))<sup>(1)</sup>، فيمكن التخمين أن رجال الدين الذين نادوا بفكرة ألوهية المسيح أزعجهم أن الكتاب المقدس لا يضمّ نصوصاً تؤيّد فكرتهم ، فراحوا يفكّرون بوضع إنجيل يحوي هذه الأفكار فكتبوه ونسبوه ليوحنا، وكان جلّ غرضهم أن يثبتوا لاهوتية المسيح. غير مدرّكين أن الأناجيل الثلاثة لم تخل من نصوص تدلّ صراحة على بشرية المسيح والتي وصفته بأنه إنسان وابن انسان ، إذ تكرر اللفظ في الكتاب المقدس أكثر من سبعين مرة<sup>(2)</sup>.

كما تدلّ قصة التعميد التي جاء بها متى على أنّ المسيح إنسان نزل عليه الوحي ، وأنّ أوّل ما نزل عليه كان بواسطة روح الله جبريل ، فلو كان إلهًا ما تعمّد من يوحنا المعمدان وهو خالق له<sup>(3)</sup>؟ وتدلّ أيضا على هذا المنحى قصة تجربة وسوسة الشيطان للمسيح<sup>(4)</sup>، وقد حملت أدلة كثيرة على أنّ عيسى عبد الله ورسوله، ومنها صيام المسيح فلو كان إلهًا لما صام ولمن يصوم؟ والصوم هو عبادة للخالق ، كما أثبتت القصة أنّ المسيح يعتره الجوع وهي صفة للبشر ، وإن كان المسيح إلهًا

1- محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص 54.

2- محمد أحمد الحاج: المصدر السابق ، ص 264 .

ينظر: القس غسان خلف: الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية، دار النشر المعمدانية، بيروت، ط: 1979م، كلمة: انسان، بشر، أحد، رقم الكلمة 400، ص 70.

- ومن النصوص الدالة على أنّ المسيح إنسان ما جاء في:

إنجيل متى 8: 20. ((فقال له يسوع للنعالب أوجرة ولطبور السماء أوكلًا، وأما ابن الإنسان فليس له أين يُسند رأسه، وقال له آخر من تلاميذه يا سيد ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي، فقال له يسوع اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم)). وينظر: نفس النص في: إنجيل لوقا 9: 56.

وفي إنجيل متى 11: 19. ((جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب. فيقولون هوذا إنسان أكل وشرب خمير. محبّ للعشارين والخطاة)). = وفي إنجيل متى 12: 39. ((حينئذ اجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلّم نريد أن نرى منك آية)).

وفي إنجيل مرقس 6: 2. ((ولما كان السّبت ابتداءً يعلم في المجمع. وكثيرون إذ سمعوا بهُتوا قائلين من أين لهذا هذه؟)) وفي إنجيل مرقس 9: 12. ((وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألّم كثيرا ويُردّل)).

وفي إنجيل مرقس 14: 62. ((فقال يسوع أنا هو. وسوف يبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوّة وآتيا في سحاب السماء)).

وإنجيل لوقا 23: 46-47. ((ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا ابتاه في يدك أستودع روحي. فلمّا قال هذا أسلم الروح. فلما رأى قائد المئة ما كان مجدّد الله قائلًا بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًا)).

وإنجيل يوحنا 1: 51. ((وقال له الحقّ الحقّ اقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان)).

وإنجيل يوحنا 8: 40. ((ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحقّ الذي سمعته من الله)).

3- ينظر: قصة تعميد المسيح من يوحنا المعمدان في: إنجيل متى 3: 13-17.

4- ينظر: القصة في إنجيل متى 4: 1-11.

كيف يجرؤ إبليس اللعين أن يطلب من الله أن يسجد إليه؟ كما أوردت الأناجيل أن المسيح كان يصلي<sup>(1)</sup>، فهو يصلي لله لأنه عبد له، والعابد غير المعبود.

كما سُمي المسيح نفسه (المعلم) ، وخاطبه تلاميذه بهذا اللقب، والمسيح مدركا لوظيفة الرسل أنهم كانوا يعلمون الناس فهم معلمون<sup>(2)</sup>. والمعجزات التي يجريها الله على أيديهم تدل على أنهم بشر كأبراء الأبرص والأكمه وإحياء الموتى بإذن الله وإخبار الناس بما يدّخرون، فلو كان المسيح إلهًا فكيف يكون مرسلًا؟ وقد جاء في انجيل يوحنا: (( لأنّ الذي أرسله الله يتكلّم بكلام الله. لأنّه ليس بكَيْل يُعطي الله الرُّوح))<sup>(3)</sup>.

إنّ نبوة المسيح ثابتة بنصّ الأناجيل رغم عدم اعتبار المسيحيين للمسيح أنّه رسول ونبيّ بل يذهبون بدون دليل أنّ المسيح إله حل في الجسد ليكون أقنوم الإبن! ويمرّون مرّ الكرام على هذه المقولة المنسوبة للمسيح وقوله: (( ليس نبيّ بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته))<sup>(4)</sup>.

### ث- أدلة إنجيل برنابا على بشرية المسيح:

هنالك أناجيل اختارتها الكنيسة واعتمدتها ، وهناك أناجيل رفضتها ومنعت تداولها وهي كثيرة سمّيت في المصطلح المسيحي "بالأبوكريفا"<sup>(5)</sup> وحاولت الكنيسة بكل قواها على محاربتها ومحوها وإزالة أيّ أثر لها، ورغم ذلك بقي البعض منها من مثل الإنجيل المنسوب إلى برنابا .

### -من هو برنابا؟

هذا الشخص سمّاه الرّسل بهذا الإسم ، وتأويله ( ابن التعزية ) لرقّة طبعه وبشاشته ، ينتمي إلى فرقة "اللاويين" وهو من قبرص وله قرابة نسب مع مرقس، وهو من الحواريين الذين كان لهم مكانة عند المسيح ، وقيل هو من التلاميذ السبعين على الأرجح. وقد باع جميع ما يملكه من أرض في فلسطين وقدم ثمنه للحواريين ليستعينوا به في الدّعوة إلى المسيحية ومساعدة الفقراء

<sup>1</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 6: 12. (( وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي . وقضى الليل كلّه في الصلاة لله)).

<sup>2</sup> - ينظر: إنجيل متى 19: 16-17. و متى 23: 8-10. وإنجيل مرقس 9: 38. وإنجيل مرقس 10: 35.

إنجيل لوقا 5: 5، إنجيل لوقا 8: 45، إنجيل لوقا 9: 38، إنجيل لوقا 11: 45، إنجيل لوقا 17: 13.

<sup>3</sup> - إنجيل يوحنا 3: 34.

<sup>4</sup> - إنجيل متى 13: 56-57. وفي متى 21: 10-11. (( هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل)).

<sup>5</sup> - قاموس الكتاب المقدس، ص 18: أبوكريفا: كلمة يونانية معناها ((مخفي)) أو ((مخبأ))، أو ((سري)). وقد اطلقت في العصور

المسيحية الأولى على بعض الكتب غير القانونية في العهد القديم وكذلك في العهد الجديد.

المسيحيين<sup>(1)</sup>. ولد برنابا من أبوين يهوديين في قبرص وكان اسمه الأصلي جوزيف ( يوسف). ثم لقب ببرنابا وهي كلمة سريانية معناها: ابن التوبة أو ابن الإنذار أو ابن التعزية<sup>(2)</sup>. وقد تحدثت رسالة "أعمال الرسل" في أكثر من مرة عن برنابا ، بل وتحدثت عن حياته وطريقة تبشيره ومرافقته لبولس في رحلاته التبشيرية ثم افتراقه عنه، ويعد برنابا من التلاميذ السبعين الذين إختارهم المسيح لنشر دعوته<sup>(3)</sup>، إذ تم إرسال برنابا إلى أنطاكية: ((ولما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب))<sup>(4)</sup>. خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب بولس: ((ولما وجدته جاء به إلى أنطاكية، فحدث أهما اجتماعا في الكنيسة سنة كاملة، علما جمعا غفيرا، ودُعِيَ التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولًا))<sup>(5)</sup> ، وكان برنابا رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس بالإيمان<sup>(6)</sup>، قال فيه الروح القدس: ((أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه))<sup>(7)</sup>. وبرنابا هو الذي شهد لبولس بالإيمان لأنّ الناس لم يكونوا واثقين به، وراح برنابا بمرافقة بولس يطوفان أرجاء البلاد حتى وصلا إلى قبرص ثم عادا إلى القدس ليجتمعا مع الرسل وجموع الناس مخبرين عن نتائج رحلتهم وما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم<sup>(8)</sup>. وتشير رسالة أعمال الرسل إلى قصّة النزاع والمفارقة بين بولس وبرنابا بسبب مرقس وهو ابن أخت برنابا كما جاء في رسالة بولس<sup>(9)</sup>، والذي رفضه بولس أن يأخذه معهما، ويقبله برنابا الذي افتتح إنجيله بمقدمة يظهر فيه خلافه مع بولس ومشهرا بضلال هذا الأخير<sup>(10)</sup>. فيقول برنابا: (( أيّها الأعزاء إنّ الله العظيم العجيب قد افتقدنا هذه الأيام الحيرة بنبيّه يسوع المسيح، برحمة عظيمة للتعليم، والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائما،

<sup>1</sup> - علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص 73.

<sup>2</sup> - حمد أحمد الحاج : المصدر السابق ، ص 281.

<sup>3</sup> - برنابا هو واحد من الرسل السبعين بحسب أعمال الرسل 13 : 15 ، وهو أحد الحواريين الإثني عشر بحسب إنجيله، أي إنجيل برنابا: 14 : 9 - 17.

<sup>4</sup> - سفر أعمال الرسل 4 : 26.

<sup>5</sup> - سفر أعمال الرسل 11 : 25 - 26.

<sup>6</sup> - ينظر : أعمال الرسل 11 : 24 ((لأنه كان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والإيمان)).

<sup>7</sup> - أعمال الرسل 13 : 2.

<sup>8</sup> - ينظر : أعمال الرسل 15 : 12. (( وكانوا يسمعون برنابا وبولس يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم)).

<sup>9</sup> - في رسالة بولس إلى أهل كولوسي 4 : 10 : ( يسلم عليكم أرسطرخس المأسور معي ومرقس ابن أخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا ).

<sup>10</sup> - ينظر : قصة المفارقة بين بولس وبرنابا في سفر أعمال الرسل 15 : 36 - 40.

مَجُوزِينَ كُلَّ لَحْمِ نَجَسٍ، وَالَّذِينَ ضَلَّ فِي عِدَادِهِمْ أَيْضًا بُولَسُ الَّذِي لَا أَتَكَلَّمُ عَنْهُ إِلَّا مَعَ الْأَسَى، وَهُوَ السَّبَبُ الَّذِي لِأَجْلِهِ أُسْطِرَ هَذَا الْحَقُّ الَّذِي رَأَيْتَهُ، وَسَمِعْتَهُ أَثْنَاءَ مَعَاشِرَتِي لِيَسُوعَ لِكَيْ تَخْلَصُوا، وَلَا يَضَلَّكُمْ الشَّيْطَانُ فَتَهْلِكُوا فِي دِينُونَةِ اللَّهِ»<sup>(1)</sup>. فَالْخِلَافُ كَانَ بِسَبَبَيْنِ: أَحَدُهُمَا يَعُودُ إِلَى مَسْأَلَةِ مَصَاحِبَةِ مَرْقَسَ لِهَمَا، وَالسَّبَبُ الْآخَرُ يَعُودُ إِلَى مَسَائِلٍ تَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ وَلِمَا دَعَا إِلَيْهِ بُولَسُ مِنْ انْحِرَافٍ عَمَّا أَخْبَرَ بِهِ الْمَسِيحُ، فَقَالَ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، وَأَبْطَلَ أَحْكَامًا مِنْ شَرِيعَةِ التَّوْرَةِ فَأَبْطَلَ الْخِتَانُ وَأَحْلَى كُلَّ لَحْمِ نَجَسٍ. وَلَعَلَّ السَّبَبَ الثَّانِي فِي تَبْرِيرِ الْمَفَارِقَةِ وَحُدُوثِ النِّزَاعِ بَيْنَ بَرْنَابَا وَبُولَسَ إِلَى قَوْلِ مَرْقَسَ بِعَدَمِ الْوَهْيَةِ الْمَسِيحِيَّةِ، وَقَوْلِ بُولَسَ بِهِ.

### - إنجيل برنابا:

حَفَلَتْ قِصَّةُ حَيَاةِ الْمَسِيحِ بِالْمِثَالِ مِنَ الْإِنْجِيلِ الَّتِي كَانَتْ مُمْتَدَّةً بَيْنَ النَّاسِ فِي الْعَهْدِ الْأَوَّلِيِّ لِلْمَسِيحِيَّةِ، وَظَلَّ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ حَتَّى انْعِقَادِ مَجْمَعِ نَيْقِيَّةِ سَنَةِ 325 مَ الَّذِي خَلَصَ إِلَى عَقِيدَةٍ خَاصَّةٍ فَضَرَّتْ بِقُوَّةِ الْأَمْبَرَاتُورِ الرَّومَانِيِّ وَتَمَّ الْحُكْمُ عَلَى كُلِّ الْأَفْكَارِ أَوْ الْكُتُبِ الْمُخَالَفَةِ لِقَانُونِ الْإِيمَانِ وَلِلْإِنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ بِالْحَرْقِ وَالْإِعْدَامِ، وَكَانَ مِنْهَا إِنْجِيلُ بَرْنَابَا<sup>(2)</sup>. فَكَانَ النَّاسُ فِي الْأَيَّامِ الْأَوَّلِيِّ لِلْمَسِيحِيَّةِ يَتَدَاوَلُونَ عَنْ عَيْسَى عِدَدًا مِنَ الْكُتَابَاتِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَحْفَظْ بِالتَّبَاعِ كْكُتُبِ أُصِيلَةَ. بَلْ أَنَّ الْكَنِيسَةَ قَدْ أَمَرَتْ بِإِخْفَائِهَا لِأَنَّهَا مُشْكُوكٌ فِيهَا<sup>(3)</sup>. وَقَدْ بَقِيَ مِنْ نِصُوصِ هَذِهِ الْكُتُبِ مَا احْتَفَظَ بِهِ النَّاسُ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَحَلَّ تَقْدِيرِ عَامٍ كَمَا تَقُولُ التَّرْجُمَةُ الْمَسْكُونِيَّةُ مِثْلَ رِسَالَةِ بَرْنَابَا. أَمَّا غَيْرُهَا فَقَدْ أُبْعِدَ بِشِرَاسَةِ مَعَ الْأَسْفِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى نَتْفِ أُبْعِدَتْ عَنْ عَيْونِ الْمُؤْمِنِينَ لِاعْتِبَارِهَا تَحْمِلُ خَطَأً. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَّتْ بَعْضُ الْكُتُبِ تَرْتَبِطُ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ

<sup>1</sup> - إنجيل برنابا، المقدمة ص 2-8.

<sup>2</sup> - محمود علي قراة: الثقافة الروحية في الإنجيل برنابا، ص 13. ويشير إلى أن إنجيل برنابا هو إنجيل يشبه الأنجيل الأربعة من حيث القصص والتواريخ الخاصة بالمسيح - عليه السلام، منذ ولادته وحتى نهايته، والنسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم، التي نقل عنها هذا الإنجيل، هي نسخة إيطالية في مكتبة بلاط فينا، ترجمت عنها إلى الإيطالية والإسبانية ثم الإنكليزية، ولم تعرف اللغة العربية = هذا الإنجيل إلا في مطلع هذا القرن العشرين حيث ترجمه الدكتور خليل سعادة إلى العربية عن الإنكليزية سنة 1907 ونشره السيد محمد رشيد رضا مع مقدمة علمية. ويشتمل هذا الإنجيل بدءاً من الفصل الأول إلى غاية الفصل السابع عشر بعد المائتين. ينظر: إنجيل برنابا: ترجمة خليل سعادة، تحقيق: سيف الله أحمد فاضل، فهرس كتاب إنجيل برنابا، ص 443.

<sup>3</sup> - شايف عكاشة: مدخل إلى عالم المنهج الإسلامي، ص 118. جاء في فهرس مراجع هذا الكتاب: عنوان الكتاب: إنجيل برنابا، إنجيل

مزيف في ضوء التاريخ والعقل والدين، اسماعيل عوض، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، ط7. وأشار شايف عكاشة في ص 122 من الفهرس إلى مؤلف آخر هو: نظرات في إنجيل برنابا، المبشر بنوّة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم، مكتبة القرآن، القاهرة، ط: 1985.

بالأنجيل القانونية منها أناجيل النَّاصريين، والعبريين، والمصريين، المعروفة بروايات آباء الكنيسة، ومنها إنجيل توما وإنجيل برنابا<sup>(1)</sup>. ويعتبر البابا " جلاسيوس الأوّل" الذي جلس على كرسي البابوية سنة 492م أوّل من أمر بتحريم مطالعة عددا من الكتب ومن هذه الكتب إنجيل برنابا ، هذا الإنجيل الذي ظلّ سرّاً مكتوبا حتى سنة 1709م عندما عثر عليه "كريم" أحد مستشاري ملك بروسيا أعطاه إيّاه أحد وجهاء مدينة أمستردام ، وبعد أربع سنوات أهداها إلى البرنس ( الأمير) (أيوجين سافوي) الذي انتقلت مكتبته كلّها سنة 1738م إلى مكتبة البلاط الملكي في فينّا ومعها هذه النسخة الإيطالية ولا زالت هناك حتى الآن، وهي موجودة بالبلاط الملكي بفينّا ترجمها إلى الإنكليزية المحقق "لونسدال راغ" نائب مطران الكنيسة الإنكليزية في [فيس] وعقيلته "لورا راغ" وطبعته مطبعة "كلارندن" بأكسفورد<sup>(2)</sup>. كما وجدت نسخة اسبانية من هذا الإنجيل في أوائل القرن الثامن عشر تقع في مائتين وعشرين فصلا، وقعت بين يدي المستشرق "سايل"<sup>(3)</sup> ثم تناولها "منكهوس" أحد أعضاء كلية الملكة في أكسفورد ، فنقلها إلى الإنكليزية التي كان يعتمد عليه " هويت" أحد مشاهير الأساتذة قي بعض خطبه التي كان يلقيها على الطلبة<sup>(4)</sup>. وفي سنة 1907م يقوم "خليل سعادة" بترجمة هذا الإنجيل إلى العربية عن النسخة الانكليزية: كما نقل ترجمتها الإنكليزية ، ليقوم وراءه محمد رشيد رضا بنشر إنجيل برنابا في دار المنار<sup>(5)</sup>، وفي سنة 1970م يعمد "سيف الله أحمد فاضل" بتحقيق هذا الإنجيل مقارنا بما ورد فيه بما ورد في آيات القرآن الكريم والحديث الشريف موضحا أوجه الشبه والاختلاف، التي كانت سببا في رفض الإنجيل واستبعاده من طرف الكنيسة<sup>(6)</sup>، ولقد اعترف مترجم انجيل برنابا بقوة الحجّة في

- <sup>1</sup> - موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص 78. ينظر أيضا الدراسة الشاملة لإنجيل برنابا وقضيته في المسيحية والإسلام عند: عبد القادر محمود: دراسات في الفلسفة الدينية والصوفية والعلمية، دار الفكر العربي ، بيروت، ط1: 1978م، ص 7 ومايليها.
- <sup>2</sup> - مقدمة مترجم إنجيل برنابا: ترجمة خليل سعادة ، تحقيق سيف الله أحمد فاضل، ص 9، ص 18، ص 28. وينظر أيضا: رؤوف شلي: أضواء على المسيحية ، ص 62، ص 63، ص 65 حول إنجيل برنابا.
- <sup>3</sup> - ينظر محمد أبوزهرة : محاضرات في النصرانية ، ص 72 . وعن صحة تسمية هذا الإنجيل أنظر: محمد أبو زهرة: المرجع نفسه ، ص 74. وعن ترجيح صدق النسبة في هذا الإنجيل، أنظر: المرجع نفسه ، ص 75 ، وعن قيمة إنجيل برنابا من حيث ما اشتمل عليه ، أنظر: المرجع نفسه ص 77. وعن مخالفة إنجيل برنابا لما عليه المسيحيون ، أنظر: المرجع نفسه ص 78.
- <sup>4</sup> - ينظر مقدمة مترجم انجيل برنابا ص 19. قارن خليل سعادة ما كان يستشهد به هوية من كتب مع النسخة الإسبانية فوجدها متطابقة حرفيا. أنظر أيضا محمود علي قراعة: الثقافة الروحية في انجيل برنابا ، ص 15.
- <sup>5</sup> - إنجيل برنابا، دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليه السلام: ترجمة: خليل سعادة، تحقيق: سيف الله أحمد فاضل، مقدمة الطبعة الثانية لإنجيل برنابا لسيف الله أحمد فاضل .
- <sup>6</sup> - محمد أحمد الحاج: المصدر السابق، ص 286 - ص 299 جاء في كتاب دراسة حول ثبوت إنجيل برنابا وترجمته إلى لغات العالم إذ تناول ظهور إنجيل برنابا ، وترجمته، وثبوت، والرد على مزاعم القول بأن أصله عربي.

هذا الإنجيل واعترف بجلاء بيانه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وأشاد "محمد رشيد رضا" بعلو إنجيل برنابا في تعاليمه الإلهية ، وحكمه في التوحيد وقوله بعدم صلب المسيح، وقوله بنبوّة محمد - صلى الله عليه وسلم وهذه الأسباب أنكرته الكنيسة. و نجمل هذه الأسباب فيما يأتي:

- قوله أنّ يسوع المسيح أنكر ألوهيته وكونه ابن الله على مرأى ومسمع ستمائة ألف جندي وسكّان اليهودية من رجال ونساء وأطفال<sup>(1)</sup>.

- ذكر إنجيل برنابا أنّ الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق<sup>(2)</sup>.

- أنّ المسيح أو "المسيا" المنتظر ليس المسيح بل هو "محمد" صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>.

- أنّ المسيح لم يصلب بل رفع إلى السماء والذي صلب بدله بالشبه هو يهوذا الأسخريوطي.

- لا يقول إنجيل برنابا بالتثليث ويوبخ القائلين به<sup>(4)</sup>.

- بشرية المسيح في إنجيل برنابا:

أورد هذا الإنجيل نصوصا تدل على أنّ المسيح عبد من عباد الله أوحى إليه ليكون أحد رسله بينها هذا الإنجيل في المقدمة له، وفي فصله الأول تناول الحديث عن المسيح قبل مولده، وظهور الملاك لأمه يبشّرها بنعمة الله الذي اختارها لتكون أمّ نبي يبعثه الله إلى شعب إسرائيل<sup>(5)</sup>.

- وفي الفصل الثاني بأنّه قدوس الله من رحم أمّه وهو نبي إلى إسرائيل<sup>(6)</sup>، وفي الفصل العاشر يصف بدء نبوّة المسيح وبدء نزول الوحي عليه<sup>(7)</sup>.

---

- و ينظر صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، من ص 239 إلى ص 242. عن تاريخ إنجيل برنابا وموقف الكنيسة منه .

<sup>1</sup>- ينظر: إنجيل برنابا الفصول التالية: 91، 92، 93، 94.

<sup>2</sup>- ينظر: عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء ص 87. وكيف يؤمر إبراهيم بذبح اسحاق وهو ابنه الموعود الذي يخرج منه شعب الله المختار؟ وجانب آخر من المشكلة وهو وصف الإبن بالوحيد، فلم يكن اسحاق وحيدا مع وجود إسماعيل أما إسماعيل فكان وحيدا قبل مولد اسحاق .

<sup>3</sup>- ينظر: رحمة الله الهندي: اظهر الحق ، ج2، من ص 240 إلى ص 252. البحث في أن الفارقليط المبيّش به هو محمد - صلى الله عليه وسلم.

<sup>4</sup>- ينظر: انجيل برنابا الاصحاح 93 حيث جاء في آخره: ((أجاب الكاهن: أن اليهودية قد اضطربت لأياتك، وتعليمك حتى إنهم يجاهرون بأنك أنت الله، فاضطرت بسبب الشعب إلى أن آتي إلى هنا مع الوالي الروماني والملك هيروودس فترجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التي ثارت بسببك لأن فريقا يقول أنك الله، وآخر يقول أنك ابن الله، ويقول فريق أنك نيين . أجاب يسوع : وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لا تخمد = الفتنة، وهل جننت أنت أيضا، وهل أمست النبوات وشريعة الله نسيا منسيا، أيتها اليهودية الشقية التي ضللها الشيطان، ولما قال يسوع هذا عاد فقال: إني اشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنني بريء من كل ما قال الناس عني من أنني أعظم من بشر لأنني بشر مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام)).

<sup>5</sup>- إنجيل برنابا 1: 4.

<sup>6</sup>- إنجيل برنابا 2: 10.

<sup>7</sup>- ينظر إنجيل برنابا 10: 1-4، 6، 8 .

-وفي الفصل الثاني والخمسين يبيّن المسيح شناعة تأليهه فيقول: (( الحق أقول لكم متكلمًا من القلب، أتّي أقشعر لأنّ العالم سيدعوني إليها، وعلي أن أقدم لأجل هذا حسابًا، لعمر الله الذي نفسي واقفة بحضورته إليّ رجل فان كسائر النَّاس، على أتّي وإن أقامني الله على بيت إسرائيل ))<sup>(1)</sup>.

-وفي الفصل الثالث والتسعين أنّ مروجي فكرة تأليه المسيح هم الرومان وجنودهم، وكان المسيح يعلم بذلك فيخاطب قومه محذّرًا الإنسيق وراء هذا الإفتراء فقال: ((لقد ضللتكم ضلالًا عظيمًا أيّها الإسرائيليون، لأنّكم دعوتوني إلهكم، وأنا إنسان... أشهد أمام السماء، وأشهد أمام كل شيء على الأرض أتّي بريء من كل ما قلتم، لأنّي إنسان مولود من امرأة فانية، وعرضة لحكم الله مكابد شقاء الأكل والنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر))<sup>(2)</sup>.

- وفي الفصل السادس بعد المائتين يتحدث الإنجيل عن الحوار الذي دار بين رئيس الكهنة والمسيح داخل الهيكل، حين خاطب الكاهن المسيح بأنّه يرفض أن يكون الله أو ابن الله أو المسيا ، فأجاب المسيح: (( لا البتّة لم أنس، لأنّ هذا هو الإعتراف الذي أشهد به أمام كرسي دينونة الله في يوم الدينونة، لأن كل ما كتب في كتب موسى صحيح كل الصحة، فإنّ الله خالقنا أحد وأنا عبد الله، وأرغب في خدمة رسول الله الذي تسمونه مسيا ))<sup>(3)</sup>.

-وفي الفصل الثاني عشر بعد المائتين، يلعن المسيح كل من ساهم في تغيير نص الإنجيل بقوله: ((ألعن إلى الأبد كلّ من يفسد إنجيلي الذي أعطيتني عند ما يكتبون أتّي ابنك، لأنّي أنا الطين والتراب خادم خدمك، ولم أحسب نفسي قط خادما صالحا لك ))<sup>(4)</sup>.

وينفي المسيح عن نفسه حادثة الصلب ، مخبرًا برنابا أنّ الله نجاه من عار القتل بين اللصوص بقوله: (( فلما كان النَّاس قد دعوني: الله ، وابن الله، على أتّي كنت بريئا في العالم، أراد الله أن يهزأ النَّاس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أتّي أنا الذي متّ على الصليب، لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله ))<sup>(5)</sup>، وبقيت مسألة الصّلب موضع اختلاف بين

<sup>1</sup> -- إنجيل برنابا 52: 10-13 ، وقد جاء في القرآن قول الله تعالى: { وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين

من دون الله، قال سبحانه ما يكون لي أن أقول نا ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك

أنت علام الغيوب } - سورة المائدة ، الآية 116.

<sup>2</sup> - إنجيل برنابا 93: 2، 9، 10.

<sup>3</sup> - إنجيل برنابا 206: 2-5.

<sup>4</sup> - إنجيل برنابا 212: 5-6.

<sup>5</sup> - إنجيل برنابا 220: 13-20.

بين الناس حتى جاء الإسلام مخبراً بهذه القصة نافياً وقوعها، وإنما ألقى الله الشبه على غير المسيح الذي رفعه الله إليه. وبين الإسلام حقيقة المسيحية الحاضرة بأن لا صلة لها بالمسيح عقيدة وشريعة، ويظهر ذلك عند المقارنة بين تعاليم المسيح وبين المسيحية الحالية التي نشأت منفصلة عنه وملتصقة ببولس المتعصب للوثنية الرومانية، الذي استطاع أن يغرس عقيدة التثليث وتأليه المسيح وبنوته لله رغم غياب النصوص الدالة على هذه العقيدة مع تظافر النصوص في إثبات بشرية المسيح، ولكن ظلت ولا تزال تسري عقيدة بولس بدل عقيدة المسيح الحقّة لدى المسيحيين الحاليين ومن سبقوهم من قبل ومردّه دور رجال الكنيسة على مرّ الذين ظلّوا يضلّون الناس عن الحقّ يقنعون العامة بأنّ المسيحية عقيدة لا يمكن فهمها إلاّ بالإيمان بها كما هي لأنّها دين غير معقول، وفي المقابل هناك من رجال الفكر من ذهب إلى بطلان المسيحية الحالية وأنّها ليست المسيحية الحقّة<sup>(1)</sup>.

وذهب أغلب المفكرين الغربيين إلى عدم التّدين بالمسيحية الحالية كما يدين بها العامة وكما تعلمها الكنيسة، لعلمهم أنّها اقتباسات من الوثنية ومن اليهودية ومن الحياة الشرقية<sup>(2)</sup>. ويستعرض "محمود علي قراعة" في كتابه "الثقافة الروحية في انجيل برنابا" حديثه عن هذا الإنجيل الذي دعى إلى التوحيد وعلى التّقرّب إلى الله وإلى الإخاء العام والسّلام العام بالبشارة بمحمد رسول الله متناولاً تاريخ التّوحيد وتبشير المسيح به في انجيل برنابا، مسألة تطهير النفس في انجيل برنابا وذم الكبرياء والغرور وكيفية سلك طريق التّوبة وحب التّائب لله تعالى للحصول على الحياة الابدية<sup>(3)</sup>.

**المبحث السادس: عوائق فهم العقائد المسيحية:**

**مطلب 1: القول بتطور العقيدة:**

**أ- القول بتطور عقيدة الألوهية:**

يقول "الشاطبي" حول الإختلاف في أصل النّحلة: (( وأصل هذا الإختلاف هو في التّوحيد والتّوجه للواحد الحقّ سبحانه، فإنّ النّاس في عامّة الأمر لم يختلفوا في أنّ لهم مدبر يدبرهم وخالقاً أوجدهم، إلاّ أنّهم اختلفوا في تعيينه على آراء مختلفة. من قائل بالإنّثين وبالخمسة، وبالطبيعة أو بالدّهر، أو بالكواكب، إلى أن قالوا بالآدميين وبالشجر وبالحجارة، وما ينحتون بأيديهم))<sup>(4)</sup>. وهكذا

<sup>1</sup> - عبد الحليم محمود : أوربا والإسلام، مطابع الأهرام التجارية، مصر، سنة 1971، ص 34.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد شلبي: المسيحية، ص 77.

<sup>3</sup> - الثقافة الروحية في انجيل برنابا، ص 35، وص 62، وص 112.

<sup>4</sup> - الإعتصام، ج 1، ص 391.

اتّسم موضوع الألوهية في العهد القديم بصور التحسيم والتشبيه فهو في التراث الإسرائيلي إله قبلي متحيز لإسرائيل ، وتصوّراته المسيحية بعد المسيح إله متعدد الذات منقسما أو متّحدا، فجاء الإسلام ورفع الأذى عن مفهوم الألوهية من خلال الدين الأكمل والكتاب المحفوظ المعصوم من التحريف الذي أماط اللثام عن الإيمان باليهودية الحقّة والمسيحية الموحدة، وأشار إلى عدم وجود مقابلة بين محتويات العقيدة اليهودية والمسيحية الحاليتين، وبين جوهر عقيدة الإيمان التي ذكرها الإسلام ، قال تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }<sup>(1)</sup>.

هذه العقيدة التي لم تبلغها البشرية في أطوار معرفتها بالله، فجاءت الآيات واضحة لا تأويل فيها في معرفة الله الخالق الأحد الصّمّد ، وبمقتضى كون الله خالق: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }<sup>(2)</sup>. في حين جاء في التراث اليهودي أنّ الله يتمثّل على هيئة ملاك أو إنسان وينزل بذاته في صورة أو في هيئة بركان، أو أنّه يتحدّث إلى الناس العامّة أو يتحدّث إلى الأنبياء ويأكل الطعام ويستريح ،على خلاف ما جاء في الإسلام الذي جعل الإيمان بالغيب مدخل للإيمان برّب العالمين، والغيب هو الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس المستطلع، ويقع العلم به للمؤمنين وحيا من الله إلى رسوله إليهم سواء ما غاب عنهم من حقائق الأنبياء من قبل أو ممّا هو غائب عنهم من المستقبل كإنباء القرآن بانتصار الروم على الفرس، الذي ورد ذكره في قول الله تعالى: { أَلَمْ نَخْلُقِ الرُّومَ، فِيهِ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بضع سنين، اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ }<sup>(3)</sup>.

والله في الإسلام هو الخالق لكل شيء حيث قال الله: { إِنْ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْتَرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }<sup>(4)</sup>، وقوله تعالى: { إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِيهِ

<sup>1</sup> - سورة الإخلاص ، الآيات 1- 4.

<sup>2</sup> - سورة الإخلاص، الآية 3- 4.

<sup>3</sup> - سورة الروم الآيات 1- 5. نزلت هذه الايات في مكّة ، إذ كان التصر للفرس عام 622م وكان تفهقرهم في بضع سنين عام 628م أي بعد نزول السورة ببضع سنين . أنظر صابر طعيمة : الدين الحق وبنو إسرائيل، ط1، دار الجيل، بيروت ، 1979م، ص 134.

<sup>4</sup> - سورة الأعراف 54. ويورد العهد القديم قصّة خلق الكون وأنّ الله استراح في اليوم السابع ليباركه ويقدهسه. وينظر قصة الخلق بالتفصيل في سفر التكوين: بالإصحاحين 1، 2.

البحر بما ينفع النَّاس وما أنزل الله من السَّماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثَّ فيها من كل دابةً وتصريفه الرِّياح والسَّحاب المسخَّر بين السَّماء والأرض لآياته لقوم يعقلون }<sup>(1)</sup>.

فهذه العقيدة الواضحة دفعت بالإسلام أن يوجّه الدّعوة إلى باقي الدّيانات لحلّ مشكلاتها اللاهوتية التي ملأت الآفاق وشغلت عقول الباحثين منذ أمد بعيد من مختلف الملل والنحل الدّينية والفلسفية. ولما انتشر الإسلام في بعض أطراف الجزيرة العربية راح المسلمون يستعينون بأخبار الأمم الوارد ذكرها في العهد القديم ، خصوصا لما قاله "كعب الأحبار" من عدم مغادرة التّوراة لكل كبيرة وصغيرة ، فيقول: (( ما من الأرض شبر إلاّ مكتوب في التّوراة التي أنزل الله على موسى ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة ))<sup>(2)</sup>.

وقرأ المسلمون في القرآن أنّ الله لم يفرط في الكتاب من شيء دفعهم ذلك إلى الإطّلاع على فكر وفلسفة الفرق والمذاهب فيشهد التاريخ لمناظرات في مجالس السلطان ومجالس العلم ، هذه المناظرات هيأت لظهور فرق ومذاهب دارت أبحاثها حول الفكرة الإلهية المتعلّقة بمسألة القضاء والقدر ومسائل البحث في ذات الله وصفاته.

وتعود أسباب ظهور الفرق الإسلامية إلى النزاع على الدولة بين "معاوية" و"علي بن أبي طالب" - رضي الله عنهما والذي ارتبط بنشوء الخوارج والشيعة وارتبط كذلك بنشوء القدرية والمرجئة والقائلين بتناسخ الأرواح ، ومذهب أهل الحقيقة ومذهب أهل الشريعة ، وما استتبعه من فرق الباطنية وأصحاب الرّموز والأسرار على تفاوت نصيبهم من الحكمة الدّينية والحكمة الفلسفية، ويستطاع رد الخلاف هنا إلى محور واحد؛ هو الخلاف بين أنصار الواقع وأنصار التغيير أو بين أنصار المحافظة وأنصار التجديد<sup>(3)</sup>. فالله عادل حكيم خالق حي يأمر وينهى يعاقب على العصيان ويجازي على الطّاعة فكيف يكون التكليف؟ وكيف يكون الثّواب والعقاب؟ وما دام الإنسان مخلوق مسخّر لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعا فكيف يحاسب على ما قضاه الله عليه؟ هل هو حرّ مريد قادر على الخروج من مشيئة القادر إن أراد؟ وكيف يكون حرّاً مريداً من هو مخلوق بأفعاله ونيّته؟

<sup>1</sup> - سورة البقرة ، الآية 164.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد : الله . جل جلاله ، ص 178.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 179.

فكيف نفهم الآيات التي تسند إليه الفعل وتنذره بالعقاب؟ من مثل قوله تعالى: {ثُمَّ تَوَفَّى كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ} <sup>(1)</sup>، وقوله: {وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا} <sup>(2)</sup>، وقوله: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ، فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ} <sup>(3)</sup>، هل يخلق الله الكافر والكفر؟ وهل الكفر حسن لَمَّا نقرأ الآية: {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} <sup>(4)</sup> وقول الله: {وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ} <sup>(5)</sup>، وتساءل المختلفون في هذا الأمر هل الكفر حق؟ والله هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق، فقال تعالى: {مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ} <sup>(6)</sup>. ليختلف الباحثون في هذه الأمور كاختلافهم في مسألة القضاء والقدر أو مسألة العدل الإلهي، إنَّ مسألة القضاء والقدر تعود أساساً إلى مسألة الصِّفات في جملتها وهي من المسائل الدينية البحتة، والصِّفات الإلهية في تعددها ليس ما يناقض عقيدة المؤمن بعظمة الله وتفردَه بالكمال، وإذا أراد الباحث عن الصِّفات في الفلسفة يقوده بحثه إلى التعرف على مقولات: أنَّ الله هو المحرِّك الذي لا يتحرك، وهو العلة الأولى للوجود، وهو العقل المحض أو الصُّورة المنزهة عن اليهوي وما يجري عليها من قوانين التركيب والانحلال. أما صفات الله في الإسلام فهي أسماؤه تدل على أفعال واقعة متجددة لا تقف عن الحركة الأولى ولا عند العلة الأولى كما يقول أرسطو في مذهبه.

وظلَّت مسألة الصفات مطروحة يمتنع في حق الله المنزه عن التركيب، أمَّا التعدد يستلزم التركيب، وبقيت الأسئلة الفلسفية مطروحة على صيغة: هل الصِّفات هي عين الذات أو هي زائدة عن الذات؟ وكيف تكون زائدة على الذات والله أحد لا زيادة على ذاته <sup>(7)</sup>؟

وهكذا تعددت الفرق الإسلامية التي يمكن حصرها في أصحاب العقل وأصحاب النقل مع اتِّخاذ الحجَّة والبرهان من المعقول، فأصحاب العقل يرون في مسألة الصِّفات أمَّا تدلُّ كلُّها على صفة واحدة هي الكمال وكمال الله هو عين ذاته، وماهية الله هي عين وجوده وطريق السلب أقرب من طريقاً لإيجاب في فهم صفات الله، فلا مانع في القول أنَّ الله غير جاهل وغير عاجز وغير

<sup>1</sup> - سورة البقرة، الآية 281.

<sup>2</sup> - سورة الأنعام، الآية 164.

<sup>3</sup> - سورة النمل، الآية 40.

<sup>4</sup> - سورة المزمل، الآية 19.

<sup>5</sup> - سورة ق، الآية 29.

<sup>6</sup> - سورة يونس، الآية 5.

<sup>7</sup> - عباس محمود العقاد: المرجع السابق، ص 183.

متعدد<sup>(1)</sup>. ويقع المحسمة من أصحاب النقل الذين يقفون عند الحروف ليثبتوا تحيز الله في المكان ويجيزون رؤية الله بالعين كرؤيتها بالمحسوسات حتى بلغ منهم إثبات اليد لله كاليد الجارحة<sup>(2)</sup>، وهناك من أصحاب النقل من اتخذ الحجّة والبرهان من المعقول فقالوا بتعدد الصفات، وأنّ العلم غير القدرة، والرحمة غير الجبروت، وأنّ اليد هي القدرة والوجه هو الوجود وليست أعضاء يجوز فيها التجسيم، فالصفات موجودة والكيفيات مجهولة، وبمسكون عن البحث في ذات الله لأن ليس كمثلته شيء، وأنّ اللّدين ينهى عن الخوض في هذه المسألة لقوله تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا }<sup>(3)</sup>. والتأويل أمر مظنون والخوض في صفات الله بالظن لا يجوز، ومن أجاز رؤية الله بمعنى العلم الذي يحصل من النظر لا بمعنى الحسن الذي يقع على المحسوسات، ويسمى هؤلاء بأهل السنّة خلافا للفرق القائلة بالحلول وبتناسخ الأرواح أو بالواسطة بين الخلق والخالق فهؤلاء مخالفون للكتاب والسنة<sup>(4)</sup>.

لقد جاءت أكثر الكتب السماوية تكرارا لإيراد البراهين على إثبات وجود الله هو القرآن الكريم وهذا على خلاف التوراة والإنجيل، فقد كان القرآن يخاطب أقواما ينكرون وأقوام يشركون وأقوام يدينون بالتوراة والإنجيل ويختلفون في مذاهب الربوبية والعبادة، وكانت دعوة القرآن للناس كافة من أبناء العصر الذي نزل فيه وأبناء سائر العصور، ومن أمة العرب وسائر الأمم، فلزم فيه تمحيص القول في الربوبية عند كلّ خطاب، وقامت دعوته على تحكيم العقل في التفرقة بين عبادة وعبادة، وبين الإله الأحد وتلك الآلهة التي كانت تعبد يومئذ بغير برهان، وكان فيمن خاطبهم القرآن أناس ينكرون وجود الله حيث قال تعالى: { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّاهِرُ، وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ }<sup>(5)</sup>. وكان فيهم من يدينون بالأوثان التي

<sup>1</sup> - ينظر: علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص 150.

<sup>2</sup> - ينظر: أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 2، 1410 هـ - 1990 م، ص 25 حول الرؤية، وفي ص 77 تناول مسائل في الكلام عن: الوجه والعينين والبصر واليدين، والرد على الجهمية.

<sup>3</sup> - سورة آل عمران، الآية 7.

<sup>4</sup> - يراجع: منصور عفيف: فرق أهل السنّة، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، ط: 2009 م، من ص 18 إلى ص 56.

<sup>5</sup> - سورة الجاثية الآية 24.

توارثوها عن الأجداد، فكان القرآن يخاطب العقل ليقنع المخالفين بالحجة التي تقبلها العقول الإنسانية حول وجود الله كبراهين الخلق والإبداع<sup>(1)</sup>.

وما جاء في الأناجيل والتوراة سوى إشارات إلى مواقف المنكرين لوجود الله فجاءت نصوص الكتاب المقدس محذرة من غضب الله ومن عاقبة الإيمان بغيره ، وأتباع التوراة لم يكونوا ينكرون وجود الإله "يهوه" بل ولا ينكرون وجود غيره ، فهو الإله المفضل على الآلهة الأخرى التي تستحق العبادة منهم لأتمها آلهة الأعداء والغرباء عن جنسهم وعبادتها هي من جهة نظر الخيانة وليست كفر ، وطاعتها هي خدمة السلطان الغريب<sup>(2)</sup>.

ولما جاءت مسيحية بولس لم تكن سوى مذهب إسرائيلي لا خلاف بينها وبين اليهودية على وجود الله أو على أنبياء التوراة، وإتباع كان الخلاف حول استغلال الرؤساء والكهنة بالهيكل للشعائر المقدسة ومظاهر العبادة طمعا في السلطان والمال على حساب فرائض الإيمان.

وعرف الإيمان المسيحي تطورا مذهلا حول مفهوم الربوبية خصوصا بعد عموم الدعوة المسيحية خارج فلسطين وبعد كتابة الأناجيل ، فشاعت عقيدة الأفانيم أو الثالوث<sup>(3)</sup>.

إن القرآن قد خاطب الأحياء بلغة الحياة وخاطب العقلاء بلغة العقل حين كرر برهان الحياة وبرهان النسل في إثبات وجود الخالق، وبرهانه على وحدة هذا الخالق يضارع برهان الحياة وبرهان النسل على وجوده وحكمته وتدييره حيث قال تعالى: {لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا}<sup>(4)</sup>، فبرهان القرآن على الوحدانية برهان قاطع وليس برهان خطاب أو إقناع ، والتوحيد هو أشرف العقائد وأجدرها بالإنسان في رفع حالاته العقلية والخلقية.

## ب- القول بتطور عقيدة التوحيد:

يذهب علماء المقابلة بين الأديان والدارسين لتاريخ البشرية أنّ الإنسان لم يصل إلى عقيدة التوحيد دفعة واحدة، بل تعثر في سعيه وأخطأ في وعيه كحاله في طهو غذائه وحاجته إلى الطعام لاشك فيها ومادة الطعام بين يديه، أو كارتقاء النبات كلما نما ظهر فيه التعيين بين شجرة

<sup>1</sup> - عبد الرحمان بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، ص 217 وما يليها، حيث تناول البرهان على وجود الله بالحجة: الوجودية والكونية والغائية والأخلاقية والحجة القائمة على فكرة الحرية.

<sup>2</sup> - جاء في قاموس الكتاب المقدس، ص 1097 أن (يهوه) إله غير لا يطبق آلهة أخرى أمامه.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد : المرجع السابق ، ص 238 .

<sup>4</sup> - سورة الأنبياء، الآية 22.

وأخرى وبين ثمرة وثمره، وأنَّه إلى التخصيص بعد التعميم ، فإذا بلغ مرتقاه أصبح ذاتا لا تتلبس بذات أخرى من نوعه، كذلك العقل يعقل وجوده لا محالة ومتى عقل وجوده فهو ذات، ولا يمكن القول بأنَّ الله لا تكون له صفات متعدّدة لأنَّه جوهر بسيط، ولا القول بأنَّ الله لا يريد لأنَّ الإرادة اختيار بين الأحوال والله منزّه عن الأحوال<sup>(1)</sup>. ولا نقول أن الله لا يعلم الجزئيات لأنَّه يعلم أشرف المعقولات وهو ذات الله فكل ما نعلمه: أن الله كمال مطلق وأنَّ العقل محدود لا يحيط بالكمال المطلق الذي ليس له وجود وليس لهذا العقل أن يقول للكمال المطلق كيف يكون وكيف يفعل وكيف يريد. وفرق بين أن يعرف العقل حدوده وبين أن يبطل عمله فالعقل يستطيع التفرقة بين عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد، ويستطيع التفرقة بين أدلة الإيمان وأدلة التعطيل، إذ لو جاز أن يخلق الله إلها آخر لوجب أن يكون هذا الإله محدودا وأن يكون حدّه نقصا على صورة من تلك الصّور أو على صورة غيرها لما عرفها<sup>(2)</sup>.

ويقترّر العلماء أنّ الإيمان بالله وبوجوده ظاهرة طبيعية في الحياة ، وأنَّ الإنسان غير المؤمن غير طبيعي، دائم الحيرة والاضطراب واليأس والإنعزال عن الكون الذي يعيش فيه، فالحسّ والعقل والوعي والبديهة تستقيم على الإيمان بالذّات الإلهية ويتطلبه الطبع السليم. فالعقيدة الإلهية في الإسلام قائمة على التوحيد الذي لا يجتمل أي شكل من أشكال التعدّد، وتقوم على التنزيه وعلى اتّصاف الله بكل صفات الكمال المطلق المنزه عن الحدود والعيب والنقص، وهذا الكمال المطلق غاية في القدرة والعلم والرحمة والعدل والإحسان والتصريف.

## مطلب 2: مسألة القضاء والقدر والحياة بعد الموت:

### أ- مسألة القضاء والقدر:

وفي مسألة القضاء والقدر يؤمن المسلم عقلا بأنَّ وجود الله لا يبطل قيام التّكليف وقيام التّكليف لا يبطل اختلاف الحظوظ والأقدار واختلافها لا يجتم قدرة الله في البدء الأبيد على تحقيق العدل في ما قضاه ، وإدانة الأجيال بالخطيئة قبل أن تولد من العسير أن توصف بالعدل وهي عقيدة يصعب تزكيتها أمام ضمير الأمة<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر : أحمد شلبي: الإسلام (كتاب مقارنة الأديان) ، ص 67 ومايليهها. عن صفات الله في الفكر الإسلامي.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد : الله . جل جلاله ، ص 298.

<sup>3</sup> - عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ، ص 168.

فالإسلام ليس فيه من التوكّل أكثر ممّا في مذهب انكار فعل العزيمة الشخصية والقول بالأسباب الخارجية، بل القضاء والقدر فيه يكون أقلّ خطورة منه في المسيحية التي جاء فيها قول المسيح في إنجيل متى: (( لذلك أقول لكم لا تهتمّوا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس))<sup>(1)</sup>، أمّا في الإسلام فلا يمكننا القول: أن عقيدة القضاء والقدر تشلّ كل عمل عند المسلمين، والرسول - صلى الله عليه وسلم، كان أنشط الناس وأكثرهم مثابرة وجهادا<sup>(2)</sup>.

### ب-مسألة الحياة بعد الموت:

تؤمن جميع الأديان الكتابية بالحياة بعد الموت، مع الاختلاف في تمثيل تلك الحياة من مقرّ للنعيم بالجنة ومقرّ للعذاب بالنار، فمثلا جاء في "سفر أشعيا" وصفا ليوم الرضوان بالقول: (( ويضع ربّ الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن وليمة خمير على دردي<sup>(3)</sup> سمائن مُمِخَّة<sup>(2)</sup> درديّ مُصَفَّى، ويُفني في هذا الجبل وجه النّقاب. النّقاب الذي على كلّ الشعوب والغطاء المغطّى به على كلّ الأمم. يبلّغ الموت إلى الأبد ويمسح السيّد الرّبّ الدموع من كلّ الوجوه وينزّ عار شعبه عن كلّ الأرض لأنّ الرّبّ قد تكلم))<sup>(4)</sup>. وجاء في سفر الجامعة أنّ المنزل الحقيقي للجسد هو اللحد، وأمّا الرّوح فترجع إلى خالقها: (( فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الرّوح إلى الله الذي أعطاها))<sup>(5)</sup>.

وفي رؤيا يوحنا جاء فيه: (( نظرت وإذا باب مفتوح في السّماء والصّوت الأوّل الذي سمعته كبوق يتكلّم معي قائلاً إصعد إلى هنا فأريك ما لا بدّ أن يصير بعد هذا، وللوقت صرّ في الرّوح وإذا عرش موضوع في السّماء وعلى العرش جالس، وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشبّ والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزّمرد. وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً؛ ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسرّبلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب. ومن العرش يخرج بُرُوق ورعود وأصوات. وأمام العرش سبعة مصابيح نارٍ متقدّدة هي سبعة أرواح الله. وقدّام العرش بحر

<sup>1</sup> - إنجيل متى 6: 25.

<sup>2</sup> - عبد الحليم محمود: أوربا والإسلام، ص 122.

<sup>3</sup> - دردي: ما يرسب في أسفل كل مانع كالأشربة والأدهان.

<sup>4</sup> - سفر إشعيا 25: 6-8.

<sup>5</sup> - سفر الجامعة 12: 7.

زجاجٍ شبه البلّور. وفي وسط وحول العرش أربعة حيوانات مملّوة عيوننا من قدام ومن وراء. والحيوان الأول شبه أسدٍ والحيوان الثاني شبهه عجلٍ والحيوان الثالث له وجهٌ مثل وجه إنسان والحيوان الرابع شبه نسرٍ طائرٍ<sup>(1)</sup>، وفي رؤيا يوحنا: (( ورأيتُ ملاكا نازلا من السّماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمةٌ على يديه... ورأيتُ عروشا فجلسوا عليها وأعطوا حُكما.. فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة؟ وأما بقيّة الأموات فلم تعش حتى تتمّ الألف السنّة. هذه هي القيامة الأولى.. ثمّ متى تمّت الألف السنّة يُجَلُّ الشيطانُ من سجنه ويخرج ليضلّ الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوجَ وماجوجَ ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر... ثمّ رأيتُ عرشا عظيما أبيضَ والجالسَ عليه الذي من وجهه هربت الأرضُ والسّماءُ ولم يوجد لهما موضعٌ ورأيتُ الأموات صغارا وكبارا واقفين أمام الله... وسلّم البحرُ الأموات الذين فيه وسلّم الموت والهاويةُ الأموات الذين فيهما ودينوا كلُّ واحدٍ بحسب أعماله، وطُرِحَ الموتُ والهاويةُ في بحيرة النّار. هذا هو الموت الثاني))<sup>(2)</sup>.

لقد لعبت فكرة البعث بعد الموت دورا في انفصال المسيحية عن اليهودية واتخذت في نظر الناس صورة الطريق الإلهي نحو النجاة، وفيها تحوّل المسيح من رجل يهودي وشخصية محلية إلى المسيح المنتقد كابن لله وخليفته على الأرض يهتف باسمه سائر المؤمنين، وحول موت عيسى من مجرى العقيدة فحول الصورة المرسومة ليوم القيامة والعالم الآخر ليكون الاعتقاد بأن عيسى لم يمّت إلا ليعث. وأصبح هذا الموت السرّ الأعظم والنهائية المحتومة والهدف الأوّل من حياة المسيح ومن عمله، وتحوّلت دعوة الحواريين من فكرة عيسى الموعود إلى فكرة قرب عودته لهذه الدنيا<sup>(3)</sup>.

وتعتقد الكنيسة القبطية أنّ المسيح بعد موته ذهب نفسه الطاهرة وهي متّحدة باللاهوت إلى الجحيم وأخرجت نفس آدم وحواء وجميع الأنفس المسجونة بطائلة الخطيئة الأصلية وماتوا على الرّجاء، وأصعدتهم إلى الفردوس<sup>(4)</sup>، فتكون النفوس بعد الموت في الفردوس مع المسيح لتأخذ عربون السّعادة والمجد: (( فقال له يسوع الحقّ أقول إنك اليوم تكون معي في الفردوس))<sup>(5)</sup>، وقوله: (( وكلّ من كان حيّا وآمن بي فلن يموتَ إلى الأبد. أتؤمنون بهذا؟))<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> - رؤيا يوحنا 4: 1-8.

<sup>2</sup> - رؤيا يوحنا 20: 1-14.

<sup>3</sup> - جاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثيوس 15: 17 (( إن لم يكن المسيح قد بعث فيإيماننا لا سبيل له)).

<sup>4</sup> - سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري، ص 35.

<sup>5</sup> - إنجيل لوقا 23: 43.

<sup>6</sup> - إنجيل يوحنا 11: 26.

أما أرواح الأشرار فتحفظ في سجن الظلام إلى حكم يوم عظيم ، والأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها من أجسادها بل تأخذ عربونا فقط من السعادة إذا كانت صالحة ، أو من التعاسة إذا كانت طالحة، حتى يجيء يوم القيامة فتلبس الأرواح أجسادها التي تنال معها ما تستحقه من ثواب أو عقاب<sup>(1)</sup>.

وبحسب رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس فإنّ القيامة هي من أهم أسس المسيحية: ((فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم))<sup>(2)</sup>.

**مطلب 3: مسألة التحريف والتأويل:**

**أ- مسألة تحريف الكتب المقدسة:**

من عوائق فهم المسيحية افتقاد الكتاب المقدس للعنصر الأخلاقي لسعيه إلى اطفاء نور المودّة وأوامره بالقسوة، حيث يأمر العهد القديم بقتل الإنسان لزوجته إذا راودته على ترك التوراة وتعاليمها فجاء في سفر التثنية: ((وإذا أغواك سرّاً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حزنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى... لا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله))<sup>(3)</sup>. كما ساهم العهد الجديد بسبب أوامره في إنفكاك عقدة الحب بين الأهل وتشتت شمل الأخوة والأخوات من بيوت آبائهم بسبب أغلال ما جاء في سفر مرقس، فنسب للمسيح قوله: ((الحق أقول لكم ليس أحد يترك بيتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أما أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلّي ولأجل الإنجيل إلاّ ويأخذ مائة ضعف))<sup>(4)</sup>.

ففي الكتاب المقدس أمورا عديدة لا يقبلها العقل بل يقضي بردها ورفضها كالإشارة إلى البغض الشديد لسكان أرض سدوم وعمورة<sup>(5)</sup>. وقول المسيح: ((إن كان أحد لا يثبت فيّ يطرح خارجاً كالغصن فيجفّ ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق))<sup>(6)</sup>، ومن الكتب التي تعهد الله بحفظها

<sup>1</sup> - سيد عويس: المرجع نفسه ، ص ص 79 - 80.

<sup>2</sup> - رسالة بولس إلى أهل كورنثوس 15 : 13.

<sup>3</sup> - سفر التثنية 13 : 6-9.

<sup>4</sup> - إنجيل مرقس 10 : 28-29 .

<sup>5</sup> - ينظر : إنجيل متى 10 : 14 (( الحق أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً ممّا لتلك المدينة)).

<sup>6</sup> - إنجيل يوحنا 15 : 6.

القرآن الكريم لقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَاقِظُونَ} <sup>(1)</sup>، وهناك كتب سماوية أرسلت من ربّ العالمين ولكن ضاعت أصولها ولم يبق منها سوى بضع آيات نجت من يد العابثين، واعتري هذه الكتب زيادات ونقصان وتبديل وكتمان حتى ذهب كل زعيم ومترأس من أهل الكتاب إلى إنشاء كتب على هواه، ممّا تباينت تلك الكتب وتعددت أسماء مؤلفيها، وأكثرها فقدت ونالها الضياع والباقي من التّوراة مملوء أغاليط وتحريفات يستحيل القول أن نقول أنّها كلمة الله <sup>(2)</sup>. وقد اختلطت هذه الأغاليط والتحريفات والإضافات ببقايا الوحي ، ففقد أصالته وبريقه وسط هذا الرّكام من الإضافات الكاذبة والتحريفات المتعمّدة والتناقضات الصّارخة <sup>(3)</sup>.

### ب - مسألة تأويل نصوص تأليه المسيح:

يعود المسيحيون إلى مسألة تأليه المسيح إلى نص صريح ورد في سفر "إشعيا" حيث جاء فيه: ((لأنّه يولد لنا ولد ، ونُعطي ابنا وتكون الرّياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا مشيراً ، إلهًا قديرًا أبًا أبدياً رئيس السّلام)) <sup>(4)</sup>، ويزعم المسيحيون أنّ هذا الكلام هو كلام الله، واستدلّاهم بهذا النّص من العهد القديم هو تأكيد ألوهية المسيح وبنوته لله، وهذا ما يرفضه المسلمون لقوله تعالى: {قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، سُبْحَانَهُ، هُوَ الْغَنِيُّ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، إِنْ حُنِدْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} <sup>(5)</sup>. وقوله تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، وَأُمُّهُ حَدِيثَةٌ، كَانَا بِأُلْحَانَ الطَّعَامِ} <sup>(6)</sup>. فلزم من أكل الطّعام وجوب التخلّص من نفاياته شأن كل إنسان وحيوان، والمسيح نفسه قال: (أنا ابن

<sup>1</sup> - سورة الحجر الآية 9.

<sup>2</sup> - صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، ص ص 180 - 181. وأشار المؤلف إلى أنّ العهد القديم وردت فيه أسماء كتب ومنها: (سفر حروب الرّب) الوارد في سفر العدد. (سفر أخبار ملوك يهوذا) و (سفر أخبار ملوك اسرائيل) ، و (سفر ناتان النبي) و (سفر جاد الرائي) الوارد ذكر هذه الكتب في سفر التثنية .

<sup>3</sup> - ينظر عبد الودود شلبي: التزوير المقدس، ص 64. ويذكر التناقض مثلاً في قصة الطوفان التي ذكرها سفر التكوين حيث تتضارب روايتين فيها حول مدّة الفيضان ، ففي رواية كانت مدّته أربعون يوماً [التكوين 8: 6] وفي الأخرى مائة وخمسون يوماً [سفر التكوين 8: 13-14]، ويؤكد السّفَر على أنّ الله قد ندم على اغراق الأرض بهذا الطوفان كما جاء في سفر التكوين 9: 11: ((أقيم ميثاقي معكم فلا ينقضُ كلُّ ذي جسدٍ أيضاً بمياه الطّوفان، ولا يكون أيضاً طوفانٌ ليخرب الأرض)). وأياً ما كان فإنّ وصف الله بالضيق لما ارتكب من إغراق الأرض ثمّ ندمه بالأفعال ذلك أمر يليق بالعبد لا بالسيّد، بالمخلوق لا بالخالق سبحانه وتعالى.

<sup>4</sup> - سفر إشعيا 9: 6.

<sup>5</sup> - سورة يونس ، الآية 68.

<sup>6</sup> - سورة المائدة ، الآية 75.

الإِنسان)، وأنه رسول لا إله ولا ابن إله، وأنه يحمد الله رب العالمين، وبروح الله يحدث المعجزات ويخرج الشياطين<sup>(1)</sup>. فيعترف المسيح بأنه إنسان كسائر النَّاس وني كسائر الأنبياء ولم يقل بألوهيته أو بنوته لله فقال: ((طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله))<sup>(2)</sup>.

وكان من دواعي تأليه المسيح عند المسيحيين هو تعظيمهم لمسألة خطيئة آدم عليه السلام ، وأن توبته لم تمح خطيئته ، متناسين أنّ هذه الخطيئة لم تكن بمعنى قصد فعل الجرم ، بل هي من قبيل النسيان لقوله تعالى: { ولقد حمدنا إلهي آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً }<sup>(3)</sup>، وتاب الله على آدم لقوله تعالى: { فتلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه }<sup>(4)</sup> ، وحتى الخطيئة كانت قبل بعثته للبشر حيث كان في الجنة. ويطل القول بألوهية المسيح ما أجرى الله على يديه من معجزات بإذن الله وأمره لقوله تعالى: { ورسولاً إلهي بنبي إسرائيل أنبي قد جنتكم بأية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائراً بإذن الله ، وأبرء الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تاكلون وما تكفرون في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ، ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأجل لكم بعض الذي حرّم عليكم ، وجنتكم بأية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون }<sup>(5)</sup>. والمعجزات أجراها الله على غير المسيح من الأنبياء والرسل كإحياء إبراهيم لأربعة من الطير<sup>(6)</sup> وأحي موسى العصا وهي جماد فصارت فصارت حيّة تسعى<sup>(7)</sup>. وانشق القمر للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>، إن الحقائق التي جاء بها

<sup>1</sup> - ينظر: غسان خلف: الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية، كلمة ( إنسان ) رقم 400 ، ص 70. ومن التصوص الدالة على إنسانية المسيح ونيوته ما ورد في:

- إنجيل متى 10: 40 قول المسيح ((من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني)).

- وفي إنجيل متى 11: 25 قول المسيح (( أحمذك أيها الأب رب السماء والأرض)).

- وفي إنجيل متى 12: 38 قول المسيح (( أنا بروح الله أخرج الشياطين)).

- ووردت كلمة ابن الإنسان في: متى 8: 20. وفي لوقا 9: 50. وفي لوقا 11: 19. وفي لوقا 12: 34.

وفي لوقا 12: 32. وفي لوقا 9: 6. وفي لوقا 5: 34. وفي مرقس 2: 10. وفي مرقس 12: 8. وفي مرقس 2: 28.

<sup>2</sup> - إنجيل يوحنا 4: 34.

<sup>3</sup> - سورة طه الآية 115.

<sup>4</sup> - سورة البقرة الآية 37.

<sup>5</sup> - سورة آل عمران الآية 48-49.

<sup>6</sup> - سورة البقرة الآية 260: {وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحي الموتى، قال أو لم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثمّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً ثمّ ادعهنّ ياتينك سعياً واعلم أنّ الله عزيزٌ حكيمٌ}.

<sup>7</sup> - سورة طه الآيتين 19-20. حيث قال تعالى: {وما تلك بيمينك يا موسى، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غممي ولي بها

القرآن وبالتالي التي جاء بها الدين الإسلامي من خلاله يتبين أنّ الفرق المسيحية لم تكن على دين المسيح عيسى ابن مريم، فقد انخرقت وحادت عن تعاليمه وأحدثت تغييرات في العقيدة الصحيحة لتتبنى عقائد وثنية ورثتها عن تقاليد رؤساء الكنائس الذين تواطؤوا مع السلطة السياسية خدمة لنزواتهم الشخصية التي دفعت إلى الانحراف عن تعاليم الإنجيل الذي لم يعد له سلطان إلهي بعد ما امتدت إليه يد التحريف ليصبح عبارة عن تراكيب بشرية صرفة تحوي عناصر مريبة لوّثت العقائد بالتأويلات الفاسدة على الرّغم من وجود مخارج في التّأويل صحيحة اجتهد المفكّرون والعلماء في بيان وجوهها بما يتناسب والتوحيد بعيدا عن فساد العقائد المتمثلة في القول بالتثليث وتألّيه المسيح والقول بالصلب والفداء، ممّا يدلّ على تدخل الفعل البشري في تكوين تلك العقائد.

### ت- اضطراب عرض مسألة الصلب:

الصلب هو الأصل الثاني في العقيدة المسيحية وخلاصة النظرة في هذه القضية هو اعتقاد اليهود والمسيحيين اعتقادا قاطعا وأنّ المسيح صلب بمشهد حضره الكثير من الناس، حيث يرى اليهود في الصلب كعقوبة استحقها المسيح بحسب تجديفه على الله، فهو أحد العصاة المتمردين على الشريعة ، بينما يرى المسيحيون في الصلب أنّه كان المتغى في نفس المسيح ليحمل خطايا البشر. وحملُ المسيحيين للصلب هو لغاية عندهم وليس مقصودا لذاته ، وإتّما المقصود عندهم هو اقتفاء خطوات المسيح في انكار الذات، والرّضا بالفداء في زعمهم، واتباع تعاليمه<sup>2</sup>، ويجادل بعض أهل الكتاب حول هذه المسألة مستدلين بوجود الإعتراف بصلب المسيح مادام القرآن قد ذكرها بقوله على لسان عيسى: { **وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** }<sup>(3)</sup>. ولا يعلمون هؤلاء أنّ القرآن لم ينكر موت المسيح بل أنكر صلبه، والله باستطاعته أن يغفر ذنوب عبيده العصاة ، ويبقى السؤال يطرح على اللاهوت المسيحي: من أراق دم المسيح ؟ وهل يشمل الغفران من كان سببا أو مشاركا في قتل المسيح وصلبه؟ أم أنّ المسيحيين هم في حاجة إلى مولود آخر لله يراق دمه<sup>(4)</sup>؟ والقرآن يقرن مقولة اليهود بأنّهم قتلوا المسيح - وإن لم تقع- ممكنة الوقوع منهم لأنّ لهم تاريخ أسود

ماربُ أخرى، قال ألقها ياموسى، فألقها فإذا هي حيّة نسعى}.

1- سورة القمر الآية 1 : { اقتربت الساعة وانشق القمر }.

2- محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ، ص 135.

3- سورة مريم الآية 33.

4- ابن الخطيب: هذا هو الحق ، رد على مفتريات كاهن كنيسة ص 59، هذا سؤال طرحه صاحب هذا الكتاب في الرد على الكاهن

صاحب كتاب : الحق ص 99 .

مع أنبياء الله ورسله، فكم من أنبياء أبرياء تمّ قتلهم، وقد أخذ القرآن شهادتهم على أنفسهم بأنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وجعل ذلك اعترافاً منهم بالجرمة، بعد أن وصفوا الشخص الذي قتلوه وصفاً كاشفاً حيث جاء في قوله تعالى: **{وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم إننا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه، ما لهم من علم إلاّ اتباع الظن وما قتلوه يقيناً، بل دفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً}**<sup>(1)</sup>، فيؤكد القرآن أنّ اليهود يعرفون أنّ عيسى بن مريم رسول الله وأنه هو المسيح ومع هذا فإنهم يشهدون على أنفسهم أنّهم قتلوه وصلبوه! لقد كانوا يعرفون عن يسوع أنّه المسيح، وأنّه رسول الله، ولكن غلب عليهم طبعهم المشؤوم فحجزهم عن الخير وقصر بهم عن السعي إليه، فأنكروا المسيح على علم، وجحدوه على معرفة حيث قال الله: **{الذين أتيناهم الكتاب، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون}**<sup>(2)</sup>، ويشهد القرآن أنّ المسيح لم يصلب ولم يكن هو الذي مُثّل به ذلك التمثيل الذي ذكرته الأناجيل لما في الصلب من معنى الخزي والإهانة. وقد حاول مفسروا القرآن تفسير قول الله: **{ولكن شبه لهم}** بإعطاء تفسيرات عدّة منها قيام اليهود بقتل رجل بدل المسيح مخافة وقوع الفتنة من عامتهم وأن المسيح رفع إلى السماء، ومنهم من قال أنّ الله ألقى الشبه على إنسان آخر كان من المنافقين وهو الذي دلّ اليهود على عيسى ليقتلوه، فلما دخل اليهود لأخذه ألقى الله شبهه عليه فقتل وصلب<sup>(3)</sup>! وتنتهي هذه القصة لتهدم العقيدة المسيحية التي بنت قصة الصلب على الوهم، فتثبت الآيات القرآنية رفع المسيح إليه وأنّ عيسى لم يقع في أيدي اليهود بل خرج منها فريداً منصوراً، ومما يدلّ على أنّ المصلوب غير عيسى من واقع الأناجيل هو: أنّ عيسى صعد إلى الجبل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا فبينما هو يصلي إذ تغير منظر وجهه عمّا كان عليه وابتضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق، وإذا بموسى بن عمران وإيليا قد ظهر له وجاءت سحابة فأظلمت لهم، فوقع النوم على الذين معه! وهذا دليل على الرّفْع إلى السماء وعدم الصلب.

<sup>1</sup> - سورة النساء، الآيات 155 - 157.

<sup>2</sup> - سورة البقرة، الآية 146.

<sup>3</sup> - ينظر عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص 499، ص 500، ص 501. عرض لرأي الرازي حول مسألة الشخص الذي شبه بالمسيح.

ورد عن المسيح أنه كان يصوم الليالي والأيام ويقول لتلاميذه: لي طعام لستم تعرفونه ، ومن يصبر على العطش والجوع لا يطلب من اليهود أن يسقوه ماء فيعطونه خلا مذابا بمرّ ، فذاقه ولم يشربه ونادى : إلهي إلهي لم خذلتني! فيكون المدّعي للعطش غيره وهو الذي شبّه لهم.

وما نعلمه أنّ الأناجيل فيها اختلافات وشكوك كثيرة فهي ليست قاطعة في صلبه فينبغي أن يعاد النظر فيها وأن تحقق تحقّقا علميا وأن تفنّد الحجج التي تؤيّدتها والتي تنكرها، فنصل إلى أنّ المسيح لم يصلب ولم يقم من الأموات ولم يكن لها ولا ابن إله، وإنّما كان عبدا من عباد الله ورسولا من رسل الله. وممّا يجدر ذكره في هذا المقام أنّ من الغربيين يخالف رأي القرآن ورأي المسيحيين ، فيرى أنّ الصلب وقع، ولكن الموت على الصليب لم يقع وأن المسيح قد أنزل عن الصليب وهو حي ودفن في المغارة، على أنّه مات وهو لم يكن مات. فلذلك عندما جنّ الليل خرج من المغارة وذهب، ثم بعد أيام جاء وتلاقى مع الحواريين، وهذا الرأي لا ينفي القتل فقط بل ينفي الصلب أيضا، والإسلام يثبت أنّ الله رفع المسيح إليه ونجّاه من اليهود، والآيات لا تنفي الصلب فقط بل تنفي الموت على الصلب وروايات الأناجيل لا تخالف هذا الرأي<sup>(1)</sup> ، وإختفاء المسيح عن العيان ليس مما ينفي رفعه إلى السماء، يتحدث "صابر طعيمة" عن أدلة القائلين بعدم وقوع الصلب تتمثل في الآتي<sup>(2)</sup>:

**أولا:** أن بيلاطس حاول إنقاذ المسيح، هو وإمرأته ونتيجة إلتحاح اليهود أوكل الأمر لقائد المائة ليعلق المسيح على الصليب حتى وقت الظلام فينزله ويجعله في المغارة على أنّه ميّت ويوهم اليهود أنّه قتله.

**ثانيا:** أنّ الصلب وقع نهار الجمعة ومساؤه يوم السبت، حيث يدخل اليهود بيوتهم فيسهل نجاة المسيح منهم دون أن يشعروا به.

**ثالثا:** قائد المئة كسّر رجلي اللّصين ولم يكسّر رجلي المسيح تعجيلا بموتهما يوحي نيّة استبقائه.

**رابعا:** مجيء شخصين من محبي المسيح ترجيا "بيلاطس" بعدم صلبه وهما من رافقا المسيح إلى مكان الصلب وأنزلا الجثّة ، فلو لم يكن لهم رجاء في إنقاذه لم يرافقا إلى هناك!

**خامسا:** المغارة نهار الأحد كانت فارغة والحجر قد دحرج والثياب باقية ليدلّ على تبديلها وأنّ المسيح خرج ليلا ليتوارى عن أعين اليهود.

**سادسا:** وضع المسيح في المغارة بدل القبر دلالة على إرادة بيلاطس عدم قتله ، ووضعه في المغارة

<sup>1</sup> - إسماعيل بن كثير: المسيح عيسى ابن مريم ، ص 122 ، وما بعدها حيث أورد المؤلف موضوعا حول: (ذكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء في حفظ الرب، وبيان كذب اليهود والنصارى في دعوى الصلب).

<sup>2</sup> - ينظر: صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، ص 203، وص 204، وص 205.

يعني إبقاؤه على الحياة وتجنّبه إلى أن يكون اللّيل قد أظلم.

سابعاً: إجتماع المسيح بتلاميذه بعد الصلب دليل على أنّه لم يكن قد مات.

فقصة موت المسيح على الصّليب غير صحيحة وأنّ المسيح مات مصلوباً ودفن في المغارة وفي اليوم الثالث قام وصعد إلى السّماء وأنّه بعد قيامه ظهر للتلاميذ وتناول معهم الطعام وأمرهم بنشر تعاليمه وودّعهم، إلى حين اللقاء يوم القيامة ليحاسب كل انسان على ما قام به من أعمال، معتقدين أنّ الله قد تخلّى للمسيح حقّ محاسبة النّاس يوم القيامة طبقاً لما جاء في إنجيل يوحنا في قوله: (( وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً، لأنّه ابن الإنسان، لا تتعجّبوا من هذا، فإنّه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الّذين في القبور صوته، فيخرج الّذين فعلوا الصّالحات إلى قيامة الحياة ، والّذين عملوا السيّئات إلى قيامة الدّيونة ))<sup>(1)</sup>.

### ث- عرض مسألة الاعتراف بالذنب:

ومن المعتقدات الفاسدة في المسيحية إلى جانب قضية الصليب، قضية الاعتراف بالذنب أمام الكاهن في خلوته<sup>(2)</sup>، والقول بالتثليث بالرغم من إدعاء بعض الكهنة المطّلعين على نصوص القرآن من أهل المسيحية من أنّ أهل الإيمان يستحقّون الجنّة لقوله تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مِنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** }<sup>(3)</sup>، فالمقصود بهؤلاء هم المؤمنون بالتوحيد وليس المعتقدون بالتثليث أو الّذين هم من أهل الشّرك، ونفس التّأويل الفاسد لقراءة المسيحيين لهذه الآية تأويلهم في فهم الآيات القرآنية وكأّنها تحت على الاعتراف بالأقانيم. فيستدلّون بقول الله تعالى: { **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِيهِ قَرَارَ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النَّظْفَةَ عِلْقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ** }<sup>(4)</sup>، فيستدلّون بكيفية كون الله أحسن الخالقين إلّا إذا قورن بغيره ممّن لهم القدرة على الخلق، وهذا تأويل فاسد وكون الله قال أحسن الخالقين يستدعي

<sup>1</sup> - إنجيل يوحنا 5: 27 - 29.

<sup>2</sup> - علي زيعور: أوغسطينوس ، ص 29.

<sup>3</sup> - سورة البقرة ، الآية 62.

<sup>4</sup> - سورة المؤمنون ، الآية 14.

وجود خالق آخر يقارن به ، ولا يدرك هؤلاء فقه اللّغة وأسلوبها لّما نقول: ربّ الأرباب أو خير الأرباب، لأنّ رب قد تطلق على السيّد فنقول مثلا: ربّ الدّار أو ربّ الأسرة.

ويؤوّل البعض في مسألة بدأ المسلمين في صلاتهم بقراءة قوله تعالى: { باسم الله الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ }<sup>1</sup> ، وكأّهم يبدءون كما يبدأ المسيحيون : باسم الآب و الابن والروح القدس. كما يشيرون إلى اعتراف المسلم بالتثليث لما يقسم أغلظ اليمين بقوله: والله العظيم ثلاثا، وكأّته يقسم بالآب والابن والروح القدس، وحتى في طلاقه ثلاثا فيطلق المرء زوجته باسم الآب ولاين والروح القدس ،وينسى هؤلاء قول الله تعالى: {وقالوا اتّخذ الرَّحْمَانُ ولدا، لّقد جنّتم شيئا كذّا، يكاد السّمآوات يتفطرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هداً، أن دعوا للرّحمان ولداً، وما ينبغى للرّحمان أن يتخذَ ولداً }<sup>(2)</sup>.

#### مطلب 4: عرض مسألة الفداء:

إنّ العملية التأويلية للأحداث التي حقت بالمسيح في السّنوات الثلاث الأخيرة من حياته من حادثة المحاكمة والصلب ، لهي نهاية رهيبية قبل بها المسيح رغبة منه لفداء البشر من خطيئة قديمة تعود إلى آدم الذي ارتكبها في حق الله ، وصار هذا الإيمان المسيحي مقنّنا في مجمع نيقية الذي نصّ على أنّه: (( من أجل خلاصنا نزل من السماء - أي المسيح - وتجسّد من روح القدس ومن مريم البتول وصار إنسانا... وصلب وقتل أمام بيلاطوس ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب ، وصعد إلى السّمآء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعدّ للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ))<sup>(3)</sup>. فينكر القرآن الكريم دعوى المسيحيين من أنّ اليهود قتلوا المسيح صلبا وبالتالي ينفي ما ترتّب عن هذه العقيدة من قول بالفداء من أجل خطايا البشر، ونفى أيضا صفة إدعاء بنوّة المسيح لله، فلا علاقة لفكرة الخلاص من أجل الخطيئة التي ارتكبها آدم لأنّ الله قد تاب على آدم<sup>(4)</sup>، ولا معنى أن يرث الأبناء أخطاء الآباء، وقد جاء قول الله: {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنّهُ

<sup>1</sup> - قرآن كريم: البسملة تأتي في بداية كل سورة قرآنية ماعدا سورة التوبة.

<sup>2</sup> - سورة مريم، الآيات 87-91.

<sup>3</sup> - ينظر النص عند: عبد الله الترجمان: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص 38.

<sup>4</sup> - ذكر القرآن الكريم ماخذ على اليهود بكفرهم واتهامهم لمريم الطاهرة بالفحش، وقولهم بالقتل في حق المسيح، جاءت آيات القرآن

قائلة: { كفروهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم إنا قتلنا المسيح ابن مريم رسول الله }، وقوله تعالى: { ما قتلوه وما صلبوه

ولكن شبه لهم إن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه } - سورة النساء

الآيات 156-158.

هو التَّوَابِجُ الرَّحِيمِ }<sup>(1)</sup>. وقوله تعالى: { ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَهُ عَلَيْهِ وَهَدَى }<sup>(2)</sup>. وقوله: { لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى }<sup>(3)</sup>. واختلفت الفرق المسيحية حول من هو المقتول بحسب طبيعة المسيح، على الرغم من اتفاقهم على أنّ عيسى صلب وقتل، لتظل العناصر الأسطورية تتحكم في هذا المعتقد، لكون العقل ينفي عن عيسى كونه نبيّ من الأنبياء يموت على هذه الطريقة المشينة والشنيعة، وحتى روايات الأناجيل في سردها لحادثة الصلب يكاد يتبيّن منها أنّ المصلوب قد يكون شخصا آخر غير المسيح، في حين راحت فرق الكنيسة تناول الصلب وكيف وقع وأثّره حصل للمسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته بحسب النّسطورية، وزعم أكثر الملكانية أنّ الصلب وقع على المسيح بكامله، اللاّهوت والنّاسوت معا، وزعم أكثر اليعقوبية أنّ الصلب والقتل وقعا في الجوهر الواحد الكائن من الجوهرين اللّذين هما الإله والإنسان وهو المسيح على الحقيقة وهو الإله وبه حلّت الآلام<sup>(4)</sup>، بمعنى أنّ الذي ولدت مريم قد مات بجوهر ناسوته بحسب الملكانية وأن الله لم يموت، أمّا عند اليعقوبية فإنّ الله مات وتألّم وصلب متجسّدا ودفن وقام من بين الأموات وصعد إلى السّماء. وينزعج المسيحيون من ردود القرآن حول مسألة الصلب والقول بها في حقّ المسيح مدّعين أنّهم شاهدوا وعايّنوا الحادثة وتلقوها من أشخاص عن أشخاص وأمم عن أمم، بل أنّهم هم أهل المسيح وأصحابه وفيهم ولد المسيح ومعهم نشأ وعاش، ولذلك ينكرون على المسلمين القول بنفي الصّلب عن المسيح. ويُرَدّ عليهم بأنّ القرآن أمدهم بالعلم اليقيني في شأن المسيح نظرا لمصدره الإلهي التّابع عن الوحي والنّبوة، فلا يمكن أن يقارن في صحّته بالمعرفة البشرية المحدودة، فهو وحي وليس كلام البشر، ثم أنّ الأناجيل في سردها للأخبار لم تكن كتابا موحى بها على شاكلة القرآن وإنّما هي منسوبة إلى أصحابها وهم: متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبطرس وبولس، وهؤلاء نقلوا خبر قتل عيسى وصلبه ولم يشاهدوا الحادثة ولا واحدا منهم. ولو كان الصلب وقع حقيقة على المسيح ما ضرّ شيئا، فقد قتل يحيى قبله وبترت رقبتة وهو نبيّ ابن نبيّ كريمين عند الله، ولو صلب فعلا لقال القرآن بذلك، ومن الأنبياء ما فعل به أكثر من الصّلب ولكن القرآن نفاه لعلم الله أنّ القوم سيّخذون منه عقيدة تعتبر عيسى إله ورب حيث رضي بالقتل فداء للخطيئة.

<sup>1</sup> - سورة البقرة، الآية 37.

<sup>2</sup> - سورة طه الآية 122.

<sup>3</sup> - سورة الأنعام 164، أنظر: سورة الإسراء، الآية 15. وسورة فاطر، الآية 18. وسورة الزمر، الآية 7.

<sup>4</sup> - ينظر: عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 377.

المتعمّن لنصوص الأناجيل يأخذه التّأويل إلى عدم القول بصلب المسيح فلا يمتنع أن يكون قد ألقى الله الشّبه لعيسى على ذلك المصلوب معه، لأنّ الرّمان كان زمان نبيّ يجوز نقض العادة فيه ويكون معجزا لذلك النّبي، أو أنّ الله ألقى شبه عيسى على رجل من أصحابه كان خائنا له فظنّه اليهود أنّه عيسى، ومن قال أنّ اليهود لم يجدوا المسيح لأن الله قد رفعه إليه أخذوا رجلا من أصحابه وألبسوه مثل ثيابه ثم قتلوه وصلبوه وأوهما الباقيين أنّهم قتلوا المسيح، وهذا الأمر قد يصدق أيضا. وقد جاءت الرواية تذكر أنّ اليهود قصدوا في عيد الفصح هيرودس صاحب بيلاطس ملك الروم طالبين منه قتل المسيح لأنّه أفسد الشريعة وأراد تغييرها، وألحوا عليه أن يمكّنهم منه لينفذوا الحكم فيه، فقال لأعوانه اذهبوا مع هؤلاء فهاتوا خصمهم، فخرج الأعوان مع اليهود فصاروا بباب هذا السلطان فأقبل اليهود على الأعوان فقالوا لهم هل تعرفون خصمنا؟ فقالوا: لا، فقال اليهود ولا نحن نعرفه، ولكن أمشوا معنا فإنّا لا نعدم من يدلنا عليه، فمشوا فلقبهم يهوذا الأسخريوطي الذي دلّهم عليه مقابل دراهم معدودة<sup>(1)</sup> ومن النّصوص الدالّة على نفي الصلب قول بطرس لرجال بني إسرائيل: ((أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون، هذا أخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة، وعلمه السّابق، وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه، الذي أقامه الله ناقضا أوجاع الموت إذ لم يكن ممكنا أن يمسه منه))<sup>(2)</sup>. ما يستنتج من هذا النّص على الرغم بصراحة قتل المسيح وقيامته من بين الأموات أنّه رجل وليس إله، وأن الله أمده بالمعجزات ظهرت على يديه .

ويمكن القول أنّ القول بالصلب يناقض القول بالوهية المسيح مهما كانت الجهة التي قامت بفعل الصلب أو القتل ، وأنّ القول بقتل المسيح وموته يؤدي إلى فساد الاعتقاد وسواء كان القول بالإتحاد وأنّه باقيا موجودا ، أو أنّه بطل عند القتل ، وأنّ القول بالصلب يؤدي إلى القول من هو المصلوب والمولود من مريم ؟ هل كان الصلب من جهة ناسوت المسيح أم من جهة لاهوته ، على حسب قول الفرق المسيحية، إذا كان المسيح هو نفسه الذي مات لمن قال أنّه لم يمّت من جهة

<sup>1</sup> - ينظر: قصة القبض على المسيح واختلاف الروايات فيها خصوصا في: إنجيل متى 27: 46 ، و إنجيل مرقس 15: 34، حيث بلغت الفروقات ذات بال إلى نحو ست فروقات ، فقد ورد فمثلا خبر صياح عيسى وهو على الصليب في إنجيل متى ومرقس فقط ، وانعدمت في إنجيل لوقا ويوحنا، كما لم يذكر خبر انتحار يهوذا الأسخريوطي إلّا في متى 27: 3-5 ، وعدم معرفة اليهود لعيسى واللّجوء إلى أحد تلاميذه ليدهم عليه .

<sup>2</sup> - أعمال الرسل 2: 22-24. وأنظر: أعمال الرسل 3: 13. وأعمال الرسل 4: 10. أعمال الرسل 10: 40.

لاهوته ، وهناك من المسيحيين من ذهب إلى الرّبط بين الصلب وبين ولادة مريم للمسيح، فإذا كان المصلوب هو الله فمريم ولدت الله على حد زعمهم، وإن كان المصلوب إنسانا فمريم ولدت إنسانا، وربطوا أيضا بين حادثة الصلب بحادثة قيامته من القبر حيث كان بولس يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: ((إن كان المسيح لم يقم فكرارتنا إذن باطلة ، وإيمانكم أيضا باطلا))<sup>(1)</sup>، فبحسب روايته لا معنى للصلب دون القيامة التي جاء ذكرها في الأناجيل على أنه: لما كان يوم الأحد بكرت مريم المجدلية إلى القبر فلم تجده فجاءت سمعان الصفا وأصحابه فأخبرتهم أنه ليس في القبر فمضوا فلم يجده ، وجاءت مريم ثانية إلى القبر فرأت في القبر رجلين عليهما ثياب بياض فقالا لها: لا تبكي ثم التفتت خلفها فرأت المسيح، وكلمها وقال لها: لا تدنين إلي لأنيّ لم أصعد إلى أبي، ولكن انطلقني إلى إخوتي وقولي لهم إنّي صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، وإنه لما كان عشية الأحد جاءهم وقال لهم: السّلام عليكم، كما أرسلني أبي كذلك أرسلكم، وإن غفرت ذنوب أحد فهي مغفورة، فقالوا: هذا الذي يكلمنا روح وحيال، قال لهم: انظروا إلى آثار المسامير بإصبعي وإلى جانبي الأيمن، ثم قال لهم: طوبى للذين لم يروني وصدّقوا بي، وجاءوه بقطعة سمك فأخبرهم بقوله: إن أنتم صدقتم بي وفعلتم فعلي بحق ألاّ تضعوا أيديكم على مريض إلاّ برئ ولا يضرب الموت، في إشارة منه على صدق إيمانهم، ثم ارتفع عنهم<sup>(2)</sup>. وفي رواية أخرى أنه جاء إلى القبر أمه ومريم المجدلية جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب فجاءهما عيسى فقال: علام تبكيان؟ قالتا: عليك فقال: إنّي قد رفعتي الله إليه ولم يصبني إلاّ خيرا<sup>(3)</sup>.

وظاهرة الرفع إلى السّماء يعتبرها بعض الباحثين أنّها تنسب إلى الضّمير الميثي الذي يقبل دون أية صعوبة أن يقوم الموتى من قبورهم وأن يسلك إنسان سبيل السّماء صعودا وهبوطا مثلما ينتقل على وجه الأرض جيئة وذهابا<sup>(4)</sup>، إنّ رواية القيامة لا تنفك عن حادثة الصلب الذي يعقبه الموت فتدور حالة القيامة حول الرفع إلى السّماء، والتي صاحبها مسألتي الفداء والصلب.

#### أ- مسألة الفداء:

وهي عقيدة مسيحية تتمثل في نزول الابن الإلهي من السّماء ليكفّر عن خطيئة آدم الذي ورثها لأبنائه، رحمة للبشر وللرسل والأنبياء بعدما تبرأ الله من آدم وذريته وأسلمها إلى الشيطان

<sup>1</sup> - رسالة بولس إلى أهل كورنثوس 15 : 14 .

<sup>2</sup> - ينظر : إنجيل مرقس 16 : 1 - 8 .

<sup>3</sup> - ينظر : إنجيل لوقا : 24 : 1 - 27 ، ولوقا : 24 : 36 - 43 ، إنجيل متى 28 : 1 - 11 .

<sup>4</sup> - إنّ النصوص المسيحية المقدسة تعطي الطابع الميثي لمسألة الصعود إلى السّماء .

يأتباعه له ، واحتال الابن على الشيطان بأن تجسّد آدميا ليختفي عن الشيطان ويحتس منه فلا ينفذ منه، ولما استخرج آدم ونفوس الرسل والأنبياء صعد إلى السماء بعد أربعين يوما مرّت به بعد الذي كان من صلبه وجلس عن يمين أبيه بلاهوته وناسوته وسينزل مرّة أخرى ليدين الأحياء والأموات عند فناء الدّنيا<sup>(1)</sup>. ويتبين من هذه الرواية الفشل الذريع في تأكيد مسألة الخطيئة ، فهذه العقيدة فاسدة لتناقضها إذ كيف يمكن للخالق أن يمكّن الشيطان من نفسه ، وحتى القول بالفداء فإنّه يعني القضاء على الخطيئة وإنقاذ البشر من سلطة الشيطان ، في حين أنّ سبب نزول الإبن لفك أغلال الخطيئة يصير هو نفسه أسيرا لها، فبدل أن يأتي ليغيث الناس صار مستغيثا بالله من الشيطان ، الذي أرسله الله على يد روحه الأزلية القاهرة ليمتحنه الشيطان ويهينه. ويعجز عيسى عن ربط الشيطان وعن ربط الشيطان عن نفسه<sup>(2)</sup>، وهذا يدلّ على أنّ دعوة ألوهية المسيح غير صحيحة مما يدلّ أيضا على بطلان القول بعقيدة الخطيئة المرتبطة بمحيء المسيح، إذ لو كان له سلطان على الشيطان ما كان لتلك التجربة معنى<sup>(3)</sup>. ويبرر المسيحيون القائلون بألوهية المسيح وإنسانيته أنّ التجربة وقعت لناسوته ولم تقع للاهوته ، والفداء لم يتحقّق إلاّ بموت المسيح، الذي كفر عن الخطيئة الأولى، ممّا يوحي أنّ الذين قتلوه لم يخطئوا، ولم يأثموا، ممّا يؤدي بالقول إلى عدم وقوع الخطأ من الذين قتلوا أتباعه وممن أحرقوا واتلفوا إنجيله الموحى به إليه ، بل لم يخطئ كل من سرق وزنى وسكر وكذب وارتكب الموبقات والفواحش. ومما يدلّ على بطلان عقيدة الخطيئة والتكفير عنها ما جاء في سياق دينونة المسيح للناس من خلال ما ذكرته الأناجيل من أنّ المسيح لما يصعد إلى السماء ويجلس عن يمين أبيه يدين الناس ويجازيهم بأعمالهم ويحكم بينهم فما الدّاعي إلى نزوله لتكفير الخطايا إذن؟ وما الدّاعي إلى نزوله إلى الجحيم لتخليص النفوس من قبضة إبليس<sup>(4)</sup> إذ لا يمكن أن يتصوّر وجود نفوس الأنبياء بها تحت سلطة الشيطان، ولما اتّصف الله بالرحمة والتّوبة عن المخطئين فلا مجال فيه لإله يأتي يفدي البشر الذين تناسلت فيهم الخطيئة بدون أن يرتكبوها، هذه الخطيئة التي تأتي البشرية أن تكون الفاصلة بين عهدين متقابلين من قبل المسيح وما بعده<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: إنجيل مرقس 16: 19.

<sup>2</sup> - ينظر: إنجيل لوقا 22: 31.

<sup>3</sup> - ينظر: إنجيل متى 7: 22-23، وفي إنجيل متى 25: 31-46.

<sup>4</sup> - أعمال الرسل 2: 27، وأنظر: رسالة بولس إلى أهل رومية (الرومانيين) 10: 7، رسالة بطرس الأولى 3: 19.

<sup>5</sup> - المقابلة بين عهدين في تاريخ البشرية لا تقبل هذا التقسيم كما لا يمكن المقابلة بين الجاهلية والإسلام .

وقد جاء في عقيدة بعض الفرق المشبهة التي سجلها التاريخ الإسلامي ضمن الفرق الضالّة ما جاء عن أتباع "عبد الله بن سبأ" الذين سمّوا "عليا" إلها وشبّهوه بذات الإله . ولما أحرق قوما منهم قالوا: الآن علمنا أنّك إله ؛ لأنّ النار لا يعذب بها إلاّ الله. وقال ابن سبأ: لم يمت علي، ولم يقتل ابن ملجم إلاّ شيطانا تصوّر في صورة علي، وعلي في السحاب . والرعد صوته، والبرق سوطه. وإنّه ينزل بعد هذا إلى الأرض ويملؤها عدلا، وهؤلاء يقولون عند سماع الرعد: وعليك السّلام يا أمير المؤمنين<sup>(1)</sup>. إنّ نفي الألوهية يقتضي نفي الفداء الذي بدوره ينفي كل ما يرمز إليه الصليب وما احتوته أبعاده داخل إطار المنظومة اللاهوتية المسيحية، ونفي بالتالي القول بالصلب وقيامه المسيح من بين الأموات<sup>(2)</sup>.

**ب\_ مسألة الصلب:**

ويسمّيها البعض عقيدة "الفداء" وهي عقيدة تقدّم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين، ويعتقدون بتجسّد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن النّاس. وجاء عن "ماكس مولر" قوله عن البوذيين: ((أهم يزعمون أنّ بوذا قال: دعوا كل الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع عليّ كي يخلص العالم))<sup>(3)</sup>. فعقيدة الصلب عند المسيحيين هي رأس الإيمان عند متي ومرقس ويوحنا ولوقا ، وجاء في الرّسالة لبولس إلى "أهل غلاطية": ((المسيح افتدانا من لعنة النّاموس إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنّه مكتوب ملعون كل من علّق على خشبة))<sup>(4)</sup>. وجاء في القرآن قصة الصلب وأنّ الله جعل ممن أراد بالمسيح الشّرّ أن ألقى عليه الشّبّه به وتمّ صلبه حيث قال تعالى: { وقولهم إنا قتلنا المسيح ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم }<sup>(5)</sup>، فيختلف الإسلام عن قول المسيحيين بأنّ المصلوب هو المسيح وقولهم أنّ بموته كان خلاص النّاس من خطيئة ورثوها عن آدم فخلص المسيح بصلبه النّاس من النّار ، فالإسلام بيّن أنّ آدم أكل من الشّجرة المنهي

<sup>1</sup> - عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: الفرق بين الفرق ، الهامش، ص 225-226. نقلا عن: التعريفات للجرجاني ص 79.

<sup>2</sup> - عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص 403. ما أورده البخاري في ج 3، ص 78 وج 4 ص 205 ، تحدثت بعض الأحاديث عن دور عيسى قبل قيام الساعة وهو [ لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنازير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد] والمرجح أن هذه الأحاديث المتعلقة بنزول عيسى قد وضعت في الأوساط السنية كرد فعل إزاء اعتقاد الشيعة في المهدي المنتظر .

<sup>3</sup> - Muller. History of ancient sanskrit literature. P 80.

<sup>4</sup> - رسالة بولس إلى أهل غلاطية 3 : 13.

<sup>5</sup> - سورة النساء الآية 157.

عنها ولكنّه استغفر ربّه فغفر له وانتهت القصّة بدون أي تبعات وأنزل الله آدم الأرض حتى يعمرها ويعبد الله فيها هو وذريته.

### ت- عرض مسألة الخلاص وموت الإله:

تحدثت كتب عن موت المخلص وحدوث ظلمة في روايات امتدت إلى الهند وماذا حدث عند موت " بوذا" حيث تكاثف الغيم وعادت مياه الأنهار إلى ينابيعها ودُكَّت رؤوس الجبال واشتدّ هدير العواصف واحتجبت الشمس بظلام دامس<sup>(1)</sup>. وشاع الإله المخلص الذي يكون من السلالة الملكية الشعوب الوثنية التي ترى أنّ الآلهة المتجسّدة في شكل إنسان هي من السلالات الملكية فقال به الصينيون في كونفوشيوس وقال به المصريون في حديثهم عن "حورس وأنه مولود من عذراء من سلالة ملكية ، كذلك قال المسيحيون عن المسيح وأنه من سلالة داود الملك<sup>(2)</sup>، أمّا الإسلام فيذكر في نصوصه أنّ أمّ المسيح هي ابنة عمران التي ينتهي نسبها إلى داود -عليه السلام.

القادر للعلوم الإسلامية

<sup>1</sup> - هناك تشابه بين رؤية الهنود حول موت بوذا وما صاحب ذلك من أحداث وما جاء عن السيّد المسيح في نصوص: إنجيل متى 27: 45

، وفي إنجيل مرقس 15: 33 ، وفي إنجيل لوقا 23: 44 .

<sup>2</sup> - ينظر : إنجيل متى 22: 41 - 42.

## خاتمة:

في خاتمة هذه المذكرة ألزمت نفسي الإحتكام إلى النصوص الدينية التي عاجلت بها قضية تطور العقائد المسيحية فعرضت هذه القضية على المنطق والعقل ليحكم فيها فوجدت أنّ العقل واجه وسيظل يواجه هذه القضية على مرّ العصور ليصل إلى أنّ هذه العقائد في ميزان التوثيق لا تنتسب لشخص المسيح الذي ولد في قرية الناصرة من مقاطعة الجليل بأرض اليهودية من بلاد الشام، وأمّه مريم، ووالذي كان ميلاده إبان حكم الرومان لتلك البلاد في السنّة الثالثة أو الرابعة أو السابعة قبل الميلاد، على خلاف في تحديد السنّة التي ولد فيها. وقد تحدث التاريخ عن الميلاد الطبيعي للمسيح أين حملت به أمّه مدّة الحمل المعتادة واحتواه بطنها تسعة أشهر ، وأرضعته ، وكفلته ، وكان له صبي وشباب وطريق في الحياة يسلكه ورسالة يقوم عليها كشأن الرسل، ودخل في صراع ضد القائمين في طريقه والمتصدّين لرسالته، حتى كانت النهاية المؤلمة.

فالمسيح كما يذكره التاريخ هو إنسان لم تنكره أمّه التي امتزج دمها بدمه ولحمه ، وامتزجت روحها بروحه، فلو رأت فيه شيئا لم تعرفه الأمّهات في أبنائها لأنكرته! فلم تر فيه غير ما ترى الأمّهات ، فالعقل لا يمكنه أن يخرج المسيح من الدائرة البشرية ولا يعزله عن عالم الإنسان، وهذا لا يمنع في تاريخ البشرية أنّ أعدادا كثيرة من الناس قد لبسوا أثواب الآلهة أو ألبسوا هذه الأثواب فانخدع الناس لهذه الآلهة وآمنوا بها . كما يحدثنا التاريخ عن مصر القديمة والهند وفارس وبلاد اليونان والرومان حيث دان الناس أزمانا للآلهة البشرية من فراغة وقياصرة وأباطرة وهراقلة. فدفعني البحث إلى محاولة الغور في الجذور التاريخية للتطور الديني من خلال بيان مفهومه ومدلولات كلماته من اشتقاقات ومرادفات والتي أكدت لي الضرورة الملحة للدين للمجتمعات البشرية وأكدته أيضا

مناهج البحث لدى المدارس الفكرية ،على اختلاف مشاربها المعرفية مؤكدة أن المجتمعات البشرية منذ فجر التاريخ وهي تدين بأديان مختلفة ومتعددة، وذلك بعد أن كان الإنسان الأول وبنوه يدينون بدين واحد ، وهو دين التوحيد ، وبغض النظر عن الرأي المخالف القائل بأن الناس كانوا يدينون بأديان مختلفة منذ نشأتهم الأولى ، وأن الديانات تطورت من الشرك إلى التوحيد ، فإن ما نشاهده من الاختلاف الديني بين الناس، لم يحدث إلا بتأثير زمني واجتماعي ، وذلك عندما طال الأمد على الناس فابتعدوا عن الطريقة التي كان عليها أسلافهم رغم التمسك الظاهري بها. ثم إن هذا الاختلاف في الديانات بين الناس لم يحدث دفعة واحدة بل حدث ذلك تدريجيا، ولا شك أن دعوة كل نبي هي دعوة للانتقال من الشرك إلى التوحيد، وأن المنهج الإلهي الذي جاءت به الرسل هو منهج التوحيد الذي دعى إلى نهد الشرك بالله في ربوبيته وألوهيته، وإلى التمسك بتوحيد الله تعالى.

ومن أجل ذلك كان لزاما أن ننظر نظرة جدية إلى الهوية السحيقة التي فصلت بين المسيحية التي تنسب إلى عيسى ابن مريم -عليه السلام في أمور العقيدة وبين مسيحية بولس ، هذا الاختلاف الواقع هو الذي حاولت في هذا البحث توضيح مراحل تطور هذه الديانة من خلال العقيدة كأنموذج لهذا التطور مع بيان أسبابه ودوافعه المثبوتة في الأبواب الأربعة لهذا البحث.

فقدمت دراسة عن الجذور التاريخية للدين وتطوره ،والذي دلّت على تطوره مدلولات كلمة (دين) وكون الدين ضرورة من الضرورات الاجتماعية اكتشفته مناهج البحث المتعددة، كالمناهج التاريخية، والمنهج المقارن للثقافات والحضارات، والمنهج التحريبي، ومنهج المسح الاجتماعي والإحصائي. فكل هذه المناهج التي اعتمدها المدارس الفكرية في بحثها، توصلت إلى أنّ الدين متنوع المصادر، فقد يكون مصدره الروح أو الطبيعة أو الغريزة أو المجتمع، فمن خلال تعدد مصادره تعددت وجهات نظر المدارس ومن يمثلها من علماء أمثال: هنري برجسون وأوجيست كونت ودوركايم.

إنّ المدارس التي تحدثت عن تطور الدين أغلبها مدارس غربية بنت معلوماتها في الغالب على الفكر اليهودي القديم المتشعب بالفكر الفلسفي اليوناني الهيليني ، لذا كنت مدفوعا إلى تناول الظاهرة من خلال النبوة اليهودية متتبعا لمراحل تطورها وصفاتها وطبقاتها في التراث الديني العبري الذي نقشته عبارات العهد القديم في طيات أسفاره ، لنكتشف عنصرين مهمين يتعلقان بالعقيدة الإلهية : مفهوم الإبن ومفهوم الإله اللذان تعددت دلالاتهما من التوحيد إلى التعدد والعكس. ولم أندش لما قرأته من فقرات الكتاب المقدس وأن المسيحيين ذهبوا إلى تأليه المسيح إنطلاقا من

تأويلاتهم الفاسدة لنصوصهم المقدسة، وحتى في قراءاتهم لنصوص القرآن . وتبين لي أنّ صور الوثنية في العقائد المسيحية تمثلت في الاعتقاد بعودة الإله الميت إلى الحياة والذي يرمز له بعقيدة القربان والتعميد للإستعداد للبعث والحساب في الآخرة.

وتناولت بالدراسة للعقائد المسيحية التي إنبثقت أساسا من الأصول اليهودية بل وتطورت عنها، وعن بيئتها، فكانت اليهودية هي المهد الأصيل للديانة المسيحية رغم الزخم الهائل من الروافد الفكرية والدينية التي عمّجت بها أرض فلسطين من حضارات لشعوب قديمة جابت المنطقة عبر قوافل تجارية ووفود للحجاج من اليهود من أرض المهجر إلى بيت المقدس، وكان من أهم الروافد ما سجّله من حضور جلي للعهد القديم بكل أسفاره ومن تعاليم الحاخامين المعروف باسم (بالتلمود) الذي شمل على المشنا والجمارا، وإلى جانب هذه النصوص المقدسة الفلسفة التي حضرت بقوة وفعالية في الميدان الفكري والعقلي، فساهم كل من الدين اليهودي والفلسفة في صنع فكرة انتظار مجيء شخص مخلص ومنقذ في العالمين المادي والروحي، وروج لهذه الفكرة فرق يهودية كلّمًا حلّت أزمت ونكسات بالمجتمع .

إنّ هذه الكتلة الدينية والفلسفية التي ضمّها المجتمع اليهودي في ظل ظهور المسيحية بأرض الجليل كانت مدعاة إلى الإضطرابات الإجتماعية مما أدى إلى ظهور نزعات استعمارية وبالتالي تعددت مظاهر الإضطهاد بكل أصنافه الوحشية دنتت الكرامة الإنسانية، هذه الكرامة التي سعى المسيح بمجيئه إلى تمجيدها وحمائتها والتي تجسدت في تعاليمه وشريعته ودعوته إلى الزهد والحب والغفران وفنون عمله من خلال إلحاحه على الحرص كل الحرص على مناقشة الحصول على ملكوت الله؛ ملكوت السماء، ودعى إلى ذلك، وكلّه قوة وقدرة وإخلاص، تحدثت عنه الأنجيل في كثير من نصوصها رغم ما يوجد في هذه الأسفار من اختلاف في رواياتها وتناقض في نصوصها أحيانا . وبيّنت أنّ الأنجيل الأربعة لم يتفق المسيحيون على تاريخ كتابتها ولا على وجود لنسخ أصلية لها، وأنّ كتابها و مترجميها مجهولون، وأنّ التناقض في الأمر الواحد مع الجهل بكتّابها و مترجميها وتاريخها وهو ما يفقدها القيمة كمصدر من مصادر الدين المسيحي .

ثم بيّنت مراحل تشكيل وتطور اللاهوت المسيحي قاصدا بذلك تطور العقيدة المسيحية منذ النشأة إلى غاية تثبيتها وترسيمها كعقيدة نهائية لا زيادة فيها بعد ذلك، إذ أشرت إلى أنّها بدأت منذ بداية انفصال المسيحية عن اليهودية ومدى مساهمة بولس في هذه العملية نظرا لخبراته الثقافية والسياسية

والدينية، ومكانته العسكرية في صفوف السلطة الرومانية. هذه الشخصية التي كانت السبّاقة في اضطهاد الرعيّل الأول من أتباع المسيحية، هذا الإضطهاد الذي رفع رايته السلطة الرومانية في وجه الديانة الجديدة، وبالتنسيق مع رجال الهيكل اليهودي، ليترب عن هذا الجو الرهيب اتلاف الإنجيل المسيح وإحلال محله كتب أخرى تلائم العقلية الإجتماعية الرومانية واليهودية على حدّ السّواء، فتمّ في ظل هذا الوضع تدوين رسالة يعقوب ورسالة بولس إلى العبرانيين، وتدوين إنجيل متى.

وتنطلق مرحلة تثبيت العقائد في القرن الأول للميلاد وهي تلك العقائد التي أخذت تتجاذبها أفكار رجال الدين من أمثال: يوستيانوس (جوستينوس) وتاتيانوس وإيريناوس، واكليمنضس، وأوريجينوس، وبردصان، وترتوليانوس وسبيريانوس، وبولس السمصاطي، وماي. ونشأ عن صراع أفكار رجال الدين حول العقيدة بداية إنعقاد المجامع الكنسية التي ترتب عنها انبثاق أعمال وقرارات مهمة شاركت في المصادقة على القول بطبيعة المسيح الناسوتية والأهوتية وطبيعة روح القدس، وكذا والدّة المسيح ومكانتها وموقعا في الكنيسة كأم، ووالدة للسيد المسيح.

وتبعا لإنعقاد المجامع الكنسية إنقسم رجال اللاهوت المسيحي المعروفين باسم ( الآباء ) إلى آباء الكنيسة الغربية وآباء الكنيسة الشرقية، وانتسب إليهم أتباع ومريدون في هيئة مذاهب وفرق: كالدوناتية والبيلاجيانية والأوغسطينية يوحّدهم في ذلك قانون الإيمان، أو ما يعرف بالتسيحة الإيمانية التي تمّ تدوينها في أول مجمع مسكوني بنيقة تحت رئاسة الأمبراطور الوثني الروماني، والذي رجّح عقيدة نسطور التعددية على عقيدة آريوس التوحيدية، فبنيت أول أعمدة الوثنية في بيت المسيحية بواسطة هذا الرجل بحكم سلطته المدنية والعسكرية.

وبظهور المجامع والفرق العقائدية من مثل: الغنوصية والمريونية والمونتانية تعددت مظاهر التطور في الديانة المسيحية في عقيدتها بفضل تعدد الأناجيل التي فاق عددها المائة لتصل إلى أربعة قانونية معترف بها .

كما عرفت تطورا في صور عدة منها ظاهرة الرّهنة والإنعزال في البراري والفيافي للعباد، فانتشرت هذه الظاهرة بشكل كبير، لتنطلق العادات الشعبية الخرافية منها في داخل بنايات الكنيسة ومخارجها الطقوسية كانتشار الأيقونات والتماثيل داخل دور العبادة، ومنها بالخصوص صورة مريم العذراء وهي حاملة لإبنها في حجرها، أو صورة المسيح وهو على خشبة الصليب مطأطئا رأسه بعدما دكّت المسامير في رجليه ويديه وهو مضروب بحربة قاتلة، هذه الصور التي تبعث على الشفقة والرحمة

والرهبة بالمقتول داخل الكنيسة تستعطف لا محالة زائريها متوهمين صورة الفداء الميثية أنّها تدخلهم ملكوت السماء بعد اقرارهم لأثامهم اليومية فيأتون للكنيسة لعلّ ممثل المسيح أو ممثل بطرس يغفر لهم ذلك؟

إنّ أركان العقيدة المسيحية المتمثلة في عقيدة الفداء والصلب والقيامة ، بعد تطورها توجت بالقول بعقيدة التثليث والتجسد الذي حملت لواءه الفرق الثلاثة التاريخية الكنسية وهي : فرقة الملكانية والنسطورية واليعقوبية، وأعطت هذه الفرق صوراً للتجسد الأقنومي ومدعمة لمبررات الاعتقاد في التجسد والتثليث بغرض الإقناع والمجادلة، فحاولت هذه الفرق بشتى الطرق تقريب القول بالتثليث وتأليه المسيح وروح القدس ، غير أنّ الأدلة النقلية والعقلية نفت ذلك، ومن الأدلة النقلية نصوص الإنجيل باعتباره الأقرب إلى الحق من نصوص تلك الأناجيل على الرغم من أنّه لا يعرف أصله وتاريخه ، وإن كان وجوده في مجتمع مسيحي وبلغة أتباع المسيحية يدل على أنّه من الأناجيل التي حرّمتها الكنائس المسيحية لخطورته على المسيحية المستحدثة بعد المسيح. فيكون هذا الإنجيل قد تناول بشرية المسيح بلغة صريحة ممّا يلفت الانتباه إلى عوائق فهم العقائد المسيحية في مسائل تتعلق بالألوهية وبالقضاء والقدر ومصير الإنسان بعد الموت ، ومسألة من حرّف الكتب المقدسة؟ وكيف يمكن تأويل نصوص تأليه المسيح وورود ذكرها في الأناجيل؟ مع وجود اضطراب كبير حول مسألة الصلب والإعتراف بالذنب، ومسألة القول بعقيدة الفداء للخلاص من إثم الخطيئة القديمة التي جاء المسيح ليضع حدّاً لها بالموت ؛ موت الإله الابن - بحسب التصور المسيحي البولوسي؟

فالديانة المسيحية التي أنشئت على الأساس اليهودي أنشئت من عناصر متباينة كثيراً ومتنوعة من العناصر اليونانية في جوانب كثيرة ، ومن العناصر الوافدة من آسيا الصغرى وسوريا وما بين النهرين ومصر .

إنّ من يعتبرون أنفسهم أتباع المسيح لم يكونوا في الواقع أوفياء لرسالته في نظر غيرهم ، لقد أحدثوا نظاماً لاهوتياً وكنسياً لا دخل له في تأسيسه على النحو الذي عرف به، فردّ عليهم المسلمون فيما يتعلّق بما أحدثوه مستندين إلى أنّ النظام الإسلامي نظام إلهي له أساس قرآني وفي السنة النبوية علاوة على دعامة العقلية المنطقية. ويحدد العلماء المنصفين مواقفهم بكل صدق ويقين على أنّ المسيحية الحالية ليست مسيحية المسيح على الإطلاق، وبعض العلماء الغربيين لم يفهموا العقائد المسيحية في العصور القديمة قط، كما لم يصلوا إلى إدراكها في العصور اللاحقة، وأنّ الديانة

التي أنشأوها باجتهادهم الخاص كانت ديانة مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها عن المسيحية الشرقية ، فالغريون بحق لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الأيام . وكان حال الغربيين بالنسبة إلى المسيحية ؛ وإن حظيت كنيستها لديهم بما عرفته من نجاح لا مثيل له، لم يكن هؤلاء الغربيون بالذين خبروا الثقافة الشرقية، كما لم يكونوا ليدركوا الفكر الهيليني إلا من خلال ترجمات تفتقر إلى الإنصاف ، والأقلية القليلة منهم هم الذين استطاعوا استيعاب اللّغة اليونانية تماما ، وبالإقامة لسنين طويلة في الشرق كان لهم أن يكتسبوا لونا من العقلية الإغريقية، أما الأغلبية فلم تكن لتصل إلى أكثر من مفهوم مقارب بعض القرب لمفاهيم العقلية الشرقية، فلغتهم اللاتينية لم تسعفها التعبيرات اللازمة لترجمة كل ما تنطوي عليه اليونانية من دقة وتدرج ورقة في المعاني، ثم أنّ النصوص المترجمة وصلت إليهم في صورة قضايا جامدة خلعت عنها أثواب المناقشات التي أدت إلى تحديدها وإثباتها ، فلم يكونوا ليفهموها إلا جملة ، ولم يكن لهم إلا أن يقبلوها دفعة واحدة دون محاولة تفسيرها.

إنّ المسيحية الحقّة هي السّلام ، والحبّ والإخاء ، والمودّة والرّحمة، ومنع كل ذلك من دعوة المسيح الإنسانية النبيلة التي دعت أتباعه إلى التعفّف من الدنيا والتعالّي على ماديّات الحياة، أما المسيحية الحاليّة فهي اليوم الخوف والكرهية والعدوان ، وأتّه ما جاء المسيح وما قامت دعوته إلاّ ليطفئ الشر الذي كان يكمن في صدور الجماعة اليهودية ، ولو أنّ دعوة المسيح خالطت اليهود ووقعت في نفوسهم الموقع الذي أرادته منهم لسكن كل شر خطير في هذا العالم، ولنامت كل فتنة مستظيرة ولما قامت الحروب المدمّرة ، ولكن أغلق اليهود قلوبهم عن هذه الدعوة الكريمة فساروا في الأرض على غير هدى. في مقابل ذلك كان المسلمون يتمتعون بمعيّار ثابت للإيمان هو القرآن الكريم كلام الله ، ولم يكن كتابهم تأويلا بشريا لشخص محمد -صلى الله عليه وسلم كما كانت الأناجيل تأويلا بشريا لشخص عيسى ، ولا مجال لعدم الاعتراف بأنّه لا نظير للقرآن من حيث استثنائه دون سائر الكتب المقدسة بتسجيل ما جاء به الرّسول تسجيلا أميناً ودون تأويل. وكان محور الخلاف أنّ المسيحيين سمحوا لأنفسهم بتأويل العهد القديم حسب إيمانهم الخاص وأضفوا على نظرياتهم صفة المطلق ، ولم يسمحوا للمسلمين وهم المتمتعون بمعيّار أدقّ وأثبت بنفس الحقوق فأنكروا عليهم مشروعية تأويل اليهودية والنصرانية وكتبها حسب مقتضيات الرّسالة المحمدية، وتشبّث المسلمون

بمنطق الدعوة القرآنية باستمرار مؤكدين على اشتراك الرسائل الدينية ، بما فيها المسيحية والدعوة إلى التوحيد الإلهي وبيان الانحرافات في المسيحية المتأخرة عن زمن عيسى وقوله بالتوحيد.

إنّ المعتقد المسيحي وقع في تأليفية زائفة إذ قام على الإيمان بوجود إله واحد خالق البشر ولكنه لجأ إل المقولات اليونانية لتفسير الإيمان وإلى المنطق اليوناني للبرهنة عليه فاشترك في العقلية والمنهجية معا ، وتجلّى دور العقل في المباحث الدينية عموما ، بحيث يكون كل عاقل ملزما بإتباعه وترك ماسوه، فقد اعتبر العقل قوة مؤسسة للحق واليقين وحكما بين الخطأ والصواب في ميدان الإيمان ، ونفيت إمكانية تعارض الحقيقة المبنية على البرهان العقلي مع الحقيقة التي يفرضها الدين الحق، إذ أنّ العقل منزّه عن الضلال إذا ما طبق قواعد المنطق تطبيقا سليما .

لقد توخى المسلمون الطرق التي رأوها أكثر ملاءمة في مناقشة المسيحيين في تأويلهم للنصوص الكتابية ولم يعتمدوا على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية إلا في نطاق ضيق جدا، متى كانت معتمدهم في عقيدة التجسد بالخصوص، وناقشوه في الأدلة العقلية والمنطقية متى كانت مستندهم في عقيدة التثليث أساسا، ولم يراعوا في الأغلب الصيغ المعبرة عن تلك العقائد بقدر ما اهتموا بها في ذاتها وفي النتائج المترتبة عنها.

فكانت ردود المسلمين على المسيحيين مهما بلغت من العنف والصرامة لا تدعو البتة إلى إرغامهم على الدخول في الإسلام ولا تدل على أية نية مبيّنة في إكراههم على ذلك، فقد كانت سماحة الإسلام في بقاء غير الراغبين في اعتناقه على دينهم من جملة ما يفتخرون به عن جدارة ولم تسع السلطة الحاكمة إلى إكراه المسيحيين وغير المسيحيين على الإسلام ، وأدى هذا الاقتناع إلى اعتبار واجب المسلم متمثلا في توضيح ما يؤمن به هو إن طلب منه ذلك، وفي التعبير عن الأسباب التي تدعوه إلى عدم مشاركة الطرف المقابل معتقداته في كنف الاحترام، مع الاستعداد النفساني إلى قبول ما هو إيجابي فيها أو في آثارها الأخلاقية.

أما ما يتّم اليوم رفضه تصلّب الفكر اللاهوتي المسيحي حول مناقشة القول بالأقائيم والأشخاص مثلا كما لو أنّها مازالت تتحوّل في واقع ذلك الفكر نفس المكانة التي كانت لهم في القديم، بالرغم من أنّ هناك اليوم تهميش ملموس للتثليث واحتفاظ به كتعبير أدبي تاريخي لا يدلّ على حقيقة ما يعتقدوه عامّة المسيحيين، مثلما أنّ عقيدة التجسد الإلهي في عيسى وأخبار ولادته البتولية وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السّماء تواجه صعوبات في فرض نفسها على عقول مسيحي هذا العصر

،فالدين المسيحي اليوم أصبح خاضعا إلى حدّ بعيد لقاعدة العرض والطلب التي تسيّر حسب الحياة الاقتصادية فأصبحت تعاليم الكنائس وتنظيماتها تحاول الاستجابة قدر الإمكان إلى رغبات جمهور المستهلكين للبضاعة الروحية والأخلاقية أو النفسية في نطاق الحياة الخاصة والأسرة ، وأزيحت منها العناصر الماورائية التي لا تجد نفس الإقبال.

إنّ القول بنفي الصلب عن المسيح يغيّر من وجه المسيحية التي كانت رسالة المسيح ذات الدعوة الكريمة مثلها مثل غيره من دعوات الرسل والأنبياء، ولتعلّق أتباعه برسالته أكثر من تعلقهم بشخصه، ولما امتد نظرهم إلى تأليهه، وتجسيد الذات الإلهية في شخصه، ولو أنّه نفي الصلب لما بقي للأناجيل تلك الصورة التي هي عليه، فقد تأخذ أوضاعا أخرى فتتخلّى عن القول بألوهية المسيح وبنبوته وعن القول بالأقانيم الثلاثة أو القول بالصلب والقيامة. لكن المسيحيين يقولون أنّ المسيح صلب والأناجيل كتبت بعد صلبه، لأنّ الأناجيل لو كتبت قبل الصلب ما كان لها أن تسجّل التنبؤات التي استدعاها كتابها من العهد القديم سواء ما كان منها خاصا بمولد المسيح أم صلبه وقيامته.

إنّ ما قمت به هو العناية بالآخر وحب الخير له والسعي إلى معرفة عقائده معرفة دقيقة ومفصّلة، والدفاع عما يعتقد أنّه الحقّ دون التفكير في إكراهه على قبوله. تلك قيم إنسانية لا يسع الباحث سوى إلزام الحياض إزاءها، وتتعدى ميدان الجدل الديني الضيق لتشمل العلاقات بين البشر وتدعم كرامة الإنسان مهما كان لونه وجنسه ومعتقدده.

إنّ ما طمحت إليه هو إلقاء الأضواء على ميدان كت أشعر باستمرار أنه مثير بسرعة للحساسيات الشديدة وأنّه في حاجة رغم ذلك إلى أن يتناول بصفة موضوعية، وهو المساهمة المتواضعة في إرساء نمط واع من التعامل مع التراث العربي الإسلامي في نظرته إلى التراث اللاهوتي المسيحي من خلال تتبع مراحل تطور العقائد فيه حتى بزوغ فجر الأنوار الحمديّة بشبه الجزيرة العربية .

لقد قمت ببيان الأدوار التاريخية التي مرّت بها العقائد المسيحية وإلى ما أحدثته المجمع من أحداث، وقد جعلت تلك الأدوار الحقائق عارية ، وقد حاولت أن أبيّن أنّ ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس هما فكرتان دخيلتان على الفكر المسيحي ولم تكونا في المسيحية الأولى ، وبهذه المحاولة نريد أن أدعو العالم المسيحي إلى عقيدة التوحيد التي لا تتحمل زيادة ولا نقصانا ، ولم تخضع لتطور ولا مجال لفكر انساني يضفي عليها شيئا من عنده أو يختصر منها شيئا بجهدده، فالوحي الذي

تَمَّ وَكَمُلَ أَيَّامَ الرَّسُولِ هُوَ وَحْدَهُ مَصْدَرُ الْعَقَائِدِ وَمَوْطِنُ الْيَقِينِ ، فِيهِ تَوْحِيدُ اللَّهِ ، وَعَقِيدَةُ الْجِزَاءِ ، وَعَقِيدَةُ إِحَاطَةِ اللَّهِ بِشُؤُونِ الْخَلِيقَةِ ، وَانْفِرَادُ اللَّهِ بِالْإِيجَادِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَنَفْيُ الشَّرْكَاءِ وَالْأَوْلَادِ ، فِي حِينِ نَسْجَلُ عَنِ الْعَقِيدَةِ الْمَسِيحِيَّةِ أَنَّ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ أَفْرَادِ الثَّالُوثِ الْمُقَدَّسِ لَمْ تَأْخُذْ وَضَعَهَا النَّهَائِي إِلَّا بَعْدَ مَجْمَاعِ كِبْرَى عَقْدِهَا آبَاءُ الْكَنِيسَةِ وَأَصْدَرُوا فِيهَا الْقَرَارَاتِ الَّتِي تَمَخَّضَتْ عَنْهَا دِرَاسَاتُهُمْ ، حَيْثُ صَدَرَ قَرَارًا يَقْضِي بِالْوَهْيَةِ عَيْسَى وَبَيْنُوتِهِ اللَّهُ ، ثُمَّ جَاءَ قَرَارًا بِالْوَهْيَةِ رُوحِ الْقُدْسِ فِي مَجْمَعٍ آخَرَ ، ثُمَّ اخْتَلَفَتْ الْمَجْمَاعُ فِي الْقَوْلِ بِاتِّحَادِ طَبِيعَةِ الْإِبْنِ وَالْآبِ ، ثُمَّ كَانَ آخِرَ أَطْوَارِ هَذَا الْإِعْتِقَادِ اعْتِبَارُ مَرْيَمَ فِي مَصَافِ الْأَلْهَةِ .

وَإِذَا كَانَتْ صَبْغَةُ الْمَوْضُوعِ قَدْ فَرَضَتْ عَلَيَّ الْجَمْعَ بَيْنَ أَغْرَاضٍ كَثِيرَةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَصْلِحُ لِيَكُونَ مَادَّةَ بَحْثٍ مُسْتَقِلٍّ ، فَلَمْ أَوْفِهَا حَقَّهَا مِنَ التَّحْلِيلِ فَأَوْجِزْتُ وَعَمَّمْتُ مَتَى كَانَ التَّفْصِيلُ يَبْعِدُنِي عَنِ مَنطِقِ الْبَحْثِ ذَاتِهِ وَإِنْ كَانَ يَقْتَضِيهِ تَشَعُّبُ الْمَسَائِلِ الْمَطْرُوحَةِ ، فَلَعَلَّ عَمَلِي يَسْهَلُ عَلَى الْبَاحِثِينَ التَّعَمُّقَ فِيهِ وَالْإِحَاطَةَ بِأَبْعَادِهِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَلِذَا يَجْدُرُ بِأَيِّ بَاحِثٍ أَنْ يَعْرِجَ فِي بَحْثِهِ فِي الْمَسِيحِيَّةِ عَلَى تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَهِيَ شَكٌّ مِنْهُ مَرِيضٌ ، فَلِذَلِكَ فَادْعُ ، وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كُتَابِهِ ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } - سُورَةُ الشُّورَى ، الْآيَاتَانِ 14-15 .

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُ الْأُمُورِ ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . آمِينَ .

### - قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم ، برواية ورش عن الإمام نافع. طبعة وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر، سنة 1405هـ - 1985م.
- 2- الكتاب المقدس: تصدره: دار الكتاب المقدس في العالم العربي، ط: 1978م.
- أ-
- 3- آ.بترى: مدخل إلى تاريخ الرومان وأدابهم وآثارهم ، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، بغداد ، ط1، سنة 1977م.
- 4- ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمان عُميّرة، دار الجليل، بيروت ، ج1، ج2، ط: سنة 1405هـ - 1985م.
- 5- ابن الخطيب: هذا هو الحق! (رد على مفتريات كاهن كنيسة)، المطبعة المصرية، مصر، ط2، سنة 1979م.
- 6- ابن خلدون: المقدمة (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ج1، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط : سنة 1984م.
- 7- ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، تحقيق : يوسف بن أحمد البكري، أبو براء، أحمد بن توفيق العاروري أبو أحمد، رمادي للنشر، الدمام ، ط 1: سنة 1418هـ - 1997م.
- 8- ابن منظور: لسان العرب ، ج2 ، دار الجليل ، بيروت ، ط : سنة 1988م.
- 9- أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي : الإعتصام ، دار اشرفية ، ج1، ج2 ، بدون تاريخ.
- 10- أبو الأعلى المودودي: المصطلحات الأربعة في القرآن: (الإله - الرب - العبادة - الدين)، تعريب: محمد كاظم سباق ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، سنة 1374هـ - 1955م.
- 11- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق: جميل صليبا وكامل عياد، دار الأندلس، بيروت، ط: 1981م
- 12- أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2: سنة

1410 هـ - 1990 م.

- 13- أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدين ، تحقيق: مصطفى السّقا، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت ، ط3 ، سنة 1985 م.
- 14- أبو خليل شوقي : الإسلام في قفص الإتهام ، دار الفكر، دمشق ، ط5 ، سنة 1982 م.
- 15- أبو عبد الله السنوسي: شرح أم البراهين في علم الكلام، تحقيق: مصطفى محمد الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط: 1989 م.
- 16- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: صحيح سنن المصطفى، دار الكتاب العربي، بيروت ، ج1، ج2 بدون تاريخ.
- 17- أجناس جولد تسهير: العقيدة والشريعة في الإسلام (تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية)، ترجمة: محمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق، وعلي حسن عبد القادر، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتاب المصري ، سنة 1946 م.
- 18- احسان حقي (مترجم) (كتاب الهندوس المقدس): منوسمري ، دار اليقظة العربية ، ط1 ، بدون تاريخ.
- 19- أحمد بن عبد الصّمد الخزرجي: مقامع الصّلبان ، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، الشركة التونسية لفنون الرسم تونس، ط، 1975 م.
- 20- أحمد فارس: معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2: 1399 هـ - 1979 م .
- 21- أحمد ديدات: هل المسيح هو الله، وجواب الإنجيل عن ذلك: ترجمة: محمد مختار ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة الجزائر ، سنة 1991 م.
- 22- أحمد ديدات: المسيح في الإسلام ، ترجمة: محمد مختار ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 1991 م.
- 23- أحمد ديدات: محمد صلى الله عليه وسلم الخليفة الطبيعي للمسيح - عليه السلام ، ترجمة: يوسف بغول، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر، سنة 1991 م.
- 24- أحمد ديدات: ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد صلى الله عليه وسلم ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر سنة 1991 م.
- 25- أحمد رضا بك: الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، ترجمة: محمد بورقيبة ، ومحمد الصادق الزملي، دار بوسلامة للطباعة والنشر ، تونس ، ط2 ، سنة 1977 م.
- 26- أحمد شلبي: اليهودية (الكتاب الأول)، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط3 ، سنة 1967 م.
- 27- أحمد شلبي: المسيحية (الكتاب الثاني) ، مقارنة الأديان ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط3، سنة 1967 م.
- 28- أحمد شلبي: الإسلام ( الكتاب الثالث)، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط3، سنة 1967 م.

- 29- أحمد شليبي: أديان الهند الكبرى ( الهندوسية.الجينية. البوذية) (الكتاب الرابع)، مقارنة الأديان، ط1966، 2م.
- 30- أحمد عبد الوهاب: دراسات في الأديان (الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام) دار النهضة العربية، القاهرة ط1979م.
- 31- أحمد عروه: الإسلام في مفترق الطرق - ترجمة: عثمان أمين، الشركة الوطنية، للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، سنة 1981م.
- 32- أحمد محمد جمال: مفترقات على الإسلام، مكتبة رحاب، الجزائر، ط5، سنة 1987م.
- 33- أحمد محمد جمال: محاضرات في الثقافة الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، ط3، سنة 1975م.
- 34- أسد جبرائيل رستم: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، المكتبة البولسية، بيروت ج1، ط1، سنة 2000م.
- 35- أحمد محي الدين العجوز: مناهج الشريعة الإسلامية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ج1 (1-3) 1403هـ-1983م.
- 36- إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي: الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، تعليق: عبد الوهاب طويلة دار القلم، دمشق، ط1، سنة 1989م.
- 37- أسعد السحمراني: الإسلام بين المذاهب والأديان، دار النفائس، بيروت، ط1، سنة 1986م.
- 38- أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ترجمة: نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ج1، ط2، سنة 1983م.
- 39- أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ترجمة: نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ج2، ط2، سنة 1983م.
- 40- أغسطس روهنج، وشلرل لوران الفرنسيين: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: يوسف نصر الله، دار القلم، دمشق ط1، سنة 1408 هـ - 1987م
- 41- الليدي دراوور: الصابئة المندائيون (الكتاب الأول)، ترجمة: نعيم بدوي، وغضبان رومي، مطبعة الديواني، بغداد، ط2، سنة 1987م.
- 42- أليكس إنكلر: مقدمة في علم الاجتماع، (الكتاب الخامس عشر)، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، ط3، ترجمة: محمد الجوهري، وعلياء شكري، والسيد محمد الحسيني، ومحمد علي محمد، دار المعارف، مصر، 1978م.
- 43- اليكسندر باراديسيس: سيرة بالتازاركوسا (البابا يوحنا الثالث والعشرين، حياته وأعماله)، ترجمة بسام اسخيطة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، سنة 1985م.
- 44- أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية (سلسلة عالم المعرفة - عدد 215)، ترجمة: خليفة محمد جراد مراجعة: محمد حمدي زقروق، مطابع السياسة، الكويت، سنة 1996م
- 45- اميل برهيه: تاريخ الفلسفة (العصر الوسيط والنهضة)، ترجمة: جورج طرايشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ج3، ط1، 1983م.
- 46- اميل برهيه: تاريخ الفلسفة (القرن السابع عشر) ترجمة: جورج طرايشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ج4، ط1، 1983م.

- 47- الإنجيل للقديس لوقا: ترجمة الأنبا غريغوريوس، تحت عضوية: زكي شنودة ، ومراد كامل، وياهو لبيب، صدر في عهد الباب شنودة الثالث؛ بابا السكندرية، دار المعارف ، القاهرة، بدون تاريخ.
- 48- إنجيل برنابا (دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ) ، تحقيق: سيف الله أحمد فضل، دار القلم الكويت ، ط2 ، سنة 1983م.
- 49- اندريه ايمار وجانين أوبوايه: تاريخ الحضارات العام ،: ( روما وامبراطوريتها) ، اشراف: موريس كروزيه، ترجمة: أسعد داغر، فريد داغر، منشورات عويدات، بيروت، لبنان مج2، ج2، ط1، سنة 1964م.
- 50- الإنسان والدين : سلسلة معارف الإنسان ، منشورات المكتب العالمي للبحوث بيروت ط :سنة 1983م.
- 51- أنور الجندي: مفاهيم النفس والأخلاق والإجتماع في ضوء الإسلام، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ط1 ، سنة 1985م.
- 52- أنيس منصور: الخالدون مائة أعظمهم محمد - صلى الله عليه وسلم ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ، ط7، سنة 1986م.
- 53- آي.ب. براناييس: فضح التلمود ( تعاليم الخاخامين السرية) ، اعداد: زهدي الفاتح ، دار النفائس بيروت ، ط2 ، سنة 1983م.
- ب-
- 54- البخاري محمد بن اسماعيل أبو عبد الله :صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ج3، ط: سنة 1422هـ.
- 55- البلاذري : فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، بيروت، دار الكتب العلمي ، سنة 403هـ - 1983م.
- 56- بن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم :الجواب الصحيح، تحقيق: علي حسن ناصر، عبد العزيز ابراهيم العسكر، حمدان محمد دار العاصمة- الرياض ، ج 2 ، ط1: سنة 1414 هـ .
- 57- بن سعد محمد: الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ج5 ، ط1: سنة 1421هـ - 2001م.
- 58- ابن كثير اسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء عماد الدين: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار اطيبة، الرياض، ج1، ط: سنة 1420هـ - 1999م.
- 59- ابن كثير اسماعيل بن عمر: المسيح عيسى بن مريم ،تحقيق: عبد الرحمان حسن محمود ،مكتبة الآداب الحلمية ،مصر، ط: 1986م.

-ت-

60- التهامي نقرة: في ضوء القرآن والسنة ( بحوث في العقيدة والأخلاق والتشريع والمعاملات وفي الثقافة

الإسلامية ) ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ط 1 ، سنة 1976م.

61- التوراة تاريخها وغاياتها ، ترجمة: سهيل ميخائيل ديب ، دار النفائس ، بيروت ، ط 6 ، سنة 1986م.

62- توماس بيرتون بوتومور: تمهيد في علم الاجتماع ( الكتاب الرابع )، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، ترجمة: محمد الجوهري ، وعلياء شكري ، ومحمد علي محمد ، والسيد محمد الحسيني، دار المعارف مص، ط 3، سنة 1978م.

-ث-

63- الثعالبي أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري : قصص الأنبياء (المعروف بالعرائس: عرائس المجالس ) ، دار الكتب القاهرة ، ط 4، بدون تاريخ.

-ج-

64- جبران خليل جبران : يسوع ابن الإنسان ، تعريب : الارشمندرت أنطونيوس بشير، دراسة وتحليل : نازك سابيارد ، مؤسسة نوفل بيروت ، ط 1 ، سنة 1982م.

65 - الجرجاني: التعريفات، تحقيق: ابراهيم الأبيأوي ، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 2002م.

66- جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، بدون تاريخ.

67- الجوزي عبد الرحمان بن علي بن محمد : زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: محمد زهير الشاويش، شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 3 ، سنة 1404هـ.

68- جوزيف سميث: كتاب مرمون (شهادة ثانية ليسوع المسيح )، ونشرته: كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة ، سولت ليك سيتي، يوتا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ط : سنة 1985م.

69- جوزيف كاير: حكمة الأديان الحية، ترجمة ك حسين الكيلاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

70- جون هارمان راندال: تكوين العقل الحديث ، ترجمة: جورج طعمة ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ.

-ح-

71- حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي دار القلم ، دمشق ، ط 1 ، سنة 1987م.

72- حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي اطواره ومذاهبه ، دار القلم ، دمشق ، ط 2 ، سنة 1987م.

73- حسن علي: هذه هي اسرائيل ( رؤية اسلامية للحقيقة الاسرائيلية) ، الكتاب الثاني ، سلسلة : أعرف عدوك ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، بدون تاريخ .

74- حسن الحاج حسن: حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1984م.

-خ-

75- خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 3 ، سنة 1986م.

76- خليل أحمد خليل: المفاهيم السياسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1 ، سنة 1984م.

- 77- خالد محمد خالد: معا على الطريق محمد والمسيح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5 ، سنة 1974م.
- 78- خليل ياسين: محمد عند علماء الغرب ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط 3 ، سنة 1984م.
- ر-
- 79- رؤف شلي: أضواء على المسيحية (دراسات في أصول المسيحية)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت 1985م.
- 80- رحمة الله بن خليل الرحمان الهندي: إظهار الحق ، دار الجيل ، بيروت ، ج 1، ج 2، ط 1 ، سنة 1988م.
- 81- رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا ( الكتاب الثالث ) المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1969م.
- 82- روجي غارودي: ماركسية القرن العشرين ، ترجمة: نزيه الحكيم ، دار الآداب بيروت ، ط 4 ، سنة 1978م.
- ز-
- 83- زكي شنودة: تاريخ الأقباط، جمعية التوفيق القبطية لجنة التاريخ والنشر، مطبعة فايقه محفوظ للتدريس المهني، القبة، ج 2 ، ط 1، 1962.
- 84- زينب محمد الحضيري: أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار الثقافة للنشر، مصر، ط 1، 1983م.
- س-
- 85- سامية مصطفى الخشاب: دراسات في الإجتماع الديني ، الكتاب الأول ، سلسلة الإجتماع الديني ، دار المعارف، مصر، ط 1، 1988م.
- 86- سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م.
- 87- سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في اليهودية والنصرانية ، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1: سنة 1418هـ - 1997م.
- 88- سعيد حوى: الله . جل جلاله ( دراسات منهجية هادفة حول الأصول الثلاثة: الله، الرسول، الإسلام) مكتبة وهبة، القاهرة، ط 4، 1995م.
- 89- السيد الباز العربي: تاريخ أوروبا ( العصور الوسطى) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1968م.
- 90- سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري ، دار المعارف ، مصر ، ط 1 ، سنة 1966م.
- 91- السموأل بن يحيى بن عباس المغربي: افحام اليهود، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، مصر، ط 1 1986م.
- 92- السموأل بن يحيى بن عباس المغربي: بذل المجهود في افحام اليهود ، تخريج: عبد الوهاب طويلة ، دار القلم ، دمشق ، 1989م.
- 93- سميح عاطف الزين: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 2، سنة 1984م.
- 94- سهيل ميخائيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد ، دار النفائس ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1985م.

95- سهيل ميخائيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، دار النفائس ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1985م.

-ش-

96- شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ، ترجمة: عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ.

97- شايف عكاشة: مدخل إلى عالم المنهج الإسلامي ( قراءة في القرآن والإنجيل والتوراة - الأمر بالمعروف ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ج 1 ، ط 1 سنة 1993م.

98- شريف محمد هاشم: الإسلام والمسيحية في الميزان، مؤسسة الوفاء ، بيروت، لبنان ، ط 1: سنة 1988م.

99- شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول (دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5 ، سنة 1980م.

100- شهاب الدين أحمد بن ادريس المالكي(القراي)،الأجوبة الفاخرة، دارالكتب العلمية،بيروت،ط1،1986م

101- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل ، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية،بيروت، ط2، ج1، ج2، سنة 1413هـ - 1992م.

-ص-

102- صابر طعيمة: الأسفار المقدسة قبل الإسلام ( دراسة جوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية)، عالم الكتب،بيروت ، ط1،1985م.

103- صابر طعيمة: الدين الحق وبنو اسرائيل ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1979م.

104- صادق جلال العظم: نقد الفكر الديني ، دار الطليعة، بيروت، ط 6 ، سنة 1982م.

105- صموئيل هنري هووك: منعطف المخيلة البشرية ، ترجمة: صبحي حديدي ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ط 1 ، سنة 1983م.

-ط-

106- مختصر تفسير الطبري ( جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني،صالح أحمد رضا، مكتبة رحاب ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية،الجزائر،مج2، سنة 1991م.

107- الطبري محمد بن جرير: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر بمصر، ج1، ط1: سنة 1422هـ - 2001م. (24 جزء)

108- الطبري محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ، ج 2 ، 1387هـ - 1967م.

-ظ-

109- ظفر الاسلام خان : التلود تاريخه وتعاليمه ، دار النفائس ، بيروت ، ط 6 ، سنة 1985م.

-ع-

110- عباس محمود العقاد: عبقرية المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث، المكتبة العصرية،بيروت،ط1،

سنة 1952م.

- 111- عباس محمود العقاد: الله، جل جلاله ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ.
- 112- عباس محمود العقاد: الإسلام في القرن العشرين (حاضرته ومستقبله)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، سنة 1969م.
- 113- عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، المكتبة العصرية ، بيروت، بدون تاريخ.
- 114- عباس محمود العقاد: عبقرية محمد ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ.
- 115- عباس محمود العقاد: ما يقال عن الإسلام، مطبعة المعارف، بومرداس، الجزائر، بدون تاريخ.
- 116- عباس محمود العقاد: الفلسفة القرآنية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ، بدون تاريخ.
- 117- عباس محمود العقاد: فلاسفة الحكم في العصر الحديث ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ، بدون تاريخ.
- 118- عباس محمود العقاد: التفكير فريضة اسلامية ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ.
- 119- عباس محمود العقاد: إبليس (هذا الكتاب عبارة عن تاريخ الأخلاق الإنسانية ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ.
- 120- عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ .
- 121- عباس محمود العقاد: ابراهيم أبو الأنبياء ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، سنة 1973م.
- 122- عباس محمود العقاد: الصهيونية العالمية ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ .
- 123- عباس محمود العقاد: الشيوعية والإستعمار، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ
- 124- عبد الله الترجمان: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، تحقيق: الطاهر المعموري ، دار بوسلامة للطباعة والنشر ، تونس ، ط4، سنة 1983م.
- 125- عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، قصر الكتاب ، البلدة الجزائر، 1981م.
- 126- عبد الحليم عويس: العقل المسلم في مرحلة الصّراع الفكري ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط1 ، 1981م.
- 127- عبد الحليم محمود: أوربا والإسلام ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ.
- 128- عبد الجبار بن أحمد الهذائي: تثبيت دلائل النبوة ، تحقيق: عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- 129- عبد الرحمان بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط1، سنة 1975م.
- 130- عبد العزيز الثعالبي: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، سنة 1985م.
- 131- عبد الغني عبود: المسيح والمسيحية والإسلام ، ( الكتاب الرابع عشر )، سلسلة: الإسلام وتحديات العصر ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط1 ، سنة 1984م.
- 132- عبد القادر محمود: دراسات في الفلسفة الدينية والصوفية والعلمية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1978

- 133- عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت ، بدون تاريخ.
- 134- عبد الغني عبود: الله والإنسان المعاصر، الكتاب الثاني، سلسلة الإسلام وتحديات العصر ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط2 ، 1981م.
- 135- عبد الكريم الخطيب: الله .. والإنسان ، دار الفكر العربي، مصر، ط1 سنة 1971م.
- 136- عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، سنة 1976م.
- 137- عبد المجيد عزيز الزنداني، أحمد أحمد سلامة، عبد الله عبد الكريم الجرائي : توحيد الخالق، بملاحظة: يوزع بجانا ، بدون دار للنشر ، ج1، بدون تاريخ.
- 138- عبد المجيد الشرقي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ،الدار التونسية للنشر ، تونس ، بدون تاريخ.
- 139- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل تحقيق: أحمد حجازي السقا ، دار الشباب للطباعة ، القاهرة ، ط1 ، سنة 1979م.
- 140- عبد الوهاب عبد السلام طويلة: الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، دار السلام المدينة المنورة، ط1، 1990م.
- 141- عبد الوهاب النجار: قصص النبياء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ط2، 1987م.
- 142- عبد الودود شلي: كيف أرى الله؟ ، دار الشروق ، بيروت ، ط2 ، سنة 1977م.
- 143- عبد الودود شلي: التزوير المقدس ، دار الشروق ، بيروت ، ط2 ، سنة 1986م.
- 144 - عفيف عبد الفتاح طيارة: اليهود في القرآن، دار العلم للملايين ، ط9، سنة 1982م.
- 145- علي الجندي، ومحمد صالح سمك ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم :أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ج2، ط2 ، سنة 1960م.
- 146- علي زيعور: أوغسطينوس ، دار إقرأ بيروت ، لبنان، ط1 ، سنة 1983م.
- 147- علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار المعارف، مصر ، ط3 ، سنة 1966م.
- 148- علي عبد الرزاق: الإسلام وأصول الحكم ( بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام )، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط1 ، 1966م.
- 149- علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نضضة مصر القاهرة، بدون تاريخ.
- 150- علي عبد الواحد وافي: الأسرة والمجتمع ، مكتبة نضضة مصر ، ط6 ، سنة 1966م.
- 151- عمر عبيد حسنة:مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ،(سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (7) )، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، بدون تاريخ.

- 152-غازي الأحمدى: الوجودية فلسفة الواقع الإنساني ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1964م.  
153-غسان خالد: أفلوطين رائد الوجدانية ومنهل فلاسفة العرب، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1983م.  
154- غسان خلف: الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية، دار النشر المعمدانية، بيروت، ط1 ، سنة 1979م.

-ف-

- 155-فؤاد حسنين علي: التوراة الهيروغليفية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ.  
156- فؤاد زكريا: دراسة لجمهورية أفلاطون ، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط : سنة 1967م.  
157-فؤاد محمد شبل: حكمة الصّين (دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ اقدم العصور ) دار المعارف، مصر ج 1 ، بدون تاريخ.  
158-فاروق اسماعيل: تأثير الإسلام على الوثنية، دراسة أنثروبولوجية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1987م.  
159-فاروق مصطفى اسماعيل: الأنثروبولوجيا الثقافية (دراسة حقلية في الثقافات الفرعية) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ج 1 ، ج 2 ، ط 1 ، سنة 1984م.

- 160-فان فولتن:السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة: حسن ابراهيم حسن، ومحمد زكي ابراهيم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط2 ، سنة 1965م.  
161-فرانسوا غريغوار: المذاهب الأخلاقية الكبرى، سلسلة زدي علما، ترجمة: قتيبة المعروفي، منشورات عويدات، بيروت، ط2، سنة 1977م.

- 162- فهمي هويدي: مواطنون لا ذميون ، دار الشروق، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.  
163-فيليب حتي: الإسلام منهج حياة - ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط2 ، سنة 1979م.  
-ق-

- 164-قاموس الكتاب المقدس: نخبه من الأساتذة اللاهوتيين، منشورات مكتبة المشعل، بيروت، ط6، سنة 1981م.  
-ك-

- 165-كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحلیم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5، بدون تاريخ.  
166-كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية - ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي - دار العلم للملايين بيروت ، ط: 1984م.

- 167-كارل ياسبرس: فلاسفة إنسانيون (سقراط، بوذا، كنفوشيوس، يسوع) ، ترجمة: عادل العوّا، منشورات عويدات، بيروت، ط1980، 2م.

-ل-

- 168-لطفي عبد الوهاب يحي: العرب في العصور القديمة( مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 2 ، سنة 1979م.

- 169- لويس غردية، جورج قنواقي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ترجمة: صبحي الصالح، وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت ، ج1، ط2 ، سنة 1978م.
- 170- لويس غردية، جورج قنواقي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ترجمة: صبحي الصالح، وفريد جبر، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج2، ط2 ، سنة 1979م.
- 171- لويس غردية، جورج قنواقي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ترجمة: صبحي الصالح، وفريد جبر، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج3، ط2 ، سنة 1983م.
- 172- لُوي كاردياك: الموريسكيون الأندلسيون، والمسيحيون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، سنة 1983م.
- م-
- 173- ماجد فخري: أرسطوطاليس (المعلم الأول)، سلسلة قادة الفكر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط1، 1958م.
- 174- مادلين هورس ميادان: تاريخ قرطاج، ترجمة: ابراهيم بالمش، منشورات عويدات، بيروت، ط1، سنة 1981م.
- 175- مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق ، سنة 1961م.
- 176- مبارك بن محمد المليي: رسالة الشرك ومظاهره، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط3، 1982م.
- 177- لماوردي أبو الحسن ا: الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادى ، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط1: 1409هـ-1989م.
- 178- محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب ، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر، سنة 1980م.
- 179- محمد إبراهيم الجيوشي: دراسات في النصرانية، دار الهدى للطباعة، القاهرة ، ط1، سنة 1988م.
- 180- محمد ابن اسحاق النديم: الفهرست - تحقيق: مصطفى الشومبي، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة 1985م.
- 181- محمد ابن حبيب البصري الماوردي: أدب الدنيا والدين ، تحقيق: مصطفى السقا، ط3، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت ، 1985م.
- 182- محمد بن أحمد بن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان، ط: سنة 1972م.
- 183- محمد أبو زهرة: مقارنات الديان (الديانات القديمة )، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط: سنة 1965م.
- 184- محمد أبوزهرة: محاضرات في النصرانية ، مطابع العزيزية، الرياض ، ط4 ، سنة 1404هـ.
- 185- محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، دار القلم ، دمشق ، ط1، سنة 1992م.
- 186- محمد اسماعيل ابراهيم: المعارج القدسية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2، بدون تاريخ.
- 187- محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني: الفلسفة الهندية (فصل من كتاب: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة)، مراجعة: عبد الحليم محمود ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.
- 188- محمد بن الشريف: اليهود في القرآن - المكتبة القرآنية (6) ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1983م.

- 189- محمد بن شريفة: حلقة وصل بين الشرق والغرب، أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون ندوات أكاديمية المملكة المغربية، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، ط: سنة 1986م.
- 190- محمد بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ (المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهيل البلخي)، مكتبة السدي، طهران، ج4، ط2، 1962م.
- 191- محمد بوالروايح: مختصر تاريخ الأديان، نو ميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2010م.
- 192- محمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون- ط2- ترجمة: عباس محمود العقاد- شركة الإستخراج الصناعي والصور الميكانيكية، تونس- بدون تاريخ.
- 193- محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ النبوة الإسرائيلية - المبحث الأولك ظاهرة النبوة الإسرائيلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، سنة 1985م.
- 194- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ج12، ط2، بدون تاريخ.
- 195- محمد رشيد رضا: خلاصة السيرة المحمدية وحقيقة الدعوة الإسلامية وكليات الدين وحكمه، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. 1981، 3.
- 196- محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط9، سنة 1399هـ- 1979م.
- 197- محمد سعيد العشماوي: تاريخ الوجودية في الفكر البشري (مذاهب وشخصيات)، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، بدون تاريخ.
- 198- محمد شكري سرور: نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1979م.
- 199- محمد الصادقي: رسول الإسلام في الكتب السماوية، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، سنة 1972م.
- 200- محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، بيروت، سنة 1330هـ.
- 201- محمد عاطف غيث: علم الاجتماع (دراسات تطبيقية)، دار النهضة العربية، بيروت، ط4، سنة 1974م.
- 202- محمد عبد الله الشرقاوي: في مقارنة الأديان (بحوث ودراسات)، دار الجليل، بيروت، ط2، سنة 1990م.
- 203- محمد عبد الله دراز: الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) دار القلم، الكويت، ط1، سنة 1970م.
- 204- محمد عبده: الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغاني ورسالة الرد على الدهريين، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، بدون تاريخ.
- 205- محمد عبده: الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1988م.
- 206- محمد عزة دروزة: القرآن والمبشرون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، سنة 1387هـ.
- 207- محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، دار الكتب الحديثة، مصر، ط1، 1964، 3م.
- 208- محمد الغزالي: صيحة تحذير من دعاة التنصير، دار نخضة مصر، ط1، بدون تاريخ.
- 209- محمد الغزالي: قذائف الحق، منشورات عويدات، المكتبة العصرية، بيروت، ط: سنة 1393هـ.

- 210- محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام ، دار الهناء للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر ، بدون تاريخ.
- 211 - محمد الغزالي: صححة تحذير من دعاة التنصير، دار نهضة مصر، ط1، بدون تاريخ.
- 212- محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والاستشراق ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط3 ، سنة 2003م.
- 213- محمد قطب: شبهات حول الإسلام ، دار الشروق ، بيروت، ط16 ، سنة 1983م.
- 214- محمد محمود الصّوّاف: من القرآن وإلى القرآن الدعوة والدّعاة، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط2، 1986م
- 215- محمد مجدي مرجان: الله واحد أم ثالث، دار النهضة العربية ، بيروت، بدون تاريخ.
- 216- محمود شلبي: حياة المسيح ، دار الجليل ، بيروت ، ط1 ، سنة 1984م.
- 217- محمود شلتوت: إلى القرآن الكريم ، دار الشروق ، بيروت ، سنة 1981م.
- 218- محمود العابدي: مخطوطات البحر الميّت، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ط: سنة 1967م.
- 219- محمود علي قراعة: الثقافة الروحية في إنجيل برنابا، سلسلة الروح الجامعية، دار مصر للطباعة، مصر، ط2، سنة 1983م.
- 220- مديحة خميس: رحلة بين أرجاء الكتاب المقدس، دار الفكر العربي، القاهرة ، بدون تاريخ.
- 221- مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، المطبعة الفنية الحديثة، جامعة الدول العربية، ط1، 1968م.
- 222- مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفارياني ابو قتيبة، دار طيبة، الرياض، سنة 1427هـ - 2006م.
- 223- مصطفى العبادي: المبراطورية الرومانية (النظام الإمبراطوري ومصر الفرعونية )، دار النهضة العربية ، بيروت ط1 ، سنة 1981م.
- 224- مصطفى العبادي: العصر الهلنستي (مصر)، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، سنة 1981م.
- 225- مصطفى كمال عبد العليم: اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان (مع مقدمة عن اليهود في العصر الفرعوني) ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ط1 ، سنة 1968م.
- 226- المعجم العربي الأساسي (لاروس) ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ألكسو، ط: سنة 1989م.
- 227- الملتقى الإسلامي المسيحي والضمير الإسلامي في مواجهتها لتحديات النمو ، الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والأبحاث الإقتصادية والإجتماعية ، ( سلسلة الدراسات الإسلامية (5) ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، سنة 1974م.
- 228- منصور عفيف: فرق أهل السنّة، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع ، قسنطينة، ط: سنة 2009م.
- 229- موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة: نجبة من الدعاة ، دار الكندي، ط2، سنة 1978م.
- 230- الموسوعة التاريخية الحديثة: (تاريخ العصر الوسيط في أوربة)، تعريب: نور الدين حاطوم، دار الفكر الحديث، لبنان، ج1، ط1، 1967م
- 231- الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد صادق، مراجعة: زكي نجيب

محمود، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.

232- المير اسماعيل علي : السلالات البشرية ، مؤسسة عز الدين للطباعة ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1982م.

233- ميخائيل ضومط: توما الأكويني ، ( سلسلة قادة الفكر ، عدد (1) ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط1 ، سنة 1956م.

234- ميشال الحايك: المسيح في الإسلام ، بيروت ، ط2 ، سنة 1961م.

-ن-

235- نبيل محمد توفيق السّمالوطي: الدين والبناء الإجتماعي، دار الشروق، جدة السعودية، ط1، سنة 1981م.

236- النسائي- السيوطي: سنن النسائي بشرح المحافظ جلال الدين السيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط4: سنة 1414هـ-1984م.

-ه-

237- هارولد آيدرس بل: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي (دراسة في انتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها)، ترجمة: عبد اللطيف أحمد علي، دار النهضة العربية للطباعة والبنشر، بيروت ط3، سنة 1973م.

-و-

238- وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ترجمة: ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981م

239- وسام عبد العزيز فرج : دراسات في التاريخ الإجتماعي والإقتصادي في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية ، مصر، ط: 1985.

240- ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، أنفقت على ترجمته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة ، مج 3 ، ج 2 ، ط2: سنة 1964م.

-ي-

241- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب : تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا ، ج1، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1: 2010م.

242- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار الكتاب المصري القاهرة، ط1، سنة 1946م.

### -المراجع الأجنبية:-

243- Muller. History of ancient sanskrit literature.

244- Gilson :L'esprit de la philosophie médiévale. Tome I et tome II.

245- F. Prat. La théologie de saint poule.

246- THE HOLY BIBLE. Containing the Old and New Testaments, Set Forth in 1611, and commonly known as the King James Version: American Bible Society, New-York.

247- André CHouraqi=La Pensée juive, Que sais-je? Cinquième -5édition corrigée ;presses universitaires de France .avril 1989.

248- Que sais-je ? Le Nouveau Testament ; oscar cullmann de l,nstitut, amprimerie des presses universitaires de France ; 1991.

249 - Ernest Renan : Judaisme et Christianisme ; Textes présentés par Jean Gaulmier, Vol.2 , 1977 ,Copernic, p31. ( la méthode expérimentale en religion).

250-Jean-Claud Barreau: L,aujourd'hui des évangiles; aux éditions du seuil ;paris 1970

251 -Ali bouamama : la littérateur polémique musulmane contre le christianisme de puis ses irigines jusqu,au xill siècle. Entrepris nationale du livre , aljer 1988.

252-Mircea Eliade : Aspects du Mythe, éditions Gallimanrd ,université de chicago ,1963.

### - المجلات :

253- مجلة الفيصل: العدد 89، ذو القعدة 1404 هـ السنة الثامنة آب (أغسطس) 1984م، رئيس

التحرير: علوي طه الصافي، دار الفيصل الثقافية، الرياض، العربية السعودية.

254- مجلة الفيصل: العدد 105، ربيع الأول 1406 هـ السنة التاسعة ، تشرين الثاني (نوفمبر) ، كانون الثاني

(ديسمبر) سنة 1985م.

255- مجلة منار الإسلام : العدد الأول، السنة الرابعة عشرة ، تصدرها :وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في

دولة الإمارات العربية المتحدة غرة محرم 1409 هـ - 16 أغسطس 1988م.

## الفهرس العام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



- فهرس آيات القرآن الكريم:

رقم السورة	اسم السورة	( الآية / الصفحة )
1	الفاتحة	[ (7/4) ] ، [ (10/4) ] ، [ (6-388/7) ] .
2	البقرة	[ (23/38-37) ] ، [ (18/38-37) ] ، [ (12/38-37) ] [ (313/281) ] [ (312/164) ] ، [ (303/57) ] ، [ (44/148) ] [ (323/62) ] ، [ (321/146) ] ، [ (320/260) ] ، [ (320/37) ] ، [ (331/133-132) ] ، [ (331/213) ] ، [ (324/37) ] ، [ (253 ، 87) ] ،
3	آل عمران	[ (73/59) ] ، [ (62/59) ] ، [ (10/19) ] ، [ (9/85) ] ، [ (7/19) ] [ (274/46) ] [ (181/59) ] ، [ (172/45) ] ، [ (74/47-45) ] /85) ] ، [ (300/49) ] ، [ (298/43،45) ] ، [ (297/58،68) ] ، [ (320/49-48) ] ، [ (314/7) ] ، [ (304/59) ] ، [ (301

159-156)،[(73/171)]،[(60/171)]،[(10/125)] [(293/171)] ،[(286/171)]، [(270/171)]،[(182/ [(321/157-155)]،[(298/171)]،[(297/171)]، ،[(337/171)]،[(328/157)] ،[(324/158-156)]،[(	النساء	4
[(60/73-27)]،[(60/17،18)]،[(58/110)] -112)]،[(181/75-71)]،[(73/77)]،[(61/110)]، )،[(288/73)]،[(288/72)]،[(259/72)]،[(182/115 [(300/110)] [(298/75)]،[(293/116)] ،[ (288/75 [(332/44)] ،[(331/111،44)]،[(319/75)] [(344/46)]،[(341/46)] [(334/44)]	المائدة	5
،[(383/164)]،[(324/164)]،[(313/164)]،[(5/76)] .[(405/20)]	الأنعام	6
،[(341/157)]،[(312/54)]،[(23/172)]،[(12/172)]	الأعراف	7
،[(259/31-30)]،[(107/30)]،[(60/30)]	التوبة	9
،[(334/37)]،[(332/9-68)]،[(319/68)]،[(313/5)]	يونس	10
،[(332/119-118)]	هود	11
.[(10/76)] ،[(7/7-6)]	يوسف	12
.[(300/38)]	الرعد	13
،[(319/9)]،[(298/29)]،[(50/13-11)] ، [(39/9)]	الحجر	15
،[(321/33)]،[(304/55)]،[(274/3-29)]،[(60/88)] ، [(344/30)]،[(338/36)] ،[(324/91-87)]	مریم	19
[(320/20-19)]،[(320/115)][(21/120)] .[(324/122)]،	طه	20
[(315/22)]، [(62/91)]	الأنبياء	21

[323/14]	المؤمنون	23
[10/2] ، [45/45-43].	النور	24
[313/40]	النمل	27
[12/30] ، [45/22].	الروم	30
[36/46] ،	سبأ	34
[268/36].	فاطر	35
[62/87] ،	ص	38
[300/78].	غافر	40
[39/53] ، [44/53] ،	فصّلت	41
[10/13] ، [298/52]	الشورى	42
[36/22] ، [61/59] ، [259/59]	الزخرف	43
[45/7-6] ، [313/29].	ق	50
[320/1].	القمر	54
[254/28]	الحديد	57
[304/11].	التحریم	66
[268/14].	الملك	67
[313/19].	المزمل	73
[94/10-1] ،	البروج	85
[286/3].	البلد	90
[298/4].	القدر	97
[10/6] ، [9/6] ،	الكافرون	109
[312/4-1] ، [297/4-1].	الإخلاص	112

- فهرس ( العهد القديم) (\*) من (الكتاب المقدس) :

الرقم	اسم السفر	ع.إصحاح	الإصحاح: الفقرة / الصفحة.
1	التكوين	50	[8/30:5] ، [48/7-20:3] ، [59/1:1] ، [3]:

،[26-12 :38]،[172/2-1 :6]،[78/12-8 :5]،[240/19-1:14]،[215/31-1:1 :4]،[291/1:26]،[289/17:7]،[262/24 :4]،[319/9:11]،[304/1:3]،[303/5:24] -14 :33،12-1 :18) ،[336/13-12 :28] .[343/38-30 :19 ،17			
:4) ،[54/ :3] ،[49/2-7:1] ،[48/4:16] :20) ،[65/1 :7] ،[63/22 :4] ، [61/22 :4] ، [71/22 :4] ،[68/7 :20] ،[65/17-1 /3:15،4:5] ،[259/1:13،1:22] [90/18 ) ،[303/15:27) ،[299/20:4) ،[289 :1] .[335/25-24 :5،23-20:1	40	الخروج	2
،[335/4 :19) ، [108/26 :20)	28	اللاويين	3
-11:16) ،[89/21:14) ،[80/2-35:1) .[109/17	36	العدد	4
:6) ،[63/14:1) ،[61/32:6) ،[49/5:31) :34) ،[68/26 :33) ،[68/26 :33 ، 4،4:35 ،[91/8-5 :34) ، [87/10 :34 ،6 -1 :14) ،[91/10-9 :6،31-5 :34 ،5 :1) -6 :13) ،[264/23 :21) ،[172/5 :32 ،2 .[335/5-4 :6) ،[318/9	34	الثنية	5
. [80/27 :9)	24	يشوع	6
. [125/3:7،2:19) ،[55/3،17:10-17:5)	21	القضاة	7
/20 :19) ،[50/10:11) ،[49/10-9:6) -18 :9) ،[55/6-9:5) ،[50/18:10) ،[50	31	صموئيل 1	9

.[(77/17-16 :9)],[(77/13 :19)],[(55/19			
. [(53/19 :24 ،11 :24)]	24	صموئيل 2	10
/22-18:21)],[(55/26:18)],[(53/34:1) :1)] ،[(68/60 :8)],[(57/24-18:18)],[(56 .[(125/14-13 :7)]، [(107/34-32	22	الملوك الأول	11
،24 :17)],[(77/4 :18)],[(55/15 :3 ،8 :1)] -34 :4)],[(262/11 :2)],[(112/46 -17:26 .[(302/ 7-1 :4، 35	25	الملوك الثاني	12
.[(89/29 :29)] ،[(83/21:1)] ،[(63/28:6)]	29	أخبار الأيام لأولى	13
.[(128/20 :8)]	10	عزرا	15
[(335/6 :9)]	13	نحميا	16
.[(68/32 :9 )]،[(65/9-7 :42)]	42	أيوب	18
[(63/7 :2)]،[(62/28-89:26)]،[(59/2:7)] :145 ،4-2 :120 ،13 :50)]،[(276/7 :45)]، ، [(299/13	150	المزامير	19
.[(299/23-22 :8)]	31	الأمثال	20
.[(317/7 :12)]	12	الجامعة	21
/16 :63)]،[(56/8-28:7)]،[(54/2-1:1)] -21 :24)]،[(68/44:6)]،[(65/19:19)]،[(63 -19 :26)]،[(84/1 :45)]،[(77/1 :27 ،22 -44:6)]،[(115/17-1:11)]،،[(103/21 ،[(319/9:6)]،[(317/8-25:6)]،[(290/7 [(335/5 :45)]	66	أشعيا	23
:23)]،[(55/15 :11،23 :23)]،[(54/4-1:1)] -8 :25)]،[(56/15-14 :9،27 :27)]،[(56/9	52	إرميا	24

-21 :30)،[(63/9 :31)] ،[(57/4 :29، 12 /9-8:8)]،[(115/24-21::7)]،[(102/22 .[(304/14 :33)]،[(176			
[( 63/37:14)]،[(62/11:5)]،[(49/14 :11)] .[102/25-24 :34)]،	48	حزقيال	26
.[(77/2 :12)]	12	دانيال	27
:3)]،[(71/1 :1)]،[(57/2-4:1)]،[(54/1:1)] ،[(103/2 :6)]،[(102/5-4	14	هوشع	28
.[(114/12-11 :2)] ،[(49/8 :3)]	9	عاموس	30
/17 :1)]،[(57/3:10،7:12)]،[(54/1:1)] .[(103	4	يونان	32
[(134/6-2 :7)]،[(54/3-1 :1)]	7	ميخا	33
.[(403/3 :3)]	3	حبقوق	35
.[(54/5-1 :1)]	3	صفنيا	36

(\*) - عدد أسفار العهد القديم 39 سفرا ،وجملة إصحاحاته: 929 اصحاحا.

- فهرس (العهد الجديد) من (الكتاب المقدس):

، 9:5 ،45 :5)] ،[(59/33 :12)]،[(59/9 :5)] ،(95/19 :28)،[(64/14 :6 ،9 :6 ،6 :8 ،4 :6 -21 :7) ]،[(66/ 9 :15 ،14 :6 ،4 :6)] :4 ،23-19 :2 ،15-13 :2)]،[(67/17 :23،3 -9 :23 ،9 :57،21 :13 ،46 :27)]،[(69/8 -31 :25)]،[(71/9-8 :5)] ،[(70/10 ،14،15 :26)] ،[(94/20 :2) ]،[(78/46 -1 :6 ،25 :23 ،11 :15 ،26 :16)]،[(94/16	28	متى	1
---	----	-----	---

:24) ، [(102/17 :5 ، 30-25 :6)] ، [(101/4 /20 :8)] ، [(105/24-24:23)] ، [(104/5-4 [(123/21 -22:16)] ، [(121/16:26)] ، [(121 :12)] ، [(127/14-11:10)] ، [(123/9:9)] :26 ، 38 :26 ، 16 :10 ، 30 :12 ، 50-46 :9 ، 27-24 :7)] ، [(132/39 :26 ، 45-40 :9 ، 13-9:17 ، 11:16)] ، [(136/18 ، 9:16-14 ، 33 :13 ، 32-31 :30 ، 13-24 :13 ، 8-3 ، [(137/48 -47 :46 ، 13-45 :13 ، 44 :13 ( :25-23 :18 ، 13-11 :18 ، 52-51 :13 )] :22 ، 45-33 :21 ، 32-28 :16 ، 21-1 :20 ، 20-14 :13 ، 25-1 :25)] ، [(138/14-2 50-15 ، 12:46-2:7)] ، [(139/46-25:31 35-19 ، 26:34-16:18)] ، [(142/22:16 ، [(148/9-3:7)] ، [(146/1:1 ، 2:1)] ، [(143/ [(30-22:23)] [(150/21 ، 5:7-22:17)] ، ، 18-16 :6 ، 17-16 :6 ، 5 :6 ، 5-3 :7)] ، ، 7-5 :23 ، 12-11 :8 ، 50 :12 ، 4-6 :3 ، 48-21 :5)] ، [(151/30-27 :23 ، 24 :23 ، 28 :16 ، 25 :6)] ، [(152/12 :19 ، 17 :9 ، [(153/ 11 :13 ، 33 :6 ، 14-5 :24 :24)] ، [(155/10-7 :7)] ، [(154/28 :16)] :7 ، 2 :7 ، 6 :7 ، 13-1 :25 ، 37 :23 ، 28 :4)] ، [(156/16-13 :5 ، 12 :9 ، 46 :5 ، 16 :20 ، 10-13 :16)] ، [(157/4-1 :10 ، 21-20

[(165/18-1 :1)], [(158/14-9  
 ،17-14 :3)], [(170/16 :2 ، 15 -13 :2)]  
 :23)], [(172/32 :6 ، 6:9)], [(171/17-1 :4  
 -6 :28 ،53-27:51 ،13 :21 ،3-1  
 :16 ،20-18 :16 ،17 :1،5 :1)] ، [(173/10  
 ، [(175/17 :1)] ، [(174/4-2 :10، 23-21  
 ،43-38 :5 ،27 :5 ،17 :5 ،2 :1 ،35 :9)]  
 :27)], [(178/61 :26)], [(177/19 :19 ،9 :8  
 -46 :12)], [(196/28-26 :26)], [(187/63  
 :25،26-23 :26)], [(199/56-55 :13 ،48  
 :26 ،57 :26، 52-50 :26)], [(261/24  
 :27 ،70 :26 ،66 :26)], [(262/61 :60،26  
 :27)], [(263/44 :27، 21 :14،15  
 ،16 :28 ،9 :6،28 :26 ،2 :28)], [(264/53  
 :26 ،19 :20)], [(266/46 :27، 17 :28  
 -19:16)], [(268/11:3)], [(267/38  
 -22 :14)], [(274/20-18 :1)], [(272/17  
 :28 ، 17 :5 ، 19 :28)], [(275/4-1 :8 ،30  
 [(296/19 :28)], [(294/1:23)], [(290/19  
 ، [(299/16:16 ،17: 1،3 :1)]،  
 ،46 :27)], [(300/57 :13 ،11 :4 ،10 :4)]  
 -19 :14)], [(301/36 :24 ،17 :19  
 [(305/39 :12 ،19 :11 ،20 :8)], [(303/21  
 :10،13-8 :23 ،17-16 :19 ،11-1 :4)]،  
 ، [(316/25 :6)], [(306/11-10: 21 ،57-56

<p>:11] ،[(319/40 :10)،[(318/14 :10)  ،[(320/20 :8 ،38 :12 ،25  :11،7-28 :1)،[(326/5-3 :27 ،46 :27)]  :22 ،45 :27)]]،[(327/46-31 :25 ،23-22  ،[(336/10 :4)]،[(329/42-41</p>			
<p>:12] ،[(68/32-28 :12)] ،[(59/28 :2)]  ،[(126/14:61)]،[(123/2:14)]،[(102/17  /22: 1)]،[(131/1:22)]،[(126/10-11:9)]  :4 ،18-17 :2)]،[(132/13: 12)]،[(132  ،[(142/33-31 :3)]،[(139/29-26  ،[(154/ 24 :13، 19 :13)]،[(153/27 :2)]  -14 :6)]،[(157/19-13 :3 ،20-19 :1)]  -6 :16 ،25 :15)]،[(166/1 :1)]،[(158/15  [(176/20-16:9)]،[(174/1:1)]،[(173/14  ،[(187/22 :1)]،[(177/14 :1)]،  :8)]،[(199/33-31: 3)]،[(193/19: 16)]  :14 ،20 :14)]،[(260/45 :10)]،[(252/29  :14 ، 53 :50،14-48 :14)] ،[(261/44-32  :15 ، 5: 15)]،[(262/58 :14 ،57 :14 ، 54  :9 ، 6 :16)]،[(265/8-1 :16)]،[(263/32  :12)]،[(266/16 :16 ، 16 :14 ،16 :12 ،16  -40 :1 ،52-45 :6)] ،[(272/31-29  :6)]،[(299/11 :1)]،[(295/2:5)]،[(275/45  ،2 :6)] ،[(301/32 :13 ،18 :10)]،[(300/4  ، 35 :10، 38 :9) ]،[(305/62 :14 ،12 :9</p>	16	مرقس	2

<p>:12 ،10 :2)],[(318/29-28 :10)],[(306/  [(326/8-15:34,16:1)],[(320/8,2:28  ،[(329/33 :15)],[(327/19 :16)],[  [(336/32-29 :12 ،29 :12)]</p>			
<p>:1) ، [(62/38 :3)],[(59/8 :18 ،22 :17)  [(69/13 :6)],[(62/38-1:26)],[(62/15-13  [(71/38-23 :3)],[(70/19 :18 ،16 :7)],[  ،[(122/14-12 :19)],[(101/3 :17:6,17)],[  :12)],[(128/4-3:1)],[(128/7-2:2)  -23 :12)],[(134/53-51 :12) ] ،[(133/49  ،[(135/14-11 :18 ،35-27 :6)],[(135/28  -25 :10 ،50-36 :7)],[(136/25-5 :1)  ،21-16 :12 ،13-5 :11)],[(139/37  :15 ، 33-31 :14 ،24-16 :14 ، 9-13:6  :18 ،31-19 :16)].[(140/32-11 :9,15-8  /37 :11)],[(146/2:21)].[(141/14-10  ، 13 :12)],[(148/52 :2 ،40 :2)],[(147  ،5 :6)],[(150/48-47 :7)],[(149/14 :12  /12 :11)],[(155/11:9)],[(153/19:11  -41 :2 ،24-21 :2)],[(167/4 :1)],[(156  ،[(174/16-13: 1:1,6) ] ،[(171/53  :8)],[(176/4-1:1)],[(175/31-3:23)  ، 22 :21)]][(260/19 :18) ] ،[(199/20-19  ،[(262/71-54 :22)],[(261/44 :22  ،[(263/41 :23 ، 32 :23 ، 26 :22)]</p>	<p>24</p>	<p>لوقا</p>	<p>3</p>

<p>-41 :24 ، 37 :24 ، 24 :26، 24 :13) ]  [267/43 :22، 36 :22) ] ، [266/42  [275/11 :16، 13-5:12] ، [268/22:67)  [290/20:37) ] [276/31 :22 ، 13-1 :4)  [301/18:19) ] [300/32-4:24، 1:28) ] ،  -46 :23 ، 1:2) ] [303/24: 17، 8-9:13) ] ،  ، 38 :9 ، 45 :8 ، 5 :5 ، 12 :6) ] ، [304/ 47  :9) ] ، [318/43 :23) ] ، [306/11:45، 17:13  :5، 6 :9، 32 :12 ، 34: 7، 19 :11، 50  :43، 22-36 :24 ، 27-1 :24) ] ، [320/34  .[336/10:21، 7:16) ] ، [23:44) ] ، [327/31</p>			
<p>-17 :20) ] ، [60/40 :8) ] ، [59/17 :20) ]  -3 :17 ، 17 :20) ] ، [63/26 :14) ] ، [62/18  ، 35-34 :10) ] ، [64/1 :3 ، 12 :1) ] ، [68/4  :1 ، 12 :1) ] ، [66/30 :5 ، 4-1 :1 ، 18 :3  -41 :11 ، 4 :1) ] ، [69/44 :5) ] ، [67/1  :12 ، 44 :12) ] ، [69/27 :12 ، 22 :42، 11  ، [71/18-20:17) ] ، [70/50-49  -1 :8) ] ، [127/53 :7 ، 45 :1) ] ، [73/1:14)  :21 ، 20:2) ] ، [156/44 :35، 4 :6) ] ، [149/7  -24 :21 ، 31-30 :20) ] ، [168/5-1 :24، 1  /15-19:14) ] ، [169/14-25، 21:1  [1745:31/8:14، 11-1:1، 10:8) ] ، [173  /5-7:3) ] [196/51: 6) ] ، [185/4 :1) ]  [209/14 :1:1، 1) ] ، [199</p>	21	يوحنا	4

<p>[(261/26 :13)],[(260/10:11,3:16)]          -18:36)],[(262/27-8,18:15-18:3)]          20:11)],[(265/19:40)],[(263/40,19:17          ،26,20:20 :18,20:17,20:24,20-          -16,7:19,7:33 :3)],[(266/20:22,20:25          [(268/20:15)],[(267/34,12:13          ،[(275/7-9:1)],[(272/3:17)]          [(289/30 :14:10,10)],[(276/14:30)]          :2, 3 :13,1 :3, 5-1 :1)],[(290/3 :17)],          :18,8 :1)],[(296/17-16 :14)],[(295/25          :6)],[(300/30 :6:38,5)],[(299/58,20:17          :11)],[(305/40 :8 ،51 :1)],[(304/64          ،[(320/34 :4)],[(319/6 :15)], [(318/26          [(336/14 :6 ،3 :17) ]],[323/29-27 :5]</p>			
<p>:2)],[(130/28 :26 ،26 :11)],[(63/4 :2)]          ،[(163/35 :20)],[(141/36-32          ،15 :17,5 :5)],(269/1 :1),(264/2-1 :1)          :11 ،57 :7 ،9 :6)],[(183/32 :4 ،44 :2          :7 ،26 :8)],[(187/1 :8 ،1 :4)],[(184/19          :21)],[(188/26 :11 ،20-19 :11، 59-58          -1 :20,9-19 :22 ،3 :8 ،3 :22 ،39          -7 :15 ،18-12 :26 ،5-4 :22 )],[189/2          ،[(191/3 :22) ] ،[(190/40-38 :5، 8          :55,11 :7)],[(192/9 :22 ،7-1 :9)]          :21)],[(194/27-26 :9 ،36 :4)],[(193/19</p>	<p>28</p>	<p>أعمال الرسول</p>	<p>1</p>

،[(197/29-28 :15، 30 :9)]،[(196/26 -25 :11 ، 26 :4 ، 15 :13)][(199/17 :12)] -36 :15 ، 12 : 15 ، 2 :13 ، 24 :11 ، 26 ،10 :4 ، 13 :3 ، 24-22 :2)]،[(307/ 40 . [(328/27 :2)] ، [(326/40 :10			
:16 ، 7-1 :1)]،[(63/29 :8)]،[(63/9 :8)] . [(336/30 :3)][(328/7 :10)]،[(199/21-1	16	رسالة بولس إلى رومية	6
[(196/26-11:25)]،[(195/15:28،8:6)] :7 ، 4-1 :7)]،[(198/3-1 :15 ، 25-22 :1)] [(238/23 :15:12،11)]،[(200/8،9:1 [(252/12:3)] [(251/38-7:36)]، [(326/14 :15)]،[(318/13 :15 ، 17 :15)]	16	رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس	7
. [(268/10 :5)]،(137/14 :3)	16	رسالة بولس .الثانية إلى كورنثوس	8
:17،2 :1 ، 19-18 :1)]،[(189/14-13 :1)] . [(336/20 :3)]. [(328/13 :3)] ، [(197/8	6	رسالة بولس إلى غلاطية	9
،[(194/11-9 :2)]، [(189/ 5 :3)]	4	رسالة بولس. إلى فليبي	11
. [(307/10 :4)]	4	رسالة بولس.إلى كولوسي	12
. [(200/14 :3)]	6	رسالة بولس. الأولى إلى تيموثاوس	15
. [(200/16-9 :4 ، 15 :1)] ، [(192/15 :1)]	4	رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس	16
[(304/2-1:1)]،[(303/11:5)][(295/13:8)]	13	رسالة بولس إلى العبرانيين	19
[(328/19 :3)] ، [(166/14 :5)]	5	رسالة بطرس الأولى	21
. [(273/4-3 :1)]	3	رسالة بطرس الثانية	22
. [(270/7 :5)]،[(252/22 :2)]، [(71/1 :3)]	5	رسالة يوحنا الأولى	23

رسالة. يوحنا الثالثة	1	[1: 207/9]. هذه الرسالة ذات اصحاب واحد فقط.
رسالة يهوذا	1	[1: 210/6-1].
رؤيا يوحنا	22	[17: 159/18-1]، [18: 176/19-22]، [4: 317/14-1 : 20، 8-1]
- إنجيل برنابا		[14: 307/17-9]، [فصول: 91، 92، 93، 309/94]، [1: 4، 2: 10، 10: 4-1، 52: 10-13، 93: 2، 9، 206، 10: 310/5-2]، [10-13: 311/20-220، 6-5: 212].

### - فهرس الأعلام:

أ - أ - أ - ب - (آ. بتري: 395) / (إبراهيم - عليه السلام: 2، 5، 10، 48، 49، 76، 80، 81، 84، 86، 87، 89، 95، 140، 146، 148، 151، 164، 173، 283، 289، 298، 320، 333، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

أ-ر - (أرخلاوس " الملك " : 68 ، 122) / (أرسطو: 96، 97 ، 98، 99 ، 100، 270، 324) / (أرميا: 53 ، 55 ، 57 ، 63 ، 87 ، 102 ، 104 ، 113 ، 115 ، 154 ، 176 ، 304) / (أرنست رينان: 39) / (أرنولد توينبي: 4 ، 74 ، 81 ، 82 ، 145 ، 146 ، 200 ، 206 ، 220) / (آريوس: 206 ، 220 ، 221 ، 222 ، 223 ، 231 ، 233 ، 240 ، 243 ، 255 ، 277) .

أ-س - ( أسبوس الشاعر: 193) / (استفانس: 188 ، 258) / (استفانوس: 189) / (أستير: 87) / (اسحاق التبي: 53 ، 81 ، 89 ، 151 ، 289 ، 309) / (أسدراوس: 84) / (اسرائيل النبي: 61 ، 63 ، 68 ، 67 ، 70 ، 80 ، 120) / (الإسكندر الأكبر: 206) / (إسماعيل عليه السلام: 53 ، 304 ، 309) .

أ-ش - (إشعيا: 53 ، 55 ، 63 ، 65 ، 67 ، 76 ، 87 ، 95 ، 103 ، 104 ، 113 ، 115 ، 154 ، 186 ، 210 ، 289 ، 317 ، 319 ، 335) .

أ-غ - ( اغريباس : 130) / (أغسطس: 104 ، 121 ، 184 ، 191) / (أغناطيوس: 210 ، 211) .

أ-ف - (إفرايم: 63) / (أفلاطون: 85 ، 97 ، 98 ، 212 ، 214 ، 270 ، 347 ، 379 ، 380) / (أفلوطين: 96 ، 97 ، 105 ، 212 ، 215 ، 235 ، 236 ، 237 ، 247 ، 272) .

أ-ك - (أكسناياس المونوفيزي: 257) / (اكليمينضس السكندري: 210 ، 214 ، 228 ، 251) .

أ-ل - (إلياس: 72 ، 262) / (أليسع: 72 ، 87 ، 113) / (أليشع: 53 ، 302) / (إليصابات: 62 ، 136) .

أ-م - (أمبروزيوس: 167 ، 228 ، 231) / (آمون ساكس: 212) / (أمونيوس ساكاس: 105 ، 215) / (إميل برنوف: 20) .

أ-ن - (أنثياوس: 122) / (أنتيخوس ابن أورشطوبوتس: 122) / (اندرأوس الحواري: 174 ، 157) / (أندريا: 184) / (أنطونيوس: 252 ، 257) / (أنطيوخوس الرابع: 81) / (أنيس منصور: 193) .

أ-و - (أوتبخيس: 230) / (أوجست ساباتييه: 40) / (أوريا: 392) / (أورليان: 220) / (أوريجينوس: 116 ، 152 ، 204 ، 212 ، 215 ، 216 ، 218 ، 228 ، 237 ، 238 ، 240) / (أوزيبوس القيصري: 181 ، 257) / (أوزيبوس النيقوميدي: 181) / (أوغسطين: 75) .



ب-ت - (تاتيانوس: 214)/(تالمون: 16)/(توديوس الصغير: 223)/(تايلور ادوارد: 11، 14، 20، 26).

ت-ر - (ترتوليان: 116، 216، 217، 237)/(تراجان: 202، 207)/

ت-و - (تولتسوي: 61)/(توماس بيرتون بوتومور: 14)/(توماس الحواري: 162، 174، 175، 184، 266، 339).

ت-ي - (تيطس الروماني: 111، 112، 209) / (تيموثاوس: 192، 200، 209) / (تيودوسيوس الثاني: 230).

ث(أ-ي) - (ثاوفيلس: 159، 166، 167، 175) / (ثامار: 215) / (ثيودوسيوس: 226، 232، 244، 277) / (ثيودوروس: 223، 227، 257) / (ثيوفيلس: 257).

ج-أ - (جاد النبي: 53) / (جاليريوس المبراطور: 203).

ج-ب - (جبران خليل جبران: 147).

ج-ل - (جلاسيوس الأول: 308).

ج-م - (جمليل (غملائيل): 190)

ج-و - (جوستين يوستينيانوس: 213، 214) / (جوزيف سميث: 160) / (جوزيف كاير: 141)

/ (جوليان: 204) / (جون هرمان راندال: 247، 253) / (الجويني: 162، 286) / (جويوه: 20).

ج-ي - (جيروم: 204) / (جيمس أخ المسيح: 128) / (جيمس فريزر: 20) / (جيوفونز: 29).

ح-أ - (الحاكم "المحدث": 360) / (حام: 89).

ح-ب - (حقوق: 53، 87، 113).

ح-ج - (حجي: 53، 87)

ح-ز - (حزقيال: 53، 62، 72، 76، 87، 102، 154).

ح-س - (حسن ظاظا: 105، 116)

ح-ن - (حنّا: 184) / (حنانيا: 107، 128) / (حناهيركانوس "الكاهن": 113).

ح-و - (حواء: 173، 260، 318، 337).

ح-ي - (حيرام: 125).

خ- [أ-ز-ل]- (الخرزجي: 263، 279، 294) / (الخضر - عليه السلام: 53) / (خليل سعادة: 309).

د- [أ-ق-و-ي]- (دان: 8) / (داقنيوس "الحاكم": 254) / (داماسيوس: 232) / (دانيال: 53، 87) / (داود عليه السلام: 53، 59، 61، 62، 63، 63، 73، 76، 80، 83، 84، 100، 102، 103، 107، 116، 126، 146، 164، 171، 172، 215، 263، 283، 299، 329، ) / (دقلديانوس: 203، 254) / (دوركاييم: 11، 14، 15، 18، 19، 27، 28، 30، 34، 35، 36، 40، 43، 45) / (دولباخ البارون: 41) / (دوميثيانوس: 211) / (دوناتس النحوي: 232، 255) / (ديسقورس: 224، 227، 230، 244) / (ديصان: 162) / (ديفاكي: 129) / (ديكارت رنيه: 40) / (دينوسيوس الصغير: 127، 218) / (ديوروس الطرسوسي: 27) / (ديوكليسيان: 203) / (ذي الكفل: 83).

ر- [أ-ح-ش-و-ي]- (راعوث: 87) / (راحيل: 8) / (رؤوف شلبي: 188) / (رحمة الله الهندي: 167، 176، 295) / (رشيد الناضوري: 3، 5) / (روبرت سبنسر: 11) / (روجيه غارودي: 41، 234) / (روفين الراهب: 204) / (ريفيل: 20).

ز- [ر-ك-ن-ه-ي]- (زرادشت: 217) / (زروابال بن شلتيميل: 56) / (زكريا النبي: 53، 62، 85، 87، 100، 113، 136، 298، 371) / (زنوبيا: 217) / (زهدي الفاتح: 92) / (زيد بن ثابت: 364، 365) / (زينب محمود الحضري: 98، 99) / (زينون: 85، 97، 118، 119) / س- [أ-ب-ع-ف-ق-ل-م-ه-ي]- (سالمون ريناك: 20) / (سالومة: 265) / (سام: 89) / (سامية مصطفى الخشاب: 11) / (سايل "المستشرق": 309) / (سبارتاكوس: 121) / (سبنسر هيرت: 14، 19، 20، 24، 27) / (سبينوزا: 91، 160، 278، 377) / (سعد بن معاذ: 398) / (سفيرس: 254) / (سقراط: 97، 98، 99) / (سلفان بيريسيه: 20) / (سليمان - عليه السلام: 53، 56، 63، 87، 88، 102، 103، 107، 113، 125، 135، 175، 215، 299، 391) / (السمالوطي: 11، 43) / (سمعان: 139) / (سمعان حامل الصليب: 207) / (سليمان مظهر: 14) / (سهيل ديب: 83، 91) / (سيريانوس: 217) / (سيسيلوس: 255) / (سيريسيوس: 232) / (سيف الله أحمد فاضل: 09) / (سينيزيوس القرواني: 256) / (سياستيان: 113).

ش- [أ-ر-ع-ك-م-ه-ي]- (الشاطبي: 253) / (شارل جنير: 195، 205،) / (شأؤول: 53،  
192) / (شرلمان: 258) / (شريف هاشم: 243) / (شعيب - عليه السلام: 53، 83) / (شكسبير  
: 129) / (شماي: 110) / (ثمت الأب : 36) / (شمعون: 113، 157، 179) / (الشهرستاني:  
250، 284) / (شيث: 70) / (شيشرون: 19، 234).

ص- [أ-د-ف-م]- (صابر طعيمة: 322) / (صالح - عليه السلام: 83) / (صدوق: 107)  
/ (صفنيا: 53، 87،) / (صفية بنت حي بن أخطب زوجة الرسول - صلى الله عليه وسلم: 366)  
/ (صموئيل النبي: 53، 54) / (صموئيل هنري هوك: 31، 30).  
ط- [أ-ت-س-ي]- (طالوت: 392) / (الطبراني: 360) / (طرسيوس اليعقوبي: 277) / (طيريوس:  
127، 128).

ع- [أ-ب-ث-ز-م-و]- (عاموس النبي: 53، 57، 87، 113) / (عباس محمود العقاد:  
1، 6، 12، 20، 32، 43، 45، 53، 54، 64، 81، 83، 84، 89، 98، 108، 110، 111،  
114، 122، 125، 129، 154، 155، 333، 335) / (عبد الباسط محمد حسن: 17)  
/ (عبد العزيز الثعالبي: 293) / (عبد الغني عبود: 125، 145، 227) / (عبد القادر بخوش: 24،  
25) / (عبد الكريم الخطيب: 171) / (عبد الله بن سبأ: 328) / (عبد الله لترجمان: 75، 173) / (عبد  
المجيد الشرفي: 210) / (عبد الواحد وافي: 108، 246) / (عزرا: 56، 67، 87) / (عزير: 60،  
107، 108،) / (علي بن ابي طالب: 313، 328،) / (علي سامي النشار: 15) / (عمانوئيل:  
264) / (عمران: 115) / (عمر بن العاص: 245) / (عوبيديا: 53).  
غ-ر- (غريغوريوس: 218، 226، 258) / (غريغوريوس السابع: 231).

ف- [أ-ر-ل-ن-و-ي]- (فالانتن " فالانتينوس " : 204، 214، 248) / (فالانس: 204)  
/ (فالرياس: 254) / (فاليريوس: 201، 254) / (فان فولتن: 104) / (فؤاد حسنين علي: 48) / (فرانس  
يواس: 56) / (فرانس يواس: 36) / (فرعون: 48، 63، 64، 70، 90، 269، 304) / (فرويد:  
32، 33) / (فريزر: 14) / (فلافيوس: 230، 244) / (فولتير: 21، 24، 411) / (فيلا دلفوس:  
81) / (فيثاغورس: 98، 111، 117، 248) / (فيليس: 122، 127، 174، 188) / (فيليب حتي  
331) / (فيلون: 89، 99، 100، 116، 117، 120، 129، 168، 210، 214، 247) /  
(فيورباخ: 24).

- ق - [ر-س-و-ي] - (القراي: 72، 362) / (قسطنطين: 181، 201، 203، 204، 220، 221، 232، 238، 243، 254، 255، 271) / (قسطنطين الأول (قسطنطوس): 181، 220) / (قسطنطين الثاني: 181) / (قسطنطين الخامس: 226، 257) / (قسطنطين السادس: 257) / (قورس الأسكندري: 56، 84، 277) / (قيافا: 94، 107، 147، 262، 263) / (قيصر: 123، 135).
- ك - [أ-ر-ع-ل-و-ي] - (كاراكالا: 254) / (كارل ياسبرس: 131، 132، 154) / (كارل ماركس: 21، 24، 41، 42) / (كانط عمانوئيل: 17، 25، 19) / (كرشنة: 128، 129) / (كروتيس: 175) / (كريم: 308) / (كرينياس "حاكم سورية": 112، 127) / (كعب الأحبار: 313) / (كونفوشيوس: 329) / (كونت أوجيست: 14، 19، 21، 38، 39) / (كوهن: 16) / (كيرلس: 224، 227، 228، 229، 233، 244).
- ل - [أ-ع-و-ي] - (لاكتانسيوس: 229، 237) / (لعازر: 69، 140) / (لوط: 343) / (لوزان: 61) / (لوقيانوس: 218، 254، 255) / (لونسدال راغ: 308) / (لويس غردية: 228، 229، 280، 283، 287) / (ليون الثالث: 257) / (ليون الخامس: 257).
- م - أ - (مادلين هورس هاديادان: 83) / (مارك أوريل: 202) / (ماكس فيبر: 16) / (ماكس مولر: 11، 20، 24، 26، 29، 30، 32، 328) / (ماكسيم رودنسون: 24) / (مالك بن نبي: 46) / (ماني: 162، 217، 235، 218) / (مايا: 244) / (مايكل هارت: 191، 193).
- م - ح - (محمد صلى الله عليه وسلم: 2، 53، 72، 80، 258، 282، 297، 298، 309، 311، 316، 320، 331، 332، 333، 338) / (محمد أبو زهرة: 269، 305) / (محمد بوالروايح: 11، 17، 28) / (محمد رشيد رضا: 309، 332) / (محمد شلتوت: 338) / (محمد ظاهر التنير: 129) / (محمد عبده: 1) / (محمد عبد الله دراز: 5، 7، 11، 25، 46، 28) / (محمد الغزالي: 13) / (محمد فاروق الزين: 161، 164، 290) / (محمد مجدي مرجان: 271، 286) / (محمود العابدي: 116) / (محمود علي قراعة: 311).
- م - ر - (راد كامل: 111) / (مرتيس الأول: 354) / (مريقيانوس: 277) / (مريقيون: 162، 230، 249، 250، 339) / (مريون: 160) / (مريم - عليها السلام: 48، 49، 62، 73، 147، 162، 164، 171، 181، 182، 209، 213، 220، 224، 226، 227).

319، 302، 298، 297، 284، 282، 278، 274، 268، 258، 243، 294، 239،  
321، 324، 326، 337، 338، 339، / (مریم أم یعقوب: 265) / (مریم المجدلية: 61،  
432، 265، 266، 268، 326، 327) / (موروني ابن مرمون: 160).

م-س- (المسیا: 102، 310، 311) .

م-ع- (معاوية: 313) .

(م-ق) - (مقدونيوس: 223) .

م-ك- (مكسنتيوس: 349) / (مكسيموس: 231، 254).

م-ل- (ملاخي: 53، 87) / (ملكي صادق: 53).

م-ن- (منكهوس: 309).

م-ه- (مهاويرا "زعيم هندي": 23) .

م-و- (موسى -عليه السلام: 2، 10، 53، 54، 57، 61، 63، 64، 65، 67، 76،

77، 80، 83، 85، 86، 88، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 104، 107، 108،

109، 113، 127، 129، 142، 149، 154، 155، 170، 172، 185،

196، 263، 289، 303، 313، 320، 332، 334، 369) / (موريس بوكاي: 86،

162، 169، 412) / (مونتanos: 250).

م-ي- (ميخا: 53، 55، 87، 110، 134) / (ميخائيل نعيمة: 145) / (ميشال الحايك:

190، 338) / (ميشيل ماير: 20) / (ميكال "زوجة داود- عليه السلام: 76) / (ميكيافيلي: 21،

24) / (ميلاني الراهبة: 204).

ن- [أ-ب-ث-ح-س-و-ي]- (ناثان النبي: 53، 107، 175) / (ناحوم: 53، 87) / (نانا

العدراء: 136) / (نايين: 167) / (نبوختنصر: 57) / (نشائيل: 127) / (نحميا: 56، 67، 84،

87، 335) / (نسطور: 223، 224، 227، 231، 232، 233، 240، 244، 277،

280، 281) / (نوح-عليه السلام: 2، 89، 143، 332) / (نوفاتيانوس: 217) / (نيتشه:

17) / (نيرون: 199، 202) / (نيقوديموس: 162).

ه- [أ-ر-ل-و-ي]- (هارولد آيدرس بل: 201) / (هارون -عليه السلام: 48، 53، 80،

90، 109، 136) / (هرقل: 244) / (هرماس الراعي: 251) / (هلال: 110) - (ه-ن) (هنري

ديك استري: 412)/(هنري الرابع: 231)/(هود: 83)/(هوشع: 53، 57، 87، 102،  
103)/(هوميروس: 129، 204)/(هونوريوس: 232،)/(هويت: 309)/(هيكل: 17)/  
(هيرقليطس: 120، 212،)/(هيركانوس: 122)/(هيرود انتيباس: 106، 127)/(هيرودوس:  
68، 94، 106، 112، 122، 123، 127، 141، 147، 148، 170، 325، 275).  
و-[ح-ر-ل-ي]- (وحيد الدين خان: 17، 43)/ (ورقة بن نوفل)/ (ول ديورانت: 145، 178  
/ (ويلكن: 35).

ي-[أ-ث-ح-س-ع-ه-و]- (يافت: 89)/(ياولا الراهبة: 204)/(يثرون النبي أو الكاهن  
وهو شعيب عليه السلام: 53، 54، 90) (يحي عليه السلام " يوحنا المعمدان": 66، 80، 100،  
114، 115، 123، 126، 127، 136، 148، 156، 170، 171، 186، 268،  
298، 305، 325،)/(يوسيفوس: 116، 128) / (يعقوب: 8، 48، 53، 63، 87،  
148، 157، 162، 207، 215، 280، 322)/(يعقوب الحواري: 174، 175، 179،  
184، 185، 195، 197، 199، 208، 261)/(يعقوب البرادعي: 230، 244، 282)  
/(يعقوب النبي: 81، 89، 90، 151، 289، 331، 335، 336)/ (يهودا: 48، 56،  
81، 112، 179، 210، 215)/(يهودا الأسخريوطي: 94، 147، 175، 177، 260،  
261، 262، 267، 309، 326)/(يهودا هاناسي: 93)/(يهوياداع: 107) / (يوحنا الحواري:  
62، 157، 159، 160، 167، 179، 304، 322) / (يوحنا الدمشقي: 257)  
/ (يوحنا فم الذهب: 228، 229)/(يوحنا مارون: 225، 285)/(يوسف -عليه السلام: 10،  
53، 87، 89،)/(يوسف النجار: 62، 68، 70، 73، 127، 128، 129، 141، 164،  
170، 172، 179، 274، 276)/(يوسف مستلم الجثة: 265)/(يونس -عليه السلام"  
يونان": 53، 87، 103، 245، 276)/(يوشع: 56، 87، 113، 130)/(يوليوس قيصر:  
121)/(يوئيل: 53).

### - فهرس الشعوب والقبائل:

أ- (الأرمن: 244، 246)/(الآريون: 43، 82، 205)/(الإسرائيليون: 52، 54، 56، 58،  
68، 86، 172،)/(الإسكيمو: 213)/(الأشوريون: 56، 103، 112، 210، 113)/

(الإغريق: 23، 27، 76، 81، 128، 186، 195، 191، 204، 214، 229، 234، 247،  
260، 282، )/(الأكدية: 54)/(الأمريكية: 290) / ( أوروبا: 23، 24، 31، 184، 207،  
246، 258، 286، ) .

ب- (البابليون: 56، 77، 103، 112، )/(البرابرة " المتبريرين " : 206)/(بيزنطة: 245) /  
(البطالمة: 184)/(بني إسرائيل: 2، 61، 57، 64، 69، 71، 75، 77، 81، 84، 88، 89،  
90، 91، 100، 101، 102، 103، 108، 112، 113، 120، 125، 126،  
133، 162، 181، 190، 196، 197، 207، 259، 268، 289، 320، 326،  
335، )/(البوذيون: 22، 38، 328) .

ج- (جاوه : قبائل " : 35)/(الجرمانية: 227، 234، 258) .

ر- (الرومان " الرومانية": 8، 27، 43، 101، 102، 106، 107، 112، 113، 117،  
121، 122، 125، 126، 134، 136، 142، 143، 144، 145، 147، 149،  
158، 160، 164، 173، 183، 187، 193، 196، 200، 201، 202، 204،  
205، 207، 211، 212، 213، 220، 222، 227، 230، 233، 234، 237،  
246، 254، 269، 270، 273، 310، 312، 325) .

س- (الساسانيون: 411)/(السكسونيون: 258)/(الساميون: 205)/(السريانيون: 81) /  
(السلوقيون: 81، 184) / (السوريون: 184)/(سومطرة " القبائل " : 35)/(السوماريون: 4،  
113، 188) .

ص- (الصينيون " الصين": 104، 184، 193، 217، 329) .

ع- ( عاد: 360)/(العبرانيون " العبريون": 48، 53، 58، 335)/(العرب: 7، 48، 84،  
282، 308، 315، 331، 361، 363) .

غ- ( الغساسنة: 282) .

ف- (فراعنة: 146)/(الفرس: 43، 56، 77، 97، 104، 122، 136، 193، 203،  
204، 217، 244، 254، 260، 273، 282، 312، ) / (الفنيقيون: 130) .

ك- (الكلدانيون: 81) / (الكنعانيون: 48، 54، 55، 56، 80، 125) .

ل- (اللّخميون: 282، 353)/(اللومبرديون: 258) .

-م- (المصريون: 2، 4، 44، 54، 74، 117، 136، 162، 178، 184، 193، 245، 259، 269، 270، 308، 329،) / (المكاييون: 184).

-و- (الوندال: 233).

-ه- (الهمج (الشعوب): 30، 32، 34،) / (الهنود: 26، 44، 52، 97، 104، 128، 129، 193، 243، 260، 269، 328).

-ي- (اليهود: 48، 53، 54، 56، 57، 58، 61، 64، 65، 67، 68، 69، 76، 77، 78، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 99، 100، 101، 102، 104، 106، 107، 109، 110، 111، 112، 113، 117، 121، 122، 123، 125، 126، 127، 128، 130، 134، 144، 145، 146، 147، 149، 154، 155، 160، 162، 165، 171، 172، 176، 178، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 190، 191، 193، 194، 197، 198، 199، 201، 207، 210، 214، 249، 250، 259، 262، 264، 267، 268، 271، 273، 276، 296، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 334، 337، 340، 347، 350، 351، 352، 357، 363، 365، 367، 375، 379، 382، 396، 397، 400، 400،) / (اليونانيون: 8، 57، 75، 82، 96، 98، 105، 107، 117، 136، 143، 183، 187، 188، 189، 190، 191، 193، 194، 196، 198، 200، 246، 253، 258، 284، 293).

### - فهرس الأماكن:

-أ- (أثينا: 120، 384) / (الأردن: 89، 90، 91، 100، 110، 114، 145، 171، 207، 238، 246) / (آرل: 181، 255) / (إسبانيا: 184، 251) / (أستراليا: 34، 35، 36، 246) / (الاسكندرية: 85، 97، 105، 145، 155، 167، 211، 199، 215، 220، 221، 222، 223، 226، 230، 255، 263، 305، 347) / (آسيا الصغرى: 43، 55، 82، 117، 118، 127، 184، 195، 197، 202، 206، 211، 212، 221، 243، 255،) / (أفريقيا: 34، 213، 216، 217، 232، 233، 250، 251، 254، 255، 353،) / (أكسفورد: 308) / (الإمارات: 246) / (أمريكا: 34، 246) / (أمستردام: 308)

(الأناضول: 198)/ (انجلترا "بريطانيا": 258، 412)/ (أنطاكية: 130، 145، 179، 184، 188، 193، 195، 197، 210، 211، 217، 223، 227، 307، )/ (أور: 80، 84)/ (أورشليم: 55، 69، 70، 82، 106، 110، 112، 113، 116، 127، 155، 170، 192، 263، 289)/ (إيطاليا: 258).

-ب- (بابل "البابلية": 84، 87، 95، 103، 110، 190)/ (باريس: 413)/ (بروسيا: 308)/ (البحر الميت: 91)/ (البحرين: 246)/ (البصرة: 282)/ (البلقان "جزيرة": 206، 246)/ (البوسفور "ضفاف": 230)/ (بيثينية: 211)/ (بيت فغور: 91)/ (بيت لحم: 94، 141، 146، 170، 171)/ (بيت المقدس: 80، 84، 101، 112، 113، 122، 126، 145، 155، 160، 170، 172، 223، 246).

-ت- (تبوك: 338)/ (تدمر: 217)/ (ترانت: 286)/ (تسالونيك: 231)/ (تركيا: 189، 221، 246، 255).

-ج- (جبل لبنان: 285)/ (جثيماني "حديقة": 261)/ (الجزائر: 246، 413)/ (جزيريم "جبل": 112، 113)/ (جزيرة العرب: 199، 245)/ (الجليل: 62، 68، 70، 94، 101، 106، 107، 112، 122، 123، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 154، 155، 171، 172، 239، 265، 291)/ (جورجيا: 378)/ (جيحون: 107).

-ح- (الحبشة: 244، 246، 379)/ (الحجاز: 80، 403)/ (حرّان: 115)/ (حمص: 246).

-د- (دمشق: 75، 189، 190، 192، 197)/ (دلّتا النيل: 184).

-ر- (الرّها: 230)/ (روسيا: 246)/ (روما: 106، 120، 121، 125، 133، 144، 145، 163، 184، 198، 199، 201، 202، 203، 204، 207، 210، 214، 217، 221، 223، 224، 226، 228، 229، 236، 245، 248، 249، 251، 254، 255، 257، 271، 277، 285، 289)/ (رومانيا: 246).

-س- (سان برتلمي "موقع مذبحه": 231)/ (السامرة: 87، 106، 112، 113، 122)/ (ساموس "جزيرة": 118)/ (سدوم: 319)/ (السودان: 244، 246)/ (سورية: 55، 112، 116، 121، 128، 184، 189، 197، 212، 218، 224، 246، 280)/ (سيناء "جبل": 90، 93).

-ش- (الشام: 81، 114، 187، 190، 195، 198، 206، 211، 230، 246، 255، 354، 355)/ (الشرق الأدنى القديم: 2، 4، 22، 54، 230).

-ص- (صور "القدس": 56، 125، 181).

-ط- (طبرية: 127، 131، 169)/ (طرسوس: 43، 184، 189، 190، 191، 193، 194، 195، 307)/ (طليطلة: 263، 263)/ (طوروس "جبل طور": 90، 206).

-ع- (العراق: 56، 224، 230، 246، 246)/ (عمورة: 319).

-ف- (الفرات: 48، 224)/ (الفاثيكان: 203، 213)/ (فاران: 402، 5)/ (فارس: 81، 84، 105، 117، 230، 246)/ (فرنسا: 246)/ (فلسطين: 2، 3، 4، 48، 75، 80، 81، 84، 85، 87، 94، 95، 104، 106، 110، 108، 112، 121، 120، 122، 123، 125، 134، 144، 161، 165، 166، 184، 187، 188، 189، 193، 204، 205، 207، 220، 222، 238، 246، 249، 255، 273، 306، 315)/ (فينيس: 308)/ (فينيقية: 116، 125، 184، 187، 188، 193، 194)/ (فيتا: 308).

-ق- (قبرص: 184، 187، 193، 194، 198، 257، 306، 307)/ (القدس: 106، 184، 183، 185، 188، 194، 197، 195، 198، 199، 209، 219، 307، 354، 358)/ (قرطاج: 130، 206، 216، 217، 233)/ (القسطنطينية: 145، 121، 206، 222، 223، 226، 230، 271)/ (قيليقية: 189، 197، 198).

-ك- (كنعان: 67، 84، 86، 125)/ (كورنيثوس: 184، 318، 326)/ (الكوفة: 282)/ (الكويت: 246)/ (كينيا: 246).

-ل- (لبنان: 246)/ (لاتران: 203)/ (ليون: 202، 214، 230)/ (ليبيا: 184، 246).

-م- (مؤاب: 90، 91)/ (مؤتة: 338)/ (المجر: 246)/ (مصر: 64، 65، 68، 81، 82، 84، 86، 89، 90، 111، 115، 125، 170، 161، 181، 190، 198، 206، 212، 227، 230، 244، 245، 246، 248، 252، 255، 273، 273)/ (المدينة المنورة: 338، 358، 358)/ (مدين: 54)/ (مرج ابن عمير: 115)/ (مقدونية: 222)/ (مكة: 80، 80)/ (ميلانو: 145، 167، 181، 204، 235، 256).

-ن- (نابلس: 113، 114)/("نبو" جبل": 89)/("الناصره": 62، 70، 115، 126، 127، 128، 170)/("نجع حمادي": 161)/("النقب" سهل": 90)/("النمسا": 246)/("ننوى": 396)/  
(نوميديا: 130، 206)/("نيقية": 181، 183، 193، 205، 206، 219، 221، 222، 226، 231، 237، 255، 268، 323).

-ه- ("الهند": 76، 81، 82، 98، 105، 117، 120، 184، 217، 329).

-و- (وادي قمران: 110).

-ي- (يثرب: 80، 357، 397)/("يوغسلافيا": 220)/("اليمن": 368، 370)/("اليونان": 81، 84، 85، 97، 184، 195، 212، 214، 246).

### - فهرس الفرق والمذاهب:

-أ- ("الأبيقورية": 120، 154)/("الأبيونيون": 115، 116، 206)/("الإحيائية":

20)/("الأرثوذكسية": 89، 207، 224، 226، 227، 230، 244، 245، 246،

282، 288)/("الإسلام": 21، 22، 42، 45، 46، 51، 52، 53، 58، 72، 84،

98، 99، 183، 230، 245، 274، 290، 292، 301، 311، 312، 313،

314، 316، 329، 331، 332، 333، 339)/("الآسينيون": 106، 110،

111، 112، 116، 145، 183، 197، 209)/("الأريوسية": 181، 182، 206،

227، 232، 234، 255، 258، 278، 285، 290، 297)/("الأفلاطونية الحديثة":

168، 105، 212، 215، 219، 220، 223، 234، 237، 239، 269، 272،

/("الأكليروس": 210، 212، 238)/("الألبانية": 206)/("الألفية": 208)/("الإلهيون": 99)/("الأمورييم:

93)/("أهل السنة": 314)/("الأوغسطينية": 235)/("الأورفية": 98، 194)/("الأولمبية": 82).

-ب- ("البربرانية": 206)/("البرهمية": 23، 76، 128)/("البروتستانتية": 89، 207، 227،

286)/("البوذية": 5، 14، 22، 23، 105، 248)/("البورجوازية": 42)/("البيلاجيانية": 233).

-ث- ("الثنائيم": 93).

-ج- ("الجليليون": 80، 112، 125)/("الجينية": 22، 23).

- خ- (الخوارج: 313).
- د- (الديمقراطية: 38)/(الدهريون: 99)/(الدوناتية: 206، 231، 232، 254، 255).
- ر- (الرأسمالية: 16)/(الريانيون: 85، 92، 93، 116، 332، 334)/(الرواقية: 97، 98، 100، 118، 119، 120، 154، 190، 191، 194، 213، 237).
- س- (السابليانية: 217، 182)/(السرمان: 224، 230، 286)/(السامريون: 80، 106، 112، 113، 116)/(السيخ: 184).
- ش- (الشمشاطية: 206)/(الشننتية: 64)/(الشيعة: 313)/(الشيوعيون: 13، 43).
- ص- (الصابئة: 21، 115، 323)/(الصدوقيون: 80، 106، 107، 108، 116، 120، 125، 142، 149، 183، 207).
- ط- (الطبيعيون: 99)/(الطوطمية: 18).
- ع- (العشارون: 123، 135، 137، 139، 140، 152).
- غ- (الغساسنة: 370)/(الغنوصية: 144، 195، 205، 214، 216، 217، 239، 247، 248، 249، 250)/(الغيوريون: 80، 112، 145، 207).
- ف- (الفريسيون: 80، 93، 101، 106، 108، 109، 110، 111، 112، 116، 120، 125، 126، 132، 139، 140، 142، 149، 172، 183، 191، 192، 207، 262، 275)/(الفيثاغوريون: 213).
- ق- (القبطية: 224، 244، 245، 246، 282، 318)/(القدرية: 313)/(القرآؤون: 85، 92، 101، 116).
- ك- (الكاثوليك: 3، 89، 159، 186، 191، 204، 206، 207، 224، 217، 226، 227، 229، 230، 236، 239، 244، 245، 246، 281، 282، 283، 284، 285، 288)/(الكتبة: 80، 84، 85، 87، 131، 139، 108، 109، 101، 142، 148، 149، 176، 172، 207، 184، 261، 272)/(الكنفوشيوسية: 22).
- ل- (اللخميون: 370)/(اللاويون: 55، 80، 83، 90، 91، 108، 306).
- م- (المارونية: 285)/(المانوية: 203، 218، 234، 235، 239، 240)/(الماركسية: 16، 31، 41)/(المثرية: 141، 148)/(المجوس: 5، 76، 147، 170، 247، 248، 249).

/المسيحانية: 276، 283)/المشائية: (213)/المرجئة: (313)/المرقيونية: 206، 216، 249،  
 251)/الملكانية: (206، 217، 225، 244، 278، 281، 283، 285، 290، 325)/المندائيو  
 ن: (114، 115)/المنذرون: (80، 114)/المونتانية: (216، 217، 249، 250، 254).  
 ن- (الناصريون: 162، 183، 308)/الناموسيون: (148)/نجران: 297، 338،  
 366)/الثنينيم: (80)/النسطوريون: 206، 225، 229، 230، 244، 278، 281،  
 282، 284، 290، 294، 325).  
 ه- (الهليستية: 75، 108، 145، 165، 168، 169، 185، 187، 193، 194،  
 195، 200، 210، 211، 219، 238، 252، 347)/الهندوكية: 22، 64، 69،  
 82، 128، 146، 147)/الهيروديسيون: (80، 123، 132).  
 ي- (اليعقوبية" المنوفيزية": 206، 225، 230، 244، 246، 277، 278، 280، 282،  
 284، 285، 290، 294، 325، 411)/ (اليهودية: 5، 48، 51، 53، 55، 56،  
 64، 65، 68، 74، 75، 81، 83، 85، 86، 88، 90، 92، 93، 96، 100،  
 102، 103، 104، 106، 108، 110، 112، 113، 114، 116، 120، 122،  
 125، 127، 128، 142، 143، 145، 158، 160، 162، 168، 171، 183،  
 184، 185، 187، 189، 190، 191، 193، 194، 196، 200، 205، 207،  
 210، 211، 218، 237، 247، 295، 299، 311، 315، 317).

#### - فهرس الألفة:

أ- (أبولون" إله الفنون": 117، 133)/ (أبيس: 44)/ (أتيس: 136، 190)/ (آدوناي: 57،  
 76)/ (أدونيس: 57، 76)/ (أغسطس: 121)/ (الأقانيم: 60، 96، 116، 168، 182،  
 206، 213، 218، 220، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229،  
 231، 233، 235، 240، 255، 269، 270، 272، 276، 278، 279، 281،  
 282، 283، 284، 285، 286، 289، 290، 291، 293، 294، 296، 315،  
 323، 336، 352)/ (إلوهيم: 57، 65، 86)/ (إهيه: 65)/ (أوزوريس: 120، 136، 190،  
 269، 296)/ (إيل: 57، 78)/ (إيزيس: 3، 76، 120، 136، 269).  
 ب- (براهما: 81، 104، 105، 270)/ (بعل: 56، 83، 346)/ (بوذا ابن مايا: 136).

- ت- (تانيت "إلهة قرطاج") : (3) / (تموز: 57، 83، 190) / (تيفون: 104)
- (ث) - (ثيوتوكوس: 147) / (ثيوس: 118).
- (ج) - (جوبيتر: 144، 203) .
- (ح) - (حورس: 104، 136، 269، 329) .
- (د) - (ديوس: 76) / (ديونيس: 76، 136، 141) / (ديمتر: 76) / (ديفاكي: 129).
- (ر) - (رع: 136).
- (ز) - (زرادشت: 136) / (زيوس: 120).
- (س) - (سافستري: 243) / (سيفا: 82، 270) / (سيراييس: 120).
- (ع) - (عشتروت: 3، 83).
- (ف) - (فايو: 244) / (فشنو: 82، 270) / (فو: 271) / (فيروس ابن مريانا: 136) .
- (ك) - (كرشنة: 105، 136) / (كراسيوس: 293) / (كوبرنيوس: 144).
- ل- (لينقا: 82).
- (م) - (مارس: 144) / (مردوخ: 270) / (ميثرا: 43، 75، 76، 104، 168، 191) / (المانا: 28، 35).
- ي- (يهوه: 58، 65، 67، 77، 78، 83، 85، 86، 91، 102، 114، 122، 171، 185، 195، 289، 315).

## فهرس المحتويات

## مقدمة:

- أ - أهمية الموضوع واشكاليته.....أ.....  
ب - أهداف الموضوع.....ب.....  
ت-أسباب اختيار الموضوع .....ت.....  
ث- صعوبات البحث .....ج.....  
ج- المنهج المتبع .....ح.....

## الجزء الأول: الجذور التاريخية للتطور الديني

- 01.....الفصل التمهيدي: التطور التاريخي للدين .....  
06.....-المبحث الأول : مفهوم الدين وتعريفه.....  
07.....مطلب 1-تطور مفهوم الدين.....  
08.....مطلب 2- تطور مدلول كلمة دين من حيث:اللغة والإصطلاح.....  
08.....أ- تعريف الدين في اللغة.....  
11.....ب- تعريف الدين في الإصطلاح.....  
14.....مطلب 3- أهمية دراسة الدين وضرورته للبشرية.....  
17.....-المبحث الثاني: مناهج البحث في نشأة الدين وتطوره:.....

- مطلب 1 - مناهج البحث في نشأة الدين ..... 17.
- أ- المنهج التاريخي ..... 18.
- ب- منهج المقارنة الثقافية والحضارية ..... 19.
- ت- المنهج التجريبي ..... 20.
- ث- منهج المسح الاجتماعي ..... 21.
- ج- المنهج الإحصائي ..... 22.
- مطلب 2- تطور مفهوم الدين عند المفكرين ..... 23.
- المبحث الثالث: نظرة المدارس الفكرية إلى أصل العقيدة الدينية وتطورها ..... 24.
- مطلب 1- أصل العقيدة الدينية وتطورها ..... 24.
- مطلب 2- مدارس نشأة العقيدة الدينية وتطورها: ..... 31.
- أ- من منظور المدرسة الإحيائية (الروحية) ..... 31.
- ب- من منظور المدرسة الطبيعية ..... 35.
- ت- من منظور مدرسة الغريزة الجنسية ..... 39.
- ث- من منظور المدرسة الاجتماعية ..... 40.
- ج- أصل العقيدة من منظور هنري برجسون ..... 44.
- ح- أصل العقيدة من من منظور أوجيست ..... 46.
- خ- من منظور المدرسة النفسية ..... 48.
- د- من منظور المدرسة الماركسية ..... 49.
- ذ- من منظور مدرسة هجرة الأفكار والنظم والثقافات ..... 52.
- ر- من منظور مدرسة الوحي ..... 53.
- الفصل الثاني: تطور العقائد الدينية في ظل النبوة اليهودية :** ..... 58.
- المبحث الأول: النبوة اليهودية: ..... 58.
- 1- تعريف النبوة لغة واصطلاحاً ..... 60.
- 2- طبيعة النبوة اليهودية ..... 61.
- 3 - مراحل تطور النبوة اليهودية ..... 63.

- 4- مفهوم النبوة والنبي في التراث اليهودي.....64
- 5- صفات النبي والنبوة في التراث اليهودي.....65
- 6- طبقات النبوة في الديانة اليهودية.....66
- 7- كثرة ظهور الأنبياء في الديانة اليهودية.....68
- المبحث الثاني: تطور مفهوم الألوهية في الكتاب المقدس: .....69
- 1- تطور مفهوم الإبن والإله.....72
- 2- مفهوم "الإبن" في العهد القديم.....77
- 3 - مفهوم "الإبن" في العهد الجديد .....77
- 4- مفهوم "الإله" في العهدين: القديم والجديد.....78
- المبحث الثالث - تطور دلالات التوحيد والتعدد في الكتاب المقدس:.....82
- مطلب 1: تطور دلالات التوحيد:.....82
- أ- تطور دلالات التوحيد في العهد القديم.....82
- ب- تطور دلالات التوحيد في العهد الجديد.....83
- ت- دعوى تأليه المسيح في القرآن الكريم.....87
- مطلب 2 : الوثنية في العقائد المسيحية ومنها:.....90
- أ- عقيدة عودة الإله إلى الحياة بعد الموت.....90
- ب-عقيدة القربان والتعميد.....90
- ت-عقيدة البعث والحساب في الآخرة.....93
- ث - صفات الألوهية في العهد القديم.....95

## البرهان الثاني: تطور الأصول اليهودية إلى العقائد المسيحية

- الفصل الأول: بيان أوضاع البيئة اليهودية مهد المسيحية .....97
- المبحث الأول: البيئة الدينية وروافد العقائد:.....98
- مطلب 1- روافد حضارات الشعوب القديمة.....98
- مطلب 2 - روافد الديني اليهودي : .....101

- أ- العهد القديم.....102
- 108.....\_ سفر التكوين
- 109.....\_ سفر الخروج
- 109.....\_ سفر اللاويين
- 109.....\_ سفر العدد
- 109.....- سفر التثنية
- ب- التلمود.....111
- ت- الفلسفة.....116
- مطلب 3- تأثير الفلسفة في البيئة الدينية.....120
- مطلب 4- بداية رواج فكرة المسيح المنقذ وتطورها.....121
- المبحث الثاني: البيئة السياسية ودورها في تطور العقائد.....128
- دور الفرق اليهودية.....128
- أ- الصدوقيون.....129
- ب- الفريسيون.....130
- ت- الأسينيون.....133
- ث- الغيورون.....135
- ج- السامريون.....136
- ح- المندائيون.....138
- خ- الأيونيون.....139
- المبحث الثالث: البيئة الفكرية ودورها في تطور العقائد:.....140
- 1- دور الفلسفة الفيثاغورية.....142
- 2- دور الفلسفة الأبيقورية.....142
- 3- دور الفلسفة الرواقية.....143
- المبحث الرابع- البيئة الإجتماعية ودورها في تطور العقائد:.....144
- مطلب 1- الإضطرابات الإجتماعية.....145

مطلب 2- النزاعات الإستعمارية ..... 146

مطلب 3- مظاهر الإضطهاد ..... 148

**الفصل الثاني:** ظهور المسيح في البيئة اليهودية ..... 150

-المبحث الأول: شخصية المسيح في ضوء المسيحية..... 152

مطلب 1- شخصية المسيح..... 153

1- لمحات من حياة المسيح:..... 153

2- تاريخ ميلاد المسيح..... 156

3- صفات المسيح..... 158

4- تعاليم المسيح..... 159

5- شريعة المسيح..... 163

مطلب 2- أمثولات المسيح..... 164

الأمثولات..... 164

مطلب 3- طقوس المسيح و المسيحية..... 170

أ- العشاء الرباني..... 170

ب- المسيح والكنيسة..... 172

ت- المسيح وطقوس التعميد..... 172

ث- الهيكلية الإدارية للكنيسة..... 174

ج- المسيح وعقيدة البنوة..... 176

ح- المسيحية الحالية ليست رسالة المسيح..... 178

مطلب 4- شريعة المسيح..... 180

أ- شريعة إعتزال المسيح للسلطة الدينية والمدنية..... 180

ب- شريعة الزهد والحب والغفران..... 181

ت- شريعة ملكوت السماء..... 185

-المبحث الثاني: دعوة المسيح:..... 186

- أ- قدرة المسيح على الدعوة.....186
- ب - إخلاص المسيح في الدعوة .....190
- المبحث الثالث: كتاب المسيح:.....192
- مطلب 1-العهد الجديد..... 192
- مطلب 2- الأناجيل الأربعة.....197
- أ-إنجيل متى.....199
- ب-إنجيل مرقس.....200
- ت-إنجيل لوقا .....201
- ث - إنجيل يوحنا .....203
- مطلب 3- أوجه الإتفاق في بعض روايات الأناجيل .....206
- مطلب 4- أوجه الاختلاف والتناقض في بعض روايات الأناجيل .....210
- مطلب 5- خلاصة محتويات الأناجيل .....214

## الرابع الثالث: مراحل تشكيل وتطور اللاهوت المسيحي

- الفصل الأول: مراحل تشكيل اللاهوت المسيحي .....219
- المبحث الأول: مرحلة نشأة العقائد وتطورها:أو) التأسيس).....221
- مطلب 1- بداية إنفصال المسيحية وتطورها عن اليهودية.....223
- مطلب 2-عوامل و أسباب الإنفصال.....226
- أ- العوامل .....226
- ب- الأسباب.....228
- مطلب 3- دور بولس في عملية الإنفصال وتطورها.....228
- أ-ثقافة بولس.....231
- ب- تطور العقيدة المسيحية عند بولس.....232
- ت- تفسيره لحادثة الصلب.....239
- ث- كنيسته .....240

243.....المبحث الثاني: مرحلة التدوين للعقائد المسيحية.

243.....مطلب 1 - بدايات الإضطهاد للديانة المسيحية.

245.....مطلب 2- أسباب الإضطهاد وفتراته

247.....مطلب 3- نتائج الإضطهاد وأثره في تطور العقائد

256.....المبحث الثالث: مرحلة التثبيت للعقائد المسيحية.

257.....مطلب 1 - تطور العقائد المسيحية بحسب مصدرها:

258.....مطلب 2- تطور العقائد المسيحية بحسب رجال الدين.

258.....أ- جوستيانوس (يوستيانوس)

259.....ب - تاتيانوس

259.....ت- ايريناوس

260.....ث- اكليمنضس

260.....ج - أوريجينوس

262.....ح- بردصان

262.....خ- ترتوليانوس

263.....د- سيريانوس

263.....ذ- بولس السمصاطي

263.....و- ماني

265.....مطلب 3- تطور العقائد المسيحية بحسب المجامع الكنسية:

265.....أ- نظرة على المجامع المسيحية

266.....ب- أعمال المجامع وقراراتها

268.....- مجمع نيقية 325م

270.....- مجمع القسطنطينية الأول 381م

271.....- مجمع أفسس الأول 431م

271.....- مجمع أفسس الثاني 449م

272.....- مجمع خلقدونية 451م

- 273 ..... - مجمع القسطنطينية الثاني 553م.....
- 273 ..... - مجمع القسطنطينية الثالث 680م.....
- مطلب 4- العقائد المسيحية وتطورها في ظل الآباء.....276
- مطلب 5- العقائد المسيحية وتطورها في ظل الفرق والمذاهب الكنسية.....281
- أ- الدوناتية.....281
- ب- البيلاجيانية .....282
- ت- الأوغسطينية.....283
- مطلب 6- قانون الإيمان الكنسي ودوره في صياغة العقائد.....287

## الفصل الثاني: مظاهر التطور في العقائد المسيحية: .....293

### -المبحث الأول: ظهور المجامع والفرق العقائدية:.....293

- مطلب 1- ظهور المجامع الكنسية.....293
- مطلب 2- ظهور الكنائس الأرثوذكسية.....294
- مطلب 3- ظهور الفرق العقائدية:.....299
- أ- الغنوصية.....299
- ب- المرقيونية.....301
- ت- الموتانية.....302

### المبحث الثاني: مظاهر التطور:.....303

- مطلب 1- تعدد الأناجيل .....303
- مطلب 2- انتشار الرهبنة المسيحية.....305
- مطلب 3- تغلغل العادات الشعبية في الكنيسة.....310

### -المبحث الثالث: نتائج التطور في العقائد المسيحية.....313

- مطلب 1- القول بعقيدة الفداء.....313
- مطلب 2- القول بعقيدة الصلب.....315
- مطلب 3- القول بعقيدة القيامة .....320

-المبحث الرابع: أركان العقيدة المسيحية بعد تطورها: 324.....

مطلب 1- القول بعقيدة التثليث 324.....

مطلب 2- القول بعقيدة التجسد 330.....

أ- من هو المتجسد؟ 331.....

ب- كيف تم الإتحاد والتجسد؟ 336.....

ت- طبيعة الإتحاد والتجسد 337.....

مطلب 3- تطور القول بطبيعة المسيح عند الفرق 338.....

أ- عند فرقة الملكانية 340.....

ب- عند فرقة النسطورية 341.....

ت- عند فرقة اليعقوبية 342.....

مطلب 4- صور التجسد عند الفرق المسيحية: 343.....

أ- التجسد عند الملكانية 343.....

ب- التجسد عند النسطورية 344.....

ت- التجسد عند اليعقوبية 344.....

ث- التجسد عند الأريوسية 343.....

ج- التجسد عند المارونية 346.....

مطلب 5- مبررات الاعتقاد في التجسد عند المسيحيين 346.....

مطلب 6- معنى الأقانيم والثالوث 347.....

أ- أدلة بطلان القول بعقيدة التثليث 349.....

ب- طرق تقريب القول بالتثليث 354.....

-المبحث الخامس: تطور عقيدة تأليه المسيح: 357.....

مطلب 1- منشأ القول بتأليه المسيح وتطوره 357.....

مطلب 2- منشأ القول بتأليه الروح القدس وتطوره 359.....

مطلب 3- أدلة بطلان العقائد المسيحية 360.....

أ- الأدلة العقلية في الرد على أزلية المسيح وبنوته 360.....

- ب- الأدلة العقلية.....365
- ت- أدلة الأناجيل على بشرية المسيح .....370
- ث- أدلة إنجيل برنابا على بشرية المسيح.....372
- من هو برنابا؟.....372
- إنجيل برنابا.....373
- بشرية المسيح في إنجيل برنابا.....376
- المبحث السادس: عوائق فهم العقائد المسيحية:.....378
- مطلب 1- القول بتطور العقيدة.....378
- أ- القول بتطور عقيدة الإلوهية.....378
- ب- القول بتطور عقيدة التوحيد.....383
- مطلب 2- مسألة القضاء والقدر والحياة بعد الموت.....384
- أ- مسألة القضاء والقدر .....384
- ب -مسألة الحياة بعد الموت .....384
- مطلب 3: مسألة التحريف والتأويل.....387
- أ- مسألة تحريف الكتب المقدسة .....387
- ب- مسألة تأويل نصوص تأليه المسيح.....388
- ت- اضطراب عرض مسألة الصلب.....390
- ث- عرض مسألة الإعتراف بالذنب.....392
- مطلب 4- عرض مسألة الفداء.....394
- أ-مسألة الفداء.....397
- ب-مسألة الصلب.....399
- ت- مسألة الخلاص وموت الإله.....399
- 401.....**الذات**
- 410.....**قائمة المصادر والمراجع**
- 425.....**الفهرس العام**

426.....	فهرس آيات القرآن الكريم
428.....	فهرس فقرات الكتاب المقدس
439.....	فهرس الأء لاء
447.....	فهرس الشعوب والقبائل
449.....	فهرس الأءاء
452.....	فهرس الفرق والمذاهب
454.....	فهرس الأءاءة
456.....	فهرس المحتوراء

عبد القادر للعوم الإسلامية